غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

المجلد السابع عشر

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

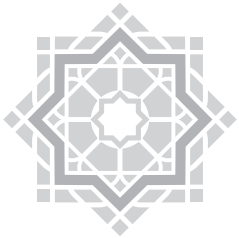
نسخة مجانية

الدار الشامية
للطباعة والنشر والتوزيع

QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

غير مرخصة للطباعة



المِحْوَرُ الثَّالِثُ

الفِقْهُ وَأُصُولُهُ

فِقْهُ الأُسْرَةِ وَالمُجْتَمَع

٣٨ الحلال والحرام في الإسلام

نسخة تجريبية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة



نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

غير مرخصة للطباعة

المحور الثالث

الفقه وأصوله

(فقه الأسرة والمجتمع)

٣٨

الحلال والحرام في الإسلام

الإمـام يوسف القرضاوي

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

من الدستور الإلهي للبشرية

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٢، ٣٣].

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن النعمان بن بشير، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الحلال بيِّن، وإن الحرام بيِّن، وبينهما مشتبهاتٌ، لا يعلمُهنَّ كثير من الناس، فمن اتَّقى الشبهاتِ استبرأ لدينه وعِرْضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحِمَى، يوشك أن يَرْتَع فيه، ألا وإن لكل ملكٍ حمًى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلَحت، صلَح الجسد كلُّه، وإذا فسدت، فسد الجسد كلُّه، ألا وهي القلب**».

متفق عليه.

عن عياض بن حمار المجاشعي، أن رسول الله ﷺ، قال ذات يوم في خطبته فيما يرويه عن ربه ﷻ قال: «**إني خلقتُ عبادي حنفاءَ كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجْتَالتهم عن دينهم، وحرَّمت عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرَتْهم أن يُشركوا بي ما لم أُنزل به سلطانًا**».

رواه مسلم.

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضللْ فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

(أما بعد)

فهذه هي الطبعة السبعون ـ أو أكثر ـ من هذا الكتاب، الذي أسأل الله أن ينفع به مؤلِّفه وناشره وقارئه. وأن «يُكَيِّفوا» سلوكهم وَفْقًا لأحكامه، غير مُبَالِين بالأفكار الدَّخِيلة، والمذاهب المستورَدة.

ويزيد من قيمة هذا الإقبال أن جهودًا جبارة تُبذل، وأموالًا طائلةً تُرصد، وطاقاتٍ هائلةً تُجنَّد من القوى المعادية للإسلام على اختلاف أهدافها وطرائقها، وتعدُّد ألوانها وأسمائها، للصدِّ عن سبيل هذا الدين، وتعويق الدعوة إليه، وقطع الطريق على دُعاته، وإثارة الشُّبُهات والأكاذيب من حوله، وتشويه عقيدته وشريعته، وأخلاقه وآدابه، وحضارته وتاريخه. يريدون أن ترتدَّ الشعوبُ المسلمة عن دينها، كما

QaradawiBooks.com

أرادوا أن يرتدَّ كثير من حُكَّامها الذين اتخذوا القرآن مهجورًا، واتَّخذوا غير الإسلام منهجًا، وغير محمد ﷺ إمامًا.

فإذا أخفقت هذه المحاولات الجهنمية المخطَّطة المدعومة فيما هدفت إليه من تكفير الجماهير المسلمة، وراج مع هذا كلِّه الكتابُ الإسلامي، بل ظلَّ هو الكتاب الأوَّل في سُوق النشر والتوزيع، كما تدلُّ الأرقام والإحصاءات، على حين تظهر كتبٌ كثيرة موجَّهة، تُنفِق عليها دول ومؤسسات كبيرة عشرات الألوف ومئاتها، فلا تَنْفَق لها سوق، ولا تجد لها قبولًا، فهذا ما نُسَرُّ له، ونحمد الله تعالى عليه.

أجلْ، إنها نعمة من الله، يجب أن نتلقَّاها بالحمد والشكر. فإن معناها أن جماهيرنا المسلمة لا تزال بخير، وإنما الفساد والانحراف في القيادات العميلة المفروضة عليها. وهي قياداتٌ مصيرها حتمًا إلى الزوال.

ومما أذكره هنا: أن بعض ما وضعتُه في هذه الطبعة موجود عندي كاملًا من أكثر من أربعينَ سنة، كتبته ردًّا علميًّا على بعض من انتقدوا كتابي، وكنتُ أودُّ في حينها أن أنشرها، ولكن بعض إخواني ثبَّطوني عن هذا ببعض الْمُبَرِّرات التي قدَّرتها في حينها، وأبقيتُها عندي، ولم تُنشر حتى آن أوان نشرها، وكل شيء عند الله بمقدار.

هذا، وقد كان الكتاب مُخَرَّجًا تخريجًا قصيرًا جدًّا على غير الطريقة التي بدأتُها منذ عدَّة سنين في تخريج كتبي الجديدة، وقد رأى الإخوة في مكتبي العلمي بالدوحة أن يعيدوا تخريج الكتاب على نفس هذه الطريقة، وهو ما اقتضاني أن أحذف بعض الأحاديث من الكتاب لم نرَ ضرورة لوجودها، وإن لم يترتب عليها تغيير الحكمِ الأصلي الموجود في الكتاب.

QaradawiBooks.com

وهذا مما أحمد الله تعالى عليه، فمذهبي الـــذي تبنيتُه ودعوتُ إليه وأورثتُـــه لأصحابي: الاعتمـــادُ علـــى الأحاديث الصحيحة والحســـنة، والتدقيق في ذلك إذا اختلف العلماء، فحكم الله في الأشياء لا يثبت إلا بنصٍّ صريح صحيح.

ومما يســـرُّني كذلك، أن جماعة من إخواننا الباكســـتانيِّين والأتراك والهنود والبنغاليِّين والماليزيين والإندونيسيين والنيجيريين والسنغاليين، وكثير من أمم الأرض بعثوا يستأذنونني في ترجمة الكتاب إلى لغاتهم، فلم أتردَّد في الإذن لهم، كمـــا أذنت في كُتُب كثيرة أخرى. فإن اختلاف اللغات لا يجوز أن يقف مانعًا دون التبادل الفكري بين المسلمين، الذي هو إحدى الخطوات اللازمة في طريق الوَحْدة الإسلامية المنشودة.

فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨].

الدوحة في: محرم ١٤٣٤هـ
الموافق ديسمبر ٢٠١٢م
الفقير إلى عفو ربه
يوسف القرضاوي

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

أبلغتني الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر الشريف رغبةَ مشيخة الجامع الأزهر[١] أن أساهم في مشروع علميٍّ يتضمَّن تأليفَ كتب أو كتيبات مبسَّطة، تُترجم إلى اللغة الإنجليزية، للتعريف بالإسلام وتعاليمه في أوربا وأمريكا، تبصرة للمسلمين هناك، ودعوة لغير المسلمين.

والحقُّ أن مشروع هذه الكتب والكتيبات مشروعٌ نبيلُ الهدف، جليل الشأن، وكان من الواجب أن يتحقَّق منذ زمن بعيد. فالمسلمون في أوربا وأمريكا لا يعرفون من الإسلام إلا أقل القليل، وهذا القليل لم يَسلَم من المسخ والتشويه، ومن وقت قريب كتب إلينا صديقٌ أزهري مبعوثٌ إلى ولاية من الولايات المتحدة يقول: إن معظم المسلمين في هذه الولاية يتكسَّبون من فتح البارات، والتجارة في الخمور، ولا يشعرون أن ذلك من أكبر المحرَّمات في الإسلام.

---

(١) كان شيخ الأزهر في ذلك الوقت سنة ١٩٥٩م هو شيخنا العلامة الإمام الأكبر محمود شلتوت، وكان المدير العام للثقافة الإسلامية الذي كنتُ أعمل في إدارته شيخنا المفكِّر الإسلامي الأستاذ الدكتور محمد البهي رَحِمَهُ اللَّهُ، وكانت الطبعة الأولى للكتاب في مطبعة عيسى البابي الحلبي، في القاهرة.

QaradawiBooks.com

ويقول: إن الرجال المسلمين يتزوَّجون بمسيحيات ويهوديات ـ وربما بوثنيات ـ ويتركون بنات المسلمين يتعرضْن للكساد، ويفعلون، ويفعلون.

وإن كان هذا شأن المسلمين، فما بالُك بغير المسلمين؟! إنهم لا يعرفون إلا صورة دميمة الوجه، شائهة الخِلْقَة، عن الإسلام ورسول الإسلام وأتباع الإسلام. صورة تعمل الدعايات التبشيرية والاستعمارية المسمومة على تثبيتها وزيادة تشويهها، باذلةً في ذلك كل جهد، سالكة كل سبيل. في الوقت الذي نحن فيه عن هذا غافلون، وفي غمرةٍ ساهون.

أَمَا وقد آن الأوان للبَدْء في هذا المشروع، وتحقيق هذا الأمل الذي تُوجِبه الدعوةُ إلى الإسلام، وتُلِحُّ في القيام به، فإنها لَخطوةٌ مباركة، جديرة أن نحيِّي القائمين على رعايتها وتنفيذها في الأزهر وخارجه، طالبين المزيد من هذه العناية، راجين لهم دوامَ التوفيق.

هذا، وقد كان الموضوع الذي عهدت إليَّ إدارةُ الثقافة أن أكتب فيه هو: «الحلال والحرام في الإسلام»، وأوصت في كتابها إليَّ أن يُراعى في الكتابة التبسيط، وسهولة الإقناع، والمقارنة مع الأديان والثقافات الأخرى.

وربما بدا موضوع «الحلال والحرام» سهلًا لأول وهْلة، ولكنه في الواقع صعب الْمُرْتقى، فلم يسبق لِمُؤَلِّف في القديم أو الحديث أن جمع شَتات هذا الموضوع في كتاب خاصٍّ. ولكن الدارس يجد أجزاءه موزَّعة في أبواب الفقه الإسلامي كلها، وبين ثنايا كتب التفسير والحديث النبوي.

ثم إن موضوعًا كهذا يُضطر الكاتب إلى أن يحدِّد موقفه من أمور كثيرة، اختلف في حكمها علماؤنا القُدامى، واضطربت فيها وفي تعليلها آراءُ المحْدَثين.

QaradawiBooks.com

وترجيح رأي على غيره في مسائل الحلال والحرام يحتاج إلى أَنَاةٍ وطُول بحث ومراجعة، بعد أن يتجرَّد الباحث لله في طلب الحق، جَهْدَ الإنسان.

وقد رأيت معظم الباحثين العصريِّين في الإسلام والمتحدِّثين عنه، يكادون ينقسمون إلى فريقين:

١ ـ فريق خطف أبصارهم بريقُ المدنيَّة الغربية، وراعهم هذا الصنم الكبير، فتعبَّدوا له، وقدَّموا إليه القرابين، ووقفوا أمامه خاشعةً أبصارهم ترهقهم ذِلَّة، هؤلاء الذين اتخذوا مبادئ الغرب وتقاليده قضية مُسَلَّمة لا تُعارض ولا تُناقش، فإن وافقها الإسلام في شيء هلَّلوا له وكبَّروا، وإن عارضها في شيء وقفوا يحاولون التوفيق والتقريب، أو الاعتذار والتبرير، أو التأويل والتحريف، كأن الإسلام مفروض عليه أن يخضع لمدنيَّة الغرب وفلسفته وتقاليده.

ذلك ما نلمسه في حديثهم عمَّا حرَّم الإسلام من مثل: التماثيل واليانصيب والفوائد الربوية والخَلْوة بالأجنبية، وتمرُّد المرأة على أنوثتها، وتحلِّي الرجل بالذهب والحرير، إلى آخر ما نعرف.

وفي حديثهم عمَّا أحل الإسلام من مثل: الطلاق وتعدُّد الزوجات، كأن الحلال في نظرهم ما أحَلَّه الغرب، والحرام ما حَرَّمه الغرب.

ونسوا أن الإسلام كلمة الله، وكلمة الله هي العليا دائمًا، فهو يُتَّبَع ولا يَتَّبِع، ويَعلو ولا يُعلى عليه، وكيف يتبع الربُّ العبدَ؟! أم كيف يخضع الخالق لأهواء المخلوقين؟! ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١]. ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥].

QaradawiBooks.com

٢ ـ هذا فريق، والفريق الثاني جَمَد على آراء معيَّنة في مسائل الحلال والحرام، تبعًا لنـــصٍّ أو عبارةٍ في كتاب، وظن ذلك هو الإســـلام، فلم يتزحزح عن رأيه قِيدَ شـــعرة، ولم يحاول أن يمتحن أدلَّةَ مذهبه أو رأيه، ويوازنها بأدلَّة الآخرين ويستخلص الحق بعد الموازنة والتمحيص.

فإذا سئل عن حكم الموسيقى أو الغناء أو الشِّطْرنج، أو تعليم المرأة، أو إبداء وجهها وكفَّيها، أو نحو ذلك من المسائل، كان أقرب شيء إلى لسانه أو قلمه كلمة «حرام»، ونسي هذا الفريق أدب السلف الصالح في هذا، حيث لم يكونوا يُطلقون الحرام إلا على ما عُلم تحريمه قطعًا. وما عدا ذلك قالوا فيه: نكره، أو لا نحب، أو نحو هذه العبارات.

وقد حاولتُ ألَّا أكون واحدًا من الفريقين.

فلم أرضَ لديني أن أتَّخذ الغرب معبودًا لي، بعد أن رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا.

ولم أرضَ لعقلي أن أقلِّـــدَ مذهبًا معينًا في كل القضايا والمســـائل: أخطأ أو أصاب، فإن المقلِّد ـ كما قال ابن الجوزي ـ «على غير ثقة فيما قلَّد فيه، وفي التقليد إبطالُ منفعة العقل، لأنه خُلق للتأمُّل والتدبر. وقبيحٌ بمن أُعطي شمعة يستضيء بها أن يُطفئَها ويمشي في الظلمة»[1].

أجل، لم أُحاول أن أقيِّد نفســـي بمذهبٍ فقهيٍّ من المذاهب السائدة في العالم الإسلامي، ذلك أن الحق لا يشتمل عليه مذهب واحد. وأئمة هذه المذاهب المتبوعة لم يدَّعوا لأنفسهم العِصْمة، وإنما هم مجتهدون في تعرُّف الحق، فإن أخطؤوا فلهم أجر، وإن أصابوا فلهم أجران.

(١) تلبيس إبليس صـ ٧٤، نشر دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

QaradawiBooks.com

قال الإمام مالك: كل أحد يؤخذ من كلامه ويُترك إلا النبي ﷺ[١].

وقال الإمام الشافعي: رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب[٢].

وغير لائق بعالمٍ مسلم يملك وسائل الموازنة والترجيح، أن يكون أسيرَ مذهب واحد، أو خاضعًا لرأي فقيه معين. بل الواجب أن يكون أسير الحجة والدليل. فما صحَّ دليله وقويت حجته، فهو أولى بالاتباع. وما ضعُف سندُه، ووَهَتْ حجَّتُه، فهو مرفوض مهما يكن من قال به، وقديمًا قال الإمام علي رضي الله عنه: «لا تعرف الحق بالرجال، بل اعرف الحق تعرف أهله»[٣].

وقد حاولتُ أن أراعي ما طلبتْه إدارة الثقافة قدرَ ما استطعت، فعُنِيتُ بالتدليل والتعليل والموازنة، مستعينًا بأحدث الأفكار العلمية والمعارف العصرية. وقد كان جانب الإسلام والحمد لله مشرقًا وضاءً، يحمل الدليل الناصع، على أنه دين الإنسانية العام الخالد ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨].

الحلال والحرام معروف في كل أمَّة من قديم، وإن اختلفوا في مقدار المحرمات وفي نوعها، وفي أسبابها، وكان الكثير منها مرتبِطًا بالمعتقَدات البدائية، والخرافات والأساطير.

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٨/٩٣)، تحقيق مجموعة بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

(٢) نقل ابن حجر الهيتمي أن ذلك مذهب الشافعية. الفتاوى الفقهية الكبرى (٤/٣١٣)، نشر المكتبة الإسلامية.

(٣) تلبيس إبليس صـ ٧٤، وتفسير القرطبي (١/٣٤٠)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

QaradawiBooks.com

ثم جاءت الأديان السماوية الكبرى بتشريعات ووصايا عن الحلال والحرام، ارتفعت بالإنسان من مستوى الخرافات والأساطير والحياة القبلية، إلى مستوى إنساني كريم، ولكنها كانت في بعض ما أحلَّت وحرَّمت مناسِبة لعصرها وبيئتها، متطوِّرة بتطوُّر الإنسان، وتغيُّر الأحوال والأزمان.

فكان في اليهودية ـ مثلًا ـ محرَّمات مؤقَّتة، عاقب الله بها بني إسرائيل على بغيهم، فلم تكن تشريعًا قُصد به الخلود، ولهذا ذكر القرآن قول المسيح لبني إسرائيل: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠].

فلما جاء الإسلام كانت البشرية قد بلغت أشدَّها، وصلحت لأن يُنزل الله عليها رسالته الأخيرة، فختم تشريعه للبشر بشريعة الإسلام الخالدة. وفي هذا نقرأ قوله سبحانه بعد أن ذكر ما حُرِّم من الأطعمة في سورة المائدة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وفكرة الإسلام في الحلال والحرام فكرة بسيطة واضحة، إنها جزء من الأمانة الكبيرة، التي أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان.

أمانة التكاليف الإلهية واحتمال مسؤولية الخلافة في الأرض، تلك المسؤولية التي على أساسها يُثاب الإنسان ويُعاقب، ومن أجلها مُنح العقل والإرادة، وبُعثت له الرسل، وأنزلت الكُتُب، فليس له أن يسأل: لِمَ كان الحلال والحرام؟ ولِمَ لَمْ أُترك طليقَ العِنان؟

فهذا من تتمَّة الابتلاء الذي خُصَّ به المكلَّفون، وتميَّز به هذا النوع من مخلوقات الله، الذي ليس رُوحًا خالصة كالْمَلَك، ولا شهوة خالصة

QaradawiBooks.com

كالبهيمة، وإنما هو شيء وسط، يستطيع أن يرتقي فيكون كالملائكة، أو خيرًا وأفضل، وأن يهبط فيكون كالأنعام أو أضل سبيلًا.

ومن جهة أخرى، فإن الحلال والحرام يدور في فلك التشريع الإسلامي العام، وهو تشريع قائم على أساس تحقيق الخير للبشر، ودفع الحرج والعنت عنهم، وإرادة اليُسْر بهم.

يقوم على درء المفسدة وجلب المصلحة، مصلحة الإنسان كله: جسمه، ورُوحه، وعقله. ومصلحة الجماعة كلها: أغنياء وفقراء، وحكَّامًا ومحكومين، ورجالًا ونساء، ومصلحة النوع الإنساني كله، بمختلف أجناسه وألوانه، وفي شتى أقطاره وبلدانه، وفي كل عصوره وأجياله.

فقد جاء هذا الدين رحمةً إلهيةً شاملةً لعباد الله في آخر طور من أطوار الإنسانية، وأعلن الله ذلك لرسوله فقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. وقال رسوله ﷺ: «**إنما أنا رحمة مُهداة**»(١).

وكان من آثار هذه الرحمة أن وضع الله عن هذه الأمة الخاتِمة كل آصار التعنُّت والتشديد، وأوزار الإباحية والتحلُّل، التي أدخلها الوثنيُّون والكتابيُّون على الحياة، فحرَّموا الطيبات، وأحلُّوا الخبائث. قال تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ

(١) رواه الطبراني في الصغير (٢٦٤)، والأوسط (٢٩٨١)، والحاكم في الإيمان (٣٥/١)، وصحَّحه ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٩٤٠): رواه البزار والطبراني في الصغير والأوسط، ورجال البزار رجال الصحيح. وصحَّحه الألباني في غاية المرام (١)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧].

وكان دستور الإسلام في الحلال والحرام يتمثَّل في هاتين الآيتين اللَّتَيْن صدَّرْنَا بهما هذا الكتاب: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وبعد: فأعتقدُ أن أهمية موضوع الحلال والحرام تجعل هذا الكتاب على صغره يسُدُّ فراغًا في مكتبة المسلم الحديثة، ويحُلُّ مشكلاتٍ كثيرة، تعرض للمسلم في حياته الشخصية والأُسْرية والعامَّة، ويجيب على أسئلته الكثيرة: ماذا يحل لي؟ وماذا يحرُم عليَّ؟ وما حكمة تحريم هذا، وإباحة ذاك؟

ولا يسعني في ختام هذه المقدمة، إلا أن أشكر لمشيخة الأزهر وإدارة الثقافة الإسلامية ما أوليانى من ثقة، باختياري للكتابة في هذا الموضوع البِكْر.

وأرجو أن أكون بما كتبتُ قد أديتُ ضريبةَ الثِّقَة، وحقَّقت الغرضَ المنشود.

واللهَ تعالى أسأل أن ينفع بهذا الكتاب، وأن يرزقنا السداد في القول والعمل، ويجنبنا شطَط الفكر والقلم، وأن يهيِّئ لنا من أمرنا رَشَدًا، إنه سميع الدعاء.

صفر الخير ١٣٨٠هـ
أغسطس (آب) ١٩٦٠م
الفقير إلى عفو ربه
يوسف القرضاوي

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

تعريفات

الحلال: هو المباح الذي انحلَّت عنده عُقدة الحَظْر، وأذِن الشارع في فعله.

الحرام: هو الأمر الذي نهى الشارع عن فعله نهيًا جازمًا، بحيث يتعرَّض من خالف النهي لعقوبة الله في الآخرة، وقد يتعرَّض لعقوبة شرعية في الدنيا أيضًا.

المكروه: إذا نهى الشارع عن شيء، ولكنه لم يشدِّد في النهي عنه، فهذا الشيء يسمَّى «المكروه» وهو أقل من الحرام في رتبته، وليس على مرتكبه عقوبة كعقوبة الحرام، غير أن التمادي فيه، والاستهتار به من شأنه أن يجرِّئ صاحبه على الحرام.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

الباب الأول

مبادئ الإسلام في شأن الحلال والحرام

- الأصل في الأشياء الإباحة.
- التحليل والتحريم حق الله وحده.
- تحريم الحلال وتحليل الحرام قرين الشرك بالله.
- التحريم يتبع الخبث والضرر.

QaradawiBooks.com

- في الحلال ما يغني عن الحرام.
- ما أدَّى إلى الحرام فهو حرام.
- التحايل على الحرام حرام.
- النية الحسنة لا تُبرر الحرام.
- اتقاء الشبهات خشية الوقوع في الحرام.
- الحرام حرام على الجميع.
- الضرورات تبيح المحظورات.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

بسم الله الرحمن الرحيم

كان أمر الحلال والحرام كغيره من الأمور، التي ضل فيها أهل الجاهلية ضلالًا بعيدًا، واضطربوا في شأنها اضطرابًا فاحشًا، فأحلُّوا الحرام الخبيث، وحرَّموا الحلال الطيِّب، يستوي في ذلك الوثنيُّون وأهل الملل الكتابية.

وكان هذا الضلال يمثِّل الانحراف والتطرف في أقصى اليمين، أو الانحراف والتطرف في أقصى اليسار، ففي أقصى اليمين وجدت البرهمية الهندية القاسية، والرهبانية المسيحية العاتية، وغيرهما من المذاهب التي تقوم على تعذيب الجسد، وتحريم الطيبات من الرِّزق، وزينةِ الله التي أخرج لعباده.

وقد بلغت الرهبانيةُ المسيحية ذَرْوةَ عُتُوِّها في القرون الوسطى، وبلغ تحريمُ الطيبات أشدَّه عند هؤلاء الرُّهبان الذين كانوا يُعَدُّون بالألوف، حتى جعل بعضُهم غسلَ الرِّجْلين إثمًا، ودخولَ الحمام شيئًا يجلبُ الأسف والحسرة.

وفي أقصى اليسار وجد مذهب «مَزْدَك» الذي ظهر في فارس، يُنادي بالإباحية المطلقة، ويُطلق العِنان للناس، ليأخذوا كلَّ شيء، ويستبيحوا كلَّ شيء، حتى الأعراض والحُرُمات المقدَّسة عند الناس[1].

(١) انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير (٣٧٧/١)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

وكانت أُمَّة العرب في الجاهلية مثـلًا واضحًا على اختلال مقاييس التحليل والتحريم بالنسبة للأشياء والأعمال، فاستباحوا شُرْبَ الخمر وأكل الربا أضعافًا مضاعفة، ومضارَّة النساء وعَضْلَهن، وأكثر من ذلك أن شياطين الإنس والجن زيَّنوا لكثير منهم قَتْلَ أولادهم وفِلْذات أكبادهم، فأطاعوهم، وخالفوا نوازع الأُبُوَّة في صدورهم، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٧].

وقد سلك هؤلاء الشُّرَكاء من سَدَنة الأوثان وأشباههم مسالك عِدة في تزيين هذا القتل للآباء.

فمنها: اتِّقاء الفقر الواقع أو المتوقَّع.

ومنها: خشية العار والاحتراز منه، إذا كان المولود بنتًا.

ومنها: التقرُّب إلى الآلهة بنحْر الأولاد، وتقديمهم قربانًا إليها.

ومن العجب أن هؤلاء الذين استحلُّوا قتلَ أولادهم ذبْحًا أو وأْدًا، حرَّموا على أنفسهم كثيرًا من الطيبات من حَرْثٍ وأنعام، والأعجب أنهم جعلوا هذا من أحكام الدين، فنسبوه إلى الله تعالى حُكْمًا ودِيانة، فردَّ الله عليهم هذه النسبة المفتراة، ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ ۚ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٨].

وقد بيَّن القرآن ضلالة هؤلاء الذين أحلوا ما يجب أن يُحَرَّم، وحرَّموا ما ينبغي أن يُحَل، فقال: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٠].

غير مرخصة للطباعة
نسخة مراجعة
QaradawiBooks.com

جاء الإسلام فوجد هذا الضلال والانحراف في التحريم والتحليل، فكان أول ما صنعه لإصلاح هذا الجانب الخطير من التشريع: أن وضع جملةً من المبادئ التشريعية، جعلها الرَّكائز التي يقوم عليها أمر الحلال والحرام، فردَّ الأمورَ إلى نصابها، وأقام الموازين القِسْـط، وأعاد العدْل والتوازن فيما يُحِلُّ وما يُحَرِّم. وبذلك كانت أُمَّة الإسلام ـ بين الضالين والمنحرفين يمينًا وشـمالًا ـ أمةً وَسَـطًا، كما وصفها الله الذي جعلها ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

١

الأصل في الأشياء الإباحة

كان أوَّلُ مبدأ قـرَّره الإسـلام: أن الأصل فيما خلق الله من أشـياءَ ومنافع، هو الحِلُّ والإباحة، ولا حرام إلا ما ورد نصٌّ صحيح صريح من الشـارع بتحريمه، فـإذا لم يكن النـص صحيحًا ـ كبعـض الأحاديث الضعيفة ـ أو لم يكن صريحًا في الدّلالـة على الحُرمة، بقي الأمر على أصل الإباحة.

وقد اسـتدلَّ علماء الإسـلام على أن الأصل في الأشـياء والمنافع الإباحة، بآيات القرآن الواضحة مـن مثل قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقـرة: ٢٩]. ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]. ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

وما كان الله سبحانه ليخلق هذه الأشـياء، ويسخِّرها للإنسان، ويمنُّ عليه بها، ثم يَحْرِمه منها بتحريمها عليه! كيف وقد خلقها له، وسخَّرها له، وأنعم بها عليه؟!

وإنما حَرَّم جزئيَّات منها لسببٍ وحكمة سنذكرها بعدُ.

ومن هنا ضاقت دائرة الْمُحَرَّمات في شـريعة الإسلام ضيقًا شديدًا، واتَّسـعت دائرة الحلال اتسـاعًا بالغًـا. ذلك أن النصـوص الصحيحة

QaradawiBooks.com

الصريحة التي جاءت بالتحريم قليلة جدًّا، وما لم يجئْ نصٌّ بِحِلِّه أو حُرمته، فهو باقٍ على أصل الإباحة، وفي دائرة العفو الإلهي.

وفي هذا ورد الحديث: «**ما أحلَّ الله في كتابه فهو حلال، وما حرَّم فهو حرام. وما سكت عنه فهو عفْوٌ. فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن لينسى شيئًا**» وتلا: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤][(١)].

وعن سلمانَ الفارسي: سُئل رسول الله ﷺ عن السَّمْن والجُبْن والفِرَاء فقال: «**الحلال ما أحلَّ الله في كتابه، والحرام ما حرَّم الله في كتابه، وما سكت عنه فهو مما عفا لكم**»[(٢)].

فلم يَشَأ عليه الصلاة والسلام أن يُجيب السائلين عن هذه الجزئيَّات، بل أحالهم على قاعدة، يرجعون إليها في معرفة الحلال والحرام، ويكفي أن يعرفوا ما حرَّم الله، فيكون كل ما عداه حلالًا طيبًا.

وقال ﷺ: «**إن الله فرض فرائض فلا تضيِّعوها، وحد حدودًا فلا تعتدوها، وحَرَّم أشياءً فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها**»[(٣)].

---

(١) رواه البزار (٤٠٨٧)، وقال: إسناده صالح. والحاكم في التفسير (٣٧٥/٢)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، والبيهقي في الضحايا (١٢/١٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٩٤): رواه البزار والطبراني في الكبير وإسناده حسن ورجاله موثقون. عن أبي الدرداء.

(٢) رواه الترمذي في اللباس (١٧٢٦)، وقال: غريب لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه، وكأن الحديث الموقوف أصح، وسألت البخاري عن هذا الحديث فقال: ما أراه محفوظًا. ورواه ابن ماجه (٣٣٦٧)، والحاكم (١١٥/٤)، وصححه ووافقه الذهبي، كلاهما في الأطعمة، وضعفه الألباني في غاية المرام (٣)، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٧٣١). وذهب إلى وقفه على سلمان البخاري والترمذي كما في علل الترمذي الكبير (٥١٣).

(٣) رواه الطبراني (٢٢١/٢٢)، والدارقطني في الرضاع (٤٣٩٦)، والبيهقي في الضحايا (١٢/١٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٩٦): رجاله رجال الصحيح. وحسنه النووي في =

QaradawiBooks.com

وأحــبُّ أن أنبِّه هنا علــى أن أصل الإباحة لا يقتصر على الأشــياء والأعيان؛ بل يشــمل الأفعال والتصرُّفات التي ليست من أمور العبادة، وهي التي نســمِّيها «العادات أو المعاملات»، فالأصل فيها عدم التحريم وعدم التقييد، إلا ما حرَّمه الشــارع وألزم به. وقوله تعالى: ﴿**وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ**﴾ [الأنعام: ١١٩]. عامٌّ في الأشياء والأفعال.

وهذا بخلاف العبادة، فإنها من أمر الدين المحض الذي لا يُؤخذ إلا عن طريق الوحي. وفيها جاء الحديث الصحيــح: «**مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رَدٌّ**»(١).

وذلك أن حقيقة الدين تتمثَّل في أمريــن: ألَّا يُعبد إلا الله، وألَّا يُعبد الله إلا بما شرع، فمن ابتدع عبادة من عنده ـ كائنًا مَن كان ـ فهي ضلالة تُرَدُّ عليه؛ لأن الشــارع وحده هو صاحب الحق في إنشاء العبادات التي يُتقرَّب بها إليه.

وأما العادات أو المعاملات، فليس الشارع منشئًا لها، بل الناس هم الذين أنشؤوها، وتعاملوا بها، والشارع جاء مصحِّحًا لها ومعدِّلًا ومُهذِّبًا، ومُقِرًّا في بعض الأحيان ما خلا عن الفساد والضَّرر منها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن تصرُّفات العباد من الأقوال والأفعال نوعان: عبادات يُصلح بها دينهم، وعادات يحتاجــون إليها في دنياهم، فباســتقراء أصول الشــريعة نعلم أن العبادات التي أوجبها الله أو أحبها، لا يثبت الأمر بها إلا بالشَّرع.

= رياض الصالحيــن (١٨٣٢)، وقال الألباني فــي تخريج الإيمان لابن تيمية صـ ٤٤: حســن بشاهده. عن أبي ثعلبة الخشني.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الصلح (٢٦٩٧)، ومسلم في الأقضية (١٧١٨)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

وأما العادات، فهي ما اعتاده الناس في دنياهم ممَّا يحتاجون إليه. الأصل فيه عدم الحظر، فلا يُحظر منه إلا ما حظره الله ﷻ، وذلك لأن الأمر والنهي هما شرع الله، والعبادة لا بد أن تكون مأمورًا بها، فما لم يثبت أنه مأمور به، كيف يُحكم عليه بأنه محظور؟!

ولهذا كان أحمد وغيره من فقهاء أهل الحديث يقولون: إن الأصل في العبادات التوقيف، فلا يُشرع منها إلا ما شرعه الله، وإلا دخلنا في معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

والعادات الأصل فيها العفو، فلا يُحظر منها إلا ما حرَّمه الله، وإلا دخلنا في معنى قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾ [يونس: ٥٩].

وهذه قاعدة عظيمة نافعة، وإذا كان كذلك فنقول: البيع والهبة والإجارة والمزارعة والقرض والمضاربة والشركة والحوالة والوكالة وغيرها من العادات التي يحتاج الناس إليها في معاشهم، كالأكل والشرب واللباس، فإن الشريعة قد جاءت في هذه العادات بالآداب الحسنة، فحرَّمت منها ما فيه فساد، وأوجبت ما لا بد منه، وكرهت ما لا ينبغي، واستحبَّت ما فيه مصلحة راجحة، في أنواع هذه العادات ومقاديرها وصفاتها.

وإذا كان كذلك، فالناس يتبايعون ويستأجرون كيف يشاؤون، ما لم تحرِّم الشريعة، كما يأكلون ويشربون كيف شاؤوا، ما لم تحرِّم الشريعة، وإن كان بعض ذلك قد يُستحبُّ، أو يكون مكروهًا، وما لم تحُدُّ الشريعة في ذلك حدًّا، فيبقون فيه على الإطلاق الأصلي»[1].

(١) القواعد النورانية (١٦٣ ـ ١٦٥)، تحقيق د. أحمد بن محمد الخليل، نشر دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ.

QaradawiBooks.com

ومما يدل على هـذا الأصل المذكور ما جاء فـي الصحيحين، عن جابر بن عبد الله قال: كُنَّا نعزل والقرآنُ ينزل، فلو كان شـيء ينهى عنه لنهى عنه القرآن[1].

فدلَّ على أن ما سكت عنه الوحي غير محظور ولا مَنهيٍّ عنه، وأنهم في حِلٍّ من فعلـه حتى يَرِدَ نـص بالنهي والمنع. وهذا مـن كمال فقه الصَّحابة ﷺ. وبهـذا تقرَّرت هذه القاعدة الجليلة: ألَّا تُشـرع عبادةٌ إلا بشرع الله، ولا تحرم عادةٌ إلا بتحريم الله.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٢٠٧) بنحوه، ومسلم (١٤٤٠)، كلاهما في النكاح.

QaradawiBooks.com

٢

التحليل والتحريم حقُّ الله وحدَه

المبدأ الثاني: أن الإسلام حدَّد السلطة التي تملك التحليل والتحريم، فانتزعها من أيدي الخلق، أيًّا كانت درجتُهم في دين الله أو دنيا الناس، وجعلها من حق الربِّ تعالى وحده. فلا أحبار أو رهبان ولا ملوك أو سلاطين يملكون أن يحرِّموا شيئًا تحريمًا مؤبَّدًا على عباد الله.

ومن فعل ذلك منهم فقد تجاوز حدَّه، واعتدى على حق الربوبية في التشريع للخلق، ومن رَضِيَ بعملهم هذا واتَّبعه فقد جعلهم شركاء لله، واعتُبر اتباعه هذا شركًا: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

وقد نعى القرآن على أهل الكتاب (اليهود والنصارى) الذين وضعوا سلطة التحليل والتحريم في أيدي أحبارهم ورهبانهم، فقال تعالى في سورة التوبة: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

وقد جاء عديُّ بن حاتم إلى النبي ﷺ، وكان قد دان بالنصرانية قبل الإسلام، فلما سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾، قال: يا رسول الله، إنهم لم يعبدوهم، فقال: «**بلى، إنهم حرَّموا عليهم الحلال، وأحلُّوا لهم الحرام فاتَّبعوهم!! فذلك عبادتهم إياهم**».

وفي رواية أن النبي ﷺ قال تفسيرًا لهذه الآية: «**أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلُّوا لهم شيئًا استحلُّوه، وإذا حرَّموا عليهم شيئا حرَّموه**»[(١)].

ولا زال النصارى يزعمون أن المسيح أعطى تلامذته عند صعوده إلى السماء تفويضًا بأن يحلِّلوا ويحرِّموا كما يشاؤون، كما جاء في إنجيل متَّى: «الحقَّ أقول لكم، كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطًا في السماء، وكل ما تَحُلُّونه على الأرض يكون محلولًا في السماء»[(٢)].

كما نعى على المشركين الذين حرَّموا وحلَّلوا بغير إذنٍ من الله، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ [يونس: ٥٩].

وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ [النحل: ١١٦].

ومن هذه الآيات البيِّنات والأحاديث الواضحات عرف فقهاء الإسلام معرفة يقينية أن الله وحده هو صاحب الحق في أن يُحل ويُحرِّم، في كتابه أو على لسان رسوله، وأن مهمَّتهم لا تعدو بيان حكم الله فيما أحلَّ وما

(١) رواه الترمذي في تفسير القرآن (٣٠٩٥)، وقال: هذا حديث غريب. وحسَّنه الألباني في الصحيحة (٣٢٩٣).

(٢) إنجيل متَّى (١٨/١٨).

QaradawiBooks.com

حرَّم: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١١٩]، وليست مهمتهم التشريع الديني للناس فيما يجوز لهم وما لا يجوز، وكانوا مع إمامتهم واجتهادهم يهربون من الفُتْيا، ويُحيل بعضهم على بعض، خشية أن يقعوا خطأً في تحليل حرامٍ، أو تحريم حلال.

روى الإمام الشافعي في كتابه «الأم»، عن القاضي أبي يوسف صاحب أبي حنيفة قال: «أدركتُ مشايخنا من أهل العلم يكرهون الفتيا، أن يقولوا: هذا حلالٌ وهذا حرام، إلا ما كان في كتاب الله ﷻ بيَّنًا بلا تفسير.

حدثنا ابن السائب، عن الربيع بن خثيم ـ وكان من أفضل التابعين ـ أنه قال: إياكم أن يقول الرجل: إن الله أحل هذا أو رضيه، فيقول الله له: لم أُحِلَّ هذا ولم أَرْضَه! أو يقول: إن الله حرَّم هذا، فيقول الله: كذبت، لم أحرِّمه ولم أَنْهَ عنه.

وحدَّثنا بعض أصحابنا أنهم كانوا إذا أفتوا بشيء أو نهوا عنه، قالوا: هذا مكروه، وهذا لا بأس به. فأما أن نقول: هذا حلال وهذا حرام؛ فما أعظم هذا»[(١)]!

هذا ما نقله أبو يوسف عن السلف الصالح، ونقله عنه الشافعي، وأقرَّه عليه.

كما نقل ابن مُفْلح عن شيخ الإسلام ابن تيمية: أن السلف لم يُطلقوا الحرام إلا على ما عُلِمَ تحريمه قطعًا[(٢)].

---

(١) الأم (٣٧١/٧)، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح (١٠٨/١)، نشر عالم الكتب.

QaradawiBooks.com

وهكذا نجد إمامًا كأحمد بن حنبل يُسأل عن الأمر فيقول: أكرهه، أو لا يعجبني، أو لا أحبُّه، أو لا أستحسنه.

ومثل هذا يُروى عن مالك، وأبي حنيفة وسائر الأئمة رضي الله عنهم[1].

(١) فليعرف هذا المُقلِّدون الذين يسارعون بإطلاق كلمة (حرام) بدون أن يكون معهم دليل أو شِبْه دليل.

QaradawiBooks.com

٣

تحريم الحلال وتحليل الحرام قرين الشرك بالله

وإذا كان الإسلام قد نعى على من يُحرِّمون ويحلِّلون جميعًا، فإنه قد اختصَّ المحرِّمين بحملةٍ أشدَّ وأعنف، نظرًا لما في هذا الاتجاه من حجر على البشر، وتضييق لما وسَّع الله عليهم بغير موجِب، ولموافقة هذا الاتجاه لنزعات بعض المتدينين المتنطِّعين.

وقد حارب النبي ﷺ نزعة التَّنطع والتشدد هذه بكل سلاح، وذم المتنطِّعين وأخبر بهلكتهم إذ يقول: «**ألا هلك المتنطِّعون، ألا هلك المتنطِّعون**»[(١)].

وأعلن عن رسالته فقال: «**بعثتُ بالحنيفية السَّمْحة**»[(٢)]. فهي حنيفية في العقيدة والتوحيد، سمْحة في جانب العمل والتشريع.

وضد الأمرين: الشرك وتحريم الحلال، وهما اللذان ذكرهما النبي ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: «**إني خلقتُ عبادي حنفاء،**

(١) رواه مسلم في العلم (٢٦٧٠)، وأحمد (٣٦٥٥)، عن ابن مسعود.

(٢) رواه أحمد (٢٢٢٩١)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والطبراني (٢٢٢/٨)، وحسن إسناده ابن حجر في تغليق التعليق (٤٣/٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٤٤١): رواه أحمد والطبراني وفيه علي بن يزيد الألهاني وهو ضعيف. وقال المناوي في فيض القدير (٣١٥٠): إنه لا ينزل عن رتبة الحسن. عن أبي أمامة.

QaradawiBooks.com

وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرَّمتْ عليهم ما أحللتُ لهم، وأَمَرَتْهم أن يُشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا»[1].

فتحريم الحلال قرينُ الشرك، ولهذا شدَّد القرآن النكير على مشركي العرب في شركهم وأوثانهم، وفي تحريمهم على أنفسهم من الطيِّبات، من أنواع الحرث والأنعام ما لم يأذن به الله، ومن ذلك تحريم البَحِيرة والسائبة والوَصِيلة والحامي.

فقد كانوا في الجاهلية إذا ولدت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكَر؛ شقُّوا أُذُنها ومنعوا ركوبها، وتركوها لآلهتهم، لا تُنحر ولا يُحمل عليها، ولا تُطرد عن ماء أو مرعى، وسمَّوْها «البَحِيرة»، أي مشقوقة الأذن.

وكان الرجل إذا قَدِم من سفر، أو بَرَأ من مرض أو نحو ذلك؛ سيَّب ناقته وخلَّاها، وجعلها كالبَحِيرة، وتسمَّى «السائبة».

وكانت الشاة إذا ولدت أنثى فهي لهم، وإذا ولدت ذكرًا فهو لآلهتهم، وإن ولدت ذكرًا وأنثى قالوا: وصلت أخاها، فلم يذبحوا الذَّكر لآلهتهم، وتُسمَّى «الوصيلة».

وكان الفحل إذا لقح ولدُ ولدِه قالوا: قد حمى ظهرَه، فلا يُركب، ولا يُحمل عليه، ويسمى «الحامي».. إلخ. وفي تفسير هذه الأربعة أقوال كثيرة تدور حول هذا المحور.

أنكر القرآن عليهم هذا التحريم، ولم يجعل لهم عُذْرًا في تقليد آبائهم في هذا الضلال: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ

(١) رواه مسلم في الجنة وصفة نعيمها (٢٨٦٥)، وأحمد (١٧٤٨٤)، عن عياض بن حمار.

QaradawiBooks.com

إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾ [المائدة: ١٠٣، ١٠٤].

وفي سورة الأنعام مناقشة تفصيلية لما زعموا تحريمه من الأنعام، من إبلٍ وبقرٍ وضأن ومَعْز، ساقها القرآن في أسلوبٍ تهكميٍّ ساخر، ولكنه مُفْحم: ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۞ وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ ﴾ [الأنعام: ١٤٣، ١٤٤].

وفي سورة الأعراف مناقشة أخرى، ينكر الله فيها على المحرِّمين، ويبيِّن فيها أصول المحرَّمات الدائمة: ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ ﴾ [الأعراف: ٣٢].

﴿ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وهذه المناقشات في السُّور المكيَّة، التي تُعنى دائمًا بإثبات العقيدة والتوحيد والآخرة تدلُّنا على أن هذا الأمر في نظر القرآن ليس من الفروع والجزئيات، وإنما هو من الأصول والكليَّات.

وفي المدينة ظهر بين أفراد المسلمين من يميل إلى التشدُّد والتزمُّت، وتحريم الطيِّبات على نفسه، فأنزل الله تعالى من الآيات المُحْكمة ما يقفهم عند حدود الله، ويردُّهم إلى صراط الإسلام المستقيم:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۞ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴾ [المائدة: ٨٧، ٨٨].

نسخة مجانية للطباعة
QaradawiBooks.com

وأوقفهم المنهج الإسلامي عند حد التوازن، الذي تقوم عليه «الوسطية الإسلامية» الإيجابية التي تقوم على التيسير في العمل، والتبشير في الدعوة، كما قال النبي ﷺ: «**يسِّروا ولا تُعسِّروا، وبشِّروا ولا تُنفِّروا**»[١].

وقال: «**إنما بُعثتم مُيَسِّرين، ولم تُبعثوا مُعَسِّرين**»[٢].

وهو ينطلق من تأكيد القرآن على التيسير، وتحذيره من التعسير: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

غير مرخصة للطباعة

(١) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٩)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٣٤)، عن أنس.

(٢) رواه البخاري في الوضوء (٢٢٠)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

٤

التحريم يتبع الخبث والضرر

من حق الله تعالى لكونه خالقًا للناس ومنعِمًا عليهم بنِعَم لا تُحصى أن يُحِلَّ لهم، وأن يُحَرِّم عليهم ما يشاء، كما له أن يتعبَّدهم من التكاليف والشَّعائر بما يشاء. وليس لهم أن يعترضوا أو يعصوا، فهذا حق ربوبيته لهم، ومقتضى عبوديتهم له. ولكنه تعالى رحمةً منه بعباده جعل التحليل والتحريم لعللٍ معقولة، راجعة لمصلحة البَشَر أنفسهم، فلم يحل سبحانه لهم إلا طيِّبًا، ولم يُحَرِّم إلا خبيثًا.

صحيح أنه تعالى قد حَرَّم على أمة اليهود بعض أصناف من الطيِّبات، غير أن ذلك كان عقوبة لهم على بغيهم وانتهاكهم حرمات الله، كما قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٤٦].

وقد بيَّن الله صُوَرًا من هذا البغي في سورة أخرى، فقال تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۝ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [النساء: ١٦٠، ١٦١].

فلما بعث الله خاتم رسله بالدِّين العامِّ الخالد، كان من رحمته تعالى بالبشرية بعد أن نضجت وبلغت رُشْدها أن يرفع عنها إصْر

QaradawiBooks.com

التحريم الـــذي كان تأديبًا مؤقَّتًا لشـــعب عاتٍ، صلْـــب الرَّقَبة ـ كما وصفته التوراة ـ وكان عنوان رسالة محمد الخاتمة عند أهل الكتاب، كما ذكر القرآن أنهم: ﴿يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وشـــرع الله لتكفير الخطيئة في الإســـلام أمورًا أخـــرى غير تحريم الطيبات، فهناك التوبـــة النَّصُوح التـــي تمحو الذنب كمـــا يمحو الماءُ الوَسَخ، وهناك الحسنات اللاتي يُذهبن السيئات، وهناك الصدقات التي تُطفئ الخطيئة كما يُطفـــئ الماء النار، وهناك المِحَـــن والمصائب التي تتناثر بها الخطايا، كما يتناثر ورق الشجر في الشتاء إذا يَبِس.

وبذلك أصبح معروفًا في الإسلام أن التحريم يتبع الخبث والضَّرَر، فما كان خالصَ الضَّرر فهو حرام، وما كان خالص النفع فهو حلال، وما كان ضررُه أكبرَ من نفعه فهو حرام، وما كان نفعه أكبر فهو حلال، وهذا ما صرَّح به القرآن الكريم في شأن الخمر والميسر:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩].

كما أصبح من الأجوبة الصريحة إذا سُئل عن الحلال في الإسلام أنه «الطيبات». أي: الأشـــياء التي تســـتطيبها النفوس المعتدلة، ويستحسنها الناس في مجموعهم استحســـانًا غير ناشـــئ من أثر العادة، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائـــدة: ٤]. وقـــال: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائدة: ٥].

QaradawiBooks.com

وليس من اللازم أن يكون المسلم على علم تفصيلي بالخبث أو الضرر الذي حرم الله من أجله شيئًا من الأشياء، فقد يخفى عليه ما يظهر لغيره، وقد لا ينكشف خبث الشيء في عصر، ويتجلَّى في عصر لاحق، وعلى المؤمن أن يقول دائمًا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ألا ترى أن الله حرَّم لحم الخنزير، فلم يفهم المسلم من علَّة لتحريمه، غير أنه مستقذَر، ثم تقدَّم الزمن، فكشف العلم فيه من الديدان والجراثيم القتَّالة ما فيه؟ ولو لم يكشف العلم شيئًا في الخنزير، أو كشف ما هو أكثر من ذلك، فإن المسلم سيظل على عقيدته بأنه «رِجْس». كما قال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

ومثل ذلك أن النبي ﷺ قال: «**اتَّقوا اللَّعَّانَيْن. قَالوا: وما اللعَّانان، يا رسول الله؟ قال: الذي يتخلَّى في طريق الناس أو في ظلهم**»[(١)]. وفي رواية: «**اتقوا الملاعن الثلاث** (أي التي تجلب على فاعلها اللعنة من الله والناس): **البِراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظِّلِّ**»[(٢)]. فلم يعرف أحد في القرون الأولى إلا أنها أمور مستقذرة، يعافها الذَّوْق السليم، والأدب العام، فلما تقدَّم الكشف العلمي عرفنا أن هذه «الملاعن الثلاثة» من أخطر الأشياء على الصحَّة العامَّة، وهي المصدر الأول لانتشار عدوى الأمراض الطفيليَّة الخطيرة كـ «الإنكلستوما» و«البلهارسيا».

---

(١) رواه مسلم في الطهارة (٢٦٩)، وأحمد (٨٨٥٣)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أبو داود (٢٦)، وابن ماجه (٣٢٨)، والحاكم (١٦٧/١)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، والبيهقي (٩٧/١)، جميعهم في الطهارة، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٢١)، عن معاذ بن جبل.

QaradawiBooks.com

وهكذا.. كلما نفذت أشِعَّة العلم، واتَّسع نطاق الكشف تجلَّت لنا مزايا الإسلام في حلاله وحرامه، وفي تشريعاته كلها. وكيف لا وهو تشريع عليم حكيم رحيم بعباده ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٥

في الحلال ما يغني عن الحرام

ومن محاسن الإسلام وممَّا جاء به من تيسير على الناس: أنه ما حرَّم شيئًا عليهم إلا عوَّضهم خيرًا منه، مما يسُدُّ مَسَدَّه، ويُغني عنه، كما بيَّن ذلك ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «حرَّم عليهم الاستقسام بالأزلام وعوَّضهم عنه دعاء الاستخارة[1].

وحرَّم عليهم الربا، وعوَّضهم التجارة الرابحة.

وحرَّم عليهم القِمار، وأعاضهم عنه أكل المال بالمُسابقة النافعة في الدين بالخيل والإبل والسِّهام.

وحرَّم عليهم الحرير، وأعاضهم عنه أنواع الملابس الفاخرة من الصوف والكَتَّان والقطن.

وحرَّم عليهم الزِّنى واللواط، وأعاضهم عنهما بالزواج الحلال.

وحرَّم عليهم شُرب المُسكِرات، وأعاضهم عنه بالأشربة اللذيذة النافعة للرُّوح والبدن.

(١) علَّم الإسلام المسلم إذا أقدم على عمل أن يستشير ويستخير. وجاء في الحكمة: «لا خاب من استخار، ولا ندم من استشار». ومعنى الاستخارة أن يطلب من الله أن يهديه لخير الأمرين اللذين يتردَّد بينهما، ولها صلاة ودعاء مأثور.

QaradawiBooks.com

وحرَّم عليهم الخبائث من المطعومات، وأعاضهم عنها بالمطاعم الطيبات»[١].

وهكذا إذا تتبَّعنا أحكام الإسلام كلَّها، وجدنا أن الله جل شأنه لم يُضيِّق على عباده في جانب، إلا وسَّع عليهم في جانب آخر من جنسه، فإنه ﷻ لا يُريد بعباده عَنَتًا، ولا عُسْرًا ولا إرهاقًا؛ بل يريد اليُسْر والخير والهداية والرحمة، كما قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ۞ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٢٦ ـ ٢٨].

غير مرخصة للطباعة

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين صـ ٨، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

نسخة ثانية
QaradawiBooks.com

٦

ما أدَّى إلى الحرام فهو حرام

ومن المبادئ التي قرَّرها الإسلام أنه إذا حرَّم شيئًا، حرَّم ما يُفضي إليه من وسائل، وسدَّ الذرائع الموصِّلة إليه.

فإذا حرَّم الزِّنى مثلًا، بمثل قوله تعالى في وصف عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۞ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ۞ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وإذا حرَّم الإسلام الزنى بمثل هذه الآيات وغيرها من الأحاديث، حرَّم كلَّ مقدِّماته ودواعيه، من تبرُّج جاهلي، وخَلوة آثمة، واختلاط عابث، وصورة عارية، وأدب مكشوف، وغناء فاحش.. إلخ.

ومن هنا قرَّر الفقهاء هذه القاعدة: «ما أدَّى إلى الحرام فهو حرام».

ويُشبه هذا ما قرَّره الإسلام كذلك، من أن إثم الحرام لا يقتصر على فاعله المباشِر وحدَه، بل يوسِّع الدائرة، فتشمل كل من شارك فيه بجهد مادي أو أدبي، كلٌّ يناله من الإثم على قدر مشاركته.

QaradawiBooks.com

ففي الخمر يلعن النبي ﷺ شـــاربَها وعاصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها.. إلى عشرة كما سنذكره بعد.

وفي الربـــا يلعن آكِلَه (أي مـــن يأخذ الربى ويســـتفيد منه) ومؤكله (معطي الربا)، وكاتبه وشاهديه.

ويلعن النائحة والمستمِعةَ إليها.

وهكذا كل ما أعان على الحرام فهو حرام، وكل من أعان على محرَّم فهو شريك في الإثم.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٧

التحايل على الحرام حرام

وكما حرَّم الإسلام كلَّ ما يُفضي إلى المحرمات من وسائل ظاهرة، حرَّم التحايل على ارتكابها بالوسائل الخفيَّة والحِيَل الشيطانية. وقد نعى على اليهود ما صنعوه من استباحة ما حرَّم اللهُ بالحيل، وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا ترتكبوا ما ارتكب اليهود، وتستحلُّوا محارمَ الله بأدنى الحِيَل**»[1].

ذلك أن اليهود حرَّم الله عليهم الصيد في يوم السبت، فاحتالوا على هذا المحرَّم، بأن حفروا الخنادق يوم الجمعة، لتقع فيها الحيتان يوم السبت، فيأخذوها يوم الأحد. وهذا عند المحتالين جائز، وعند فقهاء الإسلام حرامٌ؛ لأن المقصود الكفُّ عما يُنال به الصيد بطريق التسبُّب أو المباشَرة.

ومن الحيل الآثمة: تسمية الشيء الحرام بغير اسمه، وتغيير صورته مع بقاء حقيقته. ولا ريب أنه لا عبرة بتغيير الاسم إذا بقي المسمَّى، ولا بتغيير الصورة إذا بقيت الحقيقة، إذ العِبْرة بالمسمَّيات والمضامين، لا بالأسماء والعناوين.

(١) رواه ابن بطة في إبطال الحيل صـ ٤٦، وحسن إسناده ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (٢٩/٢٩)، وجود إسناده ابن كثير في تفسيره (٢٩٣/١)، وقال في موضع آخر (٤٩٣/٣): ويصحح الترمذي بمثل هذا الإسناد كثيرًا، وضعَّفه الألباني في غاية المرام (١١)، ثم حسَّنه في صفة الفتوى صـ ٢٨.

QaradawiBooks.com

فإذا اخترع النـــاس صُوَرًا يتحايلون بها علـــى أكل الربا الخبيث، أو اســـتحدثوا أسماء للخمر يســـتحلُّون بها شـــربها، فإن الإثم في الربا أو الخمر باقٍ لازم.

وفي الحديث: «**ليسْـــتحِلَّنَّ طائفة مـــن أمَّتي الخمر يســـمُّونها بغير اسمها**»(١). «**يأتي على الناس زمانٌ يستحلُّون الربا باسم البَيْع**»(٢).

ومـــن غرائب عصرنا أن يُســـمَّى الرقـــص الخليع «فنًّـــا»، والخمور «مشـــروبات روحية»، والرِّبا «فائدة».. وهكذا جعلـــوا لهذه المحظورات الخطيرة البغيضة إلى الله ورســـوله والمؤمنين أسماء تحبِّبُها إلى الناس، ولكنَّ أولي الألباب من الناس لا تخدعهم هذه الأسماء.

وقد وقف العلماء الراسخون ضد الحيل التي وضعها بعض الناس وخصوصًا بعض مـــن يتزيَّنون بلباس أهل العلـــم والدين، ولن يُغني عنهم لباسهم من الله شيئًا، والله ﷻ لا يُخدع ولا يُحتال عليه، والمَدارُ عنده على القلـــوب، والعِبْرة بالنيَّة، وقد بدأ الإمـــام البخاري جامعه الصحيح بهـــذا الحديث: «**إنمـــا الأعمال بالنيات، وإنمـــا لكل امرئ ما نوى**»(٣).

---

(١) رواه أحمد (٢٢٧٠٩)، وقال مخرجوه: صحيح. وابن ماجه في الأشـــربة (٣٣٨٥)، وصححه الألباني في غاية المرام (١٢).

(٢) رواه ابن بطة مرسلًا عن الأوزاعي كما في تهذيب السنن (١٥٣/٢)، وقال ابن القيم: هذا وإن كان مرسلًا، فهو صالح للاعتضاد، ولا سيما وقد تقدم من المرفوع ما يؤكِّده. ويشهد له أيضًا قول النبي ﷺ: «**ليشربنَّ ناسٌ من أمَّتي الخمر يســـمُّونها بغير اسمها**». وقواه ابن تيمية في الفتاوى (٤١/٦)، وقال: هذا المســـند صالح للاعتضاد... وله مـن المسند ما يشهد له، وهي الأحاديث الدالة على تحريم العِينَة. وضعَّفه الألباني في غاية المرام (١٣) بالإعضال.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (١)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٧)، عن عمر.

QaradawiBooks.com

وشـــنَّ كبار العلماء على هذه «الحِيَل» التي افتَـــرَوا بها على الدين ما ليس منه، وحسْـــبنا في ذلك ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «بيان الدليل على بطلان التحليـــل»، وما كتبه تلميذه ابن القيم في كتابه «إعلام الموقِّعين»، وفي كتابه «إغاثة اللهفان»، وفي غيرها من الكتب.

غير مصرح للطباعة
نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

٨

النيَّة الحسنة لا تبرِّر الحرام

والإسلام يُقدِّر البواعث الكريمة والقصد الشريف والنية الطيبة في تشريعاته وتوجيهاته كلِّها، والنبي ﷺ يقول: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى**»[١].

وبالنية الطيبة تستحيل المباحات والعادات إلى طاعات وقُرُبات إلى الله تعالى.

فمن تناول غذاءه بنيَّةِ حفْظِ الحياة وتقوية الجسد ليستطيع القيام بواجبه نحو ربِّه وأمَّته، كان طعامُه وشرابه عبادةً وقُربة.

ومن أتى شهوته مع زوجته بقصْد ابتغاء الولد أو إعفاف نفسه وأهله كان ذلك عبادة تستحق المثُوبة، وفي ذلك يقول النبي عليه الصلاة والسلام: «**وفي بُضْع أحدكم صدقة**». قالوا: أيأتي أحدُنا شهوتَه يا رسول الله ويكون له فيها أجر؟! قال: «**أليس إن وضعها في حرام كان عليه وِزْر؟ فكذلك إذا وضعها في حلال كان له أجر**»[٢].

وهكذا كل عمل مباح يقوم به المؤمن يدخل فيه عنصر النية فتُحيله إلى عبادة.

---

(١) سبق تخريجه صـ٤٩.

(٢) رواه مسلم في الزكاة (١٠٠٦)، وأحمد (٢١٤٧٣)، عن أبي ذر.

QaradawiBooks.com

أما الحرام، فهو حرام مهما حسُنَتْ نية فاعله، وشرف قصده، ومهما كان هدفه نبيلًا، ولا يرضى الإسلام أبدًا أن يُتخذ الحرام وسيلة إلى غاية محمودة؛ لأن الإسلام يحرص على شرف الغاية وطُهر الوسيلة معًا. ولا تُقر شريعته بحال مبدأ: «الغاية تبرر الوسيلة»، أو مبدأ: «الوصول إلى الحق بالخوض في الكثير من الباطل» بل توجب الوصول إلى الحق عن طريق الحقِّ وحدَه.

فمن جمع مالًا من ربًا أو سُحْت، أو لهو حرام أو قِمار، أو أي عمل محظور، ليبني به مسجدًا، أو يقيم مشروعًا خيريًّا، أو.. أو.. لم يشفع له نُبْل مقصده، فيرفع عنه وزرَ الحرام، فإن الحرام في الإسلام لا تؤثِّر فيه المقاصد والنيات.

هذا ما علمه لنا رسول الله ﷺ حين قال: «**إن الله طيِّب لا يقبل إلا طيِّبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ [البقرة: ١٧٢]. **ثم ذكر الرجل يطيل السفرَ أشعثَ أغبر** ـ ساعيًا للحج أو العمرة ونحوهما ـ **يمد يديه إلى السماء: يا رب، يا رب. ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذي بالحرام، فأنَّى يستجاب لذلك؟!**»[(١)].

ويقول: «**من جمع مالًا من حرام، ثم تصدق به، لم يكن له فيه أجر، وكان إصْرُه عليه**»[(٢)]. ويقول ابن مسعود: «لا يكسب عبدٌ مالاً حرامًا

(١) رواه مسلم في الزكاة (١٠١٥)، وأحمد (٨٣٤٨)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه ابن خزيمة (٢٤٧١)، وابن حبان (٣٢١٦)، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن. والحاكم (٣٩٠/١)، وصحح إسناده، ثلاثتهم في الزكاة، وحسَّنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٧١٩)، وضعَّفه في غاية المرام (١٨)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

فيتصدَّق به، فيُقبل منـــه، ولا يُنفق منه فيبارَك له فيـــه، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زادَه إلى النار. إن الله تعالى لا يمحو السيئ بالسيئ، ولكن يمحو السيئ بالحسن، إن الخبيث لا يمحو الخبيث»[1].

غير مرخصة للطباعة

(١) رواه أحمد (٣٦٧٢)، وقال مخرجوه: إســناده ضعيف. وضعَّف شاكر إسناده في تعليقه على المســند، لضعف الصباح، الذي اتهم برفع الموقوفات. وابن أبي شيبة في مسنده (٣٤٤)، والبزار (٢٠٢٦)، قال الذهبي في الميزان (٣٠٦/٢): رفع حديثين هما من قول عبد الله، أي ابن مسعود، أحدهما هذا الحديث. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٦٩٧): رواه أحمد ورجاله وثقوا وفي بعضهم خلاف. وفي موضع آخر (١٨١٠٤): رواه البزار، وفيه من لم أعرفهم. ولذا أقول: الأولى اعتبار الحديث موقوفًا، وإن كان له حكم الرفع.

نسخة معاينة

QaradawiBooks.com

٩

اتقاء الشُّبُهات خشية الوقوع في الحرام

ومن رحمة الله تعالى بالناس أنه لم يدعهم في غُمَّة من أمر الحلال والحرام، بل بَيَّن الحلال وفصَّل الحرام، كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١١٩].

فأما الحلال البَيِّنُ فلا حرجَ في فعله. وأما الحرام البيِّن فلا رخصة في إتيانه في حالة الاختيار.

وهناك منطقة بين الحلال البيِّن والحرام البيِّن، هي منطقة الشُّبُهات، التي يلتبس فيها أمرُ الحِل بالحُرمة على بعض الناس، إما لاشتباه الأدلة عليه، وإما للاشتباه في تطبيق النص على هذه الواقعة أو هذا الشيء بالذات.

وقد جعل الإسلام من الورع أن يتجنب المسلم هذه الشبهات، حتى لا يجرَّه الوقوع فيها إلى مواقعة الحرام الصِّرْف. وهو نوع من سدِّ الذرائع الذي تحدَّثنا عنه. ثم هو كذلك لونٌ من التربية البعيدة النظر، الخبيرة بحقيقة الحياة والإنسان.

وأصل هذا المبدأ قول الرسول ﷺ: «**الحلال بيِّنٌ والحرام بيِّن، وبيْنَ ذلك أمورٌ مشتبهات، لا يدري كثير من الناس أمن الحلال هي أم من الحرام، فمن تركها استبراءً لدينه وعرضه فقد سَلِم، ومن واقع شيئًا منها**

QaradawiBooks.com

يوشــك أن يواقع الحرام، كما أن من يرعى حــول الحمى (وهو مكان محدود يحجزه السلطان، لترعى فيه أنعامه وحدها، ويحجر على غيرها أن تنال منه شــيئًا) أوشــك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارِمُه»[1].

غير مرخصة للطباعة

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المساقاة (١٥٩٩)، عن النُّعْمان بن بَشِير.

نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

١٠

الحرام حرامٌ على الجميع

الحرام في شريعة الإسلام يتَّسم بالشمول والاطِّراد، فليس هناك شيء حرام على العجمي حلالٌ للعربي، وليس هناك شيء محظور على الأسود مباح للأبيض، وليس هناك جوازٌ أو ترخيص ممنوح لطبقة أو طائفة من الناس، تقترف باسمه ما طوَّع لها الهوى، باسم أنهم كهنة أو أحبار أو ملوك أو نبلاء. بل ليس للمسلم خصوصية تجعل الحرام على غيره حلالًا له.

كلا، إن الله ربُّ الجميع، والشرع سيد الجميع، فما أحل الله بشريعته، فهو حلال للناس كافَّة، وما حرَّم فهو حرام على الجميع إلى يوم القيامة.

السَّرقة ـ مثلًا ـ حرام، سواء أكان السارق مسلمًا أم غير مسلم، وسواء أكان المسروق منه مسلمًا أو غير مسلم، والجزاء لازم للسَّارق أيًّا كان نسبُه أو مركزه، وهذا ما صنعه الرسول وما أعلنه: «**وايم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يدها**»[(١)].

ولقد حدث في زمن الرسول أن ارتكبت سرقة حامت فيها الشبهة حول يهوديٍّ ومسلم، واستطاع بعض أقرباء المسلم أن يُثيروا الغبار حول اليهودي ببعض القرائن، ويُبعدوا التهمة عن صاحبهم المسلم ـ وهو في

(١) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٧٥)، ومسلم في الحدود (١٦٨٨)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

الواقع مرتكب السرقة ـ حتى همَّ النبيَّ ﷺ أن يخاصم عنه، اعتقادًا ببراءته، فنزل الوحي الإلهي يفضح الخونة، ويبرِّئ اليهودي، ويعاتب الرسول، ويضع الحق في نصابه، وذلك قوله سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ۞ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۞ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ۞ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ۞ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٠٥ ـ ١٠٩].

لقد زعمت اليهودية المحرَّفة أن الرِّبا حرام على اليهودي إذا أقرض أخاه اليهودي، أما غير اليهودي فلا بأس بإقراضه بالربا، هكذا يقول سِفْر تثنية الاشتراع «٣٣: ١٩»: «لا تُقرض أخاك بربا فضة، أو ربا طعام، أو ربا شيء مما يُقرض بربًا. للأجنبي تقرض بربا، ولكن لأخيك لا تقرض بربا».

وقد حكى القرآن عنهم مثل هذه النزعة، حيث استباحوا الخيانة مع غير أبناء جنسهم وملَّتهم، ولم يروا في ذلك حرجًا ولا إثمًا. وفي ذلك يقول القرآن: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥]. نعم يقولون على الله الكذب؛ لأن شريعته لا تفرِّق بين قوم وقوم، وقد حرَّم الخيانة على لسان رسله وأنبيائه.

ويؤسفنا أن هذه النزعة الإسرائيلية نزعة همجية بدائية، لا تليق أن تنسب إلى دين سماوي، فإن الأخلاق الفاضلة؛ بل الأخلاق الحقَّة هي التي تتسم بالإطلاق والشمول، فلا تحل لهذا ما تحرم على ذاك.

QaradawiBooks.com

والفرق بيننا وبين البدائيِّين إنما هو اتساع الدائرة الخُلُقية، لا في وجودها وعدمها، فالأمانة ـ مثلًا ـ كانت عندهم خصلة محمودة، ولكنها خاصة بأبناء القبيلة بعضهم مع بعض، فإذا خرج الأمر عن نطاق القبيلة أو العشيرة جازت الخيانة؛ بل استُحبت أو وجبت.

قال صاحب «قصة الحضارة»: «إن كل الجماعات البشرية تقريبًا تكاد تتفق في عقيدة كل منها بأن سائر الجماعات أحط منها، فالهنود الأمريكيون يعدُّون أنفسهم شعب الله المختار، خلقهم «الروح الأعظم» خاصة ليكونوا مثالًا يرتفع إليه البشر.

وقبيلة من القبائل الهندية تُطلق على نفسها: «الناس الذين لا ناس سواهم»، وأخرى تطلق على نفسها: «الناس بين الناس». وقال الكاربيُّون: «نحن وحدنا الناس» ... ونتيجة ذلك أن الإنسان البدائي لم يكن يدور في خَلَده أن يعامل القبائل الأخرى ملتزمًا نفس القيود الخُلُقية التي يلتزم في معاملته لبني قبيلته، فهو صراحة يرى أن وظيفة الأخلاق هي تقوية جماعته، وشد أزرها تجاه سائر الجماعات، فالأوامر الخلقية والمحرمات لا تنطبق إلا على أهل قبيلته، أما الآخرون، فما لم يكونوا ضيوفه، فمباحٌ له أن يذهب في معاداتهم إلى الحد المستطاع»[1].

(١) قصة الحضارة (٩٥/١)، ترجمة د. زكي نجيب محمود وآخرين، نشر دار الجيل، بيروت، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

QaradawiBooks.com

١١

الضرورات تبيح المحظورات

ضيَّق الإسلام دائرة المحرمات، ولكن بعد ذلك شدَّد في أمر الحرام، وسـدَّ الطرق المُفضية إليه، ظاهرةً أو خفيَّة، فمـا أدى إلى الحرام فهو حرام، وما أعان على الحرام فهو حرام، ومـا احتيل به على الحرام فهو حرام.. إلى آخر ما ذكرناه من مبادئ وتوجيهات.

بَيْدَ أن الإسـلام لم يغفل عن ضرورات الحياة، وضعف الإنسـان أمامها، فقدَّر الضرورة القاهرة، وقدَّر الضعف البشـري وأباح للمسلم عند ضغط الضرورة أن يتناول من المحرمـات ما يدفع عنه الضرورة، ويقيه الهلاك.

ولهذا قال الله تعالى بعد أن ذكر محرمات الطعـام من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهِلَّ به لغيـر الله: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة: ١٧٣]. وكرَّر هذا المعنى في أربع سُوَرٍ من القرآن كلما ذكر محرَّمات الطعام، ومن هـذه الآيات وأمثالها قرَّر فقهاء الإسلام مبدأً هامًّا هو: «إن الضرورات تبيح المحظورات».

ولكن الملاحـظ أن الآيات قيَّدت المضطـر أن يكون ﴿غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ﴾، وفُسِّـر هذا بأن يكون غير بـاغٍ للَّذَّة (طالبٍ لهـا)، ولا عادٍ حدَّ الضرورة متجاوِز في التشـبُّع. من هذا القيد أخذ الفقهاء مبدأً آخر هو:

QaradawiBooks.com

«الضرورة تُقَدَّر بقدرها» أو: ما أبيح للضرورة يقدر بقدره، فالإنسان وإن خضع لداعي الضرورة، لا ينبغي أن يستسلم لها، ويُلْقي إليها بزمام نفسه، بل يجب أن يظل مشدودًا إلى الأصل الحلال، باحثًا عنه، حتى لا يستمرئ الحرام، أو يستسهله بدافع الضرورة.

والإسلام بإباحته المحظورات عند الضرورات، إنما يُساير في ذلك رُوحه العامَّة، وقواعده الكلية، تلك هي رُوح اليُسْر الذي لا يَشوبه عُسْر، والتخفيف الذي وضع به عن الأُمَّة الآصار والأغلال، التي كانت على من قبلها من الأمم. فقد ثبت أن هذا الإسلام أحكامه الكلية والجزئية جاءت على مبدأ التيسير لا التعسير، والتبشير لا التنفير، وهو ما علَّمه الرسول الكريم لأصحابه، وخصوصًا حين يرسلهم في مهامَّ دعويةٍ وعلمية وعملية، كما أرسل أبا موسى الأشعري ومُعاذ بن جبل إلى اليمن، وأوصاهما بهذه الوصيةِ الجامعة، فقال: «**يَسِّرَا ولا تُعسِّرا، وبَشِّرا ولا تُنفِّرا وتطاوعا ولا تختلفا**»[1]. يريد التيسير في أحكام الفقه، والتبشير في أمور الدعوة، والتطاوع فيما بينهما في مَسير العمل.

وروى عنه أنس بن مالك هذا الحديث العام: «**يسِّروا ولا تُعسِّروا، وبشِّروا ولا تُنفِّروا**»[2]. وصدق الله العظيم: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. قال القرآن هذه الكلمة تخفيفًا ورخصة لمن كان مريضًا أو على سفر: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦]. وهذه

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٣)، كلاهما في الجهاد، عن أبي موسى الأشعري.

(٢) سبق تخريجه صـ٣٩.

QaradawiBooks.com

قالها القرآن تعقيبًا على شرعه المسح بالرؤوس والأيدي من صعيد الأرض تيمُّمًا، حين يعجز عن الماء أو استعماله، فيلجأ إلى الصعيد ليتيمَّم، تيسيرًا عليه، ورفعًا للحرج عنه. ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]. قال هذه بعد أن ذكر المحرمات من النساء وفيها: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ ..﴾ [النساء: ٢٣] إلخ المحرمات المذكورة في الآية، والآية التي بعدها، ثم علَّل ذلك بإرادة التخفيف من الله عن الناس ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]. ومن أحق بالرحمة من الله؟!

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

الباب الثاني

الحلال والحرام
في الحياة الشخصية للمسلم

١ ـ في الأطعمة والأشربة:

- الذكاة الشرعية.
- الصيد.
- الخمر والمُخَدِّرات.

غير مرخص للطبع
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٢ ـ في الملبس والزينة:

- الذهب والحرير.
- لباس المرأة المسلمة.
- تغيير خلق الله.

٣ ـ في البيت:

- الذهب والفضة.
- التماثيل.
- الصور الفوتوغرافية.

٤ ـ في الكسب والاحتراف:

- الغناء والرقص والفنون الجنسية.
- صناعة التماثيل والصلبان.
- المسكرات والمخدرات.
- الوظائف المحرمة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com



١
في الأطعمة والأشربة

غير مرخصة للطباعة

اختلفت الأمم والشعوب من قديم في أمر ما يأكلون وما يشربون، وما يجوز لهم وما لا يجوز، وبخاصَّة الأطعمة الحيوانية.

أما الأطعمة والأشربة النباتية، فلم يُعرف للبشر خلاف كثير في شأنها، ولم يُحرِّم الإسلام منها إلا ما صار خمرًا، سواء اتُّخذ من عنب أو تمر أو شعير أو أي مادة أخرى، ما دامت قد تخمَّرت.

وكذلك حرم ما يُحدِث الخَدَر والفتور، وكل ما يضر الجسد، كما سنبيِّن بعد.

وأما الأطعمة الحيوانية، فهي التي اختلفت فيها الملل والجماعات اختلافًا شاسعًا.

- **ذبْح الحيوان وأكله عند البراهمة:**

هناك جماعات كالبراهمة وبعض المتفلسفين، حرَّموا على أنفسهم ذبح الحيوان وأكله، وعاشوا على الأغذية النباتية، وقالوا: إن في ذبْح الحيوان قسوةً من الإنسان على كائنٍ حيٍّ مثله، ليس له أن يَحْرِمه من حق الحياة.

لكنا عرفنا من التأمُّل في الكائنات، أن خلق هذه الحيوانات ليس غاية في نفسه، فإنها لم تؤتَ العقل والإرادة، ورأينا وضعها الطبيعي أن

تسخر لخدمة الإنسان، وليس بغريب أن ينتفع الإنسان بلحمها ذَبِيحة، كما انتفع بتسخيرها صحيحة.

وعرفنا كذلك من سُنَّة الله في الخليقة أن النوع الأدنى، يُضَحَّى به في مصلحة النوع الأعلى منه، فالنبات الأخضر المترعرع يُقطع من أجل غذاء الحيوان، والحيوان يُذبح لأجل غذاء الإنسان، بل الإنسان الفرد يقاتِل ويُقتل في مصلحة المجموع.. وهكذا.

على أن امتناع الإنسان عن ذبح الحيوان لن يحميه من الموت والهلاك، فهو إن لم يفترس بعضه بعضًا، سيموت حَتْفَ أنفِه؛ وقد يكون ذلك أشد عليه ألمًا، من شفرة حادَّة تُعجِّل به.

• الحيوانات المحرَّمة عند اليهود والنصارى:

وفي الديانات الكتابيَّة حرم الله على اليهود كثيرًا جدًّا من الحيوانات البرية والبحرية، تكفَّل ببيانها الفصل الحادي عشر من سِفْر اللاويِّين من التوراة.

وقد ذكر القرآن بعض ما حرم الله على اليهود، وعلة هذا التحريم ـ كما ذكرنا من قبل ـ أنه كان عقوبة حرمان من الله لهم على ظلمهم وخطاياهم: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٦](١).

(١) ذكر الله تعالى في الآية: ما حرَّم على اليهود من البهائم والطير وهو كل ما لم يكن مشقوق الأصابع، كالإبل والنعام ولحوم البقر والغنم إلا ما علق من اللحم بظهورها وأمعائها أو اختلط بعظم الألية والجنب.

QaradawiBooks.com

هذا شأن اليهود، وكان المفروض أن يكون النصارى تبعًا لهم في هذا، فقد أعلن الإنجيل أن المسيح عليه السلام ما جاء لينقض الناموس، بل جاء ليكمِّله.

لكنهم هنا نقضوا الناموس، واستباحوا ما حرم عليهم في التوراة مما لم ينسخه الإنجيل، واتبعوا مُقدَّسهم بولس في إباحة جميع الطعام والشراب، إلا ما ذبح للأصنام، إذا قيل للمسيحي: إنه مذبوح لوَثَن.

وعلَّل بولس ذلك أن كل شيء طاهرٌ للطاهرين، وأن ما يدخل الفم لا يُنجس الفم، وإنما يُنجسه ما يخرج منه.

وقد استباحوا بذلك أكل لحم الخنزير، رغم أنه محرَّم بنص التوراة إلى اليوم.

• عند عرب الجاهلية:

وأما العرب في الجاهلية، فقد حرَّموا بعض الحيوانات تقذُّرًا، وحرَّموا بعضها تعبُّدًا، وتقرُّبًا للأصنام، واتباعًا للأوهام، كالبَحِيرة والسائبة والوَصِيلة والحامي ـ التي ذكرنا تفسيرها من قبل ـ وفي مقابل هذا استباحوا كثيرًا من الخبائث كالميتة والدمِ المسفوح.

• الإسلام يبيح الطيبات:

جاء الإسلام والناس على هذه الحال في أمر الطعام الحيواني، بين مسرف في التناول، ومتطرِّف في التَّرْك، فوجَّه نداءً إلى الناس كافةً في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨].

ناداهم بوصفهم «ناسًا» أن يأكلوا من طيبات تلك المائدة الكبيرة التي أعدها الله لهم، وهي الأرض التي خلق لهم ما فيها جميعًا، وألا

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

يتبعوا مسالك الشيطان وطرقه، التي زين بها لبعض الناس أن يحرموا ما أحل الله، فحرمهم من الطيبات، وأرداهم في مهاوي الضلال.

ثم وجه نداءً إلى المؤمنين خاصة فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ۞ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٢، ١٧٣].

وفي هذا النداء الخاص للمؤمنين أمرهم سبحانه أن يأكلوا من طيبات ما رزقهم، وأن يؤدُّوا حق النِّعمة بشكر المنعم جل شأنه. ثم بيَّن أنه تعالى لم يُحَرِّم عليهم إلا هذه الأصناف الأربعة المذكورة في الآية، والتي ورد ذكرها في آيات أُخَر، أصرحُها في الدِّلَالة على حصْر المحرمات في هذه الأربعة قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

وفي سورة المائدة ذكر القرآن هذه المحرَّمات بتفصيل أكثر فقال تعالى: ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ ﴾ [المائدة: ٣].

ولا تنافي بين هذه الآية التي جعلت المحرَّمات عشرة، والآيات السابقة التي جعلتها أربعة، إلا أن هذه الآية فصَّلت ما في الآيات الأخرى، فإن المنخنقة والموقوذة والمتردِّيَة والنطيحة وما أكل السَّبع، كلها داخلة في معنى الميتة، فهي تفصيل لها. كما أن ما ذُبح على

QaradawiBooks.com

النصب في حكم ما أهل لغير الله به، فكلاهما من باب واحد. فالمُحرَّمات أربعة بالإجمال، عشرة بالتفصيل.

• تحريم الميتة وحِكْمته:

أول ما ذكرته الآيات من محرمات الأطعمة هو: «الميتة» وهي ما مات حَتْف أنفِه من الحيوان والطير. أي: ما مات بدون عمل من الإنسان، يَقصِد به تذكيتَه أو صيده.

وقد يتساءل الذهن العصري عن الحكمة في تحريم الميتة على الإنسان، وإلقائها دون أن ينتفع بأكلها، ونُجيب على ذلك بأن في تحريمها حِكَمًا جليَّة منها:

(أ) أن الطبع السليم يَعافها ويستقذرها، والعقلاء في مجموعهم يعدُّون أكلها مَهانة، تُنافي كرامة الإنسان، ولذا نرى أهل المِلَل الكتابية جميعًا يحرِّمونها، ولا يأكلون إلا المُذَكَّى، وإن اختلفت طريقة التذكية.

(ب) أن يتعوَّد المسلم القصد والإرادة في أموره كلها، فلا يُحرز شيئًا أو ينال ثمرة، إلا بعد أن يوجه إليه نيته وقصده وسعيه، ذلك أن معنى التذكية التي تُخرج الحيوان عن كونه ميتة، إنما هو: القصد إلى إزهاق رُوح الحيوان لأجل أكله، وكأن الله تعالى لم يرضَ للإنسان أن يأكل ما لم يقصده ولم يفكر فيه ـ كما هو الشأن في الميتة ـ فأما المُذَكَّى والمَصِيد، فإنهما لا يؤخذان إلا بقصد وسعي وعمل.

(ج) أن ما مات حَتْف أنفِه يغلب أن يكون قد مات لعلَّة مُزْمِنة أو طارئة، أو أكل نباتٍ سامٍّ أو نحو ذلك. وكل ذلك لا يؤمَن ضررُه. ومثل هذا إذا: مات من شدة الضعف وانحلال الطبيعة.

QaradawiBooks.com

(د) أن الله تعالى بتحريم الميتة علينا نحن بني الإنسان قد أتاح بذلك فرصة للحيوانات والطيور لتتغذى منها، رحمةً منه تعالى بها؛ لأنها أمم أمثالنا، كما نطق القرآن. وهذا أوضح ما يكون في الفَلَوَات والأماكن التي لا تُوارى فيها ميتةُ الحيوان.

(هـ) أن يحرص الإنسان على ما يملكه من الحيوان، فلا يدعه فريسة للمرض والضعف حتى يموت فيتلف عليه، بل يسارع بعلاجه، أو يُعجِّل بإراحته.

- **تحريم الدم المسفوح:**

وثاني هذه المحرمات هو: الدم المسفوح، أي: السائل. سئل ابن عباس عن الطِّحال فقال: كُلُوه. فقالوا: إنه دم. فقال: إنما حُرِّم عليكم الدم المسفوح[١].

والسر في تحريمه أنه مستقذر، يعافه الطبع الإنساني النظيف، كما أنه مظِنَّة للضرر كالمَيْتة.

وكان أهل الجاهلية إذا جاع أحدهم يأخذ شيئًا محددًا من عظم ونحوه، فيفصد به بعيره أو حيوانه، فيجمع ما يخرج منه من الدم فيشربه. وفي هذا يقول الأعشى:

فإيَّاكَ والميتاتِ لا تقربنَّها ولا تأخذَنْ سَهْمًا حديدًا لِتُفْصدا[٢]

ولما كان في هذا الفصد إيذاء للحيوان وإضعاف له حرَّمه الله تعالى.

(١) رواه ابن أبي شيبة في الأطعمة (٢٤٨٤٩)، والبيهقي في الضحايا (٧/١٠).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٣٨٧/١)، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، نشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م.

QaradawiBooks.com

• **لحم الخنزير:**

وثالثها: لحم الخنزير، فإن الطِّباع السليمة تستخبثه، وترغب عنه؛ لأن أشهى غذائه القاذورات والنجاسات، وقد أثبت الطبُّ الحديث أن أكلَه ضارٌّ في جميع الأقاليم، ولا سيما الحارَّة. كما ثبت بالتجارب العلمية أن أكل لحمه من أسباب الدُّودة الوحيدة القاتلة، وغيرها من الديدان. ومن يدري؟! لعل العلم يكشف لنا في الغد من أسرار هذا التحريم أكثر مما عرفنا اليوم، وصدق الله العظيم إذ وصف رسوله بقوله: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ومن الباحثين من يقول: إن المداومة على أكل لحم الخنزير تورث ضعف الغَيْرة على الحرمات.

• **ما أُهِلَّ لغير الله به:**

ورابع المحرمات: ما أُهِلَّ لغير الله به. أي: ما ذُبح وذُكر عليه اسم غير الله، كالأصنام، فقد كان الوثنيون إذا ذبحوا ذكروا على ذبيحتهم أسماء أصنامهم كاللَّات والعُزَّى، فهذا تقرُّب إلى غير الله، وتعبُّد بغير اسمه العظيم. فعِلَّة التحريم هنا علَّة دينية محضة، لحماية التوحيد، وتطهير العقائد، ومحاربة الشرك ومظاهر الوثنية، في كل مجال من مجالاتها.

إن الله الذي خلق الإنسان، وسخَّر له ما في السماوات وما في الأرض، وذلَّل له الحيوان؛ أباح له إزهاق رُوحه في مصلحته، إذا ذكر اسمَه تعالى عند ذبحه، وذكرُ اسمِ الله حينئذ: إعلانٌ بأنه إنما يصنع هذا الصنيع بهذا الكائن الحي بإذن من الله ورضاه، فإذا ذَكَرَ اسمَ غيرِ الله عند ذبحه، فقد أبطل هذا الإذن، واستحقَّ أن يُحرَم من هذا الحيوان المذبوح.

QaradawiBooks.com

• أنواع من الميتة:

هذه الأربعة المذكورة هي المحرمات إجمالًا، وقد فصلتها آية المائدة في عشرة، كما ذكرنا في أنواع الميتة التي فصَّلتها:

١ ـ **المنخنقة**: وهي التي تموت اختناقًا، بأن يلتفَّ وثاقُها على عنقها، أو تُدخل رأسها في مَضيق أو نحو ذلك.

٢ ـ **الموقوذة**: وهي التي تُضرب بالعصا ونحوها حتى تموت.

٣ ـ **المتردِّية**: وهي التي تتردى من مكان عالٍ، فتموت، ومثلها التي تتردَّى في بئر.

٤ ـ **النَّطيحة**: وهي التي تنطحها أخرى، فتموت.

٥ ـ **ما أكل السبع**: وهي التي أكل السبع (الحيوان المفترس) جزءًا منها فماتت.

وقد ذكر الله بعد هذه الأنواع الخمسة قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ أي: ما أدركتم من هذه الحيوانات، وفيه حياة فذكَّيتموه. أي: أحللتموه بالذبح ونحوه، كما سنتحدث بعد.

ويكفي في صحة إدراك ما ذُكِرَ أن يكون فيه رَمَق من الحياة، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إذا أدركت ذكاة الموقوذة والمتردية والنطيحة وهي تحرك يدًا أو رِجْلًا فكُلْها[1].

وعن الضَّحَّاك: كان أهل الجاهلية يأكلون هذا، فحرَّمه الله في الإسلام

(١) رواه الطبري في تفسيره (٥٠٣/٩)، تحقيق محمود وأحمد شاكر، نشر دار التربية والتراث، مكة المكرمة.

QaradawiBooks.com

إلا ما ذُكِّي منه، فما أُدْرك، فتحرَّك منه رِجْل أو ذَنَب أو طَرْف (عين) فَذُكِّيَ، فهو حلال[١].

• حكمة تحريم هذه الأنواع:

والحكمة في تحريم هذه الأنواع من الميتة، ما ذكرنا في تحريم الميت حَتْفَ أنفِه، ما عدا توقُّع الضرر، إذ لا يظهر هاهنا.

وتتأكد الحكمة الأخيرة هنا أيضًا، فإن الشارع الحكيم يُعلِّم الناس العناية بالحيوان، والرأفة به والمحافظة عليه، فلا ينبغي أن يُهمل حتى ينخنق أو يتردَّى من مكان عالٍ، أو نترك الحيوانات تتناطح حتى يقتل بعضها بعضًا، ولا يجوز أن يُعذَّب الحيوان بالضرب حتى يموت موقوذًا، كما يفعل ذلك بعض قُساة الرعاة ـ وبخاصة الأُجراء منهم ـ وكما يحرِّشون بين البهائم، فيُغْرون الثَّوْرَيْن أو الكبشين بالتناطح حتى يَهلكا أو يُوشِكا.

ومن هنا نصَّ العُلماء على تحريم النَّطِيحة، وإن جَرَحها القرن وخرج منها الدم ولو من مذبحها؛ لأن المقصود كما يلوح لي هو عقوبة مَن ترك هذه الحيوانات تتناطح، حتى يقتل بعضها بعضًا، فحرمت عليه جزاءً وِفَاقًا.

وأما تحريم ما أكل السَّبُع ففيه أول ما فيه تكريم للإنسان، وتنزيهٌ له أن يأكل فضلات السِّبَاع. وقد كان أهل الجاهلية يأكلون ما أفضل السَّبع من الشاة أو البعير أو البقرة، فحرَّم الله ذلك على المؤمنين.

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٥٠٤/٩). وقال بعض الفقهاء: لا بد أن تكون فيه حياة مستقرَّة، وعلامتها انفجار الدم والحركة العنيفة. انظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٥١/٥)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

QaradawiBooks.com

• ما ذُبح على النُّصُب:

وعاشر المحرَّمات بالتفصيل هو: ما ذُبح على النُّصب. والنُّصُب: هو الشيء المنصوب من أصنام، أو حجارة تُقام أَمارةً للطاغوت، وهو ما عُبد من دون الله، وكانت حول الكعبة، وكان أهل الجاهلية يذبحون عليها أو عندها، بقصد التقرب إلى آلهتهم وأوثانهم.

فهذا من جنس ما أُهِلَّ لغير الله به؛ لأن في كليهما تعظيم الطاغوت، والفرق بينهما أن ما أُهِلَّ لغير الله به قد يكون ذُبح لصنم من الأصنام بعيدًا عنه وعن النُّصب، وإنما ذُكر عليه اسم الطاغوت. أما ما ذُبح على النُّصب، فلا بد أن يُذبح على تلك الحجارة أو عندها، ولا يلزم أن يتلفَّظ باسمِ غير الله عليه.

ولما كانت هذه النُّصب حولَ الكعبة، وقد يتوهَّم مُتَوَهِّم أن في الذبح عليها تعظيمًا للبيت الحرام، أزال القرآن هذا الوَهْم، ونصَّ على تحريمها نصًّا صريحًا، وإن كان مفهومًا مما أُهِلَّ لغير الله به.

• السمك والجراد مُستثنًى من الميتة:

وقد استثنت الشريعة الإسلامية من المَيْتة المحرَّمة السمك والحيتان ونحوهما، من حيوانات الماء. فحين سُئل النبي ﷺ عن ماء البحر قال: «**هو الطهور ماؤه، الحِلُّ ميتتُه**»[1].

وقال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ﴾ [المائدة: ٩٦]. قال عمر:

---

(١) رواه أحمد (٧٢٣٣)، وقال مخرجوه: صحيح. وأبو داود (٨٣)، والترمذي (٦٩)، وقال: حسن صحيح. والنسائي (٥٩)، وابن ماجه (٣٨٦)، أربعتهم في الطهارة، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٢٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

صيـــده: ما اصطيد منه، وطعامـــه: ما رمى به. وقال ابـــن عباس أيضًا: طعامه: ميتته[١].

وفي الصحيحين عن جابر ﷺ، أن النبي ﷺ بعث ســـرية من أصحابه، فوجدوا حوتًا كبيرًا، قد جزر عنه البحر ـ أي: ميتًا ـ فأكلوا منه بضعة وعشرين يومًا، ثم قدموا إلى المدينة، فأخبروا الرسول ﷺ، فقال: «**كلوا، رِزقًا أخرجه الله لكم، وأطعمونا إن كان معكم**». فأتاه بعضهم بشيء، فأكله[٢].

ومثل ميتة البحر الجراد، فقد رخَّص رســـول الله فـــي أكله ميتًا؛ لأن ذكاته غير ممكنة. قال ابن أبي أوفى ﷺ: غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، نأكل معه الجراد[٣].

• الانتفاع بجلود المَيْتة وعظمها وشَعرها:

وتحريم الميتـــة إنما يعني تحريـــم أكلها، فأما الانتفـــاع بجلدها أو قُرونها أو عظمها أو شـــعرها فلا بأس به، بل هو أمر مطلوب؛ لأنه مال يمكن الاستفادة منه، فلا تجوز إضاعته.

عن ابن عباس قال: تُصدِّق على مولاة[٤] لميمونة أم المؤمنين بشاة، فماتت، فمرَّ بها رســـول الله ﷺ فقال: «**هـــلَّا أخذتم إهابهـــا** ـ جلدها ـ **فدبغتموه فانتفعتم به!**». فقالوا: إنها ميتة. فقال ﷺ: «**إنما حرم أكلُها**»[٥].

---

(١) ذكره البخاري معلَّقًا قبل الحديث (٥٤٩٣)، ووصله الطبري في التفسير (٦٣/١١).

(٢) متفق عليـــه: رواه البخاري فـــي المغازي (٤٣٦٢)، ومســـلم في الصيـــد والذبائح (١٩٣٥)، عن جابر.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٥٤٩٥)، ومسلم (١٩٥٢)، كلاهما في الصيد والذبائح.

(٤) أي جارية كانت لها فأعتقتها.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري في الذبائح والصيد (٢٢٢١)، ومسلم في الحيض (٣٦٣).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقد بيَّن النبي ﷺ السبيل إلى تطهير جلد الميتة، وهو الدِّبَاغ، وقال في حديث: «**دِباغُ الأديم ـ الجلد ـ ذكاتُه**»[(١)]. أي: إن الدباغ في التطهير بمنزلة الذكاة في إحلال الشاة ونحوها. وفي رواية: «**دباغه يَذهب بخبثه**»[(٢)].

وفي صحيح مسلم وغيره عنه ﷺ: «**إذا دُبغ الإهاب فقد طهر**»[(٣)].

وهو عامٌّ يشمل كل جلد ولو كان جلد كلب أو خنزير. وبذلك قال أهل الظاهر، وحُكِيَ عن أبي يوسف صاحب أبي حنيفة، ورجَّحه الشوكاني[(٤)].

وعن سوْدَةَ أمِّ المؤمنين قالت: ماتت لنا شاة، فدبغنا مَسْكها (جلدها) ثم ما زلنا ننتبذ فيه (أي نضع فيه التمر ليحلو الماء) حتى صار شَنًّا[(٥)]. أي قِربةً خَلِقَة.

• حالة الضرورة مُستثناة:

كل هذه المحرمات المذكورة إنما هي في حالة الاختيار.

أما الضرورة فلها حكمها ـ كما ذكرنا من قبل ـ وقد قال تعالى: ﴿**وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ**﴾ [الأنعام: ١١٩]، وقال

---

(١) رواه أحمد (٢٠٠٦٧)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في اللباس (٤١٢٥)، والنسائي في الفَرَع والعَتِيرة (٤٢٤٣)، وحسَّنه ابن الملقِّن في البدر المنير (٦٠٧/١)، وقال ابن حجر في التلخيص الحبير (٤٤): إسناده صحيح. وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٢٦)، عن سلمة بن المُحَبِّق.

(٢) رواه أحمد (٢١١٧)، وقال مخرِّجوه: حسن. وابن خزيمة في الوضوء (١١٤)، والحاكم في الطهارة (١٦١/١)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي وقال: لا أعرف له علة. والبيهقي في الطهارة (١٧/١)، وقال: صحيح الإسناد. وضعَّفه الألباني في غاية المرام (٢٧)، عن ابن عباس.

(٣) رواه مسلم في الحيض (٣٦٦) (١٠٥)، وأبو داود (٤١٢٣)، والترمذي (١٧٢٨)، وابن ماجه (٣٦٠٩)، ثلاثتهم في اللباس، عن ابن عباس.

(٤) نيل الأوطار (٨٥/١)، تحقيق عصام الدين الصبابطي، نشر دار الحديث، مصر، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

(٥) رواه البخاري في الأيمان والنذور (٦٦٨٦)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

تعالى، بعد أن ذكر تحريم الميتة والدم وما بعدهما: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣].

والضرورة المتفق عليها هي ضرورة الغذاء، بأن يعَضَّه الجوع، وقد حدَّه بعض الفقهاء بأن يمر عليه يومٌ وليلة، ولا يجد ما يأكله إلا هذه الأطعمة المحرَّمة، فله أن يتناول منها ما يدفع به الضرورة ويتَّقِي الهلاك.

وقال الإمام مالك: حد ذلك الشّبع والتزود منها حتى يجد غيرها[١]. وقال غيره: لا يأكل منها إلا ما يُمسك الرَّمَق[٢]. ولعل هذا هو الظاهر من قوله تعالى: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ أي غير باغ (طالب) للشهوة، ولا عادٍ (متجاوَز) حد الضرورة. وضرورة الجوع قد نص عليها القرآن نصًّا صريحًا بقوله: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣]. والمَخْمَصة: المجاعة.

- **ضرورة الدواء:**

وأما ضرورة الدواء بأن يتوقف بُرْؤه على تناول شيء من هذه المحرَّمات، فقد اختلف في اعتبارها الفقهاء، فمنهم من لم يعتبر التداوي ضرورةً قاهرة كالغذاء، واستند كذلك إلى حديث: «إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حَرَّم عليكم»[٣].

---

(١) بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد (٢٩/٣)، نشر دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

(٢) بداية المجتهد (٢٩/٣)، ونسبه لأبي حنيفة والشافعي وبعض أصحاب مالك.

(٣) ذكره البخاري معلَّقًا قبل الحديث (٥٦١٤)، ورواه الحاكم في الطب (٤١٠/٤)، وصحَّحه الذهبي على شرط الشيخين، والبيهقي في الضحايا (٥/١٠)، وصحَّحه السيوطي في الجامع الصغير (١٧٧٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٢٨٩): رجاله رجال الصحيح. وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٦٧)، موقوفًا على ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

ومنهم من اعتبر هذه الضرورة، وجعل الدواء كالغذاء، فكلاهما لازم للحياة في أصلها أو دوامها، وقد استدلَّ هذا الفريق على إباحة هذه المحرمات للتداوي، بأن النبي ﷺ رَخَّص في لُبْس الحرير لعبد الرحمن بن عوف والزُّبَيْر بن العوَّام رضي الله عنهما، لحِكَّة (جَرَبٍ) كانت بهما[1]. مع نهيه عن لُبس الحرير، ووعيده عليه.

وربما كان هذا القول أقرب إلى رُوح الإسلام الذي يحافظ على الحياة الإنسانية في كل تشريعاته ووصاياه.

ولكنَّ الرُّخْصَةَ في تناول الدواء المشتمِل على محرَّم، مشروطة بشروط:

١ ـ أن يكون هناك خطر حقيقي على صحَّة الإنسان إذا لم يتناول هذا الدواء.

٢ ـ ألَّا يوجد دواءٌ غيره من الحلال يقوم مقامه أو يُغني عنه.

٣ ـ أن يصف ذلك طبيب مسلم ثقة في خبرته وفي دينه معًا.

على أنَّا نقول مما نعرفه من الواقع التطبيقي، ومن تقرير ثقات الأطباء: أنْ لا ضرورة طبِّيَّة تُحتِّم تناول شيء من هذه المحرمات كدواء، ولكنَّنَا نُقَرِّر المبدأ احتياطًا لمسلم، قد يكون في مكان لا يوجد فيه إلا هذه المحرَّمات.

- **الفرد ليس بمضطر إذا كان في المجتمع ما يدفع ضرورته:**

وليس من شرط الضرورة ألَّا يجد الإنسان طعامًا في مِلْكه هو فحسْب، بل لا يكون مضطرًّا لتناوُل هذه الأطعمة المحرَّمة، إذا كان في أفراد مجتمعه مسلمِهم أو ذِمِّيِّهم من يملك من فَضْل الطعام ما يدفع به

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٨٣٩)، ومسلم (٢٠٧٦)، كلاهما في اللباس، عن أنس.

QaradawiBooks.com

الضرورة عنه. فإن المجتمع الإسلامي متكامل متكافل، كأجزاء الجسد الواحد، أو كالبنيان المرصوص، يشدُّ بعضه بعضًا.

ومن اللفتات القيِّمة لفقهاء الإسلام في التكافل الاجتماعي ما قرَّره الإمام ابن حزم، إذ قال: «لا يحلُّ لمسلمٍ اضطُر أن يأكل ميتة أو لحم خنزير، وهو يجد طعامًا فيه فضل عن صاحبه، لمسلمٍ أو لذمِّي؛ لأن فرضًا على صاحب الطعام إطعام الجائع، فإذا كان ذلك كذلك، فليس بمُضطَر إلى الميتة ولا إلى لحم الخنزير. وله أن يقاتل عن ذلك، فإن قُتِل، فعلى قاتله القَوَد (أي القصاص) وإن قُتل المانع، فإلى لعنة الله، لأنه منع حقًّا، وهو طائفة باغية. قال تعالى: ﴿فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩]. ومانع الحق باغٍ على أخيه الذي له الحق. وبهذا قاتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه مانعي الزكاة»[1].

(١) المحلى بالآثار (٢٨٤/٤) مسألة (٧٢٥)، نشر دار الفكر، بيروت.

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

الذكاة الشرعية

• الحيوانات البحرية كلُّها حلال:

الحيوانات من حيث مسكنها ومستقرها نوعان: بحرية، وبرية.

فالبحرية ـ ونعني ما يسكن جوف الماء، ولا يعيش إلا فيه ـ كلها حلال، كيفما وُجِدَت، سواء أُخذت من الماء حيَّة أو ميتة، طفَتْ أو لم تَطْفُ، يستوي في ذلك السمك والحيتان، وما يُسمَّى كلبَ البحر أو خنزير البحر أو غير ذلك، ولا عبرةَ بمن أخذها وصادها، مسلمًا أو غير مسلم، فقد وسَّع الله على عباده بإباحة كلِّ ما في البحر، دون أن يُحرِّم نوعًا معيَّنًا، أو يشترط ذكاةً له كغيره، بل ترك للإنسان أن يُجْهِز على ما يحتاج إلى الإجهاز منه بما يستطيع، متجنِّبًا التعذيب ما أمكنه.

قال تعالى ممتنًّا على عباده: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [النحل: ١٤]، وقال: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ [المائدة: ٩٦] أي: المسافرين.

فعمَّ ﷻ، ولم يخُصَّ شيئًا من أشياء، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

• المحرَّم من الحيوانات البرية:

وأما الحيوانات البرية فلم يصرِّح القرآن بتحريم شيء منها إلا لحم الخنزير خاصة والميتة والدم، وما أهل لغير الله به من أي حيوان، كما تقدَّم في الآيات التي جاءت بصيغة محدَّدة، حاصرةً للمحرَّمات في أربعة إجمالًا، وعشرة تفصيلًا.

QaradawiBooks.com

ولكن القرآن الكريم قال عن الرسول محمد ﷺ: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

والخبائث هي التي يستقذرها الذَّوْق الحسي العام للناس في مجموعهم، وإن أساغها أفراد منهم.

ومن ذلك أنه عليه السلام نهى عن أكل لحوم الحُمُر الأهلية يوم خيبر(١).

ومن ذلك ما رُوِيَ في الصحيحين أنه نهى عن أكل كلِّ ذي ناب من السباع، وكل ذي مِخْلَب من الطير(٢).

والمراد بالسباع: ما يفترس الحيوانَ ويأكله قسْرًا، كالأسد والنَّمِر والذئب ونحوها.

والمراد بذي المِخْلَب من الطير: ما كان له ظُفُر جارح كالنَّسْر والبازي والصَّقْر والحِدَأة.

ومذهب ابن عباس رضي الله عنه أنه لا حرام إلا الأربعة المذكورة في القرآن، وكأنه يرى أن أحاديث النهي عن السِّبَاع وغيرها تُفيد الكراهة لا التحريم، أو لعلَّها لم تبلُغْه.

قال: كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء، ويتركون أشياء تقذُّرًا، فبعث الله نبيَّه، وأنزل كتابه، فأحلَّ حلاله، وحرَّم حرامه، فما أحلَّ فهو حلال،

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٢١٦)، ومسلم في النكاح (١٤٠٧)، عن علي.
وقد قيل: إن تحريم الحُمُر كان لعلَّة مؤقتة، وذلك لحاجتهم إلى ركوبها حينذاك. كما تحرِّم بعض الحكومات ذبح العجول الصغيرة للحاجة إلى لحمها حين تكبر، ونحو ذلك.

(٢) رواه البخاري في الذبح والصيد (٥٥٣٠) عن أبي ثَعْلبة الخُشَني مقتصرًا على شِقِّه الأول، ومسلم في الصيد والذبائح (١٩٣٤)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

وما حرَّم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفوٌ. وتلا: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

وبهذه الآية كان يرى ابن عباس أن لحم الحُمُر الإنسية حلال[١].

وإلى مذهب ابن عباس ينزع الإمام مالك، حيث لم يقُل بحُرْمة السباع ونحوها، واكتفى بكراهتها[٢].

ومن المقرَّر أن الذكاة الشرعية لا تأثير لها في الحيوانات المحرَّمة من حيث إباحة أكلها، إلا أنها تؤثِّر في تطهير الجلد دون اشتراط الدِّبَاغ.

• اشتراط الذكاة لإباحة الحيوانات المستأنسة:

وما أبيح أكله من الحيوانات البَرِّيَّة نوعان:

نوعٌ مقدور عليه متمكَّن منه، كالأنعام من إبل وبقر وغنم، وغيرها من الحيوانات المستأنسة، والدواجن والطيور التي تربى في المنازل ونحوها.

ونوع غير مقدور عليه، ولا يُتمكَّن منه.

أما النوع الأول فقد اشترط الإسلام لإباحته أن يُذكَّى تذكيةً شرعية.

• شروط الذكاة الشرعية

والذكاة الشرعية المطلوبة إنما تتمُّ بشروط:

١ ـ أن يُذبح الحيوان أو يُنحر بآلة حادَّة، مما يُنهِر الدمَ ويَفْرِي الأوداج، ولو كان حَجَرًا أو خَشَبًا، فعن عَدِيِّ بن حاتم الطائي قال: قلتُ:

---

(١) رواه البخاري في الذبائح والصيد (٥٥٢٩).

(٢) المدونة (٤٥٠/١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

يا رسول الله، إننا نصيدُ الصيد، فلا نجد سِكِّينًا إلا الظِّرار (أي الحجر أو المَدَر المُحدَّد منه) وشِقَّة العصا (أي البوص). فقال: «**أَمِرَّ الدم** ـ أي أَرِقْه ـ **بما شئتَ، واذكر اسم الله عليه**»[١].

٢ ـ أن يكون في الحَلْق أو اللَّبَّة (النحر) وذلك بقطع في الحلق، يكون الموت في أثره، أو طعن في اللَّبَّة، يكون الموت في أثره.

وأكمل الذبح أن يقطع «الحُلْقوم والمَرِيء» ـ وهو مجرى الطعام والشراب ـ من «الحلق والوَدَجَيْن[٢]» ـ وهما عِرْقان غليظان في جانبي ثُغْرة النحر.

ويسقط هذا الشرط إذا تعذَّر الذبح في موضعه الخاص، كأن يتردَّى الحيوان في بئر من جهة رأسه، بحيث لا يُنال حلقُه ولا لَبَّتُه، أو يَنِدُّ ويتمرَّد على طبيعته المستأنسة، لهذا يُعامل معاملة الصيد، ويكفي أن يُجْرَح بمحدَّد في أي موضع مستطاع منه.

وفي الصحيحين عن رافع بن خَدِيج قال: كُنَّا مع النبي ﷺ في سَفْرة، فنَدَّ بعيرٌ من إبل القوم، ولم يكن معهم خيلٌ، فرماه رجل بسهم، فحبسَه،

---

(١) رواه أحمد (١٨٢٥٠)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وأبو داود (٢٨٢٤)، وابن ماجه (٣١٧٧)، والحاكم (٢٤٠/٤)، ثلاثتهم في الذبائح، وابن حبان في البر والإحسان (٣٣٢)، وابن الملقِّن في البدر المنير (٢٥١/٩)، والسيوطي في الصغير (١٦٢٩)، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٥٧٣).

(٢) لبعض الفقهاء اشتراطات في مسألة الذبح، تركناها؛ لأنه لم يأتِ نصٌّ صريح باشتراطها، ولأن الذبح معروفٌ بالفطرة والعادة لكل الناس، فلا داعي لهذه التعمُّقات والتشدُّدات، التي لا تتفق ويسر الإسلام وبساطته. ولذلك اختلفوا فيها اختلافًا كثيرًا: هل الواجب قطع الأربعة: الحلقوم، والمريء والوَدَجَيْن: كلها أو بعضها؟ وهل الواجب في المقطوع منها قطع الكل أو الأكثر؟ وهل من شرط القطع ألا تقطع الجَوْزة إلى جهة البدن بل إلى جهة الرأس؟ وهل إن قطعها من جهة العُنُق جاز أكلها أم لا؟ وهل من شرط الذكاة ألا يرفع يده حتى يُتِمَّ الذَّكاة أم لا؟ إلخ. وبكل طَرَف من طَرَفي السؤال قال بعض الفقهاء.

QaradawiBooks.com

فقال رسول الله ﷺ: «**إن لهذه البهائم أَوَابِدَ كأوابدِ الوحْش، فما فعل منها هذا، فافعلوا به هكذا**»(١).

٣ ـ ألا يُذكر عليه اسم غير الله. وهذا مُجمَع عليه، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يتقرَّبون إلى آلهتهم وأصنامهم بالذبح لأجلها، إما بالإهلال عند الذبح بأسمائها، وإما بالذبح على الأنصاب المخصوصة لها، فحرم القرآن ذلك كله كما ذكرنا: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ... وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣].

٤ ـ أن يُذكر اسم الله على الذَّبيحة، هذا هو الظاهر من النصوص، فالقرآن يقول: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنعام: ١١٨]، ويقول: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞ﴾ [الأنعام: ١٢١].

والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «**ما أنهر الدمَ وذُكِرَ اسمُ الله عليه فكُلُوا**»(٢).

ومما يؤيد إيجاب هذا الشرط: الأحاديث التي صحَّت في اشتراط التسمية في الصيد، عند رمي السهم، أو إرسال الكَلْبِ المعلَّم، كما سيأتي.

وذهب بعض العلماء إلى أن ذكر اسم الله لا بد منه، ولكنه ليس من اللازم أن يكون ذلك عند الذبح، بل يُجزئ عنه أن يذكره عند الأكل، فإنه إذا سمَّى عند الأكل على ما يأكله لم يكن آكلًا ما لم يذكر اسم الله عليه.

وفي صحيح البخاري، عن عائشة، أن قومًا حديثي عهد بجاهلية قالوا للنبي ﷺ: إن قومًا يأتوننا باللُّحْمان لا ندري أذكروا اسم الله عليها أم لم يذكروا، أنأكل منها أم لا؟ فقال رسول الله ﷺ: «**اذكروا اسم الله وكُلُوا**»(٣).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الذبائح والصيد (٥٥٤٤)، ومسلم في الأضاحي (١٩٦٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الشركة (٢٤٨٨)، ومسلم في الأضاحي (١٩٦٨)، عن رافع بن خديج.

(٣) رواه البخاري في البيوع (٢٠٥٧).

QaradawiBooks.com

• سرُّ هذه الذَّكَاة وحكمتها:

والسر في هذه الذكاة ـ كما يلوح لنا ـ هو إزهاقُ رُوح الحيوان بأقصر طريق يُريحه بغير تعذيب. لهذا اشتُرطت الآلة المحدَّدة، وهي أسرع أثرًا، واشتُرط الذبحُ في الحلق، وهو أقرب المواضع لمفارقة الحياة بسهولة، ونُهي عن الذبح بالسِّنِّ والظُّفُر؛ لأن الذبح بهما تعذيب للحيوان، ولا يقع بهما غالبًا إلا الخَنْق، وأمر النبي ﷺ بإحداد الشَّفْرة وإراحة الذَّبِيحة كما في الصحيح: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبحة، وليُحِدَّ أحدُكم شَفْرته، وليُرِح ذبيحتَه**»[(١)].

ومن هذا الإحسان ما رواه ابن عمر أن النبي ﷺ أمر أن تُحَدَّ الشِّفار، وأن تُوارَى عن البهائم، وقال: «**إذا ذبح أحدكم فليُجْهِز**»[(٢)]. أي: ليُسْرِع.

وعن ابن عباس أن رجلًا أضجع شاة وهو يُحِدُّ شفرته، فقال النبي ﷺ: «**أتريد أن تُميتَها مَوْتاتٍ؟ هلَّا أحددتَ شَفْرتك قبل أن تُضجعها!**»[(٣)].

ورأى عمر رجلًا يسحب شاة برجلها ليذبحها، فقال له: ويلَكَ قُدْها إلى الموت قودًا جميلًا[(٤)].

---

(١) رواه مسلم في الصيد والذبائح (١٩٥٥)، وأحمد (١٧١١٣)، عن شداد بن أوس.

(٢) رواه أحمد (٥٨٦٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وابن ماجه في الذبائح (٣١٧٢)، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٠٩١)، والصحيحة (٣١٣٠)، وضعَّفه في غاية المرام (٣٩).

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٣٣٢/١١)، والأوسط (٣٥٩٠)، والحاكم في الأضاحي (٢٣١/٤)، وصحَّحه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٠٣٣): رجاله رجال الصحيح. وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٤٠).

(٤) رواه عبد الرزاق في المناسك (٨٦٠٥)، وضعَّفه الألباني في غاية المرام (٤٠)، واستشهد به في الصحيحة (٣٠).

QaradawiBooks.com

وهكذا نجد الفكرة العامة في هذا الباب هي الرفق بالحيوان الأعجم، وإراحته من العذاب ما استطاع الإنسان إلى ذلك سبيلًا.

وقد كان أهل الجاهلية يَجُبُّون أسنمة الإبل وهي حية، ويقطعون أَلَيات الغنم، وكان في ذلك تعذيب لهذه الحيوانات، ففوَّت النبيُّ ﷺ مقصودهم، وحرَّم عليهم الانتفاع بهذه الأجزاء، فقال: «**ما قُطِعَ من البهيمة وهي حيَّة فهو ميتة**»[(١)].

• حكمة التسمية عند الذبح:

أما طلب التسمية عند الذَّكَاة، فإن لها سرًّا لطيفًا، ينبغي التنبه له والالتفات إليه، فهي من جهةٍ مضادَّة لما كان يصنعُ الوثنيُّون وأهل الجاهلية، من ذكر أسماء آلهتهم المزعومة عند الذبح، وإذا كان المشرِك يذكر في هذا الموضع اسم صنمه، فكيف لا يذكر المؤمنُ اسمَ ربه؟!

ومن جهة ثانية: فإن هذه الحيوانات تشترك مع الإنسان في أنها مخلوقة لله، وأنها كائنات حيَّة ذات رُوح، فلماذا يتسلَّط الإنسان عليها، ويُزهِق أرواحها؟! إلا أن يكون ذلك بإذنٍ من خالقه وخالقها، الذي له ما في السماوات وما في الأرض جميعًا. وذكر اسم الله هنا هو إعلان بهذا الإذن الإلهي، كأن الإنسان يقول: إنني لا أفعل ذلك عدوانًا على هذه الكائنات، ولا استضعافًا لتلك المخلوقات، ولكن باسم الله أذبح، وباسم الله أصيد، وباسم الله آكُل.

---

(١) رواه أحمد (٢١٩٠٣)، وقال مخرِّجوه: حسن. وأبو داود في الصيد (٢٨٥٨)، والترمذي في الأطعمة (١٤٨٠)، وقال: حسن غريب. والحاكم في الأطعمة (١٢٣/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وحسَّنه الألباني في غاية المرام (٤١)، عن أبي واقد الليثي.

QaradawiBooks.com

• **ذبائح أهل الكتاب (اليهود والنصارى):**

رأينا كيف شدَّد الإسلام في أمر الذبح واهتم به؛ لأن مشركي العرب وغيرهم من أهل الملل جعلوا الذبائح من أمور العبادات، بل من شؤون العقيدة وأصول الدين، فصاروا يتعبَّدون بذبح الذبائح لآلهتهم، فيذبحون على النُّصب عندها، أو يُهلِّون باسمها عند الذبح، فجاء الإسلام فأبطل هذه الأمور، وأوجب ألَّا يُذْكر اسم غير الله عند الذبح، وحَرَّم ما ذُبح على النصب، وما أُهِلَّ لغير الله به.

ولما كان أهلُ الكتاب أهلَ توحيد في الأصل، ثم سَرَت إليهم نزغات الشرك، ممن دخل في دينهم من المشركين، الذين لم يتخلَّصوا تمامًا من أدران شركهم القديم، وكان هذا مظِنَّةً لأن يفهم بعض المسلمين أن معاملة أهل الكتاب في ذلك كأهل الأوثان؛ رخص الله تعالى في مؤاكلة أهل الكتاب، كما رخص في مصاهرتهم، فقال تعالى في سورة المائدة، وهي من أواخر ما نزل من القرآن: ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾ [المائدة: ٥].

ومعنى هذه الآية إجمالًا: اليوم أُحِل لكم الطيبات، فلا بَحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حامٍ، وطعام الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى حلٌّ لكم بمقتضى الأصل، لم يحرِّمه الله عليكم قط، وطعامكم حل لهم كذلك، فلكم أن تأكلوا من اللحوم التي ذكَّوْا حيوانَها أو صادوه، ولكم أن تُطعموهم مما تُذَكُّون وتصطادون.

وإنما شدَّد الإسلام مع مشركي العرب، وتساهل مع أهل الكتاب؛ لأنهم أقرب إلى المؤمنين، لاعترافهم بالوحي والنبوة وأصول الدين في الجملة. وقد شُرعت لنا موادَّتهم بمؤاكلتهم ومصاهرتهم وحسن

QaradawiBooks.com

معاشـــرتهم؛ لأنهم إذا عاشرونا وعرفوا الإســـلام في بيئته ومن أهله على حقيقته، علمًا وعملًا وخُلقًا، ظهر لهم أن ديننا هو دينهم في أسمى معانيه، وأكمل صوره، وأنقى صحائفه، مبرأً من البدع والأباطيل والوثنيات.

وقوله: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ﴾ لفظ عامٌّ يشـــمل كل طعام لهم: ذبائحهم وحبوبهم وغيرها، فكل ذلك حلال لنا، ما لم يكن محرَّمًا لعينه، كالميتة والدم المســـفوح ولحـــم الخنزير، فهـــذه لا يجوز أكلها بالإجماع، سواء أكانت طعامَ كتابيٍّ أو مسلم.

بقي هنا إيضاح عدَّة مسائل يُهِمُّ المسلمين معرفتُها:

• ما يذبح للكنائس والأعياد:

١ ـ إذا لم يُسمع من الكتابي أنه ســـمَّى غير الله عند الذبح كالمسيح والعُزَيْر، فإن ذبيحتَه حلالٌ. وأما إذا سمع منه تسميةَ غيرِ الله، فمن الفقهاء من يُحَرِّم ذبيحته تلك؛ لأنها مما أُهِلَّ لغير الله به.

وبعضهم يقول: أباح الله لنا طعامهم، وهو أعلم بما يقولون.

وســـئل أبو الدرداء رضي الله عنه عن كبش ذُبِحَ لكنيسة يقال لها: «جرجس» أهدوه لها، أنأكل منه؟ فقال أبو الدرداء للسائل: اللهم عفوًا، إنما هم أهل كتاب، طعامهم حِلٌّ لنا، وطعامنا حِلٌّ لهم. وأمره بأَكْلِه[1].

وسُـــئل الإمام مالك فيما ذبحه أهل الكتاب لأعيادهم وكنائســـهم، فقال: أُكَرِّهُهُ، ولا أُحَرِّمه[2]. وإنما كرهه من باب الورع، خشية أن يكون

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (٥٧٩/٩)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٤٢).

(٢) هذه الفتوى من أظهر الأدلة علـــى فقه الإمام مالك ودينه وورعه رضي الله عنه؛ إذ لم يســـارع إلى التحريم كما يفعل بعضهم اليوم، واكتفى بالكراهة، حيث وجد عمومين متعارضين: عموم ما أهل لغير الله به، وعموم طعام أهل الكتاب. وقد جمع بينهما بما ذكرناه.

QaradawiBooks.com

داخلًا فيما أُهِلَّ لغير الله به، ولم يحرِّمْه؛ لأن معنى ما أهل لغير الله به عنده بالنسبة لأهل الكتاب إنما هو فيما ذبحوه لآلهتهم، مما يتقرَّبون به إليها ولا يأكلونه. فأما ما يذبحونه ويأكلونه فهو من طعامهم، وقد قال تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ [المائدة: ٥].

- **ما ذكَّوْه بطريق يخالف طريقتنا:**

٢ ـ المسألة الثانية: هل يُشترط أن تكون تذكيتُهم مثلَ تذكيتنا بمُحدَّد في الحلق؟

اشترط ذلك أكثر العلماء، والذي أفتى به جماعة من المالكية أن ذلك ليس بشرط.

قال القاضي ابن العربي في تفسير آية المائدة: «هذا دليل قاطع على أن الصيد وطعام الذين أوتوا الكتاب من الطيبات التي أباحها الله، وهو الحلال المطلق، وإنما كرَّره الله تعالى، ليرفع به الشكوك ويزيل الاعتراضات عن الخواطر الفاسدة، التي تُوجِب الاعتراضات، وتُحْوِج إلى تطويل القول.

ولقد سُئلتُ عن النصرانيِّ يفتل عُنق الدجاجة، ثم يطبخها: هل تؤكل معه، أو تؤخذ منه طعامًا؟ فقلت: تؤكل؛ لأنها طعامه وطعام أحباره ورهبانه، وإن لم تكن هذه ذكاة عندنا، ولكن أباح الله لنا طعامهم مطلقًا، وكل ما يرونه حلالًا في دينهم، فإنه حلالٌ لنا، إلا ما كذَّبهم الله فيه. ولقد قال علماؤنا: إنهم يعطوننا نساءهم أزواجًا، فيحل لنا وطؤهن، فكيف لا نأكل ذبائحهم، والأكل دون الوطء في الحل والحرمة؟»[1]. هذا ما قرره ابن العربي.

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٢/٤٤، ٤٥)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

QaradawiBooks.com

وقال في موضع ثانٍ: «ما أكلوه على غير وجه الذكاة، كالخنق، وحطم الرأس (أي بغير قصد التذكية) ميتةٌ حرام»[١].

ولا تنافي بين القولين، فإن المراد: أن ما يرونه مذكًّى عندهم حلَّ لنا أكلُه، وإن لم تكن ذكاتُه عندنا ذكاةً صحيحة، وما لا يرونه مذكًّى عندهم لا يحل لنا. والمفهوم المشترك للذكاة: هو القصد إلى إزهاق رُوح الحيوان بنيَّة تحليل أكله.

وهذا هو مذهب جماعة المالكية.

وعلى ضوء ما ذكرنا نعرف الحكم في اللحوم المستورَدة من عند أهل الكتاب، كالدجاج ولحوم البقر والغنم المحفوظة، مما قد تكون تذكيته مخالفة لأحكام شريعتنا، فما داموا يعتبرون هذا حلالًا مذكًّى فهو حِلٌّ لنا، وَفق عموم الآية.

وهذا الحكم مهمٌّ للمقيمين في البلاد التي لا يتوفَّر فيها مسلمون يُشرفون على المذابح، أو يوفِّرون اللحوم المذبوحة على الطريقة الإسلامية، فالأصل أن يحرص المسلم الملتزم على الحلال الخالص الذي لا يشوبه شائبة.

أما اللحوم المستوردة من بلاد شيوعية، فلا يجوز تناولها بحال، لأنهم ليسوا أهل كتاب، وهم يكفرون بالأديان كلها، ويجحدون بالله ورسالاته جميعًا، إلا إذا خصَّصوا لها فئة من المسلمين تقوم بذبحها.

• ذبيحة المجوسيِّ ومن ماثله:

اختلف العلماء في ذبيحة المجوس، فالأكثرون يُمنعون من أكلها؛ لأنهم مشركون.

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٤٣/٢).

QaradawiBooks.com

وقال آخرون: هي حلال؛ لأن النبي ﷺ قال: «**سُنُّوا بهم سُنَّة أهل الكتاب**»[١]. وقد قَبِل الجزية من مَجُوس هَجَر[٢].

وقال ابن حزم في باب التذكية من كتابه «المحلَّى»: «وإنهم أهل كتاب، فحكمهم كحكم أهل الكتاب في كل ذلك»[٣].

والصابئون عند أبي حنيفة أهل كتاب أيضًا[٤].

• قاعدة: ما غاب عنَّا لا نسأل عنه:

وليس على المسلم أن يسأل عما غاب عنه: كيف كانت تذكيته؟ وهل استوفت شروطها أم لا؟ وهل ذُكر اسم الله على الذبيحة أو لم يذكر؟ بل كل ما غاب عنَّا مما ذكَّاه مسلم ـ ولو جاهلًا أو فاسقًا ـ أو كتابي، فحلالٌ أكله.

---

(١) رواه مالك في الجزية (٩٦٨)، والشافعي في المسند (١٠٠٨)، وعبد الرزاق في أهل الكتاب (١٩٢٥٣)، وابن أبي شيبة في الزكاة (١٠٨٧٠)، وضعفه الألباني في إرواء الغليل (١٢٤٨)، عن عبد الرحمن بن عوف، لكن أخذ الجزية من المجوس ثابت بأحاديث أخر.

(٢) رواه البخاري في الجزية (٣١٥٧)، عن عبد الرحمن بن عوف.

(٣) المحلى (١٤٦/٦) مسألة (١٠٥٩)، ولا ريب أن قول ابن حزم له وزنه، وهو حجة في حفظ النصوص، ومعرفة تاريخ الملل والنحل. وقد نص البغدادي في أن المجوس يدَّعون نبوة زرادشت. انظر: الفرق بين الفرق صـ ٢٧٩، نشر دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ٢، ١٩٧٧م. وأيَّد ذلك بعض علماء الإسلام المحْدَثين المطَّلعين على الثقافات القديمة كمولانا أبي الكلام آزاد في الهند. انظر: ويسألونك عن ذي القرنين صـ ١٥٨، نشر دار الشعب، القاهرة.

(٤) من الباحثين في عصرنا من يُلحق بالمجوس الوثنيين الآخرين، كالبراهمة والبوذيِّين، ونحوه، ويرى أنهم كانوا أهل كتاب فقدوه بطول الأمد. انظر: تفسير المنار (١٥٣/٦، ١٥٤)، تفسير آية: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [المائدة: ٥]. فصل في طعام الوثنيين ونكاح نسائهم وأنهم غنيمة لنا، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

QaradawiBooks.com

وقد ذكرنا من قبل حديث البخاري، أن قومًا سألوا النبي ﷺ فقالوا: إن قومًا يأتوننا باللحم، لا ندري أذكروا اسم الله عليه أم لا؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «**سمُّوا الله عليه أنتم وكُلُوا**»[١].

قال العلماء: في هذا الحديث دليل على أن الأفعال والتصرفات تُحمل على حال الصحة والسلامة، حتى يقوم دليل على الفساد والبطلان[٢].

(١) سبق تخريجه صـ٨٤، بلفظ: «اذكروا اسم الله وكُلُوا».

(٢) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار (١٥٧/٨، ١٥٨).

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

الصيد

كان كثير من العرب وغيرهم من الأمم يعيشون على الصيد، لذلك عني به القرآن والسنة، وخصَّص الفقهاء له أبوابًا مستقلَّة، فصَّلوا فيها ما يحلُّ منه وما يحرم، وما يَجب فيه وما يُستحبُّ.

ذلك أن هناك كثيرًا من الحيوانات والطيور المستطاب لحمُها، لا يتمكَّن الإنسان منها، ولا يقدر عليها؛ لأنها غير مستأنسة له، فلم يشترط الإسلام فيها ما اشترط في الحيوانات الإنسية من الذكاة في الحلق أو اللَّبَّة، واكتفى في تذكيتها بما يسهل في مثلها تخفيفًا على الإنسان وتوسعةً عليه، وأقر الناسَ في هذا الأمر على ما هدتهم إليه الفطرة والحاجة، وإنما أدخل عليه تنظيمات واشتراطات تُخضعه لعقيدة الإسلام ونظامه، وتصبغه ككل شؤون المسلم بالصبغة الإسلامية. وهذه الاشتراطات منها ما يتعلَّق بالصائد، ومنها ما يتعلق بالمَصيد، ومنها ما يتعلق بما يكون به الصيد.

هذا كله في صيد البر، أما صيد البحر فقد تقدَّم أن الله أحله جملة دون قيد: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ﴾ [المائدة: ٩٦].

١ ـ ما يتعلق بالصائد:

أما الصائد لصيد البر فيُشترط فيه ما يُشترط في الذابح: أن يكون مسلمًا، أو مِن أهل الكتاب، أو مَن هو في حكم أهل الكتاب، كالمجوس والصابئين.

ومن التوجيهات التي علمها الإسلام للصائد: ألَّا يكون عابثًا بصيده،

QaradawiBooks.com

فيُزهق هـذه الأرواح، دون قصد منه إلـى أكلها أو الانتفـاع بها. وفي الحديث: «**من قتل عصفورًا عبثًا عـجَّ إلى الله يوم القيامة يقول: يا رب، يا رب، إن فلانًا قتلني عبثًا، ولم يقتلني مَنْفَعَةً**»(١).

وفي الحديث الآخر: «**ما من إنسـان يقتل عصفـورًا فما فوقها بغير حقِّها إلا سأله الله عنها يوم القيامة**». قيل: يا رسول الله، وما حقُّها؟ قال: «**أن يذبحها فيأكلها، ولا يقطع رأسها فيرمي به**»(٢).

هذا، ويُشترط في الصائد أيضًا ألَّا يكون مُحْرِمًا بحجٍّ أو عمرة، فإن المسلم في فترة الإحرام يكون في مرحلة سلام كامل وأمن شامل، يمتد نطاقه حتى يشـمل ما حوله من حيوان في الأرض، أو طير في السماء، حتى ولو كان الصيد أمامَه تنالُه يده أو رُمْحـه، ولكنه الابتلاء والتربية التي تُكوِّن المؤمن القوي الصابر.

وفي ذلك يقول الله تعالـى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞ﴾ [المائدة: ٩٤، ٩٥]. ﴿ وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗا﴾ [المائـدة: ٩٦]. ﴿غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌ﴾ [المائدة: ١].

---

(١) رواه أحمد (١٩٤٧٠)، وقال مخرِّجوه: إسـناده ضعيف. والنسائي في الضحايا (٤٤٤٦)، وابن حبان في الذبائـح (٥٨٩٤)، وضعَّفه الألباني فـي تخريج الحلال والحـرام (٤٦)، ويقويه الحديث التالي.

(٢) رواه النسائي في الصيد والذبائح (٤٣٤٩)، والحاكم في الذبائح (٢٣٣/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وحسَّـنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٦٦)، وضعَّفه في غاية المرام (٤٧)، عن عبد الله بن عمرو، وقد قبلنا الحديثين لأنهما في معنى واحد.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٢ ـ ما يتعلق بالمَصِيد:

وأما الشـــروط التي تتعلق بالمصيد، فأن يكـــون حيوانًا مما لا يقدر الإنســـان على تذكيته في الحلق واللَّبَّة، فإن قـــدر على تذكيته في ذلك، فلا بد منها، ولا يلجأ إلى غيرها؛ لأنها الأصل.

وكذلك لو رماه بســـهمه، أو ســـلَّط عليه كَلْبه، ثم أدركه وفيه حياة مســـتقرة، فعليه أن يُحِلَّه بالذبح المعتاد في الحلق، فإن كان به حياةٌ غير مستقرَّة، فإنْ ذبحه فحسنٌ، وإنْ تركه يموت من نفسه، فلا إثم عليه. وفي الصحيحين: «**إذا أرسلتَ كلبك، فاذكر اسم الله عليه، فإذا أمسك عليك، فأدركته حيًّا، فاذبحه**»[1].

٣ ـ ما يكون به الصيد:

وأما ما يكون به الصيد، فنوعان:

(أ) **الآلة الجارحة**، كالســـهم والســـيف والرمح، كما أشـــارت الآية: ﴿تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ﴾ [المائدة: ٩٤].

(ب) **الحيوان الجارح** الذي يقبل التعليم، كالكلب والفهد من سباع البهائم، والباز والصقر من سباع الطير. قال تعالى: ﴿قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤].

- **الصيد بالسلاح الجارح:**

والصيد بالآلة يُشترط فيها أمران:

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٤٧٦)، ومســـلم (١٩٢٩) (٦)، كلاهما في الصيد والذبائح، عن عدي بن حاتم.

QaradawiBooks.com

أولًا: أن تنفـذ في الجسـد، بحيث يكـون قتلها بالنفـاذ والخدش لا بالثّقل. وقد سأل عديُّ بن حاتم النبيَّ ﷺ فقال: إني أرمي بالمِعراض الصيد، فأصيبه، قال: «**إذا رميت بالمِعراض فَخَزَق** ـ أي نفذ في الجسد ـ **فكل، وما أصاب بعُرْضه فلا تأكل**»[(١)].

وقد دلَّ الحديث على أن المعتبَر هو الخَزْق، وإن كان القتل بمُثَقَّل، وعلى هذا يحلُّ ما صيد برَصاص البنادق والمُسدسـات ونحوها، فإنها تنفُذ في الجسم أشد من نفاذ السهم والرُّمْح والسيف.

أما ما رواه أحمد من حديث: «**لا تـأكل من البندقة إلا ما ذكَّيت**»[(٢)]. ومـا رواه البخاري مـن قول ابن عمـر فـي المقتولـة بالبندقة: تلك الموقوذة[(٣)]. فالبندقة هنا هي التي تتخذ من طين فييبس، فيُرمى بها. فهي شيء غير البندقيَّة تمامًا.

ومثل البندقة ما صيد بحصى الخَذْف، فقد نهى النبي ﷺ عن الخذْف ـ الرمي بحصاة ونحوها ـ وقال: «**إنها لا تصيد صيـدًا، ولا تنكأ عدوًّا، لكنها تكسر السِّنَّ، وتفقأ العين**»[(٤)].

ثانيًا: أن يذكر اسم الله على الآلة عند الرمي والضرب بها، كما عَلَّم النبي ﷺ عدي بن حاتم. وأحاديثه هي الأصل في هذا الباب.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٤٧٧)، ومسـلم (١٩٢٩) (١)، كلاهما في الصيد والذبائح، عن عدي بن حاتم.

(٢) رواه أحمد (١٩٣٩٢)، وقال مخرِّجوه: هذا إسـناد ضعيف. وضعَّفه الألباني في غاية المرام (٥٠)، عن عدي بن حاتم.

(٣) ذكره البخاري في الذبائح والصيـد معلَّقًا قبل الحديث (٥٤٧٦)، ووصله البيهقي في الصيد والذبائح (٢٤٩/٩).

(٤) متفق عليـه: رواه البخـاري (٥٤٧٩)، ومسـلم (١٩٥٤)، كلاهما في الصيـد والذبائح، عن عبد الله بن مغفَّل.

QaradawiBooks.com

• **الصيد بالكلاب ونحوها:**

فإذا كان الصيد بكلب أو بازٍ مثلًا، فالمطلوب فيه:

أولًا: أن يكون مُعَلَّمًا.

ثانيا: أن يصيد الصيد لأجل صاحبه، وبتعبير القرآن: أن يُمسك على صاحبه، لا على نفسه.

ثالثًا: أن يذكر اسم الله عليه عند إرساله.

وأصل هذه الشروط هو ما نطقت به الآية الكريمة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤].

وحد التعليم معروف، وهو قُدرة صاحب الكلب على التحكُّم فيه وتوجيهه، بحيث يدعوه فيُجيب، ويُغريه بالصيد فيندفع وراءه، ويزجره فينزجر، على خلافٍ بين الفقهاء في اشتراط بعض هذه الأشياء. المهم أن يتحقَّق التعليم، وهو أمر يُدرك بالعُرْف.

وحدُّ الإمساك على صاحبه ألَّا يأكل منه. قال ﷺ: «**إذا أرسلتَ كلابك المعلَّمة، وذكرتَ اسم الله عليها فكُل مما أمسكن عليك وإن قتلن، إلا أن يأكل الكلب، فإن أكل فلا تأكل، فإني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه**»[(١)].

ومن الفقهاء من فرَّق بين سباع البهائم كالكلاب، وسباع الطير كالصقر، فأباح ما أكل منه الطير، دون ما أكل منه الكلب.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٤٨٦)، ومسلم (١٩٢٩)، كلاهما في الصيد والذبائح، عن عدي بن حاتم.

QaradawiBooks.com

والحكمة في هذين الشَّرْطين: تعليم الكلب ونحوه، ثم إمساكه على صاحبه: هو السموُّ بالإنسان، وتنزيهه أن يأكل فضلات الكلاب، وفرائس السباع، مما يمكن أن يتساهل فيه ضعفاء النفوس، فأما إذا كان الكلب مُعلَّمًا، وأمسك على صاحبه، فشأنه في تلك الحالة شأن الآلة التي يستعملها الصائد، كالنبال والرماح.

وذكر اسم الله عند إرسال الكلب، كذكره عند قذْف السهم، أو وخْز الرُّمْح، أو ضرب السيف. وقد أمرت الآية به هاهنا ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾ [المائدة: ٤]. كما جاءت به الأحاديث الصحيحة المتَّفق عليها، كحديث عدي بن حاتم.

ومما يدل على هذا الشرط أنه لو شارك كلبه كلبٌ آخر، فإن صيدهما لا يحل. فحين سأل عديٌّ النبيَّ ﷺ قائلًا: إني أرسل كلبي أجد معه كلبًا، لا أدري أيهما أخذه؟ قال النبي ﷺ: «**فلا تأكل، فإنما سمَّيتَ على كلبك ولم تسمِّ على غيره**»[1].

فإذا نسي التسمية عند الرمي أو الإرسال: فقد وضع الله عن هذه الأمة المؤاخذة بالنسيان والخطأ، وليتدارك ذلك عند الأكل، كما مر في الذبح.

وقد بيَّنا عند الكلام على الذبح، الحكمة في طلب التسمية باسم الله، وما قيل هناك يقال هنا أيضًا.

- **إذا وجد الصيد ميتًا بعد الرَّمْية:**

يحدث أحيانًا أن يرمي الصائد سهمه فيصيب الصيد، ثم يغيب عنه، فيجده بعد ذلك ميتًا، وربما كان ذلك بعد أيام. وفي هذه الحالة يكون الصيد حلالًا بشروط:

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٤٨٦)، ومسلم (١٩٢٩)(٣)، كلاهما في الصيد والذبائح، عن عدي بن حاتم.

QaradawiBooks.com

١ ـ ألَّا يقع في الماء. وقد قال النبي ﷺ: «**إذا رميتَ سهمك، فاذكر اسم الله، فإن وجدته قد قَتَل فَكُل، إلا أن تجده قد وقع في ماء، فإنك لا تدري: الماء قتله أم سهمُك**»(١).

٢ ـ ألَّا يجد فيه أثرًا لغير سهمه، يعلم أنه سبب قتله. فعن عدي بن حاتم: قلتُ: يا رسول الله، أرمي الصيد، فأجد فيه سهمي من الغد؟ فقال: «**إذا علمتَ أن سهمك قتله، ولم ترَ فيه أثر سَبع فكُلْ**»(٢).

٣ ـ ألَّا يصل الصيد إلى درجة النَّتَن، فإن الطباع السليمة تستخبث المنتن، وتشمئزُّ منه، فضلًا عمَّا يُتوقَّع من ضرره.

وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال لأبي ثعلبة الخُشَني: «**إذا رميتَ سهمك فغاب** ـ أي الصيد ـ **ثلاثة أيام، وأدركته، فكُلْه ما لم يُنْتِن**»(٣).

(١) رواه مسلم في الصيد والذبائح (١٩٢٩)(٧)، عن عدي بن حاتم.

(٢) رواه أحمد (١٩٣٦٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. والترمذي (١٤٦٨)، وقال: حسن صحيح. والنسائي (٤٣٠٠)، وابن ماجه (٣٢١٣)، ثلاثتهم في الصيد، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٥٥).

(٣) رواه مسلم في الصيد والذبائح (١٩٣١)، وأحمد (١٧٧٤٤).

QaradawiBooks.com

الخمـر

الخمر هي تلك المادة الكحولية التي تُحدِث الإسكار.

ومن توضيح الواضح أن نذكر ضررها على الفرد، في عقله وجسمه، ودينه ودنياه. أو نبيِّن خطرها على الأسرة من حيث رعايتها والقيام على شؤونها: زوجة أو أولادًا. أو نشـرح تهديدها للجماعات والشعوب في كيانها الروحي والمادي والخلقي.

وبحقٍّ ما رأيناه ورآه الباحثون معنا: أن الإنسان لم يُصَب بضربة أشدَّ من ضربة الخمر، ولو عُمل إحصاء عامٌّ عمن في مستشـفيات العالم وفي سـجونه ومصحَّاته من المصابيـن بالجنون والأمراض العضالة بسـبب الخمر، وعمن انتحر أو قتل غيره بسـبب الخمر، وعمن يشكو في العالم من آلام عصبية ومَعِدِية ومعوية بسـبب الخمر، وعمن أورد نفسـه موارد الإفلاس بسـبب الخمر، وعمن تجرَّد من أملاكه بيعًا أو سـفهًا بسـبب الخمر، وعمن ضرَّ عائلته وأولاده، بل بلده ووطنه بسبب الخمر... لو عمل إحصاء بذلك أو ببعضه لبلغ حدًّا هائلًا، نجد كل نصح بإزائه صغيرًا.

وقد كان العرب في جاهليتهم مُولعين بشربها والمنادمة عليها؛ ظهر ذلك في لغتهم، فجعلوا لها نحوًا من مائة اسم، وفي شعرهم، فوصفوها وأقداحها، ومجالسها وأنواعها.

فلما جاء الإسـلام أخذهم بمنهج تربوي حكيـم، فتدرَّج معهم في تحريمها؛ فمنعهم أولًا من الصلاة وهم سُـكارى، ثم بيَّن لهم أن إثمها أكبر من نفعها، ثم أنزل سبحانه الآية الجامعة القاطعة في سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ

QaradawiBooks.com

﴿فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

وفي هاتين الآيتين أكد الله تحريم الخمر والميسر (القِمار) تأكيدًا بليغًا، إذ قرنهما بالأنصاب والأزلام، وجعلهما رجسًا ـ وهي كلمة لا تطلق في القرآن إلا على ما اشتد فُحشه وقُبحه ـ وجعلهما من عمل الشيطان، وإنما عمله الفحشاء والمنكر. وطَلَبَ اجتنابهما، بمعنى عدم الاقتراب منهما، وهي كلمة لا تستعمل إلا مع الشرك والكبائر، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]. ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾ [الشورى: ٣٧]. وغير ذلك، وجعل هذا الاجتناب سبيلًا إلى الفلاح. وذكر من أضرارهما الاجتماعية: تقطيع الصلات، وإيقاع العداوة والبغضاء، ومن أضرارهما الروحية الصدُّ عن الواجبات الدينية من ذكر الله والصلاة. ثم طلب الانتهاء عنهما بأبلغ عبارة: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١].

وكان جواب المؤمنين على هذا البيان الحاسم: قد انتهينا يا رب، قد انتهينا يا رب[١].

وصنع المؤمنون العجب بعد نزول هذه الآية، فكان الرجل في يده الكأس، قد شرب منها بعضًا وبقي بعض، فحين تبلغه الآية ينزع الكأس من فيه، ويُفرغها على التراب.

وقد آمن كثير من الحكومات بأضرار الخمر على الأفراد والأسر والأوطان، ومنهم من حاولوا أن يمنعوها بقوة القانون والسلطان

(١) رواه أحمد (٣٧٨)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الأشربة (٣٦٧٠)، والترمذي في التفسير (٣٠٤٩)، عن عمر.

QaradawiBooks.com

ـ كأمريكا ـ ففشلوا وأخفقوا، على حين نجح الإسلام وحده في محاربتها والقضاء عليها.

وقد اختلف رجال الكنيسة في موقف المسيحية من الخمر، واستندوا إلى أن في الإنجيل نصًّا يقول: قليل من الخمر يُصلح المعدة. ولو صح هذا الكلام، وكان قليل الخمر يصلح المعدة حقًّا، لوجب الامتناع عن هذا القليل؛ لأن قليل الخمر إنما يجرُّ إلى كثيرها، والكأس الأولى تُغري بأخرى وأخرى، حتى الإدمان.

هذا على حين كان موقف الإسلام صريحًا صارمًا من الخمر، وكل ما يعين على شربها.

- **كل مسكر خمر:**

وكان أول ما أعلنه النبي ﷺ في ذلك، أنه لم ينظر إلى المادة التي تُتَّخذ منها الخمر، وإنما نظر إلى الأثر الذي تُحدِثه، وهو الإسكار، فما كان فيه قوة الإسكار فهو الخمر، مهما وضع الناس لها من ألقاب وأسماء، ومهما تكن المادة التي صُنِعَت منها، وعلى هذا البيرة وما شابهها حرام إذا كانت تؤدي ـ أو الكثير منها ـ إلى الإسكار.

وقد سُئل النبي ﷺ عن أشربة تُصنع من العسل، أو من الذُّرَة والشعير، تُنبذ حتى تشتدَّ، وكان النبي ﷺ قد أوتي جوامع الكلم، فأجاب بجواب جامع: «**كلُّ مُسكِر خمر، وكل خمر حرام**»[(١)]. وأعلن عمر على الناس من فوق منبر رسول الله ﷺ: «الخمر ما خامر العقل»[(٢)].

(١) رواه مسلم في الأشربة (٢٠٠٣)، وأحمد (٤٦٤٥)، عن ابن عمر.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٦١٩)، ومسلم (٣٠٣٢)، كلاهما في التفسير، عن ابن عمر.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

• **ما أسكر كثيره فقليله حرام:**

ثم كان الإسلام حاسمًا مرة أخرى، حين لم ينظر إلى القدر المشروب من الخمر: قَلَّ أو كَثُر، فيكفي أن تنزلق قدم الإنسان في هذه السبيل، فيمضي وينحدر، لا يلوي على شيء.

لهذا قال رسول الله ﷺ: «**ما أسكر كثيره فقليله حرام**»[١]. وقال: «**ما أسكر الفَرَق منه، فمِلء الكفِّ منه حرام**»[٢]. والفَرَق: مكيال يسع ستة عشر رطلًا.

• **الاتِّجار بالخمر:**

ولم يكتفِ النبي ﷺ بتحريم شُرْب الخمر: قليلها وكثيرها؛ بل حرَّم الاتِّجَار بها، ولو مع غير المسلمين، فلا يحل لمسلم أن يعمل مستورِدًا أو مُصدِّرًا للخمر، أو صاحب محل لبيع الخمر، أو عاملًا في هذا المحل.

ومن أجل ذلك: لعن النبي ﷺ في الخمر عشرة: عاصرها، ومُعتصِرها (أي طالب عصرها) وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وساقيها، وبائعها، وآكل ثمنها، والمشتري لها، والمُشْتراة له[٣].

---

(١) رواه أحمد (١٤٧٠٣)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود (٣٦٨١)، والترمذي (١٨٦٥)، وقال: حسن غريب. والنسائي (٣٣٩٣)، ثلاثتهم في الأشربة، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٥٨)، عن جابر بن عبد الله.

(٢) رواه أحمد (٢٤٤٢٣)، وقال مخرجوه: صحيح. وأبو داود (٣٦٨٧)، والترمذي (١٨٦٦)، وقال: حسن. وصححه الألباني في غاية المرام (٥٩)، عن عائشة.

(٣) رواه الترمذي في البيوع (١٢٩٥)، وقال: غريب. وابن ماجه في الأشربة (٣٣٨١)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٦٠)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

ولما نزلت آية المائدة السابقة، قال النبي ﷺ: «**إن الله حرَّم الخمر، فمن أدركته هذه الآية وعنده منها شيء، فلا يشرب ولا يبِعْ**». قال راوي الحديث: فاستقبل الناسُ بما كان عندهم منها طرق المدينة فسفكُوها[١].

• **المسلم لا يُهدي خمرًا:**

وإذا كان بيع الخمر وأكل ثمنها حرامًا على المسلم، فإن إهداءَها بغير عِوض ولغير مسلم من يهودي أو نصراني أو غيره حرامٌ أيضًا، فما ينبغي للمسلم أن تكون الخمر هدية منه، ولا هدية إليه، فهو طيِّب لا يُهدِي إلا طيِّبًا، ولا يقبل إلا طيِّبًا.

وقد صح أن رجلًا أراد أن يُهدي للنبي ﷺ راوية خمر، فأخبره النبي ﷺ أن الله حرمها، فقال الرجل: أفلا أبيعها؟ فقال النبي ﷺ: «**إن الذي حرَّم شربها حرَّم بيعها**»[٢].

وفي رواية: قال الرجل: أفلا أُكارم بها اليهود؟ فقال النبي: «**إن الذي حَرَّمها حرَّم أن يُكارَم بها اليهود**» فقال الرجل: فكيف أصنع بها؟ فقال النبي ﷺ: «**سَيِّبْها على البطحاء**»[٣].

والحديث وإن كان في سنده ضعف، فإن النظرة الإسلامية المتشدِّدة إلى الخمر واعتبارها رجسًا من عمل الشيطان تُحرِّم اقتناءها في بيت المسلم، فضلًا عن تقديمها للناس ومكارمتهم بها.

---

(١) رواه مسلم في المساقاة (١٥٧٨)، عن أبي سعيد الخدري.

(٢) رواه مسلم في المساقاة (١٥٧٩)، عن ابن عباس.

(٣) رواه الحميدي (١٠٦٤)، وسعيد بن منصور في التفسير (٨٢٢)، وضعفه الألباني في غاية المرام (٦٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

• **مقاطعة مجالس الخمر:**

وعلى هذه السُّـــنة أُمر المســـلم أن يُقاطع مجالس الخمر، ومجالسة شاربيها. فعن عمر ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يقعد على مائدة تُدَار عليها الخمر**»[(١)].

إن المســـلم مأمور أن يُغَيِّر المنكر إذا رآه، فإذا لم يستطع أن يُزيله، فليَزُلْ هو عنه، وليَنْأَ عن موطنه وأهله.

ومما رُوِيَ عن الخليفة الراشـــد عمر بـــن عبد العزيز، أنه كان يجلد شاربي الخمر ومن شهد مجالسهم، وإن لم يشرب معهم.

ورووا أنه رُفع إليه قوم شـــربوا الخمر، فأمـــر بجلدهم، فقيل له: إن فيهم فلانًا، وقد كان صائمًا! فقال: به ابدؤوا. أما سمعتم قول الله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠][(٢)].

• **الخمر داء وليست دواء:**

بكل هذه النصوص الواضحة كان الإســـلام حاســـمًا كل الحسم في محاربة الخمر، وإبعاد المســـلم عنها، وإقامة الحواجـــز بينه وبينها، فلم يفتح أيَّ منفذ وإن ضَاقَ وصغر لتناوُلها أو ملابستها.

ولم يُبِح للمســـلم شـــربها، ولو القليلَ منها، ولا ملابستها ببيع أو شـــراء، أو إهـــداء أو صناعـــة، ولا إدخالهـــا فـــي متجره أو فـــي بيته،

(١) رواه أحمد (١٢٥) وقال مخرجوه: حسن لغيره. وأبو يعلى (٢٥١). وصححه الألباني في غاية المرام (٦٤).

(٢) رواه الطبري في التفسير (٣٢١/٩).

QaradawiBooks.com

ولا إحضارها في حفلات الأفراح وغير الأفراح، ولا تقديمها لضيف غير مسلم، ولا أن تدخل في أي طعام أو شراب.

بقي هنا جانب قد يَسأل عنه بعض الناس، وهو استعمال الخمر كدواء. وهذا ما أجاب الرسول ﷺ عنه، فقد سأله رجل عن الخمر، فنهاه عنها. فقال الرجل: إنما أصنعها للدواء. قال ﷺ: «**إنه ليس بدواء، ولكنه داء**»[(١)].

وقال ﷺ: «**إن الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواء، فتداووا، ولا تتداووا بحرام**»[(٢)].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه في شأن المُسكِر: «إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرَّم عليكم»[(٣)].

ولا عجب أن يحرم الإسلام التداوي بالخمر وغيرها من المحرَّمات، فإن تحريم الشيء ـ كما قال الإمام ابن القيم ـ يقتضي تجنُّبه والبعد عنه بكل طريق، وفي اتخاذه دواء حضٌّ على الترغيب فيه وملابسته، وهذا ضدُّ مقصود الشارع[(٤)].

قال: وأيضًا، فإن في إباحة التداوي به ـ ولا سيما إذا كانت النفوس تميل إليه ـ ذريعةٌ إلى تناوله للشهوة واللَّذَّة، وبخاصَّة إذا عرفت النفوس أنه نافع لها، ومزيل لأسقامها، جالب لشفائها.

---

(١) رواه مسلم في الأشربة (١٩٨٤)، وأحمد (١٨٨٥٩)، عن طارق بن سُوَيْد.

(٢) رواه أبو داود في الطب (٣٨٧٤)، والبيهقي في الضحايا (٥/١٠)، وقال ابن الملقن في تحفة المحتاج (٨٤٧): إسناده صحيح. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (١٧٦٢)، وحسَّنه في الصحيحة (١٦٣٣)، وضعَّفه في غاية المرام (٦٦).

(٣) سبق تخريجه صـ٧٧.

(٤) زاد المعاد لابن القيم (١٤٤/٤)، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢٧، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وأيضًا، فإن في هذا الـــدواء المُحَرَّم من الأدواء ما يزيد على ما يُظَنُّ فيه من الشفاء.

وقد تنبَّه ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ إلى جانب نفســـي مهمٍّ، فقال: إن من شرط الشفاء بالدواء تلقيه بالقَبول، واعتقاد منفعته، وما جعل الله فيه من بركة الشفاء.

ومعلوم أن اعتقاد المســـلم تحريم هذه العَيْن ممَّـــا يحول بينه وبين اعتقاد منفعتها وبركتها، وحُســـن ظنِّه بها، وتلقِّيـــه لها بالقَبول، بل كلما كان العبد أعظم إيمانًا كان أكرهَ لها، وأسوأ اعتقادًا فيها، وكان طبعُه أكرهَ شيءٍ لها، فإذا تناولها في هذه الحال كانت داء لا دواء[1] اهـ.

ومع هذا فإن للضرورة حكمها في نظر الشريعة، فلو فرض أن الخمر أو ما خُلِطَ بها تعيَّنت دواء لمرض يخشى منه على حياة الإنسان، بحيث لا يغني عنها دواء آخر ـ وما أظن ذلك يقع ـ ووصف ذلك طبيب مسلم ماهر في طبِّه، غيور على دينه، فإن قواعد الشـــريعة القائمة على اليُسْر، ودفْـــع الحرج، لا تمنـــع من ذلك، علـــى أن يكون في أضيـــق الحدود المُمْكِنة: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

(١) زاد المعاد لابن القيم (٤/١٤٤، ١٤٥) بتصرف.

QaradawiBooks.com

المخدِّرات

غير مرخصة للطباعة

«الخمر ما خامر العقل»[١] كلمة نيِّرة قالها عمر بن الخطاب، من فوق منبر النبي ﷺ، يحدد بها مفهوم الخمر، حتى لا تكثر أسئلة السائلين، ولا شبهات المشتبهين. فكل ما لابس العقل وأخرجه عن طبيعته المميِّزة المدرِكة الحاكمة، فهو خمر حرام، حَرَّمه الله ورسوله إلى يوم القيامة.

ومن ذلك: تلك الموادُّ التي تعرف باسم «المُخَدِّرات» مثل الحشيش والكوكايين والأفيون ونحوها، مما عرف أثرها عند متعاطيها، أنها تؤثر في حكم العقل على الأشياء والأحداث، فيرى البعيد قريبًا، والقريب بعيدًا، ويذهل عن الواقع، ويتخيَّل ما ليس بواقع، ويسبح في بحر من الأحلام والأوهام، وهذا ما يسعى إليه متناولوها، حتى ينسوا أنفسهم، ودينهم ودنياهم، ويهيموا في أودية الخيال.

وهذا غير ما تُحدِثه من فتور في الجسد، وخَدَر في الأعصاب، وهبوط في الصحَّة، وفوق ذلك ما تُحدثه من خَوَر النفس، وتميُّع الخُلُق، وتحلُّل الإرادة، وضعف الشعور بالواجب، مما يجعل هؤلاء المدمنين لتلك السموم أعضاءً غير صالحة في جسم المجتمع.

فضلًا عما وراء ذلك كله، من إتلاف للمال، وخراب للبيوت، بما يُنفَق على تلك المواد من أموال طائلة، ربما دفعها المُدمن من قوت أولاده، وعصارة رزقه، وربما انحرف إلى طريق غير شريف يجلب منه ثمنها.

(١) سبق تخريجه صـ١٠٢.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

وإذا ذكرنا أن «التحريم يتبع الخبث والضرر» تبيَّن لنا أن حُرمة هذه الخبائث التي ثبت ضررها الصحي والنفسي والعقلي والخلقي والاجتماعي والاقتصادي، مما لا شك فيه.

وعلى هذه الحُرمة أجمع فقهاء الإسلام الذين ظهرت في أزمنتهم هذه الخبائث. وفي طليعتهم شيخ الإسلام ابن تيمية الذي قال: هذه الحشيشة الصُّلبة حرام، سواء سَكِرَ منها أم لم يَسْكَر... وإنما يتناولها الفجار؛ لما فيها من النشوة والطَّرب، فهي تُجامع الشراب المُسْكِر في ذلك، والخمر توجب الحركة والخصومة، وهذه توجب الفتور والذِّلَّة، وفيها مع ذلك من فساد المزاج والعقل، وفتح باب الشهوة، وما توجبه من الدِّياثة (فقدان الغَيْرة) ما هو شرٌّ من الشراب المُسْكِر. وإنما حدثت في الناس بحدوث التتار، وعلى تناول القليل والكثير منها حد الشُّرْب؛ ثمانون سوطًا أو أربعون.

ومن ظهر منه أكل الحشيشة، فهو بمنزلة من ظهر منه شُرْب الخمر، وشرٌّ منه من بعض الوجوه، ويُعاقَب على ذلك كما يُعاقَب هذا.

قال: «وقاعدة الشريعة أن ما تشتهيه النفوس من المحرَّمات، كالخمر والزِّنى؛ ففيه الحد، وما لا تشتهيه كالميتة، ففيه التعزير؛ والحشيشة مما يشتهيها آكلوها، ويمتنعون عن تركها، ونصوص التحريم في الكتاب والسنة على مَن يتناولها، كما يتناول غير ذلك»[1].

• كلُّ ما يضر فأكلُه أو شُرْبه حرام:

وهنا قاعدة عامَّة مقرَّرة في شريعة الإسلام، وهي أنه لا يَحِلُّ للمسلم أن يتناول من الأطعمة أو الأشربة شيئًا، يقتله بسرعة أو ببطء، كالسم

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢١٤/٣٤) وما بعدها.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بأنواعه، أو يضرُّه ويؤذيه، ولا أن يُكثر من طعام أو شراب يُمْرِض الإكثار منه، فإن المسلم ليس ملك نفسه، وإنما هو ملك دينه وأمته. وحياته وصحته وماله ونعم الله كلها عليه وديعةٌ عنده، ولا يحل له التفريط فيها. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، وقال: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِۛ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وقال الرسول ﷺ: «**لا ضرر ولا ضرار**»[(١)].

ووفقًا لهذا المبدأ نقول: إن تناول التبغ (الدخان) ما دام قد ثبت أنه يضرُّ بمتناوِله، فهو حرام. وخصوصًا إذا قرَّر ذلك طبيب مختصٌّ بالنسبة لشخص معين. ولو لم يثبت ضررُه الصحي، لكان إضاعة للمال فيما لا ينفع في الدين أو الدنيا، وقد نهى النبي ﷺ عن إضاعة المال[(٢)]. ويتأكد النهي إذا كان مُحتاجًا إلى ما يُنفقه من مال، لنفسه أو عياله[(٣)].

---

(١) رواه أحمد (٢٨٦٥)، وقال مخرِّجوه: حسن. وابن ماجه في الأحكام (٢٣٨١)، عن ابن عباس، والدارقطني في البيوع (٧٧/٣)، عن أبي سعيد الخدري، وقال النووي في الأربعين (الحديث الثاني والثلاثون): حديث حسن، رواه ابن ماجه والدارقطني وغيرهما مسندًا، ورواه مالك في الموطأ مرسلًا، عن عمرو بن يحيى، عن أبيه، عن النبي ﷺ فأسقط أبا سعيد، وله طرق يقوي بعضها بعضًا. قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢١١/٢)، في شرحه للحديث: قال أبو عمرو بن الصلاح: هذا الحديث أسنده الدارقطني من وجوه، ومجموعها يقوي الحديث ويحسنه، وقد تقبله جماهير أهل العلم، واحتجوا به. وقول أبي داود: إنه من الأحاديث التي يدور الفقه عليها يشعر بكونه غير ضعيف. والله أعلم. وقال ابن الملقِّن في خلاصة البدر المنير (٤٣٨/٢): وصحَّحه إمامنا ـ أي الشافعي ـ في حرملة. وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢١٠/٢): وقد استدل الإمام أحمد بهذا الحديث فقال: قال النبي ﷺ: «**لا ضرر ولا ضرار**». وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٦٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٧٣)، ومسلم في الأقضية (٥٩٣) (١٢)، عن المغيرة بن شعبة.

(٣) انظر كتابنا: فتاوى معاصرة (٦٥٤/١ ـ ٦٦٩)، فتوى مطولة عن أحكام التدخين، يلزم مراجعتها لمن أراد معرفة الموضوع بتوسع وتفصيل، نشر دار القلم، الكويت، ط ٩، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

QaradawiBooks.com

٢

في الملبس والزينة

أباح الإسلام للمسلم ـ بل طلب إليه ـ أن يكون حسن الهيئة، كريم المظهر، جميل الهندام، متمتِّعًا بما خلق الله من زينة وثياب ورِيَاش.

والغرض من الملبس في نظر الإسلام أمران: ستر العورة، والزينة. ولهذا امتنَّ الله على بني الإنسان عامَّة، بما هيَّأ لهم بتدبيره، من لباس ورياش، فقال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗا ﴾ [الأعراف: ٢٦].

فمن فرَّط في أحد هذين الأمرين: الستر أو التزين، فقد انحرف عن صراط الإسلام إلى سُبُل الشيطان. وهذا سرُّ النداءين اللذين وجَّههما الله إلى بني آدم ـ بعد النداء السابق ـ يحذِّرهم فيهما من العُرْي، وترك الزينة، اتِّباعًا لخطوات الشيطان. قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآ ﴾ [الأعراف: ٢٧]. وقال سبحانه: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ ﴾ [الأعراف: ٣١].

وقد أوجب الإسلام على المسلم أن يستر عورته، التي يستحيي الإنسان المتمدين بفطرته من كشفها، حتى يتميَّز عن الحيوان العاري؛ بل دعاه إلى هذا التستر، وإن كان منفردًا بعيدًا عن الناس، حتى يصير الاحتشام له دينًا وخُلُقًا.

غير مرخصة للطباعة
نسخة معاينة

عن بَهْز بن حكيم، عن أبيه، عن جده قال: قلتُ: يا رسول الله، عَوْراتُنا ما نأتي منها وما نذر؟ فقال: «**احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك**». قلت: يا رسول الله، فإذا كان القوم بعضهم في بعض؟ (أي في السفر ونحوه) قال: «**فإن استطعتَ ألا يراها أحد فلا يَرَيَنها**». فقلتُ: فإذا كان أحدنا خاليًا؟ (أي منفردًا) قال: «**فالله تبارك وتعالى أحق أن يُستحيا منه**»[(١)].

• دين النظافة والتجمُّل:

وقبل أن يُعنَى الإسلام بالزينة وحُسن الهيئة، وجَّهَ عنايةً أكبر إلى النظافة، فإنها الأساس لكلِّ زينة حسنة، وكل مظهر جميل.

وقد رُوي: «**النظافة تدعو إلى الإيمان، والإيمان مع صاحبه في الجنَّة**»[(٢)].

وحَثَّ ﷺ على نظافة الثياب، ونظافة الأبدان، ونظافة البيوت، ونظافة الطُّرق، وعُني بنظافة الأسنان، ونظافة الأيدي، ونظافة الرأس خاصة.

وليس هذا عجبًا في دين جعل الطهارة مِفتاحًا لأولى عباداته، وهي الصلاة؛ فلا تُقبل صلاة من مسلم حتى يكون بدنه نظيفًا، وثوبه نظيفًا، والمكان الذي يصلِّي فيه نظيفًا، وذلك غير النظافة المفروضة على

(١) رواه أحمد (٢٠٠٣٤)، وقال مخرجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الحمام (٤٠١٧)، والترمذي في الأدب (٢٧٩٤) وحسنه، وابن ماجه في النكاح (١٩٢٠)، وحسَّنه الألباني في غاية المرام (٧٠).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٧٣١١)، وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (٦٣٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢١٢): فيه إبراهيم بن حيان، قال ابن عدي: أحاديثه موضوعة. وحسنه السيوطي في الصغير (٣٢٦٧)، والمناوي في التيسير (٩٠٤/١)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (١٠٣/١): وقفه في الكبير على ابن مسعود بإسناد حسن، وهو الأشبه.

QaradawiBooks.com

الجسد كله، أو على الأجزاء المتعرِّضة للأتربة منه؛ المعروفة في الإسلام بالغسل والوضوء.

وإذا كانت البيئة العربية بما يكتنفها من بـــداوة وصحراء، قد تُغري أهلها أو الكثيرين منهم بإهمال شأن النظافة والتجمُّل، فإن النبي ﷺ ظلَّ يتعهدهم بتوجيهاته اليقظة، ونصائحه الواعية، حتى ارتقى بهم من البداوة إلى الحضارة، ومن البذاذة المُزْرية إلى التجمُّل المعتدل.

جاء رجل إلى النبي ﷺ ثائر الرأس واللحية، فأشـــار إليه الرســـول ـ كأنه يأمره بإصلاح شعره ـ ففعل، ثم رجع، فقال النبي ﷺ: «**أليس هذا خيرًا من أن يأتي أحدكم ثائرَ الرأس، كأنه شيطان**»[(١)].

ورأى النبي ﷺ رجلًا أشعث الرأس فقال: «**أما وجد هذا ما يُسَكِّن به شعره؟**». ورأى آخر عليه ثياب وَسِخة فقال: «**أما كان هذا يجد ما يغسل به ثوبه**»[(٢)].

وجاء إليه ﷺ رجلٌ وعليه ثوبٌ دُونٌ، فقال له: «**أَلَكَ مالٌ؟**» قال: نعم. قال: «**من أي المال؟**» قال: من كلِّ المال قد أعطاني الله تعالى. قال: «**فإذا آتاك الله مالًا، فليُرَ أثرُ نعمة الله عليك وكرامته**»[(٣)].

---

(١) رواه مالك في الشـــعر (٣٤٩٤) تحقيق الأعظمي، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٤٦٢)، وفي الآداب (٥٦١)، وقال: هذا مرســـل جيد. وضعَّفه الألباني في غاية المـــرام (٧٣)، وقال في الصحيحة (٤٩٣): سنده صحيح، ولكنه مرسل. عن عطاء بن يسار.

(٢) رواه أحمد (١٤٨٥٠)، وقال مخرِّجوه: إســـناده جيد. وأبو داود في اللباس (٤٠٦٢)، والنسائي في الزينة (٥٢٣٦)، والحاكم في اللباس (١٨٥/٤)، وصحَّحه على شـــرط الشـــيخين، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٧٤)، عن جابر.

(٣) رواه أحمد (١٥٨٨٧)، وقال مخرِّجوه: إســـناده صحيح على شرط مســـلم. وأبو داود في اللباس (٤٠٦٣)، والنسائي في الزينة (٥٢٢٤)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٧٥)، عن مالك الجشمي.

QaradawiBooks.com

وأكد الحث على النظافة والتجمُّل في مواطن الاجتماع، مثل الجمعة والعيدين فقال: «**ما على أحدكم إن وجد سَعَة أن يتخذ ثوبَيْن ليوم الجمعة، غير ثوبي مهنته**»(١).

• **الذهب والحرير الخالص حرام على الرجال:**

وإذا كان الإسلام قد أباح الزينة؛ بل طلبها، واستنكر تحريمها: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ**﴾ [الأعراف: ٣٢]؛ فإنه حرم على الرجال نوعين من الزينة، على حين أحلَّهما للإناث.

أولهما: التحلِّي بالذهب الخالص، أو الغالب.

ثانيهما: لُبس الحرير الخالص، أو الغالب.

فعن عليٍّ رضي الله عنه قال: أخذ النبي ﷺ حريرًا، فجعله في يمينه، وأخذ ذهبًا، فجعله في شماله، ثم قال: «**إن هذين حرام على ذكور أمتي**»(٢).

وعن عمر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا تلبسوا الحرير، فإن مَن لَبِسه في الدنيا لم يلبَسه في الآخِرة**»(٣).

وقال ﷺ في حلَّة من الحرير: «**إنما هذه لِباس من لا خلَّاق له**»(٤).

---

(١) رواه ابن ماجه في إقامة الصلاة (١٠٩٦)، وابن خزيمة في الجمعة (١٧٦٥)، وابن حِبَّان في الصلاة (٢٧٧٧)، وقال الأرناؤوط: صحيح بشواهده. وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٦٧)، عن عائشة.

(٢) رواه أحمد (٩٣٥)، وقال مخرِّجوه: صحيح لشواهده. وأبو داود في اللباس (٤٠٥٧)، والنسائي في الزينة (٥١٤٤)، وصحح إسناده النووي في رياض الصالحين (٨٠٦)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٧٧).

(٣) رواه البخاري (٥٨٣٤)، ومسلم (٢٠٦٩)، كلاهما في اللباس.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٥٨٤١)، ومسلم (٢٠٦٨)، كلاهما في اللباس، عن عمر.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ورأى خاتمًا من ذهب في يـد رجل، فنزعه وطرحـه وقال: «**يعمد أحدكم إلى جمرة من نار، فيجعلها في يـده**». فقيل للرجل بعدما ذهب رسـول الله ﷺ: خُذْ خاتمك انتفع به. قال: لا والله، لا آخذه، وقد طرحه رسول الله ﷺ[١].

وإنما قلنا: الخالص أو الغالب وَفقًا للقاعدة التي تقول: للأكثر حكم الكل.

ومثل الخاتم ما نراه عند المترفين من قلم الذهب، وسـاعة الذهب، وقداحة (ولاعة) الذهب، وعلبة الذهب للسجاير.. إلخ.

أما التختُّم بالفضة، فقد أباحه عليه الصلاة والسلام للرجـال. روى البخاري عن ابن عمر قال: اتَّخذ رسـول الله ﷺ خاتمًا من وَرِق (فضة) وكان في يده، ثم كان بعدُ في يـد أبي بكر، ثم كان بعدُ في يد عمـر، ثم كان بعدُ في يد عثمان، حتى وقع بعدُ في بئر أَرِيس[٢].

أما المعادن الأخرى كالحديد وغيره، فلم يرد نص صحيح يُحرِّمها؛ بل ورد في صحيح البخاري أن الرسول ﷺ قال للرجل الذي أراد تزوُّجَ المرأة الواهبة نفسـها: «**التمس ولـو خاتمًا من حديد**»[٣]. وبه اسـتدلَّ البخاري على حِلِّ خاتم الحديد.

ورُخِّصَ في لبس الحرير إذا كان لحاجة صحيَّة، فقد أذن عليه الصلاة والسلام بلُبسه لعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام رضي الله عنهما، لحِكَّة كانت بهما[٤].

---

(١) رواه مسلم في اللباس والزينة (٢٠٩٠)، عن ابن عباس.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٨٧٣)، ومسلم (٢٠٩١)، كلاهما في اللباس.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في اللباس (٥٨٧١)، ومسلم في النكاح (١٤٢٥)، عن سهل بن سعد.

(٤) سبق تخريجه صـ٧٨.

QaradawiBooks.com

• حكمة تحريمهما على الرجال:

وقد قصد الإسلام بتحريم هذين الأمرين على الرجال هدفًا تربويًّا وأخلاقيًّا نبيلًا؛ فإن الإسلام ـ وهو دين الجهاد والقوة ـ يحب أن يصون رجولة الرجل، من مظاهر الضعف والتكسُّر والانحلال. والرجل الذي ميَّزه الله بتركيب عضوي، غير تركيب المرأة، لا يليق به أن ينافس الغانيات في جر الذيول، والمباهاة بالحُلِيِّ والحُلَل.

ثم هناك هدف اجتماعي وراء هذا التحريم، فتحريم الذهب والحرير جزء من برنامج الإسلام في حربه للتَّرَف عامَّة، فالتَّرف في نظر القرآن قرينٌ للانحلال، الذي يُنذر بهلاك الأمم، وهو مظهر للظلم الاجتماعي، حيث تتخم القلَّة المُتْرفة على حساب أكثرية بائسة، وهو بعد ذلك عدوٌّ لكل رسالة حق وخير وإصلاح. والقرآن يقول: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦]. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [سبأ: ٣٤].

وتطبيقًا لروح القرآن حرَّم النبي ﷺ كلَّ مظاهر الترف في حياة المسلم، فكما حرَّم الذهب والحرير على الرجال، حرَّم على الرجال والنساء جميعًا استعمال أواني الذهب والفضة، كما سيأتي.

وبعد هذا وذاك، هناك اعتبار اقتصادي له وزنه كذلك، فإن الذهب هو الرصيد العالمي للنَّقْد، فلا ينبغي استعماله في مثل الأواني أو حُلِيِّ الرجال.

• حكمة الإباحة للنساء:

وإنما استثنى الإسلام النساء من هذا الحكم، مراعاةً لجانب المرأة، ومقتضى أنوثتها، وما فُطِرَت عليه من حب الزِّينة، على ألَّا يكون همُّها

QaradawiBooks.com

من زينتها إغراء الرجال الأجانب بها، وإثارة الشـــهوات. وفي الحديث: «**أيُّما امرأة اســـتعطرت، فمرَّت على قوم ليجدوا ريحها، فهي زانية وكل عين زانية**»(١).

وقال تعالى محذِّرًا للنســـاء: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

• **لباس المرأة المسلمة:**

وقد حرَّم الإســـلام على المرأة أن تلبس من الثيـــاب ما يصِف، وما يشـــفُّ عما تحته من الجســـد، ومثله ما يحدِّد أجزاء البـــدن، وبخاصَّة مواضع الفتنة منه، كالثَّدْيَين والخَصْر والرِّدْف، ونحوها.

وفي الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رســـول الله ﷺ: «**صِنْفان من أهل النار لم أرَهما: قومٌ معهم ســـياط كأذناب البقر، يضربون بها الناس** (إشـــارة إلى الحكام الظلمة أعداء الشعوب) **ونســـاء كاسيات عاريات، مُميلات مائلات، رؤوســـهن كأسْـــنِمَة البُخْت المائلة، لا يدخلْنَ الجنَّة ولا يجدن ريحَها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**»(٢).

وإنما جُعِلْنَ «كاسيات»؛ لأن الثياب عليهن، ومع هذا فهن «عاريات»؛ لأن ثيابهن لا تؤدي وظيفة الســـتر، لرقَّتِها وشفافيتها، فتصف ما تحتها، كأكثرِ ملابس النساء في هذا العصر.

---

(١) رواه أحمد (١٩٧١١)، وقال مخرجوه: إسناده جيد. وأبو داود في الترجل (٤١٧٣)، والترمذي في الأدب (٢٧٨٦)، وقال: حسن صحيح. والنسائي في الزينة (٥١٢٦)، وصححه الألباني في غاية المرام (٨٤)، عن أبي موسى الأشعري.

(٢) رواه مسلم في اللباس والزينة (٢١٢٨)، وأحمد (٨٦٦٥).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

والبُخْت: نوع من الإبل، عظام الأسنمة، شبَّه رؤوسَهنَّ بها، لمَّا رفعن من ضفائر شعورهن على أوساط رؤوسهن[١]، وكأنه ﷺ كان ينظر من وراء الغيب إلى هذا الزمان، الذي أصبح فيه لتصفيف شعور النساء وتجميلها وتنويع أشكالها محلَّات خاصة (كوافير) يُشرف عليها غالبًا رجال يتقاضَوْن على عملهم أبهظ الأجور، وليس ذلك فحسْب، فكثير من النساء لا يكتفين بما وهبهن الله من شعر طبيعي، فيلجأن إلى شراء شعر صناعي تصلُه المرأة بشعرها، ليبدو أكثر نعومة ولمعانًا وجمالًا، ولتكون هي أكثر جاذبية وإغراء.

والعجيب في أمر هذا الحديث، أنه ربط بين الاستبداد السياسي والانحلال الخلقي، وهذا ما يُصَدِّقه الواقع، فإن المستبدِّين يشغلون الشعوب عادة، بما يقوِّي الشهوات، ويُلهي الناس بالمتاع الشخصي عن مراقبة القضايا العامَّة.

• تشبُّه المرأة بالرجل والرجل بالمرأة:

وأعلن النبي ﷺ أن من المحظور على المرأة أن تلبس لبسة الرجل، ومن المحظور على الرجل أن يلبس لبسة المرأة[٢]. ولعن المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال[٣]. ويدخل في ذلك التشبه في الكلام والحركة، والمِشية واللبس وغيرها.

إن شرَّ ما تُصاب به الحياة، وتُبتلى به الجماعة، هو الخروج على

---

(١) تفسير القرطبي (٣١١/١٢).

(٢) رواه أحمد (٨٣٠٩)، وقال مخرِّجوه: صحيح على شرط مسلم. وأبو داود في اللباس (٤٠٩٨)، وابن ماجه في النكاح (١٩٠٣)، وفي الزوائد: إسناده حسن. والنسائي في الكبرى في عِشْرة النساء (٩٢٠٩)، وصحح إسناده النووي في رياض الصالحين (١٦٣٢)، وصححه الألباني في غاية المرام (٨٦)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه البخاري في اللباس (٥٨٨٥)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

الفطرة، والفسوق عن أمر الطبيعة، والطبيعة فيها رجل وفيها امرأة، ولكل منهما خصائصه، فإذا تخنَّث الرجل، وترجَّلت المرأة، فذلك هو الاضطراب والانحلال.

ومن أجل ذلك نهى النبي ﷺ الرجال عن لُبْس المعصفر من الثياب، وهو الأحمر. وروى مسلم في «صحيحه» عن عليٍّ قال: نهاني رسول الله ﷺ عن التختُّم بالذهب، وعن لباس القَسِّي (نوع من الكَتَّان مع الحرير) وعن لباس المُعَصْفر[١].

وروي أيضًا عن عبد الله بن عمرو قال: رأى رسول الله ﷺ عليَّ ثوبين مُعصفرين، فقال: «**إن هذه من ثياب الكفار، فلا تَلْبَسها**»[٢].

• ثياب الشُّهرة والاختيال:

والضابط العام للتمتُّع بالطيبات كلِّها، من مأكل أو مشرب أو ملبس: ألَّا يكون في تناولها إسرافٌ ولا اختيال.

والإسراف: هو مجاوزة الحد في التمتُّع بالحلال. والاختيال أمرٌ يتصل بالنية والقلب أكثر من اتصاله بالظاهر، فهو قصد المباهاة، والتعاظم والافتخار على الناس، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٣].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**من جرَّ ثوبه خيلاءَ لم ينظر الله إليه يوم القيامة**»[٣].

ولكي يتجنب المسلم مظِنَّة الاختيال، نهى النبي عن ثياب «الشهرة» التي من شأنها أن تثير الفخر والمكاثرة والمباهاة بين الناس بالمظاهر

(١) رواه مسلم في اللباس والزينة (٢٠٧٨)، وأحمد (٨٣١).
(٢) رواه مسلم في اللباس والزينة (٢٠٧٧)، وأحمد (٦٥١٣).
(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٥٧٨٤)، ومسلم (٢٠٨٥)، كلاهما في اللباس، عن ابن عمر.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الفارغة. وفي الحديث: «**من لبس ثوب شُـهرة في الدنيا، ألبسه الله ثوب مَذَلَّة يوم القيامة، ثم ألهب فيه نارًا**»[١].

وقد سأل رجل ابن عمر: ماذا ألبس من الثياب؟ فقال: ما لا يزدريك فيه السفهاء (يعني لتفاهته وسوء منظره) ولا يعيبك به الحكماء[٢] (يعني لتجاوزه حد الاعتدال).

• الغلوُّ في الزينة بتغيير خلق الله:

وقد رفض الإسلام الغلوَّ في الزينة، إلى الحد الذي يفضي إلى تغيير خلق الله، الذي اعتبره القرآن من وحي الشـيطان، الذي قال عن أتباعه: ﴿وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ﴾ [النساء: ١١٩].

• تحريم الوشم وتحديد الأسنان وجراحات التجميل:

ومن ذلك وشْـم الأبدان، ووشْـر الأسـنان، وقد لعن الرسول ﷺ الواشمة والمستوشمة، والواشرة والمستوشِرة[٣].

أما الوشـم، ففيه تشـويهٌ للوجه واليدين، بهذا اللون الأزرق والنقش القبيح، وقد أفرط بعض العرب فيه ـ وبخاصَّة النسـاء ـ فنقشـوا به معظم البدن. هذا إلى أن بعض أهل الملل كانـوا يتَّخذون منه صورًا لمعبوداتهم وشعائرهم، كما نرى النصارى يرسمون به الصليب على أيديهم وصدورهم.

---

(١) رواه أحمد (٥٦٦٤)، وقال مخرجوه: حسن. وأبو داود (٤٠٢٩)، وابن ماجه (٣٦٠٧)، كلاهما في اللباس، وصححه الألباني في غاية المرام (٩١)، عن ابن عمر.

(٢) رواه الطبرانـي (٢٦٢/١٢)، وقال المنـذري في الترغيب والترهيـب (٣١٧٢): ورجاله رجال الصحيح. وكذا الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٦٠٤)، وحسَّنه الألباني في غاية المرام (٩٢).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٥٩٤٠)، ومسلم (٢١٢٤)، كلاهما في اللباس، دون قوله: «الواشرة والمستوشرة». عن ابن عمر. وجاء لفظ: «الواشرة» في مسند أحمد (٣٩٤٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي. وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٩٣)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

أضف إلى هذه المفاسد ما فيه من ألم وعذاب، بوخْز الإبَر في بدن الموشوم.

كل ذلك جلب اللعنة على من تعمل هذا الشيء (الواشمة) ومن تطلب ذلك لنفسها (المستوشمة).

وأما وشْر الأسنان، أي تحديدها وتقصيرها، فقد لعن الرسول ﷺ المرأة التي تقوم بهذا العمل (الواشرة)، والمرأة التي تطلب أن يُعمل ذلك بها (المستوشِرة). ولو فعل رجل ذلك، لاستحقَّ اللعنة من باب أَوْلى.

وكما حرَّم الرسول وشْر الأسنان حرَّم التفلُّج، ولعن المتفلِّجات للحسن، المغيِّرات خلقَ الله[1].

والمتفلِّجة هي التي تصنع الفَلَج أو تطلبه. والفَلَج: انفراج ما بين الأسنان، ومن النساء من يخلقها الله كذلك، ومنهن من ليست كذلك، فتلجأ إلى برْد ما بين الأسنان المتلاصقة خِلقةً، لتصير متفلِّجة صناعةً، وهو تدليس على الناس، وغلوٌّ في التزيُّن تأباه طبيعة الإسلام.

وبهذه الأحاديث الصحيحة نعرف الحكم الشرعي، فيما يُعرف اليوم باسم «جراحات التجميل» التي روَّجتها حضارة الجسد والشهوات ـ أعني الحضارة الغربية المادية المعاصرة ـ فترى المرأة أو الرجل، ينفق الآلاف وعشرات الآلاف، لكي تُعدِّل شكل أنفها، أو ثدييها أو غير ذلك. فكل هذا يدخل فيمن لعن الله ورسوله، لما فيه من تعذيب للإنسان، وتغيير لخلقة الله، بغير ضرورة تُلجئ لمثل هذا العمل، إلا أن يكون الإسراف في العناية بالمظهر، والاهتمام بالصورة لا بالحقيقة، وبالجسد لا بالرُّوح.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٩٣١)، ومسلم (٢١٢٥)، كلاهما في اللباس، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

«أما إذا كان في الإنسان عيب شاذٌّ يلفت النظر، كالزوائد التي تسبب له ألمًا حسيًّا أو نفسانيًّا، كلما حَلَّ بمجلس، أو نزل بمكان، فلا بأس أن يُعالجه، ما دام يبغي إزالة الحرج الذي يلقاه، وينغصُّ عليه حياته، فإن الله لم يجعل علينا في الدين من حرج»[١].

ولعلَّ ممَّا يؤيِّد ذلك أن الحديث لعن المتفلِّجات للحسن، فيفهم منه أن المذمومة من فعلت ذلك، لا لغرض إلا لطلب الحُسن والجمال الكاذب، فلو احتاجت إليه لإزالة ألم أو ضرر، لم يكن في ذلك بأس. والله أعلم.

- **ترقيق الحواجب:**

من الغلوِّ في الزينة التي يحرِّمها الإسلام النَّمْص، والمراد إزالة شعر الحاجبين لترفيعهما أو تسويتهما، وقد لعن رسول الله ﷺ النامصة والمتنمِّصة[٢]. والنامصة: التي تفعله. والمتنمِّصة: التي تطلبه.

وتتأكد حرمة النمص إذا كان شعارًا للخليعات من النساء أو لغير المسلمات.

قال بعض علماء الحنابلة: ويجوز الحفُّ (يقال: حفت المرأة وجهها: أي زيَّنته بإزالة شعره) والتحمير والنقش والتطريف[٣] إذا كان بإذن الزوج؛ لأنه من الزينة[٤].

---

(١) الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة للأستاذ البهي الخولي صـ ١٧٩، نشر دار القلم، الكويت، ط ٣.

(٢) رواه أبو داود في الترجل (٤١٧٠)، وابن حبان في الزينة والتطيُّب (٥٥٠٤)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح. وصحَّحه الألباني غاية المرام (٩٥)، عن ابن عباس.

(٣) طَرَّفَتِ المرأة بنانها تَطْرِيفًا: خضبت.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (٣٧٨/١٠)، تحقيق محب الدين الخطيب، نشر دار المعرفة ـ بيروت، ١٣٧٩هـ.

QaradawiBooks.com

وشدَّد النووي، فلم يُجِز الحفَّ، واعتبره من النمص المحرَّم[١]. ويرد عليه ما ذكره أبو داود في السنن: أن النامصة هي التي تنقش الحاجب حتى تُرقَّه[٢]. فلم يدخل فيه حفُّ الوجه وإزالة ما فيه من شعر.

ورُوي عن امرأة أبي إسحاق: أنها دخلت على عائشة، وكانت شابّة يُعجبها الجمال، فقالت: المرأة تُحِفُّ جبينها لزوجها؟ فقالت: أميطي عنك الأذى ما استطعت[٣].

• **وصل الشعر:**

ومن المحظور في زينة المرأة كذلك، أن تصل شعرها بشعر آخر، سواء أكان شعرًا حقيقيًّا أم صناعيًّا، كالذي يُسمَّى الآن «الباروكة».

فقد روى البخاري وغيره عن عائشة وأختها أسماء[٤] وابن مسعود[٥] وابن عمر[٦] وأبي هريرة، أن رسول الله ﷺ لعن الواصلة والمستوصلة[٧].

والواصلة: هي التي تقوم بوصل الشعر لنفسها أو لغيرها، والمستوصلة: التي تطلب ذلك.

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (١٠٦/١٤)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ.

(٢) ذكره أبو داود في الترجل عقب حديث (٤١٧٠).

(٣) رواه عبد الرزاق في الصلاة (٥١٠٤)، وابن الجعد (٤٥١)، وضعَّفه الألباني في غاية المرام (٩٦).

(٤) سنذكر نص حديثهما قريبًا.

(٥) رواه البخاري في التفسير (٤٨٨٧).

(٦) متفق عليه: رواه البخاري (٥٩٣٧)، ومسلم (٢١٢٤)، كلاهما في اللباس.

(٧) رواه البخاري في اللباس (٥٩٣٣).

QaradawiBooks.com

ودخول الرجل في هذا التحريم من باب أَوْلى، سواء أكان واصلًا، كالذي يسمُّونه «كوافير» أو مستوصِلًا، كالمخنَّثين من الشباب كالذي يسمُّونهم «الخنافس».

ولقد شدَّد النبي ﷺ في محاربة هذا النوع من التدليس، حتى إنه لم يُجزْ لمن تساقط شعرها نتيجة المرض أن يوصل به شعرٌ آخر، ولو كانت عروسًا ستُزفُّ إلى زوجها.

روى البخاري عن عائشة، أن جارية من الأنصار تزوَّجت، وأنها مرضت، فتمعَّط شعرُها، فأرادوا أن يُصَلُّوها، فسألوا النبي ﷺ، فقال: «**لعن الله الواصلة والمستوصلة**»[١].

وعن أسماء قالت: سألت امرأةٌ النبيَّ ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إن ابنتي أصابتها الحصبة، فامَّرَقَ شعرُها، وإني زوَّجتُها، أفأصل فيه؟ فقال: «**لعن الله الواصلة والمستوصِلة**»[٢].

وعن سعيد بن المسيّب قال: قدم معاوية المدينة آخر قَدْمة قَدِمها، فخطبنا، فأخرج كُبَّة من شعر. قال: ما كنتُ أرى أحدًا يفعل هذا غير اليهود، إن النبي ﷺ سماه الزور[٣]. يعني الواصلة في الشعر.

وفي رواية أنه قال لأهل المدينة: أين علماؤكم؟ سمعتُ رسول الله ﷺ ينهى عن مثل هذه، ويقول: «**إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتَّخذ هذه نساؤهم**»[٤].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٩٣٤)، ومسلم (٢١٢٣)، كلاهما في اللباس.
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٩٤١)، ومسلم (٢١٢٢)، كلاهما في اللباس.
(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٥٩٣٨)، ومسلم (٢١٢٧)، كلاهما في اللباس.
(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٥٩٣٢)، ومسلم (٢١٢٧)، كلاهما في اللباس.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وتسميةُ الرسول ﷺ هذا العمل «زُورًا» يومئ إلى حكمة تحريمه، فهو ضرب من الغش والتزييف والتمويه، والإسلام يكره الغش، ويبرأ من الغاشّ في كل معاملة، مادية كانت أو معنوية: «**مَنْ غشَّنا فليس منا**»[١].

قال الخطَّابي: إنما ورد الوعيد الشديد في هذه الأشياء، لما فيها من الغش والخداع، ولو رخّص في شيء منها، لكان وسيلة إلى استجازة غيرها من أنواع الغش، ولما فيها من تغيير الخِلْقة، وإلى ذلك الإشارة في حديث ابن مسعود بقوله: «المغيِّرات خلق الله»[٢][٣].

والذي دلَّت عليه الأحاديث إنما هو وصْل الشعر بالشعر، طبيعيًّا كان أو صناعيًّا، فهو الذي يحمل معنى التزوير والتدليس، فأمَّا إذا وصلت شعرها بغير الشعر من خرقة أو خيوط ونحوها، فلا يدخل في النهي.

وفي هذا جاء عن سعيد بن جبير قال: لا بأس بالقَرَامل[٤]. والمراد به هنا: خيوط من حرير أو من صوف، تُعمل ضفائر، تصل به المرأة شعرها، وبجوازها قال الإمام أحمد.

• صبغ الشّيب:

ومما يتعلَّق بموضوع الزينة: صبغ الشَّيْب في الرأس أو اللحية، فقد ورد أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى يمتنعون عن صبغ الشيب وتغييره، ظنًّا منهم أن التجمُّل والتزين ينافي التعبُّد والتدين، كما هو شأن

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٠١)، عن أبي هريرة.
(٢) سبق تخريجه صـ١٢١.
(٣) فتح الباري (٣٨٠/١٠).
(٤) رواه أبو داود في الترجل (٤١٧١)، وذكر أنه مذهب أحمد، وصحَّح الحافظ إسناده كما في الفتح (٣٧٥/١٠)، وضعَّفه الألباني في غاية المرام (١٠٣).

QaradawiBooks.com

الرُّهبان والمتزهدين المغالين في الدين، ولكن الرسول ﷺ نهى عن تقليد القوم، واتباع طريقتهم، لتكون للمسلمين دائمًا شخصيتهم المتميزة المستقلَّة في المظهر والمخبر.

روى البخاري، عن أبي هريرة، أنه ﷺ قال: «**إن اليهود والنصارى لا يصبغون، فخالفوهم**»[١]. وهذا الأمر للاستحباب، كما يدل عليه فعل الصحابة، فقد صبغ بعضُهم كأبي بكر وعمر، وترك بعضهم، مثل عليٍّ وأُبيِّ بن كعب وأنس[٢].

ولكن بأي شيء يكون الصبغ؟ أيكون بالسواد وغيره من الألوان، أم يُجتنب السواد؟

أما الشيخ الكبير الذي عم الشَّيْب رأسه ولحيته، فلا يليق به أن يصبغ بالسواد بعد أن بلغ من الكِبَر عتيًّا. ولهذا حين جاء أبو بكر الصديق بأبيه أبي قُحافة، يوم فتح مكة يحمله، حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ، ورأى رأسه كأنه الثَّغامة بياضًا قال: «**غيِّروا هذا** ـ أي الشَّيْب ـ **وجنِّبوه السواد**»[٣]. والثَّغامة: نبات شديد البياض، زهره وثمره.

وأما من لم يكن في مثل حال أبي قُحافة وسنِّه، فلا إثم عليه إذا صبغ بالسواد، وفي هذا قال الزهري: كنا نخضب بالسواد إذا كان الوجه جديدًا، فلما نَغَضَ الوجهُ والأسنان تركناه[٤]. ولكن المشكلة أن من تعوَّد الصبغ لا يتركه وإن كبِرت سنُّه.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٨٩٩)، ومسلم (٢١٠٣)، كلاهما في اللباس.

(٢) فتح الباري (٣٥٥/١٠).

(٣) رواه مسلم في اللباس والزينة (٢١٠٢)، عن جابر بن عبد الله.

(٤) رواه ابن أبي عاصم في كتاب الخضاب، كما ذكر الحافظ في الفتح (٣٥٥/١٠)، وضعفه الألباني في غاية المرام (١٠٦).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقد رخَّص في الصبغ بالسواد طائفة من السلف، منهم من الصحابة: سعد بن أبي وقاص، وعقبة بن عامر، والحسن، والحسين، وجرير وغيرهم.

ومن العلماء من لم يرخص فيه إلا في الجهاد، لإرهاب الأعداء، إذا رأوا جنود الإسلام كلَّهم في مظهر الشباب[١].

وفي الحديث الذي رواه أبو ذر: «**إن أحسن ما غيَّرتم به الشَّيْب الحِنَّاء والكَتَم**[٢]»[٣].

ورُوِيَ من حديث أنس قال: اختضب أبو بكر بالحناء والكتم واختضب عمر بالحناء بَحْتًا[٤].

• **إعفاء اللِّحَى:**

ومما يتصلُّ بموضوعنا إعفاء اللِّحى. فقد روى فيه البخاري عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «**خالفوا المشركين، وفِّروا اللِّحَى، وأحفوا الشوارب**»[٥]. وتوفيرها هو إعفاؤها كما في رواية أخرى، أي تركها وإبقاؤها.

وقد بيَّن الحديث علة هذا الأمر، وهو مخالفة المشركين، والمراد بهم المجوس عُبَّاد النار، فقد كانوا يقصُّون لحاهم، ومنهم من كان

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٤٩/٣).

(٢) الكتم: نبات باليمن يُخرج الصبغ أسود يميل إلى الحُمرة، أما صبغ الحناء فأحمر.

(٣) رواه أحمد (٢١٣٠٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الترجل (٤٢٠٥)، والترمذي في اللباس (١٧٥٣)، وقال: حسن صحيح. والنسائي في الزينة (٥٠٧٨)، وابن ماجه في اللباس (٣٦٢٢)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (١٠٧).

(٤) رواه مسلم في الفضائل (٢٣٤١).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري في اللباس (٥٨٩٢)، ومسلم في الطهارة (٢٥٩)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

يحلقها. وإنما أمر الرسول بمخالفتهم، ليربِّي المسلمين على استقلال الشخصية، والتميُّز في المعنى والصورة، والمَخْبَر والمظهر، فضلًا عمَّا في حلق اللحية من تمرُّد على الفطرة، وتشبُّه بالنساء، إذ اللحية من تمام الرجولة، ودلائلها المميزة.

وليس المراد بإعفائها ألَّا يأخذ منها شيئًا أصلًا، فذلك قد يؤدِّي إلى طولها طولًا فاحشًا، يتأذَّى به صاحبها، بل يأخذ من طولها وعَرْضها، كما كان يفعل بعض السلف، «قال عِيَاض: يُكره حلق اللحية وقصِّها وتحذيفها ـ أي تقصيرها وتسويتها ـ وأما الأخذ من طولها وعرضها إذا عظمت فحسن...

وقال أبو شامة: وقد حدث قوم يحلقون لحاهم، وهو أشد ممَّا نُقل عن المجوس أنهم كانوا يقصُّونها»[(١)].

أقول: بل أصبح الجمهور الأعظم من المسلمين للأسف يحلقون لحاهم، تقليدًا لأعداء دينهم، ومستعمري بلادهم من النصارى واليهود، كما يُولع المغلوب دائمًا بتقليد الغالب، غافلين عن أمر الرسول بمخالفة الكُفَّار، ونهيه عن التشبُّه بهم، فإن «**من تشبه بقومٍ فهو منهم**»[(٢)].

نصَّ كثير من الفقهاء على تحريم حلق اللحية، مستدلِّين بأمر الرسول بإعفائها. والأصل في الأمر الوجوب، وبخاصة أنه علَّل بمخالفة الكفَّار، ومخالفتهم واجبة. ولم يُنقل عن أحد من السلف أنه ترك هذا الواجب قط.

(١) فتح الباري (٣٥٠/١٠).

(٢) رواه أحمد (٥١١٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في اللباس (٤٠٣١)، وحسَّنه السيوطي في الصغير (٨٥٩٣)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (١٠٩)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

وبعض علماء العصر يُبيحون حلقها تأثُّرًا بالواقع، وإذعانًا لما عمَّت به البلوى، ولكنهم يقولون: إن إعفاء اللحية من الأفعال العاديَّة للرسول، وليست من أمور الشرع التي يُتعبد بها.

والحق أن إعفاء اللحية لم يثبت بفعل الرسول وحدَه، بل بأمره الصريح المعلَّل بمخالفة الكفار، وقد قرر شيخ الإسلام ابن تيمية بحق أن مخالفتهم أمر مقصود للشارع، والمشابهة في الظاهر تورث مودَّة ومحبَّة وموالاة في الباطن، كما أن المحبَّة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر، وهذا أمر يشهد به الحسُّ والتجربة.

قال: «وقد دل الكتاب والسُّنَّة والإجماع على الأمر بمخالفة الكفار والنهي عن مشابهتهم في الجملة، وما كان مَظِنَّة لفسادٍ خفيٍّ غير منضبط علَّق الحُكم به، ودار التحريم عليه، فمشابهتهم في الظاهر سبب لمشابهتهم في الأخلاق والأفعال المذمومة، بل في نفس الاعتقادات، وتأثير ذلك لا ينضبط، ونفس الفساد الحاصل من المشابهة قد لا يظهر، وقد يتعسَّر أو يتعذَّر زواله، وكل ما كان سببًا إلى الفساد فالشارع يحرمه»[1] اهـ.

وبهذا نرى أن في حلق اللحية ثلاثة أقوال:

ـ قول بالتحريم، وهو الذي ذكره ابن تيمية وغيره.

ـ وقول بالكراهة، وهو الذي ذُكِرَ في «الفتح» عن عياض، ولم يذكر غيره.

ـ وقول بالإباحة، وهو الذي يقول به بعض علماء العصر.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٥٤٨/١)، تحقيق ناصر عبد الكريم العقل، نشر دار عالم الكتب، بيروت، ط ٧، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

ولعل أوسطها أقربها وأعدلها القول بالكراهة، فإن الأمر لا يدل على الوجوب جزمًا وإن عُلِّل بمخالفة الكفار، وأقرب مَثَل على ذلك هو الأمر بصَبْغ الشَّيْب، مخالفةً لليهود والنصارى، فإن بعض الصحابة لم يصبغوا، فدلَّ على أن الأمر عندهم للاستحباب.

ومن المهم هنا: أن نذكر أن بعض الأصوليين ـ كما في «البحر المحيط» للزركشي ـ قد بين الأمر إذا جاء في القرآن والأمر إذا جاء في السنة، فاعتبر الأمر القرآني للوجوب إلا بقرينة مانعة، والأمر في السنة للاستحباب إلا بقرينة تدلُّ على غيره، وهو ما استظهرناه، ولنا عليه أدلة وفيرة من أحاديث الرسول الكريم ﷺ وسننه، وعبَّر عن ذلك العلامة الشنقيطي في «مراقي السعود» قائلًا:

و(افعلْ): لدى الأكثر للوجوب وقيل: للندب أو المطلوب
وقيل: للوجوب أمر ربي وأمر من أرسله للندب

وهذا غير ما جاء من الأوامر النبوية موافقًا لأمرٍ قرآني، أو مبيِّنًا لمُجمَل فيه، حُكي هذا عن أبي بكر الأَبْهَري (ت٣٧٥هـ) من المالكية، وكان يستدلُّ له بأن المسلمين فرَّقوا بين السُّنَن والفرائض، فأضافوا السنن إلى الرسول، وأضافوا الفرائض إلى الله تعالى.

صحيح أنه لم يُنقل عن أحد من السلف حلق اللحية، ولعلَّ ذلك لأنه لم تكن بهم حاجة لحلقها، وهي عادتهم.

QaradawiBooks.com

٣

في البيت

المسكن أو البيت هو الذي يُكِنُّ المرء من عوادي الطبيعة، ويشعر فيه بالخصوصية والحرية من كثير من قيود المجتمع، فيستريح فيه الجسد، وتسكن إليه النفس، ولذا قال الله تعالى في مَعْرِض الامتنان على عباده: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا﴾ [النحل: ٨٠].

وكان النبيُّ ﷺ يحب سَعَة الدار، ويعد ذلك من عناصر السعادة الدنيوية فيقول: «**أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمَرْكب الهنيء**»(١).

وكان يدعو كثيرًا بهذه الدعوات: «**اللهم اغفر لي ذنبي، ووسِّع لي في داري، وبارك لي في رزقي**» فقيل له: ما أكثر ما تدعو بهذه الدعوات يا رسول الله، فقال: «**وهل تركن من شيء؟!**»(٢).

كما حثَّ عليه الصلاة والسلام على نظافة البيوت لتكون مظهرًا من مظاهر الإسلام،

(١) رواه ابن حبان في النكاح (٤٠٣٢)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري. والبيهقي في شعب الإيمان (٩٥٥٦)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (١١١)، عن سعد بن أبي وقاص.

(٢) رواه النسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (٩٨٢٨)، وحسنه مخرجو المسند في هامش حديث (١٦٥٩٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٢٦٥)، وضعفه في غاية المرام (١١٢)، عن أبي موسى الأشعري.

QaradawiBooks.com

دين النظافة، وعنوانًا يتميَّز به المسلم عن غيره، ممن جعل رهبانهم القذارة من وسائل القُربة إلى الله. قال ﷺ: «**طهِّروا أفنيتكم، فإن اليهود لا تطهِّر أفنيتها**»(١).

• مظاهر الترف والوثنية:

ولا حرج على المسلم أن يجمل بيته بألوان الزهور الطبيعية، وأنواع النقْش والزينة الحلال: ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ** ﴾ [الأعراف: ٣٢].

نعم، لا حرج على المسلم في أن يعشق الجمال في بيته، وفي ثوبه ونعله، وكلِّ ما يتصلُّ به. وقد قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذَرَّة من كِبْر**». فقال رجل: إن الرجل يحبُّ أن يكون ثوبه حسنًا، ونعله حسنة. فقال: «**إن الله جميلٌ يحبُّ الجمال**»(٢).

وفي رواية: أن رجلًا جميلًا أتى النبي ﷺ، فقال: إني أحبُّ الجمال، وقد أعطيتُ منه ما ترى، حتى ما أحبُّ أن يفوقني أحد بشِرَاك نَعْل، أفمن الكِبْر ذلك يا رسول الله؟ قال: «**لا، ولكن الكِبْر بَطَرُ الحقِّ وغمْط الناس**»(٣).

---

(١) رواه الترمذي في الأدب (٢٧٩٩)، وقال: غريب. والطبراني في الأوسط (٤٠٥٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٨٣): رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح خلا شيخ الطبراني. وضعفه الألباني في غاية المرام (١١٣)، وحسَّنه في الصحيحة (٢٣٦)، عن سعد بن أبي وقاص.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٩١)، عن ابن مسعود.

(٣) رواه أبو داود في اللباس (٤٠٩٢)، وابن حبان في الزينة والتطيب (٥٤٦٧)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين. والحاكم في اللباس (١٨١/٤)، وصحح إسناده، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (١١٥)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

• آنية الذهب والفِضَّة:

بَيْدَ أن الإسلام يكره الغلوَّ في كل شيء، والنبي صلوات الله عليه لم يرضَ للمسلم أن يشتمل بيته على مظاهر الترف والسرف، التي نعى عليها القرآن، أو مظاهر الوثنية التي حاربها دين التوحيد بكل سلاح.

من أجل ذلك حرَّم الإسلام اتخاذ أواني الذهب والفضة، ومفارش الحرير الخالص في البيت المسلم، وتهدَّد النبيُّ ﷺ من ينحرف عن هذا الطريق بالوعيد الشديد. روى مسلم في صحيحه عن أم سلمة رضي الله عنها: «**إن الذي يأكل ويشرب في آنية الذهب والفضَّة، إنما يُجرجر في بطنه نار جهنم**»[(١)].

وروى البخاري عن حذيفة قال: نهانا رسول الله ﷺ أن نشرب في آنية الذهب والفضة، وأن نأكل فيها، وعن لُبس الحرير والدِّيباج، وأن نجلس عليه، وقال: «**هو لهم** (أي للكفار) **في الدنيا، ولنا في الآخرة**»[(٢)].

وما حرم استعمالُه حرم اتخاذُه تُحفةً وزينة.

وهذا التحريم للأواني والمفارش ونحوها تحريم على الرجال والنساء جميعًا، فإن حكمة التشريع هنا هو تطهير البيت نفسِه من موادِّ الترف الممقوت.

وما أروعَ ما قاله ابن قدامة: «يستوي في ذلك الرجال والنساء، لعموم الحديث، ولأن علَّة تحريمها السَّرَف والخُيَلاء وكسر قلوب الفقراء، وهذا معنى يشمل الفريقين.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأشربة (٥٦٣٤)، ومسلم في اللباس والزينة (٢٠٦٥)، عن أم سلمة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأطعمة (٥٤٢٦)، ومسلم في اللباس والزينة (٢٠٦٧).

QaradawiBooks.com

وإنما أبيح للنساء التحلِّي للحاجة إلى التزيُّن للأزواج، فتختصُّ الإباحة به دون غيره.

فإن قيل: لو كانت العلَّة ما ذكرتم لحرمت آنيةُ الياقوت ونحوه مما هو أرفع من الأثمان «الذهب والفضة»؛ قلنا: تلك لا يعرفها الفقراء، فلا تنكسر قلوبهم باتخاذ الأغنياء لها بعد معرفتهم بها، ولأن قلَّتها في نفسها تمنع اتخاذها، فيُستغنَى بذلك عن تحريمها بخلاف الأثمان»[1]!

على أن الاعتبار الاقتصادي الذي أشرنا إليه في حكمة تحريم الذهب على الرجال أشدُّ وضوحًا هنا، وأكثر بروزًا. فإن الذهب والفضة هما الرصيد العالمي للنقود، التي جعلها الله معيارًا لقيمة الأموال، وحاكمًا يتوسط بينها بالعدل، وييسر تبادلها للناس. وقد هدى الله الناس إلى استعمالها نعمة منه عليهم، ليتداولوها بينهم، لا ليحبسوها في بيوتهم في صورة نقود مكنوزة، أو يعطِّلوها في شكل أوانٍ وأدوات للزينة.

وما أجمل ما قال الإمام الغزالي في هذا المعنى في كتاب «الشكر» من «الإحياء»: «كلُّ مَنْ اتَّخذ من الدراهم والدنانير آنيةً من ذهب أو فضة، فقد كَفَر النعمة، وكان أسوأ حالًا ممن كنز؛ لأن مثال هذا مثال من استسخر حاكم البلد في الحياكة والكَنْس، والأعمال التي يقوم بها أخِسَّاء الناس، والحبْس أهونُ منه، وذلك أن الخَزَف والحديد والرَّصاص والنُّحَاس، تنوب مَناب الذهب والفضة في حفظ المائعات أن تتبدَّد، وإنما الأواني لحفظ المائعات، ولا يكفي الخزف والحديد في المقصود الذي أُريد به النقود. فمَن لم ينكشف له هذا (يعني بالتفكير والمعرفة)

(١) المغني لابن قدامة (١٧٤/٩)، نشر مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

QaradawiBooks.com

انكشـــف له بالترجمة الإلهية، وقيل له: «**مَن شرب في آنية من ذهب أو فضة فكأنما يُجرجر في بطنه نار جهنم**»[١].

ولا يظن ظانٌّ أن في هذا التحريم تضييقًا على المسلم في بيته، فإن في الحـــلال الطيِّب مندوحةٌ وسَـــعَة، وما أجمل الأواني من القِيشـــاني والزُّجاج والخَزَف والنحاس وسائر المعادن الكثيرة! وما أجمل المفارش والوسائد من القطن والكَتَّان وغيرهما من المواد!

• **الإسلام يحرِّم التماثيل:**

وحرَّم الإسلام في البيت الإسلامي أن يشتمل على التماثيل، وأعني بها الصور المجسَّمة غير الممتهَنة، وجعل وجود هذه التماثيل في بيتٍ ســـببًا في أن تفرَّ عنه الملائكة، وهم مظهر رحمة الله تعالى ورضاه. قال رسول الله ﷺ: «**إن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه تماثيل أو تصاوير**»[٢].

قال القرطبي في «المُفهم»: «إنما لم تدخل الملائكة البيت الذي فيه الصورة؛ لأن متَّخذها قد تشبَّه بالكُفَّار؛ لأنهم يتَّخذون الصور في بيوتهم ويعظِّمونها، فكرهت الملائكة ذلك، فلم تدخل بيته هَجْرًا له»[٣].

وحرَّم الإســـلام على المسلم أن يشـــتغل بصناعة التماثيل، وإن كان يعملها لغير مســـلمين، قال ﷺ: «**إن من أشـــدِّ الناس عذابًا يوم القيامة الذين يصوِّرون هذه الصُّوَر**»[٤].

(١) إحياء علوم الدين (٩٢/٤)، نشر دار المعرفة، بيروت.
(٢) رواه مسلم في اللباس والزينة (٢١١٢)، عن أبي هريرة.
(٣) كما في فتح الباري (٣٩١/١٠، ٣٩٢).
(٤) رواه البخاري في الأدب (٦١٠٩)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

وفي رواية: «**الذين يُضاهون بخلق الله**»[١].

وأخبر ﷺ أن «**مَن صَوَّر صورة كُلِّف يوم القيامة أن ينفخ فيها الرُّوح، وليس بنافخ فيها أبدًا**»[٢]. ومعنى هذا أنه يطلب إليه أن يجعل فيها حياة حقيقية. وهذا التكليف إنما هو للتعجيز والتقريع.

• الحكمة في تحريم التماثيل:

(أ) ومن أسرار هذا التحريم ـ وليس هو العلة الوحيدة، كما يظنُّ بعض الناس ـ حماية التوحيد، والبُعد عن مشابهة الوثنيِّين في تصاويرهم وأوثانهم التي يصنعونها بأيديهم، ثم يقدِّسونها ويقفون أمامها خاشعين.

إن حساسية الإسلام لصيانة التوحيد من كلِّ شُبهة للوثنية قد بلغت أشدَّها، والإسلام على حقٍّ في هذا الاحتياط وتلك الحساسية؛ فقد انتهى الأمر بأمم اتَّخذوا لموتاهم وصالحيهم صورًا يذكِّرونهم بهم، ثم طال عليهم الأمد فقدَّسوها شيئًا فشيئًا، حتى اتُّخذت آلهة تُعبد من دون الله؛ تُرجى وتُخشى، وتُلتمس من عندها البركات، كما حدث لقوم نوح عُبَّاد وَدٍّ وسُوَاعٍ ويَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسْرًا.

ولا عجب في دين كان من قواعد شريعته سدُّ الذرائع إلى المفاسد: أن يَسُدَّ كلَّ المنافذ التي يتسرَّب منها إلى العقول والقلوب شركٌ جليٌّ أو خفيٌّ، أو مشابهة للوثنيِّين، وأهل الغلو من الأديان. ولا سيما أنه لا يُشرِّع لجيلٍ أو جيلين، وإنما يُشرِّع للبشرية كلِّها، في شتَّى بقاعها، وإلى أن

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٩٥٤)، ومسلم (٢١٠٧)، كلاهما في اللباس، عن عائشة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٩٦٣)، ومسلم (٢١١٠)، كلاهما في اللباس، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

تقوم الساعة. وما يُستبعد في بيئة قد يُقبل في أخرى، وما يُعتبر مستحيلًا في عصر قد يصبح حقيقة واقعة في عصر آخر، قريبٍ أو بعيدٍ.

(ب) ومن أسرار التحريم بالنسبة للصانع (المَثَّال): أن ذلك المصوِّر أو المثَّال الذي ينحت تمثالًا، يملؤه الغرور، حتى لكأنما أنشأ خلقًا من عدم، أو أبدع كائنًا حيًّا من تراب. وقد حدَّثوا أن أحدهم نحت تمثالًا، مكث في نحته دهـرًا طويلًا، فلما أكمله وقـف أمامه معجَبًا مبهورًا، أمام تقاسـيمه وتقاطيعه، حتى إنه خاطبه في نشوة من الغرور والفخر: تكلَّم، تكلم!

ولهذا قال الرسول الكريم ﷺ: «**إن الذين يصنعون الصور يُعذَّبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم**»[١]. وفي الحديث القُدسي عن الله تعالى: «**ومَن أظلم ممَّن ذهب يخلق كخَلْقي، فليخلقوا ذَرَّة، فليخلقوا شَعِيرة**»[٢].

(ج) ثم إن الذين ينطلقون في هذا الفنِّ إلى مداه لا يقفون عند حد، فيصوِّرون النسـاء عاريات أو شـبه عاريات، ويصـوِّرون مظاهر الوثنية وشـعائر الأديان الأخرى، كالصليب والوثن وغير ذلك مما لا يجوز أن يقبله المسلم.

(د) وفضلًا عن ذلـك، فقد كانت التماثيـل ـ ولا تزال ـ من مظاهر أرباب التـرف والتنعُّم، يملؤون بها قصورهـم، ويزيِّنون بها حجراتهم، ويتفنَّنون في صُنعها من معادن مختلفـة. وليس بعيدًا على دين يحارب الترف في كل مظاهره وألوانه من ذهـب وفضة وحرير؛ أن يُحرِّم كذلك التماثيل في بيت المسلم.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٩٥١)، ومسلم (٢١٠٨)، كلاهما في اللباس، عن ابن عمر.

(٢) متفق عليـه: رواه البخاري في التوحيد (٧٥٥٩)، ومسـلم في اللبـاس والزينة (٢١١١)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

• **نهج الإسلام في تخليد العظماء:**

ولعل قائلًا يقول: أليس من الوفاء أن ترُدَّ الأمَّة بعض الجميل لعظمائها، الذين كتبوا بأعمالهم صفحات مجيدة في تاريخها، فتُقيم لهم تماثيل مادية، تذكِّر الأجيال اللاحقة بما كان لهم من فضل، وما بنَوْه من مجد. فإن ذاكرة الشعوب كثيرًا ما تنسى، واختلاف النهار والليل يُنسي؟

والجواب: إن الإسلام يكره الغلوَّ في تعظيم الأشخاص ـ مهما بلغت مرتبتهم ـ أحياءً كانوا أو أمواتًا. وقد قال النبي ﷺ: «**لا تُطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، ولكن قولوا: عبد الله ورسوله**»(١).

وجاء عنه ﷺ كراهية التشبُّه بغير المسلمين في القيام حال جلوس ملوكهم، فقال: «**إن كدتم آنفًا لتفعلون فعل فارسَ والرُّوم يقومون على ملوكهم وهم قعود، فلا تفعلوا**»(٢).

وحذَّر أُمَّته أن يَغْلُوا في شأنه بعد وفاته فقال: «**لا تجعلوا قبري عيدًا**»(٣).

ودعا ربه فقال: «**اللهمَّ لا تجعل قبري وثنًا يُعبد**»(٤).

وجاء أناس إليه ﷺ فقالوا: يا رسول الله، يا خيرَنا وابنَ خيرِنا، وسيدَنا وابنَ سيدنا. فقال: «**يا أيها الناس، قولوا بقولكم، ولا يستهوينَّكم**

(١) رواه البخاري في الأنبياء (٣٤٤٥)، عن عمر.

(٢) رواه مسلم في الصلاة (٤١٣)، عن جابر.

(٣) رواه أحمد (٨٨٠٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في المناسك (٢٠٤٢)، وصحَّحه النووي في رياض الصالحين (١٤٠١)، وقال ابن الملقِّن في البدر المنير (٢٩٠/٥): سند جيد. وصحَّحه الألباني في غاية المرام (١٢٥)، عن أبي هريرة.

(٤) رواه مالك (٥٩٣) تحقيق الأعظمي، عن عطاء بن يسار مرسلًا، ورواه أحمد (٧٣٥٨)، وقال مخرجوه: إسناده قوي بنحوه. وصحَّحه الألباني في غاية المرام (١٢٦)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الشيطان، أنا محمد، عبد الله ورسوله، ما أحبُّ أن ترفعوني فوق منزلتي، التي أنزلني الله ﷻ»[١].

ودينٌ هذا موقفه من تعظيم البشـــر، لا يرضى أن يُقام لبعض الناس أنصابٌ كأنها الأصنام، تُنفق عليها الألوف، ليُشير الناس إليهم بالتعظيم والتبجيل.

وما أكثرَ ما يدخل أدعياءُ العظمة والمـــزوِّرون على التاريخ من هذا الباب المفتوح لكل مـــن يقدر، أو يقدر أتباعه وأذنابـــه، على إقامة هذا النُّصُب الزائف. وبذلك يضلِّلون الشعوب عن العظماء الأُصَلاء.

إن الخلود الحقيقي الذي يتطلَّع إليه المؤمنون، هو الخلود عند الله، الذي يعلم الســـر وأخفى، والذي لا يضل ولا ينســـى. وما أكثر العظماء الذين كُتبوا في ســـجل الخلود عنده، وهم جنود مجهولون عند الخلق، ذلك لأنه تعالى يحـــب الأبرار الأتقياء الأخفياء، الذيـــن إذا حضروا لم يُعرفوا، وإذا غابوا لم يُفتقدوا.

وإن كان لا بد من الخلود عند الناس، فلن يكون ذلك بإقامة تماثيل لمن يُراد تخليدهم من العظماء. والطريقة الفذَّة التي يرضاها الإسلام هي تخليدهم في القلوب والأفكار وعلى الألسنة بما قدَّموا من خير وعمل، وما تركوا وراءهم من مآثرَ صالحات، تكون لهم لسانَ صدق في الآخرين.

وما خُلِّد رســـول الله ﷺ وخلفاؤه الراشـــدون وقادة الإسلام وأئمته الأعلام بصورة ماديـــة، ولا تماثيل حجرية نُحِتَت لهـــم. كلَّا.. إنما هي مناقبُ ومآثر، يتناقلها الخَلَف عن الســـلف، والأبناء عن الآباء، محفورةٌ

(١) رواه أحمد (١٣٥٢٩)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. والنسائي في الكبرى، في عمل اليوم والليلة (١٠٠٧٨)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (١٢٧)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

في الصدور، مذكورة بالألسنة، تعطِّر المجالس والندوات، وتملأ العقول والقلوب، بلا صورة ولا تمثال[١].

(١) أنقل في توضيح هذا المعنى كلمة نيِّرة للأستاذ محمد المبارك عميد كلية الشريعة بجامعة دمشق، من محاضرته التي ألقاها بالأزهر (نحو وعي إسلامي جديد) قال: تواجهنا وتدخل حياتنا الاجتماعية طرائف وتنظيمات، وعادات اجتماعية جديدة كثيرة... منها ما لا يتفق مع معتقداتنا الصحيحة، ومبادئنا الخلقية القويمة.

فمن ذلك الطريقة التي سلكها أهل أوربا وأمريكا في تخليد أبطالهم في تماثيل تُنصب لهم، ولو نظرنا في هذا الأمر نظرة المتحرِّر من ذِلَّة الخضوع لكل ما تُمليه حضارة الغرب، وتأمَّلنا في فلسفة هذه الطريقة في التعبير عن تخليد المآثر والمكارم، لوجدنا أن العرب بوجهٍ خاصٍّ، لم يخلدوا عظماء رجالهم، إلا لمكارمهم وأعمالهم المجيدة الطيبة، كالوفاء والكرم والشجاعة، وأن طريقتهم في تخليدهم كانت في ذكر قصص بطولاتهم وتناقُلها بين الناس، جيلًا بعد جيل، أو في نظم الشعر في مدحهم، والإشادة بهم، وبهذه الطريقة خُلِّد حاتمٌ بكرمه، وعنترةُ بشجاعته قبل الإسلام.

ولما جاء الإسلام أكَّد هذا المعنى، فجعل أشرف خلق الله وخاتَم رسله بشرًا من الناس، ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠]، وجعل قيمة الناس بأعمالهم، لا بأجسامهم، وجعل الرسول قُدوة يقتدي به البشر، ونهى عن تقديس البشر وتعظيمهم تعظيمًا يشبه العبادة، ويتضمن احتقار النفوس البشرية الأخرى.

ولذلك نادى الخليفة الأول حين انتقل رسول الله إلى جوار ربِّه: من كان يعبد محمدًا، فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حيٌّ لا يموت، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. لقد خلَّد الإسلام الناس بأعمالهم الصالحة النافعة، وخلَّد في قلوب المسلمين خواصِّهم وعوامِّهم رِجالَات الإسلام، فعرف صغيرُهم وكبيرهم عُمَر بالعدل، وأبا بكر بالحزم والحكمة، وعليًّا بالزهد والشجاعة، ولم يحتجْ أحد منهم إلى تمثال مادي من الحجر، يُنصب ليتذكَّره الناس، فقد خلَّدته أعماله وأخلاقه في قلوبهم.

إن في طريقة التخليد بإقامة التماثيل المادية رجوعًا إلى الوراء، وانحطاطًا عن المرتبة السامية، سلكها الرومان واليونان والأوربيُّون من بعدهم؛ لأنهم جميعًا وثنيُّون في طباعهم، منحطُّون عن العرب والمسلمين في مستوى خلقهم، وتقديرهم للقيم الخلقية؛ بل إنهم لعجزهم عن تصوُّر تحقيق البشر للمثل الأعلى للبطولة، ألحقوا أبطالهم بالآلهة، وجعلوا الآلهة أبطالًا. والنتيجة التي تخرج إلينا هي أننا لا ينبغي أن نخضع للمفهوم الأجنبي في هذا الموضوع، وهو أدنى من مفهومنا، وألا نغيِّر الحكم الإسلامي في حُرمة إقامة التماثيل لضررها بالنفس والخلق.

QaradawiBooks.com

• الرُّخْصة في لُعَب الأطفال:

وإذا كان هناك نوع من التماثيل، لا يظهر فيه قصد التعظيم ولا التَّرَف، ولا يلزم منه شيء من المحذورات السابقة، فالإسلام لا يضيق به صدرًا، ولا يرى به بأسًا.

وذلك كلُعَب الأولاد الصغار التي تُصنع على شكل عرائسَ أو قطط، أو غير ذلك من السِّبَاع والحيوانات، فإن هذه الصور تُمْتَهَنُ باللَّعِب وعبث الأولاد بها. قالت أم المؤمنين عائشة: كنتُ ألعب بالبنات عند رسول الله ﷺ، وكان يأتيني صواحبُ لي فكُنَّ ينقمعن (يختفين) خوفًا من رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يسرِّبُهن إليَّ، فيلعبن معي[(١)]. وفي رواية: أن النبي ﷺ قال لها يومًا: «**ما هذا؟**» قالت: بناتي. قال: «**وما هذا الذي في وسطهن؟**» قالت: فرس. قال: «**وما هذا الذي عليه؟**» قالت: جَناحان؟ قال: «**فرس له جَناحان؟!**» قالت: أوَما سمعتَ أنه كان لسليمان ابنِ داود خيلٌ لها أجنحة؟ فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه»[(٢)].

والبنات المذكورة في الحديث هي الدُّمى والعرائس التي يلعب بها الجواري والولدان، وكانت السيدة عائشة حديثةَ السِّنِّ في أول زواجها من رسول الله ﷺ، وكانت تلعب بهذه التصاوير.

قال الشوكاني: في هذا الحديث دليل على أنه يجوز تمكين الصغار من اللعب بالتماثيل[(٣)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦١٣٠)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٤٠).

(٢) رواه أبو داود في الأدب (٤٩٣٢)، والنَّسائي في الكبرى، في عِشْرة النساء (٨٩٥٠)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (١٢٩).

(٣) نيل الأوطار (٦/٢٤٥).

QaradawiBooks.com

وقد رُوِيَ عن مالك أنه كره للرجل أن يشتري لبنته ذلك[١]. وقال القاضي عياض: إن اللعب بالبنات للبنات الصغار رُخْصة[٢].

ومثل لُعَب الأطفال التماثيل التي تصنع من الحلوى وتباع في الأعياد ونحوها ثم لا تلبث أن تؤكل.

• التماثيل الناقصة والمشوهة:

ورد في الحديث أن جبريل عليه السلام امتنع عن دخول بيت الرسول ﷺ، لوجود تمثال على باب بيته، ولم يدخل في اليوم التالي حتى قال له: «**مُر برأس التمثال فليُقطع، حتى يصير كهيئة الشجرة**»[٣].

وقد استدل فريق من العلماء بهذا الحديث على أن المحرَّم من الصور هو ما كان كاملًا، أما ما فقد عضوًا لا تمكنه الحياة بدونه، فهو مباح.

ولكنَّ النظر الصحيح الصادق فيما طلبه جبريل من قطع رأس التمثال، حتى يصير كهيئة الشجرة؛ يدلنا على أن العِبْرة ليست بتأثير العضو الناقص، في حياة الصورة أو موتها بدونه، وإنما العِبْرة في تشويهها، بحيث لا يبقى منظرها موحيًا بتعظيمها، بعد نقص هذا الجزء منها.

ولا ريب أننا إذا تأمَّلْنا وأنصفنا نحكم بأن التماثيل النِّصْفية التي تقام في الميادين، تخليدًا لبعض الملوك والعظماء، أشد في الحُرْمة من التماثيل الصغيرة الكاملة، التي تُتَّخذ للزينة في البيوت.

---

(١) فتح الباري (٥٢٧/١٠).

(٢) شرح النووي على مسلم (٨٢/١٤).

(٣) رواه أحمد (٨٠٤٥)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وأبو داود في اللباس (٤١٥٨)، والترمذي في الأدب (٢٨٠٦)، وقال: حسن صحيح. وصحَّحه الألباني في غاية المرام (١٣٠)، عن أبي هريرة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مرخصة
QaradawiBooks.com

• **صور اللوحات والنقوش (أي الصور غير المجسَّمة):**

ذلك هو موقف الإسلام من الصور المجسَّمة التي نطلق عليها عُرْفًا «التماثيل».

ولكن ما الحكم في الصور واللَّوْحات الفنية، التي تُرسم على المسطَّحات، كالورق والثياب، والستور والجدران، والبُسُط والنُّقُود ونحوها؟

والجواب: إن حكمها لا يتبيَّن إلا إذا نظرنا في الصورة نفسِها، لأي شيء هي؟ وفي وضعها، أين توضع؟ وكيف تُستعمل؟ وفي قصد مصوِّرها، ماذا قصد من تصويرها؟

فإن كانت الصورة الفنية لما يُعبد من دون الله ـ كالمسيح عند النصارى، والبقرة عند الهندوس ـ وما شابه ذلك، فإن من صوَّرها لهذا الغرض وبهذا القصد لا يكون إلا كافرًا، ناشرًا للكفر والضلال.

وفي مثله جاء الوعيد الشديد عن رسول الله ﷺ: «**إن أشد الناس عذابًا يوم القيامة المصوِّرون**»[(١)].

قال الطبري: (إن المراد هنا من يصور ما يُعبد من دون الله، وهو عارف بذلك، قاصدًا له؛ فإنه يكفر بذلك، وأما من لا يقصد ذلك، فإنه يكون عاصيًا بتصويره فقط)[(٢)].

ومثل ذلك مَنْ علَّق هذه الصور تقديسًا لها، فهذا عمل لا يصدر من مسلم، إلا إذا طرح الإسلام وراء ظهره.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٩٥٠)، ومسلم (٢١٠٩)، كلاهما في اللباس، عن ابن مسعود.
(٢) فتح الباري (٣٨٣/١٠).

QaradawiBooks.com

وقريب من ذلك مَنْ صوَّر ما لا يُعبد، قاصدًا بتصويره مضاهاة خلق الله، أي مدَّعِيًا أنه يخلق ويُبدع، كما يخلق الله جل وعلا، فهو بهذا القصد يخرج من دين التوحيد، وفي مثل هذا جاء الحديث: «**إن أشد الناس عذابًا الذين يضاهون بخلق الله**»[١]. وهذا أمر يتعلَّق بنية المصوِّر وحده.

ولعل مما يؤيد هذا: الحديث عن الله تعالى: «**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فلْيَخْلقوا حَبَّة أو ذَرَّة**»[٢] فالتعبير بقوله: «ذهب يخلق كخلقي» يدل على القصد إلى المضاهاة، ومنازعة الألوهية خصائصها من الخلق والإبداع، وتحدي الله تعالى لهم أن يخلقوا حبَّة أو ذَرَّة (أي نملة) يشير إلى أنهم في فعلهم قصدوا هذا المعنى.

ولهذا يجزيهم على رؤوس الأشهاد يوم القيامة حين يقال لهم: أحيوا ما خلقتم! وتكليف المصوِّر منهم أن ينفخ الرُّوح في صورته، وليس بنافخ فيها أبدًا.

ومما يحرم تصويره واقتناؤه: الصور التي يُقدَّس أصحابها تقديسًا دينيًّا، أو يعظَّمون تعظيمًا دنيويًّا، فالأولى كصور الأنبياء والملائكة والصالحين، مثل إبراهيم وإسحاق وموسى ومريم وجبريل وغيرهم، وهذه تَرُوج عند النصارى، وقد قلَّدهم بعضُ المبتدعة من المسلمين، فصوَّروا عليًّا وفاطمة وغيرهما.

والثانية كصُوَر الملوك والزعماء والفنَّانين في عصرنا، وهذه أقل إثمًا من تلك، ولكن يتأكَّد الإثم فيها، إذا كان أصحابها من الكفرة أو الظلمة أو الفُسَّاق، كالحُكَّام الذين يحكمون بغير ما أنزل الله، والزعماء الذين

(١) سبق تخريجه صـ١٣٦.

(٢) سبق تخريجه صـ١٣٧.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

يدعون إلى غير رسالة الله، والفنانين الذين يُمجِّدون الباطل، ويُشِيعون الفاحشة والمُيوعة في الأُمَّة.

ويبدو أن كثيرًا من الصُّوَر في عصر النبوة وما بعده كانت من النوع الذي يُقدَّس ويُعظَّم، إذ كانت في الغالب من صنع الرُّوم والفرس ـ أي النصارى والمجوس ـ فلم تكن تخلو من تأثير عقيدتهم وتقديسهم لرؤساء دينهم أو دولتهم.

وقد روى مسلم عن أبي الضُّحى قال: كنتُ مع مسروق في بيتٍ فيه تماثيل. فقال لي مسروق: هذه تماثيل كسرى؟ فقلت: «لا، هذه تماثيل مريم». كأن مسروقًا ظن أن التصوير من مجوسي، وكانوا يُصَوِّرون صور ملوكهم حتى في الأواني، فظهر أن التصوير كان من نصراني.. وفي هذه القصة: قال مسروق: سمعت عبد الله ـ يعني ابن مسعود ـ يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن أشد الناس عذابًا عند الله المصوِّرون**»[1].

وأما ما عدا ذلك من الصور واللوحات، فإن كانت لغير ذي رُوح، كصور النبات والشجر، والبحار والسفن والجبال، والشمس والقمر والكواكب، ونحوها من المناظر الطبيعية ـ لنبات أو جماد ـ فلا جناح على من صوَّرها أو اقتناها، وهذا لا جدال فيه.

وإن كانت الصورة لذي رُوح، وليس فيها ما تقدَّم من المحظورات، أي لم تكن مما يُقدَّس ويعظم، ولم يقصد فيها مضاهاة خلق الله، فالذي أراه، أنها لا تحرم أيضًا. وفي ذلك جاءت جملة من الأحاديث الصحاح.

---

(١) سبق تخريجه صـ١٤٣.

QaradawiBooks.com

ففي الصحيحين، عن بُسر بن سعيد، عن زيد بن خالد، عن أبي طلحة صاحب رسول الله ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه صورة**». قال بُسر: ثم اشتكى زيد بعدُ، فعُدناه، فإذا على بابه سِتْر فيه صورة. قال: فقلت لِعُبيد الله الخَوْلاني ربيب ميمونة زوج النبي ﷺ وكان معه: ألم يخبرنا زيدٌ عن الصُّور يومَ الأوَّلِ؟ فقال عُبيد الله: ألم تسمعه حين قال: إلا رقْمًا في ثوب[١]؟

ومعناه: أنه استثنى الصورة المنقوشة على الثياب.

وروى الترمذيُّ بسنده عن عتبة، أنه دخل على أبي طلحة الأنصاري يعوده، فوجد عنده سهل بن حُنَيف ـ صحابيًّا آخر ـ قال: فدعا أبو طلحة إنسانًا ينزع نَمَطًا[٢] تحتَه، فقال له سهل: لِمَ تنزعُه؟ قال: لأن فيه تصاوير، وقال فيه النبي ﷺ ما قد علمت، قال سهل: أولم يقل: «**إلا ما كان رقْمًا في ثوب**»؟ فقال أبو طلحة: بلى، ولكنه أطيبُ لنفسي[٣].

ألَّا يدل هذان الحديثان على أن الصُّور المحرَّمة إنما هي المجسَّمة، التي نطلق عليها «التماثيل»؟!

أما الصور التي ترسم في لوحات، أو تنقش على الثياب والبُسُط والجدران ونحوها، فليس هناك نصٌّ صحيح صريح، سليم من المعارضة يدلُّ على حرمتها.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٩٥٨)، ومسلم (٢١٠٦)، كلاهما في اللباس.

(٢) النمط: ثوب أو بساط فيه نقوش وصور.

(٣) رواه الترمذي في اللباس (١٧٥٠)، وقال: حسن صحيح. وأحمد (١٥٩٧٩)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. والنسائي في الزينة (٥٣٤٩)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (١٣٤).

QaradawiBooks.com

نعم هناك أحاديث صحيحة أظهر فيها النبـــي ﷺ كراهِيَته فقط لهذا النوع من التصاوير؛ لما فيه من مشابهة المترفين وعُشَّاق المتاع الأدنى.

روى مســـلم، عن زيد بن خالد الجُهَني، عـــن أبي طلحة الأنصاري قال: ســـمعتُ رســـول الله ﷺ يقول: «**لا تدخل الملائكة بيتًـــا فيه كلب ولا تماثيل**» قال: فأتيتُ عائشـــة فقلت: إن هذا يخبرني أن النبي ﷺ قال: «**لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا تماثيل**» فهل سمعتِ رسول الله ﷺ ذكر ذلك؟ فقالت: لا، ولكن ســـأحدِّثكم ما رأيتُه فعـــل، رأيتُه خرج في غَزاته، فأخذتُ نمطًا فســـترتُه على الباب، فلما قدم فرأى النَّمَط عرفتُ الكَرَاهية في وجهه، فجذبـــه (النمط) حتى هتكه أو قطعه، وقال: «**إن الله لم يأمرْنا أن نكســـوَ الحجارة والطيـــن**». قالت: فقطعنا منه وســـادتين، وحشوتُهما ليفًا، فلم يَعِب ذلك عليَّ[١].

ولا يؤخذ من الحديث أكثر من الكراهة التنزيهية لكِسْـــوة الحيطان ونحوها بالستائر ذات التصاوير.

قال النووي: وليس فـــي الحديث ما يقتضي التحريـــم؛ لأن حقيقة اللفظ أن الله لم يأمرنا بذلك. وهذا يقتضي أنه ليس بواجب ولا مندوب، ولا يقتضي التحريم[٢].

ومثل هذا ما رواه مســـلم أيضًا عن عائشـــة، قالت: كان لنا سِتْر فيه تمثال طائر، وكان الداخل إذا دخل اســـتقبله، فقال لي رســـول الله ﷺ: «**حوِّلي هذا، فإني كلما دخلت فرأيتُه ذكرتُ الدُّنيا**»[٣].

---

(١) رواه مسلم في اللباس والزينة (٢١٠٧).

(٢) شرح النووي على مسلم (٨٦/١٤، ٨٧).

(٣) رواه مسلم في اللباس والزينة (٢١٠٧) (٨٨).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فلم يأمرها ﷺ بقطعه، وإنما أمرها بتحويلـــه من مكانه في مواجهة الداخل إلـــى البيت، وذلك كراهيـــة منه ﷺ أن يرى فـــي مواجهته هذه الأشياء، التي تذكِّره عادةً بالدنيا وزخارفها. ولا سيما أنه ﷺ كان يصلِّي الســـنن والنوافل كلَّهـــا في البيت، ومثـــل هذه الأنماط والأســـتار ذات التصاوير والتماثيل، من شـــأنها أن تشـــغل القلب عن التزام الخشـــوع، والإقبال الكامل على مناجاة الله سبحانه.

وقد روى البخاري عن أنس قال: كان قِرَام (ستر) لعائشة، سترت به جانب بيتها، فقال لهـــا النبي ﷺ: «**أميطيه عنِّي، فإنـــه لا تزال تصاويره تعرض لي في صلاتي**»[(١)].

وبهذا يتبيَّنُ أن رسول الله ﷺ أقرَّ في بيته وجودَ سِتْر فيه تمثال طائر، ووجود قِرام فيه تصاوير.

ومن أجل هذه الأحاديث وأمثالها قال بعض السلف: «إنما يُنهى عمَّا كان له ظل (أي المجسم) ولا بأس بالصور التي ليس لها ظل»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري في اللباس (٥٩٥٩).

(٢) ذكره النووي في شرح مسلم (٨٢/١٤)، ورد عليه وقال: إنه مذهب باطل. وتعقبه الحافظ في الفتح (٣٨٨/١٠) بأنه مرويٌّ بســـند صحيح عن القاسم بن محمد، أحد فقهاء المدينة، ومن أفضل أهل زمانه. ونقل الشـــيخ بخيت عن الخطَّابي قوله: «الذي يصوِّر أشـــكال الحيوان، والنقَّاش الذي ينقش أشكال الشجر ونحوها، فإني أرجو ألَّا يدخلا في ذلك الوعيد، وإن كان جملة هذا الباب مكروهًا، وداخلًا فيما يشـــغل القلب بما لا يُغنـــي». كما في عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٧٤/٢٢)، نشـــر دار إحياء التراث العربي، بيروت. وقد علق الشيخ بخيت على هذا بقوله: وما ذلك إلا لأن مصوِّر شكلَ الحيوان لا يوجِد صورةَ الحيوان، بل إنما يرسم شكله وصورته، والصورة التي على هذا الوجه قد فقدت أعضاء كثيرة لا تعيش بدونها، بل هي فاقدة للجِرْم، فليســـت هي صورة الحيوان التي يكلَّف مصورها يوم القيامة نفخ الرُّوح فيها وليس بنافخ؛ لأن الظاهر أن الصورة التي يقـــال فيها ما ذُكِر، هي الصورة =

QaradawiBooks.com

ومما يؤيد هذا الرأي ما جاء في الحديث عن الله تعالى: «**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذَرَّة، فليخلقوا شَعيرة**»[١]. فإن خلق الله تعالى كما هو مشاهد ليس رسمًا على سطح، بل هو خلق صور مجسَّمة ذات جِرْم، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [آل عمران: ٦].

ولا يعكِّر على هذا المذهب إلا حديث عائشة في إحدى روايات الشيخين أنها اشترت نُمْرُقة (وسادة) فيها تصاوير، فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب، فلم يدخل، فعرفت في وجهه الكراهية، فقالت: يا رسول الله، أتوب إلى الله وإلى رسوله، ماذا أذنبتُ؟ فقال: «**ما بال هذه النُّمْرُقة؟**» فقالت: اشتريتُها لك، تقعد عليها وتتوسَّدُها. فقال رسول الله ﷺ: «**إن أصحاب هذه الصُّوَر يعذَّبون، ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم**» ثم قال: «**إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة**»[٢]. وزاد مسلم في رواية عن عائشة قالت: فأخذتُه، فجعلتُه مِرْفقتين، فكان يرتفق بهما في البيت[٣]. تعني أنها شقَّت النُّمْرُقة فجعلتها مِرْفَقتين.

ولكن هذا الحديث يعارضه جملة أمور:

١ ـ أنه قد رُوِيَ بروايات مختلفة ظاهرة التعارض، بعضها يدلُّ على أنه ﷺ استعمل السِّتْر الذي فيه الصورة، بعد أن قطع، وعملت منه الوسادة، وبعضها يدل على أنه لم يستعملْه أصلًا.

= المجسَّمة، ذات الظل، التي لم تفقد عضوًا لا تعيش بدونه، حتى تكون قابلة بذاتها لنفخ الرُّوح فيها، فيكون عجز المصوِّر عن النفخ راجعًا إليه، لا لعدم قابلية الصورة للحياة. المجموع (١٢٤/٢٣)، نشر مكتبة الإرشاد، جدة، السعودية.

(١) سبق تخريجه صـ١٣٧.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في البيوع (٢١٠٥)، ومسلم في اللباس والزينة (٢١٠٧).

(٣) رواه مسلم في اللباس والزينة (٢١٠٧) (٩٥).

QaradawiBooks.com

٢ ـ أن بعض رواياته يدل على الكراهة فقط، وأن الكراهة إنما هي لسَتْر الجدران بالصور، وذلك نوعُ ترفٍ لا يرضاه. ولهذا قال في رواية مسلم التي ذكرناها من قبل: «**إن الله لم يأمُرنا أن نكسو الحجارة والطين**».

٣ ـ حديث مسلم عن عائشة نفسها في الستر الذي فيه تمثال طائر، وقول النبي ﷺ لها: «**حوِّلي هذا، فإني كلما رأيتُه ذكرتُ الدنيا**». لا يدلُّ على الحُرْمة مطلقًا.

٤ ـ أنه معارَض بحديث القِرَام الذي كان في بيت عائشة أيضًا، وأمر الرسول ﷺ بإماطته عنه؛ لأن تصاويره تعرض له في صلاته، قال الحافظ: «وقد استُشكل الجمع بين هذا الحديث وبين حديث عائشة في النُّمْرُقة، فهذا يدلُّ على أنه أقرَّه وصلَّى وهو منصوب، إلى أن أمر بنزعه، من أجل ما ذكر من رؤيته لصورته حالة الصلاة، ولم يتعرَّض لخصوص كونها صورة».

وجمع الحافظ بينهما بأن الأول كانت تصاويره من ذات الأرواح، وهذا كانت تصاويره من غير الحيوان[١]. ولكن يُعكِّر على هذا الجمع حديثُ القِرَام الذي كان فيه تمثال طائر.

٥ ـ أنه معارَض بحديث أبي طلحة الأنصاري الذي استثنى ما كان رقْمًا في ثوب، وقد قال القرطبي: «يُجمع بينها بأن يُحمل حديثُ عائشة على الكراهة، وحديث أبي طلحة على مطلق الجواز، وهو لا ينافي الكراهة»[٢]. واستحسنه الحافظ ابن حجر[٣].

---

(١) فتح الباري (٣٩١/١٠).

(٢) فتح الباري (٣٩٢/١٠).

(٣) المصدر السابق.

QaradawiBooks.com

٦ ـ أن راوي حديث النُّمْرُقة عن عائشة ـ وهو ابن أخيها: القاسم بن محمد بن أبي بكر ـ كان يُجيز اتخاذ الصُّوَر التي لا ظلَّ لها.

فعن ابن عون قال: دخلت على القاسم وهو بأعلى مكة في بيته، فرأيتُ في بيته حَجَلة فيها تصاوير القُنْدُس والعَنْقاء[١].

قال الحافظ: يَحتَمِل أنه تمسَّك بعموم قوله: «**إلا رقْمًا في ثوب**». وكأنه جعل إنكار النبي ﷺ على عائشةَ تعليقَ السِّتْر المذكور، مُرَكَّبًا من كونه مصوَّرًا، ومن كونه ساترًا للجدار. ويؤيِّده رواية: «**إن الله لم يأمرنا أن نكسو الحجارة والطين**».

والقاسم بن محمد أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، وكان من أفضل أهل زمانه، وهو راوي حديث النُّمْرُقة، فلولا أنه فهم الرخصة في مثل الحَجَلة ما استجاز استعمالَها[٢].

ولكن هناك احتمال قد يبدو من هذه الأحاديث الواردة في شأن الصور والمصوِّرين، هو أن الرسول ﷺ شدَّد في أمرها أوَّلَ الأمر، لقُرْب عهدهم بالشرك وعبادة الأوثان، وتقديس الصُّوَر والتماثيل، فلما استقرَّت عقيدةُ التوحيد في النفوس، ورسخت جذورُها في القلوب والعقول، رخَّص في الصور التي لا جسم لها، وإنما هي نقوش ورسوم، وإلا لم يرضَ بوجود سِتْر أو قِرام في بيته فيه صورة أو تمثال. ولم يستثنِ التصاوير التي تُرقَمُ وتُنقش في الثياب، ومثل الثياب الوَرَق والجُدران وغيرها.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في اللباس (٢٥٨١٠). وصحح إسناده الحافظ في الفتح (٣٨٨/١٠). والحجلة مثل القُبَّة. وحجلة العروس معروفة، وهي بيت يزين بالثياب والأسرَّة والسُّتُور. لسان العرب مادة (ح. ج. ل).

(٢) راجع في موضوع الصور والمصورين: فتح الباري (٣٨٠/١٠ ـ ٣٩٣)، شرح باب التصاوير وما بعده.

QaradawiBooks.com

قال الطَّحَاوي من أئمة الحنفية: «إنما نهى الشارع أولًا عن الصور كلها، وإن كانت رقْمًا؛ لأنهم كانوا حديثي عهد بعبادة الصور، فنهى عن ذلك جُملة، ثم لما تقرَّر نهيُه عن ذلك، أباح ما كان رقْمًا في ثوب، للضرورة إلى اتخاذ الثِّيَاب، وأباح ما يُمْتَهن؛ لأنه يؤمن على الجاهل تعظيم ما يمتهن، وبقي النهي فيما لا يُمتهن»[١].

- **امتهان الصورة يجعلها حلالًا:**

هذا، وكل تغيير في الصورة، يجعلها أبعد عن التعظيم وأدنى إلى الامتهان، ينقلها من دائرة الكراهة إلى دائرة الإباحة. وقد جاء في الحديث أن جبريل عليه السلام استأذن على النبي ﷺ فقال: «**ادخل**» فقال: كيف أدخل وفي بيتك سِتْر فيه تصاوير؟ فإن كنت لا بد جاعلًا في بيتك، فاقطع رأسها أو اقطعها وسائد أو اجعلها بُسُطًا[٢].

ولهذا حين رأت عائشة في وجه النبي ﷺ الكراهة للنُّمْرُقة ذاتِ التصاوير جعلتْها مِرْفَقَتَين، لما في ذلك من امتهانهما، والبعد بهما عن أدنى شُبهة لتعظيم الصورة.

وقد جاء عن السلف استعمال الصورة الممتَهَنة، ولم يروا فيها حرجًا، فعن عروة: أنه كان يتكئ على المرافق فيها التماثيل، الطيرُ والرِّجال[٣].

---

(١) عمدة القاري (٧٤/٢٢).

(٢) رواه أحمد (٨٠٧٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والنسائي في الزينة (٥٣٦٥)، وابن حبان في الحظر والإباحة (٥٨٥٣)، وقال الأرناؤوط: حديث صحيح. وصحَّحه الألباني في غاية المرام (١٤١)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في اللباس والزينة (٢٥٧٩٧).

QaradawiBooks.com

وقال عكرمة: كانوا يكرهون ما نُصِـــب من التماثيل نصبًا، ولا يرون بأسًـــا بما وَطِئته الأقـــدام[١]، وكانوا يقولـــون في التصاوير في البُسُـــط والوسادة التي توطأ: ذُلٌّ لها[٢].

غير مرخصة للطباعة

• **الصور الفوتوغرافية:**

ومما لا خفاء فيه: أن كل مـــا ورد في التصوير والصـــور إنما يعني الصور التي تُنحت أو تُرسم على حسَب ما ذكرنا.

أما الصور الشمسية (الفوتوغرافية) التي تُؤخذ بآلة الفوتوغرافيا، فهي شيء مستحدث، لم يكن في عصر الرسول، ولا سلف المسلمين، فهل ينطبق عليه ما ورد في التصوير والمصوِّرين؟

أما الذين يقصرون التحريم على التماثيل (المجسَّمة) فلا يرون شيئًا في هذه الصور، وخصوصًا إذا لم تكن كاملة.

وأما على رأي الآخرين، فهل تُقاس هذه الصور الشمســـية على تلك التي تُبدعها ريشةُ الرسَّام، أم أن العِلَّة التي نصَّ عليها بعض الأحاديث في عذاب المصوِّرين، وهي أنهم يضاهون خلق الله؛ لا تتحقَّق هُنَا في الصور الفوتوغرافية؟ وحيث عُدمت العِلَّة عُدم المعلول، كما يقول الأصوليون.

إن الواضح هنا، ما أفتى به الشيخ محمد بخيت المطيعي غفر الله له ـ مفتي مصر ـ أن أخذ الصورة بالفوتوغرافيا ـ الذي هو عبارة عن حبس الظل، بالوســـائط المعلومة لأربـــاب هذه الصناعة ـ ليـــس من التصوير المنهي عنه في شيء؛ لأن التصوير المنهي عنه هو إيجاد صورة، وصنع

(١) رواه ابن أبي شيبة في اللباس والزينة (٢٥٨٠٠)، والبيهقي في الصداق (٢٧٠/٧).
(٢) رواه ابن أبي شيبة في اللباس والزينة (٢٥٧٩٩).

QaradawiBooks.com

صورة لم تكن موجودة ولا مصنوعة من قبل، يضاهي بها حيوانًا خلقه الله تعالى، وليس هذا المعنى موجودًا في أخذ الصورة بتلك الآلة[١].

هذا وإن كان هناك من يجنح إلى التشدُّد في الصور كلِّها، وكراهيتها بكل أنواعها، حتى الفوتوغرافية منها، فلا شك أنه يُرخِّص فيما توجبه الضرورة أو تقتضيه الحاجة والمصلحة منها، كصور البطاقات الشخصية، وجوازات السفر، وصور المشبوهين، والصور التي تُتَّخذ وسيلة للإيضاح ونحوها، مما لا تتحقق فيه شُبهة القصد إلى التعظيم، أو الخوف على العقيدة. فإن الحاجة إلى اتخاذ هذه الصور أشد وأهم، من الحاجة إلى اتخاذ «النقش» في الثياب الذي استثناه النبيُّ ﷺ.

- **موضوع الصورة:**

هذا، ومن المقرَّر أن لموضوع الصورة أثرًا في الحكم بالحرمة أو غيرها. ولا يخالف مسلم في تحريم الصورة إذا كان موضوعها مخالفًا لعقائد الإسلام أو شرائعه وآدابه، فتصوير النساء عاريات، أو شبه عاريات، وإبراز مواضع الأنوثة والفتنة منهن، ورسمهن أو تصويرهن في أوضاع مثيرة للشهوات، موقظة للغرائز الدنيا، كما نرى ذلك واضحًا في بعض المجلات والصحف ودور «السينما»، كل ذلك مما لا شك في حرمته وحرمة تصويره، وحرمة نشره على الناس، وحرمة اقتنائه واتخاذه في البيوت أو المكاتب والمحلات، وتعليقه على الجدران، وحرمة القصد إلى رؤيته ومشاهدته.

ومثل هذا صور الكفار والظلمة والفُسَّاق، الذين يجب على المسلم أن يعاديهم لله ويُبغضهم في الله، فلا يحلُّ لمسلم أن يصوِّر أو يقتني

(١) رسالة الجواب الشافي في إباحة التصوير الفوتوغرافي صـ ٢٣، نشر المطبعة الخيرية، ط١.

QaradawiBooks.com

صورة لزعيم ملحـــد، ينكر وجود الله، أو وثني يشـــرك مع الله البقر أو النار أو غيرها، أو يهودي أو نصرانـــي يجحد نبوة محمد ﷺ، أو مدعٍ للإســـلام وهو يحكم بغير ما أنزل الله، أو يُشـــيع الفاحشة والفساد في المجتمـــع، كالممثِّلين والممثِّـــلات، والمطربيـــن والمطربات، الذين يستبيحون تلك المحرمات.

ومثل هذا، الصور التي تعبر عن الوثنيَّة أو شعائر بعض الأديان التي لا يرضاها الإســـلام، كالأصنام والصلبان وما شـــابهها. ولعل كثيرًا من البُسُط والســـتور والنمارق التي كانت في عصر النبي ﷺ كانت مشتملة على هذا النوع من التصاوير والتهاويل. وقد روى البخاري أن النبي ﷺ لم يكن يترك في بيته شيئًا فيه تصاليب إلا نقضه[١].

والتصاليب: صور الصليب.

وروى ابن عباس أن الرسول ﷺ في عام الفتح، لما رأى الصور التي في البيت الحرام، لم يدخل حتى أَمَرَ بها فمُحِيَت[٢].

ولا شـــكَّ أنها كانت صورًا تعبِّر عن وثنية مشـــركي مكَّة، وضلالهم القديم.

وكان الأمر النبوي بطمْس هذه التماثيل كما جاء عن أبي الهَيَّاج: قال لي عليٌّ: ألَّا أبعثك علـــى ما بعثني عليه رســـول الله: ألَّا تدع تمثالًا إلا طمسته، ولا قبرًا مُشرفًا إلا سوَّيْته[٣].

(١) رواه البخاري في اللباس (٥٩٥٢)، عن عائشة.
(٢) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٥٢).
(٣) رواه مسلم في الجنائز (٩٦٩).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فماذا عسى أن تكون هذه الصورة التي أمر الرسول بتلطيخها وطمسها؟! إلا أن تكون مظهرًا من مظاهر الوثنية الجاهلية، التي حرص الرسول على تنظيف المدينة من آثارها! ولهذا جعل العودة إلى شيء منها كفرًا بما أنزل الله.

• **خلاصة لأحكام الصور والمصوِّرين:**

ونستطيع أن نُجْمِل أحكام الصور والمصوِّرين في الخلاصة التالية:

(أ) أشد أنواع الصور في الحرمة والإثم صور ما يُعبد من دون الله، كالمسيح عند النصارى، فهذه تؤدِّي بمصوِّرها إلى الكفر، إن كان عارفًا بذلك، قاصدًا له.

والمجسَّم في هذه الصور أشدُّ إثمًا ونُكرًا. وكل من رَوَّج هذه الصور، أو عظَّمها بوجه من الوجوه؛ داخلٌ في هذا الإثم بقدر مشاركته.

(ب) ويليه في الإثم من صوَّر ما لا يُعبد، ولكنه قصد مضاهاةَ خلقِ الله. أي: ادَّعى أنه يُبدع ويخلق كما يخلق الله، فهو بهذا يُقارب الكفر. وهذا أمر يتعلَّق بنيَّة المصوِّر وحدَه.

(ج) ودون ذلك الصور المجسَّمة لما لا يُعبد، ولكنها مما يُعظَّم، كصور الملوك والقادة والزعماء وغيرهم، ممن يزعمون تخليدهم بإقامة التماثيل لهم، ونصبِها في الميادين ونحوها. ويستوي في ذلك أن يكون التمثال كاملًا أو نصفيًّا.

(د) ودونها الصور المجسَّمة لكل ذي رُوح، مما لا يُقدَّس ولا يُعظَّم، فإنه مُتفق على حرمته، يُستثنى من ذلك ما يمتهن، كلُعب الأطفال، ومثلها ما يؤكل من تماثيل الحلوى.

QaradawiBooks.com

(هـ) وبعدها الصور غير المجسَّمة (اللوحات الفنية) التي يُعظَّم أصحابها، كصور الحكام والزعماء وغيرهم، وخاصة إذا نصبت وعُلِّقت. وتتأكد الحرمة إذا كان هؤلاء من الظلمة والفَسقة والمُلْحدين، فإن تعظيمهم هدم للإسلام.

(و) ودون ذلك أن تكون الصورة غير المجسَّمة لذي رُوح لا يُعظَّم، ولكن تعد من مظاهر الترف والتنعُّم، كأن تُستر بها الجُدُر ونحوها، فهذا من المكروهات فحسْب.

(ز) أما صور غير ذي الروح، من الشجر والنخيل، والبحار والسفن، والجبال ونحوها من المناظر الطبيعية، فلا جناح على من صورها أو اقتناها، ما لم تشغل عن طاعة، أو تؤدِّ إلى ترف أو سرف، فتُكره، أو تحرم.

(ح) وأما الصور الشمسية (الفوتوغرافية) فالأصل فيها الإباحة، ما لم يشتمل موضوع الصورة على محرَّم، كتقديس صاحبها تقديسًا دينيًّا، أو تعظيمه تعظيمًا دُنيويًّا، وخاصَّة إذا كان المعظَّم من أهل الكفر والفسوق، كالوثنيِّين والشيوعيِّين، والفنانين المنحرفين، والفنانات المنحرفات.

(ط) وأخيرًا، إن التماثيل والصور المحرمة إذا شُوِّهت أو امتُهنت، انتقلت من دائرة الحُرمة إلى دائرة الحل، كصور البُسُط التي تدوسها الأقدام والنعال ونحوها.

• اقتناء الكلاب لغير حاجة:

ومما نهى النبيُّ ﷺ عنه: اقتناءُ الكلاب في البيوت لغير حاجة، وقد رأينا بعض هؤلاء المُتْرَفين ينفقون على الكلاب، ويبخلون على بني الإنسان، ورأينا منهم من لا يكتفي بإنفاق ماله على تدليل كلبه، بل يُفرغ عاطفته فيه، على حين يجفو قريبه، وينسى جاره وأخاه.

QaradawiBooks.com

كما أن وجود الكلاب ببيت المسلم مظِنَّةً لنجاسة الأواني ونحوها، مما يَلَغُ فيه الكلب. وقد قال النبي ﷺ: «**إذا وَلَغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبع مرات، إحداهن بالتُّراب**»[١].

وقيل في حكمة المنع من اقتناء الكلب: إنه ينبح الضيفَ، ويروِّع السائل[٢]، ويؤذي المارَّة.

عن النبي ﷺ قال: «**أتاني جبريل فقال لي: أتيتُك البارحةَ، فلم يمنعني أن أكون دخلتُ إلا أنه كان على الباب تماثيل، وكان في البيت قِرَام (ستر) فيه تماثيل، وكان في البيت كلبٌ، فَمُرْ برأس التمثال الذي في البيت يقطع، فيصير كهيئة الشجرة، ومُر بالستر فليقطع، فيجعل منه وسادتان تُوطَآن، ومُرْ بالكلب، فليخرجْ**»[٣].

وهذا المنع إنما هو للكلاب التي تُقْتنى، لغير حاجة ولا منفعة.

• كلاب الصيد والحراسة مباحة:

أما الكلاب التي تُقتنى لحاجة ككلاب الصيد، أو كلاب الحراسة للزرع أو الماشية أو نحوها، فهي مستثناة من هذا الحكم. وفي الحديث المتفق عليه، قال رسول الله ﷺ: «**من اتخذ كلبًا، إلا كلب صيد أو زرع أو ماشية، انتقص من أجره كل يوم قيراط**»[٤].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الوضوء (١٧٢)، ولم يذكر: «إحداهن بالتراب»، ومسلم في الطهارة (٢٧٩)، عن أبي هريرة.

(٢) قاله الخليفة المنصور، كما في الاستذكار لابن عبد البر (٤٩٥/٨)، تحقيق سالم محمد عطا ومحمد علي معوض، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م، وفتح الباري (٦/٥).

(٣) سبق تخريجه صـ١٤٢.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في المزارعة (٢٣٢٢)، ومسلم في المساقاة (١٥٧٥)، عن أبي هريرة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

وقد استدلَّ بعض الفقهاء من هذا الحديث على أن المنع من اتخاذ الكلاب، إنما هو منع كراهة لا منع تحريم؛ لأن الحرام يمتنع اتِّخاذُه على كلِّ حال، سواء نقص الأجر أم لا.

والنهي عن اقتناء الكلاب في البيوت ليس معناه القسوة عليها أو الحكم بإعدامها؛ فقد طُلب من النبي ذلك، ولكنه قال ﷺ: «**لولا أن الكلاب أُمَّة من الأمم لأمرتُ بقتلها**»(١).

وهو عليه الصلاة والسلام يشير بهذا الحديث إلى هذا المعنى الكبير، والحقيقة الجليلة التي نبَّه عليها القرآن الكريم؛ إذ قال: ﴿**وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم**﴾ [الأنعام: ٣٨]. فهناك أمة الكلاب وأُمَّة القِطَط وأمة الفئران وأمة النمل ونحوها.

وقد قص النبي ﷺ على أصحابه قصة الرجل الذي وجد في الصحراء كلبًا يلهث: يأكل الثرى من العطش، فذهب إلى البئر ونزع خفَّه فملأها ماءً، حتى روي الكلبُ، قال النبي ﷺ: «**فشكر الله له، فغفر له**». فقالوا له: إن لنا في البهائم لأجرًا يا رسول الله؟ قال: «**في كل كَبِد رطْبة أجر**»(٢).

• رأي العلم الحديث في اقتناء الكلاب:

هذا، وربما وجدنا في ديارنا أُناسًا من عُشَّاق الغرب، يزعمون لأنفسهم الرِّقة الحانية، والإنسانية العالية، والعطف على كل كائنٍ حي، وينكرون على الإسلام أن يُحذِّر من هذا الحيوان الوديع، الأليف الأمين.

---

(١) رواه أحمد (١٦٧٨٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الصيد (٢٨٤٥)، والترمذي في الأحكام والفوائد (١٤٨٦)، وقال: حسن صحيح. والنسائي في الصيد والذبائح (٤٢٨٠)، وابن ماجه في الصيد (٣٢٠٥)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (١٤٨)، عن عبد الله بن مغفل.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٦٦)، ومسلم في السلام (٢٢٤٤)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

فإلى هؤلاء نسوق هذا المقال العلمي القيِّم، الذي كتبه عالم ألماني متخصِّص في مجلة ألمانية، بيَّن فيه بجلاء الأخطار التي تنشأ عن اقتناء الكلاب، أو الاقتراب منها، وقد نشرته «مجلة الأزهر»:

«إن ازدياد شغف الناس باقتناء الكلاب في السنوات الأخيرة، يضطرنا إلى لفْت نظر الرأي العام إلى الأخطار التي تنجم عن ذلك، خصوصًا أن الحال لم تقتصر على مجرد اقتنائها، بل قد تعدَّت ذلك إلى مداعبتها وتقبيلها، والسماح لها بلحْس أيدي الصغار والكبار؛ بل كثيرًا ما تُترك تلعق فضلات الطعام، من الصحون المُعَدَّة لحفظ مأكل الإنسان ومشربه.

ومع أن في كل ما ذكر من العادات عيوبًا ينبو عنها الذوق السليم، ولا ترتضيها الآداب، هذا فضلًا عن أنها لا تتفق مع قواعد الصحة والنظافة، إلا أننا نغض النظر عنها من هذه الوجهة؛ لخروجها عن مجرى الحديث في هذا المقال العلمي، تاركين تقديرها للتربية الخُلقية وتهذيب النفس.

أما من الوجهة الطبية ـ وهي التي تهمنا في هذا البحث ـ فإن الأخطار التي تهدِّد صحة الإنسان وحياته بسبب اقتناء الكلاب ومداعبتها ليست مما يُستهان بها، فإن كثيرًا من الناس قد دفع ثمنًا غاليًا لطَيْشه، إذ كانت الدُّودة الشريطيَّة بالكلاب؛ سببًا في الأدواء المزمنة المستعصية، بل كثيرًا ما أودت بحياة المصابين بأمراضها... وتظهر في الإنسان على شكل بَثْرة، وكذلك في المواشي خصوصًا في الخنازير، ولكنها لا توجد تامَّة النُّمُو إلا في الكلاب، وكذلك في بنات آوى والذئاب، ويندر وجودها في القطط...

ولأطوار نشوء دودة الكلب الشريطية خواصُّ فريدة في علم الحيوان، فمن البويضة الواحدة تنشأ رؤوس ديدان شريطية عديدة بالقَرَحات الناتجة

QaradawiBooks.com

عنها، كما أنه يمكن أن ينتج عن البُوَيْضات المتشابهة بَثَرات مختلفة اختلافًا تامًّا، هذا إلى أن رؤوس الديدان المتولِّدة من القروح، تتحوَّل إلى ديدان شريطية كاملة التكوين، بالغة النمو بمصران الكلاب... ومع ذلك يلاحظ أن وزن الكبد يزداد ازديادًا بالغًا، قد يصل من خمسة إلى عشرة أضعاف وزنه العادي، وأما في الإنسان، فإنها تصل إلى حجم قبضة اليد أو رأس الطفل الصغير، وتمتلئ سائلًا أصفر، وتزن من ١٠ إلى ٢٠ رطلًا.

وعلى كل حال، فإن هذه القَرْحة أينما وُجدت خطرٌ أكيد على صحة المصاب بها وحياته... ولكن ممَّا يدعو للأسف الشديد، أن الحالات التي تموت فيها هذه الطفيليَّات، دون أن تترك أثرًا، أو تُحْدِث أضرارًا نادرة بالنسبة للحالات الأخرى، وهذا فضلًا عن أن محاربتها بالطرق الكيميائية لم تأتِ بأية فائدة، وطالما لا يلتجئ المصاب إلى أسلحة الجرَّاحين، لا ينقذه من الوبال أي طريق من طرق العلاج الأخرى.

وهذه الأسباب مجتمعة تضطرنا لاتخاذ جميع الوسائل المستطاعة لمكافحة هذا المرض العُضال ووقاية الإنسان من أخطاره الفجائية... وقد يكون من أنجع الطرق في مكافحتها، هو أن نجتهد في حصر هذه الدودة في الكلاب، وحبسها عن الانتشار، وذلك لعدم استطاعتنا في الواقع منع اقتناء الكلاب بتاتًا... ويمكن للإنسان وقاية لصحته وحرصًا على حياته، أن يراعي بدقة زائدة الابتعاد الكلي عن مداعبة الكلاب، فلا يسمح لها بالاقتراب منه؛ كما ينبغي تربية الأطفال على الاحتراس من الاختلاط بالكلاب، فلا تُترك تلعق أيديهم، ولا يُسمح لها بالإقامة بأماكن نزهة الأطفال ولهوهم.

فإنه مما يدعو للأسف الشديد أن نرى عددًا كبيرًا من الكلاب، خصوصًا في ميادين رياضة الأطفال.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

هذا إلى بِرازها المبعثر في كل أركانها؛ كما ينبغي إعداد أوانٍ خاصة لإطعام الكلاب، فلا تترك تلعق في الصحون التي يستعملها الإنسان، ولا يسمح لها بدخول متاجر المأكولات، والأسواق العمومية أو المطاعم... إلى آخره، وعلى العموم يجب أخذ الحِيطة التامَّة، بإبعادها عن كل ما له مساسٌ بمأكل الإنسان أو مشربه»[1] اهـ.

وبعد، فقد رأيتَ كيف نهى محمد ﷺ عن مخالطة الكلاب، وحذر من ولوغها في أواني الطعام والشراب، وحذَّر من اقتنائها لغير ضرورة! كما أوصى بالرحمة والإحسان بها.

وكيف اتفقت تعاليمُ محمد العربي الأُمِّي، مع أحدث ما وصل إليه العلم المعاصر والطب الحديث!

إننا لا يسعُنا إلا أن نقول ما قاله القرآن: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤].

(١) مقال للأستاذ جرارد فنتستمر، بمجلة (Kosinos) الألمانية، نقله قلم الترجمة لمجلة نور الإسلام، عدد ربيع الثاني، المجلد الثاني.

QaradawiBooks.com



٤
في الكسب والاحتراف

غير مرخصة للطباعة

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ [الملك: ١٥].

هذا هو مبدأ الإسلام... الأرض قد هيَّأها الله وسخَّرها ذلولًا للإنسان، فينبغي أن ينتفع بهذه النعمة، ويسعى في جوانبها مبتغيًا من فضل الله.

• **قعود القادر عن العمل اكتفاء بالسؤال: حرام**

ولا يحل للمسلم أن يَكْسَل عن طلب رزقه، باسم التفرغ للعبادة، أو التوكُّل على الله، فإن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة.

كما لا يحلُّ له أن يعتمد على صدقةٍ يُمنَحها، وهو يملك من أسباب القوة ما يسعى به على نفسه، ويُغني به أهله ومَن يعول. وفي ذلك يقول نبي الإسلام ﷺ: «**لا تحل الصدقة لغني، ولا لذي مِرَّة** (أي قوة) **سَوِيّ**»[(١)].

ومن أشد ما قاومه النبي عليه الصلاة والسلام، وحرَّمه على المسلم: أن يلجأ إلى سؤال الناس، فيُريق ماء وجهه، ويخدش مروءته وكرامته، من غير ضرورة تُلجئه إلى السؤال. قال ﷺ: «**الذي يَسأل من غير حاجة، كمثل الذي يلتقط**

(١) رواه أحمد (٦٥٣٠)، وقال مخرجوه: إسناده قوي. وأبو داود (١٦٣٤)، والترمذي (٦٥٢)، وقال: حسن. كلاهما في الزكاة، وصححه الألباني في غاية المرام (١٥٠)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

الجَمْر»[١]. وقال: «**من سأل الناس ليُثري به مالَه كان خُمُوشًا في وجهه يوم القيامة، ورَضْفًا يأكله من جهنم، فمن شاء فلْيُقلِلْ، ومن شاء فليُكْثِرْ»**[٢].

وقال: «**لا تزال المسألة بأحدكم، حتى يلقى الله وليست في وجهه مُزعة لحم»**[٣].

بمثل هذه القوارع الشديدة صان النبي ﷺ للمسلم كرامته، وعوَّده التعفُّف، والاعتماد على النفس، والبُعد عن تكفُّف الناس، والتوكُّل على الله.

• متى تباح المسألة؟

ولكن الرسول صلوات الله عليه يُقدِّر للضرورة والحاجة قدرها، فمن اضطُرَّ تحت ضغط الحاجة إلى السؤال، وطَلَبَ المعونة من الحكومة أو الأفراد، فلا جُناح عليه، قال: «**إنما المسائل كُدُوح، يَكْدَح الرجل بها وجهه، فمن شاء أبقى على وجهه، ومن شاء ترك، إلا أن يسأل ذا سلطان، أو في أمرٍ لا يجد منه بُدًّا»**[٤].

روى مسلم في صحيحه، عن أبي بِشْر قَبِيْصة بن المُخَارق رضي الله عنه قال: تحمَّلتُ حَمالةً، فأتيتُ رسول الله ﷺ أسأله فيها، فقال: «**أقِمْ حتى تأتينا**

---

(١) رواه أحمد (١٧٥٠٨)، وقال مخرجوه: صحيح لغيره. وابن خزيمة في الزكاة (٢٤٤٦)، والطبراني (١٥/٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٥٢٦): رجاله رجال الصحيح. وصححه الألباني في غاية المرام (١٥١)، عن حبشي بن جنادة.

(٢) رواه الترمذي في الزكاة (٦٥٣)، وقال: غريب من هذا الوجه. وابن أبي شيبة في مسنده (٨٤٨)، والطبراني (١٤/٤)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (١٥٢)، عن حُبْشي بن جُنادة. والرَّضْف هو: الحجارة المُحْمَاة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٧٤)، ومسلم (١٠٤٠)، كلاهما في الزكاة، عن ابن عمر.

(٤) رواه أحمد (٢٠٢١٩)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح. وأبو داود (١٦٣٩)، والترمذي (٦٨١)، وقال: حسن صحيح. والنسائي (٢٥٩٩)، ثلاثتهم في الزكاة، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (١٥٤)، عن سمرة بن جندب.

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الصدقة، فنأمر لك بها. ثم قال: «يا قبيصة، إن المسألة لا تحل إلا لأحدِ ثلاثة: رجل تحمَّل حَمالة فحلَّت له المسألة حتى يُصيبَها ثم يمسك، ورجل أصابته جائحةٌ اجتاحت ماله فحلَّت له المسألة حتى يصيب قِوامًا من عيش، ورجل أصابته فَاقَةٌ حتى يقول ثلاثة من ذوي الحِجا من قومه: لقد أصابت فلانًا فاقة؛ فحلَّت له المسألة حتى يصيب قِوامًا من عيش. فما سواهن من المسألة يا قَبِيصَةُ سُحْتٌ، يأكلها صاحبها سُحْتًا»[1].

الحَمالة: ما يتحمَّلُه المُصلِح بين فئتين في ماله، ليرتفع بينهم القتال ونحوه.

الجائحة: الآفة تصيب الإنسان في ماله.

القِوام: ما يقوم به حال الإنسان من مالٍ وغيره.

الحِجا: العقل والرأي.

- **الكرامة في العمل:**

وينفي النبي ﷺ فكرةَ احتقار بعض الناس لبعض المهن والأعمال، ويُعَلِّم أصحابه أن الكرامة كلَّ الكرامة في العمل، أي عمل، وأن الهوان والضِّعَة في الاعتماد على معونة الناس. يقول الرسول الكريم: «**لأن يأخذ أحدكم حَبْلَه، فيأتي بحُزْمة حَطَبٍ على ظهره، فيبيعها فيكفُّ الله بها وجهه، خير من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه**»[2].

فللمسلم أن يكتسب عن طريق الزراعة أو التجارة أو الصناعة، أو في أي حرفة من الحرف، أو وظيفة من الوظائف، ما دامت لا تقوم على حرام، أو تُعين على حرام، أو تقترن بحرام.

---

(١) رواه مسلم في الزكاة (١٠٤٤)، وأحمد (٢٠٦٠١).

(٢) رواه البخاري (١٤٧١) عن الزبير بن العوام.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

• الاكتساب عن طريق الزراعة:

في القرآن الكريم يذكر الله تعالى في معرض التفضُّل والامتنان على الإنسان الأصولَ التي لا بدَّ منها لقيام الزراعة.

فالأرض هيَّأها الله للإنبات والإنتاج، فجعلها ذلولًا، وجعلها بِسَاطًا، وهي لذلك نعمة للخلق يجب أن يذكروها ويشكروها: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ۝ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح: ١٩، ٢٠]. ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ۝ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ۝ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٠ ـ ١٣].

والماء يسَّره الله تعالى، ينزله مطرًا، أو يجريه أنهارًا، أو يُفجِّره عيونًا، فيُحيي به الأرض بعد موتها: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ [الأنعام: ٩٩]. ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝ وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾ [عبس: ٢٤ ـ ٢٨]. ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ۝ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ۝ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٣٣ ـ ٣٥].

والرياح يرسلها الله مبشِّرات، فتسوق السحاب، وتلقِّح النبات؛ وفي ذلك كله يقول الله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ۝ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ۝ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾ [الحجر: ١٩ ـ ٢٢]. وفي كل هذه الآيات تنبيه إلهي للإنسان إلى نعمة الزراعة، وتيسير وسائلها له.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

وقال رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم يغرس غرسًا، أو يزرع زرعًا، فيأكل منه طير ولا إنسان، إلا كان له صدقة**»[١].

وقال: «**ما من مسلم يغرس غرسًا، إلا كان ما أكل منه له صدقة، وما سرق منه له صدقة، ولا يرزؤه أحدٌ إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة**»[٢].

ومقتضى الحديث أن الثواب مستمرٌّ، ما دام الغرس أو الزرع مأكولًا منه، أو منتفعًا به، ولو مات غارسه أو زارعه، ولو انتقل ملكه إلى ملك غيره.

قال ابن العربي: مِن سَعة كرم الله أن يُثيب على ما بعد الحياة ـ كما كان يُثيب على ذلك في الحياة ـ في ستة: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له، أو غرس، أو زرع، أو رباط[٣] (وهو الإقامة بسلاحه وعتاده على الثُّغُور والحدود لحراستها من الأعداء).

وقد روَوْا أن رجلًا مرَّ بأبي الدَّرْداء رضي الله عنه، وهو يغرس جَوزة، فقال: أتغرس هذه وأنت شيخ كبير، وهذه لا تُثمر إلا في كذا وكذا عامًا؟! فقال أبو الدرداء: ما عليَّ أن يكون لي أجرها، ويأكل منها غيري[٤]؟

واستدلَّ بعض العلماء بهذه الأحاديث وأمثالها على أن الزراعة أفضل المكاسب. وقال آخرون: بل الصناعة وعمل اليد أفضل. وقال غيرهم: بل التجارة.

---

(١) رواه البخاري في المزارعة (٢٣٢٠)، عن أنس.

(٢) رواه مسلم في المساقاة (١٥٥٢)، عن جابر.

(٣) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لابن علان (٣٧٥/٢)، تحقيق خليل مأمون شيحا، نشر دار المعرفة، بيروت، ط ٤، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

(٤) شرح السنة للبغوي (١٥١/٦)، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش، نشر المكتب الإسلامي، دمشق، ط ٢، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

QaradawiBooks.com

وقال القسطلاني: ينبغي أن يختلف ذلك باختلاف الأحوال، فحيث احتيج إلى الأقوات أكثر تكون الزراعة أفضل، للتوسعة على الناس. وحيث احتيج إلى المتجر لانقطاع الطرق ـ مثلًا ـ تكون التجارة أفضل، وحيث احتيج إلى الصنائع تكون أفضل[١].

وهذا التفصيل الأخير يوافق أفضل ما انتهى إليه الاقتصاد الحديث.

• الزراعة المحرمة:

كل نبات حَرَّم الإسلام تناوله. أو لا يُعرف له استعمال إلا في الضَّرَر، فزراعته حرام، كالحشيش ونحوه.

ومثل ذلك التبغ (الدخان)، إن قلنا تناوله حرام ـ كما هو الراجح ـ فزراعته حرام، وإن قلنا مكروه فمكروه.

وليس عذرًا للمسلم أن يزرع الشيء المحرم ليبيعه لغير المسلمين، فإن المسلم لا يروِّج الحرام أبدًا، كما لا يحل له أن يربي الخنازير ـ مثلًا ـ ليبيعها للنصارى. وقد رأينا كيف حَرَّم الإسلام بيع العنب الحلال، لمن يُعلم أنه يتخذه خمرًا.

• الصناعات والحِرَف:

رغب الإسلام في الزراعة، ونوَّه بفضلها، وأشاد بمثوبة أهلها؛ ولكنه كره لأمته أن تحصر نشاطها وجهدها في الزراعة، كما تنحصر قوقعة البحر في صدفتها، وأبى الإسلام على أبنائه أن يكتفوا بالزرع وحده، ويتبعوا أذناب البقر وكفى، فهذا نقص في كفاية الأمة يعرضها للخطر.

---

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني (١٧١/٤)، نشر المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط ٧، ١٣٢٣هـ.

QaradawiBooks.com

ولا غرو أن أعلن الرسول ﷺ، أن ذلك مصدر شرٍّ وبلاء، وذُل يحيق بالأمة، وهو ما صدقه الزمن أعظم تصديق.

قال ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعِينة[1]، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد؛ سلَّط الله عليكم ذُلًّا لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم**»[2].

إذن، فلا بد مع الزراعة من الصناعات والحِرف الأخرى، التي تكتمل بها عناصر الحياة الطيبة، ومقومات الأمَّة العزيزة الحُرَّة، والدولة القوية الغنية. وهذه الحرف والصناعات ليست عملًا مُباحًا في شريعة الإسلام فحسْب، بل هي ـ كما قرَّر أئمته وعلماؤه ـ فرض كفاية في دين المسلمين.

بمعنى أن الجماعة الإسلامية، لا بد أن يتوافر في أهلها من كل ذي علم وحرفة وصناعة من يكفي حاجتها، ويقوم بشأنها. فإذا حدث نقص في جانب من جوانب العلم أو الصناعة، ولم يوجد من يقوم به، أثمت الجماعة كلها، وبخاصة أولو الأمر، وأهل الحل والعقد فيها.

قال الإمام الغزالي: «أما فرض الكفاية، فهو كلُّ عِلم لا يُستغنَى عنه في قِوام أمور الدنيا، كالطب؛ إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان، وكالحساب فإنه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث،

(١) هو أن يبيع من رجل سلعة بثمن معلوم إلى أجل مسمَّى، ثم يشتريها منه بأقل من الثمن الذي باعها به. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير مادة (ع. ي. ن).

(٢) رواه أحمد (٤٨٢٥)، وقال مخرجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. وأبو داود في البيوع (٣٤٦٢)، وقال ابن القطان في بيان الوهم والإيهام (٢٩٦/٥): رجاله ثقات. وقوَّاه ابن القيم في تهذيب سنن أبي داود (١٠٤/٥)، تحقيق أحمد شاكر ومحمد حامد الفقي، وصححه الألباني في غاية المرام (١٦٠)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

وغيرهما. وهذه هي العلوم التي لو خـلا البلد عمَّن يقوم بها حرج أهل البلد، وإذا قام بها واحد كفى، وسقط الفرض عن الآخرين.

فلا يُتعجَّب من قولنا: إن الطبَّ والحساب من فروض الكفايات، فإن أصـول الصناعات أيضًا مـن فروض الكفايـات، كالفلاحـة والحياكة (النسـيج) والسياسـة، بل الحجامة والخياطة، فإنه لو خـلا البلد من الحجَّام لسـارع الهلاك إليهم بتعريضهم أنفسهم للهلاك، فإن الذي أنزل الـداء، أنزل الدواء، وأرشـد إلى اسـتعماله، وأعدَّ الأسـباب لتعاطيه، فلا يجوز التعرُّض للهلاك بإهماله»[1].

وقد أشار القرآن إلى كثير من الصناعات، وذكرها على أنها نعمة من فضل الله، كقوله عـن داود: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۞ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾ [سـبأ: ١٠، ١١]. ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

وقوله عن سليمان: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۞ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٢، ١٣].

وقوله عن ذي القرنين وإقامة سـدِّه العالي: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۞ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۞ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٥ ـ ٩٧].

---

(١) إحياء علوم الدين (١٦/١).

QaradawiBooks.com

وذكر قصة نـــوح وصُنْعه للســـفينة، ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [المؤمنون: ٢٧].

وأشار إلى نوع ضخْم من الســـفن يجري في البحار كالجبال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ [الشورى: ٣٢]. أي الجبال.

وذكر في كثير من سُوَرِه صناعة الصيد بكل صوره وأنواعه، من صيد الحيوانات البرية وصيد الأســـماك وحيـــوان البحـــر، وصناعة الغوص لاستخراج اللؤلؤ والمرجان ونحوهما.

وفوق ذلك كله نبَّه القرآن على قيمة الحديد، تنبيهًا لم يسبقه به كتاب دين أو دنيا، فبعد أن ذكر الله تعالى إرساله الرسل لخلقه، وإنزاله الكتب عليهـــم قـــال: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥]. ولا عجب أن سُمِّيت السورة التي فيها هذه الآية سورة «الحديد». وما فيه بأس شديد يشير إلى الصناعات الحربية، وما فيه منافع للناس يشير إلى الصناعات المدنية، وعلى علماء المسلمين أن يمتلكوها.

وكل صناعة أو حِرْفة تســـدُّ حاجة فـــي المجتمع، أو تجلـــب له نفعًا حقيقيًّا، فهي عمل صالح، إذا نصح فيها صاحبها، وأتقنها كما أمره الإسلام.

وقد مجَّد الإسلام حرفًا، كان الناس ينظرون إليها نظرة فيها كثير من التحقير والازدراء، فعملٌ كرعي الغنم لا يعبأ الناسُ بصاحبه في العادة، ولا ينظرون إليه نظرة إجلال أو تكريم، ولكنه ﷺ يقول: «**ما بعث الله نبيًّا إلا رعى الغنم**». قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: «**نعم، كنتُ أرعاها على قراريط لأهل مكة**»[1].

(١) رواه البخاري في الإجارة (٢٢٦٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

محمد رسول الله ﷺ وخاتم النبيين: كان يرعى الغنم، وأكثر من ذلك أنها لم تكن غنمه، بل يرعاها بأجـر معين لبعض أهل مكة، ويذكر هذا لأتباعه ليعلمهم أن الفخر للعاملين، لا للمترفين والعاطلين.

وقد قص القرآن علينا قصة سيدنا موسى، وهو يعمل أجيرًا عند شيخ كبير استأجره ثماني سنين، على أن يزوِّجه إحدى ابنتيه، وكان عنده نِعْمَ العامل، ونِعْمَ الأجير، وصدقت فيه فِراسة ابنة الشيخ حين قالت: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

وقد روَوْا عن ابن عبَّاس: أن داود كان زرَّادًا، يصنع الزَّرَد والدُّروع. وكان آدمُ حرَّاثًا، وكان نوح نجَّارًا، وكان إدريس خيَّاطًا، وكان موسى راعيًا[1].

فليهنأ المسلم بحرفته، فما من نبي إلا عمل في حرفة. وفي الصحيح: «**ما أكل أحـد طعامًا قط، خيرًا من أن يأكل من عمـل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده**»[2].

• صناعات وحِرَف يحاربها الإسلام:

غير أن هناك صناعات وحرفًا يحرِّم الإسلام على أبنائه الاشتغال بها، لما فيها من إضرار بالمجتمع في عقيدتـه أو في أخلاقه، أو أعراضه أو مقوماته الأدبية.

• البغاء:

فالبغاء مثـلًا حِرْفة تبيحهـا أكثر بـلاد الغرب، وتعطـي بها إذنًا وترخيصًا، يجعل صاحبته ضمن أصحـاب الحرف، ويُعطيها حقوقهم،

(١) رواه الحاكم في تواريخ المتقدمين (٥٩٦/٢).
(٢) رواه البخاري في البيوع (٢٠٧٢)، عن المقدام بن معديكرب.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

على حين يرفض الإسلام ذلك كل الرفض، ولا يُجيز لحُرَّة ولا لأمَة أن تتكسب بفَرْجها.

وقد كان بعض أهل الجاهلية يفرضون ضريبة يومية على الأمة، عليها أن تؤدِّيها لسيدها، بأي طريق اكتسبتها، وكانت كثيرًا ما تلجأ إلى احتراف الزِّنَى لتدفع ما ضُرب عليها. وكان بعضهم يُكرهُهن على ذلك إكراهًا، طلبا لعَرَض دنيوي تافه، وكسْب قَذِر رخيص. فلما جاء الإسلام، ارتفع بأبنائه وبناته عن هذا الهوان، فعن جابر: أن جارية لعبد الله بن أبيٍّ ابنِ سَلُولَ يقال لها: مُسَيْكَة، وأخرى يقال لها: أُمَيْمة، فكان يكرههما على الزنى، فشكتا ذلك إلى النبي ﷺ، فأنزل الله: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٣٣][1].

وبذلك منع النبي هذا الاحتراف الدَّنِس، أيًّا كان الدافع إليه، وأهدر كل ما يمكن أن يُقال من الحاجة أو الضرورة أو نُبْل الغاية، ليبقى المجتمع الإسلامي طاهرًا من هذه الخبائث والموبقات.

• الرقص والفنون الجنسية:

وكذلك لا يقبل الإسلام احتراف الرقص الجنسي المثير، ولا أي عمل من الأعمال التي تُثير الغريزة، كالغناء الخليع، والتمثيل الماجن، وكلِّ عَبَثٍ من هذا النوع، وإن سمَّاه بعض الناس «فَنًّا» وعده قومٌ «تقدُّمًا» إلى غير ذلك من العبارات المضلِّلة.

إن الإسلام حرَّم كلَّ علاقة جنسية تقوم على غير الزواج، وحرَّم كل

(١) رواه مسلم في التفسير (٣٠٢٩).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قول أو عمل يفتح نافـذة إلى علاقة محرمة. وهذا سـرُّ نهي القرآن عن الزِّنَى بهذا التعبير المُعجز: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]. فلم يكتفِ بالنهي عن الزِّنَى، بل نهى عن القرب منه.

وكل ما ذكرناه، وما يعرفه الناس من مثيرات، إنما هو قُرْب من هذه الفاحشة، بل إغراء بها، وتحريض عليها، ألَّا ساء ما يفعلون.

• صناعة التماثيل والصلبان ونحوها:

وإذا كان الإسـلام ـ كما ذكرنا ـ يُحرِّم اتخاذ التماثيـل، فإنه يحرِّم صناعتها أكثر من اتِّخاذها.

وقد روى البخاري عن سعيد بن أبي الحسن قال: كنتُ عند ابن عباس، إذ جاءه رجل فقال: يا ابن عباس، إني رجل إنما معيشتي من صَنْعة يدي، وإني أصنع هذه التصاوير! فقال ابن عباس: لا أُحدِّثك إلا ما سمعتُ من رسول الله ﷺ، سمعتُه يقول: «**من صوَّر صورة، فإن الله يُعذِّبه حتى ينفخ فيها الرُّوح، وليس بنافخ فيها أبدًا**». فَرَبَا الرجل رَبْوة شـديدة (يعني انتفخ مـن الغيظ والضيق). فقـال ابن عباس: ويحك، إن أبيت إلا أن تصنع، فعليك بهذا الشجر، وكل شيء ليس فيه رُوح[(١)].

ومثل ذلك صناعة الأصنام أو الصلبان أو ما ماثلها.

أما تصوير اللوحات والتصوير الفوتوغرافـي، فقد قدَّمْنا أن الأقرب إلى رُوح الشريعة فيهما هو الإباحة، أو على الأكثر الكراهة، وهذا ما لم

(١) متفق عليه: رواه البخاري في البيوع (٢٢٢٥)، ومسلم في اللباس والزينة (٢١١٠).

QaradawiBooks.com

يشتمل موضوع الصورة نفسها على مُحَرَّم في الإسلام، كإبراز مواضع الفتنة من الأنثى، وتصوير رجل يُقَبِّل امرأة.. ونحوها. ومثل ذلك الصور التي تُعظَّم وتقدَّس، كصُوَر الملائكة والأنبياء ونحوها.

• صناعة المُسكرات والمخدِّرات:

وقد علمنا مما تقدم أن الإسلام يُحَرِّم كل مشاركة في ترويج الخمر، صناعة أو توزيعًا أو تناولًا، وكل من فعل ذلك فهو ملعون على لسان رسول الله ﷺ، والمخدِّرات من حشيش وأفيون وغيرهما مثل المسكرات في حرمة تداولها وتوزيعها وصنعها.

وكذلك يأبى الإسلام على المسلم أن يشتغل بأي صناعة أو حرفة تقوم على عمل شيء حرام، أو ترويج أمر حرام.

• الاكتساب عن طريق التجارة:

دعا الإسلام في نصوص قرآنه، وفي سُنَّة رسوله دعوةً قوية إلى التجارة، والعناية بها، وأغرى بالرحلة والسفر من أجلها، وسمَّاه «ابتغاء من فضل الله»، وقرن الله تعالى ذكر الضاربين في الأرض للتجارة بالمجاهدين في سبيل الله، قال: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠].

وفي القرآن يمتنُّ الله تعالى على الناس بتهيئته لهم سُبُل التجارة الداخلية والخارجية، بالمواصلات البحرية، التي لا تزال أعظم وسائل النقل للتجارة العالمية، فيقول تعالى ممتنًّا بتسخير البحر وإجراء السفن التجارية فيه: ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٤]. ويقرن ذلك أحيانًا بإرسال الرياح:

QaradawiBooks.com

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الروم: ٤٦].

ويكرِّر القرآن ذلك تذكيرًا بالنعمة، وتنبيهًا على الانتفاع بها، حتى إن القرآن ليجعل من آيات الله، الدالة على وجوده وقدرته وحكمته: الفُلك ﴿ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾ [البقرة: ١٦٤]، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴾ [الشورى: ٣٢].

وقد امتنَّ الله على أهل مكة بما هيَّأ لهم من أسباب، جعلت بلدهم مركزًا تجاريًّا ممتازًا في جزيرة العرب: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا ﴾ [القصص: ٥٧]. وبهذا تحقَّقت دعوة إبراهيم: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وامتن الله على قريش إذ يسَّر لهم رحلتين تجاريتين في كل عام: رحلة إلى اليمن في الشتاء، ورحلة إلى الشام في الصيف، يسيرون فيهما آمنين بفضل سِدانتهم للبيت الحرام (الكعبة)، فليشكروا هذه النعمة بعبادة الله وحده، رب البيت وصاحب الفضل عليهم: ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۞ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۞ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۞ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ [قريش: ١ ـ ٤]. فوفَّر لهم الكفاية والأمن، وهما من أعظم نعم الله على البشر.

وقد هيَّأ الإسلام للمسلمين فرصة التبادل التجاري، فيما بين أقطارهم وشعوبهم، على نطاق عالمي واسع في كل عام، وذلك في الموسم السنوي الإسلامي العالمي؛ موسم الحج إلى بيت الله الحرام، حين

QaradawiBooks.com

يأتون: ﴿ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ ﴾ [الحج: ٢٧، ٢٨].

ومن هذه المنافع ولا شك التجارة، وقد روى البخاري[١] أن المسلمين كانوا يتحرَّجون من التجارة في موسم الحج، يخشَوْن أن يكون في هذا ما يشُوب إخلاص نيَّتِهم، أو يكدِّر صفاء عبادتهم، فنزل القرآن يقول في صراحة وجلاء: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٨].

وقد امتدح القرآن رُوَّاد المساجد، المسبِّحين لله بالغدو والآصال بأنهم: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ﴾ [النور: ٣٧]. فالمؤمنون في نظر القرآن ليسوا أحلاس مساجد، ولا دراويش تكايا، ولا رهبان أديرة، إنما هم رجال أعمال، وميزتهم أن أعمالهم الدنيوية لا تشغلهم عن واجباتهم الدينية.

هذا بعض ما جاء في القرآن عن التجارة.

أما في السُّنَّة، فقد حثَّ نبي الإسلام على التجارة، وعُني بأمرها، وإرساء قواعدها بقوله وفعله وتقريره.

ففي أقواله الحكيمة: «**التاجر الصدوق الأمين مع النبيِّين والصِّدِّيقين والشهداء**»[٢].

---

(١) رواه البخاري في الحج (١٧٧٠)، عن ابن عباس.

(٢) رواه الترمذي (١٢٠٩)، وقال: حديث حسن. والدارمي (٢٥٨١)، والحاكم (٦/٢)، شاهدًا وحكم عليه بالإرسال، والدارقطني (٢٨١٣)، أربعتهم في البيوع، وحسنه ابن القطان في الوهم والإيهام (٤٧٨/٤، ٤٧٩)، وقال الذهبي في الميزان (٤١٣/٣): جيد الإسناد صحيح المعنى. وصححه الألباني لغيره في صحيح الترغيب (١٧٨٢)، وضعَّفه في غاية المرام (١٦٧)، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

ولا عجب إذ جعل النبي ﷺ التاجر الصدوق بمنزلة الصِّدِّيق، والشهيد في سبيل الله؛ فقد أثبتت لنا تجارب الحياة، أن الجهاد ليس في ميدان القتال وحده، بل في ميدان الاقتصاد أيضًا.

وإنما وُعِد التجار بهذه المنزلة الرفيعة عند الله، وهذه المثوبة الجزيلة في الآخرة؛ لأن التجارة في الغالب تُغري بالطمع، واكتساب الربح من أي طريق، والمال يلد المال، والربح يُغري بربحٍ أكثر. فمن وقف عند حدود الصدق والأمانة، فهو مجاهد انتصر في معركة الهوى، وحق له منزلة المجاهدين.

كما أن من شأن التجارة أن تُغرق أهلها في دوَّامة من الأرقام، وحساب رأس المال والأرباح، حتى إننا نجد في عهد الرسول ﷺ قافلةً تحضر بتجارة والنبيُّ يخطب، فما إن سمع القوم بها، حتى شُغلوا عنه، وانصرفوا إليها، فنزل قوله تعالى يُعاتبهم[1]: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الجمعة: ١١].

فمن استطاع أن يبقى في هذه الدوامة قويَّ اليقين، عامر القلب بخشية الله، رطْب اللِّسان بذكر الله، كان جديرًا أن يكون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيِّين والصِّدِّيقين والشهداء.

ويكفينا مِنْ فعله عليه السلام في شأن التجارة، أنه كما عُني بالجانب الرُّوحي، فأقام مسجده بالمدينة أوائلَ قُدومه على تقوى من الله ورضوان، ليكون جامعًا للعبادة، وجامعة للعلم، ودارًا للدعوة، ومركزًا للدولة؛ عُني

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٩٣٦)، ومسلم (٨٦٣)، كلاهما في الجمعة، عن جابر.

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

بالجانب الاقتصادي، فأقام سُوقًا إسلامية صِرْفًا، لا سلطان لليهود عليها، كما كانت سوق بني قَيْنُقاع من قبل[١].

وقد رتَّب النَّبي ﷺ بنفسه أوضاعَها، وظل يرعاها بتعاليمه وتوجيهاته، فلا غش، ولا تطفيف، ولا احتكار، ولا تناجُش.. إلى غير ذلك مما سنذكره عند حديثنا عن «المعاملات» في باب «الحلال والحرام في الحياة العامَّة للمسلم».

وفي سِيَر أصحاب رسول الله ﷺ نجد منهم التُّجَّار البارعين، كما نجد الصُّنَّاع والزرَّاع، وسائر أهل الحرف والأعمال.

فهذا رسول الله بين أظهرهم تتنزل عليه آيات الله، ويُناجيهم بكلمة السماء، ويغدو عليه الرُّوح الأمين ويروح بوحْي الله؛ وكلهم حُبٌّ لهذا النبي وإخلاص وتجرُّد لله تعالى، يتمنَّى كلُّ امرئ منهم ألَّا يفارقه طَرْفةَ عين.

ومع هذا نجد أصحابه كُلًّا في عمله؛ هذا يضرب في الأرض لتجارة، وهذا يعمل في نخيله وزرعه، وذاك يسعى في حرفته وصنعته. ومن فاته من تعليم الرسول شيء، سأل عنه إخوانه ما استطاع، وقد أُمروا أن يُبَلِّغ الشاهدُ الغائب.

فالأنصار في الغالب كانوا أهل زرع ونخيل، والمهاجرون في الغالب كانوا أهل تجارة وصفْق في الأسواق.

---

(١) رواه ابن شبة في تاريخ المدينة (٣٠٤/١)، تحقيق فهيم محمد شلتوت، ١٣٩٩هـ. ولفظه: عن عطاء بن يسار قال: لما أراد رسول الله ﷺ أن يجعل للمدينة سوقًا أتى سوق بني قينقاع، ثم جاء سوق المدينة فضربه برجله وقال: «**هذا سوقكم، فلا يضيق، ولا يؤخذ فيه خراج**».

QaradawiBooks.com

وهـذا عبد الرحمن بن عـوف المهاجر، يعرض عليـه أخوه في الله سعد بن الرَّبِيع الأنصاري أن يشاطره ماله وداريه، ويختار إحدى زوجتيه، فيطلِّقها له، فيلقى هذا الإيثار النبيل بعفاف نبيل آخر.

ويقول لسعد: بارك الله لك في مالك وأهلك، لا حاجة لي في ذلك، هل من سـوق فيه تجارة؟ قال سعد: نعم، سـوق بني قَيْنُقاع. فغدا إليه عبد الرحمن بأَقِط (جبن) وسـمن، وباع واشـترى. ثم تابع الغُدُوَّ إلى السوق[١]، حتى صار من أكبر أثرياء المسلمين، ومات عن ثروة ضخمة[٢].

وهذا أبو بكر الصديق ظلَّ يُتاجر ويسعى، حتى يوم بايعه المسلمون خليفة، كان يريد أن يذهب إلى السوق يحترف لأهله[٣].

وهذا عمر قال عن نفسه: ألهاني الصفْق بالأسواق عن سماع حديث النبي ﷺ[٤]. وهذا عثمان.. وهؤلاء كثيرون.

• موقف الكنيسة من التجارة:

وهكذا سار المجتمع الإسلامي مقبلًا على دنياه في ظل دينه، يتاجر ويبيع، ولكـن لا تلهيه تجارة ولا بيـع عن ذكر الله. علـى حين كانت الجماهيـر في القـرون الوسـطى بمعظـم الممالك والـدول الأوربية المسيحية، يتردَّدون في مقابلة غامضة بين فكرة التخليص أو الخلاص، أي: خلاص النفس من الخطيئة التي تنغمس فيها، إن هي عارضت آراء «الأكليروس» ونشـطت إلـى الحِرَف والتجـارة هذا مـن ناحية، وبين

(١) رواه البخاري في البيوع (٢٠٤٩)، عن أنس.
(٢) رواه الحاكم في معرفة الصحابة (٣٠٨/٣)، عن عثمان بن الشريد.
(٣) رواه البخاري في البيوع (٢٠٧٠)، عن عائشة.
(٤) رواه البخاري في البيوع (٢٠٦٢)، عن أبي موسى الأشعري.

QaradawiBooks.com

المجازفة بالتردِّي في اللَّعنة التي تحلُّ بالناس إذا هم جَرُؤوا على مجابهة تعاليم الآباء من رجال الدين، واشتغلوا بالحِرف والصناعات وبالتجارة.

ولم تكن الخطيئة مجرد سيئة لا يُجزى مُقترفها إلا بقدر ما اقترف من ذنب، ولكنها كانت ـ كما قيل آنئِذٍ للناس ـ خطيئةً أبدية ولعْنة مقيمة، في الأرض وفي السماء، في الحياة الأولى وفي الحياة الآخرة.

يقول القديس أوغسطين: إن ممارسة الأعمال (Business) هي في حقيقتها خطيئة؛ لأنها تصرف النفس عن الحق، وهو الله.

ويقول آخر: إن الشخص الذي يشتري شيئًا ليعود فيبيعه على حالته، وبغير تعديل يُجريه عليه، فإن هذا الشخص الأخير يدخل في زُمْرة المشترين والبائعين المبعَدِين عن حظيرة المعبد وقُدسيته.

وهذه الأقوال لا تخرج عن كونها امتدادًا منطقيًّا لتعاليم القدِّيس بولس الذي قرَّر بأنه: «من حيث إن المسيحي لا ينبغي له أن يُنازع أخاه المسيحي نزاعًا قضائيًّا، فإنه يتعيَّن ألَّا تكون بين المسيحيين تجارة ناشطة»[1].

• التجارة المحرَّمة:

أما الإسلام، فلم يحرِّم من التجارة إلا ما كان مشتملًا على ظُلم أو غِش أو استغلال، أو ترويج لشيء ينهى عنه الإسلام.

فالتجارة بالخمور أو المخدرات أو الخنازير، أو الأصنام أو التماثيل، أو نحو ذلك مما يحرِّم الإسلام تناوله أو تداوله أو الانتفاع به: تجارة

(١) محاضرة وضع الربا في بناء الاقتصاد القومي للأستاذ عيسى عبده إبراهيم صـ ٦٠ وما بعدها بتصرف، نشر دار الاعتصام، القاهرة، ط٢، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م. وقد نقل هذه الحقائق عن مراجع غربية.

QaradawiBooks.com

محرَّمة، لا يرضى عنها الإسلام، وكل كسْبٍ يجيء من طريقها إنما هو سُحْت خبيث. وكلُّ لحم نبت من هذا السُّحت فالنار أولى به.

ولا يشفع لمن يُتاجر بهذه المحرَّمات أن يكون صدوقًا أو أمينًا، فإن أساس تجارته نفسَه مُنكر، يحاربه الإسلام ولا يُقرُّه بحال.

ومن كانت تجارته في الذهب أو الحرير فلا حرج عليه، إذ هما حلال للإناث؛ إلا أن يتاجر في شيء لا يُستعمل إلا للرجال.

فإذا كانت التجارة في شيء مباح، فقد بقي على التاجر أمور يجب أن يحذرها، حتى لا يُبعث يوم القيامة في زمرة الفجار، وإن الفجار لفي جحيم.

خرج النبي ﷺ يومًا إلى المصلَّى، فرأى الناس يتبايعون فقال: «**يا معشر التجار**» **فاستجابوا لرسول الله، ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه فقال:** «**إن التجار يُبعثون يوم القيامة فُجَّارًا، إلا من اتقى الله وبرَّ وصدق**»[(١)].

وعن واثلة بن الأسقع قال: كان رسول الله ﷺ يخرج إلينا ـ وكنا تجارًا ـ وكان يقول: «**يا معشر التجار، إياكم والكذب**»[(٢)].

---

(١) رواه الترمذي في البيوع (١٢١٠)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في التجارات (٢١٤٦)، وابن حبان (٤٩١٠)، وقال الأرناؤوط: حسن لغيره. والحاكم (٦/٢)، وصححه ووافقه الذهبي، كلاهما في البيوع، وصححه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب (١٧٨٥)، وحسنه في الصحيحة (٩٩٤)، وضعَّفه في غاية المرام (١٦٨)، عن رفاعة بن رافع.

(٢) رواه الطبراني (٥٦/٢٢)، قال المنذري في الترغيب والترهيب (٢٧٥٩): إسناده لا بأس به. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٣٠١): محمد بن إسحاق الغنوي، ولم أجد من ترجمه، وبقية رجاله ثقات. وضعَّفه الألباني في غاية المرام (١٦٩)، وصححه لغيره في صحيح الترغيب والترهيب (١٧٩٣).

QaradawiBooks.com

فليحذر التاجر الكذب، فإنه آفة التجار. والكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار. وليحذر كثرة الحلف بعامَّة، واليمين الكاذبة بخاصَّة، فإن النبي ﷺ ذكر: «**ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم**» وذكر منهم: «**والمُنَفِّق سلعتَه بالحَلِف الكاذب**»(١). مُنَفِّق السلعة، أي: مُرَوِّجها.

وعن أبي سعيد قال: مرَّ أعرابيٌّ بشاةٍ، فقلت: تبيعها بثلاثة دراهم؟ فقال: لا والله. ثم باعها، فذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «**باع آخرته بدنياه**»(٢).

وليحذر الغشَّ، فإن الغاشَّ خارج عن منهج الإسلام.

وليحذر من التطفيف في الكيل أو الوزن: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ١ ـ ٣].

وليحذر من الاحتكار حتى لا يبرأ الله ورسوله منه.

وليحذر من الربا، فإن الله يمحقه، وفي الحديث: «**درهمُ ربًا يأكله الرجل وهو يعلم أشدُّ من ستة وثلاثين زَنْيَة**»(٣).

وسنفصل كل ذلك في «المعاملات».

---

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٠٦)، وأحمد (٢١٣١٨)، عن أبي ذر.

(٢) رواه ابن حبان في البيوع (٤٩٠٩)، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن. وحسَّنه الألباني في غاية المرام (١٧١).

(٣) رواه أحمد (٢١٩٥٧)، وقال مخرِّجوه: ضعيف مرفوعًا، وصححوا الموقوف على كعب الأحبار. والطبراني في الأوسط (٢٦٨٢)، والدارقطني في البيوع (٢٨٤٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٥٧٣): رواه أحمد، والطبراني في الكبير، والأوسط، ورجال أحمد رجال الصحيح. وصحَّحه الألباني في غاية المرام (١٧٢)، عن عبد الله بن حنظلة.

QaradawiBooks.com

• الاشتغال بالوظائف:

وللمسلم أن يكسب رزقه عن طريق الوظيفة، سواء أكان تابعًا للحكومة أم لهيئة أم لشخص، ما دام قادرًا على تحمُّل تبِعَات عمله، وأداء واجباته. ولا يجوز لمسلم أن يرشِّح نفسه لعمل ليس أهلًا له، وخاصة إذا كان من مناصب الحكم أو القضاء. فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**ويل للأمراء، ويل للعُرَفاء** (الرؤساء) **ويل للأمناء** (الحفظة على الأموال) **ليتمنينَّ أقوام يوم القيامة أن ذوائبهم معلَّقة بالثريا، يتذبذبون بين السماء والأرض؛ وأنهم لم يَلُوا عملًا**»[(١)].

وعن أبي ذر، قلت: يا رسول الله أَلَا تستعملني (أي في منصب)؟ قال: فضرب بيده على منكبي، ثم قال: «**يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خِزْي وندامة، إلا من أخذها بحقِّها وأدَّى الذي عليه فيها**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**القضاة ثلاثة، واحد في الجنَّة، واثنان في النار، فأما الذي في الجنة، فرجل عرف الحقَّ فقضى به. ورجل عرف الحق فجار، فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهلٍ، فهو في النار**»[(٣)].

---

(١) رواه أحمد (٨٦٢٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وابن حِبَّان في السِّيَر (٤٤٨٣)، والحاكم في الأحكام (٩١/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٠١٧): رجاله ثقات. وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢١٧٩)، وضعَّفه في غاية المرام (١٧٣).

(٢) رواه مسلم في الإمارة (١٨٢٥).

(٣) رواه أبو داود في الأقضية (٣٥٧٣)، والترمذي في الأحكام (١٣٢٢)، وابن ماجه في الأحكام (٢٣١٥)، والنسائي في الكبرى في القضاء (٥٩٢٢)، وصحَّحه ابن الملقِّن في البدر المنير (٥٥٢/٩)، والعراقي في تخريج أحاديث الإحياء (١٩٣/١)، والسيوطي في الصغير (٦١٨٩)، والألباني في غاية المرام (١٧٥)، عن بُريدة.

QaradawiBooks.com

والأولى بالمسلم ألَّا يحرص على تلك المناصب الكبيرة، أو يسعى وراءها، ولو كان لهـا كُفئًا فإن من اتخذ المنصب ربًّـا اتخذه المنصب عبدًا، ومن وَجَّه كلَّ همِّه إلى مظاهر الأرض حُرِم توفيق السماء.

وعـن عبد الرحمن بـن سَـمُرة قـال: قـال لـي رسـول الله ﷺ: «**يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة، فإنك إن أُعطيتَها من غير مسألة أُعنت عليها، وإن أُعطيتها عن مسألة وُكِلت إليها**»(١).

وعن أنسٍ أنه ﷺ قال: «**من ابتغى القضاء وسأل فيه شفعاء، وُكِل إلى نفسه، ومن أُكره عليه أنزل الله عليه ملكًا يُسَدِّدُه**»(٢).

وهذا ما لم يعلم من نفسه أنه لا يسد الفراغَ غيرُه، وإذا لم يُقدِّم نفسه تعطَّلت المصالح، واضطرب حبل الأمور. وقد قـصَّ علينا القرآنُ قصة يوسف الصِّدِّيق حينما أُخرج من السجن، وفيها أنه قال للملك: ﴿**ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ**﴾ [يوسف: ٥٥].

هذا هو أدب الإسلام في طلب الوظائف السياسية ونحوها.

• الوظائف المحرَّمة:

وما قلناه من إباحة الاشـتغال بالوظيفة، إنما هو مقيَّد بألَّا يكون في وظيفته ضررٌ للمسـلمين، فلا يحلُّ لمسلم أن يعمل ضابطًا أو جنديًّا في جيش يحارب المسـلمين، ولا يحل له أن يعمل في مؤسَّسـة أو مصنع

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأحكام (٧١٤٦)، ومسلم في الأيمان (١٦٥٢).
(٢) رواه أحمـد (١٣٣٠٢)، وقال مخرِّجوه: إسـناده ضعيف. وأبو داود فـي الأقضية (٣٥٧٨)، والترمذي (١٣٢٤)، وقال: حسـن غريب. وابن ماجه (٢٣٠٩)، كلاهما في الأحكام، وضعَّفه الألباني في غاية المرام (١٧٦).

QaradawiBooks.com

يُنتج أسلحة لحرب المسلمين، ولا يجوز له أن يشتغل موظَّفًا في هيئة تناوئ الإسلام وتحارب أهله.

وكذلك من اشتغل بوظيفة من شأنها الإعانة على ظلم أو حرام، فهي حرام، كمن يشتغل في عمل ربوي، أو في محل للخمر، أو مَرْقص، أو في ملهًى.. أو نحو ذلك. ولا يُعفي هؤلاء جميعًا من الإثم أنهم لا يباشرون الحرام ولا يقترفونه، فقد قدَّمنا أن من مبادئ الإسلام: أن الإعانة على الإثم إثم. ومن أجل ذلك لعن النبي ﷺ كاتب الربا وشاهديه، كما لعن آكله ومؤكله، ولعن عاصر الخمر وساقيَها، كما لعن شاربها.

وكل هذا ما لم تكن هناك ضرورة قاهرة تُلجئ المسلمَ إلى طلب قُوته من مثل هذه الأعمال، فإن وُجدت، فإنها تُقدَّر بقدرها، مع كراهيته للعمل، ودوام بحثه عن غيره، حتى ييسِّر الله له كسبًا حلالًا، بعيدًا عن أوزار الحرام.

والمسلم ينأى بنفسه دائمًا عن مواطن الشبهات، التي يرق فيها الدين، ويضعف فيها اليقين، مهما كان فيها من كسب ثمين، ومال وفير.

قال ﷺ: «**دع ما يَريبك إلى ما لا يَريبك**»[(١)].

وقال: «**لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به، حذرًا مما به بأس**»[(٢)].

---

(١) رواه أحمد (١٧٢٣). وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٨)، وقال: حديث حسن صحيح. والنسائي في الأشربة (٥٧١١)، وابن حبان في الرقائق (٤٩٨/٢)، والحاكم في البيوع (١٥/٢) وصحّح إسناده، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (١٧٩)، عن الحسن بن علي.

(٢) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤٥١)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه في الزهد (٤٢١٥)، =

QaradawiBooks.com

• قاعدة عامَّة في مسائل الكسب:

والقاعدة العامَّة في الكسب «أن الإسلام لا يبيح لأبنائه أن يكتسبوا المال كيفما شاؤوا، وبأي طرق أرادوا؛ بل هو يفرِّق لهم بين الطرق المشروعة وغير المشروعة لاكتساب المعاش؛ نظرًا إلى المصلحة الجماعية، وهذا التفريق يقوم على المبدأ الكلي، القائل بأن جميع الطرق لاكتساب المال التي لا تحصل المنفعة فيها لفرد إلا بخسارة غيره: غير مشروعة، وأن الطرق التي يتبادل فيها الأفراد المنفعة فيما بينهم بالتراضي والعدل مشروعة.

وهذا المبدأ يبينه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ۝ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗا﴾ [النساء: ٢٩، ٣٠].

فقد شرطت هذه الآية مشروعية التجارة بأمرين:

الأول: أن تكون هذه التجارة عن تراضٍ بين الفريقين.

الثاني: ألَّا تكون منفعةُ فريقٍ قائمة على خسارة الفريق الثاني.

وذلك ما يوضِّحه: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ من هذه الآية، وقد فسَّره المفسِّرون على معنيَيْن ينطبق كلٌّ منهما على هذا المقام.

فالمعنى الأول: ألَّا يقتل بعضكم بعضًا؛ لأن المسلمين كالنفس الواحدة، فمن قتل أخاه فكأنما قتل نفسه.

= والحاكم في الرقائق (٣١٩/٤)، وصححه، ووافقه الذهبي، وقال ابن رجب في فتح الباري (١٦/١): في إسناده بعض المقال. وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٤٣٥)، عن عطية السعدي.

QaradawiBooks.com

والمعنى الثاني: ألَّا تقتلوا أنفسكم بأيديكم.

فمؤدَّى هذه الآيــة على كل حــال: أن كل من يضر غيــره لمنفعته الشــخصية، فكأنه ينزف دمَه، ولا يفتح طريق الهلاك إلا على نفسه في نهاية الأمر.

فالسرقة، والارتشاء، والقمار، والغَرَر، والخديعة، والتدليس، والربا، وكثير غيرها من طرق الكســب، يوجد فيها كل من هذين السببين لعدم المشروعية. وإذا كان يوجد في بعضها شرط التراضي، فإنه يُعْوِزه الشرط المهمُّ الذي يتضمَّنُه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾[1].

(١) أسس الاقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصرة للأستاذ أبي الأعلى المودودي صـ ١٤٣ ـ ١٤٥، ترجمة محمد عاصم الحداد، نشر الدار السعودية، جدة، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الباب الثالث

الحلال والحرام في الزواج وحياة الأسرة

- في مجال الغريزة.
- في الزواج.
- في العلاقة بين الزوجين.
- في تحديد النسل.
- بين الوالدين والأولاد.

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

١

في مجال الغريزة

خلق الله الإنسان ليستخلفه في الأرض ويستعمره فيها. ولن يتم هذا إلا إذا بقي هذا النوع، واستمرَّت حياته على الأرض، يزرع ويصنع، ويبني ويعمِّر، ويؤدِّي حق الله عليه، ولكي يتم ذلك ركَّب الله في الإنسان مجموعة من الغرائز والدوافع النفسية، تسوقه بسلطانها إلى ما يضمن بقاءه فردًا، وبقاءه نوعًا.

وكان من هذا: غريزةُ البحث عن الطعام التي بإشباعها يبقى شخصه، والغريزةُ الجنسية التي بالاستجابة لها يبقى نوعه. وهي غريزة قوية عاتية في الإنسان، ومن شأنها أن تطلب مُتنفَسًا تؤدِّي فيه دورَها، وتُشبع نهمها. وكان لا بد للإنسان أن يقف أمامها أحد مواقف ثلاثة:

- **موقف الإنسان أمام الغريزة الجنسية:**

١ ـ فإما أن يطلق لها العِنان، تسبح أين شاءت وكيف شاءت، بلا حدود توقفها، ولا روادع تردعها، من دِين أو خُلُق أو عُرف. كما هو الشأن في المذاهب الإباحية، التي لا تؤمن بالدين ولا بالفضيلة. وفي هذا الموقف انحطاط بالإنسان إلى مرتبة الحيوان، وإفساد للفرد والأسرة، وللجماعة كلها.

٢ ـ وإما أن يُصادمها ويكبتها. كما هو الشأن في مذاهب التقشُّف والحرمان والتشاؤم، كالمانوية والرَّهْبانية ونحوهما. وفي هذا الموقف

QaradawiBooks.com

وأْد للغريــزة، وتعطيل لعملهــا، ومنافاة لحكمة من ركَّبها في الإنســان وفطره عليها، ومصادمة لسنة الحياة التي تستخدم هذه الغرائز لتستمرَّ في سيرها.

٣ ـ وإما أن يضع لها حدودًا تنطلق في داخلها، وضمن إطارها، دون كبتٍ مرذول، ولا انطلاق مجنون. كما هو الشــأن في الأديان السماوية، التي حرَّمت السِّــفاح، وشــرعت النكاح (الزواج)، وخصوصًا الإسلام الذي اعترف بالغريزة، فيسَّر سبيلها من الحلال، ونهى عن التبتل واعتزال النساء، كما حرَّم الزِّنى وملحقاته ومقدِّماته أشدَّ التحريم.

وهذا الموقف هو العدل والوسط، فلولا شرع الزواج ما أدَّت الغريزة دورَها في استمرار بقاء الإنسان، ولولا تحريم السفاح وإيجاب اختصاص الرجل بامرأة، ما نشــأت الأســرةُ التي تتكــوَّن في ظلالهــا العواطف الاجتماعية الراقية من مودَّة ورحمة، وحنان وحبٍّ وإيثار، ولولا الأسرة ما نشأ المجتمع، ولا أخذ طريقه إلى الرُّقِيِّ والكمال.

• ولا تقربوا الزنى:

ولا عجب ـ إذن ـ رأينا الأديان الســماوية كلَّهــا مُجْمِعة، على تحريم الزنى ومحاربته، وآخرها الإســلام الذي شــدَّد النهي عنه، والتحذير منه، لما يؤدِّي إليه من اختلاط الأنســاب، والجناية على النسل، وانحلال الأُسَر، وتفكُّك الروابط، وانتشار الأمراض، وطغيان الشــهوات، وانهيار الأخلاق، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]. والإسلام ـ كما عرفنا ـ إذا حَرَّم شــيئًا سَــدَّ الطرق المُوصلة إليه، وحَرَّم كل ما يُفضي إليه من وسائلَ ومقدمات.

QaradawiBooks.com

فما كان من شأنه أن يستثير الغرائز الهاجعة، ويفتح منافذ الفتنة على الرجل أو المرأة، ويُغري بالفاحشة، أو يقرِّب منها، أو ييسر سبيلها، فإن الإسلام ينهى عنه ويحرمه، سدًّا للذريعة، ودرءًا للمَفْسدة.

• الخُلوة بالأجنبية حرام:

ومن هذه الوسائل التي حرَّمها الإسلام: خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية عنه. وهي التي لا تكون زوجة له، ولا إحدى قريباته التي يحرم عليه زواجها حُرمة مؤبَّدة، كالأم والأخت والعمَّة والخالة، كما سنذكر بعد.

وليس هذا فقدانًا للثقة بهما أو بأحدهما، ولكنه تحصينٌ لهما من وساوس السوء، وهواجس الشرِّ، التي من شأنها أن تتحرَّك في صدريهما عند التقاء فحولة الرجل بأنوثة المرأة، ولا ثالث بينهما.

وفي هذا قال رسول الله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يخلونَّ بامرأة ليس معها ذو مَحْرَم منها، فإن ثالثهما الشيطان**»[(١)].

وفي الصحيحين: «**لا يخلُوَنَّ رجل بامرأة إلا مع ذي مَحْرَم**»[(٢)].

وفي تفسير قوله تعالى في شأن نساء النبي: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، يقول الإمام القرطبي: «يريد: من الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء، وللنساء في أمر الرجال، أي أن ذلك أنفى للرِّيبة، وأبعد للتهمة، وأقوى في الحماية. وهذا يدل على أنه لا ينبغي لأحدٍ أن يثق بنفسه في

(١) رواه أحمد (١٤٦٥١)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره وبعضه صحيح. وصحَّحه الألباني في غاية المرام (١٨٠)، عن جابر.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٢٣٣)، ومسلم في الحج (١٣٤١)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

الخلوة مع مَـنْ لا تحل له، فـإن مجانبةَ ذلك أحسـنُ لحاله، وأحصنُ لنفسه، وأتمُّ لعصمته»[١].

ويُحذِّر الرسولُ هنا تحذيرًا خاصًّا من خَلوة المرأة بأحمائها (أقارب زوجهـا كأخيه وابن عمه)، لمـا يحدث عادةً مِن تسـاهلٍ في ذلك بين الأقارب، قد يجرُّ أحيانًا إلى عواقب وخيمة؛ لأن الخلوة بالقريب أشـد خطرًا من غيره، والفتنة به أمكن، لتمكُّنه من الدخول إلى المرأة من غير نكير عليه، بخلاف الأجنبي.

ومثل ذلك أقارب الزوجة من غير محارمها، كابن عمِّها وابن خالها وابن خالتها، فلا يجوز لأحد منهم الخلوة بها.

قال ﷺ: «**إياكم والدخول على النسـاء!**». فقـال رجل من الأنصار: يا رسـول الله، أفرأيتَ الحَمْوَ؟ قال: «**الحَمْوُ المـوتُ**»[٢]. وحَمو المرأة: أقارب زوجها[٣].

يعني أن في هذه الخلـوة الخطر والهلاك؛ هـلاك الدين إذا وقعت المعصية، وهلاك المرأة بفراق زوجها، إذا حملتـه الغَيْرة على تطليقها، وهلاك الروابط الاجتماعية إذا ساء ظنُّ الأقارب بعضهم ببعض.

---

(١) تفسير القرطبي (٢٢٨/١٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٢٣٢)، ومسلم في السلام (٢١٧٢)، عـن عقبـة بن عامر.

(٣) قال النووي: المراد بالحمو هنا أقارب الـزوج غير آبائه وأبنائه، فأما الآباء والأبناء فمحارم لزوجته، تجوز لهم الخلوة بها، ولا يوصفـون بالموت. وإنما المراد الأخ وابن الأخ والعم وابنه ونحوهم، ممن ليس بمحرم، وعادة الناس المساهلة فيه. انظر شرح النووي (١٥٤/١٤). قال المازري: إن الحمو أبو الزوج. وأشار المازري إلى أنه ذُكر للتنبيه على منع غيره بطريق الأولى. المعلم بفوائد مسلم للمازري (١٥٣/٣)، تحقيق الشيخ محمد الشاذلي النيفر، نشر الدار التونسية.

QaradawiBooks.com

وليس مثارُ هذا الخطرِ هو الغريزة البشـرية، ومـا تجلبه من خواطر وانفعالات فحسْب، بل يضاف لذلك الخوف على كِيان الأسرة، ومعيشة الزوجين وأسرارهما، أن تتطاول إليها ألسـنة الثَّرْثارين والفُضُوليين، أو هُواة تخريب البيوت. وفي ذلك يقول ابن الأثير: ««الحمو الموت» هذه كلمة تقولها العرب، كما تقول: «الأسـد الموت» و«السـلطان النار» أي لقاؤهما مثل الموت والنار، يعني أن خلوة الحَمْو معها أشـدُّ من خلوة غيره من الغرباء؛ لأنه ربما حسَّن لها أشياء، وحملها على أمور تثقُل على الزوج، من التماس ما ليس في وُسْعه، أو سُوء عشرة، أو غير ذلك»[١].

• النظر إلى الجنس الآخر بشهوة

ومما حرَّمه الإسـلام في مجال الغريزة الجنسـية: إطالـةُ النظر من الرجل إلى المرأة، ومن المـرأة إلى الرجل. فإن العيـن مِفتاح القلب، والنظر رسول الفتنة وبريد الزِّنَى. وقديمًا قال الشاعر[٢]:

كل الحوادثِ مبداهـا من النظرِ ومُعظْم النَّارِ من مُستصغر الشَّرَر

وحديثًا قال آخر[٣]:

نـظـرةٌ فـابـتـسـامـةٌ فـسـلامٌ فـكـلامٌ فـمـوعـدٌ فـلـقـاءُ!

لهذا وجَّه الله أمره إلى المؤمنين والمؤمنات جميعًا، بالغض من الأبصار، مقترِنًا بأمره بحفظ الفُروج: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ

(١) جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير (٦٥٦/٦)، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، نشر مطبعة الملاح ومكتبة الحلواني ودار البيان.

(٢) ذكره ابن أبي حجلة ولم ينسبه. ديوان الصبابة صـ ٦٩، نشر دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر.

(٣) هو أمير الشعراء أحمد شوقي.

QaradawiBooks.com

فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

وفي هاتين الآيتين عدة توجيهات إلهية، منها توجيهان يشترك فيهما الرجال والنساء جميعًا، وهما الغض من البصر، وحفظ الفرج. والباقي موجَّه إلى النساء خاصة.

ويُلاحظ أن الآيتين أمرتا بالغض من البصر، لا بغض البصر، ولم تقل: «ويحفظن من فروجهن» كما قالت: ﴿يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ ﴾؛ فإن الفرج مأمور بحفظه جملة، دون تسامح في شيء منه. أما البصر، فقد سمح الله للناس بشيء منه؛ رفعًا للحرج، ورعاية للمصلحة كما سنرى.

فالغض من البصر ليس معناه إقفال العين عن النظر، ولا إطراق الرأس إلى الأرض، فليس هذا بمرادٍ ولا مُستطاع. كما أن الغض من الصوت في قوله تعالى: ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ﴾ [لقمان: ١٩]، ليس معناه إغلاق الشفتين عن الكلام، وإنما معنى الغض من البصر خفضه، وعدم إرساله طليق العنان، يلتهم الغاديات والرائحات، أو الغادين والرائحين. فإذا نظر إلى الجنس الآخر لم يغلغل النظر إلى محاسنه، ولم يُطل الالتفات إليه، والتحديق به.

ولهذا قال الرسول ﷺ لعليِّ بن أبي طالب: «**يا عليُّ، لا تُتْبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى، وليست لك الآخرة**»[1].

(١) رواه أحمد (٢٢٩٩١)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. وأبو داود في النكاح (٢١٤٩)، والترمذي في الأدب (٢٧٧٧) وحسَّنه، وحسنه الألباني في غاية المرام (١٨٣)، عن بريدة.

QaradawiBooks.com

وقد جعل النبي ﷺ النظراتِ الجائعةَ الشرهة من أحد الجنسين إلى الآخر زِنًى للعين، فقال: «**العينان تزنيان، وزناهما النظر**»[١]. وإنما سمَّاه «زِنًى»؛ لأنه ضرب من التلذُّذ والإشباع للغريزة الجنسية، بغير الطريق المشروع.

ويطابق هذا ما جاء في الإنجيل عن المسيح عليه السلام: «لقد كان من قبلكم يقولون: لا تزنِ. وأنا أقول لكم: مَنْ نظر بعينه فقد زَنَى»[٢].

إن هذا النظر المتلذِّذ الجائع، ليس خطرًا على خُلُق العفاف فحسْب، بل هو خطرٌ على استقرار الفكر، وطمأنينة القلب، الذي يُصاب بالشرود والاضطراب.

قال الشاعر[٣]:

وكنتَ إذا أرسلتَ طرْفكَ رائدًا ... لقلبك يومًا أتعبتْكَ المناظرُ
رأيتَ الذي لا كلُّه أنت قادرٌ ... عليه، ولا عن بعضِه أنت صابرُ

- **تحريم النظر إلى العوْرات:**

ومما يجب غضُّ البصر عنه العَوْرات، فقد نهى النبي ﷺ عن النظر إلى العورات، ولو كان من رجل إلى رجل، أو من امرأة إلى امرأة، بشهوة أم بغير شهوة، قال: «**لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة، ولا يُفضي الرجلُ إلى الرجل في الثوب الواحد، ولا المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد**»[٤].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الاستئذان (٦٢٤٣)، ومسلم في القدر (٢٦٥٧)، عن أبي هريرة. بلفظ: «فزنى العينين النظر».

(٢) إنجيل متى (٥: ٢٨، ٢٩).

(٣) ذكره ابن قتيبة في عيون الأخبار غير منسوب (٢٣/٤)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.

(٤) رواه مسلم في الحيض (٣٣٨)، وأحمد (١١٦٠١)، عن أبي سعيد الخدري. واستدلَّ العلماء =

QaradawiBooks.com

وعورة الرجل التي لا يجوز النظر إليها من رجل أو امرأة، تتحدَّد فيما بين السُّرَّة والرُّكْبة، كما ورد في الحديث[١].

ويرى بعض الأئمة كابن حزم وبعض المالكية أن الفَخِذ ليس بعورة[٢].

وعوْرة المرأة بالنسبة للرجل الأجنبي عنها هي جميع بدنها، ما عدا وجهها وكفيها، أما عورتها بالنسبة لمن كان ذا مَحْرَم منها كأبيها وأخيها، فسيأتي الحديث عنها، عند الكلام على إبداء الزينة.

وما لا يجوز النظر إليه من العورات، لا يجوز أن يُمَسَّ باليد أو بجزء من البدن.

وكل ما ذكرنا تحريمه من العورات نظرًا أو لمسًا مشروط بعدم الضرورة أو الحاجة، فإذا وُجدت كما في حالة الإسعاف أو العلاج، فقد زالت الحُرمة. وكل ما ذكرنا من جواز النظر مشروط بأمن الفتنة والشهوة، فإن وُجدت، فقد زالت الإباحة سدًّا للذريعة.

• حدود إباحة النظر إلى الرجل والمرأة:

ومما ذكرنا يتبيَّن أن نظر المرأة إلى ما ليس بعورة من الرجل ـ أي ما فوق السُّرة وتحت الركبة ـ مباح ما لم تصحبه شهوة، أو تُخَف منه

= بالحديث على عدم جواز اضطجاع الرجل مع الرجل والمرأة مع المرأة في ثوب واحد، مع التَّماسِّ ببعض البدن.

(١) كما جاء في الحديث: «الفخذ عورة». ذكره البخاري معلَّقًا في باب ما يذكر في الفخذ فقال: ويروى عن ابن عباس، وجرهد، ومحمد بن جحش، عن النبي ﷺ: «**الفخذ عورة**». رواه أحمد (٢٤٩٣)، وقال مخرجوه: حسن بشواهده. عن ابن عباس. وأحمد (٢٢٤٩٤)، وقال مخرجوه: حديث حسن. عن محمد بن جحش، وأبو داود في الحمام (٤٠١٤)، والترمذي في الأدب (٢٧٩٧)، وقال: هذا حديث حسن ما أرى إسناده بمتصل. عن جرهد الأسلمي.

(٢) المحلى (٢٤١/٢)، وانظر الشرح الكبير للشيخ الدردير (٢١٣/١، ٢١٤)، نشر دار الفكر.

QaradawiBooks.com

فتنة. وقد أذن الرسول ﷺ لعائشة أن تنظر إلى الحبشة، وهم يلعبون بحرابهم في المسجد النبوي، وظلَّت تنظر إليهم حتى سئمت هي فانصرفت[١].

ومثل هذا نظر الرجل إلى ما ليس بعورة من المرأة ـ أي إلى وجهها وكفيها ـ فهو مباح، ما لم تصحبه شهوة، أو تُخَف منه فتنة، وإن كان الغض من البصر أولى.

فعن عائشة أن أسماء بنت أبي بكر ـ أختها ـ دخلت على النبي ﷺ في لباس رقيق، يشِفُّ عن جسمها، فأعرض النبي ﷺ عنها وقال: «**يا أسماءُ، إن المرأة إذا بلغت المحيض، لم يصلح أن يُرى منها إلا هذا وهذا**». وأشار إلى وجهه وكفيه[٢].

وفي الحديث ضعف، ولكن تقوِّيه أحاديثٌ صحاحٌ في إباحة رؤية الوجه والكفين عند أمن الفتنة.

وخلاصة القول: أن النظرة البريئة إلى غير عَوْرةٍ من الرجل أو المرأة حلال، ما لم تتخذ صفة التكرار والتحديق الذي يصحبه غالبًا التلذُّذُ الذي تُخاف منه الفتنة.

ومن سماحة الإسلام أنه عفا عن النظرة الخاطفة، التي تقع من الإنسان فجأة، حين يرى ما لا تُباح له رؤيته، فعن جَرِير بن عبد الله قال:

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٢٣٦)، ومسلم في صلاة العيدين (٨٩٢)، عن عائشة.

(٢) رواه أبو داود في اللباس (٤١٠٤)، وقال: هذا مرسل، خالد بن دريك لم يدرك عائشة. والبيهقي في الصلاة (٢٢٦/٢)، وقال: مع هذا المرسل قول من مضى من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، في بيان ما أباح الله من الزينة الظاهرة، فصار القول بذلك قويًّا. وحسنه الألباني في غاية المرام (١٨٧)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

سألتُ رسـول الله ﷺ عن نظر الفُجَاءة، فقال: «**اصرف بصرك**»[١]. يعني: لا تعاود النظر مرةً ثانية.

• **ما يجوز إبداؤه من زينة المرأة وما لا يجوز:**

هذا ما يتعلق بالغـضِّ من الأبصار، الذي أمرت بـه الآيتان الرجال والنساء.

أما التوجيهات الإلهية للنساء في الآية الثانية فهي قوله تعالى:

(أ) ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣١].

زينة المرأة: كل ما يزينها ويُجمِّلها، سواء أكانت زينة خِلْقية كالوجه والشعر ومحاسن الجسم، أم مكتسبة كالثياب والحُلِيِّ والأصباغ ونحوها. وفي هذه الآية الكريمة أمر الله النساء بإخفاء زينتِهن، ونهاهُن عن إبدائها، ولم يستثنِ إلا ما ظهر منها.

وقد اختلف العلماء في تحديد معنى ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ وقَدْره، أيكون معناه: ما ظهر بحكم الضرورة من غير قصد، كأن كشفته الريح مثلًا. أو يكون معناه: ما جرت به العادة والجِبِلَّة على ظهوره والأصل فيه الظهور؟

إن المأثور عن أكثر السلف يدل على الرأي الثاني.

فقد اشـتهر عن ابن عباس أنـه قال في تفسـير: ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾: الكُحْل والخاتم[٢]. وروي مثله عن أنس[٣].

---

(١) رواه مسلم في الآداب (٢١٥٩)، وأبو داود في النكاح (٢١٤٨).

(٢) رواه الطحاوي في شرح معاني الآثار (٧٢١٤)، والبيهقي في الصلاة (٢٢٥/٢).

(٣) رواه البيهقي في الصلاة (٢٢٥/٢).

QaradawiBooks.com

وإباحة الكحل والخاتم يلزم منها إظهار موضعيهما كذلك، وهما الوجه والكفَّان. وهذا ما جاء صراحة عن سعيد بن جُبَير وعطاءٍ والأوزاعي وغيرهم[١].

وعن عائشة[٢] وقتادة وغيرهما إضافة السِّوارين إلى ما ظهر من الزينة[٣]. وهذا يعني استثناء بعض الذراع من الزينة المنهي عن إبدائها، واختلف في تحديده، من قدر قبضة إلى نصف الذارع.

وبإزاء هذا التوسُّع ضيق آخرون، كعبد الله بن مسعود[٤] والنَّخعي[٥]، ففسَّروا ما ظهر من الزينة بالرداء ونحوه من الثياب الظاهرة. وهي التي لا يمكن إخفاؤها.

والذي أرجحه: أن يقتصر ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ على الوجه والكفين، وما يُعتاد لهما من الزينة المعقولة، بلا غلوٍّ ولا إسراف، كالخاتم لليد، والكحل للعين، كما صرح به جماعة من الصحابة والتابعين[٦].

وهذا بخلاف الأصباغ والمساحيق التي تستعملها المرأة في عصرنا للخدين والشفتَيْن والأظافر ونحوها، فإنها من الغلو المستنكر، والذي

---

(١) رواه البيهقي في الصلاة (٢/٢٢٦).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في النكاح (١٧٢٨٧).

(٣) رواه الطبري (١٩/١٥٧).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في النكاح (١٧٢٨٢)، والطبراني (٩/٢٢٨)، والحاكم في التفسير (٢/٣٩٧)، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

(٥) رواه ابن أبي شيبة في النكاح (١٧٢٨٥).

(٦) وهو اختيار الطبري (١٩/١٥٨)، والقرطبي (١٢/٢٢٩)، والزمخشري (٣/٢٣١)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ، والرازي (٢٣/٣٦٤)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ، وابن كثير (٦/٤٥)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، نشر دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م. وغيرهم من المفسرين. راجع تفسير هذه الآية من سورة النور في تفسير هؤلاء الأئمة.

QaradawiBooks.com

لا يجوز أن يُستعمل إلا داخل البيت. أما ما عليه النساء اليوم من اتخاذ هذه الزينة عند الخروج من البيت، لجذب انتباه الرجال؛ فهو حرام.

وأما تفسير ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ بالثياب والرداء الخارجي، فغير مقبول؛ لأنه أمر طبيعي، لا يُتصوَّر النهي عنه حتى يُستثنَى، ومثل ذلك تفسيرها بما كشفته الريح، ونحوه من أحوال الضرورة؛ لأن هذا مما لا حِيلَة فيه، سواء استثني أم لم يُستثنَ. والذي يتبادر إلى الذهن من الاستثناء أنه رخصة وتخفيف للمرأة المؤمنة، في إبداء شيء يمكن إخفاؤه، ومعقول أن يكون هو الوجه والكفين وما يحتاجانه من الزينة.

وإنما سُومح في الوجه والكفين؛ لأن سترهما فيه حَرَج على المرأة، وخاصَّة إذا كانت تحتاج إلى الخروج المشروع، كأرملة تسعى على أولادها، أو فقيرة تعمل في مساعدة زوجها، فإن فرْضَ النقاب عليها، وتكليفها تغطية كفيها في كل ذلك مما يعوقها، ويشُقُّ عليها.

قال القرطبي: «لما كان الغالب من الوجه والكفين ظهورهما عادة وعبادة، وذلك في الصلاة والحج، صلح أن يكون الاستثناء راجعًا إليهما. يدلُّ على ذلك ما رواه أبو داود عن عائشة رضي الله عنها: أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رِقَاق، فأعرض عنها رسول الله ﷺ، وقال لها: «**يا أسماء، إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يُرى منها إلا هذا وهذا**». وأشار إلى وجهه وكفيه»[(١)].

وفي قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠] ما يشير إلى أن وجوه النساء لم تكن مغطاة، ولو كانت المرأة مستورة

(١) تفسير القرطبي (٢٢٩/١٢)، والحديث سبق تخريجه صـ١٩٩.

QaradawiBooks.com

الجسم والوجه جميعًا ما كان هناك مجال للأمر بالغض من الأبصار، إذ ليس ثمَّة ما يُبْصَر حتى يُغَض عنه.

ومع هذا، فالأكمل للمرأة المسلمة أن تجتهد في إخفاء زينتها، حتى الوجه نفسه ما استطاعت، وذلك لانتشار الفساد، وكثرة الفسوق في عصرنا، ويتأكَّدُ ذلك إذا كانت جميلة يُخشى الافتتان بها.

(ب) ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

الخُمُر: جمع خِمار، وهو غطاء الرأس.

والجُيوب: جمع جيب، وهو فتحة الصَّدْر من الثوب.

والواجب على المرأة المسلمة أن تغطِّي رأسها بخمارها، وأن تستر به أو بأي شيء آخر صدرها ونحرها وعنقها؛ حتى لا ينكشف شيء من هذه المفاتن، لنظرات المتطلِّعين من الغادين والرائحين.

(ج) ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

وهذا التوجيه يتضمن نهي النساء المؤمنات، عن كشف الزينة الخفية ـ كزينة الأذن والشعر والعنق والصدر والساق ـ أمام الرجال الأجانب، الذين رخص لها أمامهم في إبداء الوجه والكفين (ما ظهر منها).

وقد استُثْنِي من هذا النهي اثنا عشر صِنفًا من الناس:

١ ـ **بعولتهن**: أي أزواجهن، فللرجل أن يرى من زوجته ما يشاء، وكذلك المرأة. وفي الحديث: «**احفظ عورتك إلا من زوجتك**»[(١)].

٢ ـ **آباؤهن**، ويدخل فيهم الأجداد من قِبَل الأب والأم.

(١) سبق تخريجه صـ١١٢.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٣ ـ **آباء أزواجهن**، فقد أصبح لهم حُكم الآباء بالنسبة إليهن.

٤ ـ **أبناؤهن**، ومثلهم أبناء ذريتهن من الذكور والإناث.

٥ ـ **أبناء أزواجهن**، لضرورة الاختلاط الحاصل، ولأنها بمنزلة أمهم في البيت[(١)].

٦ ـ **إخوانهن**، سواء أكانوا أشقَّاء، أو من الأب، أو من الأم.

٧ ـ **بنو إخوانهن**، لما بين الرجل وعمَّته من حرمة أبدية.

٨ ـ **بنو أخواتهن**، لما بين الرجل وخالته من حُرمة أبدية.

٩ ـ **نساؤهن**: أي النساء المتصلات بهن نسبًا أو دينًا. أما المرأة غير المسلمة، فلا يجوز لها أن ترى من زينة المسلمة إلا ما يراه الرجل، على الصحيح.

١٠ ـ **ما ملكت أيمانهن**: أي عبيدهن وجواريهن؛ لأن الإسلام جعلهم كأعضاء في الأسرة. وخصَّه بعض الأئمة بالإماء دون الذكور.

١١ ـ **التابعون غير أولي الإربة من الرجال**، وهم الأُجراء والأتباع، الذين لا شهوة لهم في النساء لسببٍ بدني أو عقلي. المهم أن يتوافر هذان الوصفان: التبعية للبيت الذي يدخلون على نسائه، وفقدان الشهوة الجنسية.

١٢ ـ **الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء**. وهم الصِّغار الذين لم يَثُر في أنفسهم الشعور الجنسي، فإذا لُوحظ عليهم ظهور هذا الشعور، لم يُبَح للمرأة أن تبدي أمامهم زينتها الخفيَّة، وإن كانوا دون البلوغ.

---

(١) قال القرطبي: سوَّى بين المحارم في إبداء الزينة، ولكن تختلف مراتبهم بحسَب ما في نفوس البشر، وتختلف مراتب ما يُبدى لهم، فيُبدى للأب ما لا يجوز إبداؤه لولد الزوج. تفسير القرطبي (٢٣٢/١٢).

QaradawiBooks.com

ولم تذكر الآية الأعمام والأخوال؛ لأنهم بمنزلة الآباء عرفًا، وفي الحديث: «**عمُّ الرجل صِنْوُ أبيه**»[١].

• **عورة النساء:**

ومما تقدم نعلم أن كل ما لا يجوز للمرأة إبداؤه من جسدها، فهو عورة يجب سترها، ويحرم كشفها.

فعورتها بالنسبة للرجال الأجانب عنها، وكذلك النساء غير المسلمات، جميع بدنها ما عدا الوجه والكفين، على ما اخترناه، إذ أبيح كشفُهما ـ كما قال الرازي ـ للحاجة في المعاملة والأخذ والعطاء، فأُمِرْن بستر ما لا تؤدي الضرورة إلى كشفه، ورُخِّص لهن في كشف ما اعتيد كشفُه، وأدَّت الضرورة إلى إظهاره، إذ كانت شرائع الإسلام حنيفية سمْحة.

قال الرازي: ولما كان ظهور الوجه والكفين كالضروري، لا جرم اتفقوا على أنهما ليسا بعورة. أما القدم فليس ظهورها بضروري، فلا جرم اختلفوا هل هي عورة أم لا[٢]؟

وعورتها بالنسبة للأصناف الاثني عشر المذكورين في آية النور، تتحدَّد فيما عدا مواضع الزينة الباطنة، من مثل الأذن والعنق، والشعر والصدر، والذراعين والساقين، فإن إبداء هذه الزينة لهؤلاء الأصناف قد أباحته الآية.

وما عدا ذلك من مثل الظهر والبطن والسوْءتين والفَخِذين، فلا يجوز إبداؤه لامرأة أو لرجل، إلا للزوج.

---

(١) رواه مسلم في الزكاة (٩٨٣)، وأحمد (٨٢٨٤)، عن أبي هريرة.

(٢) تفسير الرازي (٣٦٤/٢٣).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وهذا الذي يُفهم من الآية أقربُ ممَّا ذهب إليه بعض الأئمة: أن عورة المرأة بالنظر إلى المحارم ما بين السُّـرَّة والركبة فقط. وكذلك عورتها بالنسـبة إلى المرأة، بل الذي تـدلُّ عليه الآية أدنى إلـى ما قاله بعض العلماء: إن عورتهـا للمَحْرَم ما لا يبدو منها عنـد المِهْنة. فما كان يبدو منها عند عملها في البيت عادة، فللمحارم أن ينظروا إليه(١).

ولهذا أمر الله نسـاء المؤمنين أن يسـتترن عند خروجهن بجلباب سابغ كاسٍ، يتميَّزْنَ به عمَّن سـواهن من الكافرات والفاجرات، وفي هذا أمر الله نبيَّه أن يؤذن في الأمة بهذا البلاغ الإلهي العام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ﴾ [الأحزاب: ٥٩]. والجلابيب جمع جِلْباب، وهو ثوب واسع كالمُلاءة، تستتر به المرأة.

وكان بعض نسـاء الجاهلية إذا خرجْنَ من بيوتهنَّ كشفْنَ عن بعض محاسنهن، من مثل النَّحْر والعُنُق والشـعر، فيتبعهن الفُسَّاق والعابثون. فنزلت الآية الكريمة، تأمر المرأة المؤمنـة بإرخاء بعض جلبابها عليها، حتى لا ينكشف شيء من تلك المفاتن من جسـدها، وبهذا يُعرف من مظهرها أنها عفيفة مؤمنة، فلا يتعرَّض لها ماجن أو منافق بإيذاء.

فالواضح من تعليل الآية أن هذا الأمر خوفٌ على النسـاء من أذى الفُسَّاق، ومعاينة المُجَّان، وليس خوفًا منهن، ولا فقدانًا للثِّقَة بهن ـ كما يدَّعي بعضهم ـ فـإن المرأة المتبرِّجة بزينتها وثيابها، أو المتكسـرة في مشيتها، أو المتميِّعة في حديثها، تُغري الرجال بها دائمًا، وتُطمع العابثين فيها، وهذا مصداق الآية الكريمة: ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

(١) أسنى المطالب في شرح روض الطالب (١٠٩/٣)، نشر دار الكتاب الإسلامي.

QaradawiBooks.com

وقد شدَّد الإسلام في أمر التستر والتصوُّن للمرأة المسلمة، ولم يرخِّص في ذلك إلا شيئًا يسيرًا، خفَّف به عن عجائز النساء. قال تعالى: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٠].

والمراد بالقواعد: النساء اللاتي قعدْنَ عن الحيض والولد لكِبَرهن، فلا يطمعْنَ في الزواج، ولا يرغبْنَ في الرجال، كما لا يرغب فيهن الرجال. فهؤلاء قد خفَّف الله عنهن، ولم يجعل عليهن حرجًا أن يضعن من بعض الثياب الخارجية الظاهرة، كالمِلْحفة والمُلاءة، والعَباءة والطَّرْحة ونحوها.

وقد قيَّد القرآن هذه الرُّخصة بقوله: ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ﴾ أي: غير قاصداتٍ بوضع هذه الثياب التبرُّج، ولكن التخفُّف إذا احتجْنَ إليه.

ومع هذه الرخصة، فالأفضل والأولى أن يستعفِفْنَ عن ذلك، طلبًا للأكمل، وبُعدًا عن كل شبهة ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾.

• دخول المرأة الحمَّامات العامَّة:

ومن أجل عناية الإسلام بحفظ العورات وسترها حذَّر الرسول ﷺ من دخول المرأة الحمامات العامة، وتعرية جسدها أمام غيرها من النساء، اللائي يحلو لهن أن يتخذن من الأوصاف البدنية لهذه وتلك حديث المجالس ومُضغة الأفواه. كما حذَّر عليه السلام من دخول الرجل الحمَّام إلا بمئزر يستره عن أعين الآخرين.

فعن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم**

QaradawiBooks.com

الآخِر، فلا يدخل الحمَّام إلا بمئــزر، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يدخل حليلته الحمَّام»[(١)].

واستُثْنِيَ من ذلك المرأة يوصف لها دخول الحمام لعلاج مرضٍ ألمَّ بها، أو نفاس ونحوه. فعن عبد الله بن عمرو، أن النبي ﷺ قال في شــأن الحمَّامات: «**فلا يدخلها الرجال إلا بمئزر، وامنعوها النساء إلا مريضة أو نُفَسَاء**»[(٢)].

وفي إســناد الحديث شــيء من الضعف، ولكن قواعد الشــرع في الترخيــص للمريض والتيســير عليه في العبــادات والواجبــات تقوِّيه وتعضِّدُه. كما يشهد له الأصل المشــهور: أن ما حُرِّم لسد الذريعة يُباح للحاجة والمصلحة.

ويؤيِّده أيضًا ما رواه الحاكم عن ابن عباس أن النبيَّ ﷺ قال: «**اتقوا بيتًا يقال له الحمَّــام**». فقالوا: يا رســول الله، إنه يُذْهب الــدَّرن وينفع المريض، قال: «**فمن دخله، فليستترْ**»[(٣)].

فإن دخلت المرأة الحمام بغير عُذر ولغير حاجة، فقد ارتكبت حرامًا، واستحقَّت وعيد رسول الله ﷺ، الذي رواه أبو المَلِيحِ الهُذَلي رضي الله عنه: أن نساءً من أهل حِمْصَ، أو من أهل الشام دخلْنَ على عائشة رضي الله عنها، فقالت:

---

(١) رواه أحمد (١٤٦٥١)، وقال مخرِّجوه: حســن لغيره وبعضه صحيــح. والترمذي في الأدب (٢٨٠١) وحسنه، والنسائي في الغسل والتيمم (٤٠١)، والحاكم في الأدب (٢٨٨/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وحسَّنه الألباني في غاية المرام (١٩٠).

(٢) رواه أبو داود في الحمام (٤٠١١)، وابن ماجه في الأدب (٣٧٤٨)، وضعف إســناده النووي في المجموع (٢٠٤/٢)، وحسَّنه السيوطي في الصغير (٣٣٤٠)، وضعَّفه الألباني في غاية المرام (١٩٢).

(٣) رواه الطبراني (٢٧/١١)، والحاكم في الأدب (٢٨٨/٤)، وصحَّحه على شــرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (١٩٣).

QaradawiBooks.com

أنتنَّ اللاتي تُدْخلن نســاءكن الحمَّامات؟ ســمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**ما من امرأة تضــع ثيابَها في غير بيت زوجها، إلا هتكت السِّــتْرَ بينها وبين ربِّها**»(١).

وعن أم ســلمة أنه ﷺ قال: «**أيُّما امرأةٍ نزعت ثيابَهــا في غير بيت زوجها، خرق الله عنها سِتْره**»(٢).

وإذا كان هذا تشديد الإسلام في دخول النساء الحمَّام، وهو بيت بين جدران أربعة، لا يدخله إلا النساء، فليت شــعري ما الحكم في أولئك الخالعات الخليعات، اللاتي يُبدين عوراتهن للرجال الغادين والرائحين، ويعرضن أجسادهن على شــواطئ البحار (البلاجات) للأعين الجائعة، والغرائز الشرهة؟!

أما إنهن قد هتكن كلَّ ستر بينهن وبين الرحمن، ورجالهن شركاء في الإثم؛ لأنهم رعاة مسؤولون، لو كانوا يعلمون!

- **التبرُّج حرام:**

للمرأة المســلمة خُلُق يميِّزها عن المرأة الكافرة أو المرأة الجاهلية؛ فخلق المرأة المسلمة هو التصوُّن والاحتشام والعفاف والحياء.

أما المرأة الجاهلية، فخلقُها هو التبرُّج والإغراء.

---

(١) رواه أحمد (٢٥٤٠٧)، وقال مخرِّجوه: إســناده صحيح. وأبو داود في الحمَّام (٤٠١٠)، والترمذي (٢٨٠٣) وحسنه، وابن ماجه (٣٧٥٠)، كلاهما في الأدب، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (١٩٤).

(٢) رواه أحمد (٢٦٥٦٩)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. وأبو يعلى (٧٠٣١)، والطبراني (٣١٤/٢٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥١٨): رواه أحمد والطبراني في الكبير وأبو يعلى، وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف. وحسَّنه السيوطي في الصغير (٢٩٧٠)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (١٩٥).

QaradawiBooks.com

ومعنى التبرج: التكشُّف والظهور للعيون، ومنه (بُرُوج مُشَيَّدَة) وبروج السماء.. وذلك لارتفاعها وظهورها للناظرين.

وقال الزَّمَخْشري: حقيقة التبرُّج: تكلُّف إظهار ما يجب إخفاؤه، من قولهم: سفينة بَارِج: لا غطاء عليها. إلا أنه اختصَّ بأن تتكشَّف المرأة للرجال، بإبداء زينتها، وإظهار محاسنها[١]. فأضاف الزمخشري إلى المعنى عُنصرًا جديدًا، هو التكلُّف، والقصد إلى إظهار ما يجب إخفاؤه من الزينة. وقد يكون هذا الذي يجب إخفاؤه موضعًا في الجسم، أو حركة لعضوٍ منه، أو طريقة في الكلام أو المشْي، أو حِلْية مما يتزيَّن به النساء أو يلبسْنَه، أو غير ذلك.

وللتبرج صُوَرٌ ومظاهر، عرفها الناس قديمًا وحديثًا، وقد ذكر المفسِّرون بعضها في تفسير قوله تعالى لنساء النبي: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

قال مجاهد: كانت المرأة تخرج تمشي بين الرجال.

وقال قتادة: كان لهن مِشيةُ تكسُّرٍ وتغنُّج.

وقال مقاتل: التبرُّج أنها تُلقي الخمار على رأسها، ولا تشدُّه فيواري قلائدها وقُرطَها وعنقَها، ويبدو ذلك كلُّه منها[٢].

هذه صُوَر من تبرُّج الجاهلية القديمة: الاختلاط بالرجال.. التكسُّر في المشي.. لُبس الخمار ونحوه على هيئةٍ يبدو معها بعض محاسن البدن وزينته. وقد رمتنا جاهلية هذا العصر بصُور وألوان من التبرُّج، يعد معها تبرج الجاهلية الأولى ضربًا من التصوُّن والاحتشام.

(١) الكشاف (٢٥٥/٣).

(٢) تفسير ابن كثير (٤١٠/٦).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

• ما يُخرج المرأة عن حدِّ التبرج:

والذي يخرج المرأة المسلمة عن حد التبرج، ويسمها بأدب الإسلام: أن تلتزم الآداب التالية:

(أ) غضُّ البصر: فإن أثمن زينة للمرأة هو الحياء، وأبرز عنوان للحياء هو غضُّ البصر، قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١].

(ب) عدم الاختلاط بالرجال، اختلاط تلاصق وتماسٍّ، كما يحدث ذلك في دُور السينما ومدرَّجات الجامعات، وقاعات المحاضرات، ومَرْكبات النقل ونحوها في هذا الزمان. وقد روى مَعْقِل بن يسار عن رسول الله ﷺ قال: «**لأن يُطْعَن في رأس أحدكم بمِخْيَط من حديد، خيرٌ له من أن يمسَّ امرأةً لا تحلُّ له**»[1]. المِخْيط: ما يُخاط به، كالإبرة والمِسَلَّة ونحوهما.

---

(١) رواه الروياني (٣٢٣/٢)، والطبراني (٢١١/٢٠ ـ ٢١٢) من طريق شداد بن سعيد، عن أبي العلاء يزيد بن عبد الله بن الشخير، عن معقل فذكره. وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٢٩٣٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٧٧١٨): رجاله رجال الصحيح. وصحح إسناده ابن حجر الهيتمي في الزواجر (٤/٢). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٢٦).
قلت هذا الحديث فيه: شداد بن سعيد ـ هو أبو طلحة الراسبي البصري ـ أخرج له مسلم، وهو ليس بمتقن، ولذلك فإن مسلمًا إنما أخرج له في الشواهد، ولذا وصفه الحافظ: بأنه صدوق يخطئ، وقال الذهبي: صالح الحديث، وقد تفرد بهذا اللفظ مرفوعًا، ومثله لا يحتمل تفرده لو لم يخالف، فكيف وقد خالف. فقد رواه ابن أبي شيبة في النكاح (١٧٦٠٤) من طريق بشير بن عقبة، عن أبي العلاء، عن معقل موقوفًا عليه من قوله بلفظ: «لأن يعمد أحدكم إلى مخيط فيغرز به في رأسي، أحب إلي من أن تغسل رأسي امرأة ليست مني ذات محرم».
وبشير بن عقبة ثقة أخرج له الشيخان، فهو أثبت، وأحفظ من شداد بن سعيد، وفي هذا قرينة ظاهرة أن شدادًا قد أخطأ في الحديث من جهتين في رفعه، وفي لفظه. فالصواب أنه موقوف على معقل بن يسار. ولم يذكر الشيخ الألباني رواية بشير بن عقبة، والتي تدل على علة رواية شداد فيبدو أنه لم يقف عليها رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

QaradawiBooks.com

(ج) أن تكون ملابسها موافقةً لأدب الشرع الإسلامي. واللباس الشرعي هو الذي يجمع الأوصاف التالية:

١ ـ أن يغطي جميع الجسم عدا ما استثناه القرآن في ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾. وأرجح الأقوال: أنه الوجه والكفان.

٢ ـ ألا يشفَّ ويصف ما تحته، فقد أخبر النبي ﷺ أن من أهل النار: نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات ... لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها[١].

ومعنى كاسيات عاريات: أن ثيابهنَّ لا تؤدِّي وظيفة الستر، فتصف ما تحتها لرِقَّتها وشَفَافِيتها.

دخلت نسوةٌ من بني تميم على عائشة رضي الله عنها وعليهن ثيابٌ رقاق، فقالت عائشة: «إن كنتنَّ مؤمنات، فليس هذا بثيابِ المؤمنات»[٢].

وأُدخلت عليها امرأة عروس، عليها خمار رقيق شفَّاف، فقالت: لم تؤمن بسورة «النور» امرأةٌ تلبس هذا[٣].

٣ ـ ألَّا يحدِّد أجزاء الجسم، ويُبرز مفاتنه، وإن لم يكن رقيقًا شفَّافًا، كتلك الثياب التي رمتنا بها حضارة الجسد والشهوة ـ أعني الحضارة الغربية ـ التي يتسابق مصمِّمو الأزياء فيها، في تفصيل الثياب التي تُبْرِز النُّهود والخصور والأرداف ونحوها، بصورة تهيِّج الغرائز وتثير الشهوات الدنيا، فلابساتها كاسياتٌ عاريات أيضًا، وهي أشد إغراء وفتنة من الثياب الرقيقة الشفَّافة.

---

(١) سبق تخريجه صـ١١٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٤٤/١٤).

(٣) عزاه السيوطي لسنن سعيد بن منصور في الدر المنثور (١٨٢/٦). نشر دار الفكر، بيروت. وانظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٤٤/١٤).

QaradawiBooks.com

٤ ـ ألَّا يكون مما يختصُّ بلبسه الرجال كالبنطلون في عصرنا[١]، وذلك لأن النبي ﷺ لعن المتشبهات من النساء بالرجال، كما لعن المتشبِّهين من الرجال بالنساء، ونهى المرأة أن تلبس لبسة الرجل، والرجل أن يلبس لبسة المرأة.

٥ ـ ألَّا يكون لِباسًا اختصت بلُبسه الكافرات من اليهوديات والنصرانيات والوثنيات والمُلحدات، فإن قَصْد التشبُّه بهؤلاء محظور في الإسلام، الذي يريد لرجاله ونسائه التميز والاستقلال، في المظهر والمخبر، ولهذا أمر بمخالفة الكُفَّار في أمور كثيرة. وقال الرسول ﷺ: «**من تشبَّه بقومٍ فهو منهم**»[٢].

٦ ـ أن تلتزم الوقار والاستقامة في مِشيتها وفي حديثها، وتتجنَّب الإثارة في سائر حركات جسمها ووجهها؛ فإن التكسُّر والميوعة من شأن الفاجرات، لا من خلق المسلمات. قال تعالى: ﴿**فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ**﴾ [الأحزاب: ٣٢].

٧ ـ ألَّا تتعمد جذب انتباه الرجال إلى ما خفي من زينتها، بالعطور أو الرنين أو نحو ذلك. قال تعالى: ﴿**وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ**﴾ [النور: ٣١].

فقد كانت المرأة في الجاهلية حين تمرُّ بالناس تضرب برِجْلها، ليُسمع قعقعة خَلْخالها، فنهى القرآن عن ذلك، لما فيه من إثارة لخيال

(١) هذا إذا لُبس مع قميص أو (بلوزة) مثلًا. أما إذا لبس مع فستان ملائم، فلا مانع منه شرعًا؛ لأنه حينئذٍ مخالف للُبْس الرجال، مع تغطية ما يجب تغطيته.

(٢) سبق تخريجه صـ١٢٨.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الرجال ذوي النزعات الشهوانية، ولدلالته على نية سيئة لدى المرأة في لفت أنظار الرجال إليها وإلى زينتها.

ومثل هذا في الحكم ما تستعمله من ألوان الطيب والعطور ذات الروائح الفائحة، لتستثير الغرائز، وتجذب إليها انتباه الرجال، وفي الحديث: «**المرأة إذا استعطرت فمرَّت بالمجلس فهي كذا وكذا**». يعني زانية[١].

ومن هنا نعلم أن الإسلام لم يفرض على المرأة أن تظل حبيسة البيت، لا تخرج منه إلا إلى القبر ـ كما يقال ـ بل أباح لها الخروج للصلاة، وطلبِ العلم، وقضاء الحاجات، وكلِّ غرض ديني أو دنيوي مشروع. كما كان يفعل ذلك نساء الصحابة ومَنْ بعدهم من خير القرون. وكان منهن من يخرج للمشاركة في القتال والغزو مع رسول الله ﷺ، ومَن بعده من الخلفاء والقُوَّاد. وقد قال ﷺ لزوجه سَوْدة: «**قد أذن الله لكُنَّ أن تخرجن لحوائجكن**»[٢].

وقال: «**إذا استأذنت امرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها**»[٣]. وفي حديث آخر: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله**»[٤].

وقد ذهب بعض العلماء المتشدِّدين إلى أن المرأة يحرم عليها أن تنظر إلى أي جزء من الرجل، مستدلِّين بما رواه الترمذي عن نَبْهان مولى أم سَلَمة، أن النبي ﷺ قال لها ولميمونة، وقد دخل عليهما ابن أم مكتوم:

(١) رواه أحمد (١٩٥٧٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده جيد. وأبو داود في الترجيل (٤١٧٣)، والترمذي في الأدب (٢٧٨٦)، وقال: حسن صحيح. والنسائي في الزينة (٥١٢٦)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (١٩٩)، عن أبي موسى الأشعري.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٢٣٧)، ومسلم في السلام (٢١٧٠)، عن عائشة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٢٣٨)، ومسلم في الصلاة (٤٤٢) (١٣٤)، عن ابن عمر.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (٩٠٠)، ومسلم في الصلاة (٤٤٢) (١٣٦)، عن ابن عمر.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

«**احتجبا**» فقالتا: إنه أعمى. قال: «**أفعمياوان أنتما؟ ألستما تُبصرانه؟!**»[١] ولكنَّ المحقِّقين قالوا: إن هذا الحديث غيرُ صحيح عند أهل النقل؛ لأن راويه عن أم سلمة نَبْهان مولاها، وهو ممَّن لا يحتج بحديثه[٢].

وعلى تقدير صحته، فإن ذلك منه ﷺ تغليظ على أزواجه لحرمتهن، كما غلَّظ عليهن أمر الحجاب ـ كما أشار إليه أبو داود وغيره من الأئمة ـ ويبقى معنى الحديث الصحيح الثابت، وهو أن النبيَّ ﷺ أمر فاطمة بنت قيس أن تقضيَ عِدَّتَها في بيت أم شَرِيك، ثم استدرك فقال: «**تلك امرأة يغشاها أصحابي، اعتدي عند ابن أم مكتوم، فإنه رجل أعمى، تضعين ثيابَكِ ولا يراكِ**»[٣].

• خدمة المرأة ضيوف زوجها:

وأوضح من ذلك أن للمرأة أن تقوم بخدمة ضيوف زوجها في حضرته، ما دامت متأدِّبة بأدب الإسلام في ملبسها وزينتها، وكلامها ومشيتها، ومن الطبيعي أن يروها وتراهم في هذه الحال، ولا جناح في ذلك إذا كانت الفتنة مأمونة من جانبها وجانبهم.

---

(١) رواه أحمد (٢٦٥٣٧)، وقال مخرجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في اللباس (٤١١٢)، وقال عقبه: هذا لأزواج النبي ﷺ خاصة، ألا ترى إلى اعتداد فاطمة بنت قيس عند ابن أم مكتوم، قد قال النبي ﷺ لفاطمة بنت قيس: «**اعتدي عند ابن أم مكتوم، فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك عنده**». والترمذي في الأدب (٢٧٧٨)، وقال: حسن صحيح. وقال ابن قدامة في المغني (١٠٦/٧): قال أحمد: نبهان روى حديثين عجيبين. يعني هذا الحديث: «**أفعمياوان أنتما**». وحديث: «**إذا كان لإحداكن مكاتب، فلتحتجب منه**». وكأنه أشار إلى ضعف حديثه، وضعَّفه الألباني في غاية المرام (٢٠٣).

(٢) قال ابن حجر في الفتح (٥٥٠/١): هو حديث مختلف في صحته. وقال ابن عبد البر: حديث فاطمة بنت قيس يدل على جواز نظر المرأة إلى الأعمى، وهو أصح من هذا. وقال أبو داود: هذا لأزواج رسول الله خاصة ألا ترى إلى اعتداد فاطمة بنت قيس عند ابن أم مكتوم.

(٣) رواه مسلم في الطلاق (١٤٨٠)، عن فاطمة بنت قيس.

غير مرخصة للطباعة
نسخة خاصة
QaradawiBooks.com

روى الشيخان وغيرهما عن سهل بن سعدٍ الأنصاري قال: لما أعرس أبو أُسَيْد السَّاعِدِيُّ دعا النبي ﷺ وأصحابه، فما صنع لهم طعامًا ولا قدَّمه إليهم إلا امرأته أم أُسَيْد، بَلَّت تمرات في تَوْر (إناء) من حجارة من الليل، فلما فرغ النبي ﷺ من الطعام أماثته له ـ أي عصرته ثم صفته ـ فسقته، تُتحفه بذلك[1].

ففي هذا الحديث ـ كما قال شيخ الإسلام ابن حجر ـ جواز خدمة المرأة زوجَها ومن يدعوه. ولا يخفى أن محل ذلك عند أمن الفتنة، ومراعاة ما يجب عليها من الستر، وجواز استخدام الرجل امرأته في مثل ذلك[2].

فإذا لم تراعِ المرأة ما يجب عليها من السِّتر، كأكثر نساء هذا الزمن؛ فإن ظهورها للرجال يصير حرامًا.

- **الشذوذ الجنسي من كبائر المحرَّمات:**

بقي أن نعرف فيما يختص بتنظيم الغريزة الجنسية في الإسلام، أنه كما حرم الزِّنَى وحرم الوسائل المُفضية إليه حرَّم كذلك هذا الشذوذ الجنسي الذي يُعرف «بعمل قوم لوط» أو «اللِّواط».

فهذا العمل الخبيث انتكاس في الفطرة، وانغماس في حَمَأة القذارة، وإفساد للرجولة، وجناية على حق الأنوثة.

وانتشار هذه الخطيئة القذرة في جماعة يفسد عليهم حياتهم، ويجعلهم عبيدًا لها، ويُنْسيهم كل خُلُق وعُرْف وذَوق. وحسْبُنا في هذا

(١) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥١٨٢)، ومسلم في الأشربة (٢٠٠٦).
(٢) فتح الباري (٢٥١/٩).

QaradawiBooks.com

ما ذكره القرآن الكريم عن قوم لُوط، الذين ابتكروا هذه الفاحشة القَذِرة، وكانوا يَدَعون نساءهم الطيبات الحلال، ليأتوا تلك الشهوة الخبيثة الحرام. ولهذا قال لهم نبيهم لوط: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٥، ١٦٦]. ودمغهم القرآن على لسان لوط بالعدوان والجهل، والإسراف والإفساد والإجرام في عدد من الآيات.

ومن أغرب مواقف هؤلاء القوم التي ظهر فيها اعوجاج فطرتهم، وفقدان رُشْدهم، وانحطاط أخلاقهم، وفساد أذواقهم، موقفهم من ضيوف لوط، الذين كانوا ملائكةَ عذاب، أرسلهم الله في صورة البشر؛ ابتلاء لأولئك القوم، وتسجيلًا لذلك الموقف عليهم، وهو الذي حكاه القرآن: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ۝ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ۝ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ۝ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ۝ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ﴾ [هود: ٧٧ ـ ٨١].

وقد اختلف فقهاء الإسلام في عقوبة مَن ارتكب هذه الفاحشة: أيُحدَّان حد الزِّنى؟ أم يقتل الفاعل والمفعول به؟ وبأي وسيلة يُقتلان؟ أبالسيف أم بالنار؟ أم إلقاء من فوق جدار؟

وهذا التشديد الذي قد يبدو قاسيًا، إنما هو تطهير للمجتمع الإسلامي من هذه الجراثيم الفاسدة الضارة، التي لا يتولد عنها إلا الهلاك والإهلاك.

QaradawiBooks.com

• حكم الاستمناء:

وقد يثور دمُ الغريزة في الشابِّ، فيلجأ إلى يده، يستخرج بها المَنِيَّ من جسده، ليُريح أعصابه، ويهدِّئ من ثورة الغريزة، وهو ما يُعرف اليوم بـ «العادة السرية».

وقد حرَّمها أكثرُ العلماء، واستدلَّ الإمام مالك بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٥ ـ ٧]. والمستمني بيده قد ابتغى لشهوته شيئًا وراء ذلك[(١)].

وجاء عن أحمد بن حنبل أنه اعتبر المنيَّ فَضْلة من فَضَلات الجسم[(٢)]، فجاز إخراجه، كالفَصْد، وهذا ما ذهب إليه وأيَّده ابن حزم[(٣)]. وقيَّد فقهاء الحنابلة الجواز بأمرين: الأول: خشية الوقوع في الزنى. والثاني: عدم استطاعة الزواج.

ويمكن أن نأخذ برأي الإمام أحمد في حالات ثوران الغريزة، وخشية الوقوع في الحرام، كشابٍّ يتعلَّم أو يعمل غريبًا عن وطنه، وأسباب الإغراء أمامه كثيرة، ويخشى على نفسه العَنَت، فلا حرج عليه أن يلجأ إلى هذه الوسيلة يطفئ بها ثوران الغريزة، على ألَّا يسرف فيها ويتخذها دَيْدَنًا.

---

(١) الفتاوى الآمدية (٣٧٥/٢)، تحقيق محمد هادي الشمرخي، نشر مكتبة سيدا، ديار بكر، تركيا، ط١، ٢٠١٢م.

(٢) تفسير القرطبي (١٠٥/١٢).

(٣) المحلى (٤٠٧/١٢، ٤٠٨).

QaradawiBooks.com

وأفضل من ذلك ما أرشـــد إليه الرسولُ الكريمُ الشابَّ المسلمَ الذي يَعْجِز عن الزواج: أن يســـتعين بكثرة الصوم، الذي يربِّي الإرادة، ويعلِّم الصبر، ويقوِّي مَلَكة التقوى ومراقبة الله تعالى في نفس المسلم، وذلك حين قال: «**يا معشر الشباب، مَن استطاع منكم الباءَة فليتزوَّج، فإنه أغضُّ للبصر وأحصنُ للفرج، ومَن لم يستطعْ فعليه بالصوم فإنه له وِجَاء**»[1].

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠٦٦)، ومسلم (١٤٠٠)، كلاهما في النكاح، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

٢

في الزواج

• لا رهبانية في الإسلام:

وقف الإسلام دونَ إرخاء العِنان لغريزة الجنس، لتنطلق بغير حدود ولا قيود. ولذلك حَرَّم الزِّنَى، وما يُفضي إليه وما يلحق به.

ولكنه إلى جانب ذلك، قاوم النزعة المضادة لذلك: نزعة مصادمة الغريزة وكَبْتها، ومن أجل ذلك دعا إلى الزواج، ونهى عن التبتُّل والخِصاء[1].

فلا يحل للمسلم أن يُعرض عن الزواج مع القدرة عليه، بدعوى التبتل لله، أو التفرُّغ للعبادة، والترهُّب والانقطاع عن الدنيا.

وقد لمح النبي ﷺ في بعض أصحابه شيئًا من النزوع إلى هذه الوجهة الرهبانيَّة، فأعلن أن هذا انحرافٌ عن نهج الإسلام، وإعراضٌ عن سُنَّته عليه الصلاة والسلام، وبذلك طارد تلك الأفكار النصرانية من البيئة الإسلامية، فعن أبي قِلَابة قال: أراد أُناس من أصحاب رسول الله ﷺ أن يرفضوا الدنيا، ويتركوا النساء ويترهَّبوا، فقام رسول الله ﷺ، فغلَّظ فيهم المقالة، ثم قال:

(١) التبتل: الانقطاع عن النساء وعن الدنيا للعبادة. والخصاء: شق جلد الخصيتين إخراجهما. انظر: المقصور والممدود لأبي عالي القالي صـ ٤٥٠، تحقيق د. أحمد عبد المجيد هريدي، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

«إنما هلك من كان قبلكم بالتشديد، شدَّدوا على أنفسهم فشدَّد الله عليهم، فأولئك بقاياهم في الأديار والصوامع، فاعبدوا الله ولا تشركوا به وحجُّوا واعتمروا، واستقيموا يستقم بكم»[(١)].

قال: ونزلت فيهم الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ [المائدة: ٨٧].

وعن مجاهد قال: أراد رجال منهم عثمان بن مظعون وعبد الله بن عمرو، أن يتبتلوا ويخصوا أنفسهم ويلبسوا المسوح[(٢)]، فنزلت الآية السابقة والتي بعدها.

وروى البخاري وغيره أن رهطًا من الصحابة ذهبوا إلى بيوت النبي ﷺ يسألون أزواجه عن عبادته، فلما أُخبروا بها كأنهم تقالُّوها ـ أي اعتبروها قليلة ـ ثم قالوا: أين نحن من رسول الله ﷺ، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أما أنا فأصوم الدهر فلا أفطر. وقال الثاني: وأنا أقوم الليل فلا أنام. وقال الثالث: وأنا أعتزل النساء، فلا أتزوج أبدًا.

فلما بلغ ذلك النبي ﷺ بين لهم خطأهم وعِوَج طريقهم وقال لهم: **«أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد وأتزوج النساء، فمَن رغب عن سنتي فليس مني»**[(٣)].

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (١٠٣١)، وعبد الرزاق في تفسيره (٧١٩)، والطبري في التفسير (٥١٥/١٠)، وضعفه الألباني في غاية المرام (٢٠٧) لإرساله، ثم أشار في آخر كلامه إلى حديث أنس، الذي رواه أبو داود في الأدب (٤٩٠٤)، ثم قال: لعل حديثه حسن بشاهده المرسل عن أبي قلابة.

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٥١٩/١٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، كلاهما في النكاح، عن أنس.

QaradawiBooks.com

وقال سعد بن أبي وقاص: رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتُّل، ولو أذن له لاختصينا[١].

ووجه عليه السلام نداءه إلى الشباب عامَّة فقال: «**يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوَّج، فإنه أغضُّ للبصر وأحصن للفرج**»[٢].

ومن هنا قال بعض العلماء: إن الزواج فريضةٌ على المسلم، لا يحلُّ له تركه ما دام قادرًا عليه. وقيَّده غيرهم بمَن كان تائقًا إليه، خائفًا على نفسه.

ولا يليق بالمسلم أن يصُدَّ نفسه عن الزواج خشيةَ ضيق الرزق عليه، أو ثِقَل المسؤولية على عاتقه، وعليه أن يحاول ويسعى، وينتظر فضل الله ومعونته التي وعد بها المتزوجين، الذين يرغبون في العفاف والإحصان، قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٢].

وقال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة حق على الله عونهم: الناكح الذي يريد العفاف، والمكاتَب الذي يريد الأداء** ـ أي العبد الذي يريد أن يحرر رقبته، ببذل مقدار من المال يكاتب عليه سيده ـ **والغازي في سبيل الله**»[٣].

• النظر إلى المخطوبة:

ويشرع للمسلم إذا عزم على الزواج، واتجهت نيته لخِطبة امرأة معينة أن ينظر إليها، قبل البدء في خطوات الزواج، ليقدم عليه على بصيرة

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠٧٣)، ومسلم (١٤٠٢)، كلاهما في النكاح.

(٢) سبق تخريجه صـ٢١٩.

(٣) رواه أحمد (٧٤١٦)، وقال مخرجوه: إسناده قوي. والترمذي (١٦٥٥)، وقال: حديث حسن. والنسائي (٣١٢٠)، كلاهما في الجهاد، وابن ماجه في العتق (٢٥١٨)، وحسَّنه الألباني في غاية المرام (٢١٠)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وبينة. ولا يمضي في الطريق معصوب العينين، حتى يكون بمنجاة من الوقوع في الخطأ، والتورط فيما يكره.

هذا إلى أن العين رسول القلب، وقد يكون التقاء العين بالعين سبيلًا لالتقاء القلوب، وائتلاف الأرواح.

روى مسلم عن أبي هريرة قال: كنت عند النبي ﷺ، فأتاه رجل، فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار. فقال رسول الله ﷺ: «**أنظرتَ إليها**»؟ قال: لا. قال: «**فاذهب فانظر إليها، فإن في أعين الأنصار شيئًا**»[١].

وروى المغيرة بن شعبة أنه خطب امرأة، فقال النبي ﷺ: «**انظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما**[٢]»، فأتى أبويها، فأخبرهما بقول رسول الله ﷺ، فكأنهما كرها ذلك... فسمعت ذلك المرأةُ وهي في خِدْرها، فقالت: إن كان رسول الله ﷺ أمرك أن تنظر، فانظر. قال: فنظرت إليها، فتزوجتُها[٣].

ولم يحدِّد النبيُّ ﷺ للمغيرة، ولا للرجل الآخر المقدار الذي تُباح لهما رؤيته من المخطوبة.

وقال بعض العلماء: هو الوجه والكفان. ولكن الوجه والكفين تجوز رؤيتها بدون شهوة في غير الخِطبة، وما دام ظرف الخِطبة مستثنًى، فلا بد أن يجوز له أن يرى منها أكثر مما يجوز في الظروف المعتادة

(١) رواه مسلم في النكاح (١٤٢٤).
(٢) أي: تحصل الموافقة والملاءمة بينكما.
(٣) رواه أحمد (١٨١٣٧)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. والترمذي (١٠٨٧) وحسَّنه، والنسائي (٣٢٣٥)، وابن ماجه (١٨٦٥)، ثلاثتهم في النكاح، وصححه ابن الملقن في البدر المنير (٥٠٣/٧)، والألباني في غاية المرام (٢١١).

QaradawiBooks.com

الأخرى. وقد جاء في الحديث: «**إذا خطب أحدُكم المرأة، فقدر أن ينظر منها إلى ما يدعوه إلى نكاحها، فليفعلْ**»[١].

وقد تطرَّف بعض العلماء في الترخيص بالقدر الذي يُرى، وتطرف آخرون في التشديد والتضييق، والخير في التوسط والاعتدال.

وقد حدده بعض الباحثين بأن للخاطب في عصرنا الحالي أن يراها في الملابس التي تظهر بها لأبيها وأخيها ومحارمها بلا حرج، قال: بل له في نطاق الحديث الشريف أن يصحبها مع أبيها أو أحد محارمها ـ وهي بزيِّها الشرعي ـ إلى ما اعتادت أن تذهب إليه، من الزيارات والأماكن المباحة، لينظر إلى عقلها وذوقها وملامح شخصيتها، فإنه داخل في مفهوم البعضية التي تضمنها قوله ﷺ: «**فقدر أن ينظر منها إلى بعض ما يدعوه إلى زواجها**»[٢].

وله أن ينظر إليها بعلمها وعلم أهلها، كما له أن ينظر إليها، دون أن تعلم هي أو يعلم أحد من أهلها، ما دام ذلك بنية الخطبة. وقد قال جابر بن عبد الله عن امرأته: كنت أتخبَّأ لها تحتَ شجرةٍ لأراها[٣].

ومن حديث المغيرة الذي ذكرناه، نعلم أنه لا يُباح للأب المسلم أن يمنع ابنته، أن يراها من يريد خِطبتها صادقًا، باسم التقاليد، فإن الواجب أن تخضع التقاليد للشريعة، لا أن تخضع شريعة الله لتقاليد الناس.

---

(١) رواه أحمد (١٤٥٨٦)، وقال مخرجوه: حديث حسن. وأبو داود (٢٠٨٢)، والحاكم (١٦٥/٢)، كلاهما في النكاح، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٨١/٩): سنده حسن. وحسنه الألباني في غاية المرام (٢١٣)، عن جابر بن عبد الله.

(٢) الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة للأستاذ البهي الخولي صـ ٥٥.

(٣) جزء من حديث جابر السابق.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

كما لا يحل لـــلأب ولا للخاطـــب ولا للمخطوبة أن يتوسَّـــعوا في الرخصة، فيُلقوا الحبل على الغارب للفتى والفتاة باسم الخِطبة، يذهبان إلى الملاهي والمتنزهات والأسواق بغير حضور أحد من المحارم، كما يفعل اليوم عُشَّاق الحضارة الغربية والتقاليد الغربية.

إن التطرف إلى اليمين أو اليسار أمر تأباه طبيعة الإسلام.

• الخِطبة المحرَّمة:

ولا يحلُّ للمسلم أن يتقدَّم لخطبة امرأة مُطَلَّقة أو متوفًّى عنها زوجُها في عدتها؛ لأن وقـــت العدة حَرَمٌ للزوجية الســـابقة، فلا يجوز الاعتداء عليه. وله أن يُفهم المرأةَ المتوفًّى عنها زوجها وهي في العدة رغبته في زواجها بالتعريض والتلميح، لا بالإظهـــار والتصريح، قال تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

ويحرم عليه أن يخطب على خِطبة أخيه، إذا كان قد وصل إلى اتفاق مع الطرف الآخر؛ ذلك أن الخاطب قبله قد اكتسب حقًّا يجب أن يُصان، رعاية للعَلاقة وحُسن المودَّة بين الناس، وبُعدًا بالمسلم عن سلوك ينافي المروءة، ويُشـــبه الاختطاف والعدوان. فإذا صرف الخاطب الأول نظره عن الخِطبة، أو أذن بنفسه للخاطب الثاني، فلا حرجَ حينئذٍ عليه.

روى مسلم أن رســـول الله ﷺ قال: «**المؤمن أخو المؤمن، فلا يحلُّ للمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه، ولا يخطب على خِطبة أخيه**»[(١)].

وروى البخاري، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يخطب الرجل على خطبة الرجل، حتى يترك الخاطبُ قَبْلَه أو يأذنَ له**»[(٢)].

---

(١) رواه مسلم في النكاح (١٤١٤)، عن عقبة بن عامر.

(٢) رواه البخاري في النكاح (٥١٤٢)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

• البكر تُستأذن ولا تُجبر:

والفتاة هي صاحبة الشأن الأول في زواجها، فلا يجوز لأبيها أو وليها أن يهمل رأيها، أو يُغفِل رضاها. قال ﷺ: «**الثيب أحقُّ بنفسها من وليِّها، والبكر تُستأذن في نفسها، وإذنها صُماتها**»(١). وجاءت فتاة إلى النبي ﷺ فأخبرته أن أباها زوَّجها من ابن أخيه، وهي له كارهة، فجعل النبي ﷺ الأمر إليها، فقالت: قد أجزتُ ما صنع أبي، ولكن أردتُ أن أُعلِم النساء أنْ ليس للآباء من الأمر شيء(٢).

ولا يحلُّ للأب أن يؤخِّر زواج ابنته إذا خطبها كُفء ذو دين وخلق. قال ﷺ: «**ثلاث لا تؤخرْها: الصلاة إذا أتت، والجِنازة إذا حضرت، والأيِّم إذا وجدت لها كُفْئًا**»(٣). وقال: «**إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوِّجوه، إلا تفعلوه تكنْ فتنةً في الأرض وفساد كبير**»(٤).

---

(١) رواه مسلم في النكاح (١٤٢١)، وأحمد (٢١٦٣)، عن ابن عباس.

(٢) رواه أحمد (٢٥٠٤٣)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. والنسائي في الصغرى (٣٢٦٩)، وفي الكبرى (٥٣٦٩)، وقال: هذا الحديث يرسلونه. وابن ماجه (١٨٧٤)، والدارقطني (٣٥٥٥، ٣٥٥٦) بعدة طرق، وقال: هذه كلها مراسيل، ابن بريدة لم يسمع من عائشة شيئًا. ثلاثتهم في النكاح، والبيهقي في معرفة السنن والآثار (٤٨/١٠) من طرق، وقال: وفي إجماع هؤلاء على إرسال الحديث دليل على خطأ رواية من وصله. وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٩٦/٩): طرقه يقْوَى بعضُها ببعض. وضعفه الألباني في غاية المرام (٢١٧) بالانقطاع، ثم جزم باتصاله في الصحيحة (١٠٠٩/٧) الحاشية رقم (١)، عن عائشة.

(٣) رواه أحمد (٨٢٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والترمذي في الجنائز (١٠٧٥)، وقال: حديث غريب وما أرى إسناده بمتصل. والحاكم في النكاح (١٦٢/٢)، وقال: حديث غريب صحيح. ووافقه الذهبي، وتعقبه ابن حجر في التلخيص (٢٩٨): غلط الحاكم فيه غلطًا فاحشًا، وإنما رواه ابن وهب، عن سعيد بن عبد الله الجهني، لا عن سعيد بن عبد الرحمن الجمحي، وهو مجهول. وضعَّفه الألباني في غاية المرام (٢١٨)، ثم حسَّنه في مشكاة المصابيح (٦٠٥)، عن علي.

(٤) رواه الترمذي (١٠٨٤) موصولًا ومرسلًا. ابن عجلان لم يسمع من أبي هريرة، وقد رجَّح =

QaradawiBooks.com

المحرَّمات من النساء:

ويحرم على المسلم أن يتزوَّج واحدةً من النساء الآتي ذكرهن:

١ ـ **زوجة الأب** ـ سواء طلقها أو مات عنها ـ وكان هذا الزواج جائزًا في الجاهلية فأبطله الإسلام؛ لأن زوجة الأب لها منزلة الأم بعد زواجها بأبيه، فكان من الحكمة تحريمها عليه، رعاية لحُرْمة الأب. ثم إن تحريمها عليه على التأبيد، يقطع طمعه فيها وطمعها فيه، فتستقرُّ العلائق بينهما على أساس من الاحترام والهَيْبة.

٢ ـ **الأم**، ومثلها الجدة وإن علت من قِبَل الأب أو الأم.

٣ ـ **البنت**، ومثلها بنت ابنه أو ابنته، مهما امتدت الفروع.

٤ ـ **الأخت**: شقيقة كانت أو لأبٍ أو لأمٍّ.

٥ ـ **العمة**: أخت الأب شقيقة أو لأب أو لأم.

٦ ـ **الخالة**: أخت الأم شقيقة أو لأب أو لأم.

٧ ـ **بنات الأخ**.

٨ ـ **بنات الأخت**.

وهؤلاء النسوة القريبات، هُنَّ اللاتي يطلق عليهن في الإسلام اسم «المحارم»؛ لأنهن مُحرَّمات على المسلم حُرْمة أبدية، لا تحل في وقت من الأوقات، ولا بحالٍ من الأحوال. كما يُسمَّى الرجل «مَحْرَمًا» بالنسبة إليهن أيضًا.

= البخاري المنقطع على المتصل. وابن ماجه (١٩٦٧)، كلاهما في النكاح، وحسنه الألباني في غاية المرام (٢١٩)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

• **والحكمة في تحريم زواج هؤلاء القريبات ظاهرة:**

(أ) فالإنسان الراقي تنبو فطرته عن الاشتهاء الجنسي لمثل أمه أو أخته أو بنته، بل إن من الحيوانات من يأبى ذلك، وشعور المرء نحو خالته وعمته كشعوره نحو أمه، والعم والخال كذلك بمنزلة الوالد.

(ب) إن الشريعة لو لم تجِئْ بقطع الطمع فيهن، لكان الخطر متوقَّعًا على العلاقة بين الرجل وبينهن، لوجود الخَلوة وشدة الاختلاط.

(ج) إن بين الرجل وبين هؤلاء القريبات عاطفة قائمة مستقرَّة، تتمثَّل في الاحترام والتكريم، أو الحنان والعطف. فكان الأولى أن يتوجَّه بعاطفة حبِّه إلى الأجنبيات عنه، عن طريق المصاهرة، فتحدث صلات جديدة، وتتسع دائرة المحبَّة والمودَّة بين الناس ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

(د) إن هذه العاطفة الفطرية بين الرجل وقريباته اللاتي ذكرنا، والقائمة على الحنان أو التوقير، يجب إبقاؤها حارَّة قوية، لتكون ركيزة العلاقة الدائمة بينهم، وأساس الرعاية والمحبَّة والولاء. وتعريض مثل هذه العاطفة أو الصلة للزواج، وما يحدث فيه من شجار وخلاف، قد يؤدِّي إلى البينونة والانفصال، ممَّا يتنافى وما يراد لتلك العواطف من استقرار، ولتلك الصلات من ثباتٍ ودوام.

(هـ) إن النسل من هؤلاء القريبات يغلب أن يكون ضاويًا ضعيفًا، وإذا كان في عائلة الشخص عيوب جسمية أو عقلية، فمن شأن هذا الزواج أن يركزها في النسل.

(و) إن المرأة في حاجة إلى من يخاصم عنها، ويحمي مصالحها عند زوجها، وخصوصًا إذا اضطربت العلائق بينهما، فكيف إذا كان حاميها هو خَصْمها؟!

QaradawiBooks.com

• **المحرَّمات بالرَّضَاعة:**

٩ ـ **ويحرم على المسلم أن يتزوَّج المرأة التي أرضعته في صِغره**، فقد صارت بإرضاعها إياه في حكم الأم، وقد أسهم لبنُها في إنبات لحمه وتكوين عظمه، وأحدث هذا الرضاع عاطفة بنوة وأمومة بينه وبينها، وقد تختفي هذه العاطفة، ولكنها تكمن في العقل الباطن (اللاشعور) لتظهر فيما بعد عند المقتضي.

وقد اشتُرط لتأثير هذا الرضاع أن يكون في الصِّغر، أي: قبل تمام سنتين للرضيع، وهو الزمن الذي يكون اللبن فيه الغذاء الأول.

وألَّا يقل عددُ الرَّضَعات عن خمس مُشبِعات، والرَّضْعة المُشْبعة هي التي يدع الطفل فيها الثدي من تِلقاء نفسه لشعوره بالشبع.

وتحديد الرضعات بخمس هو أرجح وأوسط ما جاءت به الروايات.

١٠ ـ **الأخوات من الرضاعة:** كما أن المرأة صارت بالرضاع أمًّا للرضيع، فكذلك بناتها صِرن له أخوات من الرضاعة، وكذلك أخواتها صرن له خالات من الرضاعة، وهكذا سائر أقاربها.

وفي الحديث النبوي: «**يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب**»[1]. فكما يحرم من النسب العمَّة والخالة وبنت الأخ وبنت الأخت، فكذلك يحرم هؤلاء من الرَّضَاع.

• **المحرَّمات بالمصاهرة:**

١١ ـ **ومن المحرَّمات:** أم الزوجة. وهذه يُحرِّمها الإسلام بمجرد العقد على ابنتها، ولو لم يدخل بها؛ لأنها تصبح للرجل بمنزلة أمه.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الشهادات (٢٦٤٥)، ومسلم في الرَّضاع (١٤٤٧)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

١٢ ـ **الرَّبِيبة**: وهي بنت الزوجة التي دخل بها، فإن لم يكن دخل بالأم، فلا جناح عليه أن يتزوَّج البنت.

١٣ ـ **حليلة الابن**: ومعنى الابن: الابن من الصلب، لا الابن المتبنَّى. فقد أبطل الإسلام شرعية نظام التبنِّي وما يترتَّب عليه، لما فيه من مخالفة للحقيقة والواقع، مما يؤدِّي إلى تحريم الحلال، وتحليل الحرام. قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤]، أي هو مجرد قول باللسان، لا يغيِّر الواقع، ولا يجعل الغريب قريبًا.

وحُرمة هؤلاء الثلاث إنما جاءت لعلَّة طارئة، هي المصاهرة، وما ترتب عليها من صلات وثيقة بين المتصاهرين، اقتضت هذا التحريم.

• **الجمع بين الأختين:**

١٤ ـ **ومما حرَّمه الإسلام على المسلم** ـ وكان مشروعًا في الجاهلية ـ الجمع بين الأُخْتين؛ فإن رابطة الحبِّ الأخوي الذي يحرص الإسلام على دوامه بينهما ينافيها أن تكون إحداهما ضَرَّة للأخرى.

وقد صرَّح القرآن بتحريم الجمع بين الأختين، وأضاف الرسول ﷺ إلى ذلك قوله: «**لا يجمع بين المرأة وعمَّتها ولا بين المرأة وخالتها**»[(١)]. كما في الصحيحين وغيرهما. وقال: «**إنكم إن فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم**»[(٢)]. والإسلام يؤكد صلة الأرحام، فكيف يشرع ما يؤدِّي لتقطيعها؟!

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥١٠٩)، ومسلم (١٤٠٨)، كلاهما في النكاح، عن أبي هريرة.

(٢) رواه ابن حبان في النكاح (٤١١٦)، وقال الأرناؤوط: حديث حسن. والطبراني (٣٣٧/١١)، وضعَّفه الألباني في ضعيف أبي داود (٣٥٢)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

• **المتزوِّجات:**

١٥ ـ **والمرأة المتزوجة ما دامت في عصمة زوجها**، لا يحل لها الزواج بآخر. ولكي تحل لزوج آخر لا بد من شرطين:

(أ) أن تزول يد الزوج عنها بموتٍ أو طلاق.

(ب) أن تستوفي العدَّةَ التي أمر الله بها، وجعلها وفاءً للزوجية السابقة، وسياجًا لها. ومدة هذه العدة للحامل أن تضع حملها، قصر الزمن أو طال.

وللمتوفَّى عنها زوجها أربعة أشهر وعشر ليال.

وللمطلقة ثلاث حَيْضات. وإنما جعلت ثلاثًا، للتأكُّد من ضمان براءة الرَّحِم، خشيةَ أن يكون قد عَلِق به حملٌ من ماء الزوج السابق. فلا بد من هذا الاحتياط، منعًا لاختلاط الأنساب. وهذا لغير الصغيرة أو كبيرة السن التي انقطع عنها الحيض. أما هما، فعدتهما ثلاثة أشهر.

قال تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. وقال: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤]. وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤].

وهذه الأصناف الخمسة عشر من محرَّمات النساء، ذكرها القرآن الكريم في آيات ثلاثٍ من سورة النساء قال ﷻ: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ۝ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ

QaradawiBooks.com

وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النساء: ٢٢ ـ ٢٤]. وأما تحريم الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها، فقد جاءت به السُّنَّة الشريفة[1].

• **المشركات:**

١٦ ـ **ومن المحرَّمات: المُشركة**، وهي التي تعبد الأوثان، كمشركات العرب ومَن شابههن.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٢١].

بيَّنت الآية أنه لا يجوز للمسلم أن يتزوَّج مُشْرِكة، كما لا يجوز للمسلمة أن تتزوج مُشْرِكًا؛ للاختلاف الشاسع بين الدِّينَيْن، فهؤلاء يدعون إلى الجنة، وأولئك يدعون إلى النار. هؤلاء مؤمنون بالله وبالنبوَّة وبالآخرة، وأولئك مشركون بالله، منكرون للنبوَّة، جاحدون بالآخرة.

والزواج سكينة ومودَّة، فكيف يلتقي هذان الطرفان المتباعدان؟!

(١) سبق تخريجه صـ٢٣٠، وفيه: «**لا يجمع بين المرأة وعمتها...**».

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

• زواج الكتابيَّات:

أما الكتابيَّات من اليهود والنصارى، فقد أجاز القرآن الزواج منهن، تبعًا لنظرته لأهل الكتاب، ومعاملته الخاصَّة لهم، واعتبارهم أهل دين سماوي، وإن حرَّفوا فيه وبدَّلوا. فكما أباح مؤاكلتهم أباح مصاهرتهم بزواج المسلم من نسائهم، قال تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖ﴾ [المائدة: ٥].

وهذا لون من التسامح الإسلامي، الذي قلَّ أن يوجد له نظير في الأديان والمِلَل الأخرى، فرغم رميه لأهل الكتاب بالكُفر والضلال، أباح للمسلم أن تكون الكتابية ـ وهي على دينها ـ زوجتَه، وربَّة بيته، وسكن نفسه، وموضع سرِّه، وأم أولاده، مع أنه يقول في شأن الزوجية وأسرارها: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةً﴾ [الروم: ٢١].

تنبيهات أو قيود لا بد أن نراعيها:

وهنا لا بد أن نذكر قيود لا بد من مراعاتها:

١ ـ أن الإسلام إنما أباح الزواج من الكتابية، أي التي لها في الأصل دين وكتاب سماوي، فأما التي لا دين لها ـ أصلًا ـ كالشيوعية الملحِدة، أو التي لها دين يرفضه الإسلام كالبهائية والدُّرْزية والنُّصَيْرية ونحوها، فالزواج منها باطل بيقين، وإن حُسِبتْ أو حُسِبَ أهلُها في عداد النصارى أو اليهود أو المسلمين.

QaradawiBooks.com

٢ ـ أن الإسلام إنما أباح الزواج من الكتابية «المُحْصَنة» أي الحُرَّة العفيفة، أما التي تبيع جسدها لكل رجل، فلا يُباح الزواج منها.

٣ ـ أن الكتابية التي يعادي قومها الإسلام والمسلمين لا يجوز الزواج منها؛ لأن الزواج ارتباط بأهلها، ومودَّة لهم، فلا يجوز، كما أنها بحكم ولائها لدينها وقوميتها؛ لا يُؤمَن أن تكون عَيْنًا أو عَوْنًا لهم على المسلمين، وعلى هذا لا يجوز زواج المسلم من الإسرائيلية في عصرنا.

٤ ـ أن المسلمة المتديِّنة الحريصة على دينها أفضلُ للمسلم من مجرَّد مسلمة ورثت الإسلام عن أبويها، والرسول صلوات الله عليه يُعلِّمنا ذلك فيقول: «**اظفر بذات الدين تَرِبَت يداك**»[1].

فإذا علمنا ذلك تبين لنا أن المسلمة أيًّا كانت أفضل للمسلم من أي امرأة كتابية.

٥ ـ ثم إذا كان المسلم يخشى من مثل هذه الزوجة على عقيدة أولاده أو توجيههم، فالواجب أن يستبرئ لدينه، ويجتنب هذا الخطر، وخصوصًا إذا كان يعيش في بيئة الزوجة ومجتمعها.

٦ ـ وإذا كان عدد المسلمين قليلًا في بلد ـ كجالية من الجاليات مثلًا ـ فالرَّاجح هنا أن يحرم على رجالهم زواجهم بغير المسلمات؛ لأن زواجهم بغيرهن في هذا الحال مع حرمة زواج المسلمات من الآخرين؛ قضاء على بنات المسلمين، أو على فئة غير قليلة منهن بالكساد والبوار، وفي هذا ضرر محقَّق على المجتمع المسلم. وهو ضرر يمكن أن يُزال بتقييد هذا المباح، وتعليقه إلى حين.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٠٩٠)، ومسلم في الرضاع (١٤٦٦)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

• **زواج المسلمة من غير المسلم:**

ويحرم على المسلمة أن تتزوَّج غير مسلم، كتابيًّا أو غير كتابي، ولا يحل لها ذلك بحال. وقد ذكرنا قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟﴾ [البقرة: ٢٢١]، وقال في شأن المؤمنات المهاجرات: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠].

ولم يرد نصٌّ باستثناء أهل الكتاب من هذا الحكم، فالحُرْمة مُجمَع عليها بين المسلمين.

وإنما أجاز الإسلام للمسلم أن يتزوَّج يهودية أو نصرانية، ولم يُجِزْ للمسلمة أن تتزوَّج بأحدهما؛ لأن الرجل هو رَبُّ البيت والقوَّام على المرأة والمسؤول عنها. والإسلام قد ضمن للزوجة الكتابية في ظل الزوج المسلم حريةَ عقيدتها، وصان لها بتشريعاته وإرشاداته حقوقها وحُرْمتها.

ولكن دينًا آخر كالنصرانية أو اليهودية، لم يضمن للزوجة المخالِفة في الدين أي حرية، ولم يَصُن لها حقَّها.. فكيف يغامر الإسلام بمستقبل بناتِه، ويرمي بهن في أيدي من لا يرقبون في دينهن إلًّا ولا ذِمَّة؟!

وأساس هذا: أن الزوج لا بد أن يحترم عقيدة زوجته، ضمانًا لحسن العِشْرة بينهما، والمسلم يؤمن بأصل اليهودية والنصرانية دينَيْن سماويين بغض النظر عما حُرِّف منهما، ويؤمن بالتوراة والإنجيل كتابَيْن من عند الله، ويؤمن بموسى وعيسى رسولين من عند الله، من أولي العزم من الرسل. فالمرأة الكتابية تعيش في كَنَف رجل يحترم أصل دينها وكتابها ونبيها، بل لا يتحقَّق إيمانُه إلا بذلك.

أما اليهودي أو النصراني، فلا يعترف أدنى اعتراف بالإسلام، ولا بكتاب الإسلام، ولا برسول الإسلام. فكيف يمكن أن تعيش في

QaradawiBooks.com

ظلِّه امرأة مسلمة يطالبها دينها بشعائر وعبادات، وفروض وواجبات، ويشرع لها أشياء، ويُحَرِّم عليها أشياء؟

ألا إنه من المستحيل أن تبقى للمسلمة حرمة عقيدتها، وتتمكن من رعاية دينها، والرجل القوَّام عليها يجحده كل الجحود!!

ومن هُنا كان الإسلام منطقيًّا مع نفسه، حين حرم على الرجل المسلم أن يتزوج وثنية مشركة؛ لأن الإسلام ينكر الشرك والوثنية كل الإنكار، فكيف يتحقَّق بينهما السكون والمودَّة والرحمة؟!

إن الجمع بينهما يشبه ما قاله الشاعر العربي قديمًا[1]:

أيها المُنْكِحُ الثُّرَيا سُهَيْلًا ... عَمْرَكَ اللهَ، كيف يلتقيان؟
هي شامية إذا ما استقلَّت ... وسُهَيْل إذا استقلَّ يَمَانِ!

• الزانيات:

١٧ ـ **والمراد بالزانيات هنا البغايا اللاتي يُجاهرن بالزنى أو يتكسبْنَ به.** وقد ورد أن مَرْثد بن أبي مَرْثد استأذن النبي ﷺ أن يتزوج بَغِيًّا كانت له بها علاقة في الجاهلية، واسمها عَناق، فأعرض النبي ﷺ عنه، حتى نزل قوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٣]. فتلا النبيُّ ﷺ عليه الآية وقال له: «**لا تنكحْها**»[2].

---

(١) البيتان لعمر بن أبي ربيعة، انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري (٥٤٤/٢)، نشر دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

(٢) رواه الترمذي في التفسير (٣١٧٧)، وقال: حسن غريب. وأبو داود (٢٠٥١)، والنسائي (٣٢٢٨)، والحاكم (١٦٦/٢)، ثلاثتهم في النكاح، وصحَّحه الحاكم ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٢٢٣)، عن عبد الله بن عمرو.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

ذلك أن الله تعالى، إنما أباح زواج المُحصَنات من المؤمنات، والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب ـ كما مر ـ والمحصنات: هن العفيفات.

وكذلك أحل للرجال الزواج بشرط أن يكونوا ﴿مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ [النساء: ٢٤]. فمن لم يقبل هذا الحكمَ من كتاب الله، ولم يلتزمه فهو مشرك، لا يرضى بنكاحه إلا من هو مُشْرِك مثله. ومن أقرَّ بهذا الحكم وقبِله والتزمه، ولكنه خالفه ونكح ما حرم عليه من النكاح يكون زانيًا.

وهذه الآية ذُكرت بعد آية الجلد في سورة النور: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢]. فهذه عقوبة بدنية، وتلك عقوبة أدبية، فإن تحريم زواج الزَّاني والزانية يُشبه التجريد من شرف المواطنة، أو إسقاط الجنسية، أو الحرمان من حقوق معيَّنة في العُرف الحديث.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن بيَّن معنى الآية السابقة: «وكما أن هذا الحكم هو موجَب القرآن وصريحه، فهو موجَب الفطرة، ومقتضى العقل، فإن الله سبحانه حرَّم على عبده أن يكون قَرنانًا[1] ديوثًا، زوجَ بَغِيٍّ، فإن الله فطر الناس على استقباح ذلك واستهجانه، ولهذا إذا بالغوا في سبِّ الرجل قالوا: زَوْج قَحْبَة. فحرَّم الله على المسلم أن يكون كذلك.

ومما يوضِّح هذا التحريم، أن هذه الجناية من المرأة تعود بفساد فراش الزوج، وفساد النسَب الذي جعله الله بين الناس لتمام مصالحهم، وعدَّه من جملة نعمه عليهم، فالزِّنى يُفضي إلى اختلاط المياه واشتباه

(١) القرنان: الديوث المشارك في قرينته لزوجته. القاموس المحيط مادة (ق. ر. ن).

QaradawiBooks.com

الأنساب، فمن محاسن هذه الشريعة تحريم نكاح الزانية حتى تتوب وتستبرئ»[١]. أي: تعرف براءة رحمها، بأن تحيض حيضةً على الأقل.

وأيضًا فإن الزانية خبيثة. والله ﷻ جعل النِّكاح سببًا للمودَّة والرحمة، والمودة: خالص الحب، فكيف تكون الخبيثة مودودة للطيِّب، زوجًا له؟

والزوج سُمِّي زوجًا من الازدواج وهو الاشتباه، فالزوجان: الاثنان المتشابهان. والمنافَرة تامَّة بين الطيِّب والخبيث شرعًا وقدرًا، فلا يحصل معها الازدواج والتراحم والتوادُّ. وصدق الله إذ يقول: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ [النور: ٢٦].

- **زواج المُتعة:**

والزواج في الإسلام عقد متين وميثاق غليظ، يقوم في الأصل على نية العِشْرة المؤبَّدة من الطرفين؛ لتتحقق ثمرته النفسية التي ذكرها القرآن من السكن النفسي والمودة والرحمة وغايته النوعية العمرانية، من استمرار التناسل وامتداد بقاء النوع الإنساني: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ [النحل: ٧٢].

أما زواج المتعة، وهو ارتباط الرجل بامرأةٍ لمدَّة يحدِّدانها؛ لقاء أجر معيَّن، فلا يتحقَّق فيه المعنى الذي أشرنا إليه. وقد أجازه الرسول ﷺ قبل أن يستقرَّ التشريع في الإسلام. أجازه في السفر والغزوات، ثم نهى عنه وحرَّمه على التأبيد.

وكان السِّرُّ في إباحته أولًا أن القوم كانوا في مرحلة يصح أن نسمِّيها

(١) إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان (١/١١٠)، تحقيق محمد عزير شمس، نشر دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٣٢هـ.

QaradawiBooks.com

«فترة انتقال» من الجاهلية إلى الإســلام؛ وكان الزِّنى في الجاهلية ميسَّــرًا منتشرًا. فلما كان الإسلام، واقتضاهم أن يسافروا للغزو والجهاد: شق عليهم البُعد عن نسائهم مشقة شــديدة، وكانوا بين أقوياء الإيمان وضعفائه؛ فأما الضعفاء، فخيف عليهم أن يتورَّطوا في الزِّنى، أقْبِحْ به فاحشةً وساء سبيلًا!

وأما الأقوياء فعزموا على أن يُخصُّوا أنفسهم أو يجبُّوا مذاكيرهم، كما قال ابن مسعود: كنا نغزو مع رســول الله ﷺ، ليس معنا نساء، قلنا: أَلَا نستخصي؟ فنهانا رســول الله ﷺ عن ذلك، ورخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل[١].

وبهذا كانت إباحة المُتعة رُخصة لحلِّ مشكلة الفريقين من الضعفاء والأقوياء، وخطوة في ســير التشــريع إلى الحياة الزوجية الكاملة، التي تتحقَّق فيها كل أغراض الزواج، من إحصان واســتقرارٍ وتناسل، ومودَّة ورحمة، واتساع دائرة العشيرة بالمصاهرة.

وكما تــدرُّج القرآن بهم في تحريم الخمــر وتحريم الربا ـ وقد كان لهما انتشار وسلطان في الجاهلية ـ تدرَّج النبي ﷺ بهم كذلك في تحريم الفروج. فأجاز عنــد الضرورة المُتعة، ثم حرَّم النبــي ﷺ هذا النوع من الزواج. كما روى ذلك عنه عليٌّ، وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم.

ومن ذلك ما أخرجه مســلم في صحيحه عن سَبْرة الجُهَني أنه غزا مع النبي ﷺ في فتح مكَّة، فأذِنَ لهم في مُتعة النســاء، قال: فلم يخرج حتى حرَّمها رســول الله ﷺ، وفي لفظٍ من حديثه: «**وإن الله حرَّم ذلك إلى يوم القيامة**»[٢].

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠٧٥)، ومسلم (١٤٠٤)، كلاهما في النكاح.
(٢) رواه مسلم في النكاح (١٤٠٦).

QaradawiBooks.com

ولكن هل هذا التحريم باتٌّ كزواج الأمهات والبنات، أو هو تحريم مثل تحريم الميتة والـدم ولحم الخنزير، فَيُباح عنـد الضرورة وخوف العَنَت؟

الذي رآه عامَّة الصحابة أنه تحريم باتٌّ حاسـم، لا رخصة فيه بعد استقرار التشريع. وخالفهم ابن عباس فرأى أنها تُبَاح للضرورة، فقد سأله سائل عن مُتعة النسـاء، فرخَّص له. فقال مولى له: إنما ذلك في الحال الشديدة، وفي النساء قلة أو نحوه! قال ابن عباس: نعم[١].

ثم لمَّا تبيَّن لابن عباس رضي الله عنه أن الناس توسَّـعوا فيها، ولم يقتصروا على موضع الضرورة، أمسـك عن فُتياه ورجع عنها[٢]، واسـتمرَّ بعض أصحابه كعطاء وسعيد بن جُبير وطاوس يُفتون بجوازها[٣].

- **الزواج بأكثر من واحدة:**

الإسـلام دين يلائم الفطرة، ويعالج الواقع بمـا يهذِّبه ويبعُد به عن الإفراط والتفريط، وهذا ما نُشـاهده جليًّا في موقفه من تعدُّد الزوجات، فإنه لاعتبارات إنسـانية هامَّة فردية واجتماعية أباح للمسـلم أن يتزوج بأكثر من واحدة.

وقد كان كثير من الأمم والمِلَل قبل الإسـلام يُبيحون التزوُّج بالجمِّ الغفير من النساء، قد يبلغ العشرات، وقد يصل إلى المائة والمئات، دون اشتراط لشرط، ولا تقييد بقيد. فلما جاء الإسلام وضع لتعدُّد الزوجات قيدًا وشرطًا.

(١) رواه البخاري في النكاح (٥١١٦).
(٢) رواه البيهقي في النكاح (٢٠٥/٧).
(٣) رواها عبد الرزاق في الطلاق (١٤٠٢٠، ١٤٠٢١، ١٤٠٢٢، ١٤٠٢٤، ١٤٠٢٥، ١٤٠٢٦، ١٤٠٢٧، ١٤٠٣١).

QaradawiBooks.com

فأما القيد فجعل الحد الأقصى للزوجات أربعًا، وقد أسلم غَيْلَان الثَّقَفِي وتحته عشْرُ نِسْوة، فقال له النبي ﷺ: «**اخترْ منهن أربعًا وفارِقْ سائرهن**»[(١)]. وكذلك من أسلم عن ثمانية[(٢)]. نهاه الرسول ﷺ أن يُمسك منهن إلا أربعًا.

أما زواج الرسول ﷺ بتسع نِسْوة، فكان هذا شيئًا خصَّه الله به، لحاجة الدعوة في حياته، وحاجة الأُمَّة إليهن بعد وفاته.

• العَدْلُ شرط في إباحة التعدد:

وأما الشرط الذي اشترطه الإسلام لتعدُّد الزوجات، فهو ثقة المسلم في نفسه، أن يعدل بين زوجتَيْه أو زوجاته في المأكل والمشرب، والملبس والمسكن، والمبيت والنفقة، فمن لم يثق في نفسه بالقدرة على أداء هذه الحقوق بالعدل والسويَّة، حرم عليه أن يتزوج بأكثر من واحدة. قال تعالى: ﴿**فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً**﴾ [النساء: ٣]، وقال ﷺ: «**من كانت له امرأتان يميل لإحداهما على الأخرى، جاء يوم القيامة يجرُّ أحد شِقَّيْه ساقطًا**» أو «**مائلًا**»[(٣)].

والميل الذي حذَّر منه هذا الحديث هو الجَوْر على حقوقها،

---

(١) رواه أحمد (٤٦٠٩)، وقال مخرجوه: صحيح بطرقه وشواهده. والترمذي (١١٢٨)، وقال: العمل عليه عند أصحابنا، منهم الشافعي وأحمد وإسحاق. وابن ماجه (١٩٥٣)، وابن حبان (٤١٥٦)، ثلاثتهم في النكاح، وصححه الألباني في غاية المرام (٢٢٦)، عن ابن عمر.

(٢) رواه أبو داود في الطلاق (٢٢٤١)، وابن ماجه في النكاح (١٩٥٢)، وحسَّنه الألباني في غاية المرام (٢٢٧)، عن قيس بن الحارث.

(٣) رواه أحمد (٧٩٣٦)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو داود (٢١٣٣)، والترمذي (١١٤١)، وابن ماجه (١٩٦٩)، ثلاثتهم في النكاح، والنسائي في عشرة النساء (٣٩٤٢)، وصححه الألباني في غاية المرام (٢٢٩)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

لا مجرد الميل القلبي، فإن هذا داخل في العدل الذي لا يُستطاع، والذي عفا الله عنه وسامح في شأنه، قال ﷻ: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾ [النساء: ١٢٩]. ولهذا كان رسول الله ﷺ يَقْسم فيعدل، ويقول: «**اللهم هذا قَسْمي فيما أملك، فلا تؤاخذْني فيما تملكُ ولا أملك**»[(١)]. يعني بما لا يملكه: أمر القلب، والميل العاطفي إلى إحداهن خاصة.

وكان إذا أراد سفرًا حكَّم بينهن القُرعة، فأيتهن خرج سهمُها سافر بها[(٢)]. وإنما فعل ذلك دفعًا لوَحَر[(٣)] الصدور، وترضية للجميع.

• الحكمة في إباحة التعدُّد:

إن الإسلام هو كلمة الله الأخيرة التي ختم بها الرسالات، لهذا جاء بشريعة عامة خالدة، تتسع للأقطار كلها، وللأعصار قاطبة، وللناس جميعًا.

إنه لا يُشَرِّع للحضري ويُغفل البدوي، ولا للأقاليم الباردة وينسى الحارَّة، ولا لعصر خاص مهملًا بقية العصور والأجيال.

إنه يُقَدِّر ضرورة الأفراد وضرورة الجماعات، ويُقدِّر حاجاتهم ومصالحهم جميعًا.

---

(١) رواه أحمد (٢٥١١١)، وقال مخرجوه: هذا إسناد رجاله ثقات. وأبو داود (٢١٣٤)، والترمذي (١١٤٠)، وقال: روي مرسلًا وهو أصح. والنسائي في عشرة النسائي (٣٩٤٣)، وصححه ابن الملقن في البدر المنير (٣٨/٨)، وقال الحافظ في التلخيص الحبير (٢٩٥/٣): أعله النسائي والترمذي والدارقطني بالإرسال. وقال أبو زرعة: لا أعلم أحدًا تابع حماد بن سلمة على وصله. وضعَّفه الألباني في غاية المرام (٢٣٠)، ثم قال في مشكاة المصابيح (٣٢٣٥): جيد. عن عائشة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الشهادات (٢٦٨٨)، ومسلم في التوبة (٢٧٧٠)، عن عائشة.

(٣) الوَحَرُ: الغيظ والحِقْدُ. لسان العرب مادة (و. ح. ر).

QaradawiBooks.com

فمن الناس من يكون قويَّ الرغبة في النسل، ولكنه رُزق بزوجةٍ لا تُنجِب، لعُقم أو مرضٍ أو غيره، أفلا يكون أكرم لها وأفضل له، أن يتزوج عليها مَن تحقِّق له رغبته، مع بقاء الأُولى وضمان حقوقها؟

ومن الرجال من يكون قويَّ الغريزة، ثائرَ الشهوة، ولكنه رُزق بزوجة قليلة الرغبة في الرجال، أو ذات مرض، أو تطول عندها فترة الحيض، أو نحو ذلك، والرجل لا يستطيع الصبر كثيرًا عن النساء، أفلا يباح له أن يتزوَّج بأخرى حليلة، بدل أن يبحث عنها خليلة؟!

وقد يكون عدد النساء أكثر من عدد الرجال ـ وخاصة في أعقاب الحروب، التي تلتهم صفوة الرجال والشباب ـ وهنا تكون مصلحة المجتمع ومصلحة النساء أنفسهن؛ أن يكُنَّ ضرائر، لا أن يعِشْنَ العمر كله عوانس، محرومات من الحياة الزوجية، وما فيها من سكون ومودة وإحصان، ومن نعمة الأمومة، ونداء الفطرة في حناياهن يدعو إليها.

إنها إحدى طرائق ثلاث أمام هؤلاء الزائدات عن عدد الرجال القادرين على الزواج:

١ ـ فإما أن يقضين العُمر كلَّه في مرارة الحرمان.

٢ ـ وإما أن يُرخَى لهن العِنَان ليعشن أدوات لهو لعبث الرجال الحرام!

٣ ـ وإما أن يُباح لهن الزواج برجل متزوج، قادرٍ على النفقة والإحصان.

ولا ريب أن هذه الطريقة الأخيرة هي الحل العادل، والبلسم الشافي، وذلك هو ما حكم به الإسلام: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

QaradawiBooks.com

هذا هو تعدُّد الزوجات الذي أنكره الغرب المسيحي على المسلمين، وشنَّع عليهم، على حين أباح لرجاله تعدد العشيقات الخليلات، بلا قيْدٍ ولا حساب، ولا اعتراف بأي التزام قانوني أو أدبي، نحو المرأة أو الذرية التي تأتي ثمـــرة لهذا التعدُّد اللاديني واللاأخلاقـــي، فأي الفريقين أقوم قيلًا وأهدى سبيلًا؟!

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

٣

في العلاقة بين الزوجين

اهتمَّ القرآن بإبراز الغايات الرُّوحية من الزواج، وجعلها الدعائم التي يقوم عليها بناء الحياة الزوجية، وهي تتمثَّل في سكون النفس من اضطرابها الجنسي الفطري بالحب بيْنَ الزوجين، وتوسيع دائرة المودَّة والألفة بين العشيرتَيْن بالمصاهرة، واكتمال عاطفة الحنان والرحمة الإنسانية، وانتشارها بين الوالدين إلى الأولاد. وإلى هذه المعاني يرشد قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

• في العلاقة الحِسِّيَّة بين الزوجين:

ولكن القرآن مع هذا لم يُغفل الجانب الحسي والعلاقة الجسدية بين الزوج وزوجته، وهدى فيها إلى أقوم السُّبل التي تؤدي حق الفطرة والغريزة، وتتجنَّب مع ذلك الأذى والانحراف.

فقد ثبت أن اليهود والمجوس كانوا يبالغون في التباعد عن المرأة حال حيضها، والنصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض، وأن أهل الجاهلية كانوا إذا حاضت المرأة، لم يؤاكلوها ولم يشاربوها، ولم يجالسوها على الفراش، ولم يساكنوها في بيت، كفعل اليهود والمجوس.

QaradawiBooks.com

لهذا توجَّه بعض المسلمين بالسؤال إلى النبي ﷺ عما يحل لهم وما يحرم عليهم في مخالطة الحائض، فنزلت الآية الكريمة: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وقد فهم ناس من الأعراب أن معنى اعتزالهن في المحيض ألَّا يساكنوهن، فبيَّن النبي ﷺ لهم المراد من الآية، فعن أنس، أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوهن ولم يجامعوهن في البيوت، فسأل أصحابُ النبيِّ النبيَّ ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢] إلى آخر الآية، فقال رسول الله ﷺ: «**اصنعوا كلَّ شيء إلا النكاح. فبلغ ذلك اليهود، فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئًا، إلا خالَفَنا فيه**»[(١)].

فلا بأس على المسلم ـ إذن ـ أن يستمتع بامرأته بعيدًا عن موضع الأذى. وبهذا وقف الإسلام ـ كشأنه دائمًا ـ موقفًا وسطًا بين المتطرِّفين في مباعدة الحائض إلى حدِّ الإخراج من البيت، والمتطرِّفين في المخالطة إلى حد الاتصال الحِسِّي.

وقد كشف الطب الحديث ما في إفرازات الحيض من موادَّ سامَّةٍ، تضرُّ بالجسم إذا بقيت فيه، كما كشف سرَّ الأمر باعتزال جماع النساء في الحيض. فإن الأعضاء التناسلية تكون في حالة احتقان، والأعصاب تكون في حالة اضطراب، بسبب إفرازات الغدد الداخلية، فالاختلاط الجنسي يضرها، وربما منع نزول الحيض، كما يسبب كثيرًا من الاضطراب العصبي.. وقد يكون سببًا في التهاب الأعضاء التناسلية[(٢)].

(١) رواه مسلم في الحيض (٣٠٢)، وأحمد (١٢٣٥٤)، عن أنس.

(٢) راجع: الإسلام والطب الحديث للمرحوم عبد العزيز إسماعيل.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

• **اتقاء الدبر:**

ونزل في شـــأن العلاقة الحِسِّـــيَّة قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

ولنزول هذه الآية سبب وحكمة، ذكرها علامة الهند ولي الله الدهلوي. قال: كان اليهود يضيِّقون في هيئة المباشـــرة من غير حكم سماوي. وكان الأنصار ومَن وليهم يأخذون سنتهم، وكانوا يقولون: إذا أتى الرجل امرأته من دُبُرها في قُبُلها، كان الولـــد أحول. فنزلت هذه الآية: ﴿فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ أي: أقبل وأدبـــر ما كان في صمـــام واحد ـ وهـــو القبل: موضع الحرث ـ وذلك لأنه لا شيء في ذلك تتعلق به المصلحة المدنية والمِلِّية.

والإنسان أعرف بمصلحة خاصَّة نفسه، وإنما كان ذلك من تعمُّقات اليهود، فكان من حقه أن يُنسخ[(١)].

فليس من شأن الدين أن يحدِّد للرجل هيئات المباشرة وكيفيتها، إنما الذي يهم الدِّين أن يتَّقي الزوج الله، ويعلم أنـــه مُلاقيه، فيتجنَّب الدُّبُر؛ لأنه موضع أذًى وقَذَر، وفيه شـــبه باللواط الخبيث، فكان من حق الدين أن ينهى عنه. ولذا قال ﷺ: «**لا تأتوا النســـاء فـــي أدبارهنَّ**»[(٢)]. وقال في الذي يأتي امرأته في دُبُرها: «**هو اللُّوطيَّة الصغرى**»[(٣)].

---

(١) حجة الله البالغة لشـــاه ولي الله الدهلوي (٢٠٧/٢)، تحقيق الســـيد ســـابق، نشر دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

(٢) رواه أحمد (٢١٨٥٨)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وابن ماجه (١٩٢٤)، والنسائي في الكبرى في عشرة النساء (٨٩٨٢)، وصححه الألباني في غاية المرام (٢٣٣)، عن خزيمة بن ثابت.

(٣) رواه أحمد (٦٧٠٦)، وقال مخرجوه: إسناده حسن. والنســـائي في الكبرى في عشرة النساء (٨٩٤٧)، وحسنه الألباني في غاية المرام (٢٣٤)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

وسألتْه امرأة من الأنصار عن وطء المرأة في قُبُلها من ناحية دُبُرها، فتلا عليها قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ «**صمامًا واحدًا**»[(١)]. وسأله عمر فقال: يا رسول الله، هلكتُ! قال: «**وما أهلكك؟**» قال: حوَّلتُ رَحْلي البارحة (كناية عن الوطء من الدبر في القبل) فلم يردَّ عليه شيئًا، حتى نزلت الآية السابقة، فقال له: «**أقبِلْ وأدبِرْ، واتَّقِ الحَيْضة والدُّبُر**»[(٢)].

• حفظ أسرار الزوجية:

أثنى القرآن على الزوجات الصالحات بأنهن: ﴿قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]. ومن جملة الغيب الذي ينبغي أن يُحفظ، ما كان بين الزوجة وزوجها من علاقة خاصَّة، فلا يصح أن تكون حديثًا في المجالس، أو سمرًا في الندوات مع الأصدقاء أو الصديقات، وفي الحديث الشريف: «**إن من شرِّ الناس منزلة عند الله يوم القيامة: الرجل يفضي إلى المرأة وتفضي إليه، ثم ينشر سرَّها**»[(٣)].

وعن أبي هريرة قال: صلَّى بنا رسول الله ﷺ، فلما سلَّم أقبل علينا بوجهه، فقال: «**مجالسَكم، هل منكم الرجل إذا أتى أهله أغلق بابه وأرخى ستره، ثم يخرج فيحدث، فيقول: فعلتُ بأهلي كذا، وفعلت**

---

(١) رواه أحمد (٢٦٦٠١)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والترمذي في التفسير (٢٩٧٩)، وقال: حديث حسن. والدارمي في الطهارة (١١١٩)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٢٣٥)، عن أم سلمة.

(٢) رواه أحمد (٢٧٠٣)، وقال مخرجوه: إسناده حسن. والترمذي في تفسير القرآن (٢٩٨٠)، وقال حسن غريب. والنسائي في الكبرى في عشرة النساء (٨٩٧٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٨٦٣): رجاله ثقات. وقال ابن حجر في الفتح (١٩١/٨): طرقها كثيرة، فمجموعها صالح للاحتجاج. وحسنه الألباني في غاية المرام (٢٣٦)، عن ابن عباس.

(٣) رواه مسلم في النكاح (١٤٣٧)، وأحمد (١١٦٥٥)، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

بأهلي كذا؟» فسكتوا، فأقبل على النساء، فقال: «**هل منكن من تُحدِّث؟**» فجثت فتاة كَعَابٌ على إحدى ركبتيها، وتطاولت ليراها رسول الله ﷺ ويسمع كلامها، فقالت: إي والله، إنهم يتحدثون، وإنهن ليتحدَّثْنَ. فقال ﷺ: «**هل تدرون ما مثل من فعل ذلك؟ إن مثل من فعل ذلك، مثل شيطان وشيطانة، لقي أحدهما صاحبه بالسِّكَّة، فقضى حاجته منها، والناس ينظرون إليه**»[1].

وكفى بهذا التشبيه تنفيرًا للمسلم من ارتكاب هذه الحماقة، وذلك الإسفاف، فليس يرضى مسلم لنفسه أن يكون شيطانًا أو كالشيطان!!

(١) رواه أحمد (١٠٩٧٧)، وأبو داود في النكاح (٢١٧٤)، وضعَّفه الألباني في غاية المرام (٢٣٨)، وقوَّاه في إرواء الغليل (٢٠١١)، وصحَّحه في آداب الزفاف (٦٣).

QaradawiBooks.com



٤
في تحديد النسل

غير مرخصة للطباعة

لا ريب أن بقاء النوع الإنساني من أول أغراض الزواج، أو هو أولها. وبقاء النوع إنما يكون بدوام التناسل.

وقد حبَّب الإسلام في كثرة النسل، وبارك الأولاد ذكورًا وإناثًا، ولكنه رخَّص للمسلم في تنظيم النسل إذا دعت إلى ذلك دواعٍ معقولة، وضرورات معتَبَرة، وقد كانت الوسيلة الشائعة التي يلجأ إليها الناس لمنع النسل أو تقليله في عهد الرسول ﷺ هي العزل (وهو قذف النطفة خارج الرحم عند الإحساس بنزولها).

وقد كان الصحابة يفعلون ذلك في عهد النبوة والوحي، كما ثبت في الصحيحين عن جابر: كنا نعزل في عهد رسول الله ﷺ والقرآن ينزل[١].

وفي صحيح مسلم قال: كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ، فلم يَنْهَنَا[٢].

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن لي جارية وأنا أعزل عنها، وإني أكره أن تحمل، وأنا أريد ما يريد الرجال، وإن اليهود تُحدِّث

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٢٠٩)، ومسلم (١٤٤٠)، كلاهما في النكاح.
(٢) رواه مسلم في النكاح (١٤٤٠) (١٣٨)، عن جابر.

QaradawiBooks.com

أن العزل الموءودة الصغرى!! فقال ﷺ: «**كذبت اليهود، لو أراد الله أن يخلقه ما استطعت أن تصرفه**»(١).

ومراد النبي ﷺ أن الزوج مع العزل قد تفلت منه قطرة تكون سببًا للحمل، وهو لا يدري.

• مسوِّغات تنظيم النسل:

١ ـ ومن أول هذه الضرورات: الخشية على حياة الأم أو صحَّتِها من الحمل أو الوضْع، إذا عُرف بتجربة، أو إخبار طبيب ثقة. قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

٢ ـ ومنها الخشية من وقوع حَرَج دنيوي، قد يُفضي به إلى حَرَج في دينه، فيقبل الحرام، ويرتكب المحظور من أجل الأولاد، إن كان ممن يخشى على نفسه أن يضعف أمام الحاجة، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: ٦].

٣ ـ ومن ذلك الخشية على الأولاد أن تسوء صحتُهم أو تضطرب تربيتهم.

وفي صحيح مسلم عن أسامة بن زيد، أن رجلًا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني أعزل عن امرأتي. فقال له رسول الله ﷺ: «**لِم تفعل ذلك؟**» فقال الرجل: أُشفق على ولدها ـ أو قال: على أولادها ـ فقال رسول الله ﷺ: «**لو كان ضارًّا لضرَّ فارسَ والروم**»(٢).

---

(١) رواه أحمد (١١٤٧٧)، وأبو داود في النكاح (٢١٧١)، والنسائي في الكبرى في عِشرة النساء (٩٠٣٤)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٢٤٠)، عن أبي سعيد الخدري.

(٢) رواه مسلم في النكاح (١٤٤٣).

QaradawiBooks.com

وكأنه عليه السلام رأى أن هذه الحالات الفرديَّة لا تضرُّ الأُمَّة في مجموعها، بدليل أنها لم تضرَّ فارس والروم، وهما أقوى دول الأرض حينذاك.

٤ ـ ومن الضرورات المعتبرة شرعًا الخشية على الرَّضِيع من حمل جديد ووليد جديد، وقد سمَّى النبيُّ ﷺ الوطْء في حالة الرَّضَاع وطءَ الغِيلَة، أو الغَيْل، لما يترتب عليه من حَمْلٍ يُفسد اللبن، ويضعف الولد، وإنما سمَّاه غَيْلًا أو غِيلَة؛ لأنه جناية خفيَّة على الرضيع، فأشبه القتل سرًّا.

وكان عليه الصلاة والسلام يجتهد لأمته، فيأمر بما يُصلحها، وينهاها عما يضرُّها. وكان من اجتهاده لأمته أن قال: «**لا تقتلوا أولادكم سِرًّا، فإن الغَيْل يدرك الفارس فيُدَعْثِرُه**»[(١)]. ولكنه عليه السلام لم يؤكد النهي إلى درجة التحريم.. ذلك لأنه نظر إلى الأمم القويَّة في عصره، فوجدها تصنع هذا الصنيع ولا يضرهم، فالضرر ـ إذن ـ غير مطَّرِد، هذا مع خشيته العنت على الأزواج، لو جزم بالنهي عن وطء المُرْضِعات. ومدة الرضاع قد تمتدُّ إلى حولين كاملين، لمن أراد أن يُتِمَّ الرضاعة. لذلك كله قال: «**لقد هممتُ أن أنهى عن الغِيلَة، ثم رأيت فارس والروم يفعلونه، ولا يضرُّ أولادهم شيئًا**»[(٢)].

قال ابن القيم رحمه الله، في بيان الصلة بين هذا الحديث والحديث السابق ـ «لا تقتلوا أولادكم سرًّا» ـ: «أخبر النبي ﷺ في أحد الجانبين أنه ـ أي الغيل ـ يفعل في الوليد مثلَ ما يفعل مَنْ يَصرع الفارس عن فرسه، كأنه يُدَعْثِرُه ويصرعه، وذلك يوجب نوع أذًى، ولكنه ليس بقتل للولد وإهلاك له، وإن كان قد يترتَّب عليه نوع أذًى للطفل، فأرشدهم إلى

(١) رواه أحمد (٢٧٥٦٢)، وقال مخرجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الطب (٣٨٨١)، وابن ماجه في النكاح (٢٠١٢)، وابن حبان في الرهن (٥٩٨٤)، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن. وضعفه الألباني في غاية المرام (٢٤٢)، ثم حسنه في صحيح الجامع (٧٣٩١)، عن أسماء بنت يزيد.

(٢) رواه مسلم في النكاح (١٤٤٢)، وأحمد (٢٧٤٤٧)، عن جُدَامَة بنت وهب.

QaradawiBooks.com

تركه، ولكنه لم ينهَ عنه ـ أي نهي تحريم ـ ثم عزم على النهي سدًّا لذريعة الأذى الذي ينال الرضيع، فرأى أن سدَّ هذه الذريعة لا يقاوم المَفْسَدة التي تترتَّب على الإمساك عن وطء النساء مُدَّة الرضاع، ولا سيما من الشباب وأرباب الشهوة التي لا يكسرها إلا مواقعة نسائهم، فرأى أن هذه المصلحة أرجح من مَفْسدة سدِّ الذَّرِيعة. فنظر ورأى الأُمَّتَيْن اللتين هما من أكثر الأمم وأشدها بأسًا يفعلونه ولا يتَّقونه، مع قُوَّتِهم وشدَّتِهم، فأمسك عن النهي عنه»[(١)].

وقد استحدث في عصرنا من الوسائل التي تمنع الحمل، ما يحقِّق المصلحة التي هدف إليها الرسول ﷺ، وهي حماية الرضيع من الضرر، مع تجنُّب المفسدة الأخرى، وهي الامتناع عن النساء مدَّةَ الرضاع، وما في ذلك من مشقة.

وعلى ضوء هذا نستطيع أن نقرر أن المدة المُثْلَى في نظر الإسلام بين كل ولدين هي ثلاثون أو ثلاثة وثلاثون شهرًا، لمن أراد أن يتمَّ الرضاعة.

وقرَّر الإمام أحمد وغيره أن ذلك يباح إذا أذنت به الزوجة[(٢)]؛ لأن لها حقًّا في الولد، وحقًّا في الاستمتاع.

ورد عن عمر أنه نهى عن العزل إلا بإذن الزوجة[(٣)]. وهي لفتة بارعة من لفتات الإسلام إلى حق المرأة في عصر، لم يكن يعترف لها بحقوق.

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم (١٥٩٤/٣)، تحقيق عبد الرحمن بن حسن بن قائد، نشر دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٣٢هـ.

(٢) المغني (٢٩٨/٧).

(٣) رواه البيهقي في النكاح (٢٣١/٧).

QaradawiBooks.com

• **إسقاط الحمل:**

وإذا كان الإسلام قد أباح للمسلم أن يمنع الحمل لضرورات تقتضي ذلك، فلم يُبح له أن يجني على هذا الحمل، بعد أن يُوجد فعلًا. ولو جاء هذا الحمل من طريق حرام، فإن النبي ﷺ لم يقبل أن يقيم الحدَّ على امرأة حملت من زِنًى حتى تضع جنينها، وتتم رضاعته؛ إذ لا ذنب له.

واتَّفق الفقهاء على أن إسقاطه بعد نفخ الرُّوح فيه حرام وجريمة، لا يحل للمسلم أن يفعله؛ لأنه جناية على حيٍّ، متكامل الخَلْق، ظاهر الحياة، قالوا: ولذلك وجبت في إسقاطه الدية إن نزل حيًّا ثم مات، وعقوبة مالية أقل منها إن نزل ميتًا.

ولكنهم قالوا: إذا ثبت من طريق موثوق به أن بقاءه بعد تحقق حياته يؤدي لا محالةَ إلى موت الأم، فإن الشريعة بقواعدها العامَّة، تأمر بارتكاب أخفِّ الضررين، فإذا كان في بقائه موت الأم، وكان لا مُنقذ لها سوى إسقاطه، كان إسقاطه في تلك الحالة متعيِّنًا، ولا يضحَّى بها في سبيل إنقاذه؛ لأنها أصله، وقد استقرَّت حياتُها، ولها حظٌّ مستقلٌّ في الحياة، ولها حقوق، وعليها حقوق، وهي بعد هذا وذاك عماد الأسرة.

وليس من المعقول أن نضحي بها في سبيل الحياة لجنينٍ لم تستقلَّ حياتُه، ولم يحصل على شيء من الحقوق والواجبات[1].

ومثل ذلك إذا ثبت لنا بطريقة علميَّة مؤكَّدة أن الجنين سينزل مشوَّهًا، ويعيش حياته في ألم وتعاسة، له ولمن حوله، فقواعد الشريعة

(١) الفتاوى للشيخ شلتوت صـ ٢٨٩، ٢٩٠، نشر دار الشروق، القاهرة، ط ٨، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

QaradawiBooks.com

لا تمنع من إسقاطه، وحَصَر ذلك في المدة الأولى من الحمل، أي قبل نهاية أربعة أشهر.

وقال الإمام الغزالي يُفرِّق بين منع الحمل وإسقاطه: «وليس هذا ـ أي منع الحمل ـ كالإجهاض والوأد؛ لأن ذلك جناية على موجود حاصل. والوجود له مراتب. وأول مراتب الوجود أن تقع النطفة في الرحم، وتختلط بماء المرأة، وتستعدَّ لقبول الحياة. وإفساد ذلك جناية، فإن صارت نطفة فعلقة كانت الجناية أفحش، وإن نفخ فيه الرُّوح واستوت الخِلقة، ازدادت الجناية تفاحشًا، ومنتهى التفاحش في الجناية بعد الانفصال حيًّا»[1].

غير مرخصة للطباعة

(١) إحياء علوم الدين (٥١/٢).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٥

في حقوق المعاشرة بين الزوجين

والزواج ـ كما أسلفنا ـ عهدٌ وثيق ربط الله به بين رجل وامرأة، أصبح كلٌّ منهما يُسمَّى بعده «زوجًا» بعد أن كان «فردًا» هو في العدد فرد، وفي ميزان الحقيقة «زوج»؛ لأنه يمثل الآخر، ويحمل في حناياه آلامه وآماله معًا.

وقد صوَّر القرآن الكريم مبلغ قوة هذا الرباط بين الزوجين فقال: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧]. وهو تعبير يُوحي بمعاني الاندماج والسَّتْر والحماية والزينة والغطاء والدفء، يحقِّقها كلٌّ منهما لصاحبه.

ولهذا كان على كلٍّ من الزوجين حقوق لصاحبه، لا بد أن يرعاها، ولا يجوز له أن يفرط فيها. وهي حقوق متكافئة، إلا فيما خصَّت الفطرةُ به الرجال، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. وهي درجة القوامة والمسؤولية.

وقد سأل رجل النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله، ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: «**أن تُطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تُقبِّح، ولا تهجر إلا في البيت**»[(١)].

(١) رواه أحمد (٢٠٠١٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود (٢١٤٢)، والنسائي في الكبرى (٩١٧١)، وابن حبان (٤١٧٥)، ثلاثتهم في النكاح، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٢٤٤)، عن معاوية القشيري.

QaradawiBooks.com

فلا يحل للزوج المسلم أن يهمل النفقة على زوجته وكسوتها، وفي الحديث النبوي: «**كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت**»[١].

ولا يحل له أن يضرب وجه زوجته، لما فيه من إهانة لكرامة الإنسان، ومن خطر على هذا العضو الذي يجمع محاسن الجسم.

وإذا جاز للمسلم عند الضرورة أن يؤدب زوجته الناشزة المتمردة، فلا يجوز له أن يضربها ضربًا مُبرِّحًا، أو ضربًا يصيب وجهها أو مقاتلها.

كما لا يحل للمسلم أن يُقبِّح زوجته، بأن يؤذيها بلسانه، ويُسمعها ما تكره ويقول لها: قبحك الله، وما يشابهها من عبارات تثير النفور.

ومن حق الزوج على الزوجة ألَّا تهجر له فراشًا، قال رسول الله ﷺ: «**إذا باتت المرأة مُهَاجِرَةً فراشَ زوجها، لعنتها الملائكةُ حتى ترْجعَ**»[٢]. وألَّا تُدخل أحدًا بيته دون علمه وإذنه، ولهذا قال ﷺ: «**ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه**»[٣].

وعند أحمد وغيره: «**إذا صلَّت المرأة خمسَها، وصامت شهرَها، وحفِظتْ فرجها، وأطاعت زوجَها قيل لها: ادخلي الجنَّةَ من أيِّ أبواب الجنَّة شئتِ**»[٤].

---

(١) رواه مسلم في الزكاة (٩٩٦)، وأحمد (٦٨٤٢)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥١٩٤)، ومسلم في الحج (١٤٣٦)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه مسلم في الحج (١٢١٨)، عن جابر.

(٤) رواه أحمد (١٦٦١)، وقال مخرجوه: حسن لغيره. والطبراني في الأوسط (٨٨٠٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٦٣٤): فيه ابن لهيعة وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح. عن عبد الرحمن بن عوف.

QaradawiBooks.com

• على كلٍّ من الزوجين أن يصبر على صاحبه:

ويجب على المسلم أن يصبر على زوجته، إذا رأى منها بعض ما لا يُعجبه من تصرفها، ويعرف لها ضعفها بوصفها أنثى، فوق نقصها باعتبارها إنسانًا، ويعرف لها حسناتِها بجانب أخطائها، ومزاياها إلى جوار عُيُوبها. وفي الحديث: «**لا يَفْرَك** (أي لا يُبغض) **مؤمن مؤمنة، إن كره منها خُلُقًا رضي منها آخر**»[(١)]. وقال تعالى: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**﴾ [النساء: ١٩].

وكما أوجب الإسلام على الزوج الاحتمال والصبر على ما يكره من زوجته، أُمرت الزوجة هي الأخرى أن تعمل على استرضاء زوجها بما عندها من قدرة وسحر، وحذَّرها أن تبيت وزوجها غاضب.

وفي الحديث: «**ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوقَ رؤوسِهم شبرًا: رجل أمَّ قومًا وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وأخوان متصارمان**»[(٢)] (متخاصمان).

• عند النُّشُوز والشِّقَاق:

وبما أن الرجل هو سيِّد البيت وربُّ الأسرة، بحكم تكوينه واستعداده، ووضعه في الحياة، وبذله للمَهْر، ووجوب النفقة عليه، فلا يحلُّ للمرأة أن تخرج عن طاعته، وتتمرَّد على سلطانه، فتفسد الشركة، وتضطرب سفينة البيت أو تغرق، ما دام لا رُبَّان لها.

---

(١) رواه مسلم في الرضاع (١٤٦٩)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه ابن ماجه في إقامة الصلاة (٩٧١)، قال البوصيري في مصباح الزجاجة (١١٩/١): إسناده صحيح ورجاله ثقات. وابن حبان في الصلاة (١٧٥٧)، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن. والطبراني (٤٤٩/١١)، وضعَّفه الألباني في غاية المرام (٢٤٨)، وحسَّنه في مشكاة المصابيح (١١٢٨)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

وإذا لاحظ الزوج على زوجته مظاهر النشوز والعصيان له، والترفُّع عليه، فعليه أن يحاول إصلاحها بكل ما يقدر عليه؛ مبتدئًا بالكلمة الطيبة، والوعظ المؤثِّر، والإرشاد الحكيم.

فإن لم تُجْدِ هذه الوسيلة هجرها في مضجعها، محاولًا أن يستثير فيها غريزة الأنثى، لعلها تنقاد له ويعود الصفاء!

فإن لم تُجْدِ هذه ولا تلك، جرَّب التأديب باليد؛ مجتنبًا الضرب المُبرِّح، مبتعدًا عن الوجه، وهو علاج يُجدي في بعض النساء، في بعض الأحوال بقدر معيَّن. وليس معنى الضرب هنا أن يكون بسوط أو خشبة، وإنما هو مِن نوع ما قاله ﷺ لخادم عنده أغضبَتْه في عمل: «**لولا القصاص يوم القيامة، لأوجعتُكِ بهذا السواك**»[(١)].

وقد نفَّر ﷺ من الضرب وقال: «**عَلَامَ يضربُ أحدكم امرأته ضرب العَبْد، ولعله يُجامعها في آخر اليوم؟!**»[(٢)]. وقال في شأن من يضربون نسائهم: «**لا تجدون أولئك خياركم**»[(٣)].

قال الإمام الحافظ ابن حجر: «وفي قوله ﷺ: «**ولا تجدون أولئك خياركم**» دلالة على أن ضربهن مباح في الجملة، ومحلُّ ذلك أن يضربها تأديبًا إذا رأى منها ما يكره، فيما يجب عليها فيه طاعته، فإن اكتفى

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٨٤)، وأبو يعلى (٦٩٤٤)، والطبراني (٣٧٦/٢٣)، وجود إسناده المنذري في الترغيب (٥٤٥٨)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٤١١)، وضعَّفه الألباني في غاية المرام (٢٤٩).
ولكن القود يوم القيامة ثابت بأحاديث أخرى صحاح.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٢٠٤)، ومسلم في صفة الجنة (٢٨٥٥)، عن عبد الله بن زمعة.

(٣) رواه أبو داود (٢١٤٦)، وابن ماجه (١٩٨٥) كلاهما في النكاح، والنسائي في الكبرى في عشرة النساء (٩١٢٢)، وابن حبان في النكاح (٤١٨٩)، وقال الأرناؤوط: صحيح. وحسنه الألباني في غاية المرام (٢٥١)، عن إياس بن أبي ذباب.

QaradawiBooks.com

بالتهديد ونحوه كان أفضل، ومهما أمكن الوصول إلى الغرض بالإيهام، لا يعدل إلى الفعل، لما في وقوع ذلك من النُّفْرة المضادَّة لحُسْن العشرة المطلوبة في الزوجية، إلا إذا كان في أمر يتعلق بمعصية الله»[(١)].

وقد أخرج مسلم في الباب حديث عائشة: «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده ولا امرأة ولا خادمًا، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط، فينتقمَ من صاحبه، إلا أن يُنتهك شيء من محارم الله، فيَنتقم لله ﷻ»[(٢)].

فإن لم ينفع هذا كله، وخيف اتساع الشُّقة بينهما تَدَخَّل المجتمع الإسلامي وأهل الرأي والخير فيه، يحاولون الإصلاح، فيبعثون حَكَمًا من أهله، وحَكَمًا من أهلها، من أهل الخير والصلاح، عسى أن تصدُق نِيَّتُهما في لَمِّ الشَّعَث وإصلاح الفاسد، فيوفق الله بينهما.

وفي هذا كله قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ۞ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا﴾ [النساء: ٣٤، ٣٥].

هنا فقط يباح الطلاق:

وهنا، وبعد أن فشلت تلك التجارب كلُّها، وخابت تلك الوسائل جميعها، يباح للزوج أن يلجأ إلى وسيلة أخيرة شرعها الإسلام، استجابةً لنداء الواقع، وتلبيةً لداعي الضرورة، وحلًّا لمشكلات لا يحلها إلا الفراق بالمعروف.. تلك هي وسيلة «الطلاق».

---

(١) فتح الباري (٣٠٤/٩).

(٢) رواه مسلم في الفضائل (٢٣٢٨)، وأحمد (٢٤٩٨٥)، عن عائشة. وانظر فتح الباري (٢٤٩/٩).

QaradawiBooks.com

أجاز الإســلام اللجوء إلى هذه الوســيلة على كره، ولم يندب إليها ولا استحبَّها، وقد رُوي عن النبي ﷺ: «**أبغض الحلال إلى الله الطلاق**»[١]. وجاء عنه ﷺ مرســلًا: «**ما أحل الله شــيئًا أبغض إليه مــن الطلاق**»[٢]. والتعبير بأنه حلال مبغوض إلى الله، يشعر بأنه رخصة شُرعت للضرورة، حين تسوء العشرة، وتســتحكم النُّفرة بين الزوجين، ويتعذَّر عليهما أن يقيما حدود الله وحقوق الزوجية. وقد قيل: إن لم يكن وِفاق فَفِراق. وقال تعالى: ﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ [النساء: ١٣٠].

• الطلاق قبل الإسلام:

وليس الإسلام هو الدينَ الفذَّ الذي أباح الطلاق، فقبل الإسلام كان الطلاق شــائعًا في العالم كله ـ إذا اســتثنينا أمةً أو أمَّتين ـ وكان الرجل يغضب على المــرأة فيطردها من داره، محقًّا أو مبطِــلًا، دون أن تملك المرأة له دفعًا، أو تأخذ منه عِوَضًا، أو تجد لنفسها عنده حقًّا.

يقول الأســتاذ محمد فريد وجدي: «ولمــا نبُه ذِكْرُ الأمــة اليونانية وازدهرت حضارتها، كان الطلاق شائعًا فيها بلا قيد ولا شرط.

وكان الطلاق لدى الرومانيِّين معتبرًا من كيان الزواج نفسِه، حتى إن القضــاة كانوا يحكمون ببطلان الــزواج إن اشــترط كلَا الطَّرَفين عدم الطلاق فيه.

---

(١) رواه أبو داود (٢١٧٨)، وابن ماجه (٢٠١٨)، والحاكــم (١٩٦/٢)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، كلاهما في الطلاق، وأعله الدارقطني في العلل (٣١٢٣)، وأبو حاتم في علله (١٢٩٧)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (١٠٥٦)، وابن الملقن في البدر المنير (٦٥/٨)، بالإرسال. وضعَّفه الألباني في غاية المرام (٢٥٣)، عن ابن عمر.

(٢) رواه أبو داود في الطلاق (٢١٧٧)، عن محارب بن دثار.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وكان الزواج الديني لدى الأجيال الأولى للرومانيِّين يحرم الطلاق، ولكنه في الوقت نفسِه يمنح الزوج على امرأته سلطانًا لا حد له. فيبيح له أن يقتلها في بعض الأحوال، ثم رجعت ديانتهم، فأباحت الطلاق، كما كان مباحًا أمام القانون المدني.

- **الطلاق في الديانة اليهودية:**

أما الديانة اليهودية، فقد حسَّنت من حالة الزوجة، ولكنها أباحت الطلاق، وتوسَّعت في إباحته. وكان الزوج يُجبر شرعًا على أن يطلق امرأته إن ثبتت عليها جريمة الفسق، حتى ولو غفر لها تلك الجريمة، وكان القانون يُجبره ـ أيضًا ـ على أن يُطلِّق امرأته، إن لبثت معه عشر سنين، ولم تأته بذريَّة»[(١)].

- **الطلاق في الديانة المسيحية:**

والمسيحية هي الديانة التي شذَّت عمَّا ذكرنا من ديانات، وخالفت الديانةَ اليهودية نفسَها. وأعلن الإنجيل على لسان المسيح تحريم الطلاق، وتحريم زواج المطلِّقين والمطلقات، ففي إنجيل متَّى: قد قيل: من طلق امرأته، فليدفع إليها كتاب طلاق. أما أنا فأقول لكم: من طلَّق امرأته إلا لعلة الزِّنَى فقد جعلها زانية، ومن تزوَّج مطلقةً فقد زنى[(٢)].

وفي إنجيل مرقس: من طلَّق امرأته وتزوَّج بأخرى: يزني عليها. وإذا طلقت المرأةُ زوجَها، وتزوَّجت بآخر، ارتكبت جريمة الزِّنى[(٣)].

---

(١) الإسلام دين عام خالد للمرحوم محمد فريد وجدي صـ ١٧٢، ١٧٣، نشر مطبعة دائرة معارف القرن العشرين، ط١، ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢م.

(٢) إنجيل متَّى (٣١/٥، ٣٢).

(٣) إنجيل مرقس (١١/١٠، ١٢).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقد علَّل الإنجيل هذا التحريم القاسي بأن «ما جمعه الله لا يصح أن يُفرِّقه الإنسان»[١].

وهذه الجملة صحيحة المعنى، ولكن جعلها علَّة لتحريم الطلاق هو الشيء الغريب، فإن معنى أن الله جمع بين الزوجين؛ أنه أذِن بهذا الزواج وشرَّعه، فصحَّ أن يُنسب الجمع إلى الله، وإن كان الإنسان هو المباشر لعقد الزواج.

فإذا أذِنَ الله في الطلاق وشرعه لأسباب ومسوِّغات تقتضيه، فإن التفريق حينئذ يكون من الله أيضًا، وإن كان الإنسان هو الذي يباشر التفريق. وبهذا يتضح أن الإنسان لا يكون مُفرِّقًا ما جمعه الله، وإنما المُجَمِّع والمفرِّق هو الله جل شأنه، أليس الله هو الذي فرَّق بينهما بسبب الزِّنى؟ فلماذا لا يفرق بينهما بسبب آخر يوجب الفراق؟!

• اختلاف المذاهب المسيحية في شأن الطلاق:

ورغم أن الإنجيل استثنى من تحريم الطلاق ما إذا كان السبب «علة الزنى» فإن أتباع المذهب الكاثوليكي يؤولون هذا الاستثناء، ويقولون: «ليس المعنى هنا أن للقاعدة شذوذًا، أو أن هناك من القضايا ما يُسمح فيه بالطلاق. فلا طلاق ألبتَّة في شريعة المسيح، والكلام هنا ـ في قوله: إلا لعلة الزنى ـ عن عقد فاسخ في ذاته، فليس له من شرعية العقد وصحته إلا الظواهر، إنه زنى ليس إلا. ففي هذه الحالة يحل للرجل، لا بل يجب عليه أن يترك المرأة»[٢].

(١) انظر: إنجيل متَّى (٦/١٩)، ومرقس (٩/١٠).
(٢) من شرح قسم الأبحاث الدينية بالمعهد القبطي الكاثوليكي لإنجيل متَّى صـ ٢٩.

QaradawiBooks.com

أما أتباع المذهب البروتستانتي؛ فيجيزون الطلاق في أحوال معينة منها حالة زِنى الزوجة وخيانتها لزوجها، وبعض حالات أخرى زادوها على نص الإنجيل، ولكنهم ـ وإن أجازوا الطلاق لهذا السبب أو ذاك ـ يحرِّمون على المطلق والمطلقة أن ينعما بحياة زوجية بعد ذلك.

وأتباع المذهب الأرثوذكسي قد أجازت مجامعهم المِلِّية في مصر الطلاق إذا زنت الزوجة كما نص الإنجيل[١]، وأجازوه لأسباب أخرى، منها العقم لمدة ثلاث سنين، والمرض المعدي، والخصام الطويل الذي لا يُرجَى فيه صلح. وهذه أسباب خارجة على ما في الإنجيل، ومن أجل ذلك أنكر المحافظون من رجال هذا المذهب اتجاه الآخرين إلى إباحة الطلاق لهذه الأسباب، كما أنكروا إباحة الزواج للمطلِّق أو المطلقة بحالٍ من الأحوال.

وعلى هذا الأساس رفضت إحدى المحاكم المصرية المسيحية دعوى زوجة مسيحية تطلب الطلاق من زوجها لأنه مُعسر، وقالت المحكمة في حكمها: «إنه من العجيب أن بعض القوَّامين على الدين من رجال الكنيسة وأعضاء المجلس المِلِّي العام، قد سايروا التطوُّر الزمني، فاستجابوا لرغبات ضعيفي الإيمان، فأباحوا الطلاق لأسباب لا سند لها من الإنجيل. وحكم الشريعة المسيحية قاطع، في أن الطلاق غير جائز إلا لعلَّة الزِّنى. وترتب على زواج أحد المطلقين بأنه زواج مدنس، بل هو الزنى بعينه»[٢].

(١) أحكام نقض في أسباب طلاق الأرثوذكس (١٩٧٣/٦/٦م) طعن رقم (٣) صـ ٨٧٠.

(٢) جريدة الأهرام المصرية بتاريخ ١ مارس ١٩٥٦م.

QaradawiBooks.com

• نتيجة تزمت المسيحية في الطلاق:

ولقد كان من نتيجة هذا التزمت الغريب من المسيحية في أمر الطلاق، وإهدار الطبيعة الإنسانية والمقتضيات الحيوية التي توجب الانفصال في بعض الأحيان: كان من نتيجة ذلك تمرُّد المسيحيِّين على دينهم، ومروقهم من وصايا أناجيلهم، كما يمرق السهم من الرَّمِيَّة. ولم يستطيعوا إلا أن «يُفرِّقوا ما جمعه الله»! فاصطنع أهل الغرب المسيحي قوانين مدنية، تبيح لهم الخروج من هذا السجن المؤبَّد، ولكن كثيرًا منهم ـ كالأمريكان ـ أسرفوا وأطلقوا العِنان في إباحة الطلاق ـ كأنهم يتحدون الإنجيل ـ وبذلك يوقعونه لأتفه الأسباب، وأصبح عقلاؤهم يَشْكُون من هذه الفوضى التي أصابت هذه الرابطة المقدسة، والتي تُهدِّد الحياة الزوجية ونظام الأسرة بالانهيار، حتى أعلن أحد قضاة الطلاق المشهورين هناك، أن الحياة الزوجية ستزول من بلادهم، وتحل محلها الإباحة والفوضى في العلاقة بين النساء والرجال في زمن قريب، وهي الآن كشركة تجارية ينقضها الشريكان لأوهى الأسباب، خلافًا لهداية جميع الأديان؛ إذ لا دين ولا حب يربطهما، بل الشهوات والتنقل في وسائل المسرَّات.

• كُفْرٌ فَرِيدٌ في بابه:

وهذه الظاهرة.. وهي السير في الأحوال الشخصية وَفْق قانون مدني، يختلف عن تعاليم الدين، لا تكاد تُوجد في غير شعوب الغرب المسيحي، فجميع أهل الملل والنحل الأخرى، حتى البرهميون والبوذيون والوثنيون والمجوس، يسيرون في أحوالهم الشخصية وفق تعاليم دياناتهم. وقد نجد من بينهم من استحدث في الأحوال العينية

QaradawiBooks.com

قوانين مدنيـــة تختلف عن تعاليم دينـــه. ولكننا لا نجد مـــن بينهم من استحدث قوانين مدنية في الأحوال الشـــخصية ـ أي في شؤون الزواج والطلاق وما إلى ذلـــك ـ وأمكن لهذه الملل والنحل أن تُســـاير الحياة العملية، وتُجاري طبيعة البشر في هذه الشؤون. والمسيحيُّون وحدهم هم الذين كفـــروا بدينهم من الناحيـــة العملية في الأحوال الشـــخصية على العموم، وفي شـــؤون الطلاق علـــى الخصوص؛ لأنهم هم أنفســـهم قد وجدوا أن تعاليمه في هذا الصدد تنكر الواقع، وتتجاهل طبيعة الإنسان، ولا تصلح للتطبيق في الحياة[1].

• المسيحية كانت علاجًا مؤقَّتًا لا شريعة عامَّة:

وإن صحَّ ما جاء في الإنجيل بشأن الطلاق، ولم يكن هذا من التغيير الذي أصاب الأناجيل في قرونها الأولى، فلا شـــك أن الـــذي يتأمَّل في الأناجيل ـ حتى بوضعها الحاضر ـ يتبيَّن له أن المسيح عليه السلام لم يكن يقصد إلى وضع شـــريعة عامَّة خالدة للنـــاس جميعًا. وإنما جـــاء ليقاوم تجاوز اليهود حدودهم فيما رخَّص الله لهم فيه، كما صنعوا في أمر الطلاق.

فقد جاء في الفصل التاسع عشر من إنجيل متَّى أن المسيح حين انتقل من الجليل وجاء إلى تُخوم اليهودية عبر الأردن، دنا إليه الفَرِيسيُّون ليجرِّبوه قائلين: هل يحلُّ للإنســـان أن يطلِّـــق زوجته لأجل كل علَّة (أي ســـبب)؟ فأجابهم قائلًا: أما قرأتم أن الذي خلق الإنسان في البدء ذكرًا وأنثى، خلقهم وقال: لذلك يتـــرك الرجل أباه وأمه ويلزم امرأته، فيصيران كلاهما جســـدًا واحدًا، فليسا هما اثنين بعد، ولكنهما صارا جســـدًا واحدًا، وما جمعه الله

(١) انظر: حقوق الإنسان في الإســـلام للدكتور علي عبد الواحد صـ ١٣٦ ـ ١٤٨، نشر دار نهضة مصر، ط ٤، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

QaradawiBooks.com

فلا يفرقه الإنسان. فقالوا له: فلماذا أوصى موسى أن تُعطى (أي المرأة) كتاب طلاق وتُخلَّى؟ فقال لهم: إن موسى لأجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلِّقوا نساءكم، ولم يكن من البدء هكذا. وأنا أقول لكم: من طلَّق امرأته إلا لعلة زنًى، وأخذ أخرى فقد زنى، ومن تزوج مطلقة فقد زنى. فقال تلاميذه: إن كانت هكذا حال الرجل مع امرأته، فأجدر له ألَّا يتزوج[١].

فالواضح من هذا الحوار أن المسيح إنما أراد أن يحُدَّ من غُلُوِّ اليهود، في استعمال الإذن في الطلاق الذي أعطاهم موسى، فعاقبهم بتحريم الطلاق عليهم، إلا إذا زنت المرأة، فهو علاج مؤقَّت لفترة مؤقتة، حتى تأتي الشريعة العامَّة الخالدة ببَعْثة محمد ﷺ.

وليس من المعقول أن المسيح يريد هذا شرعًا أبديًّا لكل الناس، فإن حواريِّيه وأخلص تلاميذه أنفسهم، أعلنوا استثقالهم لهذا الحكم العنيف وقالوا: «إن كان هذا شأن الرجل مع امرأته، فأجدر له ألَّا يتزوج» فإن مجرد الزواج من امرأة يجعلها في عنقه غُلًّا، لا يمكن الانفكاك عنه بحال، مهما امتلأ قلبه من البغض لها، والضيق بها، والسخط عليها، ومهما تنافرت طباعهما واتجاهاتهما.

وقديمًا قال الحكيم: إن من أعظم البلايا مصاحبةَ مَن لا يوافقك ولا يفارقك.

وقال الشاعر العربي[٢]:

ومن نكد الدنيا على الحرِّ أن يرى عدوًّا له ما مِن صداقته بدُّ

(١) إنجيل متَّى (١/١٩ ـ ١٠).

(٢) البيت للمتنبي، انظر شرح ديوان المتنبي لأبي العلاء المعري صـ ٣٥٦، تحقيق محمد سعيد المولوي، نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

QaradawiBooks.com

• قيود الإسلام للحدِّ من الطَّلَاق:

هذا، وقد وضعت الشريعة الإسلامية الغرَّاء قيودًا عديدة في سبيل الطلاق؛ حتى ينحصر في أضيق نطاق مستطاع.

فالطلاق بغير ضرورة تقتضيه، وبغير استنفاد الوسائل الأخرى التي ذكرناها، طلاق محرَّم محظور في الإسلام؛ لأنه ـ كما قال بعض الفقهاء ـ ضرر بنفسه وبزوجته، وإعدام للمصلحة الحاصلة لهما من غير حاجة إليه، فكان حرامًا كإتلاف المال، ولقول النبي ﷺ: «**لا ضرر ولا ضرار**»[(١)(٢)].

وأما ما يصنعه الذوَّاقون المِطْلاقون، فهذا شيء لا يحبُّه الله ولا رسوله؛ ومما رُوي: «**إن الله لا يحبُّ الذوَّاقين ولا الذوَّاقات**»[(٣)].

وقال عبد الله بن عباس: إنما الطلاق عن وَطَر[(٤)].

• طلاق المرأة وهي حائض حرامٌ:

وإذا وجد الوَطَر والحاجة التي تسوِّغ الطلاق، فليس مباحًا للمسلم أن يُسارع إليه في أي وقت شاء؛ بل لا بدَّ من تخيُّر الوقت المناسب.

والوقت المناسب كما حدَّدته الشريعة أن تكون المرأة طاهرًا، ليس بها حيضٌ ولا نفاس، وألَّا يكون قد جامعها في هذا الطُّهر خاصَّة، إلا إذا كانت حاملًا قد استبان حملها.

---

(١) سبق تخريجه صـ١١٠.

(٢) المغني (٣٦٣/٧).

(٣) رواه البزار (٣٠٦٤، ٣٠٦٥، ٣٠٦٦)، والطبراني في الأوسط (٧٨٤٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٧٦١): في أحد أسانيد البزار فيه عمران القطان وثقه أحمد وابن حبان، وضعفه يحيى بن سعيد، وغيره. وضعفه الألباني في غاية المرام (٢٥٦)، عن أبي موسى.

(٤) ذكره البخاري في صحيحه معلَّقًا بصيغة الجزم، في كتاب الطلاق، قبل الحديث (٥٢٦٩).

QaradawiBooks.com

ذلك أن حالة الحيض ومثله النفـــاس توجب اعتزال الزوج لزوجته، فربما كان حرمانه أو توتر أعصابه هو الدافـــع إلى الطلاق، لهذا أمر أن ينتظر حين ينتهي الحيضُ ثم تطهر، ثم يطلِّقها قبل أن يمسَّها.

ويحرم عليه أن يُطَلِّقها في وقت الحيض، كما يحرم عليه ـ أيضًا ـ أن يُطلِّقها وهي طاهرٌ بعدَ أن يكون قـــد اتصل بها، فمن يدري لعلها عَلِقَت منه في هذه المرَّة، ولعله لو علم بحملِها لغيَّـــر رأيَه في فراقها، ورضي العِشرة معها من أجل الجنين الذي في بطنها.

فإذا كانت طاهرًا لم يمسَسْـــها، أو كانت حاملًا قد اســـتبان حملها، عُرِف أن الدافع إلى الطلاق إنما هو النُّفْرة المســـتحكِمة، فلا حرج عليه حينئذ أن يطلِّقها.

وفي الصحيـــح أن عبد الله بن عمر طلَّق امرأتـــه وهي حائض، على عهد رسول الله ﷺ، فسأل عمرُ بن الخطاب عن ذلك رسولَ الله ﷺ، فقال له: «**مُرْهُ فليراجعْها، ثم إن شـــاء طلَّقها وهي طاهر قبل أن يمسَّ، فذلك الطلاق للعِدَّة**»[(١)].

كما أمـــر الله تعالى فـــي قولـــه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١]. أي مستقبلاتِ عِدَّتِهنَّ، وذلك في حالة الطهر.

وفي رواية: «**مُرْهُ فليراجعْها، ثم ليُطلِّقْها طاهرًا أو حاملًا**»[(٢)].

ولكن هل ينفذ الطلاق ويقع، أم لا يقع؟

المشهور أنه يقع، ويكون المطلق آثمًا.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٢٥١)، ومسلم (١٤٧١)، كلاهما في الطلاق.

(٢) رواه مسلم في الطلاق (١٤٧١).

QaradawiBooks.com

وقال طائفة من الفقهاء: لا يقع؛ لأنه طلاقٌ لم يشرعه الله تعالى ألبتَّة، ولا أذن فيه، فليس من شرعه[١]، فكيف يُقال بنفوذه وصحَّته؟

وقد روى أبو داود أن ابن عمر سُئل: كيف ترى في رجل طلَّق امرأته حائضًا؟ فقصَّ على السائل قصَّتَه حين طلَّق امرأته وهي حائض، وأن رسول الله ﷺ ردَّها عليه، ولم يرها شيئًا[٢].

• **الحَلِف بالطلاق حرام:**

ولا يجوز للمسلم أن يجعل من الطلاق يمينًا، يحلف به على فعل هذا أو ترك ذاك، أو يُهَدِّد زوجتَه: إن فعلتْ كذا فهي طالق.

فإن لليمين في الإسلام صيغة خاصة، لم يأذن في غيرها، وهي الحلف بالله تعالى. قال رسول الله ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»[٣]. وقال: «**من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمتْ**»[٤].

---

(١) انظر: المحلى (٤١٠/٩)، والفتاوى الكبرى لابن تيمية (٢٥١/٣)، نشر دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م، وزاد المعاد (٢١٨/٥).

(٢) رواه أحمد (٥٥٢٤)، وقال مخرِّجوه: صحيح دون قوله: «ولم يرها شيئًا». ورواه أبو داود في الطلاق (٢١٨٥) من رواية أبي الزبير، وقال: والأحاديث كلها على خلاف ما قال أبو الزبير. وقد أنكر هذه الزيادة الشافعي والخطَّابي كما قال ابن عبد البر في التمهيد (٦٥/١٥، ٦٦)، وابن رجب في جامع العلوم (الحديث الخامس) (١٨٧/١، ١٨٨)، والحافظ في الفتح (٣٥٤/٩)، وصحح العلامة ابن القيم هذه الزيادة، وأفاض في الردِّ على من ضعفها، انظر: تهذيب سنن أبي داود لابن القيم (٩٥/٣ ـ ١١١)، تحقيق أحمد شاكر ومحمد حامد الفقي. وزاد المعاد (١٩٩/٥ ـ ٢١٧). وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٢٥٨).

(٣) رواه أحمد (٥٥٩٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥)، وقال: حديث حسن. والحاكم (٢٩٧/٤)، وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، ثلاثتهم في الأيمان والنذور، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٢٥٩)، عن ابن عمر.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في الشهادات (٢٦٧٩)، ومسلم في الأيمان (١٦٤٦)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

• المطلقة تبقى في بيت الزوجية مدَّة العِدَّة:

والواجب في شريعة الإسلام أن تبقى المطلقة في بيتها ـ أي بيت الزوجية ـ مدَّة العدة، ويحرم عليها أن تخرج من البيت، كما يحرم على الزوج أن يُخرجها منه بغير حق، وذلك أن للزوج طَوالَ مدة العِدَّة أن يراجعها، ويردَّها إلى حظيرة الزوجية مرة أخرى، إذا كان هذا هو الطلاق الأول أو الثاني. وفي وجودها في البيت قريبًا منه إثارة لعواطفه، وتذكير له أن يفكر في الأمر مرَّة ومرَّة، قبل أن يبلغ الكتاب أجله، وتنتهي أشهر العدة التي أمرت أن تتربصها استبراءً للرحم، ورعايةً لحقِّ الزوج وحُرمة الزوجيَّة، والقلوب تتغيَّر، والأفكار تتجدَّد، والغاضب قد يرضى، والثائر قد يهدأ، والكاره قد يُحبُّ، وما أسرع تقلُّبات الزمن!

وفي ذلك يقول الله تعالى في شأن المطلقات: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا﴾ [الطلاق: ١].

وإن كان لا بد من الفراق بين الزوجين، فالمطلوب منهما أن يكون بمعروف وإحسان، بلا إيذاء ولا افتراء ولا إضاعة للحقوق. قال تعالى: ﴿فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ﴾ [الطلاق: ٢]، وقال: ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وقال: ﴿وَلِلۡمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢٤١]. وقد شرع الله تبارك وتعالى في كتابه هذه المكافآت الزوجية التي يدفعها الزوج حقًّا عليه لمطلقته، ولم يحدِّد مقدارها، ولكنها ﴿مَتَٰعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ يخضع لقدرة الرجل المالية ولمنزلة المرأة وعدد السنين التي تُقيمها معه، وغير ذلك ممَّا يمكن لأهل الخبرة في المجتمع أن يقدروه.

QaradawiBooks.com

• الطلاق مرَّةً بعد مرَّة:

وقد منح الإسلام للمسلم ثلاث تطليقات في ثلاث مرات، على أن يُطلِّقَها كلَّ مرَّة في طُهْر لم يجامعْها فيه طلقة واحدة، ثم يَدَعَها حتى تنقضي عدتها، فإن بدا له أن يمسكها في العدة أمسكها، وإن لم يراجعها حتى انقضت عدتها، أمكن أن يردَّها إليه بعقد جديد، وإن لم يكن له فيها غرض، لم يضرّه أن تتزوَّج بزوجٍ غيره.

فإن أعادها إلى عصمته بعد الطلقة الأولى، ثم حدَث بينهما النفور والشقاق مرة ثانية، وعجزت الوسائل الأخرى عن تصفية الجو بينهما، فله أن يطلِّقها للمرة الثانية ـ على الطريقة التي ذكرناها ـ وله أيضًا أن يُراجعها في العدة بغير عقد، أو يُعيدها بعد العدة بعقد جديد.

فإذا عاد فطلَّقها للمرة الثالثة كان هذا دليلًا واضحًا على أن النُّفرة بينهما مستحكِمة، والوفاق بينهما غير مستطاع. لهذا لم يجزْ له بعد التطليقة الثالثة أن يردَّها إليه، ولا تحلُّ له بعد ذلك حتى تنكح زوجًا غيره زواجًا شرعيًّا صحيحًا، مقصودًا لذاته، لا لمجرَّد تحليلها للزوج الأول.

ومن هذا نرى أن المسلم الذي يجمع هذه المرات الثلاث في مرة واحدة أو لفظة واحدة، قد ضادَّ الله فيما شرعه، وانحرف عن صراط الإسلام المستقيم. وقد صحَّ أن رسول الله ﷺ أُخبر عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعًا، فقام غضبانَ ثم قال: «**أيُلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم؟!**». حتى قام رجل فقال: يا رسول، أَلَا أقتلُه[1]؟

---

(١) رواه النسائي في الطلاق (٣٤٠١)، وقال ابن حجر في الفتح (٣٦٢/٩): رجاله ثقات. وصححه الألباني في غاية المرام (٢٦١)، عن محمود بن لبيد.

QaradawiBooks.com

• **إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان:**

وإذا طلــق الزوج زوجته الطلقــة الأولى أو الثانيــة، وبلغت الأجل المحدد لها ـ أي قاربت عدتها أن تنقضي ـ كان على الزوج أحدُ أمرين:

١ ـ إما أن يمســكها بمعروف. ومعنى ذلك: يُرجعها بقصد الإحسان والإصلاح، لا بقصد المشاكسة والإضرار.

٢ ـ وإما أن يســرِّحها ويفارقها بمعروف، بــأن يتركها حتى تنقضي عِدَّتُها، ويتم الانفصال بينهما بلا تشــويش ولا مُضارَّة، ولا مشاحَّة فيما لأحدهما على الآخر من حقوق.

ولا يحل له أن يراجعها قبيل انقضاء عدَّتِها منه، قاصدًا إيذاءها بإطالة العدة عليها، وحرمانها من التزوُّج بغيره أطولَ مدَّة يستطيعها. وهكذا كان يفعل أهل الجاهلية.

وقد حرَّم الله هذه المضارَّة للمرأة في محكم كتابه، بأســلوب تُرعَد منه الصدور وتَوْجَل القلوب. قال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣١].

وبالتأمُّل في هذه الآية الكريمة نجدها قد اشــتملت على ســبع فقرات، فيها تحذير بعد تحذير، وتذكير يتلوه تذكير، ووعيد على إثر وعيد، وكفى بذلك ذكــرى لمن كان له قلب أو ألقى الســمع وهو شهيد.

QaradawiBooks.com

• لا يجوز منع المطلقة عن الزواج بمن ترضى:

وإذا انقضت عدة المطلقة، فلا يحل لزوجها أو وليها أو أحد غيرهما، أن يعضُلها عن الزواج بمن تريد، ولا يعترض طريق رغبتها، ما دام الخاطب والمخطوبة قد تراضيا بينهما، بالطريق المعروف شرعًا وعرفًا.

فما يصنعه بعض المطلِّقين من محاولةٍ لفرض سيطرته على مطلقته، وتهديدها، أو تهديد أهلها إذا تزوَّجت بعده، إنما هو من عمل الجاهلية الجَهْلاء.

ومثل هذا وقوف أهل المرأة وأوليائها في سبيل رجوعها إلى مطلِّقها إذا أراد مراجعتها، وتراضيا معًا أن يتراجعا بالمعروف، ويرتُقا ما كان بينهما من فُتوق، ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ﴾ [النساء: ١٢٨]، كما قال الله تعالى.

وفي هذه المعاني جاءت الآية: ﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

• حق الزوجة الكارهة:

وللمرأة إذا كرهت زوجها ولم تعُد تُطيق عِشْرَته أن تفدي نفسها منه، وتشتري حرِّيَتَها بردِّ ما كان دفع لها من مهر وهدايا، أو أقل منها أو أكثر، حسب تراضيهما، والأَوْلى ألَّا يأخذ منها أكثر مما بذل لها من قبل. قال تعالى: ﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وقد جاءت امرأة ثابت بن قيس إلى رسول الله ﷺ وقالت: يا رسول الله، ثابت بن قيس، ما أعيب عليه في خلقٍ ولا دين، ولكني

QaradawiBooks.com

لا أُطيقه بُغضًا، فسألها عمَّا أخذت منه. فقالت: حديقة، فقال لها: «**أتردين عليه حديقته؟**» قالت: نعم. فقال النبي ﷺ لثابت: «**اقبل الحديقة، وطلِّقْها تطليقة**»(١).

ويحرم على الزوجة أن تُسارع إلى طلب الطلاق من زوجها بغير ما بأس من جهته، ولا داعٍ مقبول يؤدي إلى التفريق بينهما، قال ﷺ: «**أيُّما امرأة سألت زوجَها الطلاق من غير ما بأس، فحرام عليها رائحة الجنة**»(٢).

• مضارَّة الزوجة حرام:

ولا يحل للزوج أن يضارَّ زوجته ويسيء عشرتها؛ لتفتدي نفسها منه برد ما آتاها من المال: كله أو بعضه، ما لم تأتِ بفاحشةٍ مبيِّنة. وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ [النساء: ١٩].

ويحرم عليه إذا كان هو الكاره الراغب في فراقها، طموحًا إلى غيرها: أن يأخذ منها شيئًا، كما قال سبحانه: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۞ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [النساء: ٢٠، ٢١].

---

(١) رواه البخاري في الطلاق (٥٢٧٣)، عن ابن عباس.

(٢) رواه أحمد (٢٢٣٧٩)، وقال مخرجوه: حديث صحيح. وأبو داود (٢٢٢٦)، والترمذي (١١٨٧)، وحسّنه، وابن ماجه (٢٠٥٥)، ثلاثتهم في الطلاق، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٢٦٣)، عن ثوبان.

QaradawiBooks.com

• الحَلِف على هجر الزوجة حرام:

ومن روائع الإسلام في رعاية حق المرأة: تحريمُه على الزوج أن يغاضب زوجته؛ فيهجر فراشها، ويمتنع عن قُرْبانها مدَّةً لا تحتملها أنوثتها. فإذا أكَّد هذا الهجر بيمين منه أَلَّا يَقْرَبَها (لا يجامعها) أُعطي مهلة أربعة أشهر، عسى أن تهدأ فيها نفسُه، وتسكن ثائرةُ غضبِه، ويراجع ضميرَه. فإذا عاد إلى رُشْده، واتصل بها قبل انقضاء الأشهر الأربع، أو في آخرها، فإن الله يغفر له ما فرَّط منه، ويفتح له باب التوبة الفسيح، وعليه أن يُكَفِّر عن يمينه.

وإذا مضت هذه المدة، ولم يرجع عن عزمه، ويتحلَّل من يمينه، فإن امرأته تُطلَّق منه؛ جزاءً وفاقًا على ما أهمل في حقها.

ومن الفقهاء من يُطلِّقها عليه بمضيِّ المدة المذكورة، بغير انتظار لقضاء قاضٍ أو حُكْمِ حاكم.

ومنهم من يشترط رفع الأمر إلى الحاكم بعد مُضِيِّ المدَّة، فيخيره بين مراجعة نفسه وإرضاء زوجه، وبين الطلاق، وليختَرْ لنفسه ما يحلو.

وهذا الحلف على عدم قُربان الزوجة هو المعروف في الشريعة باسم «الإيلاء»، وفيه جاء قول الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾، أي: يحلفون على البُعْد عنهن ﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٦، ٢٢٧].

وإنما حُدِّدت المهلة بأربعة أشهر، لتكون فرصة كافية، ليراجع الرجل فيها نفسه، ويثوب إلى رشده، ولأنها في العادة أكثرُ ما تصبر المرأة عن زوجها. وفي هذا يروي المفسِّرون قصة عمر رضي الله عنه حين كان يعُسُّ بالليل، فسمع امرأة تنشد:

QaradawiBooks.com

لقد طال هذا الليل واســودَّ جانبُهْ وأرَّقنــي أن لا خليــلَ ألاعبُــهْ
فــواللهِ لــولا اللهُ تُخشــى عواقبُهْ لحُرِّك مــن هذا الســرير جوانبُهْ

وقد بحث عمر عــن قصتها، فعــرف أن زوجها غائــب في كتائب المجاهديــن من زمن طويل، فســأل ابنته أم المؤمنيــن حفصة: ما أكثر ما تصبر المرأة عن زوجها؟ قالت: أربعة أشهر.

وعندئذٍ عزم أمير المؤمنين ألَّا يُغَيِّب زوجًا عن امرأته أكثر من أربعة أشهر[١].

(١) رواه سعيد بن منصور في الجهاد (٢٤٦٣)، والبيهقي في السير (٢٩/٩).

QaradawiBooks.com

٦

بين الوالدين والأولاد

• **الإسلام يحفظ الأنساب:**

الولد سِرُّ أبيه، وحامل خصائصه، وهو في حياته قُرَّة عينه، وهو بعد مماته امتدادٌ لوجوده، ومظهر لخلوده. يرث منه الملامح والسِّمَات، والخصائص والمميزات، يرث الحَسَنَ منها والقبيح، والجيد والرديء. وهو بَضْعة من قلبه، وفِلْذة من كبده.

لهذا حرَّم الله الزِّنَى، وفرض الزواج، حتى يصون الأنساب، ولا تختلط المياه، ويعرف الولدُ مَن أبوه، ويعرف الوالدُ مَن بناتُه وبنوه؟!

فبالزواج تختصُّ المرأةُ برجُلها، ويحرم عليها أن تخونه، أو تسقي زرعه بماء غيره. وبذلك يكون كلُّ مَنْ تلدُهم في فراش الزوجية أولادَ زوجِها، بدون أن يحتاج ذلك إلى اعتراف أو إعلان من الأب أو دعوى من الأم، فالولد للفراش[1]، كما قال رسول الإسلام ﷺ.

• **لا يجوز للأب أن يُنكِر نسب ابنه:**

ومن هنا لا يحلُّ للزَّوْج أن ينكر نسب ولدٍ ولدتْه زوجُه في فِراشه، أي: في حالة قيام زوجية صحيحة بينهما. فإن إنكاره هذا يُلحق أكبر

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الفرائض (٦٧٤٩)، ومسلم في الرضاع (١٤٥٧)، عن عائشة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الضرر وأقبح العـــار بالزوجة والولـــد، فلا يُباح له الإقدام عليه لشـــكٍّ عارض، أو وهْمٍ طارئ، أو إشـــاعة خبيثة. أما إذا جزم بأن امرأته خانته بأدلة تجمَّعت لديه، وقرائن لا يســـتطيع أن يدفعها عن نفسه، فإن شريعة الإسلام لم ترضَ أن تدعه يُربِّي من يعتقد أنه ليس بابنٍ له، ويوَرِّث من لا يرثه في رأيه، أو على الأقل يكون فريسةً للشك طولَ حياته.

وقد جعلت الشريعة له مخرجًا من ذلك بما عُرِف في الفقه باسم «اللِّعان». فمن تأكد أو ظن ظنًّا راجحًا أن زوجته قد لوَّثت فراشَه بماء غيره، وجاءت بولدٍ منه، وليس لـــه بيِّنَة على ذلك، فله أن يرفع ذلك إلى القاضي، ويُجري القاضـــي بينهما الملاعنة التـــي فَصَّلها القرآن الكريم في ســـورة النور: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۞ وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۞ وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۞ وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [النـــور: ٦ ـ ٩]. وبهذا يجري اللعـــان بين الرجـــل وامرأته أمام القاضي يشـــهد أربع شـــهادات بالله إنه لمن الصادقين فيما رماها به، والشهادة الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، وهي تستطيع أن تدرأ عنها العذاب المفروض في الحد بأن تشهد أربع شـــهادات بالله إنه لمن الكاذبين، والشهادة الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين. ثم يُفرَّق بينهما إلى الأبد، ويلحق الولد بأمه.

وللمرأة أن تتمسك لإثبات براءتها بحق البصمة الوراثية إذا أكَّدت أن ابنها هو ابن أبيه، وليس من حق الزوج أن يفرض البصمة عليها، لأن في ذلك تفويت للســـتر الذي يوفره اللعـــان للمرأة ولولدها، وهذا الســـتر مقصود للشارع.

QaradawiBooks.com

• التبنِّي حرامٌ في الإسلام:

وإذا كان الأب لا يجوز له أن ينكر نسب من وُلِد في فراشه، فإنه لا يحلُّ له كذلك أن يتبنَّى من ليس بابنٍ له من صُلبه. وقد كان العرب في الجاهليـــة ـ كغيرهم من الأمم فـــي التاريخ ـ يُلحقون بأنســـابهم وأسرِهم من شاؤوا عن طريق التبنِّي، فللرجل أن يُضيف إلى بنوَّته من يختاره من الفتيان، ويعلن ذلك، فيصبح واحدًا من أبنائه وأســـرته، له ما لهم، وعليـــه ما عليهم، ويحمل بذلك اســـم الأســـرة، ويكون له حقوقها. ولم يكن يمنع هذا التبنِّي، أن يكون للفتى المتبنَّى أبٌ معلوم ونسبٌ معروف.

جاء الإسلام فوجد هذا التبنِّي منتشرًا في المجتمع العربي، حتى إن النبي ﷺ نفسَه كان قد تبنَّى زيدَ بن حارثة في الجاهلية، وهو فتى عربيٌّ، سُبيَ صغيرًا في غارة من غارات العرب في الجاهلية، فاشتراه حَكِيم بن حِزَام لعمَّته خديجة، ثم وهبته للنبي ﷺ بعد أن تزوجته.

ولما عرف أبوه وعمُّه مكانَه، وطلباه من النبي ﷺ، خيَّره النبي ﷺ، فما كان منه إلا أن اختار رسولَ الله ﷺ على أبيه وعمِّه، فأعتقه النبيُّ ﷺ وتبنَّاه، وأشـــهد على ذلك القوم. وعُرف منذ ذلك الحين باسم «زيد بن محمد»، وكان أول من آمن به من الموالي.

• ماذا كان رأي الإسلام في هذا النظام الجاهلي؟

لقد رأى الإســـلام ـ بحقٍّ ـ أن التبني تزوير علـــى الطبيعة والواقع.. تزوير يجعل شخصًا غريبًا عن أســـرة فردًا منها، يخلو بنسائها على أنهن محارمه، وهن عنه غريبـــات، فلا زوجةُ الرجل المتبنِّـــي أمُّه، ولا ابنتُه أختُه، ولا أختُه عمَّتُه.. إنما هو أجنبي عن الجميع.

QaradawiBooks.com

ويرث هذا الابن المدَّعى من الرجل أو المرأة على أنه ابنهما، ويحجب ذوي القُربى الأصلاء المستحقِّين. وما أكثر ما يحقد الأقارب الحقيقيون، على هذا الدخيل الذي عدا عليهم، فاغتصب حقوقهم، وحال بينهم وبين ما كانوا يرجون من ميراث، وما أكثر ما يثور هذا الحقد، ويؤرِّث نار الفتن، ويقطع الأواصر والأرحام!!

لهذا أبطل القرآن هذا النظام الجاهلي، وحرَّمه تحريمًا باتًّا، وألغى آثاره كلها، قال تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤، ٥].

ولنتأمل هذه الكلمة القرآنية الناصعة: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾، أي أن التبنِّي إنما هو كلمة فارغة، ليس وراءها حقيقة واقعية.

إن الكلام باللسان لا يبدِّل الحقائق، ولا يغيِّر الواقع، ولا يجعل الغريب قريبًا، ولا الأجنبي أصيلًا، ولا الدَّعِيَّ ولدًا، الكلام بالفم لا يُجري في عروق المتبنَّى دم المتبنِّي، ولا يخلق في صدر الرجل حنان الأُبُوَّة، ولا في قلب الأم حنان الأمومة، ولا في جوانب الغلام عواطف البُنوَّة، ولا يورثه خصائص الفضيلة، ولا ملامح الأسرة الجسمية والعقلية والنفسية.

وقد ألغى الإسلام كلَّ الآثار التي كانت تترتَّب على هذا النظام: من إرث، وتحريمٍ للزواج من حليلة المتبنَّى.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ففي الإرث، لم يجعل القرآن لغير صلة الدم والزوجية والقرابة الحقيقية قيمة وسببًا في الميراث: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥].

وفي الزواج أعلن القرآن أن من المحرَّمات حلائل الأبناء الحقيقيِّين، لا الأدعياء ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ [النساء: ٢٣]. فيُباح للرجل أن يتزوَّج حليلة متبنَّاه؛ لأنها امرأة إنسان غريب عنه في الواقع، فلا بأس أن يتزوَّجها إذا طلقها الآخر.

- **إبطال التبنِّي بالتشريع العملي بعد التشريع القولي:**

ولم يكن هذا الأمر سهلًا على الناس، فقد كان التبنِّي نظامًا اجتماعيًّا عميق الجذور في حياة العرب، فشاءت حكمةُ الله ألَّا يكتفي في هدمه وإهدار آثاره بالقول وحده؛ بل بالقول والعمل جميعًا.

واختارت الحكمة الإلهية لهذه المهمَّة رسول الله ﷺ نفسه، ليُزيل كلَّ شك، ويدفع كل حَرَج عن المؤمنين في إباحة زواج مطلقات أدعيائهم، وأن يوقنوا أن الحلال ما أحل الله، والحرام ما حرم الله.

وكان زيد بن حارثة ـ الذي عرفنا أنه كان يقال له زيد بن محمد ـ قد تزوَّج زينب بنت جحش، ابنة عمَّة النبي ﷺ، وقد اضطربت بينهما العلائق، وكثرت شكوى زيد من زوجته إلى النبي ﷺ، والنبي يعلم ـ بما نفث الله في روعه ـ أن زيدًا مطلقُها، وأنه متزوجُها بعده، ولكن الضَّعْفَ البشريَّ غلب عليه في بعض اللحظاتِ، فخشي مواجهة الناس، فكان يقول لزيد كلَّما شكا له: أمسك عليك زوجك، واتقَّ الله.

وهنا نزل القرآنُ يُعاتب النبي ﷺ، وفي الوقت نفسه يشدُّ أزْرَه في مواجهة المجتمع، بتحطيم بقايا هذا النظام القديم والتقليد الراسخ،

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

الذي يحرم على الرجل أن يتزوَّج امرأةَ متبنَّاه الغريب عنه. قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بالإيمان ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالعتق، وهو زيد ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧]. ثم مضى القرآن يُحامي عن رسول الله ﷺ في هذا العمل، ويؤكِّد إباحته ويرفع الحرج عنه: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ۞ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ۞ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٨ ـ ٤٠].

وبهذه الآيات الصريحة الحاسمة انتهت قصة التبنِّي كلُّها وآثاره: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

• التبنِّي بمعنى التربية والرعاية:

التبنِّي الذي أبطله الإسلام، هو ذلك الذي يضم فيه الرجل طفلًا إلى نفسه، يعلم أنه ولد غيره، ومع هذا يلحقه بنسبه وأسرته، ويثبت له كل أحكام البنوة وآثارها، من إباحة اختلاط، وحرمة زواج، واستحقاق ميراث.

وهناك نوع يظنه الناس تبنيًّا، وليس هو بالتبنِّي الذي حرمه الإسلام. وذلك أن يضم الرجل إليه طفلًا يتيمًا أو لقيطًا، ويجعله كابنه، في الحنو عليه، والعناية به والتربية له، فيحضنه ويطعمه، ويكسوه ويعلِّمه، ويعامله كأنه ابنه من صلبه، ومع هذا لم ينسُبه لنفسه، ولم يثبت له أحكام البنوة

QaradawiBooks.com

المذكورة. فهذا أمرٌ محمود في دين الله، يستحقُّ صاحبه عليه المثوبة في الجنة. وقد قال ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا**» وأشار بالسبَّابة والوُسْطى وفرَّج بينهما[1].

واللَّقِيط في معنى اليتيم، وهو بعد ذلك أولى من يطلق عليه «ابن السبيل» الذي أمر برعايته الإسلام.

وإذا لم يكن للرجل ذرية، وأراد أن ينفح هذا الولد بشيء من ماله، فله أن يهبه ما شاء في حياته، وأن يوصي له في حدود الثلث من التَّرِكة قبل وفاته.

- **التلقيح الصناعي:**

وإذا كان الإسلام قد حمى الأنساب بتحريم الزِّنَى وتحريم التبنِّي، وبذلك تصفو الأسرة من العناصر الغريبة عنها، فإنه يحرم ما يعرف «بالتلقيح الصناعي» إذا كان التلقيح بغير نطفة الزوج، بل يكون في هذه الحالة ـ كما قال الأستاذ الأكبر الشيخ شلتوت ـ: «جريمة منكرة وإثمًا عظيمًا، يلتقي مع الزنى في إطار واحد، جوهرهما واحد، ونتيجتهما واحدة، وهي وضع ماء رجل أجنبي قصدًا، في حَرْثٍ ليس بينه وبين ذلك الرجل عقد ارتباط بزوجية شرعية، يُظلُّها القانون الطبيعي والشريعة السماوية، ولولا قصور في صورة الجريمة، لكان حكم التلقيح في تلك الحالة، هو حكم الزِّنى الذي حددته الشرائع الإلهية، ونزلت به كتب السماء.

وإذا كان التلقيح البشري بغير ماء الزوج، على هذا الوضع وبتلك المنزلة، كان دون شك أفظع جُرْمًا، وأشد نُكْرًا من التبنِّي... فإن ولد

(١) رواه البخاري في الأدب (٦٠٠٥)، عن سهل بن سعد.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

التلقيح يجمع بين نتيجة التبنِّي المذكور، وهي إدخال عنصر غريب في النسب، وبين خِسَّـةٍ أخرى، وهي التقاؤه مع الزِّنى في إطار واحدٍ، تنبو عنه الشرائع والقوانين، وينبو عنه المستوى الإنساني الفاضل، وينزلق به إلى المستوى الحيواني، الذي لا شـعور فيه للأفراد برباط المجتمعات الكريمة»[١].

• **انتسابُ الولد إلى غير أبيه يوجب اللَّعْنة:**

وكما حرَّم الإسـلام على الأب، أن ينكر نسبَ ولدِه بغير حقٍّ، حرم على الولد أن ينتسـب لغير نسـبه، ويُدعى إلى غير أبيه، وعدَّ النبي ﷺ ذلك من المنكرات الشـنعاء، التي تستوجب لعنة الخالق والخلق. روى ذلك من فوق المنبر عليٌّ رضي الله عنه من صحيفة كانت عنده، عن رسول الله ﷺ وفيها يقول: «**من ادَّعَى إلى غير أبيه، أو انتمى إلى غير مواليه، فعليه لعنةُ الله والملائكـة والناس أجمعيـن، لا يقبل الله منـه يوم القيامـة صرفًا ولا عدلًا**»[٢]. أي لا توبة ولا فدية.

وعن سعد بن أبي وقَّاص، عن النبي ﷺ أنه قال: «**من ادَّعَى إلى غير أبيه، وهو يعلم أنه غير أبيه، فالجنة عليه حرام**»[٣].

• **لا تقتلوا أولادكم:**

بعد أن حفظ الإسـلام الأنسـاب على هذا النحو، أوجب لكلٍّ من الولد والوالد حقوقًا على الآخر، تقتضيهـا الوالدية والبنوَّة. وحرَّم على كلٍّ منهما أمورًا، تقتضيها صيانة هذه الحقوق ورعايتها.

---

(١) فتاوى الشيخ شلتوت صـ ٣٢٨، ٣٢٩.

(٢) رواه مسلم في العتق (١٣٧٠)، وأحمد (٦١٥).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الفرائض (٦٧٦٦)، ومسلم في الإيمان (٦٣).

QaradawiBooks.com

فللولد حق الحياة، وليس لأبيه ولا لأمِّه أن يعتديا على حياته بالقتل أو الوأد ـ كما كان يصنع بعضُ العرب في الجاهلية ـ والبنت والابن في ذلك سواء. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١]. ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨، ٩].

ومهما يكن الدافع إلى هذا المنكر اقتصاديًّا كخشية الفقر وضيق الرِّزق، أو غير اقتصادي كخشية العار إذا كان المولود بنتًا؛ فإن الإسلام يُحرِّم هذا العمل الوحشي أشد التحريم، لأنه قتل وقطيعة رحم، وعدوان على نفسٍ ضعيفة. ولذلك سُئل ﷺ: أيُّ الذنب أعظم؟ فقال: «**أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك!**» قيل: ثم أيٌّ؟ قال: «**أن تقتل ولدك مخافةَ أن يَطعَم معك**»[(١)].

وقد بايع النبيُّ ﷺ النساءَ ـ كالرجال ـ على تحريم هذه الجريمة والانتهاء عنها: ﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٢]. ومن حق الولد على أبيه أن يُحسِنَ تسميتُه، فلا ينبغي أن يسمِّيه باسمٍ يتأذَّى منه إذا كَبِر، ويحرم عليه أن يسمِّيه بعبدِ غير الله، كعبد النبي وعبد المسيح وعبد الحسين.. ونحوه.

وللولد حق الرعاية والتربية والنفقة، فلا يجوز إهماله أو إضاعته.

قال ﷺ: «**كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤول عن رعيَّته**»[(٢)]. وقال: «**كفى**

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٥٣٢)، ومسلم في الإيمان (٨٦)، عن ابن مسعود.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأحكام (٧١٣٨)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

بالمرء إثمًا أن يُضيِّع من يقوت»[١]. «**إن الله سائلٌ كُلَّ راعٍ عمَّا استرعاه، حفظ أم ضيَّع، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته»**[٢].

التسوية بين الأبناء في العطاء:

ويجب على الأب أن يسوِّي بين أولاده في العَطِيَّة، حتى يكونوا له في البرِّ سواءً، ويحرم عليه أن يُؤْثر بعضهم بمنحة أو عطاء، بغير مسوِّغ ولا حاجة، فيوغر صدور الآخرين، ويوقد بينهم نارَ العداوة والبغضاء. والأم كالأب في ذلك.

قال ﷺ: «**اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم**»[٣]. وقصة هذا الحديث أن امرأة بَشِير بن سعد الأنصاري طلبت إليه أن يخصَّ ولدها النُّعْمان بن بَشِير بمنحة مالية، وأرادت توثيق هذه الهِبة، فطلبت منه أن يُشهد على ذلك رسول الله ﷺ، فذهب إليه فقال: يا رسول الله، إن ابنة فلان (زوجته) سألتني أن أَنْحَل ابنَها غلامي (عبدي). فقال ﷺ: «**أله إخوة؟**» قال: نعم. قال: «**فكلَّهم أعطيتَ مثلَ ما أعطيتَه؟**» قال: لا. قال: «**فليس يصلح هذا، وإنني لا أشهد إلا على حق**»[٤]، «**لا تُشهدني على جَوْر، إن لبنيك عليك من الحق أن**

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٥٧.

(٢) رواه النسائي في الكبرى في عشرة النساء (٩١٢٩)، وأبو عوانة في الحدود (٧٠٣٦)، وابن حبان في السير (٤٤٩٢)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرطهما، وصحح إسناده الحافظ في الفتح (١١٣/١٣)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٢٧١)، عن أنس بن مالك.

(٣) رواه أحمد (١٨٤٥٢)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وأبو داود في البيوع (٣٥٤٤)، والنسائي في النُّحْل (٣٦٨٧)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٢٧٢)، عن النُّعْمان بن بَشير.

(٤) رواه مسلم في الهبات (١٦٢٤)، عن جابر.

QaradawiBooks.com

تعدل بينهم، كما لك عليهم من الحق أن يبرُّوك»[١]. «**اتقوا الله واعدلوا في أولادكم»**[٢].

وعن الإمام أحمد أن التفاضل يجوز إن كان له سبب، كأن يحتاج الولد لزَمَانة (عاهة) به أو نحو ذلك دون الباقين[٣].

- **الوقوف في الميراث عند حدود الله:**

ومثل ذلك الميراث، فلا يحل لوالد أن يحرم بعض أولاده من الميراث: لا يحل له أن يحرم الإناث، أو يحرم أولاد زوجة غير محظيَّة عنده، أو يعطيهم دون حقٍّ.

كما لا يحل لقريبٍ أن يحرم قريبه المستحقَّ من الميراث بحيلة يصطنعها، فإن الميراث نظامٌ قرَّره الله بعلمه وعدله وحكمته، وأعطى به كل ذي حق حقَّه، وأمر الناس أن يقفوا فيه عند ما حدَّده وشرعه. فمن خالف هذا النظام في تقسيمه وتحديده فقد اتهم ربه ﷻ.

وقد ذكر الله شؤون الميراث في ثلاث آيات من القرآن، قال في ختام

---

(١) رواه أحمد (١٨٣٧٨)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وأبو داود في البيوع (٣٥٤٢)، والطبراني (٧٠/٢١)، وقال ابن حجر في الفتح (٢١٤/٥): اختلاف الألفاظ في هذه القصة الواحدة يرجع إلى معنى واحد. وضعَّفه الألباني في غاية المرام (٢٧٤)، وقال في الصحيحة (١٦٦١/٧): معناه صحيح، يشهد له مجموع روايات الحديث، عن النُّعْمان بن بَشير.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الهبة وفضلها (٢٥٨٧)، ومسلم في الهبات (١٦٢٣)، عن النعمان بن بشير.

(٣) قال في المغني (٥٣/٦): فإن خص بعضهم لمعنًى يقتضي تخصيصه، مثل اختصاصه بحاجة أو زَمَانة، أو عمًى أو كثرة عائلة، أو اشتغاله بالعلم، أو نحوه من الفضائل، أو صرف عطيته عن بعض ولده لفسقه أو بدعته، أو لكونه يستعين بما يأخذه على معصية الله أو ينفقه فيها، فقد رُوِي عن أحمد ما دلَّ على جواز ذلك، لقوله في تخصيص بعضهم بالوقف: لا بأس به إذا كان لحاجة، وأكرهُه على سبيل الأثرة. والعطيَّة في معناه.

QaradawiBooks.com

الآيــة الأولــى: ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١١].

وقال في ختام الآية الثانية: ﴿غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ۝ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٢ ـ ١٤].

وقال تعالى في ختام الآيــة الأخيرة من الميراث: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٧٦].

فمن خالف عمَّا شرع الله في الميراث، فقد ضل عن الحق الذي بيَّنه الله، وتعدَّى حدود الله ﷻ، فلينتظر وعيد الله، ﴿نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

• عقوق الوالدين من الكبائر:

وللوالدين على الولد حقوق، تتمثل في البِرِّ والطاعة والإكرام. وهو ما تنادي به الفطرة، ويوجبه الوفــاء والعِرْفان بالجميل. ويتأكَّد ذلك في حق الأم، فإنها قاســت مــن آلام الحمل والوضع، والإرضــاع والتربية ما قاســت. قــال تعالــى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥].

وجاء رجل يسأل النبي ﷺ: من أحق الناس بحُسْن صحابتي؟ قال: «**أمُّك**». قال: ثم مَن؟ قال: «**أمُّك**». قال: ثم مَــن؟ قال: «**أمُّك**». قال: ثم مَنْ؟ قال: «**أبوك**»[1].

(١) متفق عليــه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٧١)، ومســلم فــي البر والصلــة (٢٥٤٨)، عــن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وجعل النبي ﷺ عقوق الوالدين من أكبر الكبائر، وجعل مرتبته بعد الشرك بالله تعالى كما هو صنيع القرآن، ففي الصحيحين: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» ثلاثًا. قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**». وكان متكِئًا فجلس، فقال: «**ألا وقول الزور وشهادة الزور**»(١).

وقال ﷺ: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاقُّ لوالديه، والدَّيُّوث، والرَّجُلة من النساء**»(٢).

وقال: «**كلُّ الذنوب يُؤخِّر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة، إلا عقوق الوالدين، فإن الله يُعجِّله لصاحبه في الحياة قبل الممات**»(٣).

وأكد الوصية بالوالدين حين يبلغان الكبر، فتَهِنُ قوتهما، وتشتد حاجتهما إلى مزيد من العناية بشؤونهما، والرعاية لمشاعرهما المرهفة. وفي ذلك يقول القرآن: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

وقد ورد في الآثار تعقيبًا على هذه الآيات: لو علم الله في العقوق شيئًا أدنى من أفٍّ لحرمه(٤).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٧٦)، ومسلم في الإيمان (٨٧)، عن أبي بَكْرة.

(٢) رواه أحمد (٦١٨٠) وقال مخرِّجوه: إسناده حسن، والنسائي في الزكاة (٢٥٦٢)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٢٧٨)، عن ابن عمر. والرجُلة من النساء: المتشبِّهة بالرجال.

(٣) رواه الحاكم في البر والصلة (١٥٦/٤)، وصحَّحه، وتعقبه الذهبي: فيه بكّار بن عبد العزيز ـ أحد الرواة ـ ضعيف. وضعَّفه الألباني في غاية المرام (٢٧٩)، عن أبي بكرة.

(٤) تنبيه الغافلين للسمرقندي صـ ١٢٤، تحقيق يوسف علي بديوي، نشر دار ابن كثير، دمشق وبيروت، ط ٣، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م. والفردوس بمأثور الخطاب للديلمي (٣٥٣/٣)، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

QaradawiBooks.com

• **التسبُّب في سبِّ الوالدين من الكبائر:**

وأكثر من ذلك أن رسول الله ﷺ لم يجعل تسبُّب الولد في لعن أبويه من المحرَّمات فقط، بل من كبائر الذنوب. قال: «**إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه**» ـ فاستغرب القوم أن يلعن رجل عاقل مؤمن والديه وهما سبب حياته ـ فقالوا: وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «**يسبُّ أبا الرجل، فيسبُّ أباه، ويسبُّ أمه، فيسبُّ أمه**»[١].

فكيف بمن يسبُّهما في وجهيهما؟!

• **التطوُّع للجهاد بغير إذن الوالدين لا يجوز:**

ولحرص الإسلام على رضا الوالدين، حرم على الولد أن يتطوَّع للجهاد بغير إذنٍ من أبويه، مع ما للجهاد في سبيل الله من منزلة في الإسلام، لا تعدلها منزلةُ قائمِ الليل، ولا صائم النهار.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ، فاستأذنه في الجهاد، فقال: «**أحيٌّ والداك؟**» قال: نعم. قال: «**ففيهما فجاهد**»[٢]. أي اجعل مَيْدان جهادك برَّهما ورعايتَهما.

وفي رواية عنه قال: أقبل رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أبايعُك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله. قال: «**فهل من والديك أحد حي؟**» قال: نعم، بل كلاهما حي. قال: «**أفتبتغي الأجر من الله؟**» قال: نعم. قال: «**فارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما**»[٣].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٧٣)، ومسلم في الإيمان (٩٠)، عن عبد الله بن عمرو.
(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٣٠٠٤)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٤٩).
(٣) رواه مسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٤٩)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

وعنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: جئتُ أبايعك على الهجرة، وتركت أبويَّ يبكيان. فقال: «**ارجعْ إليهما فأضحكْهما كما أبكيتهما**»(١).

وعن أبي سعيد الخدري أن رجلًا من أهل اليمن هاجر إلى رسول الله ﷺ فقال: «**هل لك أحد باليمن؟**» قال: أبواي. قال: «**أَأَذِنا لك؟**» قال: لا. قال: «**فارجعْ إليهما فاستأذنْهما، فإن أذنا لك فجاهد، وإلَّا فبرّهما**»(٢).

- **الوالدان المشركان:**

ومن أروع ما جاء به الإسلام في معاملة الوالدين، أنه حرَّم عقوقهما، ولو كانا مشركَيْن كافرَيْن، بل ولو كانا مبالغَيْن في شركهما، داعيَيْن إليه؛ بحيث يحاولان ويجاهدان أن يفتنا ابنهما المسلم عن دينه. وفي ذلك يقول تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ۞ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان: ١٤، ١٥].

---

(١) رواه أحمد (٦٨٣٣)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن. وأبو داود في الجهاد (٢٥٢٨)، والنسائي في البيعة (٤١٦٣)، وابن ماجه في الجهاد (٢٧٨٢)، والحاكم في البر والصلة (١٥٣/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وصحَّحه ابن الملقن في البدر المنير (٤٠/٩)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه أبو داود في الجهاد (٢٥٣٠)، وابن حبان في البر والإحسان (٤٢٢)، والحاكم في الجهاد (١٠٣/٢) وصحح إسناده، وتعقبه الذهبي: دراج واه، وضعفه الألباني في غاية المرام (٢٨٢)، وقال في الإرواء (١١٩٩) بعد أن ذكر كلام الذهبي: لكن الحديث بمجموع طرقه صحيح.

QaradawiBooks.com

فقد أمر المسلم في هاتين الآيتين ألَّا يطيعهما فيما يحاولانه ويأمران به، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. وأي معصية أكبر من الشرك بالله؟! ولكنه أمر أن يصاحبهما في الدنيا معروفًا، غير متأثر بموقفهما من إيمانه؛ بل متَّبِعًا سبيل من أناب إلى الله من المؤمنين الأبرار، تاركًا الحُكْم بينه وبينهما إلى أحكم الحاكمين، يوم لا يجزي والد عن ولده، ولا مولود هو جاز عن والده شيئًا، وهذه قمة من التسامح لم يبلغها دين من الأديان.

نسخة مجانية
غير مرخص للطباعة
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

غير مرخصة للطباعة

الباب الرابع

الحلال والحرام
في الحياة العامة للمسلم

- في المعتقدات والتقاليد.
- في المعاملات.
- في اللهو والترفيه.
- في العلاقات الاجتماعية.
- علاقة الحاكم بالمحكوم.
- في علاقة المسلم بغير المسلم.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

١

في المعتقدات والتقاليد

العقيدة السليمة هي أساس المجتمع الإسلامي، والتوحيد هو جوهر هذه العقيدة، وروح الإسلام كله. وحماية هذه العقيدة وهذا التوحيد الخالص، هو أول ما يسعى إليه الإسلام في تشريعه وفي إرشاده. ومحاربة المعتقدات الجاهلية التي أشاعتها الوثنية الضالة أمر لا بد منه؛ لتطهير المجتمع المسلم من شوائب الشرك، وبقايا الضلال.

• **احترام سنن الله في الكون:**

وكان من أول العقائد التي غرسها الإسلام في نفوس أبنائه: أن هذا الكون الكبير الذي يعيش الإنسان فوق أرضه وتحت سمائه، لا يسير جِزَافًا، أو يمشي على غير هُدًى، كما أنه لا يسير وَفْق هوى أحد من الخلق، فإن أهواءهم مع عماها وضلالها متضاربة متنافرة: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١].

ولكن هذا الكون مربوط بقوانين مطَّردة، وسنن ثابتة، لا تتبدَّل ولا تتحوَّل، كما أعلن القرآن ذلك في غير آية: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣]. ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٧].

وقد تعلم المسلمون من كتاب ربهم وسنة نبيهم أن يحترموا هذه السُّنَن الكونية، ويطلبوا المسبّبات من أسبابها التي ربطها الله بها،

QaradawiBooks.com

ويُعرضوا عمَّا يُقال عن الأسباب الخفية المزعومة، التي يلجأ إليها ويروِّجها عادةً سَدَنَةُ المعابد، ومحترفو الدجل، والمتاجرون بالأديان.

• حرب على الأوهام والخرافات:

وقد جاء النبي ﷺ، فوجد في المجتمع طائفة من الدجالين تعرف باسم «الكُهَّان» أو «العرَّافين» الذين يدَّعون معرفة الغيوب الماضية أو المستقبلية أو الخفية، عن طريق اتصالهم بالجن أو غير ذلك، فأعلن الرسول ﷺ الحرب على هذا الدَّجل، الذي لا يقوم على علم ولا هدى ولا كتاب منير.

وتلا عليهم ما أوحى الله به: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]. فلا الملائكة ولا الجن، ولا البشر يعلمون الغيب.

وأعلن عليه الصلاة والسلام بأمر ربه: ﴿وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وأخبر تعالى عن جنِّ سليمان: ﴿أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤].

فمن ادَّعى معرفة الغيب الحقيقي، فهو كاذب على الله وعلى الحقيقة وعلى الناس.

• تصديق الكُهَّان كفر:

ولم تقتصر حملة الإسلام على الكُهَّان والدجَّالين وحدهم، بل أشرك معهم في الإثم من يجيئونهم، ويسألونهم ويصدِّقونهم في أوهامهم

QaradawiBooks.com

وتضليلهم. قال ﷺ: «**مَن أتى عرافًا، فسأله عن شيء، فصدَّقه بما قال: لم تُقبل له صلاةٌ أربعين يومًا**»[١].

وقال: «**من أتى كاهنًا فصدَّقه بما قال، فقد كفر بما أنزل على محمد**»[٢]. ذلك أن ما أنزل على محمد ﷺ أن الغيب لله وحده، وأن محمدًا لا يعلم الغيب، ولا غيره من باب أولى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الأنعام: ٥٠].

فإذا عرف المسلم هذا من قرآنه صريحًا واضحًا، ثم صدَّق أن بعض الخلق يَكشِفون أستار القَدَر، ويعلمون ما يُكِنُّه صدر الغيب من أسرار، فقد كفر بما أنزل الله على رسوله ﷺ.

- **الاستقسام بالأزلام:**

وللحكمة التي ذكرناها حرَّم الإسلام الاستقسام بالأزلام.

والأزلام وتُسمَّى القِداح، هي سهام كانت لدى العرب في الجاهلية مكتوب على أحدها: أمرني ربِّي. وعلى الثاني: نهاني ربِّي. والثالث غُفل من الكتابة؛ فإذا أرادوا سفرًا أو زواجًا أو مشاركة أو نحو ذلك، أتوا إلى بيت الأصنام وفيه الأزلام، فاستقسموها. أي: طلبوا علم ما قُسم لهم من السفر والغزو ونحوه، فإن خرج السهم الآمِر أقدموا على الأمر، وإن

(١) رواه مسلم في السلام (٢٢٣٠)، دون قوله: «فصدقه بما قال»، وأحمد (١٦٦٣٧)، وقال مخرِّجوه: صحيح. عن بعض أزواج النبي ﷺ.

(٢) رواه أحمد (٩٥٣٦)، وقال مخرجوه: حسن. وأبو داود في الطب (٣٩٠٤)، بلفظ (فقد برئ مما أنزل)، والترمذي (١٣٥)، وابن ماجه (٦٣٩)، كلاهما في الطهارة، وصححه الألباني في غاية المرام (٢٨٥)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

خرج السهم الناهي أحجموا وأمسكوا عنه، وإن خرج الغُفل أجالوها مرة أو مرات أخرى، حتى يخرج الآمر أو الناهي.

ويشبه هذا في مجتمعنا ضربَ الرمل والودع، وفتحَ الكتاب و«الكوتشينة»، وقراءة الفنجان، وكلُّ ما كان من هذا القبيل حرام منكر في الإسلام.

قال تعالى بعد أن ذكر ما حرَّم على عباده من الأطعمة: ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة: ٣]. وقال النبي ﷺ: «**لن ينال الدرجاتِ العُلَى مَنْ تكهَّن أو استقسم (أي بالأزلام) أو رجع من سَفَر تطيُّرًا**»[(١)].

• **السِّحْر:**

ومن ذلك أن الإسلام قاوم السِّحْر والسَّحَرة، وقال القرآن فيمن يتعلمون السِّحْر: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقد عد النبي ﷺ السِّحْر من كبائر الذنوب المُوبِقات، التي تُهلك الأمم قبل الأفراد، وتُردي أصحابها في الدنيا قبل الآخرة، قال: «**اجتنبوا السبعَ الموبقات**» قالوا: يا رسول الله، وما هي؟ قال: «**الشرك بالله، والسحر، وقتلُ النفس التي حرَّم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولِّي يوم الزحف، وقذْفُ المُحْصنات الغافلات المؤمنات**»[(٢)].

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٢٦٦٣)، ومسند الشاميين (٢١٠٤)، وتمام في الفوائد (١٤٤٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٤٨٧): رواه الطبراني بإسنادين، ورجال أحدهما ثقات، وجود إسناد تمام الألباني في غاية المرام (٢٨٦)، عن أبي الدرداء.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الوصايا (٢٧٦٦)، ومسلم في الإيمان (٨٩)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وقد اعتبر بعض فقهاء الإسلام السحر كُفرًا، أو مؤدِّيًا إلى الكفر، وذهب بعضهم إلى وجوب قتل الساحر تطهيرًا للمجتمع من شره[١].

وعلمنا القرآن الاستعاذة من شرِّ أرباب السحر: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤]. والنفْثُ في العُقَد من طرائق السَحَرة وخواصهم.

وكما حرَّم الإسلام على المسلم الذهاب إلى العرَّافين لسؤالهم عن الغيوب والأسرار، حرَّم عليه أن يلجأ إلى السِّحْر أو السَّحرة لعلاج مرض ابتُلي به، أو حلِّ مشكلة استعصت عليه، فهذا ما برئ رسول الله ﷺ منه، قال: «**ليس منا من تطيَّر أو تُطُيِّر له، أو تَكَّهن أو تُكُهِّن له، أو سَحَر أو سُحِر له**»[٢].

ويقول ابن مسعود: «مَن أتى عرَّافًا أو ساحرًا أو كاهِنًا، فسأله، فصدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أُنْزِل على محمد»[٣].

ويقول الرسول ﷺ: «**لا يدخل الجنَّة مُدمِن خمْر، ولا مُؤمن بسِحْر، ولا قاطع رَحَم**»[٤].

فالحرمة هنا ليست على الساحر وحده، وإنما تشمل كل مؤمن بسحره، مشجِّع له، مصدِّق لما يقول.

---

(١) المغني لابن قدامة (٣٢/٩).

(٢) رواه البزار (٣٥٧٨)، والطبراني (١٦٢/١٨)، وجود إسناد البزار المنذري في الترغيب والترهيب (٤٦٠٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٤٨٠): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا إسحاق بن الربيع وهو ثقة، وقال الألباني في غاية المرام (٢٨٩): حسن لغيره، عن عمران بن حصين.
والتكهن وما التخرص أكثرهم بالله إلا وهم مشركون لها.

(٣) رواه أبو داود الطيالسي (٣٨١)، والبزار (١٨٧٣)، وأبو يعلى (٥٤٠٨)، والطبراني في الكبير (٧٦/١٠)، والأوسط (١٤٥٣)، وجود إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٤٦١٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٤٨)، عن ابن مسعود موقوفًا.

(٤) رواه أحمد (١٩٥٦٩)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. وابن حبان في الكهانة والسحر (٦١٣٧)، وأبو يعلى (٧٢٤٨)، وحسَّنه الألباني في غاية المرام (٢٩١)، عن أبي موسى الأشعري.

QaradawiBooks.com

وتشتد الحرمة وتفحُش إذا كان السحر يُستعمل في أغراض، هي نفسها محرَّمة، كالتفريق بين المرء وزوجه، والإضرار البدني، وغير ذلك مما يُعرف في بيئة السحَّارين.

• **تعليق التمائم (الحُجُب):**

ومن هذا الباب تعليق التمائم والودع ونحوها، على اعتقاد أنها تشفي من المرض أو تقي منه، ولا زال في القرن العشرين من يعلِّق على بابه حذاء فرس، ولا زال بعض المُضَلِّلين إلى اليوم في كثير من بلاد الدنيا يستغلُّون جهل الدَّهْماء، ويكتبون لهم حُجُبًا وتمائم، يخطون فيها خطوطًا وطلاسم، ويتلون عليها أقسامًا وعزائم، ويزعمون أنها تحرس حاملها من اعتداء الجن، أو مس العفاريت، أو شر العين والحسد، إلى آخر ما يزعمون.

وللوقاية والعلاج طرق معروفة شرعها الإسلام، وأنكر على مَن تركها، واتجه إلى طرق الدجاجلة المضلِّين.

قال ﷺ: «**تداووا، فإن الذي خلق الداء خلق الدواء**»[(١)]. وفي البخاري: «**ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء**»[(٢)]. وعند مسلم: «**لكل داء دواء**»[(٣)].

وقال: «**إن كان في شيء من أدويتكم خير ففي هذه الثلاثة: شربة عسل، أو شرطة مِحْجم، أو كيَّة بنار**»[(٤)].

---

(١) رواه أحمد (١٢٥٩٦)، وقال مخرجوه: صحيح لغيره، وابن أبي شيبة في الطب (٢٣٨٨١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٢٧٥): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح خلا عمران العمي، وقد وثقه ابن حبان وغيره، وضعفه ابن معين وغيره، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٢٩٢)، عن أنس.

(٢) رواه البخاري في الطب (٥٦٧٨)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه مسلم في السلام (٢٢٠٤)، عن جابر.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في الطب (٥٧٠٢)، ومسلم في السلام (٢٢٠٥)، عن جابر.

QaradawiBooks.com

وهذه الأنــواع الثلاثة تشــمل برُوحها وبالقياس عليهــا في عصرنا ما يُتنَاوَل من الــدواء بطريق الفم، والتداوي بطريــق العملية الجراحية، والتداوي بطريق الكي، ومنه العلاج بالكهرباء.

أما تعليق خرَزَة أو وَدَعة أو حجاب، أو قراءة بعض الرُّقَى المُطَلْسمة، للعلاج أو الوقاية؛ فهو جهل وضلال يُصادم سنن الله، وينافي توحيده.

عن عقبة بن عامر أنه جاء في ركبٍ عَشَــرةٍ إلى رســول الله ﷺ، فبايع تسعةً، وأمسك عن رجل منهم، فقالوا: ما شأنه؟ قال: «**إن في عضده تميمة!**» فقطع الرجل التميمة، فبايعه رسول الله ﷺ ثم قال: «**من علَّق فقد أشرك**»(١).

وفي حديث آخر قال: «**من عَلَّق تميمة، فلا أتمَّ الله له، ومن علَّق وَدَعَة فلا وَدَع الله له**»(٢).

وعن عِمْران بن حُصَين أن رسول الله ﷺ أبصر على عَضُد رجل حلْقة ـ أُراه قال من صُفْر ـ فقال: «**ويحك، ما هــذه؟**» فقال: من الواهنة، قال: «**أما إنها لا تزيدك إلا وهنًــا، انبِذها عنك، فإنك لو مــتَّ وهي عليك، ما أفلحتَ أبدًا**»(٣).

---

(١) رواه أحمد (١٧٤٢٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي. والحاكم في الطب (٢١٩/٤)، وسكت عنه هو والذهبي، وقــال المنذري في الترغيب (٥٢٤٢)، والهيثمي فــي مجمع الزوائد (٨٣٩٩): رجال أحمد ثقات. وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٢٩٤).

(٢) رواه أحمد (١٧٤٠٤)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن. وابن حبان في الرُّقَى والتمائم (٦٠٨٦)، والحاكم في الطــب (٤١٦/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وضعَّفــه الألباني في غاية المرام (٢٩٥)، عن عقبة بن عامر.

(٣) رواه أحمد (٢٠٠٠٠)، وقال مخرِّجوه: إســناده ضعيف. وابن ماجه في الطب (٣٥٣١)، وابن حبان في الرقى والتمائــم (٦٠٨٥)، والحاكم في الطب (٢١٦/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١٢٣٩): هذا إسناد حســن. وضعَّفه الألباني في غاية المرام (٢٩٦)، وصحَّحه في الصحيحة (٢١٩٥).

QaradawiBooks.com

وقد أثَّرت هذه التعاليم في أصحاب النبي ﷺ، فارتفعوا بأنفسهم عن قَبول هذه الأضاليل، وتصديق تلك الأباطيل.

عن عيسى بن عبد الرحمن قال: دخلتُ على عبد الله بن عُكَيْم وبه حُمرة، فقلت: ألا تُعلِّق تميمة؟ فقال: نعوذ بالله من ذلك ـ وفي رواية: الموت أقرب من ذلك ـ قال رسول الله ﷺ: «**من علَّق شيئًا وُكِل إليه**»[(١)].

عن ابن مسعود أنه دخل على امرأته، وفي عُنُقها شيء معقود، فجذبه، فقطعه ثم قال: لقد أصبح آل عبد الله أغنياء أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الرُّقَى والتمائم والتِّوَلة شِرْك**». قالوا: يا أبا عبد الرحمن، هذه الرُّقَى والتمائم قد عرفناها، فما التِّوَلة؟ قال: شيء تصنعه النساء يتحبَّبْن إلى أزواجهن»[(٢)]. وهو لون من ألوان السحر.

قال الخطَّابي: المنهي عنه من الرقى ما كان بغير لسان العرب، فلا يُدرى ما هو، ولعله قد يدخُله سحر أو كفر، فأما إذا كان مفهوم المعنى، وكان فيه ذكر الله تعالى، فإنه مستحبٌّ[(٣)].

والرُّقية حينئذ دعاء ورجاء إلى الله، لا علاج ودواء، وقد كانت رُقى أهل الجاهلية ممزوجة بالسحر والشرك، أو الطلاسم التي ليس لها معنى مفهوم.

---

(١) رواه أحمد (١٨٧٨١)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. والترمذي في الطب (٢٠٧٢)، والطبراني (٣٨٥/٢٢)، وحسَّنه الألباني في غاية المرام (٢٩٧)، عن عبد الله بن عكيم.

(٢) رواه ابن حبان في الرقى والتمائم (٦٠٩٠)، وقال الأرناؤوط: رجاله ثقات رجال الصحيح. والحاكم في الطب (٢١٧/٤) مختصرًا، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٢٩٨).

(٣) الترغيب والترهيب (١٥٨/٤).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقد ورد أن ابن مسعود نهى امرأته عن مثل هذه الرُّقَى الجاهلية، فقالت له: فإني خرجتُ يومًا فأبصرني فلان، فدمعت عيني التي تليه (أي أنه أصابها بعين حاسدة شريرة) فإذا رقيتُها سكنت دَمْعَتُها، وإذا تركتها دَمَعَتْ. فقال ابن مسعود لها: ذلك الشيطان إذا أطعتِهِ تركك، وإذا عصيتِهِ طعن بأصبعه في عينكِ، ولكن لو فعلتِ كما فعل رسول الله ﷺ كان خيرًا لكِ وأجدرَ أن تُشْفيْ: تنضحين في عينك الماء، وتقولين: أذهب الباس رب الناس، اشفِ أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر سقمًا[1].

- **التطيُّر (التشاؤم):**

والتطير أو التشاؤم ببعض الأشياء، من أمكنة وأزمنة وأشخاص، وغير ذلك من الأوهام التي راجت سُوقها، ولا تزال رائجة عند كثير من الجماعات والأفراد، وقديمًا قال قوم صالح له: ﴿اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ [النمل: ٤٧].

وكان فرعون وقومه إذا أصابتهم سيئة: ﴿يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ﴾ [الأعراف: ١٣١]. وكثيرًا ما قال الكفار الضالُّون، حينما ينزل بهم بلاء الله لدعاتهم ورسل الله إليهم: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ [يس: ١٨].

وكان جواب هؤلاء المرسلين: ﴿طَائِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ [يس: ١٩]. أي سبب شؤمكم مصاحب لكم، وهو كفركم وعنادكم، وعتوُّكم على الله ورسله.

وكان لعرب الجاهلية في هذا الجانب سَبْحٌ طويل، واعتقادات شتَّى، حتى جاء الإسلام فأبطلها، وردَّهم إلى النهج العقلي القويم.

ونَظَم النبي ﷺ التطيُّر مع الكهانة والسحر في سلك واحد، وقال:

(١) رواه أحمد (٣٦١٥)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود (٣٨٨٣)، وابن ماجه (٣٥٣٠)، كلاهما في الطب، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٢٩٩).

QaradawiBooks.com

«**ليس منا من تطيَّر أو تُطُيِّر له، أو تَكَهَّن أو تُكُهِّن له، أو سَحَر أو سُحِر له**»[(١)]. وقال ﷺ: «**العِيافة والطِّيَرة والطَّرْق من الجِبت**»[(٢)].

العيافة: الخط في الرمل، وهو ضرب من التكهن، لا يزال حتى اليوم.

الطَّرْق: الضرب بالحصى، وهو نوع من التكهُّن أيضًا.

الجِبْت: ما عبد من دون الله تعالى.

إن هذا التطيُّر أمرٌ قائم على غير أساس من العلم أو الواقع الصحيح، إنما هو انسياق وراء الضعف، وتصديق للوهم، وإلا فما معنى أن يُصدِّق إنسان عاقل أن النَّحْس في شخصٍ معيَّن، أو مكان معيَّن، أو ينزعج من صوت طائر، أو حركة عين أو إصبع أو سماع كلمة؟!

وإذا كان في الطَّبْع الإنساني شيء من الضعف يُسوِّل للإنسان أن يتشاءم من بعض الأشياء لأسباب خاصة، فإن عليه ألا يستسلم لهذا الضعف ويتمادى فيه، وخصوصًا إذا وصل إلى مرحلة العمل والتنفيذ.

وقد رُوي في ذلك حديث ضعيف: «**ثلاثة لا يسلم منهن أحد: الظن والطِّيرة والحسد، فإذا ظننت فلا تحقق، وإذا تطيرت فلا ترجع، وإذا حسدْتَ فلا تَبْغِ**»[(٣)]. ولو صح الحديث تكون هذه الأمور الثلاثة مجرد خواطر وأحاديث نفس، لا أثر لها في السلوك العملي، وقد عفا الله عنها.

---

(١) سبق تخريجه صـ٣٠١.

(٢) رواه أحمد (٢٠٦٠٣)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الطب (٣٩٠٧)، والنسائي في الكبرى في التفسير (١١١٠٨)، وحسَّنه النووي في رياض الصالحين (١٦٧٩)، وصحَّحه السيوطي في الصغير (٥٧٤١)، وضعَّفه الألباني في غاية المرام (٣٠١)، عن قبيصة بن المخارق.

(٣) رواه ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١٩٦٢)، والطبراني (٢٢٨/٣)، وضعَّفه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٠٤٧)، والألباني في غاية المرام (٣٠٢)، عن حارثة بن النُّعمان. بلفظ: «**ثلاث لازمات لأمتي: الطيرة...**».

QaradawiBooks.com

عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «**الطِّيَرة شرك، الطيرة شرك، الطيرة شرك**». قال ابن مسعود: وما منَّا إلا، ولكنْ يُذهِبه الله بالتوكُّل[١].

يعني ابنُ مسعود: ما منا أحد إلا وقد وقع في قلبه شيء من ذلك، ولكن الله يُذهب ذلك عن قلب مَنْ يتوكَّل عليه، ولا يثبُت على ذلك الخاطر.

• حربٌ على تقاليد الجاهلية:

وكما شنَّ الإسلام حَمَلَاته على معتقدات الجاهلية وأوهامها، لما لها من خطر على العقل والخُلُق والسلوك، شنَّ غارات مثلها على تقاليد الجاهلية، التي كانت تقوم على العصبية والكبرياء والفخر وتمجيد القبيلة.

• لا عصبية في الإسلام:

وكان أول ما صنعه الإسلام في ذلك، أن أهال التراب على العصبية بكل صورها، وحَرَّم على المسلمين أن يُحيوا أي نزعة من نزعاتها، أو يدعو إليها، وأعلن النبي ﷺ براءته ممن يفعل ذلك قال: «**من قُتل تحت راية عِمِّيَّة، يغضب للعَصَبة، ويقاتل للعَصَبة فليس من أُمَّتي**»[٢]. وقال: «**مَنْ قُتل تحت راية عِمِّيَّة يدعو عصبيةً، أو ينصر عصبية، فَقِتْلة جاهلية**»[٣].

فلا امتياز للون معيَّن من البَشَرة، ولا لجنس خاصٍّ من الناس، ولا لرُقْعة من الأرض، ولا يَحل لمسلم أن يتعصَّب للون على لون، ولا لقوم على قوم، ولا لإقليم على إقليم.

---

(١) رواه أحمد (٣٦٨٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الطب (٣٩١٠)، والترمذي في السير (١٦١٤)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في الطب (٣٥٣٨)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٣٠٣).

(٢) رواه مسلم في الإمارة (١٨٤٨)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه مسلم في الإمارة (١٨٥٠)، عن جُنْدب بن عبد الله البَجَلي.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولا يحلُّ لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن ينتصر لقومه، لمجرد انتسابه إليهم، محقِّين كانوا أو مُبطِلين، مظلومين أو ظالمين.

عن واثلة بن الأسقع قال: قلتُ: يا رسول الله، ما العصبيَّة؟ قال: «**أن تعينَ قومُك على الظُّلْم**»[١]. والحديث وإن كان فيه بعض الضعف فإن معناه متَّفَق عليه، فإن إعانة القوم على الظلم من شرِّ الجاهلية ومن أسوأ ما يصيب المجتمعات.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ﴾ [المائدة: ٨].

وعدَّل النبي ﷺ مفهوم الكلمة، التي كانت شائعة في الجاهلية، ومأخوذة على ظاهرها: «**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**». ولما قالها ﷺ لأصحابه بعد أن رسخ في قلوبهم الإيمان مريدًا بها معنًى آخر عجبوا ودُهِشوا، وقالوا: يا رسول الله، هذا ننصره مظلومًا، فكيف ننصره ظالمًا؟ قال: «**تمنعه من الظلم، فذلك نصرٌ له**»[٢].

ومن هنا نعلم أن كل دعوة بين المسلمين إلى عصبية إقليمية، أو إلى عصبية عنصرية، إنما هي دعوة جاهلية، يبرأ منها الإسلام ورسوله وكتابه.

فالإسلام لا يعترف بأي ولاء لغير عقيدته، ولا بأي رابطة غير أُخُوَّته، ولا بأي فواصلَ تميز بين الناس غير الإيمان والكفر. فالكافر المعادي للإسلام عدوٌّ للمسلم، ولو كان جاره في وطنه، أو أحد بني قومِه، بل

(١) رواه أحمد (١٦٩٨٩)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن. وأبو داود في الأدب (٥١١٩)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٤٩)، وضعَّفه الألباني في غاية المرام (٣٠٥).

(٢) رواه البخاري في الإكراه (٦٩٥٢)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

ولو كان أخاه لأبيه وأمه. قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ﴾ [التوبة: ٢٣].

• لا اعتداد بالأنساب والألوان:

روى البخاري ومسلم، عن المَعرُور قال: لقيتُ أبا ذرٍّ بالرَّبَذَة وعليه حُلَّة وعلى غلامه حُلَّة، فسألته عن ذلك، فقال: إني سببتُ رجلًا فعيَّرتُه بأمه، فقال لي النبي ﷺ: «**يا أبا ذر، أعيَّرتَه بأمه، إنك امرؤ فيك جاهلية! إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمَن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلِّفوهم ما يغلبهم، فإن كلَّفتموهم فأعينوهم**»[(١)].

وعن أبي ذر، أن النبي ﷺ قال له: «**انظر، فإنك لستَ بخير من أحمرَ ولا أسودَ، إلا أن تفضُله بتقوى الله**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**الناس بنو آدم، وآدم خُلِقَ من تراب**»[(٣)].

وبهذا حرَّم الإسلام على المسلم أن يسير مع هوى الجاهلية في التفاخر بالأنساب والأحساب، والتعاظم بالآباء والأجداد، وقول بعضهم

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١)، كلاهما في الإيمان، عن أبي ذر.

(٢) رواه أحمد (٢١٤٠٧)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وحسَّنه السيوطي في الصغير (٢٧٤٠)، والألباني في غاية المرام (٣٠٨)، عن أبي ذر.

(٣) رواه أحمد (٨٧٣٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الأدب (٥١١٦)، والترمذي في المناقب (٣٩٥٥)، وقال: حديث حسن غريب. وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٣١٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

لبعض: أنا ابن فلان، وأنا من نسل كذا، وأنت من سلالة كذا، أنا من البِيض وأنت من السُّود، أنا عربي وأنت أعجمي!

وما قيمة الأنساب والسُّلَالات، إذا كان الناس جميعًا ينتمون إلى أصل واحد؟ ولو فرض أن للأنساب قيمة، فما فضل الإنسان أو ذَنْبه، إن وُلِد من هذا الأب أو ذاك؟

ويقول الرسول ﷺ: «**إن أنسابكم هذه ليست بِمَسَبَّة على أحد، كلكم بنو آدم، ليس لأحدٍ على أحدٍ فضل إلا بدين أو تقوى**»(١).

«**الناس لآدم وحواء... إن الله لا يسألكم عن أحسابكم، ولا أنسابكم يوم القيامة، إن أكرمكم عند الله أتقاكم**»(٢).

وصبَّ النبي ﷺ جامَ غضبه على المتفاخرين بالآباء والأجداد، في عبارات صارمة قارعة، فقال: «**لينتهينَّ أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا.. إنما هم فحم جهنم، أو ليكوننَّ أهون على الله من الجُعل يُدَهْدِه الخُرْء بأنفه، إن الله أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء، إنما هو مُؤمن تقيٌّ، وفاجر شقيٌّ، الناس بنو آدم، وآدم خلق من تراب**»(٣).

وفي هذا الحديث ذكرى للذين يعتزُّون بأجدادهم القدماء من الفراعنة والأكاسرة وغيرهم من عرب الجاهلية وعجمها، الذين ليسوا إلا فحْم جهنم، كما قال رسول الله ﷺ.

---

(١) رواه أحمد (١٧٤٤٦)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن. والبيهقي في شعب الإيمان (٥١٤٦)، وضعَّفه الألباني في غاية المرام (٣١٠)، وصحَّحه في مشكاة المصابيح (٤٩١٠)، عن عقبة بن عامر.

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات (٣٠/١)، والطبري في التفسير (٣١٣/٢٢)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٣١١)، عن عقبة بن عامر.

(٣) سبق تخريجه صـ٣٠٩، بلفظ: «**الناس بنو آدم، وآدم خُلِقَ من تراب**».
والجُعْل: دويبة أرضية. ويدهده: يُدَحْرج. والعُبِّيَّة: الكبر والفخر.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وفي حجة الوداع، حيث الآلاف يستمعون إلى رسول الإسلام، في أوسط أيام التشريق، في الشهر الحرام والبلد الحرام، ألقى النبي ﷺ خطبة الوداع، فكان من المبادئ التي أعلنها: «**يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى** ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]»[(١)].

• النياحة على الموتى:

ومن التقاليد التي حاربها الإسلام تقاليد الجاهلية في الموت، وما يتصل به من نياحة وعويل، وغلو في إظهار الحزن والجزع.

وقد علَّم الإسلام أتباعه أن الموت، إنما هو رحلة من دار إلى دار، فليس فناءً مطلقًا، ولا عدمًا صرفًا، وأن الجزع لا يُحيي ميتًا، ولا يرد قضاءً قضى الله به. فعلى المؤمن أن يتقبَّل الموت، كما يتقبل كل مصيبة تصيبه صابرًا محتسبًا، آخذًا العِبْرة، آملًا في لقاء أبدي في الدار الآخرة، مردِّدًا قول القرآن: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦].

أما صنيع أهل الجاهلية، فهو منكر حرام، برِئ منه رسول الله ﷺ حين قال: «**ليس منا من لطم الخدود، وشقَّ الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية**»[(٢)].

---

(١) رواه أحمد (٢٣٤٨٩)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح. وصحح إسناده ابن تيمية في اقتضاء الصراط (٤١٢/١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٦٢٢): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٣١٣)، عمن سمع خطبة النبي.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الجنائز (١٢٩٤)، ومسلم في الإيمان (١٠٣)، عن عبد الله بن مسعود.

QaradawiBooks.com

ولا يحل للمسلم أن يلبس من شـارات الحِداد، أو يترك التزين، أو يغير الزي والهيئة المعتادة؛ إظهارًا للجزع والحزن، إلا ما كان من زوجة على زوجها، فإنها يجب أن تُحِدَّ عليه أربعةَ أشـهُرٍ وعشـرًا، وفاءً لحق الزوجية، وللربـاط المقدَّس الذي جمع بينهمـا، حتى لا تكون معرضًا للزينة، ومتعلِّقًـا لأبصار الخُطَّاب في مدة العِدَّة، التي اعتبرها الإسـلام امتدادًا للزوجية السابقة في كثير من الحقوق، وسياجًا لها. إلا إذا كانت حاملًا، فعدَّتُها وضع الحمل.

أمـا إذا كان الميِّتُ غير الـزوج ـ كالأب والابـن والأخ ـ فلا يحلُّ للمرأة الحداد عليه أكثر من ثلاث ليال. روى البخاري ومسلم عن زينب بنت أبي سَلَمة، أنها روت عن أمِّ حبيبة زوج النبي ﷺ حين تُوُفِّي أبوها أبو سـفيان بن حرب، وعن زينب بنت جحش، حين توفي أخوها، وأن كلًّا منهما دعت بطيبٍ فمسَّـت منه، ثم قالـت: والله ما لي بالطيب من حاجة، غير أني سمعتُ رسـول الله ﷺ يقول: «**لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخـر أن تُحِدَّ على ميت فوق ثلاث ليـال، إلا على زوج: أربعة أشهر وعشرًا**»[1].

وهذا الإحداد على الزوج واجب، لا تسـاهُل فيه، ولقد جاءت امرأة إلى رسـول الله ﷺ فقالت: إن ابنتـي تُوفي عنها زوجها، وقد اشـتكت عينُها، أفنَكْحَلُها؟ فقال رسـول الله ﷺ: «**لا**». مرتيـن أو ثلاثًا، كل ذلك يقـول: «**لا**»[2]. وهو يدل علـى حرمة التزيـن والتجمُّل، طَـوَال المدة المفروضة.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٣٣٤)، ومسلم (١٤٨٦)، كلاهما في الطلاق، عن زينب بنت أم سلمة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٥٣٣٦)، ومسلم (١٤٨٨)، كلاهما في الطلاق، عن أم سلمة.

QaradawiBooks.com

وأما الحزن من غير جَزَع، والبكاء من غير عويل، فذلك من الأمور الفطرية التي لا إثم فيها. وسمع عمر بعض النسوة يبكين على خالد بن الوليد، فأراد بعض الرجال منعهن، فقال له: دعهن يبكين على أبي سليمان، ما لم يكن نَقْع أو لَقْلَقة[1].

والنَّقْع: التراب على الرأس، واللَّقْلقة: الصوت.

(١) ذكره البخاري معلَّقًا بصيغة الجزم في الجنائز قبل الحديث (١٢٩١)، ووصله عبد الرزاق (٦٦٨٥)، وابن أبي شيبة (١١٤٦٠)، والبيهقي (٧١/٤)، ثلاثتهم في الجنائز، وصحح إسناده النووي في خلاصة الأحكام (٣٧٧٨).

QaradawiBooks.com

٢

في المعاملات

خلق الله الناس على حالة يحتاج فيها بعضهم إلى بعض، فليس يملك كلُّ فرد كلَّ ما يُهِمُّه ويكفيه، بل يملك هذا بعض ما يستغني عنه، ويحتاج إلى بعض ما يستغني عنه الآخرون، فألهمهم الله أن يتبادلوا السِّلع والمنافع بالبيع والشراء، وسائر هذه المعاملات حتى تستقيم الحياة، ويسير دولابها بالخير والإنتاج.

وقد بُعث النبي ﷺ، وللعرب أنواع من البيع والشراء والمبادلات، فأقرهم على بعضٍ، مما لا يتنافى ومبادئ الشريعة التي جاء بها. ونهاهم عن البعض الآخر، مما لا يتفق وأهدافها وتوجيهاتها. وهذا النهي يدور على معانٍ منها: الإعانة على المعصية، والغرر، والاستغلال، والظلم لأحد المتعاقدين، ونحو ذلك.

(أ) بيع الأشياء المُحَرَّمة حرام:

فما جرت العادة بأن يُقتنَى لمعصية حظرها الإسلام، أو يكون الانتفاعُ المقصودُ به عند الناس نوعًا من المعصية، فبيعه والاتِّجار به حرام، كالخنزير والخمر والأطعمة والأشربة المحرمة بعامَّة، والأصنام والصلبان والتماثيل ونحوها، ذلك أن في إجازة بيعها والاتجار فيها تنويهًا بتلك المعاصي، وحملًا للناس عليها، أو تسهيلًا لهم في اتخاذها،

QaradawiBooks.com

وتقريبًا لهم منها. وفي تحريم بيعها واقتنائها إهمال لها، وإخمال لذكرها، وإبعاد للناس عن مباشرتها. ولذا قال ﷺ: «**إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام**»[١]. وقال ﷺ: «**إن الله إذا حرَّم شيئًا، حرَّم ثمنَه**»[٢].

(ب) بيع الغرر محظور:

وكل عقد للبيع فيه ثغْرةٌ للتنازع، بسبب جهالة في المبيع، أو غرر يؤدي إلى الخصومة بين الطرفين، أو غَبن أحدهما للآخر، فقد نهى عنه النبي ﷺ سدًّا للذريعة.

وفي هذا جاء النهي عن بيع ما في صُلْب الفحل، أو بطن الناقة، أو الطير في الهواء، أو السمك في الماء، وعن كل ما فيه غَرَر[٣] (أي جهالة وعدم تحديد للمعقود عليه).

ومن ذلك أن النبي ﷺ وجد الناس في زمنه يبيعون الثمار في الحقول أو الحدائق قبل أن يبدو صلاحها، وبعد تعاقدهم يحدث أن تصيبها آفة سماوية، فتهلك الثمار، ويختصم البائع والمشتري؛ يقول البائع: قد بعتُ وتمَّ البيع. ويقول المشتري: إنما بعتَ لي ثَمَرًا ولم أجذْه. فنهى النبي ﷺ عن بيع الثمار حتى يبدوَ صلاحها[٤]، إلا أن يشترط

(١) متفق عليه: رواه البخاري في البيوع (٢٢٣٦)، ومسلم في المساقاة (١٥٨١)، عن جابر بن عبد الله.

(٢) رواه أحمد (٢٦٧٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الإجارة (٣٤٨٨)، وابن حبان في البيوع (٤٩٣٨)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٣١٧)، عن ابن عباس.

(٣) رواه مسلم في البيوع (١٥١٣)، عن أبي هريرة.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٤٨٦)، ومسلم في البيوع (١٥٣٤)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

القطع في الحال، ونهى عن بيع السُّـنْبل حتى يبيَّـض ويأمن العاهة[١]، وقال: «**أرأيت إذا منع اللهُ الثمرة، بِمَ يستحل أحدكم مال أخيه؟**»[٢].

وليس كلُّ غَرَر ممنوعًا، فإن بعض ما يُباع لا يخلو من غرر، كالذي يشـتري دارًا مثلًا، لا يستطيع أن يَطَّلع على أساسـها وداخل حيطانها.. ولكنَّ الممنوع هو الغرر الفاحش، الذي يؤدي إلى الخصومة والنزاع، أو إلى أكل أموال الناس بالباطل.

فإذا كان الغرر يسـيرًا ـ ومردُّ ذلك إلى العـرف ـ لم يحرم البيع، وذلك كبيع المغيَّبات في الأرض، كالجزر والفجل والبصل ونحوها، وكبيع المَقَاثي ـ مزارع القثاء والبطيخ ونحوها ـ كما هو مذهب مالك الذي يجيز بيع كل ما تدعو إليه الحاجـة، ويقلُّ غرره بحيث يحتمل في العقود[٣].

(ج) منع التلاعب بالأسعار:

والإسلام يحب أن يطلق الحرية للسُّـوق، ويتركها للقوانين الطبيعية تؤدي فيهـا دورها، وفقًـا للعَـرْض والطلب. ومن أجل ذلـك نرى أن الرسول ﷺ حين غلا السعر في عهده، قالوا: يا رسول الله، سَعِّر لنا، قال: «**إن الله هو المُسَـعِّر، القابض الباسـط الرازق، وإني لأرجو أن ألقى الله وليس أحدٌ منكم يطالبني بمظلمة، في دم ولا مال**»[٤].

---

(١) رواه مسلم في البيوع (١٥٣٥)، عن ابن عمر.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في البيوع (٢١٩٨)، ومسلم في المساقاة (١٥٥٥)، عن أنس.

(٣) قال ابن تيمية: (أصول مالك في البيع أجود من أصول غيره، فإنه أخذ ذلك عن سـعيد بن المسـيب، الذي كان يقال: هو أفقه الناس في البيوع). وقريـب منه مذهب أحمد. القواعد النورانية صـ ١٧٢، ١٧٣.

(٤) رواه أحمد (١٤٠٥٧)، وقال مخرجوه: إسـناده صحيح على شرط مسلم، وأبو داود (٣٤٥١)، =

QaradawiBooks.com

ونبي الإسلام يعلن بهذا الحديث أن التدخل في حرية الأفراد بدون ضرورة مظلمةٌ يجب أن يلقى الله بريئًا من تبعتها.

ولكنْ إذا تدخلتْ في السوق عواملُ غير طبيعية، كاحتكار بعض التجار وتلاعبهم بالأسعار، فمصلحة المجموع هنا مقدَّمة على حرية بعض الأفراد، فيباح التسعير استجابة لضرورة المجتمع أو حاجته، ووقاية له من المستغلِّين الجشعين، معاملة لهم بنقيض مقصودهم، كما تُقرِّر القواعد والأصول.

فليس معنى الحديث السابق حظْر كل تسعير، ولو كان من ورائه رفع ضرر أو منْع ظُلم فاحش، بل قرَّر المحقِّقون من العلماء ـ وفي طليعتهم شيخ الإسلام ابن تيمية ـ أن التسعير منه ما هو ظُلم محرَّم، ومنه ما هو عدل جائز.

قال: إذا تضمَّن ظلم الناس وإكراههم بغير حق على البيع بثمنٍ لا يرضونه، أو منعهم مما أباح الله لهم، فهو حرام.

وإذا تضمَّن العدل بين الناس، مثل إكراههم على ما يجب عليهم من المعاوضة بثمن المثل، ومنعهم مما يحرم عليهم من أخذ الزيادة على عوض المثل، فهو جائز، بل واجب.

وفي القسم الأول جاء الحديث المذكور، فإذا كان الناس يبيعون سلعهم على الوجه المعروف من غير ظلم منهم، وقد ارتفع السعر، إما لقلة الشيء أو لكثرة الخلق (إشارة إلى قانون العرض والطلب) فهذا إلى الله، فإلزام الناس أن يبيعوا بقيمة بعينها إكراه بغير حق.

أما الثاني، فمثل أن يمتنع أرباب السلع من بيعها ـ مع ضرورة الناس إليها ـ إلا بزيادة على القيمة المعروفة، فهنا يجب عليهم بيعها بقيمة

= والترمذي (١٣١٤)، كلاهما في البيوع، وابن ماجه في التجارات (٢٢٠٠)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٣٢٣)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

المثل، ولا معنى للتسعير إلا إلزامهم بقيمة المثل، والتسعير هنا إلزام بالعدل الذي ألزمهم الله به[١].

غير مرخصة للطباعة

• **المحتكر ملعون:**

ورغم أن الإسلام يكفل الحرية للأفراد في البيع والشراء، والتنافس الفطري، فإنه ينكر أشدَّ الإنكار أن تدفع بعضَ الناس أنانيتُهم الفردية وطمعُهم الشخصي إلى التضخم المالي، على حساب غيرهم، والإثراء ولو من أقوات الشعب وضرورياته.

ومن أجل ذلك رُوي النهي عن الاحتكار بعبارات شديدة زاجرة: «**مَن احتكر الطعام أربعين ليلة، فقد برئ من الله، وبرئ الله منه**»[٢].

وقال ﷺ: «**لا يحتكر إلا خاطئ**»[٣].

وهذا الحديث هو العمدة في تحريم الاحتكار، وليست كلمة خاطئ هذه كلمة هيِّنة، إنها الكلمة التي دمغ بها القرآن الجبابرة العتاة: فرعون وهامان وجنودهما، فقال: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ [القصص: ٨].

---

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧٦/٢٨)، والطرق الحكمية لابن القيم (٦٣٩/٢)، تحقيق نايف بن أحمد الحمد، نشر دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٨هـ.

(٢) رواه أحمد (٤٨٨٠)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. وأبو يعلى (٥٧٤٦)، والحاكم في البيوع (١١/٢)، وذكره ضمن عدة أحاديث، وقال: هذه الأحاديث الستة طلبتها وخرجتها في موضعها من هذا الكتاب، احتسابًا لما فيه الناس من الضيق، والله يكشفها، وإن لم يكن من شرط هذا الكتاب. وقال الذهبي: عمرو بن الحصين العقيلي تركوه، وأصبع بن زيد الجهني فيه لين، وضعفه الألباني في غاية المرام (٣٢٤)، عن ابن عمر.

(٣) رواه مسلم في المساقاة (١٦٠٥)، عن معمر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

وتظهر نفسية المحتكِر وأنانيته البشعة فيما يُروى: «**بئس العبد المحتكر، إن سمع برخص ساءه، وإن سمع بغلاء فرح**»[١].

وروى ابن ماجه والدارمي مرفوعًا: «**الجالب مرزوق، والمحتكر ملعون**»[٢]. وذلك لأن انتفاع التاجر يكون بأحد وجهين: أن يخزن السلعة ليبيعها بثمن غالٍ، عندما يبحث الناس عنها فلا يجدونها، فيأتي المحتاج الشديد الحاجة، فيبذل فيها ما يُطلب منه، وإن فحش وجاوز الحد، «وهذا هو الاحتكار».

والوجه الآخر: أن يجلب السلعة، فيبيعها بربح يسير، ثم يأتي بتجارة أخرى عن قريب فيربح، ثم يجلب أخرى ويربح قليلًا.. وهكذا، وهذا الانتفاع أوفق بالمصلحة المدنية، وأكثر بركة، وصاحبه مرزوق كما بشَّره الحديث المذكور.

ومما ورد في شأن الاحتكار والتلاعب بالأسعار ما رواه مَعْقِل بن يسار حين أثقله المرض، فأتاه عُبَيد الله بن زياد «الوالي الأموي» يعوده، فقال له: هل تعلم يا معقل أني سفكتُ دمًا حرامًا؟ قال: لا أعلم. قال: هل علمتَ أني دخلتُ في شيء من أسعار المسلمين؟ قال: ما علمتُ. ثم

(١) رواه الطبراني (٩٥/٢٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٧٠٢)، قال المنذري في الترغيب (٢٧٣٩): رواه الطبراني وغيره بإسناد واه. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٤٨٠): فيه سليمان بن سلمة الخبائري، وهو متروك، وضعفه الألباني في غاية المرام (٣٢٦)، عن معاذ بن جبل. وهذا الحديث لا يؤخذ منه حكم، ولكنه يُنبئ عن نفسية المحتكر.

(٢) رواه ابن ماجه في التجارات (٢١٥٣)، وعبد بن حميد (٣٣)، والدارمي في البيوع (٢٥٨٦)، والبيهقي في البيوع (٣٠/٦)، وقال: تفرد به علي بن سالم عن علي بن زيد قال البخاري: لا يتابع في حديثه. وضعف إسناده ابن حجر في التلخيص الحبير (١١٥٦)، وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه (٤٧١)، وحسنه ابن كثير في مسند الفاروق (٣٤٨/١)، عن عمر.

QaradawiBooks.com

قال معقل: أجلسوني. فأجلسوه ثم قال: اسمع يا عبيد الله حتى أحدثك شيئًا، ما سمعته من رسول الله ﷺ مرَّة ولا مرتين؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من دخل في شيء من أسعار المسلمين ليُغْليه عليهم، كان حقًّا على الله تبارك وتعالى أن يُقعده بِعُظْم من النار يوم القيامة**». قال: أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: غير مرَّة ولا مرتين[1].

ومن نصوص هذه الأحاديث وفحواها استنبط العلماء أن تحريم الاحتكار مشروط بأمرين:

أولهما: أن يكون ذلك في بلد يضر الاحتكار بأهله في ذلك الوقت.

وثانيهما: أن يكون قصده بذلك إغلاء الأسعار على الناس ليضاعف ربحه هو.

- **التدخل المُفْتَعَل في حرية السوق:**

ومما يلحق بالاحتكار ما نهى عنه النبي ﷺ، من بيع الحاضر للبادي (الحاضر: هو ساكن المدينة، والبادي: هو ساكن البادية) وصورة هذا كما قال العلماء أن يَقْدَم غريب بمتاع تعمُّ الحاجة إليه، ليبيعه بسعر يومه، فيأتيه ابن المدينة، فيقول له: خلِّ متاعك عندي، حتى أبيعه لك على المُهلة بثمن غالٍ، ولو باع البادي بنفسه لأرخص، ونفع أهل السوق، وانتفع هو أيضًا.

(١) رواه أحمد (٢٠٣١٣)، وقال مخرجوه: إسناده جيد. والطبراني (٢١٠/٢٠)، والحاكم في البيوع (١٢/٢)، وذكره ضمن عدة أحاديث، وقال: هذه الأحاديث الستة طلبتها وخرجتها في موضعها من هذا الكتاب احتسابًا لما فيه الناس من الضيق والله يكشفها وإن لم يكن من شرط هذا الكتاب، وقال الذهبي: زيد أبو المعلي لا أعرفه، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٢٧٤٢): زيد بن مرة فإني لا أعرفه ولم أقف له على ترجمة، باقي رواته كلهم ثقات معروفون غيره، وضعَّفه الألباني في غاية المرام (٣٢٨).

QaradawiBooks.com

وكانت هذه صورة كثيرة الشيوع في مجتمعهم إذ ذاك، قال أنس: نُهينا أن يبيع حاضر لبادٍ، ولو كان أخاه وأباه[١]. وبذلك تعَلَّموا أن المصلحة العامة فوق الروابط الخاصَّة.

وقال ﷺ: «**لا يبيعُ حاضر لبادٍ، دعوا الناس يرزق الله بعضَهم من بعض**»[٢].

وهذه الكلمة النبوية الموجزة: «دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض» تضع مبدأ هامًّا في الميدان التجاري؛ أن تُترك السوق وأسعارها ومبادلاتها للتنافس الفطري والعوامل الطبيعية، دون تدخل مفتعَل من بعض الأفراد.

وقد سُئل ابن عباس عن معنى: «لا يبيعُ حاضرٌ لبادٍ» فقال: لا يكون له سِمْسارًا[٣]. ومعنى هذا أنه إذا دلَّه على السعر ونصح له وعرَّفه بأحوال السوق من غير أن يأخذ أجرًا، كشأن السماسرة، فهذا لا بأس به؛ لأنه ينصحه لله، والنصيحة جزء من الدين؛ بل هي الدين كله كما في الحديث الصحيح: «**الدين النصيحة**»[٤]. وفي الحديث الآخر: «**إذا استنصح أحدكم أخاه فلينصح له**»[٥].

أما السمسار، فالغالب أن حرصه على أجره، قد يُنسيه رعاية المصلحة العامَّة في مثل هذه المعاملة.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢١٦١)، ومسلم (١٥٢٣)، كلاهما في البيوع.

(٢) رواه مسلم في البيوع (١٥٢٢)، عن جابر.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢١٦٣)، ومسلم (١٥٢١)، كلاهما في البيوع.

(٤) رواه مسلم في الإيمان (٥٥)، وأحمد (١٦٩٤٠)، عن تميم الداري.

(٥) ذكره البخاري تعليقًا بصيغة جزم من غير بيان راويه قبل الحديث (٢١٥٧)، ورواه أحمد (١٥٤٥٥)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره، والطبراني (٣٥٤/٢٢)، وحسَّن إسناده الحافظ ابن حجر في التلخيص الحبير (٣٢١/٣). وحسَّنه الألباني في غاية المرام (٣٣٣)، عن ابن أبي يزيد.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

• **السمسرة حلال:**

وأما السمسرةُ في غير هذا الموطن، فلا حرج فيها؛ لأنها نوع من الدلالة والتوسط بين البائع والمشتري، وكثيرًا ما تُسهل لهما أو لأحدهما كثيرًا من السلع والمنافع.

وقد أصبحت «الوساطة» التجارية في عصرنا ألزم من أي وقت مضى، لتعقُّد المعاملات التجارية، ما بين استيراد وتصدير، وتجار جملة وتجار تجزئة، وأصبح السماسرة يؤدون دورًا مُهمًّا.

ولا بأس أن يأخذ السمسار أجره نقودًا معيَّنة، أو عمولة بنسبة معينة من الربح، أو ما يتفقون عليه.

قال البخاري في صحيحه: لم يرَ ابنُ سيرين وعطاء وإبراهيم والحسن بأجر السمسار بأسًا. وقال ابن عباس: لا بأس بأن يقول: بِعْ هذا الثوب، فما زاد على كذا وكذا فهو لك[1]. وقال ابن سيرين: إذا قال: بِعه بكذا، فما كان من ربح، فهو لك، أو بيني وبينك؛ فلا بأس به[2]. وقال النبي ﷺ: «**المسلمون عند شروطهم**»[3]. وهذا كله مشروط بأمرين:

---

(١) ذكره البخاري تعليقًا بصيغة الجزم، في كتاب الإجارة قبل الحديث (٢٢٧٤).

(٢) ذكره البخاري معلَّقًا بصيغة الجزم قبل الحديث (٢٢٧٤). ووصله ابن أبي شيبة في البيوع والأقضية (٢٠٧٧٧).

(٣) علقه البخاري بصيغة الجزم قبل الحديث (٢٢٧٤)، ووصله الترمذي في الأحكام (١٣٥٢)، وقال: حسن صحيح. وقال ابن الملقن في خلاصة البدر المنير (١٥٨٨) بعد أن ذكر تصحيح الترمذي: واهٍ بمرة؛ بسبب كثير (ابن عبد الله). وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٤٥١/٤): وكثير بن عبد الله، ضعيف عند الأكثر، لكن البخاري ومن تبعه كالترمذي وابن خزيمة يقوون أمره، وقال في بلوغ المرام (٨٧٦) بعد أن ذكر كلام الترمذي: وأنكروا عليه... وكأنه اعتبره بكثرة طرقه. وصححه الألباني في غاية المرام (٣٣٤)، عن عمرو بن عوف المزني.

QaradawiBooks.com

١ ـ ألَّا يَخدع أحد المتعاقدين لحساب الآخر، أو لحسابِ نفسه.

٢ ـ أن يأخذ من الأجر ما يكافئ جهده، دون غَبن أو استغلال لحاجة الناس أو طِيبَتهم.

غير مرخصة للطباعة

- **الاستغلال والخداع التجاري حرام:**

ولمنع التدخل المفتعَل أيضًا نهى النبي ﷺ عن النَّجَش[١].

والنجش كما فسره مالك: أن تُعطي في السلعة أكثرَ من ثمنها، وليس في نفسِك اشتراء، ليقتدي بك غيرُك[٢]. وكثيرًا ما يكون عن اتفاقٍ لخداع الآخرين.

ولكي تكون المعاملة بعيدة عن كل صورة للاستغلال التجاري، وتلبيس الأسعار: نهى النبي ﷺ عن تلقِّي السِّلع حتى تبلغ الأسواق[٣]. ففي ذلك وقف للسلعة عن مجالها الحيوي الذي يتمثَّل فيه السعر المناسب لها، حسب العرض والطلب الحقيقيين، وقد يُغْبَن صاحب السلعة إذا لم يكن لديه علم بالسعر في السوق، ولذلك جعل له النبي ﷺ الخيار إذا ورد السوق[٤].

من غشَّنا فليس منا:

والإسلام يُحرِّم الغشَّ والخداع بكل صورة من الصور، في كل بيع وشراء، وفي سائر أنواع المعاملات الإنسانية. والمسلم مطالب بالتزام الصدق في كل شؤونه، والنصيحة في الدِّين أغلى من كل كَسْب دنيوي.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢١٤٢)، ومسلم (١٥١٦)، كلاهما في البيوع، عن ابن عمر.

(٢) الموطأ (٩٨٧/٤) تحقيق الأعظمي.

(٣) رواه مسلم في البيوع (١٥١٧)، عن ابن عمر.

(٤) رواه مسلم في البيوع (١٥١٩)، وأحمد (٩٢٣٦)، عن أبي هريرة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قال ﷺ: «**البيِّعان بالخيار ما لم يتفرَّقا، فإن صدقا وبيَّنا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما مُحقَتْ بركة بيعهما**»(١).

وقال: «**لا يحل لأحد يبيع بيعًا إلا بيَّن ما فيه، ولا يحل لمن يعلم ذلك إلا بيَّنه**»(٢).

ومَرَّ رسول الله ﷺ برجلٍ يبيع طعامًا (حبوبًا) فأدخل يده فيه، فرأى بللًا فقال: «**ما هذا يا صاحبُ الطعام؟**». قال: أصابته السماء. أي المطر. فقال ﷺ: «**أفلا جعلتَه فوق الطعام حتى يراه الناس، من غش فليس مِنِّي**»(٣).

وفي رواية: أنه مر بطعام وقد حَسَّنه صاحبه، فوضع يده فيه، فإذا طعام رديء فقال: «**بعْ هذا على حِدَة، وهذا على حِدَة، من غَشَّنا فليس مِنَّا**»(٤).

وكذلك كان سلف المسلمين يفعلون، يبيِّنون ما في المَبِيع من عَيْب ولا يكتمون، ويصدقون ولا يكذبون، وينصحون ولا يغُشُّون.

باع ابن سيرين شاةً، فقال للمشتري: أبرأُ إليك من عيب فيها، إنها تقلب العلف برجلها.

وباع الحسن بن صالح جاريةً، فقال للمشتري: إنها تنخَّمت مرَّةً عندنا دمًا(٥).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢١١٠)، ومسلم (١٥٣٢)، كلاهما في البيوع، عن حَكِيم ابن حزام.

(٢) رواه أحمد (١٦٠١٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والطبراني (٩١/٢٢)، والحاكم في البيوع (٩/٢)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وأقرَّه البيهقي في الخلافيات كما ذكر ابن الملقِّن في البدر المنير (٥٤٦/٦)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٣٣٩)، عن واثلة بن الأسقع.

(٣) رواه مسلم في الإيمان (١٠٢)، عن أبي هريرة.

(٤) رواه أحمد (٥١١٣)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. والطبراني في الأوسط (٢٤٩٠)، وحسَّنه الألباني في غاية المرام (٣٤١)، عن ابن عمر.

(٥) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣٢٩/٧).

QaradawiBooks.com

مرة واحدة، ومع هذا يأبى ضميرُه المؤمن إلا أن يذكرها له، وإن نقص الثمن.

غير مرخصة للطباعة

• **كثرة الحَلِف:**

وتشتدُّ الحرمة إذا أيَّد غِشَّه بيمين كاذبة. وقد نهى النبي ﷺ التُّجَّار عن كثرة الحَلِف عامَّة، وعن الحَلِف الكاذب خاصَّة. وقال: «**الحلف مَنْفَقة للسلعة، مَمْحَقة للبركة**»[1]. وإنما كره إكثار الحَلِف في البيع؛ لأنه مظِنَّةٌ لتغرير المتعاملين أولًا، وسبب لزوال تعظيم اسم الله من القلب ثانيًا.

• **تطفيف الكيل والميزان:**

ومن ألوان الغش تطفيف المكيال والميزان. وقد اهتمَّ القرآن بهذا الجانب من المعاملة، وجعله من وصاياه العشر في آخر سورة الأنعام: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ١ ـ ٦].

وعلى المسلم أن يتحرَّى العدل في ذلك ما استطاع، فإن العدل الحقيقي قَلَّما يُتَصور، ومن هنا قال القرآن عقب الأمر بالإيفاء: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: ١٥٢].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في البيوع (٢٠٨٧)، ومسلم في المساقاة (١٦٠٦)، عن أبي هريرة.

نسخة مصورة
QaradawiBooks.com

وقد قص القرآن علينا نبأ قوم جاروا في معاملاتهم، وانحرفوا عن القسط في الكيل والوزن، وبخسوا الناس أشياءهم، فأرسل الله إليهم رسولًا يردهم إلى صراط العدل والإصلاح، كما يردهم إلى التوحيد.

أولئك هم قوم شعيب ومعهم أصحاب الأيكة الذين صاح فيهم داعيًا ومنذرًا: ﴿أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ۞ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۞ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الشعراء: ١٨١ ـ ١٨٣].

وهذه المعاملة مثال لما يجب أن يكون عليه المسلم، في حياته وعلاقاته ومعاملاته كلها، فلا يجوز له أن يكيل بكَيْلين أو يزن بمِيزَانَيْن: ميزان شخصي، وميزان عام، ميزان له ولمن يحب، وميزان للناس عامة؛ ففي حق نفسه ومن يتبعه يستوفي ويتزيد، وفي حق الآخرين يخسر وينتقص.

• شراء المنهوب والمسروق مشاركة للنَّاهب والسَّارق:

ومن الصور التي حرَّمها الإسلام ليحارب بها الجريمة، ويحاصر المجرم في أضيق دائرة: أنه لم يحل للمسلم أن يشتري شيئًا، يعلم أنه مغصوب أو مسروق أو مأخوذ من صاحبه بغير حق؛ لأنه إذا فعل يعين الغاصب أو السارق أو المعتدي، على غصبه وسرقته وعدوانه. فقد ورد: «**من اشترى سرقة** (أي مسروقًا) **وهو يعلم أنها سرقة، فقد اشترك في إثمها وعارها**»[(١)]. والتضييق في شراء المسروق والمنهوب يقلِّل من السرقة والنهب.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في البيوع والأقضية (٢٢٤٩٥)، عن رجل من أصحاب النبي. والحاكم (٣٥/٢)، والبيهقي (١١١٤٢)، كلاهما في البيوع، عن أبي هريرة، وقال الدارقطني في العلل (٢١٠٤): المرسل أشبه بالصواب. وقال المنذري في الترغيب (٢٦٦٧): يشبه أن يكون موقوفًا. وصحَّحه السيوطي في الصغير (٨٤٤٣)، وضعَّفه الألباني في غاية المرام (٣٤٣) والعمدة هنا هو الموقوف أو المرسل.

QaradawiBooks.com

ولا يدفع الإثم عنه طول أمد المسروق والمنهوب، فإن طول الزمن في شـريعة الإسـلام: لا يجعل الحرام حلالًا، ولا يسـقط حق المالك الأصلي بالتقادُم، كما تُقرر ذلك بعض القوانين الوضعية.

• **تحريم الربا:**

أباح الإسـلام اسـتثمار المال عن طريق التجارة. قـال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡ ﴾ [النساء: ٢٩].

وأثنى على الضاربين في الأرض للتجارة فقال: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾ [المزمل: ٢٠].

ولكن الإسلام سـدَّ الطريق على كل مَن يحاول اسـتثمار ماله عن طريق الرِّبا، فحرَّم قليله وكثيره، وشـنَّع على اليهود إذ أخذوا الرِّبا وقد نُهوا عنه. وكان من أواخر ما نزل من القرآن، قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩].

وأعلن الرسول ﷺ حربه على الربا والمرابين، وبين خطره على المجتمع فقال: «**إذا ظهر الربا والزِّنى في قرية فقد أحلُّوا بأنفسهم عذاب الله**»[(١)].

ولم يكن الإسـلام في ذلك بدعًا في الأديان السماوية، ففي الديانة اليهودية جاء في العهد القديم: «إذا افتقر أخـوك فاحمله، لا تطلب منه

(١) رواه الطبراني (١٧٨/١)، والحاكم في البيوع (٣٧/٢)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وقال ابن حجر في الفتح (١٩٣/١٠): في سنده مقال، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

ربحًا ولا منفعة»[١]. وفي النصرانية جاء في إنجيل لوقا: «افعلوا الخيرات، وأقرضوا غيرَ منتظرِين عائدتها، وإذن يكون ثوابكم جزيلًا»[٢].

وإن كان الذي يؤسف له أن يد التحريف قد وصلت إلى العهد القديم، فجعلت مفهوم كلمة «أخوك» السالفة خاصًّا باليهودي. وجاء في سفر تثنية الاشتراع: «للأجنبي تُقرِض بربًا، ولكن لأخيك لا تُقرِض بربًا»[٣]. فجعلت الأخوَّة عنصرية.

• **حِكَم تحريم الربا:**

والإسلام حين شدَّد في أمر الرِّبا وأكَّد حرمته، إنما راعى مصلحة البشرية في أخلاقها واجتماعها واقتصادها.

وقد ذكر علماء الإسلام في حكمة تحريم الربا وجُوهًا معقولة، كشفت الدراسات الحديثة وجاهتها وأكَّدتها وزادت عليها.

ونكتفي بما ذكره الإمام الرازي في تفسيره:

أولًا: أن الربا يقتضي أخذ مال الإنسان من غير عِوَض؛ لأن من يبيع الدرهم بدرهمين يحصل له زيادة درهم من غير عِوَض، ومال الإنسان متعلَّق حاجتِه، وله حرمة عظيمة، كما في الحديث: «**حرمة مال المسلم كحرمة دمه**»[٤]. فوجب أن يكون أخذ ماله من غير عِوَض محرَّمًا.

ثانيًا: أن الاعتماد على الربا يمنع الناس عن الاشتغال بالمكاسب،

(١) سفر الخروج (٢٢/٢٤).

(٢) إنجيل لوقا (٦: ٢٤، ٢٥).

(٣) سفر التثنية (١٩/٢٣).

(٤) رواه أحمد (٤٢٦٢)، وقال مخرِّجوه: صحيح. والطبراني (١٥٩/١٠)، والدارقطني في البيوع (٢٨٨٨)، وحسَّنه الألباني في غاية المرام (٣٤٥)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

وذلك لأن صاحب الدرهم إذا تمكَّن بواسطة عقد الربا من تحصيل الدرهم الزائد، نقدًا كان أو نسيئة، خفَّ عليه اكتساب وجه المعيشة، فلا يكاد يتحمَّل مشقة الكسب والتجارة والصناعات الشاقَّة، وذلك يُفضي إلى انقطاع منافع الخلق. ومن المعلوم أن مصالح العالم لا تنتظم، إلا بالتجَّارات والحِرَف والصناعات والعمارات.

(ولا شك أن هذه الحكمة مقبولة من الوجهة الاقتصادية)

ثالثًا: أنه يفضي إلى انقطاع المعروف بين الناس من القرض؛ لأن الربا إذا حُرِّم طابت النفوس بقرض الدرهم واسترجاع مثله، ولو حلَّ الربا لكانت حاجة المحتاج تحمله على أخذ الدرهم بدرهمين، فيُفضي ذلك إلى انقطاع المواساة والمعروف والإحسان.

(وهذا تعليل مُسَلَّم من الجانب الأخلاقي).

رابعًا: أن الغالب أن المُقْرِض يكون غنيًّا، والمستقرض يكون فقيرًا، فالقول بتجويز عقد الربا تمكين للغنيِّ من أن يأخذ من الفقير الضعيف مالًا زائدًا، وذلك غير جائز برحمة الرحيم[1] اهـ.

(وهذه نظرة إلى الجانب الاجتماعي).

ومعنى هذا أن الرِّبا فيه اعتصار الضعيف لمصلحة القوي، ونتيجته أن يزداد الغني غِنًى والفقير فقرًا. مما يُفضي إلى تضخم طبقة من المجتمع على حساب طبقة أو طبقات أخرى، مما يخلق الأحقاد والضغائن، ويؤرِّث نار الصراع بين المجتمع بعضه مع بعض، ويؤدي إلى الثورات المتطرفة والمبادئ الهدَّامة. كما أثبت التاريخ القريب خطر الرِّبا والمرابين، على السياسة والحكم، والأمن المحلِّي والدولي جميعًا.

(١) تفسير الفخر الرازي (٧٤/٧).

QaradawiBooks.com

• مُؤْكل الرِّبا وكاتبه:

آكل الرِّبا هو الدائن صاحب المال، الذي يُعطيه للمستدين، فيسترده بفائدة تزيد على أصله. وهذا ملعون عند الله وعند الناس بلا ريب، ولكن الإسلام ـ على سُنَّته في التحريم ـ لم يقصر الجريمة على آكل الربا وحده، بل أشرك معه في الإثم مُؤْكل الربا، أي المستدين الذي يعطي الفائدة، وكاتب عقد الرِّبا وشاهديه.

وفي الحديث: «**لعن الله آكل الربا ومؤكله وشاهديه وكاتبه**»[1].

وإذا كانت هناك ضرورة مُلِحَّة اقتضت معطي الفائدة أن يلجأ إلى هذا الأمر، فإن الإثم في هذه الحال يكون على آخذ الربا (الفائدة) وحده.

١ ـ وهذا بشرط أن تكون هناك ضرورة حقيقية، لا مجرد توسع في الحاجيَّات أو الكماليَّات. فالضرورة ما لا يمكنه الاستغناء عنه، إلا إذا تعرَّض للهلاك، كالقُوت والملبس الواقي، والعلاج الذي لا بد منه.

٢ ـ ثم أن يكون هذا الترخيص بقدر ما يفي بالحاجة، دون أي تَزَيُّد، فمتى كان يكفيه تسعة جنيهات مثلًا، فلا يحل له أن يستقرض عشرة.

٣ ـ ومن ناحية أخرى، عليه أن يستنفد كل طريقة للخروج من مأزقه المادي، وعلى إخوانه المسلمين أن يعينوه على ذلك، فإن لم يجد وسيلة إلا هذا، فأقدم عليه، غير باغٍ ولا عادٍ فإن الله غفور رحيم.

٤ ـ وأن يفعل ذلك إن فعله، وهو له كاره، وعليه ساخط، حتى يجعل الله له مخرجًا.

---

(١) رواه مسلم في المساقاة (١٥٩٨)، وأحمد (١٤٢٦٣)، عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

• الرسول يستعيذ بالله من الدَّيْن:

ومما ينبغي للمسلم أن يعرفه من أحكام دينه أنه يأمره بالاعتدال في حياته، والاقتصاد في معيشته: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]. ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۞ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧].

وحين طلب القرآن من المؤمنين أن ينفقوا، لم يطلب إليهم إلا إنفاق بعض ما رزقوا، لا كله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]. ومن أنفق بعض ما يكتسب فقلما يفتقر، ومن شأن هذا التوسُّط والاعتدال، ألا يحوج المسلم إلى الاستدانة، وخصوصًا أن النبي ﷺ كرهها للمسلم، فإن الدَّين في نظر الرجل الحر هَمٌّ بالليل ومذلة بالنهار، وكان النبي ﷺ يستعيذ بالله منه ويقول: «**اللهم إني أعوذ بك من غَلَبَة الدَّيْن**»[(١)]. وقال: «**أعوذ بالله من الكفر والدَّيْن**». فقال رجل: أيُعْدَل الدَّيْنُ بالكفر يا رسول الله؟ فقال: «**نعم**»[(٢)].

وكان يقول في صلاته: «**اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم** (الدَّين)». فقيل له: ما أكثرَ ما تستعيذ من المغرم يا رسول الله! فقال: «**إن الرجل إذا غَرِمَ** (استدان) **حدَّث فكذَّب، ووعد فأخلف**»[(٣)].

فبيَّن ما في الاستدانة من خطر على الأخلاق نفسها.

---

(١) رواه أحمد (٦٦١٨)، وقال مخرجوه: إسناده ضعيف. والنسائي في الاستعاذة (٥٤٧٥)، والحاكم في الدعاء (٥٣١/١)، وصححه على شرط مسلم، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٩٦)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه أحمد (١١٣٣٣)، وقال مخرجوه: إسناده ضعيف. والنسائي في الاستعاذة (٥٤٧٣)، وابن حبان في الرقائق (١٠٢٥)، والحاكم في الدعاء (٥٣٢/١)، وصحح إسناده، وضعفه الألباني في غاية المرام (٣٤٨)، عن أبي سعيد الخدري.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٨٣٢)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٥٨٩)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

وكان لا يُصلِّي على الميت إذا عرف أنه مات، وعليه ديون لم يترك وفاءها، تخويفًا للناس من هذه العاقبة، حتى أفاء الله عليه من الغنائم والأنفال، فكان يقوم هو بسدادها ويقول: «**أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن تُوُفِّي من المؤمنين فترك دينًا فعليَّ قضاؤه، ومن ترك مالًا فلورثته**»(١).

وقال: «**يُغفر للشهيد كل ذَنْبٍ إلا الدَّيْن**»(٢).

وفي ضوء هذه التوجيهات لا يلجأ المسلم إلى الدَّيْن إلا للحاجة الشديدة، وهو حين يلجأ إليه، لا تفارقه نية الوفاء أبدًا.

وفي الحديث: «**من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذ أموال الناس يريد إتلافها أتلفه الله**»(٣).

فإذا كان المسلم لا يلجأ إلى الدَّين المباح (أي بغير فائدة) إلا نزولًا على حكم الضرورة وضغط الحاجة، فكيف إذا كان هذا الدين مشروطًا بالفوائد الربوية؟!

- **البيع لأجلٍ مع زيادة الثمن:**

ومما يحسن ذكره هنا أنه يجوز للمسلم أن يشتري ويدفع ثمن الشراء نقدًا، كما يجوز له أن يؤخره إلى أجلٍ بالتراضي، وقد اشترى النبي ﷺ طعامًا من يهودي ورهنه درعًا من حديد»(٤).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في النفقات (٥٣٧١)، ومسلم في الفرائض (١٦١٩)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في الإمارة (١٨٨٦)، وأحمد (٧٠٥١)، عن عبد الله بن عمرو.

(٣) رواه البخاري في الاستقراض وأداء الديون (٢٣٨٧)، عن أبي هريرة.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في البيوع (٢٠٦٨)، ومسلم في المساقاة (١٦٠٣)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

فإذا زاد البائع في الثمن من أجل التأجيل، كما يفعله معظم التُّجار الذي يبيعون بالتقسيط، فمن الفقهاء من حرَّم هذا النوع من البيع؛ مستندًا إلى أنه زيادة في المال في مقابل الزمن، فأشبه الربا.

وأجازه جمهور العلماء؛ لأن الأصل الإباحة، ولم يرد نص بتحريم، وليس مشابهًا للربا من جميع الوجوه، وللبائع أن يزيد في الثمن لاعتبارات يراها، ما لم تصل إلى حد الاستغلال الفاحش والظلم البيِّن، وإلا صارت حرامًا.

قال الشوكاني: «قالت الشافعية والحنفية وزيد بن عليٍّ والمؤيَّد بالله والجمهور: يجوز لعموم الأدلة القاضية بجوازه. وهو الظاهر»[(١)].

• **السَّلَم:**

وعلى عكس هذا يجوز للمسلم أن يدفع مقدارًا معلومًا من المال حالًّا، ليتسلَّم في مقابله صفقة بعد أجل معين. وهو المعروف في الفقه الإسلامي بعقد «السَّلَم».

وهذا النوع من المعاملات كان سائدًا في المدينة، ولكن النبي ﷺ أدخل عليه تعديلات وشروطًا، ليتفق وما تتطلَّبه الشريعة في المعاملات.

قال ابن عباس: قدم النبي ﷺ المدينة، فوجدهم يُسْلفون في الثِّمار السنة والسنتين (أي يدفعون مالًا في الحال؛ ليحصلوا على الثمار بعد سنة أو سنتين)، فقال النبي ﷺ: «**مَن أسلف فليُسلف في كيل معلوم، ووزن معلوم، إلى أجل معلوم**»[(٢)].

---

(١) نيل الأوطار (١٨١/٥). قال الشوكاني: وقد جمعنا رسالة في هذه المسألة سميناها ـ شفاء العلل في حكم زيادة الثمن لمجرد الأجل ـ وقد حققناها تحقيقًا لم نسبق إليه.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في السلم (٢٢٤٠)، ومسلم في المساقاة (١٦٠٤)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

وبهذا التحديد في الكيل والوزن والأجل يرتفع النزاع والغَرَر. ومن هذا القبيل: أنهم كانوا يُسلفون في ثِمار نخيل بأعيانها، فنهاهم عن ذلك لما فيه من الغرر؛ إذ قد تُصاب تلك النخيل بعاهة، فلا تثمر شيئًا.

والصورة السليمة لهذه المعاملة ألَّا يُشترط ثمر نخلة بعينها، ولا قمح أرض بعينها.. وهكذا، بل يشترط الكيل أو الوزن فقط.

فإذا كان هناك استغلال بيِّن لصاحب النخل أو الأرض، بأن اضطرته الحاجة أن يقبل العقد، فحينئذ يتَّجه القول بالتحريم.

تعاون العمل ورأس المال:

ربما قال قائل: إن الله وزَّع المواهب والحظوظ على الناس بقدر وحكمة، فكثيرًا ما نجد عند إنسان الكفاية والخبرة، ولا نجد عنده الكثير من المال، أو لا نجد عنده مالًا أصلًا. وبإزائه نجد آخر عنده المال الكثير، مع الخبرة القليلة، أو لا خبرة له. فلماذا لا يُعطي صاحب المال ماله لصاحب الكفاية والخبرة، يعمل فيه ويستثمره، على أن يُجزَى مقابل ماله بعائد محدد؟! وبذلك ينتفع ذو الكفاية بالمال، وينتفع الغنيُّ بالكفاية. وبخاصة أن هناك مشروعات كبيرة تحتاج إلى مساهمة أفراد كثيرين بأموالهم، وفي الناس كثيرون عندهم فضول أموال، وليس عندهم الفراغ أو القدرة على استثمارها.

فلماذا لا تُستغَل هذه الأموال في تلك المشروعات الحيوية الكبيرة؟! يديرها أناس من ذوي الدراية والخبرة.

ونقول: إن شريعة الإسلام لم تمنع أن يتعاون رأس المال والخبرة أو المال والعمل ـ كما يقول الفقه الإسلامي ـ ولكنها أقامت هذا التعاون

QaradawiBooks.com

على أساسٍ عادل ومنهج سديد، فإذا كان رب المال قد رضيها شركة بينه وبين صاحبه، فعليه أن يتحمَّل مسؤولية الشركة بكل نتائجها.

ولهذا تشترط الشريعة الإسلامية في مثل هذه المعاملة التي سمَّاها الفقهاء «المضاربة» أو «القِراض» أن يشترك كل من الطرفين المتعاقِدَيْن في الربح إذا ربحا، وفي الخسارة إن خسرا، ونسبة الربح والخسارة تكون وَفق اتفاقهما، فلهما أن يجعلا لأحدهما النصف أو الثلث أو الربع، أو أدنى من ذلك أو أكثر، وللآخر الباقي. وإذن يكون التعاون بين رأس المال والعمل تعاون الشريكين المتكافلين؛ لكلٍّ نصيبه من الغُنْم، قلَّ أو كثر.

فإذا ربحا تقاسما الربح كما اشترطا، وإن خسرا كانت الخسارة من الربح، فإن استغرقت الربح وزادت أُخذ من رأس المال بقدرها، ولا غرابة في أن يخسر رب المال جزءًا من ماله، كما خسر شريكه جهده وعرقه.

ذلك هو قانون الإسلام في هذه المعاملة، أما أن يُفرض لصاحب المال ربح محدد مضمون، لا يزيد ولا ينقص وإن تضاعف الربح، أو تفاقمت الخسارة، فهذا مجافاة للعدل الصريح، وتحيُّز لرأس المال ضد الخبرة والعمل، ومعاندة لقوانين الحياة التي تعطي وتمنع، وتشجيع لحبِّ الكسب المضمون، دون عمل ولا مخاطرة، وذلك هو رُوح الرِّبا الخبيث.

وقد نهى النبي ﷺ في المزارعة على الأرض أن يُجعل في العقد لأحدهما غَلَّة مساحة معينة من الأرض، أو مقدار محدَّد من الخارج، كقنطار أو قنطارين مثلًا[1]، لما في ذلك من شَبَه بالمراباة والمقامرة. فقد لا تُخرج الأرض غير المقدار المشروط، أو لا تخرج شيئًا، فيكون لأحدهما الغُنْم كله، وعلى الآخر الغُرْم كله. وهذا ما لا ترضاه العدالة.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المزارعة (٢٣٤٦)، ومسلم في البيوع (١٥٤٧)، عن رافع بن خديج.

QaradawiBooks.com

هذا الشـــرط المُفســـد للمزارعة بالنصِّ الصريح، هو في رأيي أصلٌ لإجماع الفقهاء على الاشتراط في «المضاربة» ألا يُحدَّد نصيب لأحدهما يضمنه على كل حال، ربحت الصفقة أم خسرت. وتعليلهم فساد المضاربة هنا، كتعليلهم فساد المزارعة هناك، فهم يقولون هنا: إنه إذا شرط أحدهما دراهم معلومة احتمـــل ألَّا يربح غيرهـــا، فيحصل علـــى جميع الربح، واحتمل ألَّا يربحها، وقد يربح كثيرًا، فيستضر من شُرِطَت له الدراهم[1].

وهذا تعليل موافق لرُوح الإســـلام، الذي يبنـــي كل معاملاته على العدالة المحكمة الواضحة.

• **اشتراك أصحاب رؤوس الأموال:**

وكما يجوز للمسلم أن يســـتغل ماله منفردًا فيما شاء من عمل مباح، وكما جاز له أن يعطي ماله أو جزءًا منه لمن شاء من أهل الدِّراية والدُّربة على ســـبيل «المضاربة» يجوز له أيضًا أن يشترك هو وآخر أو آخرون من أرباب الأمـــوال في عمل من الأعمال: صناعـــي أو تجاري أو غير ذلك، فمن الأعمال والمشروعات ما يحتاج إلى أكثر من عقل، أو أكثر من يد، وأكثر من رأس مال. والمرء قليل بنفســـه، كثيرٌ بغيره، والله تعالى يقول: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]. وكل عمل يجلب للفرد أو المجتمع خيرًا، أو يدفع عنه شرًّا، فهو برٌّ وتقوى، إذا توافرت له النية الصالحة.

فالإســـلام لا يبيح مثل هذه الأعمال المشـــتركة فحسْـــب، بل هو يُباركها ويَعِدُ عليها بمعونة الله في الدنيا، ومثوبته في الآخرة، ما دامت في دائرة ما أحلَّه الله، بعيدةً عن الربا والغَرَر، والظُّلم والجشع والخيانة

(١) المغني (٥/٢٨).

QaradawiBooks.com

بكل صورها. وفي ذلك يروي الرسول ﷺ عن ربِّه أنه يقول: «**أنا ثالث الشـــريكين ما لم يخُنْ أحدهما صاحبـــه، فإذا خـــان أحدهما صاحبه خرجتُ من بينهما**»[١].

• **شركات التأمين:**

ومن صور المعاملات الجديدة ما يســـمى «بشـــركات التأمين» ومنه ما يكون تأمينًا على الحياة، وما يكون تأمينًا ضد الحوادث. فما الحكم في هذه الشركات؟ وهل يُقرُّها الإسلام؟

وقبل الجواب نودُّ أن نســـأل عن طبيعة هذه الشركات، ما هي؟ وما علاقة الفرد المؤمَّن له بالشركة المؤمِّنة؟

وبعبارة أخرى: هل يعتبر الشـــخص المؤمَّن له لدى مؤسسة التأمين شريكًا لأصحابها؟

لو كانت كذلك لوجب أن يخضع كل مؤمَّن له فيها للربح والخسارة، وَفْق تعاليم الإسلام.

وفي التأمين ضد الحـــوادث يدفع المؤمَّن له مقـــدارًا من المال في العام، فإذا قُدِّر ســـلامة ما أمَّن عليه (متجر أو مصنع أو ســـفينة أو غير ذلك) فإن الشركة تســـتولي على المبلغ كله ولا يسترد شـــيئًا منه. وإذا حلت به كارثة عُـــوِّض بالمقدار المتَّفق عليه. وهـــذا أبعد ما يكون عن طبيعة التجارة والاشتراك التضامني.

---

(١) رواه أبو داود (٣٣٨٣)، والدارقطني (٢٩٣٣)، والحاكم (٥٢/٢)، وصححه، ووافقه الذهبي، ثلاثتهم في البيوع، وقال ابن الملقن في البدر المنير (٧٢١/٦): هذا الحديث جيد الإســـناد. وحسَّنه السيوطي في الصغير (١٩٢٤)، وضعَّفه الألباني في غاية المرام (٣٥٧)، عن أبي هريرة.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

وفي التأمين على الحياة إذا أمَّن بمبلغ (٢٠٠٠٠) عشرين ألفًا من الجنيهات مثلًا، ودفع أول قسط، ثم اخترمته المنية، فإنه يستحق العشرين ألفًا كاملة غير منقوصة، ولو كان شريكًا في تجارةٍ ما استحق غير قسطه وربحه.

ثم هو لو أخلَّ بالتزامه نحو الشركة، وعجز عن سداد الأقساط بعد دفع بعضها؛ لضاع عليه ما دفعه، أو جزء كبير منه. وهذا أقل ما يُقال فيه: إنه شرط فاسد.

ولا وزن لما يقال: إن الطرفين (المؤمَّن له والشركة) قد تراضيا، وهما أدرى بما يُصلحهما. فإن آكل الربا ومؤكلَه متراضيان، ولاعبي الميسر متراضيان، ولكن لا عبرة بتراضيهما، ما دامت معاملتهما غير قائمة على أساس من العدالة الواضحة، التي لا يشوبها غرر ولا تظالم، ولا غُنْم مضمون لأحد الطرفين غير مضمون للطرف الآخر. العدالة إذن هي الأساس، ولا ضَرَر ولا ضِرَار.

• هل هي مؤسسات تعاونية؟

وإذا لم يتضح لنا بوجهٍ من الوجوه أن العلاقة بين المؤمَّن له والشركة علاقة الشريك بالشريك، فماذا عسى أن تكون طبيعة العلاقة بينهما؟ هل هي علاقة تعاون؟ وهل هذه الجمعيات ـ إذن ـ مؤسسات تعاونية، تقوم على مساهمة مجموعة من المتبرعين بمقادير من أموالهم، يدفعونها بقصد المساعدة، بعضهم لبعض؟

ولكن لكي يكون هناك تعاون سليم بين أي جماعة لتساعد أحد أفرادها إذا نزل به مكروه، يُشترط فيما يُجمع من مال لتحقيق هذه الغاية أمور:

QaradawiBooks.com

١ ـ أن يدفع الفرد نصيبه المفـروض عليه في ماله على وجه التبرع، قيامًا بحقِّ الأُخُوَّة، ومن هذا المال المجموع تؤخذ المساعدات المطلوبة للمحتاجين.

٢ ـ إذا أريد استغلال هذا المال المدَّخر، فبالوسائل المشروعة وحدها.

٣ ـ لا يجوز لفرد أن يتبرَّع بشيء ما، على أسـاس أن يُعوَّض بمبلغ معيَّن إذا حـلَّ به حادث، ولكن يُعطَى من مـال الجماعة بقدر ما يعوِّض خسارته أو بعضها، على حسَب ما تسمح به حال الجماعة، وما اتُّفق عليه.

٤ ـ التبرع هبة، والرجوع فيها حرام، فإذا حدث فليراع حكم الشَّـرع في ذلك[1].

وهذه الشروط لا تنطبق إلا على ما تقوم به بعض النقابات والهيئات عندنا، حيث يدفع الشخص اشتراكًا شهريًّا على وجه التبرع، ليس له أن يستردَّه ويرجع فيه، ولا يشترط مبلغًا معيَّنًا يُمْنحه عند حدوث ما يُكره.

أما شـركات التأمين وخاصة التأمين على الحياة، فإن هذه الشروط لا تنطبق عليها بحال:

١ ـ فالأفراد المؤَمَّن لهم لا يدفعون بقصد التبرع، ولا يخطر لهم هذا على بال.

٢ ـ وشركات التأمين جارية على اسـتغلال أموالها في أعمال ربوية محرَّمة. ولا يجوز لمسلم أن يشترك في عمل ربوي، وهذا مما يتَّفق على منعه المتشدِّدون والمترخِّصون.

---

(١) الإسلام والمناهج الاشتراكية للأسـتاذ محمد الغزالي صـ ١٦٦، ١٦٧، نشر دار نهضة مصر، ط ٤، ٢٠٠٥م.

QaradawiBooks.com

٣ ـ يأخذ المؤَمَّن له من الشركة إذا انقضت المدَّة المشروطة مجموع الأقساط التي دفعها، وفوقها مبلغ زائد، فهل هو إلا ربا؟!

كما أن من مناقضات التأمين لمعنى التعاون أن يُعطَى الغنيُّ القادر أكثر مما يُعطَى العاجز المحتاج؛ لأن القادر يؤمِّن بمبلغ أكبر فيُعطَى عند الوفاة أو الكارثة نصيبًا أكثر. مع أن التعاون يقضي أن يُعطَى المحتاج أكثر من غيره.

٤ ـ ومن أراد الرجوع في عقده انتُقص منه جزء كبير. وهو انتقاص لا مسوِّغ له في شرع الإسلام[1].

• **تعديلات:**

على أني أرى أن عقد التأمين ضد الحوادث يمكن أن يعدل إلى صورة قريبة من المعاملات الإسلامية. وهو صورة عقد «التبرع بشرط العِوَض» فالمؤَمَّن له متبرع بما يدفع من مال إلى الشركة، على أن يُعَوَّض عند النوازل التي تنزل به، بما يعينه ويخفِّف عنه بلواه. وهذه الصورة من التعامل جائزة في بعض المذاهب الإسلامية.

(١) انظر في موضوع التأمين: الإسلام ومشكلاتنا الحاضرة للدكتور محمد يوسف موسى صـ ٦٤، ٦٥، نشر المكتب الفني، القاهرة، ١٩٥٨م، والإسلام والمناهج الاشتراكية للشيخ محمد الغزالي صـ ١٦٤، ١٦٥، ومقالين في مجلة منار الإسلام للمرحوم الشيخ إبراهيم الجبالي، العددين السادس والسابع من المجلد الأول ١٣٤٩هـ، وفتوى الشيخ أحمد إبراهيم، نشرتها مجلة منبر الإسلام، ونظام التأمين.. حقيقته والرأي الشرعي فيه للشيخ الزرقاء صـ ١٩، ٢٠، نشر مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، وحكم الشريعة الإسلامية في عقود التأمين للدكتور حسن حامد حسان صـ ١٩ ـ ٢٨، نشر دار الاعتصام، القاهرة، والمؤلفات الكاملة للشيخ علي الخفيف، نشر دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

فلو عُدِّل عقد التأميـــن إليها، وخلت معاملة الشـــركة من الربويات لاتَّجه القول بالجواز، أما التأمين علـــى الحياة، فصورته كما أرى، تبعد كثيرًا عن المعاملات في الإسلام.

غير مرخصة للطباعة

• **نظام التأمين الإسلامي:**

وإذا كنا نرى الإسلام يعارض شركات التأمين في صورتها الحاضرة ومعاملاتها الجارية، فليس معنى هذا أنه يُحارب فكرة التأمين نفســـها. كلا، إنه يُخالف فـــي المنهج والوســـيلة، أما إذا تهيَّأت وســـائل أخرى للتأمين لا تنافي صورة المعاملات الإسلامية، فالإسلام يرحب بها.

وعلى كل حال، فإن نظام الإسلام قد أمَّن أبناءه والمستظلِّين بظل دولته بطرقه الخاصة ـ شأنه في كل شرائعه وتوجيهاته ـ إما عن طريق تكافل أبناء المجتمع بعضهم مع بعض، وإما عن طريق الحكومة وبيت المال. فهو ـ أي بيت المال ـ شركة التأمين العامَّة لكل من يستظل بسلطان الإسلام.

وفي الشريعة الإسلامية نجد تأمين الأفراد عند الحوادث، ومعاونتهم على التغلب علـــى الكوارث التي تصيبهم. وقد ذكرنـــا من قبل، أن من الأمور التي تبيح للفرد المســـألة أن تصيبه جائحة[1]، فإذا أصابته جائحة حلَّت له مسألةَ وليِّ الأمر، حتى يعوِّض ما أصابه أو يخفف عنه بعضه.

كما نجـــد التأميـــن للورثة بعد الوفـــاة في قول النبـــي الكريم ﷺ: «**أنا أولى بكل مسلم من نفســـه، من ترك مالًا فلورثته، ومن ترك دَيْنًا أو ضَياعًا** (أولادًا صغارًا) **فإليَّ وعليَّ**»[2].

---

(١) الجائحة: وهي الآفة التي تُهلِك الثِّمار والأموال وتستأصلها. وكلُّ مصيبة عظيمة وفتنة مبيرة: جائحة. النهاية في غريب الحديث مادة (ج. و. ح).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٧٤٥)، ومسلم (١٦١٩)، كلاهما في الفرائض، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

ومن أعظم ما شـرعه الإسـلام لتأمين أبنائه: سـهم «الغارمين» في مصارف الزكاة. فقد جاء عن بعض مفسِّري السلف في تفسير الغارم: أنه من احترق بيته، أو ذهب السيل بماله أو تجارته، أو نحو ذلك.

وأجاز بعض الفقهاء أن يُعطى مثل هذا مـن حصيلة الزكاة ما يُعيده إلى حالته المالية السابقة، وإن بلغ ذلك الألوف[١].

• استغلال الأرض الزراعية:

إذا امتلك المسلم أرضًا زراعية بطرقها المشروعة، فعليه أن يستغلها أو ينتفع بها، زرعًا أو غرسًا.

وقد كره الإسـلام تعطيل الأرض عـن الزراعة، لما فيـه من إهدارٍ للنعمة، وإضاعة للمال، وقد نهى النبي ﷺ عن إضاعة المال[٢].

• طرائق استغلالها:

ولصاحب الأرض في ذلك عدَّة طرائق.

• الطريقة الأولى «زراعة المالك لأرضه»:

أن يقوم بشـأنها بنفسـه، يزرع فيها زرعًا، أو يغرس غرسًا، ويتولى سـقيها ورعايتها حتى تُؤتي أُكُلها. وهذا أمر محمـود، يوجب لصاحبه مثوبة الله، ما انتفع بالزرع أو الغرس إنسان، أو طير أو بهيمة، وكان جُلَّة أصحاب رسـول الله ﷺ من الأنصار يزرعون أرضهـم، ويقومون عليها بأنفسهم. وقد تقدَّم ذلك.

---

(١) من أراد التفصيـل فليراجع كتابنا: فقه الزكاة (٦٣٣/٢) وما بعدها، مصرف الغارمين، نشـر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢٥.

(٢) سبق تخريجه صـ١١٠.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

• **الطريقة الثانية «إعارة الأرض بلا عوض»:**

ألا يتمكن من زراعتها بنفسه، فيعيرها من يقدر على زراعتها، بآلته وأعوانه وبذره وحيوانه، ولا يأخذ من الزارع شيئًا، وهذا أمر مطلوب في الإسلام. فعن أبي هريرة قال: قال ﷺ: «**من كانت له أرض فليزرعها، أو ليمنحها أخاه**»(١).

وعن جابر قال: كنا نُخابر على عهد رسول الله ﷺ، فنصيب من القِصْرِيِّ ومن كذا وكذا، فقال النبي ﷺ: «**من كان له أرض فليزرعها، أو ليُحْرثها أخاه، وإلا فليدَعْها**»(٢).

وذهب بعض السلف إلى ظاهر هذا الحديث، وأن استغلال الأرض لا يكون إلا بأحد هذين: إما أن يَزرعها بنفسه، وإما أن يعطيها من يزرعها بغير مقابل، وبذلك تكون رقَبَة الأرض لمن يملكها، وثمرتها لمن يَفْلحها.

روى ابن حزم بسنده إلى الأوزاعي قال: كان عطاء ومكحول، ومجاهد والحسن البصري يقولون: لا تصلح الأرض البيضاء بالدراهم ولا بالدنانير، ولا معاملة إلا أن يزرع الرجل أرضه أو يمنحها(٣).

ويَرَى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن الأمر في هذه الأحاديث بالمنح ليس للوجوب، وإنما هو للندب والاستحباب، فقد روى البخاري عن عمرو بن دينار قال: قلتُ لطاوس، وهو مِنْ أكبر أصحاب ابن عباس: لو تركت المخابرة! فإنهم يزعمون أن النبي ﷺ نهى عنها! فقال طاوس: إن أعلمهم

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المزارعة (٢٣٤١)، ومسلم في البيوع (١٥٤٤).
(٢) رواه مسلم في البيوع (١٥٣٦).
(٣) المحلَّى (٤٦/٧).

QaradawiBooks.com

ـ يعني ابن عباس ـ أخبرني أن النبي ﷺ لـم ينهَ عنها، وقال: «**لأن يمنح أحدكم أخاه ـ يعني أرضه ـ خيرٌ من أن يأخذ عليها خَرْجًا معلومًا**»[(١)].

• **الطريقة الثالثة «المزارعة على الأرض»:**

أن يعطيها لمن يزرعها بآلته وبذره وحيوانه، على أن يكون له نسبة محدَّدة مما يخرج من الأرض، قد تكون نِصْفًا أو ثُلُثًا، أو أدنى أو أكثر وَفق اتفاقهما. ويجوز له أن يساعد الزارع بالبذر، أو به وبالآلة والحيوان. وتسمَّى هذه الطريقة بالمزارعة أو المساقاة أو المخابرة.

وفي الصحيحين: أن رسول الله ﷺ عامل أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من زرع أو ثمر[(٢)].

وهذا حديث رواه من الصحابة ابن عمر وابن عباس وجابر بن عبد الله.

وبهذا الحديث يحتجُّ من أجاز هذا النوع من المزارعة، وقالوا: «هذا أمر صحيح مشهور، عمل به رسول الله ﷺ حتى مات، ثم خلفاؤه الراشدون حتى ماتوا، ثم أهلوهم من بعدهم، ولم يبقَ من المدينة أهل بيت إلا عمل به. وعمل به أزواج النبي ﷺ من بعده... ومثل هذا ممَّا لا يجوز أن ينسخ؛ لأن النسخ إنما يكون في حياة رسول الله ﷺ، فأما شيء عمل به إلى أن مات، ثم عمل به خلفاؤه بعده، وأجمعت الصحابة رضوان الله عليهم عليه، وعملوا به، ولم يخالف فيه منهم أحد فكيف يجوز نسخه؟!

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المزارعة (٢٣٣٠)، ومسلم في البيوع (١٥٥٠)، عن ابن عباس.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في المزارعة (٢٣٢٨)، ومسلم في المساقاة (١٥٥١)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

فإن كان نسخه في حياة رسول الله ﷺ، فكيف عُمل به بعد نسخه؟ وكيف خفي نسخه فلم يبلغ خلفاءه، مع اشتهار قصة خيبر وعملهم فيها؟ فأين كان راوي النسخ حتى لم يذكره ولم يخبرهم به؟»[1].

غير مرخصة للطباعة

• **المزارعة الفاسدة:**

وهناك نوع من المزارعة، كان شائعًا على عهد النبي ﷺ، فنهى عنه أصحابه، لما فيه من الغرر والجهالة التي تُفضي إلى النزاع، ولما فيه من مجافاة لرُوح العدالة، التي يحرص عليها الإسلام في كل المجالات.

فقد كان أصحاب الأرض يشترطون على الزارع العامل فيها: أن يكون لهم رَيْع مساحة معينة منها يحدِّدها، أو مقدار معيَّن من الغَلَّة: مكيلٌ أو موزون، والباقي للعامل وحده، أو لهما مناصفة مثلًا.

وقد رأى النبي ﷺ أن العدل يقتضي أن يشتركا في كل ما يخرج منها، قَلَّ أو كثُر، ولا يصح أن يكون لأحدهما نصيب معيَّن، قد لا تُخرج الأرض غيره، فيغنم وحده، ويغرم الآخر وحده، وقد لا تنتج المساحة المعيَّنة لصاحب الأرض مثلًا، فلا يأخذ شيئًا، على حين استفاد الطرف الآخر وحده.

لا بد ـ إذن ـ أن يأخذ كل منهما حظه من الخارج من الأرض بنسبة يتَّفقان عليها، فإن كثر الخارج أصاب خيره الطرفَيْن، وإن قلَّ كانت قِلَّته على كليهما، وإن لم تُخرِج شيئًا كان الغُرْم مشتركًا، وهذا أطيب لنفسيهما جميعًا.

---

(١) المغني لابن قدامة (٣١٠/٥).

QaradawiBooks.com

روى البخاري عن رافع بن خديج قال: كنا أكثر أهل المدينة مُزْدَرعًا، كنا نُكْري الأرض بالناحية منها، مُسَمًّى لسيد الأرض. قال: فمما يصاب ذلك وتسلم الأرض، ومما يصاب الأرض ويسلم ذلك، فنُهينا[١].

وروى مسلم عنه قال: إنما كان الناس يؤاجِرون على عهد رسول الله ﷺ بما على المَاذِيَانات ـ ما ينبت على حافة النهر ومسايل الماء ـ وأقبال الجداول ـ أوائل السواقي ـ وأشياء من الزرع ـ كذا إردبًّا مثلًا ـ فيهلك هذا ويسلم هذا، ويسلم هذا ويهلك هذا، ولم يكن للناس كِرًى إلا هذا، فلذلك زُجِرَ عنه[٢].

وروى البخاري عنه أيضًا، أن النبي ﷺ قال: «**ما تصنعون بمَحَاقلكم** (مزارعكم)؟» قالوا: نُؤجرها على الرُّبع، وعلى الأوسُق من التمر والشعير، قال: «**لا تفعلوا**»[٣].

فمعنى هذا أنهم يُحدِّدون لهم مكيلًا معينًا، يأخذونه من فوق الرؤوس ـ كما يقال ـ ثم يقتسمون الباقي مع المزارعين: لهذا الربع، وذاك ثلاثة الأرباع مثلًا.

ومن هنا نرى أن النبي ﷺ، كان حريصًا على تحقيق العدل الكامل في مجتمعه، وإبعاد كل ما يجلب النزاع والخصام عن مجتمع المؤمنين.

وقد روى زيد بن ثابت: أن رجلين اختصما في أرضٍ إلى النبي ﷺ فقال: «**إن كان هذا شأنكم، فلا تُكروا المزارع**»[٤].

---

(١) رواه البخاري في المزارعة (٢٣٢٧).

(٢) رواه مسلم في البيوع (١٥٤٧)، عن رافع بن خديج.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في المزارعة (٢٣٣٩)، ومسلم في البيوع (١٥٤٨)، عن رافع بن خديج.

(٤) رواه أحمد (٢١٥٨٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في البيوع (٣٣٩٠)، والنسائي =

QaradawiBooks.com

والواجب على كلٍّ من ربِّ الأرض والعامل فيها أن يكون سمْحًا كريمًا مع صاحبه، رفيقًا به، فلا يغالي صاحب الأرض فيما يطلب من الخارج منها، ولا يبخس العامل صاحب الأرض أرضه. ولهذا جاء عن ابن عباس، أن النبي ﷺ لم يُحَرِّم المزارعة؛ ولكن أمر أن يرفق بعضهم ببعض[١]. ولذلك لما قيل لطاوس: يا أبا عبد الرحمن، لو تركتَ هذه المخابَرَة، فإنهم يزعمون أن رسول الله ﷺ نهى عنها! قال: إني أعينهم وأعطيهم[٢]. فليس كل همِّه أن يكسب من أرضه، ولو كان ذلك على حساب جوع من يعملون فيها، وإنما هو يُعينهم ويُعطيهم، وهذا هو المجتمع المسلم.

وربما كان من مُلَّاك الأرض من يؤثر بقاء الأرض مُعطَّلة، لا زراعة فيها ولا غرس، على أن يعطيها من يزرعها بنسبة لا تُشبع نهمه وطمعه. ومن أجل ذلك بعث عمر بن عبد العزيز إلى من يُهمهم الأمر في خلافته: أن أعطوا الأرض على الرُبُع والثلث والخمس.. إلى العشر، ولا تدعوا الأرض خرابًا[٣].

- **الطريقة الرابعة «إجارة الأرض بالنقود»:**

أن يُعطي أرضه لمن يزرعها على أن يكون للمالك أجر نقدي معلوم «ذهب أو فضة».

وقد أجاز هذه الطريقة كثير من الفقهاء المشهورين، مستدلِّين ببعض الأحاديث والآثار، ومنعها آخرون مستندين إلى ما صحَّ عن النبي ﷺ من النهي عن كراء الأرض، وأن يؤخذ لها أجر أو حظ، روى ذلك عن النبي ﷺ

= في المزارعة (٣٩٢٧)، وابن ماجه في الرهون (٢٤٦١)، وضعَّفه الألباني في غاية المرام (٣٦٦)، وقال في الصحيحة (٣٥٦٩): سنده حسن.

(١) رواه الترمذي في الأحكام (١٣٨٥)، وقال: حسن صحيح. وصححه الألباني في غاية المرام (٣٦٧).

(٢) سبق تخريجه صـ٣٤٤.

(٣) المحلى (٥٠/٧).

QaradawiBooks.com

شيخان بدريان، ورافع بن خديج، وجابر، وأبو سعيد، وأبو هريرة، وابن عمر. كلهم يروي عن النبي: النهي عن كراء الأرض جملة[١].

استُثْني من هذا الكراء صورة المزارعة، لما ثبت من استمرار النبي ﷺ عليها مع أهل خيبر في حياته، واستمرار الأمر بعد وفاته في عهد خلفائه الراشدين.

والناظر في التطور التشريعي لهذه المسألة، يتبيَّن له ما قاله ابن حزم: أن «النبي ﷺ قَدِم عليهم وهم يُكرون مزارعهم ـ كما روى رافع وغيره ـ وقد كانت المزارع بلا شك، تُكرَى قبل رسول الله ﷺ وبعد مبعثه. هذا أمر لا يمكن أن يشكَّ فيه ذو عقل، ثم صحَّ من طريق جابر وأبي هريرة وأبي سعيد ورافع وظهير البدري وآخر من البدريين وابن عمر: نهيُ رسول الله ﷺ عن كراء الأرض جملة.

فبطلت الإباحة بيقين لا شك فيه، فمن ادعى أن المنسوخ (إباحة الكراء) قد رجع، وأن يقين النسخ قد بطل، فهو كاذب مكذَّب، قائل ما لا علم له به. وهذا حرامٌ بنص القرآن، إلا أن يأتي على ذلك ببرهان، ولا سبيل إلى وجوده أبدًا، إلا في إعطائها بجزء مسمَّى، مما يخرج منها (كالثلث والربع) فإنه قد صح أن رسول الله ﷺ فعل ذلك بخيبر بعد النهي بأعوام، وأنه بقي على ذلك إلى أن مات عليه السلام»[٢].

وقد ذهب إلى ذلك جماعة من السَّلف رضي الله عنهم. فكان طاوس فقيه اليمن والتابعي الجليل يكره أن يؤاجر أرضَه بالذهب والفضة، ولا يرى بالثلث والربع بأسًا.

(١) المحلى (٤٥/٧).
(٢) المرجع السابق (٦١/٧).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولما احتج عليه بعضهم بأن النبي ﷺ نهى عن كراء الأرض، قال: قدم علينا معاذ بن جبل (مبعوث رسول الله ﷺ إلى اليمن) فأعطى الأرض على الثلث والربع، فنحن نعملها إلى اليوم[١]. فكأنه يرى الكراء المنهي عنه هو الكراء بالذهب والفضة. أما المزارعة فلا بأس بها.

وقد روي مثل هذا عن محمد بن سيرين وعن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، أنهما كانا لا يريان بأسًا أن يُعطي أرضه على أن يعطيه الثلث أو الربع أو العشر، ولا يكون عليه من النفقة شيء[٢]. مع ما روي عنهما من النهي عن كراء الأرض.

وقد رُوي عن جماعة آخرين من التابعين النهي عن كراء الأرض جملة، بالنقد أو بالمزارعة عليها. ولا شك أنهم محجوجون في جواز المزارعة بفعل رسول الله ﷺ، وفعل خلفائه وفعل معاذ في اليمن. وهو ما استقر عليه التشريع العملي للمسلمين، في العصر الأول، أما نهيهم عن إجارة الأرض بالنقد، فهو موافق للمنقول والمعقول.

- **القياس يقتضي منع الإجارة بالنقد:**

إن القياس الصحيح على أصول الإسلام ونصوصه الصحيحة الصريحة، يقتضي ألا تجوز إجارة الأرض البيضاء بالنقد.

(أ) فقد نهى النبي ﷺ عن كراء الأرض بجزء معين مما يخرج منها، كإردبٍّ أو إردبَّين، أو قنطار أو قنطارين، تُعيَّن لصاحب الأرض، ولم يُجِزْ المزارعة عليها إلا بجزء نسبي، كالربع والثلث والنصف

(١) المحلى (٤٩/٧).
(٢) المرجع السابق (٥٠/٧).

QaradawiBooks.com

ـ أو بتعبيرنا: بنسبة مئوية ٣٠٪ أو ٤٠٪ ـ وذلك ليشتركا في الغُنْم إن أثمرت الأرض ولم يصبها شيء، ويشتركا في الغُرْم إن أصابتها الآفات.

أما تعيين نصيب أحد المتعاقدين ليكون له الغُنْم قطعًا، واحتمال ألَّا يصيب الآخر إلا العَرَق والتعب والحسرة، فما أشبه هذا بالمراباة والقِمَار!! فإذا تأمَّلْنا في إجارة الأرض بالنقد على ضوء هذا، فأي فرق نجده بينها وبين هذا النوع من المزارعة المنهي عنه؟! إن مالك الأرض ضامن نصيبه النقدي بإجارة الأرض لا محالة، أما المستأجر فهو يُقامر بعمله وتعبه، ولا يدري أيكسب أم يخسر، أتنتج الأرض أم لا تنتج؟!

(ب) ثم إن من يُؤجر شيئًا يملكه إلى آخر، فإنما يستحق أجره جزاءً على تهيئة هذا الشيء للمستأجر، وإعداده لينتفع به، وعوضًا عما يصيب هذا الشيء من الاستهلاك شيئًا فشيئًا.

فأي تهيئة قام بها المالك لإعداد الأرض للمستأجِر؟ إن الله هو الذي هيَّأ الأرض للإنبات، لا المالك. ثم أي استهلاك يُصيب الأرض بالزراعة، والأرض لا تتآكل ولا تتخلخل بالزراعة كالمباني والآلات ونحوها.

(ج) ثم إن الإنسان يستأجر الدار فينتفع بسكناها انتفاعًا مباشرًا، لا يحول دونه شيء. ويستأجر الآلة فينتفع بها كذلك. أما الأرض فإن الانتفاع بها غير مباشر، وغير مضمون، فهو حين يستأجرها لا ينتفع بها كالدار، بل يسعى ويكدح فيها، على أمل الانتفاع بها الذي قد يكون وقد لا يكون، فأي قياس لإجارة الأرض على إجارة الدار ونحوها: قياس غير صحيح.

(د) وقد ورد في الصحيح أن النبي ﷺ، نهى عن بيع الثِّمار في الحقول أو الحدائق قبل أن يبدو صلاحها، ويعرف أنها سالمة من

QaradawiBooks.com

العاهات والآفات. وقال في تعليل ذلك: «**أرأيت إذا منع الله الثمرة بِمَ يستحل أحدكم مال أخيه؟!**»[١].

فإذا كان هذا فيمن باع ثمرة قد بدت، ولكن لم تتأكَّد سلامتها، وقد يصيبها آفة تمنعها من تمام النضج. فكيف بمن أعطى أرضًا بيضاء، لم يضرب فيها فأسًا، ولم يُلقِ فيها بذرًا. أليس هذا أولى أن يقال له: أرأيت إذا منع الله الثمرة، فبماذا تستحل مال أخيك؟!

وقد رأيتُ بعيني حقول القطن تلتهمها الآفات (الدودة) حتى تركَتْها حطبًا يابسًا لا خير فيه. فما كان من أصحاب الأرض إلا أن طلبوا إجارتهم، وما كان من المستأجرين (الفلَّاحين المزارعين) إلا أن يخضعوا تحت سطوة العقود الموقعة والحاجة الملحَّة، فأين التكافؤ؟! وأين العدل هنا الذي يحرص عليه الإسلام؟!

إن العدل لا يتحقق إلا بالمزارعة، التي يكون فيها الغُنْم أو الغُرْم واقعًا على الطرفين[٢].

ورغم أن شيخ الإسلام ابن تيمية يرى جواز المؤاجرة، فقد ذكر أن المزارعة هي الموافِقة لعدل الشريعة ومبادئها. وقال: والمزارعة أحل من المؤاجرة، وأقرب إلى العدل والأصول ـ يعني القواعد الشرعية ـ فإنهما يشتركان في المغنم والمغرم، بخلاف المؤاجرة، فإن صاحب الأرض تسلم له الأجرة، والمستأجر قد يحصل له زرع وقد لا يحصل[٣].

---

(١) سبق تخريجه صـ٣١٦.

(٢) راجع في هذا الموضوع ما كتبه ابن حزم في المحلى (١٩٠/٨)، وابن تيمية في القواعد النورانية صـ ٢٢٦، والأستاذ أبو الأعلى المودودي في رسالة ملكية الأرض في الإسلام، والأستاذ محمود أبو السعود في مجلة المسلمون، السنة الأولى، تحت عنوان: استغلال الأرض في الإسلام.

(٣) الحسبة في الإسلام لابن تيمية صـ ٢٨، نشر دار الكتب العلمية، ط١.

QaradawiBooks.com

وقال المحقق ابن القيم معلِّقًا على ظُلم الأمراء والجند للفلاحين في عصره: «لو اعتمد الجند والأمراء مع الفلَّاحين ما شرعه الله ورسوله وجاءت به السنة، وفعله الخلفاء الراشدون، لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ولفتح الله عليهم بركات من السماء والأرض، وكان الذي يحصل لهم من المُغَلِّ (الرَّيْع) أضعاف ما يحصلونه بالظلم والعدوان، ولكن يأبى جهلهم وظلمهم إلا أن يركبوا الظلم والإثم، فيُمنعوا البركة وسَعة الرزق، فيجتمع لهم عقوبة الآخرة، ونزع البركة في الدنيا!».

قال الإمام ابن القيم: «فإن قيل: وما الذي شرعه الله ورسوله، وفعله الصحابة، حتى يفعله من وفَّقه الله؟

قيل: المزارعة العادلة، التي يكون المُقطِع (صاحب الأرض) والفلَّاح فيها على حد سواء من العدل، لا يختص أحدهما عن الآخر بشيء من هذه الرسوم، التي ما أنزل الله بها من سلطان، وهي التي خَرَّبت البلاد، وأفسدت العباد، ومنعت الغَيْث، وأزالت البركات، وعرَّضت أكثرَ الجند والأمراء لأكل الحرام، وإذا نبت الجسد على الحرام، فالنار أولى به.

وهذه المزارعة العادلة هي عمل المسلمين على عهد النبي ﷺ، وعهد خلفائه الراشدين، وهي عمل آل أبي بكر، وآل عمر، وآل عثمان، وآل علي، وغيرهم من بيوت المهاجرين، وهي قول أكابر الصحابة، كابن مسعود، وأُبَيِّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وغيرهم، وهي مذهب فقهاء الحديث، كأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، ومحمد بن إسماعيل البخاري، وداود بن علي، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة، وأبي بكر بن المنذر، ومحمد بن نصر المروزي، وهي مذهب عامة أئمة المسلمين، كالليث بن سعد، وابن أبي ليلى، وأبي يوسف، ومحمد بن الحسن، وغيرهم.

QaradawiBooks.com

وكان النبي ﷺ قد عامل أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من ثمر وزرع حتى مات[١]. ولم تزل تلك المعاملة حتى أجلاهم عمر عن خيبر، وكان شارطهم أن يعمروها من أموالهم، وكان البذر منهم، لا من النبي ﷺ.

ولهذا كان الصحيح من أقوال العلمـــاء أن البذر يجوز أن يكون من العامل ـ كما نصَّت به السنة ـ وأن يكون منهما.

وقد ذكـــر البخاري فـــي صحيحه: أن عمر بـــن الخطاب رضي الله عنه عامل الناس على: إن جاء عمر بالبذر من عنده فله الشطر (النصف) وإن جاؤوا بالبذر فلهم كذا[٢]»[٣] أي أكثر من النصف.

وكل الروايات التي جاءت عن المزارعة لم يعرف في شيء منها أن نصيب العامل في الأرض كان أقل من النصف، بل في بعضها أنه أكثر.

فالذي يســـتريح إليه القلب ألَّا يقل نصيب العامل عن النصف، كما صنع النبي ﷺ وخلفاؤه مع يهود خيبر، فليس من اللائق أن يكون نصيب الجماد (الأرض) أرفعَ عند القسمة من نصيب الإنسان.

• الشركة في تربية الحيوان:

وهنـــاك معاملة جارية فـــي بلادنـــا، وخصوصًا فـــي الريف، هي الاشتراك في تربية الحيوانات والمواشي، يدفع أحد الطرفين الثمن كلَّه أو بعضه، ويقوم الطرف الآخر بالإشـــراف والرعاية، ويقتسمان النتاج والربح بعد ذلك.

---

(١) سبق تخريجه صـ٣٤٤.

(٢) ذكره البخاري في المزارعة معلَّقًا، بصيغة الجزم (١٠٤/٣)، ووصله ابن أبي شيبة في المغازي (٣٨١٧١)، وقال ابن حجر في فتح الباري (١٢/٥): مرسل.

(٣) الطرق الحكمية لابن القيم (٦٤٨/٢ ـ ٦٥١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولكي نبدي رأينا في هذه الشركة وجب علينا أن نبيِّن ما فيها من صور:

الصورة الأولى: الاشتراك لغرض تجاري بحت من الطرفين، كالاشتراك في تربية العجول للتسمين، أو تربية الأبقار والجواميس لإنتاج اللبن.

والمفروض هنا أن يبذل الطرف الأول المال: أي الثمن من جانبه، ويبذل الطرف الآخر العمل، وهو الرعاية والإشراف، وما أنفق على الأكل والشرب ونحوهما فهو على الشركة لا على واحد منهما، وعند البيع تُطرح النفقة من ثمن البيع، وما بقي من ربح اقتسماه حَسَب الشرط.

وليس من العدل أن يُلْزم أحد الطرفين بالإنفاق، مع أنه لا ينتفع بشيء مقابله، مع أن الربح يقتسم بينهما. وهذا واضح.

والصورة الثانية: الاشتراك بين الطرف الذي يدفع الثمن، والطرف الآخر الذي يقوم بالنفقة والرعاية، وينتفع في مقابل ذلك بلبن الماشية، أو بعملها في حرثه وسقيه وزراعته.

ولا بأس بهذه الصورة استحسانًا، إذا كان الحيوان كبيرًا يُنتفع به فعلًا بلبن أو عمل، صحيح أن ما يبذله الطرف الثاني من نفقة، وما ينتفع به من لبن أو عمل لا يعرف تساويهما، ولا نسبة أحدهما إلى الآخر، وفيه نوع من الغرر، غير أنا استحسنَّا جواز ذلك، ولم نعتبر هذا الغَرَر القليل، لورود مُشابه لذلك في الشريعة.

ففي الحديث الصحيح في شأن الرهن، إذا كان المرهون حيوانًا يمكن أن يُركب أو يُحلب، قال رسول الله ﷺ: «**الظهر يُركب بنفقته إذا**

QaradawiBooks.com

كان مرهونًا، ولبن الدَّر يُشرب بنفقته إذا كان مرهونًا، وعلى الذي يركب ويشرب النفقة»[١].

ففي هذا الحديث جعل النبي ﷺ النفقة على الحيوان، مقابل ركوبه إذا كان ذا ظهر يُركب، أو مقابل لبنه إذا كان ذا دَرٍّ يُحلَب.

وإذا جاز هذا في الرهن لحاجة التعامل واستيثاق الناس بعضهم من بعض مع أن قيمة النفقة على الحيوان قد تكون أقل أو أكثر من قيمة ما ينتفع به من ركوبه أو دَرِّه. فلا بأس أن نجيز مثل ذلك في شركة الحيوانات التي ذكرناها، لحاجة الناس أيضًا.

وهذا الذي استنتجناه من هذا الحديث رأي خاص لنا، أرجو أن يكون سَدادًا.

وأما الاشتراك في العجول الصغيرة (التي لا ينتفع منها بعمل ولا لبن) على أساس أن يكون الثمن من جانب، والنفقة من جانب، فإن قواعد الإسلام تأبى إباحة ذلك؛ لأن الطرف المنفِق يغرم وحده، دون مقابل يعود عليه من عمل أو لبن. والطرف الآخر هو المستفيد الغانم على حساب هذا. وليس ذلك من العدل الذي يتحرَّاه الإسلام في كل صور المعاملات.

فإذا أمكن أن يتقاسما النفقة حتى يأتي أوان الانتفاع، فهذا جائز فيما نرى.

(١) رواه البخاري في الرهن (٢٥١٢)، عن أبي هريرة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٣

في اللهو والترفيه

الإســـلام دين واقعي، لا يُحلِّق في أجواء الخيال والمثالية الواهمة، ولكنه يقف مع الإنســـان على أرض الحقيقة والواقع. ولا يعامل الناس كأنهم ملائكة أولو أجنحة، ولكنه يعاملهم بشرًا، يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق.

لذلك لم يفرض على النـــاس ـ ولم يفترض فيهـــم ـ أن يكون كل كلامهم ذكرًا، وكل صمتهم فكرًا، وكل سماعهم قرآنًا، وكل فراغهم في المسجد. وإنما اعترف بهم وبفطرتهم وغرائزهم التي خلقهم الله عليها، وقد خلقهم سبحانه يفرحون ويمرحون، ويضحكون ويلعبون، كما خلقهم يأكلون ويشربون.

- **ساعة وساعة:**

ولقد بلغ السمو الرُّوحي ببعض أصحاب النبي ﷺ مبلغًا، ظنُّوا معه أن الجِدَّ الصارم، والتعبد الدائم، لا بد أن يكون ديدنهم، وأن عليهم أن يديروا ظهورهم لكل متع الحياة، وطيبات الدنيا، فلا يلهون ولا يلعبون، بل تظل أبصارهـــم وأفكارهم، متجهة إلى الآخـــرة ومعانيها، بعيدة عن الحياة ولهوها ولعبها.

QaradawiBooks.com

ولنستمع إلى حديث هذا الصحابي الجليل حنظلة الأُسَيِّدي ـ وكان من كُتَّاب رسول الله ﷺ ـ قال يحدثنا عن نفسه: لقيني أبو بكر وقال: كيف أنت يا حنظلة؟

قلتُ: نافق حنظلة!

قال: سبحان الله، ما تقول؟!

قلتُ: نكون عند رسول الله ﷺ يذكِّرُنا بالنار والجنة، حتى كأنَّا رأيُ العين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا ـ لاعبنا ـ الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا كثيرًا!

قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا!

قال حنظلة: فانطلقتُ أنا وأبو بكر، حتى دخلنا على رسول الله ﷺ.

قلتُ: نافق حنظلة يا رسول الله!

فقال رسول الله ﷺ: «**وما ذاك؟!**».

قلت: يا رسول الله، نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة، حتى كأنَّا رأيُ عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، ونسينا كثيرًا!

قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة**» وكرَّر هذه الكلمة: ساعة وساعة ثلاث مرات[1].

(١) رواه مسلم في التوبة (٢٧٥٠)، عن حنظلة.

QaradawiBooks.com

• الرسول الإنسان:

وكانت حياته ﷺ مثالًا رائعًا للحياة الإنسانية المتكاملة: فهو في خَلْوته يصلِّي ويطيل الخشوع والبكاء والقيام حتى تتورَّم قدماه، وهو في الحق لا يُبالي بأحدٍ في جنب الله، ولكنه مع الحياة والناس بشر سويٌّ يحبُّ الطيِّبات، ويبَشُّ ويبتسم، ويداعب ويمزح، ولا يقول إلا حقًّا.

كان ﷺ يحب السرور وما يجلبه، ويكره الحزن وما يدفع إليه من ديون ومتاعب، ويستعيذ بالله من شرِّه، ويقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الهمِّ والحَزَن**»[(١)].

ومما ورد في مزاحه: أن امرأة عجوزًا جاءته تقول له: يا رسول الله، ادعُ الله لي أن يُدخلني الجنة، فقال لها: «**يا أم فلان، إن الجنة لا يدخلها عجوز**». وانزعجت المرأة وبكت، ظنًّا منها أنها لن تدخل الجنة، فلما رأى ذلك منها بيَّن لها غرضه: أن العجوز لن تدخل الجنة عجوزًا، بل يُنشئها الله خلقًا آخر، فتدخلها شابَّة بِكْرًا، وتلا عليها قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾ [الواقعة: ٣٥، ٣٦][(٢)].

• القلوب تَمَلُّ:

وكذلك كان أصحابه الطيِّبُون الطاهرون، يمزحون ويضحكون، ويلعبون ويتنـدَّرون، معرفة منهم بحظِّ النفس، وتلبيةً لنداء الفطرة، وتمكينًا للقلوب من حقِّها في الراحة واللهو البريء، لتكون أقدر على مواصلة السير في طريق الجِد، وإنه لطريق طويل.

---

(١) رواه البخاري في الدعوات (٦٣٦٩)، عن أنس.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٥٥٤٥)، والترمذي في الشمائل (٢٤٠)، والبيهقي في البعث والنشور (٣٣٥)، وحسنه الألباني في غاية المرام (٣٧٥)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن القلوب تَمَلُّ كما تمل الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة[١].

وقال: روِّحوا القلوب ساعةً بعد ساعة، فإن القلب إذا أُكره عَمِيَ[٢].

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: إني لأستجمُّ نفسي بالشيء من الباطل، ليكون أعون لها على الحق[٣].

فلا بأس على المسلم أن يتفكَّه ويمزح بما يشرح صدره، ولا حرج عليه أن يروِّح نفسه ونفوس رفقائه بلهوٍ مباح. على ألا يجعل ذلك ديدنه وخلقه في كل أوقاته، ويملأ به صباحه ومساءه، فينشغل به عن الواجبات، ويهزل في موضع الجد. ولذا قيل: أعطِ الكلام من المزح بقدر ما يُعطى الطعام من الملح[٤].

كما أنه لا ينبغي للمسلم أن يجعل من أقدار الناس وأعراضهم محل مزاحه وتندُّره. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ [الحجرات: ١١].

ولا ينبغي أن يجرَّه كذلك حب إضحاك الناس، إلى اتخاذ الكذب وسيلة. وقد حذر من ذلك الرسول الكريم ﷺ فقال: «**ويل للذي يُحدِّث بالحديث، ليضحك منه القوم، فيكذب، ويل له، ويل له**»[٥].

---

(١) أدب المجالسة لابن عبد البر صـ ١٠٧، تحقيق سمير حلبي، نشر دار الصحابة للتراث، طنطا، ط ١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

(٢) إحياء علوم الدين (٣٠/٢).

(٣) يقصد بالباطل ما لا فائدة فيه إلا مجرد اللهو. انظر: السياسة الشرعية لابن تيمية صـ ١١٠، ١١١، نشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية، ط ١، ١٤١٨هـ.

(٤) اللطائف والظرائف لأبي منصور الثعالبي صـ ١٥١، نشر دار المناهل، بيروت.

(٥) رواه أحمد (٢٠٠٥٥)، وقال مخرجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الأدب (٤٩٩٠)، والترمذي في الزهد (٢٣١٥)، وحسنه، وحسنه الألباني في غاية المرام (٣٧٦)، عن معاوية بن حيدة.

QaradawiBooks.com

• **ألوان من اللهو الحلال:**

وهناك ألــوان كثيرة من اللهــو وفنون من اللعب شــرعها النبي ﷺ للمســلمين، ترفيهًا عنهم، وترويحًا لهم، وهي في الوقت نفســه تهيئ نفوســهم للإقبال على العبادات والواجبات الأخرى أكثر نشــاطًا وأشد عزيمة، وهي مع ذلك في كثير منها رياضات تدرِّبهم على معاني القوة، وتعدُّهم لميادين الجهاد في سبيل الله. ومن ذلك:

• **مسابقة العَدْو (الجري على الأقدام):**

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتســابقون على الأقــدام، والنبي ﷺ يقرهم عليه، وقد رَوَوْا أن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، كان عدَّاءً سريعَ العدْو.

وكان النبي نفسه صلوات الله عليه، يسابق زوجته عائشة رضي الله عنها، مباسطة لها، وتطييبًا لنفسها، وتعليمًا لأصحابه.

قالت عائشة: سابقني رسول الله ﷺ فسبقته، فلبثت حتى إذا أرهقني اللحم (أي سمنت) ســابقني فســبقني، فقال: «**هذه بتلك**»[(١)]. يشير إلى المرة الأولى.

• **المصارعة:**

ورد أن النبي ﷺ صارع رجلًا معروفًا بقوَّته يُســمَّى «رُكانة»، فصرعه النبيُّ أكثر من مرة[(٢)]. وفي رواية أن النبي ﷺ صارعه وكان شديدًا، فقال:

---

(١) رواه أحمد (٢٤١١٨)، وقال مخرجوه: إســناده صحيح على شرط الشــيخين. وأبو داود في الجهاد (٢٥٧٨)، وابن ماجــه في النكاح (١٩٧٩)، وابن حبان في الســير (٤٦٩١)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٣١)، عن عائشة.

(٢) رواه أبو داود (٤٠٧٨)، والترمــذي (١٧٨٤)، وقال: حديث غريب، وليس إســناده بالقائم. كلاهما في اللباس، وحسَّنه الألباني في غاية المرام (٣٧٨)، عن محمد بن ركانة. =

QaradawiBooks.com

شاة بشاة[١]. فصرعه النبي ﷺ. فقال: عاودْني في أخرى. فصرعه، فقال: عاودني. فصرعه النبي الثالثة. فقال الرجل: ماذا أقول لأهلي؟ شاة أكلها الذئب، وشاة نشزت، فما أقول في الثالثة؟ فقال النبي ﷺ: «**ما كُنَّا لنجمع عليك أن نصرعك ونُغْرِمك، خذْ غنمك**»[٢].

وقد استنبط الفقهاء من هذه الأحاديث النبوية مشروعية المسابقة على الأقدام، سواء أكانت بين الرجال بعضهم مع بعض، أو بينهم وبين النساء المحارم أو الزوجات. كما أخذوا منها أن المسابقة والمصارعة ونحوها لا تنافي الوقار والشرف والعلم والفضل وعُلُوَّ السن، فإن النبي ﷺ حين سابق عائشة كان فوق الخمسين من عُمره.

- **اللعب بالسهام (التصويب):**

ومن فنون اللهو المشروعة اللعب بالسهام والحراب:

وكان النبي ﷺ يمرُّ على أصحابه في حلقات الرمي (التصويب)، فيشجِّعُهم ويقول: «**ارموا وأنا معكم**»[٣].

ويرى ﷺ أن هذا الرمي ليس هواية أو لهوًا فحسْب، بل هو نوع من القوة التي أمر الله بإعدادها: ﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ**﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقال ﷺ في ذلك: «**ألا إن القوةَ الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا**

= ورواه البيهقي في السبق والرمي (١٨/١٠)، وقال: مرسل جيد. عن سعيد بن جبير.
وعزاه ابن كثير في البداية والنهاية (٢٥٦/٤) لأبي بكر الشافعي، وجود إسناده، عن ابن عباس.

(١) لا بد أن يكون هذا قبل تحريم القمار، أو أن النبي لم يقبل هذا، ولذلك لم ينفذه.

(٢) رواه عبد الرزاق في جامع معمر (٢٠٩٠٩)، عن عبد الله بن الحارث.

(٣) رواه البخاري في المناقب (٣٥٠٧)، عن سلمة بن الأكوع.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

إن القوة الرمي»[١]. وروي مرفوعًا، وموقوفًا عن سعد بن أبي وقاص: «**عليكم بالرمي، فإنه من خير لهوكم**»[٢].

غير أنه عليه السلام حذَّر اللاعبين من أن يتخذوا من الدواجن ونحوها غرضًا لتصويبهم وتدريبهم، وكان ذلك مما اعتاده بعض العرب في الجاهلية.

وقد رأى عبد الله بن عمر جماعة يفعلون ذلك، فقال: إن النبي ﷺ لعن من اتخذ شيئًا فيه الرُّوح غَرَضًا[٣].

وإنما لعن مَنْ فعل ذلك لما فيه من تعذيبٍ للحيوان وإتلاف نفسه، فضلًا عن إضاعة المال. ولا ينبغي أن يكون لهو الإنسان ولعبه، على حساب غيره من الكائنات الحية.

فقد ورد أن النبي ﷺ نهى عن التحريش بين البهائم[٤]. وذلك بتسليط بعضها على بعض، وكان من العرب وبعض الشعوب الأخرى من يأتون بكبشين أو ثورين، يتناطحان حتى يهلِكا، أو يقاربا الهلاك، وهم يتفرَّجون ويضحكون.

قال العلماء: وجه النهي عن التحريش أنه إيلام للحيوانات، وإتعاب لها، دون فائدة إلا لمجرد العبث.

---

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٩١٧)، أحمد (١٧٤٣٢)، عن عقبة بن عامر.

(٢) رواه البزار (١١٤٦)، وقال: وهذا الحديث هو عند الثقات موقوف. والطبراني في الأوسط (٣٠٤٩)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٢٠١٢): إسناده جيد قوي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٣٨٢): رواه البزار والطبراني في الأوسط ورجال البزار رجال الصحيح، خلا حاتم بن الليث وهو ثقة وكذلك رجال الطبراني. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٠٦٦).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٥٥١٥) بنحوه، ومسلم (١٩٥٨)، كلاهما في الصيد والذبائح.

(٤) رواه أبو داود (٢٥٦٢)، والترمذي (١٧٠٨) متصلًا، و(١٧٠٩)، مرسلًا، كلاهما في الجهاد. وقال الترمذي: المرسل أصح. ونقل ذلك عن البخاري، كما في العلل الكبير صـ ٢٧٩، وضعف المتصل الألباني في غاية المرام (٣٨٣)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

• **اللعب بالحراب (الشيش):**

ومثل اللعب بالسهام: اللعب بالحراب (الشيش).

وقد أذِن النبي ﷺ للحبشة، أن يلعبوا بها في مسجده الشريف، وأذن لزوجته عائشة أن تنظر إليهم، وهو يقول لهم: «**دونكم يا بني أرفدة**»[١]. وهي كُنية يُنادَى بها أبناء الحبشة عند العرب.

ويبدو أن عمر لطبيعته الصارمة لم يَرُقْه هذا اللهو، وأراد أن يمنعهم، فنهاه النبي ﷺ عن ذلك، فقد روى الشيخان عن أبي هريرة قال: بينما الحبشة يلعبون عند النبي ﷺ بحرابهم، دخل عمر، فأهوى إلى الحصباء، فحَصَبَهم بها، فقال رسول الله ﷺ: «**دعْهم يا عمر**»[٢].

وإنها لسماحة كريمة من رسول الإسلام أن يُقِرَّ مثل هذا اللعب في مسجده المُكَرَّم، ليجمع فيه بين الدين والدنيا، وليكون ملتقى المسلمين في جِدِّهم حين يَجِدُّون، وفي لهوهم حين يَلْهَوْن، على أن هذا ليس لهوًا فقط، بل هو لهو ورياضة وتدريب. وقد قال المهلَّب تعقيبًا على هذا الحديث: إن المسجد موضوع لأمر جماعة المسلمين، فما كان من الأعمال يجمع منفعة الدين وأهله جاز فيه[٣].

فلينظر مسلمو العصور المتأخرة، كيف أقفرت مساجدُهم من معاني الحياة والقوة، وبقيت في كثير من حالاتها مقرًّا للعاطلين؟!

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٠٦، ٢٩٠٧)، ومسلم في صلاة العيدين (٨٩٢)، عن عائشة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٠١)، ومسلم في صلاة العيدين (٨٩٣).

(٣) شرح ابن بطال على صحيح البخاري (١٠٤/٢)، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم، نشر مكتبة الرشد، الرياض، ط ٢، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وإنه لتوجيه نبوي كريم في معاملة الزوجات وترويح أنفسهن، بإتاحة مثل هذا اللهو المباح. قالت عائشة زوج النبي الكريم: لقد رأيت النبي ﷺ يسترني بردائه، وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد، حتى أكون أنا التي أسأم، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن، الحريصة على اللهو[١].

وقالت: كنتُ ألعب بالبنات عند رسول الله ﷺ في بيته (وهن اللُّعب)، وكان لي صواحب يلعبن معي، وكان رسول الله ﷺ إذا دخل يَنْقَمِعْن (يستخفين هيبة منه) فَيُسرِّبهن إليَّ، فيلعبن معي[٢].

- **ألعاب الفروسية:**

الفروسية من الرياضات التي تقوي البدن، وتكسب الممارس لها خفَّة في الحركة، وسرعة في الأداء، وترتبط بالشجاعة والشهامة والثقة بالنفس، والقدرة على ترويض الجواد، والتحكُّم في حركاته.

وقد شجَّع الإسلام هذه الرياضة وثمنها غاليًا، ورفع من شأنها؛ لارتباطها بالجهاد في سبيل الله، وفي إعداد القوة والمنعة؛ للدفاع عن الدين والأمة والوطن.

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وقال رسوله الكريم: «**الخيل معقودٌ بنواصيها الخير**»[٣].

---

(١) سبق تخريجه صـ١٩٩.

(٢) سبق تخريجه صـ١٤١.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في فرض الخُمس (٣١١٩)، ومسلم في الإمارة (١٨٧٣)، عن عروة البارقي.

QaradawiBooks.com

وقال ﷺ: «**ارموا واركبوا**»[١].

والخيل كذلك زينة في هـذه الحياة، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ [النحل: ٨].

وقال رسول الله ﷺ: «**كل شيء ليس من ذكر الله، فهو لهو أو سهو، إلا أربع خصال: مشـي الرجل بين الغَرَضَيْن** (للرمي)، **وتأديبه فرسـه، وملاعبته أهله، وتعليم السباحة**»[٢].

وجاء عن ابن عمر أن النبي ﷺ: سابق بين الخيل وأعطى السابق[٣].

وكل هذا من النبي ﷺ تشجيعٌ على السباق، وإغراء به؛ لأنه كما قلنا لهو ورياضة وتدريب.

وقيل لأنـس: أكنتـم تراهنـون على عهـد رسـول الله ﷺ؟ أكان رسول الله ﷺ يُراهن؟ قال: نعم والله، لقد راهن على فرس يقال له سَبْحَة، فسبق الناس، فهَشَّ لذلك وأعجبه[٤].

---

(١) رواه أحمد (١٧٣٢١)، وقال مخرجوه: حديث حسن بمجموع طرقه وشواهده. وأبو داود في الجهاد (٢٥١٣)، والنسائي في الخيل (٣٥٧٨)، وابن ماجه في الجهاد (٢٨١١)، وضعَّفه الألباني في غاية المرام (٣٨٨)، عن عقبة بن عامر الجهني.

(٢) رواه النسائي في الكبرى، في عشرة النساء (٨٩٣٩)، والطبراني (١٩٣/٢)، وقال المنذري في الترغيب (٢٠١٤): إسناد جيد. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٣٩٠): رجال الطبراني رجال الصحيح، خلا عبد الوهاب بن بخت، وهو ثقة. وصححه الألباني في غاية المرام (٣٨٩)، عن جابر بن عبد الله.

(٣) رواه أحمد (٥٦٥٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وقال البوصيري في الإتحاف (٤٨٠٨): وفي الإسـناد عبد الله بن عمر العامري، وهو ضعيف. وصحَّحه الألبانـي في غاية المرام (٣٩٠)، وهو المعتمد.

(٤) رواه أحمد (١٢٦٢٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والدارمي في الجهاد (٢٤٧٤)، والدارقطني في السبق بين الخيل (٤٨٢٤)، وحسَّنه الألباني في غاية المرام (٣٩١).

QaradawiBooks.com

والرِّهان المباح أن يكون الجُعْل الذي يُبذل من غير المتسابقين، أو من أحدهما فقط، فأما إذا بذل كل منهما جُعلًا على أن من سبق منهما أخذ الجُعْلين معًا، فهو القِمَار المنهيُّ عنه. وقد سمَّى النبي ﷺ هذا النوع من الخيل الذي يعد للقمار: «فرس الشيطان». وجعل ثمنها وزرًا، وعلفها وزرًا، وركوبها وزرًا.

وقال: «**الخيل ثلاثة: فرس للرحمن، وفرس للإنسان، وفرس للشيطان. فأما فرس الرحمن، فالذي يُرتبط في سبيل الله، فعلفُه وروثه وبوله ـ وذكر ما شاء الله** (يعني أن كل ذلك له حسنات) **ـ وأما فرس الشيطان، فالذي يُقامر أو يُراهن عليه، وأما فرس الإنسان فالذي يربطه الإنسان يلتمس بطنها** (أي للنتاج)، **فهي ستر من فقر**»[(١)].

- **الصيد:**

ومن اللهو النافع الذي أقرَّه الإسلام الصيد، وهو في الواقع متعة ورياضة واكتساب، سواء أكان عن طريق الآلة كالنبال والرماح، أو عن طريق الجوارح كالكلاب والصقور. وقد سبق أن تحدَّثْنا عن الاشتراطات والآداب التي طلبها الإسلام فيه.

ولم يمنع الإسلام الصيد إلا في حالتين:

الحالة الأولى: حالة المُحرم بالحج والعمرة، فإنه في مرحلة سلام كامل، لا يقتل فيها ولا يسفك دمًا، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞ﴾ [المائدة: ٩٥]، ﴿وَحُرِّمَ عَلَيۡكُمۡ صَيۡدُ ٱلۡبَرِّ مَا دُمۡتُمۡ حُرُمٗا﴾ [المائدة: ٩٦].

(١) رواه أحمد (٣٧٥٦)، وقال مخرجوه: صحيح. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٣٣٨): رواه أحمد ورجاله ثقات فإن كان القاسم بن حسان سمع ابن مسعود فالحديث صحيح. وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٣٩٢)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

والحالة الثانية: حالة الحرم في مكة، فقد جعلها الإسلام منطقة سلام وأمن لكل كائنٍ حيٍّ، ينتقل في أرجائها، أو يطير في سمائها، أو ينبت في أرضها، فهي كما قال النبي ﷺ: «**لا يُنفَّر صيدها، ولا يُقطع شجرها، ولا يُختلَى خلاها**»(١).

• **اللعب بالنَّرد (الطاولة):**

وكل لعب فيه قمار فهو حرام. والقمار كل ما لا يخلو اللاعب فيه من ربح أو خسارة. وهو الميسر الذي قرنه القرآن بالخمر والأنصاب والأزلام.

وقال النبي ﷺ: «**من قال لصاحبه تعالَ أقامرك، فليتصدَّق**»(٢). يعني أن مجرد الدعوة إلى المقامرة ذنب، يوجب الكفارة بالتصدُّق.

ومن ذلك اللعب بالنَّرْد (الزهر) إذا اقترن بقمار، فهو حرام اتفاقًا.

وإن لم يقترن به، فقال جمهور العلماء: يحرم. وقال بعضهم: يكره ولا يحرم. وحجة المحرمين ما رواه بُرَيْدة عن النبي ﷺ قال: «**من لعب بالنردشير، فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه**»(٣).

وما رواه أبو موسى عن النبي ﷺ قال: «**من لعب بالنَّرْد فقد عصى الله ورسوله**»(٤).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في جزاء الصيد (١٨٣٣)، ومسلم في الحج (١٣٥٣)، عن ابن عباس.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٦٦٥٠)، ومسلم (١٦٤٧)، كلاهما في الأيمان، عن أبي هريرة.

(٣) رواه مسلم في الشعر (٢٢٦٠)، وأحمد (٢٢٩٧٩)، عن بريدة الأسلمي.

(٤) رواه أحمد (١٩٥٥١)، وقال مخرِّجوه: حسن. وأبو داود (٤٩٣٨)، وابن ماجه (٣٧٦٢)، كلاهما في الأدب، والحاكم في الإيمان (٥٠/١)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي. وصحَّحه ابن الملقِّن في البدر المنير (٦٣١/٩)، والسيوطي في الصغير (٩٠٠٧)، وحسَّنه الألباني في غاية المرام (٣٩٥).

QaradawiBooks.com

والحديثان صريحان عامان في كل لاعب، قامر أم لم يقامر.

وقال الشوكاني: رُوِيَ أنه رَخَّص في النرد ابن مغفَّل وابن المسيَّب على غير قِمَار[١]. ويبدو أنهما حملا الأحاديث على من لعب بقِمَارٍ.

• **اللعب بالشِّطْرنج:**

ومن ألوان اللهو المعروفة الشطرنج، وقد اختلف الفقهاء في حكمه: بين الإباحة، والكراهة، والتحريم.

واحتج المحرمون بأحاديث، رووها عن النبي ﷺ، ولكن نقاد الحديث وخبراءه ردوها وأبطلوها، وبيَّنوا أن الشطرنج لم يظهر إلا في زمن الصحابة، فكل ما ورد فيه من أحاديث باطل، كما احتجَّ آخرون بأنه يصد عن ذكر الله، وعن الصلاة، وهذا ما أكَّده ابن تيمية ومن وافقه.

أما الصحابة رضي الله عنهم فاختلفوا في شأنه.

قال ابن عمر: هو شرٌّ من النَّرْد[٢].

وقال عليٌّ: هو من الميسر[٣]. (ولعله يقصد: إذا اختلط به القمار).

وروي عن بعضهم كراهيته فحسْب.

كما ورد عن بعض الصحابة والتابعين أنهم أباحوه، من هؤلاء ابن عباس، وأبو هريرة، وابن سيرين، وهشام بن عروة، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير.

---

(١) نيل الأوطار (١٠٧/٨).

(٢) رواه البيهقي في الشهادات (٢١٢/١٠).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في الأدب (٢٦٦٧٤)، وابن أبي حاتم في التفسير (٦٧٥١).

QaradawiBooks.com

وهذا الذي ذهب إليه هؤلاء الأعلام هو الـذي نراه، فالأصل ـ كما علمنا ـ الإباحة، ولـم يجِئ نص على تحريمه. علـى أن فيه فوق اللهو والتسلية رياضةً للذهن، وتدريبًا للفكر، وهو لذلك يخالف النَّرْد. ولذلك قالوا: إن المعـول في النرد علـى الحظ، فأشـبه الأزلام، والمعوَّل في الشطرنج على الحذْق والتدبير، فأشبه المسابقة بالسهام[1].

شروط الإباحة للشِّطْرنج:

وقد اشترط من أباحه شروطًا ثلاثة يجب أن تُراعى:

١ ـ ألَّا تؤَخَّر بسـببه صلاةٌ عن وقتها، فإن أكبر خطورته في سـرقة الأوقات، والشّغل عن الواجبات.

٢ ـ ألَّا يُخالطه قمار.

٣ ـ أن يحفظ اللاعب لسانه حال اللعب من الفحش والخنا ورديء الكلام. فإذا فرط في هذه الثلاثة أو بعضها اتجه القول إلى التحريم.

• الغناء والموسيقى:

ومن اللهو الذي تسـتريح إليه النفوس، وتطرب لـه القلوب، وتنعم به الآذان: الغناء. وهذا صحيح. وهو كذلك أداة عاتية من أدوات الإثارة والهدم، والإلهاء للأمة عن غاياتها الجليلة، وقضاياها الكبيرة، وواجباتها الجسيمة.

وآفة هذا اللون من اللهو: أنه ارتبط تاريخيًّا وواقعيًّا بالترف ومجالس الشـرب، وغدا جزءًا أساسـيًّا من حياة اللاهين، المتحلِّلين من فضائل الجِدِّ والعفاف، كمـا احترفته ـ على مدار التاريخ ـ فئات اتَّسـم أكثرها بالميوعة والخلاعة، والبُعْد عن أحكام الدين وأخلاق المتَّقين.

(١) المغني لابن قدامة (١٥١/١٠).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولهذا غلب على الحس الديني النفور والتنفير منه، ووقف علماء الإسلام منه ـ في مختلف الأزمنة ـ مواقف مختلفة، ما بين مُحَرِّمٍ وكارهٍ ومبيحٍ.

ولا ريب أن هناك أنواعًا من الغناء اتفقوا على تحريمها، وأخرى اتفقوا على إباحتها، وثالثة هي موضع الاجتهاد والنظر.

فأما ما اتفقوا على تحريمه، فهو ما اشتمل على معصية أو دعا إليها.

وأما المباح باتفاق، فهو الغناء الفِطْري الذي يترنَّم به الإنسان لنفسه، أو المرأة لزوجها، أو الأولاد بعضهم لبعض، ومنه حُدَاء الإبل، ومثله غناء النِّساء المعتاد في الأعراس، في مجتمعهن الخاص، ونحو ذلك.

وما عدا ذلك فهو ممَّا تختلف فيه الأنظار.

والذي أراه: أن الغناء في ذاته لا حرج فيه، وهو داخل في جملة «الطيِّبات» أو المستلذَّات التي أباحها الإسلام، وأن الإثم إنما هو فيما يشتمل عليه، أو يقترن به من العوارض، التي تنقله من دائرة الحلِّ إلى الحُرْمة، أو الكراهة التحريميَّة.

وأكثر من ذلك أنه يُستحبُّ في المناسبات السارَّة؛ إشاعة للسرور، وترويحًا للنفوس، وذلك كأيام العيد والعُرس وقدوم الغائب، وفي وقت الوليمة، والعقيقة عند ولادة المولود، وعند إطلال أي حادث سعيد يَفرح به الناس.

فعن عائشة رضي الله عنها أنها زفَّت امرأة إلى رجل من الأنصار، فقال النبي ﷺ: «**يا عائشة، ما كان معكم من لهو؟ فإن الأنصار يُعجِبُهم اللهو**»[1].

(١) رواه البخاري في النكاح (٥١٦٢).

QaradawiBooks.com

وقال ابن عباس: زوَّجت عائشةُ ذات قرابة لها من الأنصار، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «**أهديتم الفتاة؟**» قالوا: نعم. قال: «**أرسلتم معها من يغني؟**» قالت: لا. فقال رسول الله ﷺ: «**إن الأنصار قوم فيهم غَزَل، فلو بعثتم معها من يقول:**

أتيناكم أتيناكم فحيَّانا وحيّاكم»[(١)].

وعن عائشة أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في أيام مِنًى (في عيد الأضحى) تغنيان وتضربان، والنبي ﷺ متغشٍّ بثوبه، فانتهرهما أبو بكر، فكشف النبي ﷺ عن وجهه وقال: «**دعهما يا أبا بكر، فإنها أيام عيد**»[(٢)].

وقد ذكر الإمام الغزالي في كتاب «الإحياء» أحاديث: غناء الجاريتين، ولعب الحبشة في مسجد النبي ﷺ وتشجيع النبي لهم بقوله: «**دونكم يا بني أَرْفِدة**»[(٣)]. وقول النبي لعائشة: «**تشتهين أن تنظري**»[(٤)]، ووقوفه معها حتى تملَّ هي وتسأم، ولعبها بالبنات مع صواحبها. ثم قال: «فهذه الأحاديث كلها في الصحيحين، وهي نصٌّ صريح في أن الغناء واللعب ليس بحرام، وفيها دلالة على أنواع من الرُّخَص:

الأول: اللعب، ولا يخفى عادة الحبشة في الرقص واللعب.

والثاني: فعل ذلك في المسجد.

---

(١) رواه ابن ماجه في النكاح (١٩٠٠)، عن ابن عباس. ورواه أحمد (١٥٢٠٩)، وقال مخرجوه: حسن لغيره. والنسائي في الكبرى في النكاح (٥٥٤٠)، وحسنه الألباني في غاية المرام (٣٩٨)، عن جابر بن عبد الله.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (٩٨٧)، ومسلم في صلاة العيدين (٨٩٢).

(٣) سبق تخريجه صـ٣٦٣.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٠٧)، ومسلم في صلاة العيدين (٨٩٢)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

والثالث: قوله ﷺ: «**دونكم يا بني أَرْفِدَة**»، وهذا أمر باللعب، والتماسُ له، فكيف يُقدَّر كونه حرامًا؟

والرابع: منعه لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما عن الإنكار والتغيير، وتعليله بأنه يوم عيد، أي هو وقت سرور، وهذا من أسباب السرور.

والخامس: وقوفه طويلًا في مشاهدة ذلك وسماعه لموافقة عائشة رضي الله عنها، وفيه دليل على أن حُسن الخلق في تطييب قلوب النساء والصبيان بمشاهدة اللعب؛ أحسن من خشونة الزهد والتقشُّف، في الامتناع والمنع منه.

والسادس: قوله ﷺ لعائشة ابتداء: «**أتشتهين أن تنظري؟**».

والسابع: الرخصة في الغناء، والضرب بالدف من الجاريتين..»[1] إلى آخر ما قاله الغزالي في كتاب السماع من الأحياء.

وقد جاء عن كثير من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أنهم سمعوا الغناء، ولم يروا بسماعه بأسًا.

أما ما ورد فيه من أحاديث نبوية مُحرِّمة أو زاجرة ومهدِّدة، فكلها مُثْخنة بالجراح، لم يسلم منها حديث من طعن، عند فقهاء الحديث وعلمائه، قال القاضي أبو بكر ابن العربي: لم يصح في تحريم الغناء شيء[2]. وقال ابن حزم: كل ما رُوِيَ فيها باطل موضوع[3].

(١) إحياء علوم الدين (٢/٢٧٨).
(٢) أحكام القرآن (٣/١١).
(٣) المحلى (٧/٥٦٥).

QaradawiBooks.com

ولكن آفة هـذه الطيبات أن الكثير منها للأسـف اقترن بالمحرمات والمكروهات. فقد اقترن الغناء والموسيقى كثيرًا بالترف ومجالس الخمر والسـهر الحرام، مما جعل كثيرًا من العلماء يحرِّمونه أو يكرهونه، وقال بعضهـم: إن الغناء من «لهو الحديث» المذكور فـي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [لقمان: ٦].

وقال ابن حزم: «إن الآية ذكرت صفة من فعلها كان كافرًا بلا خلاف إذا اتخذ سبيل الله هزوًا، ولو أن امرأ اشترى مصحفًا، ليضل به عن سبيل الله، ويتَّخذه هزوًا لكان كافرًا، فهذا هو الذي ذمَّ الله ﷻ، وما ذمَّ سبحانه قط من اشترى لهو الحديث، ليتلهَّى به ويروِّح نفسه، لا ليضلَّ عن سبيل الله»[(١)].

وردَّ ابنُ حزم أيضًا على الذين قالـوا: إن الغناء ليس من الحق، فهو إذن من الضلال، قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢]. قال: «إن رسـول الله ﷺ قـال: «**إنما الأعمـال بالنيـات، وإنما لـكل امرئ ما نوى**»[(٢)]. فمن نوى باسـتماع الغناء عونًا على معصية الله، فهو فاسق، وكذلك كل شـيء غير الغناء، ومن نوى ترويح نفسه ليقْوَى بذلك على طاعة الله ﷻ، وينشِّط نفسـه بذلك على البِرِّ، فهو مطيع مُحْسِن، وفعله هذا من الحق. ومن لم ينوِ طاعة ولا معصية، فهو لغو معفوٌّ عنه، كخروج الإنسان إلى بستانه متنزِّهًا، وقعوده على باب داره متفرجًا، وصبغه ثوبه لازْوَرْدِيًّا أو أخضر أو غير ذلك»[(٣)].

(١) المحلى (٥٦٧/٧).
(٢) سبق تخريجه صـ٤٩.
(٣) المحلى (٥٦٧/٧).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

• **قيود لا بد من مراعاتها:**

على أن هناك قيودًا لا بد أن نراعيها في أمر الغناء:

١ ـ فلا بد أن يكون موضوع الغناء مما لا يخالف عقائد الإسلام وأحكامه وفرائضه، فالأغاني التي تسخر بأصل الدين أو بفكرة الألوهية أو النبوة أو الآخرة مرفوضة تمامًا، ومثل ذلك كل ما يخالف أدب الإسلام وتعاليمه، فإذا كانت هناك أغنية تمجد الخمر أو تدعو إلى شربها مثلًا، فإن أداءها حرام، والاستماع إليها حرام، وهكذا ما شابه ذلك، والأغنية التي تمدح «أبو عيون جريئة» لا توافق النصوص التي تأمر بالغض من الأبصار.

٢ ـ وربما كان الموضوع غير منافٍ لتوجيه الإسلام، ولكن طريقة أداء المغنِّي أو المغنيَّة له، تنقله من دائرة الحِل إلى دائرة الحرمة، وذلك بالتكسُّر والتميُّع وتعمُّد الإثارة للغرائز، والإغراء بالفتن والشهوات، وبعضهم أو بعضهن معروف بذلك، فهو لا يُغنِّي بلسانه فقط، بل بجسمه كله وحركاته كلها.

٣ ـ كما أن الدين يحارب الغلو والإسراف في كل شيء، حتى في العبادة، فما بالك بالإسراف في اللهو، وشغل الوقت به والوقت هو الحياة؟!

لا شك أن الإسراف في المباحات يأكل وقت الواجبات، وقد قيل بحق: «ما رأيت إسرافًا إلا وبجانبه حقٌّ مضيَّع»[1].

٤ ـ تبقى هناك أشياء يكون كل مستمع فيها مفتي نفسه، فإذا كان الغناء، أو لون خاص منه يستثير غريزته، ويغريه بالفتنة، ويطغي فيه

(١) البيان والتبيين للجاحظ (١٧٧/٣) نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الجانب الحيواني على الجانب الروحاني، فعليه أن يتجنَّبه حينئذ، ويسدُّ الباب الذي تهبُّ منه رياح الفتنة على قلبه ودينه وخلقه، فيستريح ويُريح.

٥ ـ ومن المتَّفق عليه أن الغناء يُحَرَّم إذا اقترن بمحرمات أخرى، كأن يكون في مجلس شرب، أو تخالطه خلاعة أو فجور، فهذا هو الذي أنذر رسول الله ﷺ أهله وسامعيه بالعذاب الشديد، حين قال: «**ليشربنَّ أناس من أمَّتي الخمر، يسمُّونها بغير اسمها، يُعزف على رؤوسهم بالمعازف والمغنيات، يخسف الله بهم الأرض، ويجعل منهم القردة والخنازير**»[(١)].

وليس بلازم أن يكون مسخ هؤلاء مسخًا للشكل والصورة، وإنما هو مسخ النفس والرُّوح، فيحملون في إهاب الإنسان نفْسَ القرد ورُوح الخنزير.

وقد ألّفنا كتابًا كاملًا في «فقه الغناء والموسيقى» بسطنا فيه الأحكام وفصلنا الأدلة لأهمية الموضوع في حياة الناس.

• القمار قرين الخمر:

والإسلام الذي أباح للمسلم ألوانًا من اللهو واللعب، حرَّم كلَّ لعب يُخالطه قِمَار، وهو ما لا يخلو اللاعب فيه من ربح أو خسارة. وقد ذكرنا قبل ذلك قول الرسول ﷺ: «**من قال لصاحبه: تعالَ أقامركَ، فليتصدَّق**»[(٢)].

ولا يحلُّ لمسلم أن يجعل من لعب القمار (الميسر) وسيلتَه للَّهْو والتسلية، وتمضية أوقات الفراغ، كما لا يحل له أن يتخذ منه وسيلة لاكتساب المال، بحالٍ من الأحوال.

---

(١) سبق تخريجه صـ٤٩.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٨٦٠)، ومسلم في الأيمان (١٦٤٧)، عن أبي هريرة.

نسخة ثانية
QaradawiBooks.com

وللإسلام من وراء هذا التحريم الجازم حِكَم بالغة، وأهداف جليلة، منها:

١ ـ أنه يريد من المسلم أن يتَّبع سنن الله في اكتساب المال، وأن يطلب النتائج من مقدماتها، ويأتيَ البيوت من أبوابها، وينتظر المسبَّبات من أسبابها. والقمار ـ ومنه اليانصيب ـ يجعل الإنسان يعتمد على الحظِّ والصُّدْفة والأمانيِّ الفارغة، لا على العمل والجِدِّ واحترام الأسباب التي وضعها الله، وأمر باتخاذها.

٢ ـ والإسلام يجعل لمال الإنسان حُرمة، فلا يجوز أخذه منه، إلا عن طريق مبادَلة مشروعة، أو عن طِيب نفْس منه، بهبة أو صدقة. أما أخذه بالقمار، فهو من أكل المال بالباطل.

٣ ـ ولا عجب بعد هذا أن يورث العداوة والبغضاء بين اللاعبين المتقامرين، وإن أظهروا بألسنتهم أنهم راضون، فإنهم دائمًا بين غالب ومغلوب، وغابن ومغبون. والمغلوب إذا سكت سكت على غيظ وحنق؛ غيظ من خاب أملُه، وحنق من خسرت صفقته، وإن خاصم خاصم فيما التزمه بنفسه، واقتحم فيه بعضده.

٤ ـ والخيبة تدفع المغلوب إلى المعاودة، عسى أن يعوِّض في الثانية ما خسر في الأولى. والغالب تدفعه لذة الغلبة إلى التكرار، ويدعوه قليله إلى كثيره، ولا يدعه حرصه ليقلع، وعما قليل تكون الدائرة عليه، وينتقل من نشوة الظَّفَر إلى غَمِّ الإخفاق.. وهكذا دواليك، مما يربط كليهما بمنضدة اللعب، فلا يكادان يفارقانها. وهذا هو السر في كارثة الإدمان في لاعبي الميسر.

٥ ـ من أجل ذلك كانت هذه الهواية خطرًا شديدًا على المجتمع، كما

QaradawiBooks.com

هي خطر على الفـــرد. إنها هوايـــة تلتهم الوقت والجهـــد، وتجعل من المقامرين أُناسًـــا عاطلين، يأخذون من الحياة ولا يُعطون، ويستهلكون ولا ينتجون. والمقامر مشغولٌ دائمًا بقِماره عن واجبه نحو ربه، وواجبه نحو نفسه، وواجبه نحو أسرته، وواجبه نحو أُمَّته.

ولا يُستبعد على من عشـــق «المائدة الخضراء» ـ كما يسمونها ـ أن يبيع من أجلها دينَه وعِرْضَه ووطنه، فـــإن صداقة هذه المائدة تنتزعه من الصداقة لأي شيء أو أي معنى آخر.

كما أنها تغرس فيه حبَّ المقامرة بكل شـــيء. حتى بشرفه وعقيدته وقومه، في سبيل كسبٍ موهوم.

وما أصدق القرآن وأروعه حين جمع بين الخمر والميســـر في آياته وأحكامه! فإن أضرارهما على الفرد والأُسْرة والوطن والأخلاق متشابهة، وما أشبه مدمن القِمَار بمدمن الخمر، بل قلما يوجد أحدهما دون الآخر.

ما أصدق القرآن حيـــن علَّمنا أنهمـــا من عمل الشـــيطان، وقرنهما بالأنصاب والأزلام، وجعلهما رجسًا واجب الاجتناب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۞ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

• اليانصيب ضرب من القمار:

وما يُسمَّى «باليانصيب» هو لونٌ من ألوان القِمَار، ولا ينبغي التساهل والترخيص فيه باسم «الجمعيات الخيرية» و«الأغراض الإنسانية».

إن الذين يستبيحون اليانصيب لهذا، كالذين يجمعون التبرعات لمثل

QaradawiBooks.com

تلك الأغراض بالرقص الحرام، و«الفن» الحرام. ونقول لهؤلاء وهؤلاء: «**إن الله طيِّب، لا يقبل إلا طيِّبًا**»[١].

والذين يلجؤون إلى هذه الأساليب يفترضون في المجتمع أن قد ماتت فيه نوازع الخير وبواعث الرحمة ومعاني البر، ولا سبيل إلى جمع المال إلا بالقمار أو اللهو المحظور! والإسلام لا يفترض هذا في مجتمعه، بل يؤمن بجانب الخير في الإنسان، فلا يتخذ إلا الوسيلة الطاهرة للغاية الشريفة، تلك الوسيلة هي الدعوة إلى البر، واستثارة المعاني الإنسانية، ودواعي الإيمان بالله والآخرة.

• دخول السينما:

ويتساءل كثير من المسلمين عن موقف الإسلام من دور الخَيَالة (السينما) والمسرح وما شابهها. وهل يحل للمسلم ارتيادها أم يحرم عليه؟ ولا شك أن «السينما» وما ماثلها أداةٌ هامَّة من أدوات التوجيه والترفيه، وشأنها شأن كل أداة، فهي إما أن تُستعمل في الخير، أو تُستعمل في الشرِّ، فهي بذاتها لا بأس بها، ولا شيء فيها، والحكم في شأنها يكون بحسب ما تؤديه وتقوم به.

وهكذا نرى في السينما: هي حلال طيب، بل قد تُستحب وتُطلب، إذا توفرت لها الشروط الآتية:

أولا: أن تتنزَّه موضوعاتها التي تُعرض فيها عن المجون والفسق، وكل ما ينافي عقائد الإسلام وشرائعه وآدابه. فأما الروايات التي تثير الغرائز الدنيا، أو تحرض على الإثم، أو تغري بالجريمة، أو تدعو لأفكار

(١) سبق تخريجه صـ٥٢.

QaradawiBooks.com

منحرفة، أو تروِّج لعقائدَ باطلةٍ.. إلى آخر ما نعرف، فهي حرام، لا يحل للمسلم أن يشاهدها، أو يشجعها، فضلًا عن أن يُنتجها، أو يشارك في إنتاجها بوجهٍ ما.

ثانيًا: ألَّا تشغله عن واجب ديني أو دنيوي. وفي طليعة الواجبات الصلوات الخمس، التي فرضها الله كل يوم على المسلم، فلا يجوز للمسلم أن يضيع صلاة مكتوبة ـ كصلاة المغرب ـ من أجل رواية يشاهدها. قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤، ٥]. وفُسِّر السهو عنها بتأخيرها حتى يفوت وقتها. وقد جعل القرآنُ من جملة أسباب تحريم الخمر والميسر أنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة.

ثالثًا: أن يتجنب مرتادها الملاصقة والاختلاط المثير بين الرجال والنساء الأجنبيات عنهم، منعًا للفتنة، ودرءًا للشبهة، ولا سيما أن المشاهدة لا تتم إلا تحت ستار الظلام، وقد مرَّ بنا الحديث: «**لأن يُطْعَنَ في رأس أحدكم بمِخْيَط من حديد، خيرٌ له من أن يمَسَّ امرأة لا تحل له**»[1].

(١) سبق تخريجه صـ٢١١.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٤

في العلاقات الاجتماعية

أقام الإسلام العلاقة بين أبناء مجتمعه على دِعامتين أصيلتين:

أولاهما: رعاية الأخوة التي هي الرباط الوثيق بين بعضهم مع بعض.

والثانية: صيانة الحقوق والحُرُمات التي حماها الإسلام لكل فرد منهم، من دم وعرض ومال.

وكل قول أو عمل أو سلوك فيه عدوان على هاتين الدِّعامتين أو خدش لهما، يحرمه الإسلام تحريمًا يختلف في الدرجة، على حسب ما ينجم عنه من ضرر مادي أو أدبي.

وفي الآيات التالية نموذج من هذه المحرمات، التي تضرُّ بالأخوة وحرمات الناس.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٠ ـ ١٢].

QaradawiBooks.com

قرَّر تعالى في أولى هذه الآيات أن المؤمنين إخوة، تجمعهم أخوَّة الدِّين مع أُخوَّة البشرية والأخوَّة الوطنية والقومية، ومقتضى الأخوَّة أن يتعارفوا ولا يتناكروا، ويتواصلوا ولا يتقاطعوا، ويتصافَوْا ولا يتشاحنوا، ويتحابُّوا ولا يتباغضوا، ويتَّحدُوا ولا يختلفوا.

وفي الحديث الصحيح: «**لا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانًا**»[(١)].

- **لا يحلُّ لمسلمٍ أن يهجر مسلمًا:**

ومن هنا حرَّم الإسلام على المسلم أن يجفو أخاه المسلم ويقاطعه، ويُعرض عنه، ولم يرخِّص للمتشاحنين إلا في ثلاثة أيام، حتى تهدأ ثائرتهما، ثم عليهما أن يسعيا للصلح والصفاء، والاستعلاء على نوازع الكبر والغضب والخصومة، فمن الصفات الممدوحة في القرآن: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

قال النبي ﷺ: «**لا يحلُّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يلتقيان فيُعرضُ هذا، ويُعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**»[(٢)]. وفي رواية أبي داود: «**فإن مرَّت به ثلاث، فليلقَه فليُسلِّم عليه، فإن رد عليه السلام فقد اشتركا في الأجر، وإن لم يردَّ عليه فقد باء بالإثم، وخرج المسلم من الهجرة**»[(٣)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٦٤)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٦٣)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الاستئذان (٦٢٣٧)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٥٦٠)، عن أبي أيوب الأنصاري.

(٣) رواه أبو داود في الأدب (٤٩١٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٤١٤)، وحسن إسناده النووي في رياض الصالحين (١٥٩٧)، وضعفه الألباني في غاية المرام (٤٠٥)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وتتأكَّد حرمة القطيعة إذا كانت لذي رحم أوجب الإسلام صلتُها، وأكَّد وجوبها ورعاية حُرْمَتها. قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، وصوَّر الرسول ﷺ هذه الصلة، ومبلغ قيمتها عند الله فقال: «**الرحم معلَّقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله**»(١).

وقال: «**لا يدخل الجنة قاطع**»(٢). فسَّره بعض العلماء بقاطع الرحم، وفسَّره آخرون بقاطع الطريق، فكأنهما بمنزلةٍ واحدة.

وليست صلة الرحم الواجبة أن يكافئ القريب قريبَه صلةً بِصِلة، وإحسانًا بإحسان، فهذا أمر طبيعي مفروض، إنما الواجب أن يصل ذوي رحمه وإن هجروه، قال ﷺ: «**ليس الواصل بالمكافئ، ولكنَّ الواصل الذي إذا قُطعت رحمُه وصلها**»(٣).

وهذا ما لم يكن ذلك الهِجْران وتلك المقاطعة لله، وفي الله، وغضبًا للحق، فإن «**أوثق عرى الإيمان الحبُّ في الله، والبُغْض في الله**»(٤).

وقد هجر النبي وأصحابُه الثلاثةَ الذين خُلِّفوا في غزوة تبوك خمسين يومًا، حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم، ولم يكن أحد يجالسهم أو يُكَلِّمهم أو يُحَيِّيهم، حتى أنزل الله في كتابه توبته عليهم(٥).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٨٩)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٥٥)، عن عائشة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٨٤)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٥٦)، عن جُبَيْر بن مُطْعِم.

(٣) رواه البخاري في الأدب (٥٩٩١)، عن عبد الله بن عمرو.

(٤) رواه أحمد (١٨٥٢٤)، وقال مخرجوه: حديث حسن بشواهده، وأبو داود الطيالسي (٧٨٣)، عن البراء بن عازب.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٤١٨)، ومسلم في التوبة (٢٧٦٩)، عن كعب بن مالك.

QaradawiBooks.com

وهجر النبيُّ ﷺ بعض نسائه شهرًا[١].

وهجر عبد الله بن عمر ابنًا له إلى أن مات؛ لأنه لم يَنْقَدْ لحديثٍ ذكره له أبوه عن رسول الله ﷺ نهى فيه الرجال أن يمنعوا النساء من الذهاب إلى المساجد[٢].

أما إذا كان الهِجْران والتشاحن لدنيا، فإن الدنيا لأَهْون على الله وعلى المسلم من أن تؤدِّي إلى التدابر وتقطيع الأواصر بين المسلم وأخيه. كيف وعاقبة التمادي في الشحناء حِرْمانٌ من مغفرة الله ورحمته؟!

وفي الحديث الصحيح: «**تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين والخميس، فيغفر الله ﷻ لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا، إلا رجلًا كان بينه وبين أخيه شحناء، فيقول: أنظِرُوا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا**»[٣].

ومن كان صاحب حق، فيكفي أن يجيئه أخوه معتذرًا، وعليه أن يقبل اعتذاره ويُنهي الخصومة، لا ينبغي له أن يردَّه، ويرفض اعتذاره. وفي الحديث: «**من اعتذر إلى أخيه بمعذرة فلم يقبلها، كان عليه مثل خطيئة صاحب مكْس**»[٤].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥١٩١)، ومسلم في الطلاق (١٤٧٩)، عن ابن عباس.

(٢) رواه أحمد (٤٩٣٣)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. والحديث عند مسلم في الصلاة (٤٤٢)، دون قوله قال: «فما كلمه حتى مات».

(٣) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٥)، وأبو داود في الأدب (٤٩١٦)، عن أبي هريرة.

(٤) رواه ابن ماجه في الأدب (٣٧١٨)، والطبراني (٢٧٥/٢)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١٣٠٧): رجاله ثقات إلا أنه مرسل، وضعَّفه الألباني في غاية المرام (٤١٣)، عن جودان مرسلًا.

QaradawiBooks.com

• **إصلاح ذات البين:**

وإذا كان على المتخاصمَيْن أن يُصفِّيا ما بينهما وفقًا لمقتضى الأخوة، فإن على المجتمع واجبًا آخر، فإن المفهوم أن المجتمع الإسلامي مجتمع متكامل متعاون، فلا يجوز له أن يرى بعض أبنائه يتخاصمون أو يتقاتلون، وهو يقف موقف المتفرِّج، تاركًا النار تزداد اندلاعًا، والخرق يزداد اتساعًا.

بل على ذوي الرأي والمقدرة أن يتدخلوا لإصلاح ذات البين، متجردين للحق، مبتعدين عن الهوى. كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقد بيَّن النبي ﷺ في حديثه فضل هذا الإصلاح، وخطر الخصومة والشحناء، فقال: «**ألا أدلُّكم على أفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة؟**» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «**إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة**»[(١)]. وفي رواية: «**لا أقول: إنها تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين**»[(٢)].

وقد حرَّم الله في الآيات التي ذكرناها جملة أشياء صان بها الأخوَّة، وما توجبه من حرمة الناس.

---

(١) رواه أحمد (٢٧٥٠٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين. وأبو داود في الأدب (٤٩١٩)، والترمذي في صفة القيامة (٢٥٠٩)، وقال: حديث صحيح. وابن حبان في الصلح (٥٠٩٢)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٤١٤)، عن أبي الدرداء.

(٢) رواه أحمد (١٤١٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه، والترمذي في صفة القيامة (٢٥١٠)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢١٢٢)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦١/٣): حسن لغيره. عن الزبير بن العوام.

QaradawiBooks.com

١ ـ لا يسخر قوم من قوم:

وأول هذه الأشياء السخرية من الناس.. فلا يُحلُّ لمؤمنٍ يخشى الله، ويرجو الدار الآخرة: أن يسخر من أحد من الناس، أو يجعل من بعض الأشخاص موضع هُزئه وسخريته، وتندُّره ونكاته، ففي هذا كِبر خفي، وغرور مُقَنَّع، واحتقار للآخرين، وجهل بموازين الخيرية عند الله. ولذا قال تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ [الحجرات: ١١].

إن الخيرية عند الله تقوم على الإيمان والإخلاص، وحسن الصلة بالله تعالى، لا على الصور والأجسام، ولا على الجاه والمال. وفي الحديث: «**إن الله لا ينظر إلى صُوَركم ولا أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»(١).

فهل يجوز أن يسخر من إنسان رجل أو امرأة لعاهةٍ في بدنه أو آفةٍ في خِلْقته أو فقرٍ في ماله؟!

وقد ثبت أن عبد الله بن مسعود انكشفت ساقه، وكانت دقيقة هزيلة، فضحك منها بعض الحاضرين، فقال النبي ﷺ: «**أتضحكون من دِقَّة ساقيه، والذي نفسي بيده، لهما أثقل في الميزان من جبل أُحُد**»(٢).

وقد حكى القرآن عن مجرمي المشركين كيف كانوا يسخرون بالمؤمنين الأخيار، ولا سيما المستضعفين منهم، كبِلالٍ وعمَّار، وكيف ستنقلب الموازين يوم الحساب، فيصبح الساخرون موضع السخرية والاستهزاء:

---

(١) رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٥٦٤)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٣٩٩١)، وقال مخرجوه: صحيح لغيره. والطبراني (٨٤٥٢)، والبزار (٣٣٠٥)، وابن حبان في مناقب الصحابة (٧٠٦٩)، وحسَّنه الألباني في غاية المرام (٤١٦)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ۞ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۞ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ۞ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ۞ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ۞ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين: ٢٩ ـ ٣٤].

وقد نصَّت الآية بصريح العبارة على النهي عن سخرية النساء، مع أنها تُفهم ضمنًا، وتدخل تبعًا. وذلك لأن سخرية النساء بعضهن من بعض، من الأخلاق الشائعة بينهن.

٢ ـ لا تلمزوا أنفسكم:

وثاني هذه المحرَّمات هو اللَّمز، ومعناه في اللغة: الوخْز والطعن، ومعناه هنا العيب؛ فكأن من يَعيب الناس، إنما يوجه إليهم وخْزة بسيف أو طعْنة برُمْح. وهذا حق، بل ربما كانت وخْزة اللسان أشدُّ وأنكَى، وقد قيل:

جراحات السِّنان لها التئام ولا يَلْتَامُ ما جَرَح اللسان[1]

ولصيغة النهي في الآية إيحاء جميل، فهي تقول: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١]، والمراد لا يلمز بعضكم بعضًا، ولكن القرآن يعبِّر عن جماعة المؤمنين، كأنهم نفس واحدة؛ لأنهم جميعًا متعاونون متكافلون، فمن لمز أخاه، فإنما يلمز نفسه في الحقيقة؛ لأنه منه وله.

٣ ـ لا تنابزوا بالألقاب:

ومن اللمز المحرَّم: التنابز بالألقاب، وهو التنادي بما يسوء منها ويكره، مما يحمل سخرية ولمزًا، ولا ينبغي لإنسان أن يسوء أخاه، فيناديه بلقب يكرهه ويتأذَّى منه، فهذا مدعاة لتغير النفوس، وعدوان على الأخوة، ومنافاة للأدب والذوق الرفيع.

---

(١) ذكره الجاحظ ولم ينسبه في المحاسن والأضداد صـ٤١، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

QaradawiBooks.com

٤ ـ سوء الظن:

والإسلام يريد أن يقيم مجتمعه على صفاء النفوس، وتبادل الثقة، لا على الرِّيَب والشكوك، والتهم والظنون. ولهذا جاءت الآية برابع هذه المحرَّمات التي صان بها الإسلام حرمات الناس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]. وهذا الظن الآثم هو ظن السوء، فلا يحلُّ للمسلم أن يُسيئ ظنَّه بأخيه المسلم دون مسوِّغ ولا بيِّنة ناصعة.

إن الأصل في الناس أنهم أبرياء، ووساوس الظن لا يصح أن تعرض ساحة البريء للاتهام، وقد قال النبي ﷺ: «**إياكم والظنَّ، فإن الظنَّ أكذبُ الحديث**»[(١)].

والإنسان لضعفه البشري لا يسلم من خواطر الظن والشك في بعض الناس، وخصوصًا فيمن ساءت بهم علاقته. ولكن عليه ألا يستسلم لها، ولا يسير وراءها، وهذا معنى ما ورد في الحديث: «**إذا ظننتَ فلا تُحقِّق**»[(٢)].

٥ ـ التجسُّس:

إن عدم الثقة في الآخرين يدفع إلى عمل قلبي باطن هو سوء الظن، وإلى عمل بدني ظاهر هو: التجسُّس، والإسلام يُقيم مجتمعه على نظافة الظاهر والباطن معًا، ولهذا قرن النهي عن التجسس بالنهي عن سوء الظن. وكثيرًا ما كان هذا سببًا لذاك، وفي الصحيحين: «**إياكم والظنَّ، فإن الظنَّ أكذبُ الحديث، ولا تحسَّسوا ولا تجسَّسوا**»[(٣)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الفرائض (٦٧٢٤)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٦٣)، عن أبي هريرة.

(٢) سبق تخريجه صـ٣٠٦.

(٣) هو الحديث الأسبق.

QaradawiBooks.com

إن للناس حرمةً لا يجوز أن تُهتك بالتجسُّس عليهم، وتتبُّع عوراتهم، حتى وإن كانوا يرتكبون إثمًا خاصًّا بأنفسهم، ما داموا مستَتِرين به، غير مجاهرين.

عن أبي الهيثم، عن دُخَيْن، كاتب عقبة بن عامر، قال: قلتُ لعقبة: إن لنا جيرانًا يشربون الخمر، وأنا داعٍ لهم الشُّرَط فيأخذوهم[١]. فقال: لا تفعلْ، ولكن عِظْهم وتهدَّدْهم. قال: ففعل، فلم ينتهوا. قال: فجاءه دُخَيْن. فقال: إني نهيتُهم فلم ينتهوا، وأنا داع لهم الشُّرَط. فقال عقبة: ويحَك، لا تفعل، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من ستر عورة مؤمن، فكأنما استحيا موءودة من قبرها**»[٢].

وقد جعل النبي ﷺ تتبُّع عورات الناس من خصال المنافقين، الذين قالوا: آمنا! بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم. وحمل عليهم حملةً عنيفة على ملأ الناس، فعن ابن عمر قال: صعِد رسول الله ﷺ المنبر، فنادى بصوت رفيع، فقال: «**يا معشر من قد أسلم بلسانه، ولم يفضِ الإيمان إلى قلبه! لا تؤذوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه، ولو في جوف رحله**»[٣].

ومن أجل الحفاظ على حُرمات الناس حَرَّم الرسول ﷺ أشد التحريم أن يطَّلع أحد على قوم في بيتهم بغير إذنهم، وأهدر في ذلك ما يصيبه

---

(١) كذا بنسخ المسند التي بأيدينا: فيأخذوهم.. بغير نون، والجادة: فيأخذونهم، ولعل ما هنا على لغة حذف نون الأفعال الخمسة من غير ناصب ولا جازم.

(٢) رواه أحمد (١٧٣٩٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لاضطراب في إسناده، والنسائي في الكبرى في الرجم (٧٢٤٣)، وابن حبان في البر والإحسان (٥١٧)، وضعَّفه الألباني في غاية المرام (٤١٩).

(٣) رواه الترمذي في البر والصلة (٢٠٣٢)، وقال: حسن غريب. وابن حبان في الحظر والإباحة (٥٧٦٣)، وقال الأرناؤوط: إسناده قوي، وحسَّنه الألباني في غاية المرام (٤٢٠).

QaradawiBooks.com

من أصحاب البيت، قال: «**من اطَّلع في بيت قــوم بغير إذنهم، فقد حَلَّ لهم أن يفقؤوا عينه**»(١).

كما حرَّم أن يتســمَّع حديثهم بغير علم منهــم ولا رضًا، قال: «**من اســتمع إلى حديث قوم وهم له كارهــون؛ صُبَّ في أُذُنَيْــه الآنُك يوم القيامة**»(٢). والآنُك: الرصاص المذاب.

وأوجب القرآن على كل من أراد أن يزور إنســانًا في بيته ألَّا يدخل حتى يستأذن ويسلم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ [النور: ٢٧، ٢٨].

وفي الحديث: «**أيُّما رجل كشف سِــتْرًا، فأدخل بصره قبل أن يُؤذن له، فقد أتى حدًّا لا يحل له أن يأتيه**»(٣).

ونصوص النهي عن التجســس وتتبع العورات عامَّة تشمل الحُكَّام والمحكومين معًا. وقد روى معاوية، عن النبي ﷺ قال: «**إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم، أو كدتَ تفسدهم**»(٤).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الديات (٦٩٠٢)، ومسلم في الآداب (٢١٥٨)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه البخاري في التعبير (٧٠٤٢)، عن ابن عباس.

(٣) رواه أحمــد (٢١٥٧٢)، وقال مخرجوه: إســناده ضعيف. والترمذي في الاســتئذان (٢٧٠٧) واســتغربه، وقال المنذري في الترغيب (٤١٣٠): رواه أحمد ورواتــه رواة الصحيح إلا ابن لهيعة. وقال الهيثمي في مجمع الزوائــد (١٠٧٦٢): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث وفيه ضعف. وكذا قال المناوي في التيسير (٤١٣/١)، وحسَّنه السيوطي في الصغير (٢٩٨٥)، وضعَّفه الألباني في غاية المرام (٤٢٣)، ثم صحَّحه في صحيح الترغيب (٢٧٢٨)، عن أبي ذر.

(٤) رواه أبــو داود فــي الأدب (٤٨٨٨)، وأبو يعلى (٧٣٨٩)، وابن حبان فــي الحظر والإباحة =

QaradawiBooks.com

وروى أبو أمامة عنه ﷺ قال: «**إن الأميـــر إذا ابتغى الرِّيبة في الناس أفسدهم**»(١).

٦ ـ الغِيبة:

وســـادس ما نهت عنه الآيات التي مرَّت معنا هو: الغِيبة: ﴿**وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا**﴾ [الحجرات: ١٢].

وقد أراد الرســـول ﷺ أن يحدِّد مفهومها لأصحابه على طريقته في التعليم بالســـؤال والجواب، فقـــال لهم: «**أتدرون ما الغيبـــة؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**ذِكْرُك أخاك بما يكره**» قيل: أفرأيتَ إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتَه، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتَّه**»(٢). أي ارتكبتَ بُهتانًا في حقِّه.

وما يكرهه الإنسان يتناول خَلقه وخُلقه ونسبه، وكل ما يخصُّه.

وعن عائشـــة قالت: قلتُ للنبي ﷺ: حسْـــبُك من صفية (زوج النبي وضِرَّتها) كذا وكذا ـ تعني أنها قصيرة ـ فقال النبي ﷺ: «**لقد قلتِ كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجَتْه**»(٣).

= (٥٧٦٠)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح. وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء صـ ٦٥٠: رواه أبو داود بإسناد صحيح. وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٤٢٤).

(١) رواه أحمـــد (٢٣٨١٥)، وقال مخرجوه: حســـن. وأبو داود فـــي الأدب (٤٨٨٩)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٣٤٣): صحيح لغيره، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٤٢٥).

(٢) رواه مسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٨٩)، وأحمد (٨٩٨٥)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه أحمد (٢٥٥٦٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود في الأدب (٤٨٧٥)، والترمذي في صفة القيامة والرقائق والـــورع (٢٥٠٢)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٤٢٧).

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

إن الغِيبَة هي شهوة الهدم للآخرين، هي شهوة النهْش في أعراض الناس وكراماتهم وحرماتهم، وهم غائبون. إنها دليل على الخِسَّة والجُبْن؛ لأنها طعن من الخلف، وهي مظهر من مظاهر السلبية، فإن الاغتياب جَهْدُ من لا جَهْدَ له. وهي مِعْوَل من معاول الهدم؛ لأن هواة الغِيبَة، قَلَّما يسلم من ألسنتهم أحد، بغير طعن ولا تجريح.

فلا عجب إذا صوَّرها القرآن في صورة منفِّرة، تتقزَّز منها النفوس، وتنبو عنها الأذواق: ﴿**وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ**﴾ [الحجرات: ١٢]. والإنسان يأنف أن يأكل لحم أي إنسان، فكيف إذا كان لحم أخيه؟! وكيف إذا كان ميتًا؟!

وقد ظل النبي ﷺ يؤكِّد هذا التصوير القرآني في الأذهان، ويُثَبِّته في القلوب، كلما لاحت فرصة لهذا التأكيد والتثبيت.

قال ابن مسعود: كنا عند النبي ﷺ فقام رجل ـ أي غاب من المجلس ـ فوقع فيه رجل من بعده، فقال النبي لهذا الرجل: «**تخلَّل**». فقال: مِمَّ أتخلل؟ ما أكلتُ لحمًا! قال: «**إنك أكلتَ لحم أخيك**»[(١)].

وعن جابر قال: كُنَّا عند النبي ﷺ، فهبَّت ريح مُنتِنة، فقال الرسول ﷺ: «**أتدرون ما هذه الريح؟ هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين**»[(٢)].

(١) رواه الطبراني (١٠٢/١٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣١٤٥): رجاله رجال الصحيح. وصححه الألباني في غاية المرام (٤٢٨).

(٢) رواه أحمد (١٤٧٨٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والبخاري في الأدب المفرد (٧٣٢)، وقال المنذري في الترغيب (٤٢٩٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٣١٢١): رواة أحمد ثقات. وحسَّنه الألباني في غاية المرام (٤٢٩).

QaradawiBooks.com

حدود الرخصة في الغِيبَة:

كل هذه النصوص تدلُّنا على قداسة الحرمة الشخصية للفرد في الإسلام.

ولكن هناك صور استثناها علماء الإسلام من الغيبة المحرمة، وهي استثناء يجب الاقتصار فيه على قدر الضرورة.

ومن ذلك المظلوم الذي يشكو ظالمه، ويتظلَّم منه، فيذكره بما يسوؤه، مما هو فيه حقًّا، فقد رُخِّص له في التظلُّم والشكوى، قال الله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٨].

وقد يسأل سائل عن شخص معين، ليشاركه في تجارة، أو يزوِّجه ابنتَه، أو يُوَلِّيه من قِبَله عملًا هامًّا، وهنا تعارض واجب النصيحة في الدين، وواجب صيانة عِرض الغائب، ولكن الواجب الأول أهم وأقدس، فقُدِّم على غيره.

وقد أخبرت فاطمةُ بنت قيس النبيَّ ﷺ عن اثنين تقدَّما لخطبتها، فقال لها عن أحدهما: «**إنه صعلوك لا مال له**». وقال عن الآخر: «**إنه لا يضع عصاه عن عاتقه**»[1]. يعني أنه كثير الضرب للنساء.

ومن ذلك الاستفتاء والاستعانة على تغيير المنكر.

ومن ذلك أن يكون للشخص اسم أو لقب، أو وصف يكرهه، ولكنه لم يشتهر إلا به، كالأعرج والأعمش وابن فلانة.

ومن ذلك تجريح الشهود، ورواة الأحاديث والأخبار، وبهذا قام علم الجرح والتعديل، فلولا هذا لقال مَن شاء ما شاء.

---

(١) رواه مسلم في الطلاق (١٤٨٠)، وأحمد (٢٧٣٣٣).

QaradawiBooks.com

الضابط العام هنا:

والضابط العام في إباحة هذه الصور أمران:

١ ـ الحاجة:

فما لم تكن هناك حاجة ماسَّة إلى ذكر غائب بما يكره، فليس له أن يقتحم هذا الحِمَى المحرَّم، وإذا كانت الحاجة تزول بالتلميح، فلا ينبغي أن يلجأ إلى التصريح، أو بالتعميم، فلا يذهب إلى التخصيص. فالمستفتي ـ مثلًا ـ إذا أمكن أن يقول: ما قولكَ في رجل يصنع كذا وكذا؟ فلا ينبغي أن يقول: ما قولك في فلان بن فلان؟ وكل هذا بشرط ألَّا يذكر شيئًا غير ما فيه، وإلا كان بُهتانًا حرامًا.

٢ ـ النية:

والنية وراء هذا كله فيصل حاسم، والإنسان أدرى بحقيقة بواعثه من غيره، النية هي التي تفصل بين التظلُّم والتشفِّي، بين الاستفتاء والتشنيع، بين الغِيبة والنقد، بين النصيحة والتشهير. والمؤمن ـ كما قيل ـ أشد حسابًا لنفسه من سلطان غاشم، ومن شريك شحيح.

ومن المقرَّر في الإسلام أن السامع شريك المغتاب، وأن عليه أن ينصر أخاه في غيبته ويرد عنه. وفي الحديث: «**من ذَبَّ عن عرض أخيه الغِيبة، كان حقًّا على الله أن يُعتقه من النار**»[(١)]. «**من رد عن عِرض أخيه في الدنيا رد الله عن وجهه النار يوم القيامة**»[(٢)].

(١) رواه أحمد (٢٧٦٠٩)، وقال مخرجوه: إسناده ضعيف. والطبراني (١٧٦/٢٤). وقال المنذري في الترغيب (٤٣١٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٣١٥٠)، والبوصيري في إتحاف الخيرة (٥٣٥٩/٥): إسناد أحمد حسن. وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٤٣١)، عن أسماء بنت يزيد.

(٢) رواه أحمد (٢٧٥٤٣)، وقال مخرجوه: حسن لغيره، والترمذي في البر والصلة (١٩٣١)، وحسنه الألباني في غاية المرام (٤٣٢)، عن أبي الدرداء.

QaradawiBooks.com

فمن لم تكن له هذه الهِمَّة، ولم يستطع رد هذه الألسنة المفترسة عن عرض أخيه، فأقل ما يجب عليه أن يعتزل هـذا المجلس، ويُعرض عن القوم حتى يخوضوا في حديث غيره، وإلا فما أجدره بقول الله: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

٧ ـ النميمة:

وإذا ذُكِرَت الغِيبة في الإسلام ذُكِرَ بجوارها خصلة تقترن بها، حرمها الإسـلام كذلك أشـد الحرمة، تلك هي النميمة. وهي نقل ما يسـمعه الإنسـان عن شـخص إلى ذلك الشـخص على وجه يُوقِع العداوةَ بين الناس، ويكدِّر صفوَ العلائق بينهم، أو يزيدها كدرًا.

وقد نزل القرآن بـذمِّ هذه الرذيلة منذ أوائل العهـد المكي؛ إذ قال: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١٠، ١١].

وقال ﷺ: «**لا يدخل الجنة قتَّات**»[(١)]. والقتَّات هو النمَّام. وقيل: النمَّام هو الذي يكون مع جماعة يتحدَّثون حديثًا، فينُـمُّ عليهم. والقتَّات: هو الذي يتسمع عليهم، وهم لا يعلمون، ثم ينُمُّ.

وقال ﷺ: «**شرار عباد الله: المشَّاؤون بالنَّمِيمة، المفرِّقون بين الأحبَّة، الباغون للبرآء العَنَت**»[(٢)].

إن الإسـلام في سـبيل تصفية الخصومة وإصـلاح ذات البين يبيح للمُصلح أن يُخفي ما يعلم من كلام سـيئ قاله أحدهما عن الآخر، ويزيد

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٥٦)، ومسلم في الإيمان (١٠٥)، عن حذيفة.

(٢) رواه أحمد (١٧٩٩٨)، وقال مخرجوه: حسن بشواهده. وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٤٧٠٠)، عن عبد الرحمن بن غنم الأشعري.

QaradawiBooks.com

من عنده كلامًا طيبًا، لم يسمعه من أحدهما في شأن الآخر، وفي الحديث: «**ليس الكذَّاب الذي يُصلِحُ بين النَّاس، فيَنْمِي خيرًا، أو يقول خيرًا**»[١].

ويغضب الإسلام أشدَّ الغضب على أولئك الذين يسمعون كلمة السوء، فيبادرون بنقلها تزلُّفًا أو كَيْدًا، أو حُبًّا في الهدم والإفساد.

ومثل هؤلاء لا يقفون عند ما سمعوا، إن شهوة الهدم عندهم تدفعهم إلى أن يزيدوا على ما سمعوا، ويختلقوا إن لم يسمعوا.

إنْ يسمعوا الخير أخفَوْه، وإن سمعوا شرًّا أذاعوا، وإن لم يسمعوا كذبُوا[٢]

دخل رجل على عمر بن عبد العزيز، فذكر له عن آخر شيئًا يكرهه. فقال عمر: إن شئتَ نظرنا في أمرك، فإن كنتَ كاذبًا، فأنت من أهل هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦]. وإن كنتَ صادقًا، فأنت من أهل هذه الآية: ﴿هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ﴾ [القلم: ١١]. وإن شئتَ عفونا عنك. قال: العفو يا أمير المؤمنين، لا أعود إليه أبدًا[٣].

٨ ـ حرمة الأعراض:

لقد رأينا كيف صان الإسلام بتعاليمه وأحكامه الأعراض والحُرُمات، بل كيف وصل برعاية الحرمات للناس إلى حد التقديس. وقد نظر عبد الله بن عمر رضي الله عنه يومًا إلى الكعبة، فقال: ما أعظمَكِ وأعظم حرمتك! والمؤمن أعظم حرمة منك[٤].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الصلح (٢٦٩٢)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٦٠٥)، عن أم كلثوم بنت عقبة.

(٢) من شعر طريح بن إسماعيل الثقفي.

(٣) تنبيه الغافلين صـ ١٧٣.

(٤) سبق تخريجه صـ٣٨٨، وأوله: «**يا معشر من قد أسلم بلسانه**».

QaradawiBooks.com

وحرمة المؤمن تتمثل في حرمة عِرْضه ودمِه وماله.

وفي حجة الوداع خطب النبي ﷺ في جموع المسلمين فقال: «**إن أموالكم وأعراضكم ودماءكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا**»(١).

وقد حفظ الإسلام عِرْض الفرد من الكلمة التي يكرهها، تُذكر في غَيْبته وهي صدق، فكيف إذا كان الكلام افتراءً لا أصل له؟! إنها حينئذ تكون حُوبًا كبيرًا، وإثمًا عظيمًا. وفي الحديث: «**من ذكر امْرَأً بشيءٍ ليس فيه، ليعيبه به، حبسه الله في نار جهنم، حتى يأتي بنفاذ ما قال فيه**»(٢).

وعن سعيد بن زيد، أن النبي ﷺ قال: «**إن من أربى الربا الاستطالة في عِرْض المسلم بغير حقٍّ**»(٣). ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وأشد هذا اللون من الاعتداء على الأعراض هو رمْيُ المؤمنات العفيفات بالفاحشة، لما فيه من ضرر بالغ بسُمْعتهنَّ وسُمْعة أُسَرِهِنَّ، ومن خطرٍ على مستقبلهن، فضلًا عما فيه من حُبِّ إشاعة الفاحشة في المجتمع المؤمن.

ولذا عده الرسول من الكبائر السبع الموبقات، وأوعد القرآن عليه بأشدّ أنواع الوعيد: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٣ ـ ٢٥].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٧)، ومسلم في القسامة (١٦٧٩)، عن أبي بكرة.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٨٩٣٦)، قال المنذري في الترغيب (٤٢٣٢): رواه الطبراني بإسناد جيد. وصححه السيوطي في الصغير (٨٦٧٦)، وضعفه الألباني في غاية المرام (٤٣٧)، عن أبي الدرداء.

(٣) رواه أحمد (١٦٥١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح، رجاله ثقات. وأبو داود في الأدب (٤٨٧٦).

QaradawiBooks.com

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

٩ ـ حرمة الدماء:

قدَّس الإسلام الحياة البشرية، وصان حرمة النفوس، وجعل الاعتداء عليها أكبر الجرائم عند الله، بعد الكفر به تعالى. وقرَّر القرآن: ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

ذلك أن النوع الإنساني كله أسرة واحدة، والعدوان على نفسٍ من أنفُسِه، هو في الحقيقة عدوانٌ على النوع، وتجرُّؤ عليه.

وتشتدُّ الحرمة إذا كان المقتول مؤمنًا بالله: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

ويقول الرسول ﷺ: «**لَزَوالُ الدنيا أهونُ على الله من قتل رجل مسلم**»(١).

ويقول: «**لا يزال المؤمن في فُسْحة من دينه، ما لم يصب دمًا حرامًا**»(٢).

ويقول: «**كلُّ ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت مشركًا، أو الرجل يقتل مؤمنًا متعمِّدًا**»(٣).

---

(١) رواه الترمذي في الديات (١٣٩٥)، مرفوعًا وموقوفًا ورجح الموقوف، والنسائي في تحريم الدم (٣٩٨٧)، وصحَّحه السيوطي في الصغير (٧٢٣٦) والألباني في غاية المرام (٤٣٩)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه البخاري في الديات (٦٨٦٢)، عن ابن عمر.

(٣) رواه أحمد (١٦٩٠٧)، وقال مخرجوه: صحيح لغيره. والنسائي في تحريم الدم (٣٩٨٤)، والحاكم في الحدود (٣٥١/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي. وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٤٤١)، عن معاوية.

QaradawiBooks.com

ولهذه الآيات والأحاديث رأى ابن عباس رضي الله عنهما أن توبة القاتل لا تُقبل، وكأنه رأى أن من شرط التوبة ألَّا تُقبل إلا بردِّ الحقوق إلى أهلها أو استرضائهم، فكيف السبيل إلى ردِّ حق المقتول إليه أو استرضائه؟!

وقال غيره: إن التوبة النصوح مقبولة، وإنها تمحو الشرك، فكيف ما دونه؟

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۞ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ۞ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠].

• القاتل والمقتول في النار:

وعَدَّ النبي ﷺ قتال المسلم بابًا من الكفر، وعملًا من أعمال أهل الجاهلية الذين كانوا يشنُّون الحرب، ويُريقون الدماء من أجل ناقةٍ أو فرس. قال ﷺ: «**سباب المسلم فُسوق، وقتاله كُفْر**»(١).

«**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**»(٢).

وعن أبي بكرة، قال رسول الله ﷺ: «**إذا التقى المسلمان بسيفَيْهما فالقاتل والمقتول في النَّار**»، فقلتُ: يا رسول الله، هذا القاتل، فما بال المقتول؟! قال: «**إنه كان حريصًا على قتل صاحبه**»(٣).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤)، كلاهما في الإيمان، عن ابن مسعود.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢١)، ومسلم في الإيمان (٦٥)، عن جرير بن عبد الله.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٧٠٨٣)، ومسلم (٢٨٨٨)، كلاهما في الفتن.

QaradawiBooks.com

ومن أجل ذلك نهى النبيُّ ﷺ عن كلِّ عمل يؤدِّي إلى القتل أو القتال، ولو كان إشارة بالسلاح: «**لا يُشِر أحدُكم إلى أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري لعل الشيطانَ يَنْزِع في يده، فيقع في حُفْرة من النار**»(١).

«**من أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهي، وإن كان أخاه لأبيه وأمه**»(٢). بل قال ﷺ: «**لا يحل لمسلم أن يروِّع مسلما**»(٣). أي يُخيفه ويُفزِعه.

ولا يقف الإثم عند حدِّ القاتل وحدَه، بل كل من شاركه بقَوْل أو فِعْل يُصيبه من سَخَط الله بقدر مشاركته، حتى من حضر القتل يناله نصيب من الإثم، ففي الحديث: «**لا يقفن أحدكم موقفًا يُقتل فيه رجل ظلمًا، فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه**»(٤).

• حرمة دمِّ المُعاهد والذميِّ:

وإنما عُنِيت النصوص بالتحذير من قتل المسلم وقتاله؛ لأنها جاءت تشريعًا وإرشادًا للمسلمين في مجتمع إسلامي، وليس معنى هذا أن غير

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الفتن (٧٠٧٢)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٦١٧)، عن أبي هريرة.
ومعنى ينزع، قال النووي في شرحه على مسلم (١٧١/١٦): كذا هو في نسخ بلادنا، ومعناه يرمي في يده ويحقق ضربته ورَمْيته، وروي في غير مسلم بالغين المعجمة، وهو بمعنى الإغراء، أي يحمل على تحقيق الضرب به ويُزَيِّن ذلك.

(٢) رواه مسلم في البر والصلة والآداب (٢٦١٦)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه أحمد (٢٣٠٦٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الأدب (٥٠٠٤)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٤٤٧)، عن رجال من أصحاب النبي.

(٤) رواه الطبراني (٢٦٠/١١)، والبيهقي في شُعب الإيمان (٧٥٨٠)، وحسَّنه المنذري في الترغيب (٣٧٠٥)، وضعَّفه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٧١٠) والألباني في غاية المرام (٤٤٨)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

المسلم دمه حلال، فإن النفس البشرية معصومة الدم، حرمها الله وصانها بحكم بشريتها، ما لم يكن غير المسلم محاربًا للمسلمين، فعند ذلك قد أحل هو دمَه. أما إذا كان معاهدًا أو ذمِّيًّا، فإن دمه مصُون، لا يحل لمسلم الاعتداء عليه. وفي ذلك يقول نبي الإسلام ﷺ: «**من قتل معاهدًا لم يَرَح رائحة الجنة** ـ أي لم يشُمَّها ـ **وإن ريحها يوجد من مسيرةِ أربعين عامًا**»[(١)].

وفي رواية: «**من قتل رجلًا من أهل الذِّمَّة لم يجد رِيحَ الجَنَّة**»[(٢)].

• متى تسقط حرمة الدم؟

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وهذا الحق الذي ذكره القرآن أن يكون جزاءً على جريمة من ثلاث:

١ ـ القتل ظُلمًا، فمن ثبتت عليه جريمة القتل، وجب عليه القصاص نفسًا بنفس، والشر بالشر يُحسَم، والبادئ أظلم. ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩].

٢ ـ المجاهرة بارتكاب فاحشة الزِّنى، بحيث يراه أربعة من عدول الناس رؤية عيانية، وهو يرتكبها، ويشهدون عليه بذلك، بشرط أن يكون قد عرف طريق الحلال بالزواج. ويقوم مقام الشهادة أن يقر على نفسه أمام الحاكم أربع مرات.

ولم نر هذا تم في الإسلام إلا بالإقرار المكرَّر، أما الشهادة، فمن الصعب جدًّا أو شبه المستحيل أن يجاهر أحد بارتكاب الزنى مع امرأة أجنبية، بحيث يراه أربعة رجال عدول من الناس وهو يرتكب الفاحشة جهارًا!!

---

(١) رواه البخاري في الجزية (٣١٦٦)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه أحمد (١٨٠٧٢)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. والنسائي في القسامة (٤٧٤٩)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٤٥٠)، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.

QaradawiBooks.com

٣ ـ الخروج على دين الإسلام بعد الدخول فيه، والمجاهرة بهذا الخروج تحدِّيًا للجماعة الإسلامية. والإسلام لا يُكره أحدًا على الدخول فيه، ولكنه يرفض التلاعب بالدين، شأن اليهود الذين قالوا: ﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢].

وقد حصر النبي ﷺ استباحة الدم المحرَّم في هذه الثلاثة، فقال: «**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة**»[(١)].

ولكن حقَّ استباحة الدم بإحدى هذه الثلاث، إنما يستوفيه ولي الأمر، وليس للأفراد أن يستوفوه بأنفسهم حتى لا يضطرب الأمن، وتسود الفوضى، ويجعل كل فرد من نفسه قاضيًا ومنفِّذًا؛ إلا في حالة القتل العمد العدوان الذي يوجب القصاص؛ فإن الإسلام أباح لولي الأمر بعد أن يستوفي كل الإجراءات القضائية والتنفيذية أن يمكِّن لأولياء المقتول أن يستوفوا القصاص بأيديهم في حضرة ولي الأمر، شفاءً لصدورهم، وإطفاءً لكل رغبة في الثأر عندهم، وامتثالًا لقوله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا﴾ [الإسراء: ٣٣].

• قتل الإنسان نفسه:

وكل ما ورد في جريمة القتل يشمل قتْلَ الإنسان لنفسه، كما يشمل قتله لغيره، فمن قتل نفسه بأي وسيلة من الوسائل، فقد قتل نفسًا حَرَّم الله قتلها بغير حق.

وحياة الإنسان ليست ملكًا له، فهو لم يخلق نفسه، ولا عضوًا من أعضائه، أو خلية من خلاياه، وإنما نفسه وديعة عنده استودعه الله إياها،

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الديات (٦٨٧٨)، ومسلم في القسامة (١٦٧٦)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

فلا يجوز له التفريط فيهـا، فكيف بالاعتداء عليهـا؟ فكيف بالتخلُّص منها؟ قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

إن الإسلام يريد من المسـلم أن يكون صُلب العود، قوي العزم في مواجهة الشـدائد، ولم يُبحْ له بحال أن يفرَّ من الحيـاة، ويخلع ثوبها، لبلاء نزل به، أو أمـل كان يحلم به فخاب، فإن المؤمـن خُلق للجهاد لا للقعود، وللكفاح لا للفـرار، وإيمانه وخلقه يأبيـان عليه أن يفرَّ من ميدان الحياة، ومعه السلاح الذي لا يُفل، والذخيرة التي لا تنفد: سلاح الإيمان المكين، وذخيرة الخلق المتين.

لقد أنذر الرسـول ﷺ مَن يُقدِم على هذه الجريمة البشـعة، جريمة الانتحار، بحرمانه مـن رحمة الله في الجنة، واسـتحقاق غضب الله في النار.

قال ﷺ: «**كان فيمن قبلكم رجل به جُرْح، فجزع، فأخذ سكِّينًا، فحزَّ بها يده، فما رقأ الدم حتى مات، فقال الله: بادرني عبدي بنفسه، حرَّمتُ عليه الجنة**»(١).

فإذا كان هـذا حرمت عليه الجنة من أجل جراحـة لم يحتمل ألمها فقتل نفسـه. فكيف بمَن يقتل نفسـه من أجل صفقة خسر فيها قليلًا أو كثيرًا، أو من أجل امتحان أخفق فيه، أو فتاة صدَّت عنه؟!

ألا فليسمع ضعاف العزائم هذا الوعيد، الذي جاء به الحديث النبوي يُبْرِق ويُرْعِد: «**من تردَّى من جبل فقتل نفسـه، فهو في نار جهنم يتردَّى فيها خالدًا مُخلَّدًا فيها أبدًا، ومَن تحسَّـى سُمًّا فقتل نفسه، فسمُّه في يده**

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأنبياء (٣٤٦٣)، ومسـلم في الإيمان (١١٣)، عن جندب بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

يتحسَّاه في نار جهنم خالدًا مخلَّدًا فيها أبدًا، ومن قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يتوجَّأ بها في نار جهنم خالدًا مُخلَّدًا فيها أبدًا»[(١)].

١٠ ـ حرمة الأموال

لا حرج على المسلم في أن يجمع من المال ما شاء، ما دام يجمعه من حلِّه، وينميه بالوسائل المشروعة.

وإذا كان في بعض الأديان ـ كما في المسيحية ـ «أن الغنيَّ لا يدخل ملكوت السماوات حتى يدخل الجمل سَمَّ الخياط»[(٢)]. فإن الإسلام يقول: «**نعم المال الصالح للرجل الصالح**»[(٣)]. والقرآن يقول: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ [النساء: ٥].

وما دام الإسلام يُقرُّ ملكية الفرد المشروعة للمال، فإنه يحميها بتشريعه القانوني، وتوجيهه الأخلاقي، أن تعدو عليها يد العادين، غصبًا أو سرقة أو احتيالًا.

وجمع الرسول ﷺ بين حُرمة المال وحُرمة الدم والعِرْض في سياق واحد: «**فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام...**»[(٤)]، وجعل السرقة منافية لما يوجبه الإيمان، فقال: «**لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن**»[(٥)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الطب (٥٧٧٨)، ومسلم في الإيمان (١٠٩)، عن أبي هريرة.

(٢) إنجيل متَّى (١٩/٢٤).

(٣) رواه أحمد (١٧٧٦٣)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والحاكم في البيوع (٢/٢)، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في غاية المرام (٤٥٤)، عن عمرو بن العاص.

(٤) سبق تخريجه صـ٣٩٦.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري في الحدود (٦٧٧٢)، ومسلم في الإيمان (٥٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].

وقال ﷺ: «**لا يحل لمسلم أن يأخذ عصا أخيه بغير طِيب نفْسٍ منه**»(١).

قال ذلك لشدة ما حرم الله من مال المسلم على المسلم.

وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ [النساء: ٢٩].

• الرشوة حرام:

ومِنْ أكل أموال الناس بالباطل: أخْذُ الرشوة، وهي ما يُدفع من مال إلى ذي سلطان أو وظيفة عامة، ليحكم له أو على خصمه بما يريد هو، أو ينجز له عملًا ليس هو أولى به، أو يؤخِّر لغريمه عملًا، وهلم جرًّا.

وقد حرَّم الإسلام على المسلم أن يسلك طريق الرشوة للحكام وأعوانهم، كما حرَّم على هؤلاء أن يقبلوها إذا بُذلت لهم. وحظر على غيرهم أن يتوسَّطوا بين الآخذين والدافعين.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

وقال ﷺ: «**لعنة الله على الراشي والمرتشي في الحُكْم**»(٢).

---

(١) رواه أحمد (٢٣٦٠٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والبزار (٣٧١٧)، وقال: إسناده حسن. وابن حبان في الرهن (٥٩٧٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦٨٦١): رجاله رجال الصحيح. وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٤٥٦)، عن أبي حُمَيْد الساعدي.

(٢) رواه أحمد (٩٠٢٣)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. والترمذي في الأحكام (١٣٣٦)، وقال: حسن صحيح. وابن حبان في القضاء (٥٠٧٦)، وقال ابن الملقن في خلاصة البدر المنير =

QaradawiBooks.com

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: لعن رسول الله ﷺ الراشيَ والمرتشي[١].

ولا يتخلَّف الرائش ـ وهو الوسيط بين الراشي والمرتشي ـ عن ذلك؛ لأنه حلقة الوصل بينهما، والأداة الميسِّرة لهذه الآفة. ومن عاون على ظلم، فقد تعاون على الإثم والعدوان، وقد قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]. وقد رُوي «والرائش»[٢] في بعض الروايات.

وإذا كان آخذ الرشوة قد أخذها ليظلم، فما أشد جرمه! وإن كان سيتحرَّى العدل، فذلك واجب عليه، لا يؤخذ في مقابله مال.

وبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحة إلى اليهود ليُقَدِّر ما يجب عليهم في نخيلهم من خراج، فعرضوا عليه شيئًا من المال يبذلونه له، فقال لهم: فأما ما عرضتم من الرشوة فإنها سُحْت، وإنا لا نأكلها[٣].

ولا غرابة في تحريم الإسلام للرشوة، وتشديده على كل مَن اشترك فيها، فإن شيوعها في مجتمع شيوع للفساد والظلم، من حُكْم

= (٢٨٦٢): صحَّحه الأئمة. وصحَّحه السيوطي في الصغير (٧٢٥٤)، وحسَّنه الألباني في غاية المرام (٤٥٧)، عن أبي هريرة.

(١) رواه أحمد (٦٧٧٨)، وقال مخرجوه: إسناده قوي، وأبو داود في الأقضية (٣٥٨٠)، والترمذي (١٣٣٧)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (٢٣١٣)، كلاهما في الأحكام، وصححه الألباني في الإرواء (٢٦٢٠)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه أحمد (٢٢٣٩٩)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره دون قوله: «والرائش» وهذا إسناد ضعيف. وابن أبي شيبة في البيوع والأقضية (٢٢٥٢٩)، والبزار (٤١٦٠)، وقال: قوله: «الرائش» لا نعلمه يروى عن رسول الله إلا من هذا الوجه. وليَّن سنده، وضعَّفه الألباني في غاية المرام (٤٥٨).

(٣) رواه مالك في المساقاة (٢٥٩٥)، تحقيق الأعظمي، وعبد الرزاق (٧٢٠٢)، والبيهقي (١٢٢/٤)، كلاهما في الزكاة، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٤٥٩)، عن سليمان بن يسار.

QaradawiBooks.com

بغير الحق، أو امتناع عن الحكم بالحق، وتقديم مَن يستحق التأخير، وتأخير مَن يستحقُّ التقديم، وشيوع رُوح النفعيَّة في المجتمع، لا رُوح الواجب.

غير مرخصة للطباعة

• **هدايا الرعية إلى الحُكَّام:**

والإسلام يحرِّم الرشوة في أي صورة كانت، وبأي اسمٍ سُمِّيت، فتسميتُها باسم «الهدية» لا يُخرجها من دائرة الحرام إلى الحلال.

وفي الحديث: «**من استعملناه على عمل، فرزقناه رزقًا** (منحناه راتبًا)، **فما أخذه بعد ذلك فهو غُلول**»[(١)].

وأُهْدِيَ إلى عمر بن عبد العزيز هدية وهو خليفة، فردها، فقيل له: كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية. قال: كان ذلك له هدية، وهو لنا رشوة[(٢)].

وبعث الرسول ﷺ واليًا يجمع صدقات الأَزْد (قبيلة) فلما جاء إلى الرسول ﷺ، أمسك بعض ما معه وقال: هذا لكم، وهذا لي هدية. فغضب النبي ﷺ وقال: «**ألا جلست في بيت أبيك وبيت أمك، حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقًا!**».

ثم قال: «**ما لي أستعمل الرجل منكم فيقول: هذا لكم، وهذا لي هدية؟! ألا جلس في بيت أمه ليُهدى له، والذي نفسي بيده، لا يأخذ أحد منكم شيئًا بغير حق، إلا أتى اللهَ يحمله** ـ يعني يوم القيامة ـ

(١) رواه أبو داود في الخراج والفيء (٢٩٤٣)، وابن خزيمة (٢٣٦٩)، والحاكم (٤٠٦/١)، كلاهما في الزكاة، وصحَّحه، وسكت عنه الذهبي، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٤٦٠)، عن بريدة.

(٢) إحياء علوم الدين (١٥٦/٢).

نسخة عليه

QaradawiBooks.com

فلا يأتين أحدُكم يوم القيامة ببعير له رُغاء، أو بقرة لها خُوار، أو شاة تَيْعر!». ثم رفع يديه حتى رُئي بياض إبْطَيه، ثم قال: «**اللهم هل بلغتُ؟**»[١].

وقال الإمام الغزالي: «إذا ثبتت هذه التشديدات، فالقاضي والوالي ومن في حكمهما ينبغي أن يُقَدِّر نفسَه في بيت أمه وأبيه، فما كان يُعطى بعد العزْل وهو في بيت أمِّه، يجوز له أن يأخذه في ولايته، وما يعلم أنه يُعطاه لولايته، فحرامٌ أخذُه، وما أشكل عليه من هدايا أصدقائه، أنهم هل كانوا يعطونه لو كان معزولًا؟ فهو شبهة، فليجتنبْه»[٢].

- **الرشوة لرفع الظلم:**

ومن كان له حق مُضَيَّع، لم يجد طريقة للوصول إليه إلا بالرشوة، أو وقع عليه ظلم لم يستطع دفعَه عنه إلا بالرشوة، فالأفضل له أن يصبر حتى ييسِّر اللهُ له أفضل السُّبُل لرفع الظُّلْم، ونيل الحق.

فإن سلك سبيل الرشوة من أجل ذلك، فالإثم على الآخذ المرتشي، وليس عليه إثمُ الراشي في هذه الحالة، ما دام قد جرَّب كل الوسائل الأخرى فلم تأتِ بجدوى، وما دام يرفع عن نفسه ظُلْمًا، أو يأخذ حقًّا له، دون عدوان على حقوق الآخرين.

وقد استدلَّ بعض العلماء على ذلك بأحاديث المُلْحِفِين الذين كانوا يسألون النبي ﷺ من الصدقة، فيعطيهم وهم لا يستحقُّون، فعن عمر أن النبي ﷺ قال: «**إن أحدكم ليخرج بصدقته من عندي متأبِّطُها** (يحملها

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الحيل (٦٩٧٩)، ومسلم في الإمارة (١٨٣٢)، عن أبي حُمَيْد الساعدي.

(٢) إحياء علوم الدين (١٥٦/٢).

QaradawiBooks.com

تحت إبطه)، **وإنما هي له نار**». قال عمر: يا رسول الله، كيف تعطيه وقد علمتَ أنها له نار؟

قال: «**فما أصنع؟ يأبَوْن إلا مسألتي، ويأبى الله ﷻ لي البخل**»[(١)].

فإذا كان ضغط الإلحاح جعل الرسول ﷺ يُعطي السائل ما يعلم أنه نار على آخذه، فكيف ضغط الحاجة إلى دفع ظلم أو أخذ حق مُهْدَر؟!

- **إسراف الفرد في ماله حرام:**

وإذا كان لمال الغير حرمة تمنع من التعدِّي عليه خفية أو جهارًا، فإن لمال الإنسان نفسه حرمة ـ أيضًا ـ بالنسبة لصاحبه، تمنعه أن يُضَيِّعه، أو يسرف فيه، أو يبعثره ذات اليمين وذات الشمال.

ذلك أن للأمة حقًّا في مال الأشخاص، وهي مالكة وراء كل مالك، ولذلك جعل الإسلام للأُمَّة الحقَّ في الحَجْر على السفيه المِتْلاف في ماله؛ لأنها صاحبة حقٍّ فيه. وفي ذلك يقول القرآن: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النساء: ٥].

فهنا يخاطب الله الأمة بقوله: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ مع أنها في ظاهر الأمر أموالهم، ولكن مال كل فرد في الحقيقة هو مال لأمته جمعاء.

إن الإسلام دين القسط والاعتدال، وأمة الإسلام أمة وسط، والمسلم عدل في كل أموره. ومن هنا نهى الله المؤمنين عن الإسراف والتبذير،

---

(١) رواه أحمد (١١١٢٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط البخاري. وأبو يعلى (١٣٢٧)، وابن حبان في الزكاة (٣٤١٤)، وقال الأرناؤوط: إسناده قوي. وقال المنذري في الترغيب (١٢١٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٤٥١٥): رجاله رجال الصحيح. وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٤٦١).

QaradawiBooks.com

كما نهاهم عن الشُّحِّ والتقتير، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

وقال: ﴿وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ۝ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧]، والتبذير إنما يكون بالإنفاق فيما حرم الله، كالخمر والمخدرات، وأواني الذهب والفضة ونحوها، قَلَّ القدر المُنفَق أو كثُر.

أو يكون بإضاعة المال، بإتلافه على نفسه وعلى الناس، وقد نهى الرسول ﷺ عن إضاعة المال[١].

أما الإسراف فيكون بالتوسُّع في الإنفاق فيما لا يحتاج إليه، مما لا يبقى للمنفِق بعده غنًى يغنيه.

قال الإمام الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ [البقرة: ٢١٩]: «إن الله تعالى أدب الناس في الإنفاق فقال لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ۝ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧]. وقال: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ﴾ [الإسراء: ٢٩]. وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ﴾ [الفرقان: ٦٧].

وقال رسول الله ﷺ: «**إذا كان عند أحدكم شيء، فليبدأ بنفسه، ثم بمن يعول، وهكذا وهكذا**»[٢]. وقال ﷺ: «**خير الصدقةِ ما أبقت غنًى**»[٣].

وعن جابر بن عبد الله قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ، إذ جاءه رجل بمثل البَيْضة من ذهب، فقال: يا رسول الله، خذها صدقة، فوالله

(١) سبق تخريجه صـ١١٠.

(٢) رواه مسلم في الإمارة (١٨٢٢)، بلفظ: «إذا أعطى الله أحدكم خيرًا فليبدأ بنفسه وأهل بيته»، عن جابر بن سمرة.

(٣) رواه البخاري في النفقات (٥٣٥٥)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

لا أملك غيرها. فأعرض عنه رسول الله ﷺ، ثم أتاه من بين يديه، فقال: «**هاتها**» مغضبًا، فأخذها منه، ثم حذفه بها، بحيث لو أصابته لأوجعته، ثم قال: «**يأتيني أحدكم بمال لا يملك غيره، ثم يجلس يتكفَّف الناس، إنما الصدقة عن ظهْرِ غِنًى، خُذْها لا حاجة لنا فيها**»[(١)].

وعن النبي ﷺ أنه كان يحبس لأهله قوتَ سنة[(٢)].

وقال الحكماء: الفضيلة بين طرفي الإفراط والتفريط. فالإنفاق الكثير هو التبذير، والتقليل جدًّا هو التقتير، والعدل هو الفضيلة، وهو المراد من قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩][(٣)]، ومدار شرع محمد ﷺ على رعاية هذه الدقيقة. فشرع اليهود مبناه على الخشونة التامَّة، وشرع النصارى على المساهلة التامَّة، وشرع محمد ﷺ متوسِّطٌ في كل هذه الأمور. فلذلك كان أكمل من الكل»[(٤)].

(١) رواه أبو داود (١٦٧٣)، والحاكم (٤١٣/١)، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، والبيهقي (١٥٤/٤)، ثلاثتهم في الزكاة، وقال ابن الملقن في البدر المنير (٤١٦/٧): إسناده جيد، لولا عنعنة ابن إسحاق، وضعَّفه الألباني في غاية المرام (٤٦٧)، عن جابر.

(٢) رواه البخاري في النفقات (٥٣٥٧)، عن عمر.

(٣) يعني قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾.

(٤) تفسير الفخر الرازي (٤٠٢/٦، ٤٠٣).

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

٥

في علاقة الحاكم بالمحكومين

• **الحكم بغير ما أنزل الله:**

لا يحل لعالم مسلم أن يهمل إقامة العدل:

من الواجب على كل حاكم مسلم: أن يحكم بما أنزل الله، ويراعي ما أُنزل على رسوله من نصوص واضحة الدلالة على الأحكام، ويتَّخذ منها دليلًا يهديه، ومصباحًا يُنير له الطريق في كل نازلة تنزل به، صغيرة كانت أو كبيرة، ويفتح له خزائن بصيرته، ويجد من حوله من الأعوان والبُصَراء من يمدُّه بالقول الفصيح، والرأي الصحيح، فإن العدل هو أساس الملك، وركيزة كل حكم صالح، وهو الذي تقوم عليه الدولة الصالحة، ولو لم تكن مسلمة، وتنحرف عنه الدولة الفاسدة، ولو كانت تدَّعي أنها مسلمة.

ولهذا نجد عناية القرآن بالعدل ـ ويُسمى أيضًا: القسط ـ في كل مظاهره وصوره، وفي حياة الفرد والأسرة والجماعة، والأمة والإنسانية.

نجد القرآن إذا أمر بثلاثة أشياء أو فضائل كان العدل أولها، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠]. وإذا أمر بشيئَيْن كان العدل أحدهما، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا

QaradawiBooks.com

﴿يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]. وإذا أمر بأمر واحد، كان هو العدل أو القسط، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ﴾ [الأعراف: ٢٩]. وقد ذكر القرآن الكريم في سورة الحديد أن هدف الرسالات السماوية التي أنزلها الله تعالى إلى البشر، إنما هو إقامة العدل، أو على حد تعبير القرآن: أن يقوم الناس بينهم بالقسط، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]. من هذه الآية تعرف لماذا أرسل الله تعالى رسله وأنبياءه مبشِّرين ومنذرين، ولماذا أنزل معهم الكتب الهادية، والموازين المُعينة، إنما فعل ذلك: ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾. وانظر: تعبير القرآن الجميل والموحي: ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾. أهم ما تعلمهم هذه الرسالات أن يعرفوا كيف يقومون بالقسط فيما بينهم.

ومعنى هذا: أن يتعاملوا فيما بينهم بالمعروف، ويعين القويُّ الضعيفَ، وينتصروا لصاحب الحق على المُبْطل، ويأخذوا بأيدي الصبي اليتيم، والمرأة الأرملة، وأن يتعاونوا على البر والتقوى، ولا يتعاونوا على الإثم والعدوان، وعلى أن يضمر كل امرئ لأخيه الخير، ولا يضمر له شرًّا في نفسه، وألَّا يستكبر أحد على غيره، فكلهم سواسية كأسنان المُشْط الواحد، وأنَّ ولي الأمر فيهم ما هو إلا واحد منهم، غير أن الله تعالى جعله أثقلهم حملًا، كما قال عمر بن عبد العزيز[1].

العدل مطلوب من الناس، كل الناس، طلبه منهم ربهم ليحقِّقوه في حياتهم الخاصة، وليتعاملوا به فيما بينهم، ولكن أهم من يطلب منهم

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٢٦٢/٥، ٢٨٦)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

QaradawiBooks.com

العدل بصفة خاصة، هم الأمراء والحُكَّام، الذين يلون على الناس، ليحرص كل امرئ منهم أن يكون نموذجًا أو صورةً للإمام العادل الذي أثنى عليه النبي ﷺ، وصحَّتْ في مدحه الأحاديث، وكان مثالًا للأُمَّة المحمَّدية، في نصرته للحق والخير، ووقوفه مع الفقراء والضعفاء، ضد الأغنياء وجامعي الثروات، وأصحاب القوة والنفوذ ممن منع الفقير حقَّه، أو طغى على الضعيف بقوَّته.

فالإمام العادل، هو الذي يقوم بين الله وعباده، وينظر إلى الله ويريهم، ويسمع من الله ويُسمعهم، ويتلقى من الله ويحكم بينهم، فالقوي منهم ضعيف عنده حتى يأخذ الحق منه، والضعيف منهم قويٌّ عنده حتى يأخذ الحق له.

إنَّ الله لم ينزل كتبه المقدَّسة ـ وآخرها: القرآن ـ لتُوضع في المتاحف، أو تعلَّق لافتاتٍ تُزيَّن بها الجدران، أو ليحتفظ بها للبركة.

إنما أنزلها ليقيم بها العدل، ويرفع الظلم، وليجمع بها الكلمة، ويُحِقَّ بها الحق، ويُبطل بها الباطل، ويرفع الخلاف، حتى لا تلتبس على الناس الغايات، ولا تتفرَّق بهم السبل: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤]. ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]. ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

وتصوَّرْ منشورًا يُصدره رئيس دولة مثلًا في أمر من أمور رعاياه، فإذا أصحاب الشأن يُهملونه عَمْدًا، ويصدُّون عنه صدودًا، أليس ذلك تحديًا سافرًا لسلطانه، وتمرُّدًا وقِحًا على حكمه؟ وإيذانًا بالعداوة بينهم وبينه؟

QaradawiBooks.com

بلى، ولله المثلى الأعلى. فكيف بربِّ الناس، ملكِ الناس، إله الناس، يبعث رسوله المعصوم، ومعه كتابه المبين، ليضبط بتعاليمه الحياة، فلا تَشْرُدُ ولا تميل، ويحكم بها البشريَّة فلا تضلُّ ولا تشقى؟! فإذا أصحاب الشأن ينبذون كتاب الله وراء ظهورهم كأنَّهم لا يعلمون، ويضعون تشريعه وتوجيهه دَبْر آذانهم كأنهم لا يسمعون، محكِّمين في حياتهم مذاهب أرضية، وقوانين وضعية، وأفكارًا بشرية، استوردوها من هنا وهناك؟ ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ۞ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ۞ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۞ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۞ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [النور: ٤٧ ـ ٥٢].

إنَّ هذا الأمر من أعظم المحرَّمات، ومن أكبر الكبائر التي يقترفها امرؤ ينتمي إلى الإسلام، ويُوقن بأنَّ أحكامه من عند الله، ويؤمن بعلم الله تعالى وحِكْمته، وبرِّه بخلقه في كل ما شرع لهم. فلا غرو أن جعل القرآن عدمَ الحُكْم بما أنزل الله كُفْرًا أو ظُلْمًا أو فِسْقًا، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]. ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]. ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

والكفر والظلم والفسق أوصاف متقاربة، بل متشابهة في لغة القرآن، فمن كفر بالله فقد ظلم نفسه، وفَسَق عن أمر ربه، ولهذا جاء في القرآن: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]. ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]. ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [البقرة: ٩٩]. ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

QaradawiBooks.com

وقال تعالى في إبليس: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠]. كما قال: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

صحيح أنَّ هذه الآيات نزلت في سياق الحديث عن أهل الكتاب، ولكن الذي لا رَيْب فيه أنَّ لفظها عام يتناول الكتابيَّ والمسلم، وليس من المعقول أن يصفَ اللهُ اليهوديَّ أو النصرانيَّ بالكفر أو الظلم أو الفسق، إذا لم يحكم بما أنزل الله، ويسوق ذلك في آياتٍ بيِّنات من كتابه، ثم يُبيح للمسلم وحده أن يحكم هو تبعًا لهواه أو هوى سواه، مُعرضًا عمَّا أنزل الله من الهُدَى والحَقِّ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

كيف والله تعالى يخاطب نبيَّه ﷺ، فيقول له: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨].

ثم يقول في الآية التالية: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ۞ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٤٩ ـ ٥٠].

فهما حكمان لا ثالث لهما: إما حكم الله، وإمَّا حكم الجاهلية. حكم الله هو الحكم بما أنزله في كتابه وعلى لسان رسوله، وحكم الجاهلية هو ما عدا ذلك من أهواء البشر، مهما يُضْفِ أصحابُه عليه من السِّمات والعناوين. وكل حكم يصدُّ عما أنزله الله، وشرعه الخالق، ليحتكم إلى شرع المخلوق وقانون البشر، إنَّما هو اتِّباع للهوى المضل، سواء كان

QaradawiBooks.com

هوى النفس أم هوى الغير، يقول تعالى لرسوله ﷺ: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

ويقول جل شأنه: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٨، ١٩].

إنَّ الحكم بما أنزل الله ليس نافلةً في الدين، ولا مجرَّد مندوب في الإسلام، إنه موجب عقد الإيمان، ومقتضى التزام الإسلام، وتحقيق معنى شهادة «أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله».

ولا معنى لإيمان الإنسان بالله ربًّا، وبالقرآن إمامًا، وبمحمد رسولًا، إذا ابتغى غير الإسلام دينًا، وغير كتابه منهجًا، وغير رسوله دليلًا!! ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤]، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

لقد أقسم الله جلَّ وعلا بربوبيَّته على نفي الإيمان عن قوم لم يرضوا بتحكيم رسوله فيما شَجَر بينهم، ورضُوا أن يتحاكموا إلى الطاغوت. وكل حكم يرفض حكم الله تعالى هو طاغوت، كما أنَّ كل حُكم بغير ما أنزل الله هو جاهلية، ولنقرأ في ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦٠ ـ ٦١]. إلى أن يقول سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا

QaradawiBooks.com

يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

وليس بعد هذا البيان والقسم والتأكيد مجال لاشتباه، أو تأويل، أو اعتذار، أو تبرير.

إنَّ الإعراض عن الحكم بما أنزل الله إنْ لم يكن كفرًا بواحًا، فهو ظلم بيِّن، وفسق صريح، فإذا اجتمع مع الإعراض عمَّا أنزل الله الاستخفافُ به، والسخرية منه، والشكُّ في صلاحيته لتوجيه الحياة المعاصرة، وإقامة العدل والخير فيها، واتهام أحكامه بالقصور والتخلُّف والرجعية، أو بالقسوة والوحشية، واعتبار أنَّ أحكام البشر ومذاهبهم الوضعية أهدى سبيلًا، وأعدل ميزانًا، فذلك هو الكفر البواح، الذي يُخرج صاحبه من دائرة الإسلام، ومن زُمْرة المسلمين، ويُجري عليه أحكام المرتدِّين.

- **تعطيل حدود الله:**

ومن أكبر المحرَّمات في الإسلام: أن يعطِّل الحاكم حدًّا من حدود الله تعالى، تحقَّقت موجباته، وانتفت شبهاته، لا لشيءٍ إلا لإرضاء نزوات البشر واتِّباع أهوائهم، فيسرق السارق بغير شبهة، ولا تُقطَع يده، ويزني الزاني في غير خِفْية، ولا يُجلد ظهره، ويجهر شارب الخمر بها، ولا يمس جلده، وهكذا تُعطَّل حدود الله التي شرعها تأديبًا لعباده، وزجْرًا لمقترفها أن يعاودها، وردعًا لغيره أن يحذو حذوه، وفي هذا الردعِ والزجْرِ الخيرُ كل الخير للمذنب نفسه، حتى لا يستمرئ الشرَّ ويتمادى فيه، وللجماعة حتى لا يستشري فيها الفساد، كالجَرَب في السَّلِيم، أو النار في الهشيم.

QaradawiBooks.com

وفي تصوير هذا الخير العام يقول الرسول ﷺ: «**يومٌ من إمام عادل أفضلُ من عبادة ستين سنة، وحدٌّ يقام في الأرض بحقِّه، أزكى عليها من مطر أربعين صباحًا**»(١).

وما قيمة المطر والأرض والنبات إذا سيطر على الحياة الزُّناة والسِّكِّيرُون ونهب ما فيها اللصوص والمجرمون؟

إنَّ تعطيل حدود الله من كبائر الإثم، ويتعاظم الإثم، وتتأكد الحرمة حتى تلج باب الكفر البواح، إذا رمى إنسان هذه الحدود الشرعية والعقوبات الإلهية بالقسوة والوحشية، والنظرة الرَّجْعِيَّة المتخلِّفة التي لا تقدِّر قيمة الإنسان.

إنَّ هذا الكلام يتهم شارع هذه الحدود ﷻ بالجهل، إذ لم يُدرك ما يصلح للإنسان في هذا العصر، ويتهمه بالقسوة؛ لأنه يعذب الناس حيث لا يستحقون العذاب! تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

جهل هؤلاء أنَّ الرحمة ليست في تدليل المجرم على حساب نفسه وحساب غيره، إنَّ الرحمة الحقَّة إنما هي في الشِّدَّة عليه حتى يزدجر ويتأدَّب، ويعتبر غيرُه به، فيَرْعَوِي.

إنَّ الأب الناصح الشفيق يضرب ابنه وقرَّة عينه، ابتغاء تأديبه وتعليمه، لا انتقامًا منه ولا قسوة عليه.

وإنَّ المريض ليرضى بفتح بطنه أو ببتر عضو منه ليسلَمَ سائر جسده، وينصحه بذلك طبيبه المعالج، ويرضى بذلك أهله وأحبَّاؤه، ويقر ذلك العرف والأخلاق.

---

(١) رواه الطبراني (٣٣٧/١١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٣٧٩) وحسن إسناده العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٤٤٨)، وضعفه الألباني في الضعيفة (٩٨٩)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

فكيف ننكر على الله تعالى أن يشـرع لعباده من العقوبات ما يردُّهم إلى رُشدهم، ويخوِّفهم عاقبة انحرافهم؟ وهو تعالى أعلم بما يصلح عباده وما يفسدهم، ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، كما أنَّه سبحانه أرحم بهم من الوالدة بولدها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة: ١٤٣].

يقول شـيخ الإسـلام ابن تيمية: «ينبغي أن يُعرف أنَّ إقامة الحدود رحمة من الله لعباده، فيكون الوالي شديدًا في إقامة الحد، لا تأخذه رأفة في دين الله، ويكـون قصده رحمة الخلق بكفِّ النـاس عن المنكرات، لا شـفاء غيظه وإرادة العلو على الخلق، بل بمنزلة الوالد إذا أدَّب ولده رحمةً به وإصلاحًا لحاله»[1] اهـ.

إنَّ تعطيل حدود الله باسـم الحُنُوِّ على الفرد المجرم، فضلًا عما فيه من تطاول جـريء على مقام الألوهيـة، هو تحيُّز سـخيفٌ إلى جانب الجاني ضدَّ المجنيِّ عليه، الذي قد يُسـرق ماله ويخرب بيته، وتنتهك حرمته، وقد تُـدقُّ عنقه إذا كان في دقِّها نجـاةَ الجاني وفراره من قبضة العقاب العادل.

والعجب أنهم يقولون ذلك باسم «الإنسانية» كأنَّ المجرم وحده هو الإنسان، وضحيته من الأفراد والأسر والجماعات ليسوا من بني الإنسان! على أنهم في الحقيقة يهينون المجرم الذي يزعمون الدفاع عنه، حيث لم يجعلوه إنسانًا مسـؤولًا عن عمله، متحمِّلًا تَبِعَة جرمه، بل زعموه تُرْسًا مسخَّرًا في آلة المجتمع، مجبورًا بحكم الوراثة والبيئة على الانحراف، مسـيَّرًا لا مخيَّرًا، فما أشنعها جبرية تسلب الإنسـان أخصَّ ما يتميَّز به، وهو المسؤولية!

(١) السياسة الشرعية لابن تيمية صـ ٧٩.

QaradawiBooks.com

وفضلًا عن ذلك فإنَّ إنسانيَّته هذه التي تعطف على الفرد الجاني، وتغفل عن المجتمع الذي وقعت عليه الجناية، فهدَّدت سلامته، وروَّعت أمنه، وجرَّأت الأشرار على حرماته، أليس لهذا المجتمع حُرْمة، يجب أن تُصان، وحق يجب أن يؤخذ؟ أَوَليست سلامة المجتمع أحق بالتقديم والرعاية من سلامة الفرد وإطلاق العِنان له ليفعل ما يريد باسم الحرية؟

إنَّ هذه الحقيقة الكبيرة حقيقة التوازن والتكافل بين حرية الفرد وسَلامة المجتمع يُجلِّيها حديث الرسول ﷺ في قالب تصويري أخَّاذ فيقول: «**مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كَمَثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرُّوا على مَنْ فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقْنا في نصيبنا خرقًا، ولم نُؤْذِ مَنْ فوقنا! فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نَجَوا، ونَجَوْا جميعًا**»(١).

إن إقامة الحدود فريضة مُحكَمة كالصلاة والزكاة، وعبادة متعدِّية النفع كالجهاد والدعوة إلى الله. الجهاد يحمي الأمة من الخارج، والحدود تحميها من الداخل، ولكنَّ الحدود لا تقام إلا إذا استوفت شرائطها، وانتفت الشبهات التي تدرؤها، فإذا وُجدت شبهة معتبرة، دُرئت العقوبة بالكلية، أو خُفِّفت إلى التعزير المناسب، وفي الحديث عن عائشة: «**ادرؤوا الحدود ما استطعتم، ومن وجدتم له مخرجًا فخَلُّوا سبيله، ولأن يخطئ الإمامُ في العفو خيرٌ من أن يخطئ في العقوبة**»(٢).

(١) رواه البخاري في الشركة (٢٤٩٣)، عن النعمان بن بَشِير.

(٢) رواه الترمذي في الحدود (١٤٢٤) وذكر أنه رُوِي مرفوعًا وموقوفًا، وأن الموقوف أصح، والحاكم (٣٨٤/٤) وصحح إسناده، وقال الذهبي: قال النسائي: يزيد بن زياد شامي متروك، وضعَّفه الألباني في الضعيفة (٢١٩٧)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

وهذا ما جعل الفاروق عمر بن الخطاب يوقف حدَّ السرقة عام المجاعة، لوجود شبهة قوية، وهي الحاجة، وليس معنى هذا أنَّ عمر عطَّل حدًّا من حدود الله لسبب من الأسباب، فهو لا يملك هذا، ولا غيرُه من الناس، وإنما لم يقم الحد لأن موجِباته وشروطه لم تكتمل.

- **لا شفاعة في حدود الله ولا محاباة:**

وإذا كان تعطيل حدود الله محرَّمًا، فكل وسيلة تؤدِّي إلى تعطيلها محرَّمة كذلك، ومن ذلك الشفاعة في الحدود، فلا يحل لمسلم أن يشفع في حدٍّ، أو يقبل الشفاعة فيه. قال رسول الله ﷺ: «**من حالت شفاعته دون حدٍّ من حدود الله ﷻ، فقد ضادَّ الله ﷻ، ومن خاصم في باطل وهو يعلم، لم يزل في سخط الله حتى ينزع**»[(١)].

إنَّ من أخطر معاول الهدم التي تُدمِّر المجتمعات أن يجد الكُبَراء المنتهكون لحرمات الله من يشفع لهم: فلا يقام عليهم الحد، ولا تنفَّذ فيهم العقوبة، على حين تقتصر العقوبات على الضعفاء، ومن لا جاه لهم ولا شفيع يطاع، إنَّ هذا التمييز الطبقي، وهذه التفرقة الاجتماعية؛ من أشدَّ ما حذَّر منه الإسلام، دين الأُخوَّة والعدالة والمساواة.

عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ قريشًا أهمها شأن المخزومية[(٢)] التي سرقت، فقالوا: من يُكَلِّم فيها رسول الله ﷺ؟ ثم قالوا: من يجترئ عليه إلا أسامةُ بن زيد حِبُّ رسول الله ﷺ؟ فكلَّمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: «**يا أسامة، أتشفع في حدٍّ من حدود الله؟!**» ثم قام فاختطب فقال:

---

(١) رواه أحمد (٥٣٨٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الأقضية (٣٥٩٧)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٣٧)، عن ابن عمر.

(٢) المخزومية نسبة إلى بني مَخْزوم، وهم بطن من أعزِّ بطون قريش.

QaradawiBooks.com

«إنما هَلَكَ الذين من قبلكم: أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايْمُ الله، لو أنَّ فاطمة بنت محمد سَرَقت، لقطعتُ يدها»[1].

وبهذا البيان الهادر كالموج، المُجَلْجِل كالرعد، وضع رسول الإسلام أساس المساواة في العقوبات، كما وضع أساسها في الواجبات والتكاليف.

• لا عقوبةَ إلا بذنبٍ علني:

وإذا كانت إقامة حدود الله واجبة، وإنفاذ عقوباته الشرعية فريضة لازمة، مهما يكن في ظاهرها من قسوة على المجرمين والأشرار، فإنه يحرِّم أشدَّ الحرمة أن يُعاقَب إنسان بغير ما جنى، أو يعذَّب بغير جُرْم، مهما تكن الدوافع والمبرِّرات، فإنَّ كثيرًا من الحكام الذين يعطِّلون حدَّ الله في الزاني والسِّكِّير والسارق والقاذف، بدعوى قسوتها وشدَّتها، سرعان ما نجدهم يستبيحون جلد الظهور بالسياط، حتى تختلط بالدم واللحم، وسجن الناس بالألوف، وقطع الأرزاق، وتخريب البيوت، بأدنى شبهة حينًا، وبغير شبهة أحيانًا، إذا شكُّوا أو توهَّمُوا أن هؤلاء يعارضون حكمهم، أو يضمرون الكراهية لسلطانهم، وهم لا يتورَّعُون عن أخذ البريء بالمُسيء، وأخذ الجماعة بذنب فردٍ منها!

إنَّ الأصل في أعراض الناس وأموالهم ودمائهم وأجسادهم هو الحرمة، كما أعلن الرسول الكريم ذلك في حجة الوداع، فلا تباح إلا بالاعتداء على حدود الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ [الطَّلاق: ١].

---

(١) سبق تخريجه صـ٥٦.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

• **الكذب على الرعية من الكبائر:**

الحاكم في محكوميه بمكانة الأب من أولاده، عليه أن يَصْدُقهم وينصح لهم، ويَدُلَّهم على ما فيه خيرهم، ويردعهم عما فيه شر، وغضبُ ربِّهم عليهم. ولا يجوز أن يكذب عليهم ويخدعهم بالغش والتضليل.

وإنَّ من كبائر المحرَّمات أن يقيم الحاكم العلاقة بينه وبين شعبه على الكذب والدجل الرخيص. قال ﷺ: «**ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكِّيهم ولهم عذاب أليم: شيخٌ زانٍ، ومَلِك كذَّاب، وعائل (فقير) مستكبر**»[(١)].

ذلك أن زنى الشاب قد يُلتمس له عذر، وكذب الإنسان العادي قد يغفر، واستكبار الغني بماله قد يُفهم سببه، أما أن يزني الشيخ الكبير، ويكذب الراعي المسؤول، ويستكبر الإنسان بغير سبب ماديّ، فتلك هي الكبائر الموبقات.

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**ما مِنْ عبدٍ يسترعيه الله عز وجل رعيةً، يموت يوم يموت، وهو غاشٌّ رعيته، إلا حرَّم الله عليه الجنة**»[(٢)].

• **اتخاذ البطانة الفَسَقة:**

ويحرم على الحاكم المسلم أن يتَّخذ لنفسه بطانة من الفَسَقة، مهما بلغوا من الولاء له، والحرص على حكمه. إنَّ الفاسق يزِّين الفسق ويُغري به، إن لم يكن بقوله فبعمله وسلوكه. والفاسق يتبع الهوى لا الحق،

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٠٧)، وأحمد (١٠٢٢٧)، عن أبي هريرة.
(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأحكام (٧١٥٠)، ومسلم في الإيمان (١٤٢).

QaradawiBooks.com

والمنفعة لا الواجب، والخَلْق لا الخالق، وهو لهذا لا يُؤْمَن جانبه، ولا يُركَن إليه، ولا يعوَّل عليه، حيث لا يزعه خُلُق، ولا يردعه دين. إنَّ الفاسق لا يُؤْتمن على نفسه وأهله، فكيف يُؤْتَمن على شؤون حُكم وأسرار دولة؟!

قال ﷺ: «**ما بعث الله من نبيٍّ ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضُّه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه. والمعصوم من عصم الله**»(١).

وفي حديث آخر: «**إذا أراد الله بالأمير خيرًا، جعل له وزيرَ صِدْق، إن نسي ذكَّره، وإن ذكر أعانه، وإذا أراد الله به غير ذلك، جعل له وزيرَ سوء، فإنْ نسي لم يذكِّرْه، وإن ذكر لم يُعِنْه**»(٢).

• بطانة الكُفَّار:

أما اتخاذ الحاكم غير المسلمين بطانة يُخلص لها الوُدَّ، ويُفْضي إليها ما يُسِرُّ، ويستعين بها في التدبير والتنظيم، فهذا أشد خطرًا، وأعظم إثمًا، فلئن كان المسلم الفاسق لا يُؤْمَن ولا يُضمَن، إن الكافر المخالِف للإسلام أبعدُ عن الأمان والضمان.

وفيه يقول القرآن محذِّرًا ومبيِّنًا: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [آل عمران: ١١٨].

---

(١) رواه البخاري في الأحكام (٧١٩٨)، عن أبي سعيد.

(٢) رواه أحمد (٢٤٤١٤)، وقال مخرِّجوه: صحيح. وأبو داود في الخراج (٢٩٣٢)، والنسائي في البيعة (٤٢٠٤)، وابن حبان في الخلافة والإمارة (٤٤٩٤)، وقال النووي في رياض الصالحين (٦٧٨): إسناد أبي داود جيد على شرط مسلم. عن عائشة.

QaradawiBooks.com

وإنه لجرم شديد وإثم كبير: أن يدير حاكم مسلم ظهره للمؤمنين، فلا يتَّخذهم عونًا وعَضُدًا، ويُولي وجهه شَطْرَ الكفار، فيتَّخذهم بطانة وأولياء، والله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٤٤]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١].

إنَّ الإسلام لا يحرِّم الاستعانة بغير المسلمين فيما يُحسِنونه من أمور الدنيا، ولكنَّه يُحرِّم اتِّخاذهم بطانةً وأولياء من دون المؤمنين، ففي هذا افتئات على المجتمع المؤمن، وخيانةٌ له، ونحن في عصرنا نجد الدُّوَل التي تقوم على عقيدة خاصة، وأيديولوجية معيَّنة، تأبى أن يوجِّهها إلا الممثِّلون لعقيدتها، والمتشيِّعون لفكرتها، ولا تكتفي بذلك، حتى تضطهد وتطارد كل من يخالفها، ولا ريب أن الخطر يكون أوجبَ وأشدَّ إذا كانت هذه البطانة من قوم ملحدين جاحدين، لا يؤمنون بالله ولا بكتبه، ولا رسله ولا اليوم الآخر، بل يسخرون بالدين والمتديِّنين، ويهزؤون بالإيمان والمؤمنين.

• تولية غير الأكْفاء الأمناء:

إنَّ الحُكْم أمانة، ومن رعاية هذه الأمانة: ألَّا يتَّخذَ الحاكمُ بطانته من الفُسَّاق أو من الكُفَّار، ومن رعاية هذه الأمانة بصفة عامة ألَّا يولي عملًا إلا من هو أهل له، وأهليَّة الإنسان للعمل يجمعها عنصران: الكفاية والتديُّن، أو كما ذكر القرآن على لسان ابنة الشيخ الكبير في مَدْيَن: القوة والأمانة، ﴿إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]. فالقوة تعني: الخِبْرة والقُدْرة على تحمُّل أعباء العمل، وما يقتضيه من كفاية علمية، نظرية وتطبيقية. والأمانة: أن يتَّقي الله في القيام بحق العمل وإحسانه،

QaradawiBooks.com

ولا يحل لحاكم مسلم أن يدع الأقوياء الأمناء، أو المتخصِّصين المتديِّنين، ليولِّيَ غيرهم من الضعفاء أو المستهترين، لقرابة أو مصاهرة، أو جوار أو صداقة، أو أيِّ علاقة أخرى.

وقد عبَّر القرآن عن هاتين الصفتين الأساسيتين بعبارة أخرى، بما ذكره على لسان يوسف عليه السلام حين قال له ملك مصر: ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۝ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٤، ٥٥]. فرشَّح يوسف نفسه للمَلِك لمنصب مهم، يرى أنه أهل له. وهو منصب الوزير القائم على خزائن الأرض، فهو وزير المالية والاقتصاد والزراعة والتموين والتخطيط، وذلك لأنه يتمتع بصفتين أو خَصْلتين رئيسيتين: الحفظ والعلم. والحفظ: يؤدي معنى «الأمانة»، والعلم: يؤدي معنى «القوة».

إنَّ الإخلال بهذين العنصرين أو بأحدهما، مع وجود من تتوافر فيه الشروط، خيانة كبيرة، ذُكرت في بعض الأحاديث بقوله: «**من استعمل رجلًا من عصابة، وفيهم من هو أرضى لله منه، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين**»[(١)].

وعن يزيدَ بن أبي سفيان قال: قال لي أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه حين بعثني إلى الشام: يا يزيدُ، إنَّ لك قرابةً عسيتَ أن تُؤْثرهم بالإمارة، وذلك أخوف ما أخاف عليك بعدما قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ وَلِيَ من أمر المسلمين شيئًا، فأمَّر عليهم أحدًا محاباة، فعليه لعنة الله، لا يقبل الله منه صَرْفًا ولا عَدْلًا**»[(٢)].

---

(١) رواه الحاكم في الأحكام (٩٢/٤)، وصحح إسناده، وقال الذهبي: فيه حسين بن قيس، وهو ضعيف. وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣٣٤٥): واه. وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (١٣٣٩)، عن ابن عباس.

(٢) رواه أحمد (٢١)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والحاكم في الأحكام (٩٣/٤) وصحح إسناده، وقال الذهبي في التلخيص: بكر ـ وهو ابن خنيس ـ قال الدارقطني: متروك. وضعَّفه الألباني في الضعيفة (٦٦٥٢).

QaradawiBooks.com

إنَّ تولية غير الأكْفاء الأمنـــاء مناصب هامَّة، هو خطـــر ماحق يهدِّد وجود الأمة وبقاءها، ويُدْنِيها من ساعة الهلاك والدمار.

ومما يؤيِّـــد ذلك مـــا ورد في صحيـــح البخاري: أن رجلًا ســـأل النَّبيَّ ﷺ عن الســـاعة، فَشُـــغِل عنه، ثم ناداه فقال: «**إذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الســـاعة**». قال: وكيف إضاعتها؟ قال: «**إذا وسِّـــد الأمر إلى غير أهله، فانتظر الساعة**»[(١)].

• **الاحتجاب عن حوائج الرَّعِيَّة:**

والحاكم فـــي النظريَّة السياســـيَّة للإســـلام وكيلُ الأمـــة وأجيرها، فلا يجوز له بحال أن يتعالى عليها، ويغلق بابـــه دون حوائجها، والنظرِ في أمورها، من شكوى مهضوم، أو تظلُّم مظلوم، أو طلب حاجة أو حق، فإن من المستشنع في العقل والعرف والشرع والطبع: أن يستكبر الأجير على من استأجره، ويهمل الوكيل شأن موكِّله.

ولهذا جاءت الأحاديث الصريحة بوعيد من احتجب عن رعيته، ولم يستمع لمظالمهم وحاجاتهم.

فعـــن عمرو بـــن مُـــرَّة الجهني رضي الله عنه أنـــه قـــال لمعاوية: ســـمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ ولاه الله شيئًا من أمور المسلمين، فاحتجب دون حاجتهم وخَلَّتهم وفقرهـــم، احتجب الله دون حاجتـــه وخَلَّته وفقره يوم القيامة**». فجعل معاوية رجلًا على حوائج المسلمين[(٢)].

---

(١) رواه البخاري في العلم (٥٩)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (١٨٠٣٣)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الخراج (٢٩٤٨)، والترمذي في الأحكام (١٣٣٢)، وقال: غريب. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٦٢٩).

QaradawiBooks.com

وعن أبي الشَّمَّاخ الأزدي عن ابن عمٍّ له من أصحاب النبي ﷺ أنه أتى معاوية، فدخل عليه، فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ ولي أمرًا من أمر الناس، ثم أغلق بابه دون المسكين والمظلوم أو ذي الحاجة، أغلق الله تبارك وتعالى دونه أبواب رحمته عند حاجته وفقرِه أفقرَ ما يكون إليها**»(١).

وليس الواجب أن ينظر الرئيس الأعلى بنفسه في حوائج الناس، فقد يفي عنه من يُنيبه في ذلك، إذا كان عدلًا مرضيًّا، وهذا ما صنعه معاوية رضي الله عنه حيث وكَّل رجلًا بالقيام على حوائج المسلمين، اتِّباعًا لتوجيه رسول الله ﷺ.

• الظلم ظُلمات يوم القيامة:

والإسلام يحرِّم الظلم ويشتد في تحريمه، كيف لا، والله تعالى وهو رب العالمين يحرِّم الظلم على نفسه، فما بالك بعباده؟! يقول تعالى في حديثه القدسي: «**يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا**»(٢). والقرآن الكريم حافل بآيات الوعيد للظالمين بعذاب الدنيا والآخرة، وسخط الله والناس. يقول تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشُّورى: ٤٠]. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: ٢١]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]. ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾ [النمل: ٥٢]. ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

والرسول ﷺ ينذر الظالمين بعذاب الله في الآخرة فيقول: «**إياكم والظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة**»(٣).

---

(١) رواه أحمد (١٥٦٥١)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره.

(٢) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٧٧)، عن أبي ذر.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في المظالم والغضب (٢٤٤٧)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٧٩)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

وينذرهم بنقمة الله في الدنيا فيقول: «**إنَّ الله لَيُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفْلِتْه**». ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢][(١)].

وأشد أنواع الظلم: ما يقع من القوي للضعيف، الذي لا يجد له ناصرًا غير الله تعالى، إنَّ الله تعالى لهذا القويِّ بالمرصاد، ومع هذا الضعيف بالمعونة، يسمع شكواه، ويستجيبُ لدعائه، وينتصر له من ظالمه، وإنْ طال الأمد. وقد أوصى الرسول ﷺ مُعَاذًا حين بعثه إلى اليمن فقال: «**واتقِّ دعوة المظلوم، فليس بينها وبين الله حجاب**»[(٢)].

وفي حديث آخر: «**دعوة المظلوم مستجابة، وإن كان فاجرًا، ففجوره على نفسه**»[(٣)].

وفي حديث ثالث: «**دعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب: وعِزَّتي لأنصرنَّكِ ولو بعد حين**»[(٤)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٦٨٦)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٣)، عن أبي موسي الأشعري.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٤٩٦)، ومسلم في الإيمان (١٩)، عن ابن عباس.

(٣) رواه أحمد (٨٧٩٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والطيالسي (٢٣٣٠)، والقضاعي في مسند الشهاب (٣١٥)، وحسَّن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٣٣٧٢)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٢٢٧)، وابن حجر في الفتح (٣٦٠/٣)، عن أبي هريرة.
قال المناوي: يحتمل أن يريد بالفاجر الكافر، ويحتمل أن يريد الفاسق، وينبغي أن يعتقد أن دعوة المظلوم مستجابة، ولا ينافيه عدم ظهور أثرها حالًا؛ لأنه تعالى ضَمِنَ الإجابة لدعائه في الوقت الذي يريد، لا في الوقت الذي تريد. فيض القدير (٥٢٦/٣)، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

(٤) رواه أحمد (٨٠٤٣)، وقال مخرجوه: صحيح بطرقه وشواهده. والترمذي في الدعوات (٣٥٩٨)، وقال: حديث حسن. وابن ماجه في الصيام (١٧٥٢)، عن أبي هريرة.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

وتتعاظم حرمة الظلم وإثمه إذا وقع من الراعي لرعيَّته الذين ولَّاه الله عليهم، وكلَّفه رعايتَهم والشفقةَ عليهم والرِّفْقَ بهم، حتى يكونَ لصغيرهم أبًا، ولكبيرهم أخًا، ولشيخهم ابنًا، فإذا هو يصبح ذئبًا بدل أن يكون راعيًا، ولصًّا بدل أن يكون حارسًا، يقول رسول الله ﷺ: «**ما من أمير عشرةٍ، إلا يُؤْتى به مغلولًا يوم القيامة، حتى يفكَّه العدلُ، أو يُوبِقَه الجَوْر**»(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا: «**اللهمَّ مَنْ وَلِيَ من أمر أمَّتي شيئًا فشقَّ عليهم، فاشقُق عليه، ومن وَلِيَ من أمر أمَّتي شيئًا، فَرَفَق بهم، فارفُق به**»(٢).

إنَّ رسول الله ﷺ أعلن في بيانه الإنساني العام في حَجَّة الوداع حيث عشرات الألوف يشهدون ويسمعون، فقال: «**إنَّ الله حرَّم عليكم دماءكم وأموالكم، كحُرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا...**»(٣).

وكلُّ اعتداء على الناس في أموالهم أو دمائهم أو أجسادهم أو حرماتهم وأعراضهم هو ظلمٌ مُبِينٌ يُحَرِّمه الإسلام.

فلا حقَّ للحاكم في مصادرة أموال الناس أو تعذيبهم وإيذائهم بغير جريرة واضحة، إنَّ ظهر المؤمن حِمًى، فلا يحل في شرع الله أن يُقتحم هذا الحمى إلا بحقِّه، وفي الحديث: «**من جرَّد ظهر مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان**»(٤).

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٦٢٢٥)، والبزار (٨٤٩٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٠٣٦): رواه البزار بإسنادين والطبراني في الأوسط بالأول، ورجال الأول في البزار رجال الصحيح. وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٠٠)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في الإمارة (١٨٢٨)، والنسائي في الكبرى في السير (٨٨٧٣)، عن عائشة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الحج (١٧٤٢)، ومسلم في الإيمان (٦٦)، عن ابن عمر.

(٤) رواه الطبراني في الكبير (١١٦/٨)، والأوسط (٢٣٣٩)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب =

QaradawiBooks.com

وقال عليه الصلاة والسلام: «**من ضرب سوطًا ظلمًا اقْتُصَّ منه يوم القيامة**»[١].

ولا يقتصر الإثم على مَنْ باشر الضرب والتعذيب، فإنَّ الإسلام يُشْرك فيه كلَّ من أسهم فيه من قريب أو بعيد، حتى أولئك الذين يحضرون مشاهد التعذيب طوعًا واختيارًا، ولا يُنكر أحدهم ذلك بلسانه، أو بقلبه، وذلك أضعف الإيمان.

إنَّ نقمة الله حين تنزل لا تخصُّ الظالمين وحدهم، ولكنها تأخذهم وتأخذ كل من سكت على ظلمهم، ووقف موقفًا سلبيًّا من تسلُّطهم وبغيهم بغير الحق، وهو قادر على موقف أقوى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥].

ويستوي أن يكون هذا التعذيب واقعًا على مسلمٍ أو غيرِ مسلم.

عن هشام بن حَكِيم بن حِزَام رضي الله عنه أنه مرَّ بالشام على أناس من الأنْباط، وقد أُقيموا في الشمس، وصُبَّ على رؤوسهم الزَّيْت، فقال: ما هذا؟ قيل: يعذَّبون في الخراج. وفي رواية: حُبِسوا في الجزية، فقال هشام: أشهد أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ الله يُعَذِّب الذين يُعَذِّبون الناس في الدنيا**». فدخل على الأمير، فحدَّثه، فأمر بهم فخُلُّوا[٢].

وقد خطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يومًا في جمهور المسلمين قائلًا: ألا إني والله ما أُرسل عُمَّالي ـ ولاتي ـ إليكم ليضربوا أبْشَاركم، ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أرسلهم إليكم ليُعلِّموكم دينكم

= (٣٧٠٦): إسناده جيد. وكذا الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٥٢١)، وقال الحافظ في الفتح (٨٥/١٢): في إسناده مقال. وضعَّفه الألباني في الضعيفة (١٢٧٥)، عن أبي إمامة.

(١) رواه البزار (٩٤٤٦)، والطبراني في الأوسط (١٤٤٥)، وحسَّن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٣٤٦٠)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٤١٣)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في البر والصلة (٢٦١٣).

QaradawiBooks.com

وسنَّتكم، فمن فُعِلَ به شيء سوى ذلك فليرفعْه إليَّ، فوالذي نفسي بيده ـ إذن ـ لأُقِصَّنَّه منه. فوثب عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين، أوَ رأيت إنْ كان رجل من المسلمين على رعيَّة، فأدَّب بعض رعيته، أئنَّك لمقتصُّه منه؟ قال: إي والذي نفس عمر بيده، إذن لأُقصنَّه منه، وقد رأيت رسول الله ﷺ يُقِصُّ من نفسه، ألا لا تضربوا المسلمين فتُذِلُّوهم، ولا تمنعوهم حقوقهم فتُكَفِّروهم[1].

إن الناس برآء حتى تثبت إدانتهم، هذا ما قرَّرته شريعة الله قبل أن تهتدي إليه القوانين الحديثة، أما شرع المستبدِّين والطغاة، فالأصل فيه أنَّ الناس متَّهمون حتى تثبت براءتهم!

ومتى كان الناس برآء لم يجُزْ ضربهم ولا تعذيبهم، بل لم يجُزْ مجرد تخويفهم وترويعهم، واقتحام بيوتهم عليهم في جُنح الظلام، وترويع أهليهم، وأطفالهم معهم، فإنَّ من حقِّ الفرد أن يعيش آمنًا في سِرْبه، ما لم يرتكب إثمًا، وإلا فترويعه ظلمٌ عظيم.

عن النُّعْمان بن بَشِير رضي الله عنهما قال: كُنَّا مع رسول الله ﷺ في مسير، فَخَفق رجل على راحلته (نعس)، فأخذ رجل سهمًا من كنانته (على سبيل المزاح) فانتبه الرجل، ففزع، فقال رسول الله ﷺ: «**لا يَحِلُّ لرجل أن يروِّع مسلمًا**»[2].

---

(١) رواه أحمد (٢٨٦)، وقال مخرجوه: فيه أبو فِراس النهدي، لم يرو عنه غير واحد، ولم يوثقه غير ابن حبان، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين. وحسن إسناده الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند. وابن أبي شيبة في السير (٣٣٥٩٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٠٦٨): في الصحيح طرف منه ـ صحيح البخاري (٢٦٤١) ـ وأبو فراس لم أر من جرحه ولا وثقه، وبقية رجاله ثقات.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١١٦/٢١)، والأوسط (١٦٧٣)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٤٢٤٣): رواته ثقات. وكذا قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٥٢٩).

QaradawiBooks.com

لقد نهى رسول الله ﷺ عن إدخال الرُّعْب والفزع على قلب المسلم، ولو كان ذلك بطريق المـزاح، فكيف بمن يبيت النـاس من ظلمه في رعب، ويصبحون في فَزَع، ويُمْسون في وَجَل وخوف؟!

• **حرمة المال العامِّ:**

ولا يحل للحاكم المسلم وأعوانِه من مال الدولة إلا ما يُكافئ أُجْرَته ويكفي حاجته بالمعروف، أما أن يستغلَّ المال العام لشخصه أو لأقاربه وأنصاره على حسـاب المسـلمين، فهذا منكَرٌ لا يرضاه الله ولا رسوله ولا المؤمنون.

• **الرسول ﷺ يبرأ من أعوان الظلمة:**

ويحرم على المسلم أن يكون عونًا لحاكم ظالم أو مُبْطِل، فإنَّ أعوان الظالم شركاؤه في الإثم، واستحقاق غضب الله ونقمته، فإنهم اليد التي بها يبطش، والسلاح الذي به يضرب، والقوة التي بها يرهب.

ولا يعفيهم مـن التَّبِعة أنهم أتبـاع وأذناب، كل عملهـم أن ينفِّذوا الأوامر، وأن يسيروا في الركاب، فهم على كل حالٍّ بشر، مسؤولون عما يفعلون، ما داموا مختارين غير مُكْرَهين.

إنَّ الله تعالى حين أنزل سـخطه وعذابه بفرعـون وهامان أخذ معهما جنودهما وأتباعهما، وسـجَّل في كتابه عليهم اللعنة فـي الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ [القصص: ٨]، ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٤٠]، ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ۝ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص: ٤١، ٤٢]. وما كان

QaradawiBooks.com

ذنب هؤلاء الجنود والأتباع إلا أنهم اتَّبعوا أمر فرعون، ﴿فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ۝ يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ﴾ [هود: ٩٧، ٩٨]، كما أنزل الله العقوبة بعادٍ قوم هُود؛ لأنهم: ﴿جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ﴾ [هود: ٥٩]، وقال عن قوم فرعون: ﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾ [الزخرف: ٥٤].

من أجل ذلك شدَّد النكير على أعوان الظلمة، وأنصار المُبْطلين، من الأمراء والسلاطين خاصَّة، ولكل الناس عامَّة.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أنَّ النبي ﷺ قال لكعب بن عُجْرة: «**أعاذك الله من إمارة السفهاء**». قال: وما إمارة السفهاء؟ قال: «**أمراء يكونون بعدي، لا يهتدون بهديي، ولا يستنُّون بسُنَّتي، فمن صدَّقهم بكذبهم، وأعانهم على ظُلْمهم، فأولئك ليسوا مني، ولستُ منهم، ولا يَرِدُون عليَّ حوضي، ومن لم يصدِّقهم بكذبهم، ولم يُعنهم على ظلمهم، فأولئك مني، وأنا منهم، وسَيَردونَ عليَّ حوضي**»[(١)].

وقد ثبتت براءة رسول الله ﷺ من أعوان الظلمة في جملة أحاديث[(٢)]، وكيف لا والقرآن يحذِّر وينذر فيقول: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

---

(١) رواه أحمد (١٤٤٤١)، وقال مخرجوه: إسناده قوي على شرط مسلم. والترمذي في السفر (٦١٤)، وقال: حسن غريب. وابن حبان في الصلاة (١٧٢٣)، والحاكم في الفتن والملاحم (٤٢٢/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي.

(٢) روى ذلك عنه غير جابر وكعب: النعمان بن بشير، وخباب، وأبو سعيد، وثوبان رضي الله عنهم. وقد ذكرها جميعًا المنذري في الترغيب والترهيب.

QaradawiBooks.com

فسَّـــر الركون إليهم بمداهنتهم، والرضا بأعمالهـــم، وبمجرَّد المَيْل إليهم، ورتَّب عليه الحرمان من ولايـــة الله تعالى ونُصرته، ومن حُرِمَهما فما له من وليٍّ ولا نصير.

وأحقُّ الناس بالإعراض عن الحُكَّام الظلمة، وتجنُّب الدخول عليهم، والممالأة لهم هم العلماء الذين ورثوا وظيفة النبوة في دعوة الناس إلى الحق، وحضهم على الخير، وأمرهم بالمعـــروف، ونهيهم عن المنكر، فإذا استحالت وظيفتهم إلى ممالأة ومشايعة الحُكَّام، وإن ظلموا وحادوا عن شرع الله، فقد خانوا الأمانة، وفتنوا الأمة. وهذا ما حذَّر منه الرسول الكريم ﷺ: فعن ابـــن عباس رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قال: «**إنَّ ناسًـــا من أمتي سيفقهون في الدين، ويقرؤون القرآن، يقولون: نأتي الأمراء، فنُصيب من دنياهم، ونعتزلهم بديننا. ولا يكون ذلك، كمـــا لا يُجْتنى من القَتَاد إلا الشـــوك، كذلك لا يُجْتنى من قربهم إلا...**». قـــال راوي الحديث: كأنه يعني الخطايا[1].

أي لا يســـتفاد من قرب هؤلاء المنحرفين ومجالســـتهم إلا الخطايا والمعاصي.

والحاكم الصالح بالجملة ـ أعني الملتزم بدستور الإسلام، القائم على حدوده، المنفِّذ لشرعه ـ لا يحلُّ لمســـلم أن يخلع يده من بيعته، أو يشقَّ عصا الطاعة عليه، ولو ضُيِّعت بعض حقوقه الشـــخصية، ورأى في بعض التصرُّفات ما لا يُعجبه ولا يُرضيه، إذا كانـــت بعض المخالفات الجزئية،

(١) رواه ابن ماجه في الافتتـــاح (٢٥٥)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٣٨/١): إســـناده ضعيف. والطبراني في الأوسط (٨٢٣٦)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (١٨٣): رواة ابن ماجه ثقات. وضعَّفه الألباني في الضعيفة (١٢٥٠).

QaradawiBooks.com

ولا يحل له أن يُعلن العصيان، أو يُشــهِرَ الســلاح، أو يؤجِّج نار الثورة، لمجرَّد انحرافٍ في بعض الجوانب، أو إهمال طارئ لبعض الأحكام.

فإنَّ استقرار الدولة، وَوَحدة الأمة، وسلامةَ المجموع، تتعرَّض كلها للزلزلة، بل للانهيار إذا كان العصيــانُ والثورةُ كلأً مباحًا لكلِّ ناقم على أمر من الأمور. وهذا معنــى الأحاديث التي جاءت آمــرةً بالصبر على السلطان، وأثَرَتَه، بل اعتدائه في بعض الأحيان. كما روى ابن عباس عن النبي ﷺ: «**من كره من أميره شــيئًا فليصبر، فإنَّ من فارق الجماعة شبرًا فمات، مات ميتة جاهلية**»(١).

إن تغيير المنكر أمر واجب، ولكن إذا ترتَّــب عليه منكر أكبر منه، وجب السكوت عليه ســدًّا للذريعة، وارتكابًا لأخفِّ الضررين، وتفويتًا لأدنى المصلحتين.

وقد أنكر ســيدنا موسى على أخيه ســيدنا هارون سكوتَه على ضلال قومه حين عبدوا العجل الذي صنعه لهم السامري في غَيْبته: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ۞ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ۞ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: ٩٢ ـ ٩٤]. فســكت هارون على هذا المنكر الكبير مؤقتًا؛ إبقاء على وَحْدة الجماعة، حتى يعود الكبير المسؤول الأول، ويتصرَّفا معًا بما يريانه لقَطْعِ دَابَر الفتنة.

ومن هنا أجازت قواعد الشريعة الســكوت على منكرٍ خشيةَ ما هو أكبر منه.

وهذا كله ما لم يصل الأمــر إلى حدِّ الخــروج الصريح من أحكام الإسلام الأساسية، وأصوله المعلومة من الدين بالضرورة.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الفتن (٧٠٥٤)، ومسلم في الإمارة (١٨٤٩).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

• **حديث: «وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فاسمع وأطع» منقطع:**

وأما الحديث الذي يجعلونه عمدتهم في الاستسلام للحكام الظالمين، وهو ما رواه مسلم في صحيحه، عن أبي سلام، قال: قال حذيفة بن اليمان: قلتُ: يا رسول الله، إنا كنا بشرٍّ، فجاء الله بخير، فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شرٌّ؟ قال: «**نعم**».

قلتُ: هل وراء ذلك الشرِّ خيرٌ؟ قال: «**نعم**».

قلتُ: فهل وراء ذلك الخير شرٌّ؟ قال: «**نعم**».

قلتُ: كيف؟ قال: «**يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهُداي، ولا يستنُّون بسُنَّتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس**». قال: قلتُ: كيف أصنع يا رسول الله، إن أدركتُ ذلك؟ قال: «**تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك، فاسمع وأطع**».

فهذا الحديث رواه مسلم فعلًا في كتاب الإمارة (١٨٤٧)، ومن المعروف لدى علماء الحديث أن صحيح مسلم يحتوي على نوعين من الأحاديث:

الأول: أحاديث تسمى «أحاديث الأصول»؛ وهذه يدقق فيها مسلم ولا يتساهل في أسانيدها، ويختارها من أحاديث الحُفَّاظ المتقنين المشهود لهم بالعدالة وتمام الضبط.

الثاني: أحاديث تسمى «متابعات»؛ وهذه لا يشترط فيها ما يشترط في الأولى، ولذا قد يدخلها شيء من الضعف. وهذا الحديث من هذا النوع. ولذا قال الإمام الدارقطني في كتابه «الإلزامات والتتبُّع»: وأخرج مسلم حديث معاوية بن سلَّام، عن زيد، عن أبي سلام، قال: قال حذيفة:

QaradawiBooks.com

كنا بشـــرٍّ، فجاءنا الله بخير... قال الدارقطني: وهذا عندي مرســـل ـ أي منقطع ـ أبو ســـلَّام لم يســـمع من حذيفة، ولا من نظرائـــه الذين نزلوا العراق؛ لأن حذيفة تُوُفِّيَ بعد قتل عثمان رضي الله عنه بليالٍ، وقد قال مسلم فيه: قال حذيفة ـ أي لم يقل: سمعت أو حدثني ـ فهذا يدلُّ على إرساله اهـ[1].

قال المزيُّ في ترجمة أبي ســـلام: روى عن حذيفة، ويقال: مرسل. وقال ابن حجر: أرسل أبو ســـلام عن حذيفة وأبي ذر وغيرهما[2]. وأيد ذلك العلائي في «جامع التحصيل»، في الـــرواة المحكوم على روايتهم بالإرسال[3].

وقال النووي في «شرح مســـلم»: قال الدارقطني: هذا عندي مرسل؛ لأن أبا ســـلَّام لم يســـمع حذيفة. وهو كما قال الدارقطني، لكن المتن صحيح متَّصل بالطريق الأول، وإنما أتى مســـلم بهذا متابعة كما ترى، وقد قدَّمنا في الفصول وغيرها: أن الحديث المرســـل إذا رُوي من طريق آخر متَّصـــلًا تبينَّا به صحَّة المرســـل، وجاز الاحتجاج بـــه، ويصير في المسألة حديثان صحيحان[4].

هذا وما قاله النووي رحمه الله مُســـلَّم إذا لم تكن الزيادة المرسلة تحمل أحكامًا جديدة مغايرة لما أفاده الحديث الأصلي المتصل الســـند. وإلا أثبتنا هذه الزيادة ـ التي قـــد تكون خطيرة ـ بمجرَّد رواية مرســـلة (أي منقطعة).

(١) الإلزامات والتتبع صـ ١٨٢، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
(٢) تهذيب التهذيب (٢٩٦/١٠)، نشر مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط ١، ١٣٢٦هـ.
(٣) جامع التحصيل صـ ٢٨٦، تحقيق حمدي عبد المجيد الســـلفي، نشر عالم الكتب، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.
(٤) شرح النووي على مسلم (٢٣٧/١٢، ٢٣٨).

QaradawiBooks.com

على أن حديث حذيفة ـ إن صحَّ ـ هو خطاب خاصٌّ لا يحمل صفة العموم، فلم يرِد في صيغة لفظ من ألفاظ العموم المعروفة، فلعلها وصيَّة خاصَّة لحذيفة تتعلق بأولى الأمر من الصحابة. والله أعلم.

على أن هنـــاك أحاديثَ صحاحًا أخرى تبيح للمســـلم أن يُدافع عن ماله، إلى حد القتال عليه، بل إلى حد أن يقتل في سبيله، وإذا قتل فهو شهيد. ففي الحديث المتفق عليه: «**مَنْ قُتِلَ دُونَ ماله فهو شهيد**»[(١)]. وفي الحديث الآخر الذي جـــاء في دفع الصائل على الإنســـان في بيته، عن أبي هريرة، قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أرأيتَ إن جاء رجلٌ يريد أخذ مالـــي؟ قال: «**فلا تعطِهِ مالَـــك**». قال: أرأيتَ إن قاتلني؟ قـــال: «**قاتلْه**». قال: أرأيتَ إن قتلني؟ قال: «**فأنت شـــهيد**». قال: أرأيتَ إن قتلتُه؟ قال: «**هو في النار**»[(٢)].

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٨٠)، ومســـلم في الإيمان (١٤١)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (١٤٠)، وأحمد (٨٢٩٩).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

٦

علاقة المسلم بغير المسلم

إذا أردنا أن نُجْمِل تعليمات الإسلام في معاملة المخالفين له في ضوء ما يحل وما يحرم، فحسْبُنا آيتان من كتاب الله، جديرتان أن تكونا دستورًا جامعًا في هذا الشأن. وهما قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

فالآية الأولى لم تُرَغِّب في العدل والإقساط فحسب إلى غير المسلمين، الذين لم يقاتلوا المسلمين في الدين، ولم يخرجوهم من ديارهم ـ أي أولئك الذين لا حرب ولا عداوة بينهم وبين المسلمين ـ بل رغَّبت الآية في بِرِّهم والإحسان إليهم.

والبر: كلمة جامعة لمعاني الخير والتوسُّع فيه. فهو أمر فوق العدل. وهي الكلمة التي يعبِّر بها المسلمون عن أوجب الحقوق البشرية عليهم، وذلك هو «بر الوالدين».

وإنما قلنا: إن الآية رغَّبت في ذلك، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ والمؤمن يسعى دائمًا إلى تحقيق ما يحبُّه الله. ولا ينفي معنى الترغيب والطلب في الآية أنها جاءت بلفظ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ﴾، فهذا

QaradawiBooks.com

التعبير قُصد به نفي ما كان عالقًا بالأذهان ـ وما يزال ـ أن المخالف في الدين لا يستحق برًّا ولا قسطًا، ولا مودة ولا حُسْن عشرة. فبيَّن الله تعالى أنه لا ينهى المؤمنين عن ذلك مع كل المخالفين لهم، بل مع المحاربين لهم، العادين عليهم.

ويُشبه هذا التعبير قوله تعالى في شأن الصفا والمروة، لمَّا تحرج بعض الناس من الطواف بهما لبعض ملابسات كانت في الجاهلية: ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨]. فنفى الجُناح لإزالة ذلك الوهم، وإن كان الطواف بهما واجبًا من شعائر الحج.

• نظرة خاصة لأهل الكتاب:

وإذا كان الإسلام لا ينهى عن البر والإقساط إلى مخالفيه من أي دين، ولو كانوا وثنيِّين مشركين، كمشركي العرب الذين نزلت في شأنهم الآيتان السالفتان؛ فإن الإسلام ينظر نظرة خاصة لأهل الكتاب من اليهود والنصارى. سواء أكانوا في دار الإسلام أم خارجها.

فالقرآن لا يناديهم إلا بـ «**يا أهل الكتاب**» و«**يا أيها الذين أوتوا الكتاب**» يشير بهذا إلى أنهم في الأصل أهل دين سماوي، فبينهم وبين المسلمين رحم وقربى، تتمثل في أصول الدين الواحد، الذي بعث الله به أنبياءه جميعًا: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

والمسلمون مطالبون بالإيمان بكتب الله قاطبة، ورسل الله جميعًا، لا يتحقَّق إيمانهم إلا بهذا: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

QaradawiBooks.com

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وأهل الكتاب إذا قرؤوا القرآن يجدون الثناء على كتبهم ورسلهم وأنبيائهم، فموسى اصطفاه الله برسالاته وبكلامه، وأنزل عليه التوراة فيها هدى ونور، وعيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم ورُوح منه، أنزل عليه الإنجيل هدى وموعظة للمتقين، والإيمان بالرسل وكتبهم جزء من إيمان المسلم: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦].

وإذا جادل المسلمون أهل الكتاب فليتجنَّبوا المراء الذي يوغر الصدور ويثير العداوات: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وقد رأينا كيف أباح الإسلام مؤاكلة أهل الكتاب وتناول ذبائحهم، كما أباح مصاهرتهم والتزوج من نسائهم، مع ما في الزواج من سكن ومودة ورحمة. وفي هذا قال تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ [المائدة: ٥].

هذا في أهل الكتاب عامَّة، أما النصارى منهم خاصَّة، فقد وضعهم القرآن موضعًا قريبًا من قلوب المسلمين، فقال: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا

QaradawiBooks.com

يَسْتَكْبِرُونَ ۞ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [المائدة: ٨٢، ٨٣].

• أهل الذمة وما لهم من حقوق وحُرُمات:

وهذه الوصايا المذكورة تشمل جميع أهل الكتاب حيث كانوا، غير أن المقيمين في ظل دولة الإسلام منهم لهم وضع خاص، وهم الذين يسمَّون في اصطلاح المسلمين باسم «أهل الذمة». والذِّمَّة معناها: العهد. وهي كلمة توحي بأن لهم عهد الله وعهد رسوله وعهد جماعة المسلمين: أن يعيشوا في ظل الإسلام آمنين مطمئنِّين.

وهؤلاء بالتعبير الحديث «مواطنون» في الدولة الإسلامية، أجمع المسلمون منذ العصر الأول إلى اليوم أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، إلا ما هو من شؤون الدين والعقيدة، فإن الإسلام يتركهم وما يدينون.

وقد شدَّد النبيُّ ﷺ الوصية بأهل الذِّمَّة، وتوعَّد كل مخالف لهذه الوصايا بسخط الله وعذابه، فجاء في أحاديثه الكريمة: «**من قتل معاهدًا لم يَرَحْ رائحةَ الجنَّة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عامًا**»[(١)]. «**من ظلم معاهدًا أو انتقصه حقًّا، أو كلَّفه فوقَ طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طِيب نفْسٍ منه، فأنا حجيجُه يوم القيامة**»[(٢)].

وقد جرى خلفاء الرسول ﷺ على رعاية هذه الحقوق والحرمات لهؤلاء المواطنين من غير المسلمين، وأكد فقهاء الإسلام على اختلاف مذاهبهم هذه الحقوق والحُرُمات.

---

(١) سبق تخريجه صـ٤٠٠.

(٢) رواه أبو داود في الخراج والفيء (٣٠٥٢)، وجود إسناده العراقي في التبصرة والتذكرة (٧٧/٢)، وحسَّنه الألباني في غاية المرام (٤٧١)، عن صفوان بن سُلَيْم عن بعض أصحاب رسول الله.

QaradawiBooks.com

قال الفقيه المالكي شهاب الدين القرافي: «إن عقد الذمة يوجب حقوقًا علينا؛ لأنهم في جوارنا، وفي خفارتنا وذمتنا وذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ ودين الإسلام، فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء، أو غِيبة في عرض أحدهم، أو أي نوع من أنواع الأذية أو أعان على ذلك، فقد ضيَّع ذمَّة الله وذمَّة رسوله ﷺ وذمَّة دين الإسلام»[١].

وقال ابن حزم الفقيه الظاهري: «إن من كان في الذِّمَّة وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه، وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكُرَاع والسلاح، ونموت دونَ ذلك؛ صونًا لمن هو في ذِمَّة الله تعالى وذِمَّة رسوله ﷺ، فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعَقْد الذمة»[٢]. فانظر إلى قيمة هذا العهد الذي يوجب على المسلم أن يموت مختارًا في سبيل أن يدافع عن أصحابه.

- **وصايا نبوية بأقباط مصر خاصة:**

وأما أقباط مصر فلهم شأن خاص ومنزلة متميزة، فقد أوصى بهم رسول الله ﷺ وصية خاصة يعيها كل مسلم ويضعها في السُّوَيْداء من قلبه.

فقد روت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أوصى عند وفاته، فقال: «**الله الله في قِبْط مصر، فإنكم ستظهرون عليهم، ويكونون لكم عُدَّة وأعوانًا في سبيل الله**»[٣].

---

(١) الفروق للقرافي (١٤/٣)، نشر عالم الكتب.

(٢) المصدر السابق (١٤/٣).

(٣) رواه الطبراني (٢٦٥/٢٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٦٧٨): رجاله رجال الصحيح.

QaradawiBooks.com

وفي حديث آخر عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي عبد الله بن يزيد وعمرو بن حُرَيْث أن رسول الله ﷺ قال: «**فاستوصوا بهم خيرًا، فإنهم قوة لكم وبلاغ إلى عدوِّكم بإذن الله**». يعني قِبْطَ مصر[١].

وقد صدَّق الواقع التاريخي ما نبَّأ به الرسول ﷺ فقد رحَّب الأقباط بالمسلمين الفاتحين وفتحوا لهم صدورهم رغم أن الرُّوم الذين كانوا يحكمونهم كانوا نصارى مثلهم ودخل الأقباط في دين الله أفواجًا حتى إن بعض ولاة بني أُمَيَّة فرض الجزية على من أسلم منهم لكثرة من اعتنق الإسلام[٢].

وكانت مصر بوابة الإسلام إلى إفريقيا كلها، وغدا أهلها عُدَّة وأعوانًا في سبيل الله.

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنكم ستفتحون أرضًا يذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرًا، فإن لهم ذمَّة ورحمًا**».

وفي رواية: «**إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض يُسمَّى فيها القيراط**[٣]**، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمَّة ورحمًا**». أو قال: «**ذمَّة وصِهْرًا**»[٤].

---

(١) رواه أبو يعلى (١٤٧٣)، وابن حبان في التاريخ (٦٦٧٧)، وقال الأرناؤوط: رجاله ثقات رجال الصحيح إلا أنه مرسل.

(٢) سير أعلام النبلاء (١٤٧/٥).

(٣) القيراط: جزء من أجزاء الدرهم والدينار وغيرهما، وكان أهل مصر يكثرون من استعماله والتكلُّم به، بل هم لا يزالون كذلك بالنسبة للمساحة وللصاغة وغيرها، وكل شيء قابل لأن يقسم إلى (٢٤) قيراطًا.

(٤) الحديث براويتيه رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٥٤٣).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قال العلماء: الرحم التي لهم كون هاجر أم إسماعيل عليه السلام منهم، والصِّهْر كون مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ منهم[١].

ولا غرو أن ذكر الإمام النووي هذا الحديث في كتابه «رياض الصالحين» في باب بر الوالدين وصلة الأرحام إشارة إلى هذه الرحم التي أمر الله ورسوله بها أن توصل بين المسلمين، وبين أهل مصر حتى قبل أن يُسلموا.

وعن كعب بن مالك الأنصاري قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إذا فُتِحت مصر، فاستوصوا بالقبط خيرًا، فإن لهم دمًا ورحمًا**». وفي رواية: «**إن لهم ذمة ورحمًا**». يعني أن أم إسماعيل منهم[٢].

والرسول يجعل للقِبْط هنا من الحقوق أكثر مما لغيرهم، فلهم ذمة، أي عهد الله، وعهد رسوله، وعهد جماعة المسلمين، وهو عهد جدير أن يُرعى ويُصان، ولهم رحم ودم وقرابة ليست لغيرهم، فقد كانت هاجر أم إسماعيل ـ أبي العرب المستعربة ـ منهم بالإضافة إلى مارية القبطية التي أنجب منها عليه الصلاة والسلام ابنه إبراهيم.

• موالاة غير المسلمين ومعناها:

ولعل سؤالًا يجول في بعض الخواطر، أو يتردد على بعض الألسنة، وهو: كيف يتحقق البر والمودة وحسن العشرة مع غير المسلمين،

---

(١) ذكر ذلك النووي في رياض الصالحين صـ ٣٢٨، تحقيق شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

(٢) رواه الطبراني (٦١/١٩)، والحاكم في التواريخ (٥٥٣/٢)، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٦٧٩): رواه الطبراني بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح.

QaradawiBooks.com

والقرآن نفسه ينهى عن موادَّة الكُفَّار، واتخاذهم أولياء وحلفاء في مثل قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ﴾ [المائدة: ٥١، ٥٢].

والجواب: إن هذه الآيات ليست على إطلاقها، ولا تشمل كل يهودي أو نصراني أو كافر، ولو فهمت هكذا لناقضت الآيات والنصوص الأخرى، التي شرعت موادة أهل الخير والمعروف من أي دين كانوا، والتي أباحت مصاهرة أهل الكتاب، واتخاذ زوجة كتابية، مع قوله تعالى في الزوجية وآثارها: ﴿وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةً﴾ [الروم: ٢١]، كما أباحت للمسلم أن تكون أمه كتابية، وجده كتابيًّا، وجدته كتابية، وخاله وخالته وأولادهم كتابيين، لهم صلة رحم وحقوق أولي القربى.

وقال تعالى في النصارى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ [المائدة: ٨٢].

إنما جاءت تلك الآيات في قوم معادين للإسلام، محاربين للمسلمين، فلا يحل للمسلم حينذاك مناصرتهم ومظاهرتهم «وهو معنى الموالاة» واتخاذهم بطانة يفضي إليهم بالأسرار، وحلفاء يتقرب إليهم على حساب جماعته وملته؛ وقد وضَّحت ذلك آيات أُخَر كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝ هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ﴾ [آل عمران: ١١٨، ١١٩].

فهذه الآية تبين لنا صفات هؤلاء، وأنهم يُكنُّون العداوة والكراهية للمسلمين في قلوبهم، وقد فاضت آثارها على ألسنتهم.

QaradawiBooks.com

وقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

ومحادَّة الله ورسوله ليست مجرد الكفر، وإنما هي مناصبة العداء للإسلام والمسلمين.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ [الممتحنة: ١]. فهذه الآية نزلت في موالاة مشركي مكة، الذين حاربوا الله ورسوله، وأخرجوا المسلمين من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا: ربنا الله. فمثل هؤلاء هم الذين لا تجوز موالاتهم بحال، ومع هذا فالقرآن لم يقطع الرجاء في مصافاة هؤلاء، ولم يعلن اليأس البات منهم، بل أطمع المؤمنين في تغيُّر الأحوال، وصفاء النفوس، فقال في السورة نفسها بعد آيات: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ٧].

وهذا التنبيه من القرآن الكريم كفيل أن يكفكف من حِدَّة الخصومة، وصرامة العداوة، كما جاء عن عليٍّ: «أبغض عدوك هونًا ما، عسى أن يكون حبيبك يومًا ما»[(١)].

وتتأكد حرمة الموالاة للأعداء إذا كانوا أقوياء، يُرْجَون ويُخْشَون،

(١) رواه الترمذي في البر والصلة (١٩٩٧)، وقال: هذا حديث غريب، والصحيح عن علي موقوف قوله. والطبراني في الأوسط (٣٣٩٥)، قال العراقي في تخريج الإحياء صـ ٦٤٣: رجاله ثقات رجال مسلم، لكن الراوي تردد في رفعه. وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٨)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

فيسعى إلى موالاتهم المنافقون ومرضى القلوب، يتخذون عندهم يدًا، يرجون أن تنفعهم غدًا. كما قال تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٥٢]. ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۙ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٨، ١٣٩].

- **استعانة المسلم بغير المسلم:**

ولا بأس أن يستعين المسلمون حكامًا ورعية بغير المسلمين في الأمور الفنيَّة التي لا تتصل بالدين من طبٍّ وهندسة وصناعة وزراعة وتكنولوجيا وغيرها، وإن كان الأجدر بالمسلمين أن يكتفوا في كل ذلك اكتفاء ذاتيًّا.

وقد رأينا في السيرة النبوية كيف استأجر رسول الله ﷺ عبدَ الله بن أُرَيْقِط وهو مشرك، ليكون دليلًا له في الهجرة، ويُعرِّفه من الطرق ما هو أيسر وأقرب، وأبعد عن الخطر.

قال العلماء: ولا يلزم من كونه كافرًا ألا يُوثق به في شيء أصلًا؛ فإنه لا شيء أخطر من الدّلالة في الطريق، ولا سيما في مثل طريق الهجرة إلى المدينة.

وأكثر من هذا أنهم جوزوا لإمام المسلمين أن يستعين بغير المسلمين ـ وبخاصة أهل الكتاب ـ في الشؤون الحربية، وأن يسهم لهم من الغنائم كالمسلمين.

روى الزهري مرسلًا، أن رسول الله ﷺ استعان بناسٍ من اليهود في

QaradawiBooks.com

حربه فأسهم لهم[١]. وأن صفوان بن أمية خرج مع النبي ﷺ في غزوة حنين وكان لا يزال على شركه[٢].

ويشترط أن يكون مَن يُستعان به حسن الرأي في المسلمين، فإن كان غير مأمون عليهم، لم تجز الاستعانة به؛ لأننا إذا منعنا الاستعانة بمن لا يؤمن من المسلمين مثل المخَذِّل والمُرجف، فالكافر أولى[٣].

قبول الهدية من غير المسلم والإهداء له:

ويجوز للمسلم أن يهدي إلى غير المسلم، وأن يقبل الهدية منه، ويكافئ عليها، كما ثبت أن النبي ﷺ أهدى إليه الملوك فقبل منهم[٤]. وكانوا غير مسلمين.

قال حفاظ الحديث: والأحاديث في قبوله ﷺ هدايا الكفار كثيرة جدًّا.

ومما يُروى عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قال لها: إني قد أُهديت من النَّجَاشي حُلَّة وأواقي من حرير[٥].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في السير (٣٣٨٣٥)، وأبو داود في المراسيل (٢٧٠)، والبيهقي في السير (٥٣/٩)، وقال: هذا منقطع وإسناده ضعيف. وانظر: نيل الأوطار (٢٦٣/٧).

(٢) رواه البيهقي في قسم الفيء (٣٧٠/٦)، وقال ابن حجر في الفتح (١٧٩/٦): وقصته مشهورة في المغازي. ونص الشافعي في الأم (٩٢/٢) على أنه أعطاه قبل أن يسلم.

(٣) المغني (٢٥٧/٩).

(٤) رواه أحمد (٧٤٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والترمذي في السير (١٥٧٦)، وقال: حسن غريب، قال ابن حجر في التلخيص الحبير (١٣١٨): والأحاديث في ذلك شهيرة. وقال ابن الملقن في البدر المنير (١٢١/٧): والأحاديث في ذلك كثيرة منتشرة. وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٤٧٣)، عن علي.

(٥) رواه أحمد (٢٧٢٧٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وابن حبان في الهبة (٥١١٤)، والحاكم في النكاح (١٨٨/٢)، وصحَّحه، وأنكره الذهبي، وحسَّن ابن حجر إسناده في الفتح (٢٢٢/٥). وضعَّفه الألباني في غاية المرام (٤٧٤).

غير مرخص للطباعة
نسخة مرخصة
QaradawiBooks.com

احترام الإسلام للإنسان من حيث هو إنسان:

إن الإسلام يحترم الإنسان من حيث هو إنسان، فكيف إذا كان من أهل الكتاب؟ وكيف إذا كان معاهدًا أو ذِمِّيًّا؟

مرَّت جنازة على رسول الله ﷺ، فقام لها واقفًا، فقيل له: يا رسول الله، إنها جنازة يهودي! فقال: «**أليست نَفْسًا**»[1]؟

بلى، وكل نفس في الإسلام لها حرمة ومكان، وما أروع الموقف وما أروع التعليل.

- **الإسلام رحمة عامَّة حتى على الحيوان:**

وكيف يبيح الإسلام للمسلم أن يُسيئ إلى غير المسلم أو يُؤذيه، وهو يوصي بالرحمة بكل ذي رُوح، وينهى عن القسوة على الحيوان الأعجم؟!

لقد سبق الإسلام جمعيات الرفق بالحيوان بثلاثةَ عشرَ قرنًا، فجعل الإحسان إليه من شُعَب الإيمان، وإيذاءه والقسوة عليه من موجبات النار.

ويحدث رسول الله ﷺ أصحابه عن رجلٍ وجد كلبًا يلهث من شدة العطش، فنزل بئرًا، فملأ خُفَّه منها ماء، فسقى الكلب حتى روي. قال رسول الله ﷺ: «**فشكر الله له، فغفر له**». قالوا: يا رسول الله، وإنَّ لنا في البهائم لأجرًا؟ قال: «**في كلِّ كبدٍ رطْبةٍ أجر**»[2].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٣١٢)، ومسلم (٩٦١)، كلاهما في الجنائز، عن قيس بن سعد وسهل بن حُنيف.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في المساقاة (٢٣٦٣)، ومسلم في السلام (٢٢٤٤)، عن أبي هريرة.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وإلى جوار هذه الصورة المضيئة التي توجب مغفرة الله ورضوانه، يرسم النبي صورة أخرى توجب مَقت الله وعذابه، فيقول: «**دخلت امرأة النار في هِرَّة حبستها: فلا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض**»(١).

وبلغ من احترام حيوانية الحيوان أن رأى النبي ﷺ حمارًا موسوم الوجه «مكويًّا في وجهه» فأنكر ذلك وقال: «**والله لا أسمه إلا في أقصى شيء من الوجه**»(٢).

وفي حديث آخر أنه مرَّ عليه حمار قد وُسِم في وجهه فقال: «**لعن الله الذي وسمه**»(٣).

وقد ذكرنا قبلُ أن ابن عمر رأى أناسًا اتخذوا من دجاجة غرضًا يتعلمون عليه الرمي والإصابة بالسهام فقال: «إن النبي ﷺ لعن من اتخذ شيئًا فيه الرُّوح غَرَضًا»(٤).

ورُوي عن عبد الله بن عمر: نهى النبي ﷺ عن التحريش بين البهائم(٥).

والتحريش بينها: هو إغراء بعضها ببعض، لتتطاحن وتتصارع إلى حد الموت أو مقاربته.

---

(١) رواه البخاري في بدء الخلق (٣٣١٨)، ومسلم في التوبة (٢٦١٩)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في اللباس والزينة (٢١١٨)، عن ابن عباس.

(٣) رواه مسلم في اللباس والزينة (٢١١٧)، عن جابر.

(٤) سبق تخريجه صـ٣٦٢.

(٥) سبق تخريجه صـ٣٦٢.

QaradawiBooks.com

وروى ابن عمر أيضًا: أن النبي ﷺ نهى عن إخْصَاء الخيل والبهائم[١]. والإخْصَاء: سلُّ الخصية.

وكذلك شنع القرآن على أهل الجاهلية تبتيكهم لآذان الأنعام (شقِّها) وجعل هذا من وحي الشيطان. ﴿وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ [النساء: ١١٩].

وقد عرفنا عند الكلام على الذبح، كيف حرص الإسلام على إراحة الذبيحة بأيسر وسيلة ممكنة، وكيف أمر أن تُحَدَّ الشِّفار، وتوارى عن البهيمة.

ونهى أن يُذبح حيوان أمام آخر.

وما رأت الدنيا عناية بالحيوان إلى هذا الحد الذي يفوق الخيال!!

(١) رواه أحمد (٤٧٦٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف... روي مرفوعًا وموقوفًا، وموقوفه أصح. وابن أبي شيبة في السير (٣٣٢٤٤). ورواه البزار كما في كشف الأستار (١٦٩٠)، عن ابن عباس مرفوعًا. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٣٦٨): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح. وحسَّنه الألباني بمجموع طرقه في غاية المرام (٤٨٢).

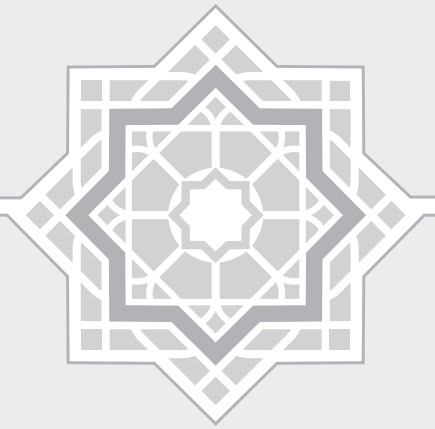
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي



الباب الخامس

الحلال والحرام في أعمال القلوب



QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الحلال والحرام في أعمال القلوب

من الثابت دينيًّا وعلميًّا وواقعيًّا: أن الله خلق الإنسان خلْقًا مزدوجًا، ففيه جسمٌ ورُوح، وفيه عقلٌ وعاطفة، وفيه إرادةٌ ووجدان، وليس الإنسان هو مجرَّد هذا الكيان الماديِّ، الذي يتكوَّن من الجسم وأعضائه وأجهزته، ولحمه ودمه، وعظمه وخلاياه، مما يُدرس في كلِّيات الطب ونحوها، بل إن هذا كلَّه أشبه بغلاف ووعاء لحفظ الإنسان الحقيقي، الذي به تميَّز عن جمهور الحيوانات، التي تشاركه في الجسميَّة والعضويَّة والحركة، والأكل والشرب والإفراز، ونحوها مما تتحقّق به الحياة لكل أفرادها من الحيوانات والسباع، والزواحف والطيور والحشرات، والأسماك وحيوانات الماء، وغيرها من الكائنات الحيَّة.

من تأمَّل بنظره وحواسِّه وكل وسائله في الكائنات وجد فيها ما يُرى وما لا يُرى، كما قال تعالى في كتابه المجيد: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ۝ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ۝ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ [الحاقة: ٣٨ ـ ٤٠]، وما نُبصِره بأعيننا ونُدرِكه بحواسِّنا، يشمل أنواعًا معيَّنة: كائنات عاقلة كالإنسان، وكائنات غير عاقلة كالحيوانات والنباتات والجمادات، ومنها الأفلاك والسماوات.

وهناك في الكون الكبير ـ الذي نحن جزء صغير جدًّا منه ـ كائناتٌ عاقلة لا نراها، ولكنَّها موجودة، منها: كائنات خيِّرة في أصلها، لا يدخلها الشرُّ، ولا ترتكب معصِية، وهم الملائكة، الذين عرَفْناهم وآمنَّا بهم عن طريق

QaradawiBooks.com

الدين، وهم يعملون جنـودًا في مُلك الله الكبيـر: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريـم: ٦]، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبيـاء: ٢٨]، وهـم مُكلَّفون بأعمال تتعلَّق بالكون وبالحياة والإنسان، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتـح: ٧]، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثـر: ٣١]، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢]، ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخـرف: ٨٠]، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]، والملائكة موجودون في العالَم كلِّه: علويِّه وسفليِّه، مع الإنسان ومع غيره.

وهناك من العقلاء من أنبأنا القرآنُ عنهم أنَّهم مُكلَّفون مثلنا بعبادة الله تعالـى. وهم «الجِـنُّ»، كما قـال تعالـى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وأنَّهم سـمِعوا القرآن من الرسول ﷺ، وأسلموا، ونزلتْ فيهم سورة الجنِّ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجـن: ١ ـ ٢]، فآمنَّـا بهؤلاء الجنِّ كما آمنَّا بالملائكة، وإن كان الجنُّ فيهم المؤمنون، ومنهم الكافرون: ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ۝ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٤، ١٥].

من أين؟ وإلى أين؟ ولمَ؟

على أن من المهم أن نعلم أنَّنا نحن البشـر، يجب أن نعرف أنفسنا، وأن نعرف ربنا، ونعرف مصيرنا، ونجيب عن الأسئلة الخالدة: مِن أين؟ وإلى أين؟ ولمَ؟

QaradawiBooks.com

• فمن أين؟

نحن لم نكُنْ شيئًا، ثم خلقنا الله تعالى، فضلًا مِنه ونعْمة علينا، وتكريمًا لنا، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]، ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

فإن الإنسان يتكوَّن من جزأين: جزء ظاهر يتكوَّن منه جسمه ومادته، وجسم باطن وهو الأهمُّ فيه، وهو الحقيق باسم إنسان، وفيه يتمثَّل الرُّوح والعقل، والضمير والوِجْدان والإرادة، التي تُمثِّل حقيقة هذا الإنسان، الذي كرَّمه الله على كل الخلائق في الأرض، وأنزل عليه الكُتُبَ، وبعث له الرسلَ مبشِّرين ومُنذرين ومعلِّمين، لئلَّا يكون للناس على الله حجَّة بعد الرسل.

ومن المُهم أن يعرف الإنسانُ كلًّا من القسمين في حياته: القِسم الماديّ والجسميّ، والقسم المعنويّ والروحيّ، أو الجزء الظاهر، والجزء الباطن، وهذا الجزء الباطن، أو القلبيّ أو الروحيّ: هو الذي يهمُّنا الحديث عنه في هذا الفصل من الكتاب، وهو ما سمَّيْناه: أعمال القلوب في الحلال والحرام.

• وإلى أين؟

فلا بد أن يعرف الإنسان مآله ومصيرَه، فهو ليس شيئًا تافهًا من التراب نشأ، وإلى التراب يعود، أرحام تدْفع، وأرض تبْلع، ولا شيءَ وراء ذلك، بل الإنسانُ كائن مستمرٌّ، حتى بعد الموت، الموت نقْلةٌ من عالَم إلى عالَم، من عالَم الفناء إلى عالَم البقاء، وسيكون لكل إنسان جزاؤه، وداره في الجنة أو النار: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦].

QaradawiBooks.com

• **ولِمَ؟**

وهذا السؤال الأخير الذي يبيِّن مهمَّة الإنسان في الحياة: لماذا خُلق؟ هل خُلق ليعيش ثم يموت، وينتهي الأمر؟ فلماذا كان يعيش؟ لا بد أن يعلم الإنسان أن خلْقَه لِرسالةٍ يقوم بها، ومن أجل هذه الرسالة بعَثَ اللهُ الرسلَ، وأنزل الكتبَ، ونصب سوق الجنة والنار، وهذه هي الغاية من خلْق هذا الكون كله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]، وبعد العِلم تكون العبادة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

الحلال والحرام في الطبعات السابقة من الكتاب:

كنت قصرتُ حديثي في الطبعات السابقة من كتابي «الحلال والحرام في الإسلام» على الأعمال الظاهرة للإنسان: أعمال اللسان والعين والحواسِّ والجوارح والأعضاء الظاهرة للإنسان، منبِّهًا إلى أن هناك محرماتٍ أخرى، كثيرًا ما تكون أهمَّ وأشدَّ وأعظمَ إثمًا من المحرمات العادية المعروفة عند الناس، وهي المحرمات التي سمَّاها علماءُ التصوُّف والسلوك: «أعمال القلوب».

وكنتُ نبَّهتُ منذ الطبعة الأولى لكتاب «الحلال والحرام» إلى أهمية هذه المحرَّمات القلبية، وتشديد الإسلام فيها، والتي سمَّاها الإمام الغزالي وغيره: «المهلكات»، أي: التي تُهلك الفرد والجماعة في الدنيا والآخرة، أخذًا من الحديث الذي أشار إلى ذلك حين تحدّث عن المُهلكات، وهي: الشحُّ المُطاع، والهوى المتَّبع، وإعجاب المرء بنفسه أو برأيه.

QaradawiBooks.com

وكنتُ قلتُ في ذلك: إن الأولى أن تُبحث هذه المحرمات وما يتَّصلُ بها من أعمال القلوب في علم التصوُّف والسلوك، وهو ما يتعلَّق بالأخلاق والتربية الإسلامية، والسلوك الإسلامي، ليُبحث فيها بتفصيل وإيضاح يلزم هذه الأمور، لما لها من أهمِّيَّة في دين الله تعالى، وفي حياة الناس. وقد خصَّصتُ بعد ذلك مجموعة من الكتب تتحدث كلُّها فيما سمَّيتُه: فقه السلوك، وقد صدر منه سبعة أجزاء[1].

ولكنِّي وجدتُ بعض الناس أخذوا كلامي هذا، وألقوا عليَّ اللوم؛ لأني أغفلتُ هذا الجانب في كتابي.

ولهذا أشار عليَّ بعض إخواني المتابعين لما أكتب والعارفين باتجاهي: أن أكتب ولو قليلًا حول هذه الأمور، للتعريف بها، وإزالة الغموض والاضطراب عنها، وهو ما قدرتُ أن أستجيب له، لأسجِّل فيه هنا هذه الصحائف.

مقدمة الإمام الغزالي عن عجائب القلب:

وقد جعل الإمام الغزالي كتابه «إحياء علوم الدين» مُقسَّمًا على أربعة أرباع، وكل رُبع فيه عشَرة كتب، فهو في الحقيقة أربعون كتابًا.

الرُبع الأوَّل من الكتاب يشتمل على العبادات، والربع الثاني يشتمل على العادات، والربعان الثالث والرابع، أي نصف الكتاب الأخير، يشتمل على المُهلِكات والمُنجِيات، وذلك في السلوكيَّات والأخلاقيَّات، وكلها تتعلق بأعمال القلوب.

(١) وقد صدر منها: الحياة الربانية والعلم، النية والإخلاص، التوكل، التوبة إلى الله، الزهد والورع، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ومؤسسة الرسالة، بيروت. المراقبة والمحاسبة، الصبر والشكر والخوف والرجاء، نشر الدار الشامية، بيروت.

QaradawiBooks.com

ولهذا بدأ الغزالي الكتاب الأول من «رُبع المهلكات» بفصلٍ شرَحَ فيه عجائب القلب، مبيِّنًا أهميته، وواجب العناية بتقويمه وتهذيبه، وحُسن الإشراف عليه، فكان من قوله بعد المقدمة: «فشرَفُ الإنسانِ وفضيلته التي فاقَ بها جُملةً من أصناف الخلْق باستعداده لمعرفة الله سبحانه، التي هي في الدنيا جماله وكماله وفخره، وفي الآخرة عُدَّتُه وذُخْرُه، وإنَّما استعدَّ للمعرفة بقلبه، لا بجارحة من جوارحه، فالقلبُ هو العالِم بالله، وهو المتقرِّب إلى الله، وهو العامِل لله، وهو الساعي إلى الله، وهو المكاشَف بما عند الله ولديه، وإنما الجوارح أتباعٌ وخدمٌ وآلات يستخدمها القلب، ويستعملها استعمالَ المالِكِ للعبد، واستخدام الراعي للرعيَّة، والصانع للآلة.

فالقلب هو المقبول عند الله إذا سلِمَ من غير الله، وهو المحجوب عن الله إذا صار مُستغرَقًا بغير الله، وهو المُطالَب، وهو المخاطَب، وهو المعاتَب، وهو الذي يسعَدُ بالقُرب من الله، فيفلح إذا زكَّاه، وهو الذي يخيب ويشقى إذا دنَّسه ودسَّاه، وهو المُطيع بالحقيقة لله تعالى، وإنَّما الذي ينتشر على الجوارح من العبادات أنوارُه، وهو العاصي المتمرِّد على الله تعالى، وإنما الساري إلى الأعضاء من الفواحش آثاره. وبإظلامِه واستنارتِه تظهرُ محاسن الظاهر ومساويه؛ إذ كل إناء ينْضَحُ بما فيه، وهو الذي إذا عرفه الإنسان، فقد عرف نفسه، وإذا عرَف نفسه، فقد عرف ربه، وهو الذي إذا جهِله الإنسان، فقد جهل نفسه، وإذا جهل نفسه، فقد جهل ربه، ومن جهل قلبه فهو بغيره أجْهلُ، إذ أكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وأنفسهم، وقد حِيل بينهم وبين أنفسهم، فإن الله يحول بين المرء وقلبه.

وحيلُولَته بأن يمنعه عن مشاهدته ومراقبته، ومعرفة صفاته وكيفيَّة تقلُّبه بين إصبعين من أصابع الرحمن، وأنه كيف يهوي مرَّةً إلى أسفل

QaradawiBooks.com

السافلين، وينخفض إلى أفق الشياطين، وكيف يرتفع أخرى إلى أعلى علِّيِّين، ويرتقِي إلى عالم الملائكة المقرَّبين.

ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصَّد لِما يلوح من خزائن الملكوت عليه، وفيه: فهو ممن قال الله تعالى فيه: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩].

فمعرفة القلب وحقيقة أوصافه: أصلُ الدين، وأساسُ طريق السالكين»[1] اهـ.

وسنتحدث في الصحائف التالية عن أعمال القلوب، التي حرمها الإسلام؛ لما لها من خطر وأهمية في السلوك الإنساني.

(١) انظر: إحياء علوم الدين (٢/٣، ٣).

QaradawiBooks.com

١ ـ من أعمال القلوب التي حرَّمها الإسلام: الغضب:

من أعمال القلوب التي حرَّمها الإسلام، وحذَّر من خطرها على الإنسان: الغضبُ، والغضب هو العاطفة اللَّاهبة الناريَّة، التي تُخيِّل للإنسان في حال هَياجه: كأنَّه سبُع مُفترس، ويفقد الإنسانُ فيها القدرة على التمكُّن من نفسه وميوله، فتقفز به يمينًا وشمالًا، مما قد يُوقعه في مأزِق، أو مآزق من المحرَّمات.

فهي والشهوة تمثل ثُلثي المثلث البشريّ، الذي يتكوَّن منه الجانب المعنويُّ للإنسان، إذا وضع الثلُث الثالث، وهو العقل.

ومن هنا جاء في وصايا النبي الكريم، وتحذيراته وتوجيهاته، ما ينبِّهنا على خطر الغضب، ويحذِّرنا من انطلاق شرره، ووقوع ضرره.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلًا قال للنبي ﷺ: أوصني. قال: «**لا تغضبْ**» فردَّد مرارًا، قال: «**لا تغضب**»[(١)].

هذا الحديث خرَّجه البخاري من طريق أبي حَصِينٍ الأَسَدي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة. وخرَّج الترمذي هذا الحديث من طريق أبي حَصِين أيضًا ولفظه: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، علمني شيئًا ولا تُكثرْ عليَّ لعلِّي أعِيه. قال: «**لا تغضبْ**». فردَّد ذلك مرارًا، كل ذلك يقول: «**لا تغضبْ**»[(٢)].

وفي رواية أخرى لغير الترمذي قال: قلتُ: يا رسول الله، دُلَّني على عمل يُدخِلني الجنة، ولا تكثرْ عليَّ. قال: «**لا تغضبْ**»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري في الأدب (٦١١٦).

(٢) رواه الترمذي في البر والصلة (٢٠٢٠)، وقال: حسن صحيح غريب.

(٣) رواه أحمد (٨٧٤٤)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

QaradawiBooks.com

قال العلامة ابن رجب في كتابه «جامع العلوم والحكم» في شرح هذا الحديث: «فهذا الرجل طلبَ من النبي ﷺ، أن يوصيَه وصيّةً وجيزة جامعة لخصال الخير، ليحفظها عنه، خشيةَ ألَّا يحفظها لكثرتها، فوصَّاه النبي ألَّا يغضب، ثم ردَّد هذه المسألة عليه مرارًا، والنبي ﷺ يردِّد عليه هذا الجواب، فهذا يدلُّ على أنَّ الغضب جِماع الشَّرِّ، وأن التحرُّز منه جِماع الخير.

ولعلَّ هذا الرجل الذي سأل النبي ﷺ هو: أبو الدرْداء، فقد خرَّج الطبراني من حديث أبي الدرداء قال: «قلتُ: يا رسول الله، دُلَّني على عمل يدخلني الجنة! قال: **لا تغضبْ، ولك الجنة**»[(١)].

وقد روى الأحنف بن قيس، عن عمِّه جارية بن قدامة: أن رجلًا قال: يا رسول الله، قُلْ لي قولًا وأقْلِلْ عليّ لعلِّي أعقله! قال: «**لا تغضب**». فأعاد عليه مرارًا، كُل ذلك يقول: «**لا تغضب**». خرَّجه الإمام أحمد[(٢)]، وفي رواية له: أن جارية بن قُدامة قال: سألتُ النبي ﷺ.. فذكره[(٣)].

وروى الإمام أحمد من حديث عبد الله بن عمرو: أنه سأل النبي ﷺ: ماذا يباعدني من غضب الله ﷻ؟ قال: «**لا تغضبْ**»[(٤)].

وفي بعض الأحاديث قال الصحابيُّ: ففكرتُ فيما قال النبي ﷺ، فإذا

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٢٣٥٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٩٩٠): رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وأحد إسنادي الكبير رجاله ثقات.

(٢) رواه أحمد (١٥٩٦٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٤١٥٧): رجاله رجال الصحيح.

(٣) رواه أحمد (٢٠٣٥٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح.

(٤) رواه أحمد (٦٦٣٥)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٩٨٥): رواه أحمد، وفيه ابن لهيعة وهو لين الحديث، وبقية رجاله ثقات.

QaradawiBooks.com

الغضب يجمع الشرَّ كلَّه[١]. يشهد لما ذكرناه أن الغضب جِمَاع الشرِّ، قال جعفر بن محمد: الغضب مِفْتاح كُلِّ شَـرٍّ. وقيل لابن المبارك: اجمعْ لنا حُسن الخُلُق في كلمة. قال: ترْك الغضب»[٢].

شرح معنى «لا تغضب»:

وقد بيَّن علماؤنا القدامى معنى الغضب، فقالوا: والغضب: هو غليان دم القلب طلبًا لدفع المؤذِي عند خشـية وقوعـه، أو طلبًا للانتقام ممن حصل له منـه الأذى بعد وقوعه. وينشـأ مـن ذلك كثير مـن الأفعال المحرَّمة: كالقتل، والضرب، وأنواع الظلم والعدوان. وكثيرٌ من الأقوال المحرمة: كالقذف، والسـبِّ، والفُحْش، وربما ارتقى إلى درجة الكفر، كما جرى لجَبَلة بن الأَيْهَم[٣]، وكالأيمان التي لا يجوز التزامها شـرعًا، وكطلاق الزوجة الذي يعقبه الندم.

وقال ابن رجب: «قوله ﷺ لمن استوصاه: «**لا تغضب**»، يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون مرادُه الأمرَ بالأسـباب التي توجب حُسن الخُلُق من الكرم والسـخاء، والحلم والحيـاء، والتواضـع والاحتمال، وكفِّ الأذى، والصفح والعفو، وكظْم الغيظ، والطلاقة والبِشْر، ونحو ذلك من الأخلاق الجميلة، فإنَّ النفس إذا تخلَّقتْ بهـذه الأخلاق، وصارتْ لها عادة، أوجب لها ذلك دفْع الغضب عند حصول أسبابه.

والثاني: أن يكون المراد لا تعمل بمقتضى الغضب إذا حصل لك، بل جاهد نفسَكَ على ترك تنفيذه والعمل بما يأمر به، فإن الغضب إذا

(١) رواه أحمد (٢٣١٧١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. عن رجل من أصحاب النبي.

(٢) إحياء علوم الدين (١٦٦/٣).

(٣) هو جبلة بن الأيهم بن جبلة الغسَّاني، من آل جَفْنةَ آخرِ ملوك الغساسنة بالشام.

QaradawiBooks.com

ملك ابنَ آدم، كان الآمرَ والناهيَ له، ولهذا المعنى قال الله ﷻ: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، فإذا لم يمْتثل الإنسانُ ما يأمره به غضبه، وجاهَدَ نفسه على ذلك، اندفع عنه شرُّ الغضب، وربما سكَنَ غضبه، وذهب عاجلًا، فكأنَّه حينئذٍ لم يغضبْ، وإلى هذا المعنى وقعتِ الإشارة في القرآن بقوله ﷻ: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧]، وبقوله ﷻ: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

تعليمات نبوية لمن غضب:

وكان النبي ﷺ يأمر مَن غضِبَ بتعاطي أسبابٍ تدفع عنه الغضب وتسكِّنه، ويمدح من ملَكَ نفسه عند غضبه، ففي الصحيحين، عن سليمان بن صُرَد قال: اسْتبَّ رجلان عند النبي ﷺ، ونحن عنده جلوس، وأحدهما يسُبُّ صاحبه مُغْضبًا قد احمرَّ وجهه، فقال النبي ﷺ: «**إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**». فقالوا للرجل: ألا تسمع ما يقول النبي ﷺ؟ قال: إني لستُ بمجنون[(١)].

وروى الإمام أحمد، وأبو داود من حديث أبي ذر، أن النبي ﷺ قال: «**إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلسْ، فإن ذهب عنه الغضب، وإلا فليضطجعْ**»[(٢)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦١١٥)، ومسلم في البر والصلة (٢٦١٠)، وانظر معنى قوله: إني لست بمجنون! في فتح الباري (٤٦٧/١٠).

(٢) رواه أحمد (٢١٣٤٨)، وقال مخرِّجوه: رجاله ثقات رجال الصحيح. وأبو داود في الأدب (٤٧٨٢).

QaradawiBooks.com

وقد قيل: إن المعنى في هذا أن القائم متهيِّئ للانتقام، والجالس دونه في ذلك، والمضطجع أبعد عنه، فأمره بالتباعد عن حالة الانتقام. ولهذا المعنى قال النبي ﷺ في الفتن: «**إن المضطجع فيها خيرٌ من القاعد، والقاعد فيها خير من القائم، والقائم خيرٌ من الماشي، والماشي خير من الساعي**»[(١)]. وإن كان هذا على وجه ضرب المثال في الإسراع في الفتن، إلا أن المعنى: أن مَن كان أقرب إلى الإسراع فيها، فهو شرٌّ ممن كان أبعد عن ذلك.

وعن عروة بن محمد السَّعْدي: أنه كلَّمه رجلٌ فأغضبَه، فقام فتوضَّأ، ثم قال: حدثني أبي، عن جدي عطية، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الغضبَ من الشيطان، وإنّ الشيطانَ خُلِق من النار، وإنما تُطفَأُ النار بالماء، فإذا غضب أحدُكم، فليتوضأْ**»[(٢)][(٣)].

- **البطولة في قهر الغضب:**

ولقد علمنا الرسول الكريم مقدارَ القوَّة النفسيَّة التي يملكها الرجل المؤمن حين ينتصر على غضبه، ويُطفِئ شعلته في وَهَجِها، فقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**ليس الشديد بالصُّرعة، وإنّما الشديد الذي يَمْلك نفسه عند الغضب**»[(٤)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٦٠١)، ومسلم في الفتن (٢٨٨٦)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (١٧٩٨٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الأدب (٤٧٨٤)، وضعَّفه الألباني في مشكاة المصابيح (٥١١٣).

(٣) جامع العلوم والحكم (٣٦١/١ ـ ٣٦٦)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٧، ٢٠٠١م.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦١١٤)، ومسلم في البر والصلة (٢٦٠٩).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وروى مسلم في صحيحه عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «**ما تعدُّون الصُّرعة فيكم؟**» قلنا: الذي لا تَصْرَعُه الرجال. قال: «**ليس ذلك، ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب**»(١).

وقال الشاعر:

ليس الشجاعُ الذي يحمي فريسته عِند القتال، ونار الحرب تشتعل
لكنَّ مَن ردَّ طَرْفًا، أو ثنى قدَمًا عن الحرام، فذاك الفارسُ البطلُ(٢)

وفي المسند والسنن من حديث معاذ بن أنس الجُهَني، عن النبي ﷺ قال: «**مَن كظم غيظًا وهو يستطيع أن يُنْفِذَه، دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يُخيِّرَه في أيِّ الحُور شاء**»(٣).

ونقرأ هنا نصَّ حديث ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «**ما تجرَّع عبدٌ جُرعة أفضل عند الله من جُرعة غَيْظ يَكْظِمها ابتغاء وجه الله** ﷻ»(٤).

والجُرعة: بضم الجيم، وهي الاسم من التجرُّع، أي: الشرب، ويجوز فتحها، وهي المرة الواحدة منه، والجُرعة بالضم أيضًا: مِلء الفم يبتلعها. وتجرَّع الجرعة: شربها وابتلعها، وجرع الغيظ: كظمه. قال ابن الأثير: كظْم الغيظ: تجرُّعُه واحتمال سببه، والصبر عليه.

---

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٦٠٨).

(٢) ذكرهما ابن الجوزي في ذم الهوى، غير منسوبين صـ ١٤٣، تحقيق مصطفى عبد الواحد.

(٣) رواه أحمد (١٥٦٣٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الأدب (٤٧٧٧)، والترمذي في البر والصلة (٢٠٢١)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه في الزهد (٤١٨٦)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (٦٥٢٢).

(٤) رواه أحمد (٦١١٤)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح.

QaradawiBooks.com

وقال ميمون بن مِهْران: جاء رجل إلى سلمان، فقال: يا أبا عبد الله، أوصني، قال: لا تغضب، قال أمرتني أن لا أغضب، وإنه ليغشاني ما لا أملك، قال: فإن غضِبتَ، فامْلِك لسانَك ويدَك[1].

وملكُ لسانه ويده: هو الذي أشار إليه النبي ﷺ بأمره لمن غضب: أن يجلس ويضطجع، وبأمره له أن يسكت.

الواجب على المؤمن عند فوران الشهوة والغضب:

والواجب على المؤمن الحريص على دينه ومرضاة ربه: أن تكون شهوته مقصورة على طلب ما أباحه الله له، وربما تناولها بنيَّة صالحة، فأُثيب عليها، وأن يكون غضبه دفعًا للأذى في الدين له أو لغيره، ودفاعًا أو انتقامًا ممن حادَّ الله ورسوله وحارب المؤمنين به، كما قال تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۝ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ١٤، ١٥].

كما يجب عليه في حال الغضب أن يكظِمَ غيظه، ويكفَّ غضبه، ولا ينتقم إلا لله ﷻ.

وهذه كانت حال النبي ﷺ المعلِّم، أسوة المؤمنين: فإنه كان لا ينتقم لنفسه، ولكن إذا انتُهكتْ حرمات الله، لم يقم لغضبه شيء.

قالت عائشة أم المؤمنين: لم يضرب رسول الله بيده دابَّة، ولا خادمًا، ولا امرأةً، إلا أنْ يُجاهدَ في سبيل الله[2].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت (٦١٠)، تحقيق أبو إسحاق الحويني، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

(٢) سبق تخريجه صـ٢٦٠.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وخدمه أنس عشر ســنين، قال: فما قال لي: أفٍّ قط، ولا قال لشيء فعلتُه: لمَ فعلتَ كذا؟ ولا لشيءٍ لمْ أفعلْه: أَلَا فعلتَ كذا[١]!

وكان ﷺ لشدة حيائه لا يواجه أحدًا بما يكره، بل تُعرف الكراهة في وجهه، كما في الصحيحين، عن أبي ســعيد الخدري قال: كان النبي ﷺ أشــد حياء من العذراء في خدرها، فإذا رأى شــيئًا يكرهــه، عرفناه في وجهه[٢].

ولما بلَّغه ابن مسعود قول القائل: هذه قِســمة ما أريد بها وجه الله. شــقَّ عليه ﷺ وتغيَّر وجهه، وغضب، ولم يزد على أن قال: «**لقد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر**»[٣]. وكان ﷺ إذا رأى، أو سمع ما يكرهه الله، غضب لذلك، وقال فيه، ولم يسكت، وقد دخل بيت عائشة، فرأى سترًا فيه تصاوير، فتلوَّن وجهه وهتكه، وقال: «**إن من أشــدِّ الناس عذابًا يوم القيامة الذين يُصوِّرون هذه الصور**»[٤].

وفي الصحيحين من حديث أبي مســعود الأنصاري، قال: جاء رجل إلى رســول الله ﷺ، فقال: إني لأتأخَّر عن صلاة الصبح من أجل فلانٍ؛ ممَّا يُطيل بنا، فما رأيتُ النبي ﷺ غضب في موعظة قط أشد ممَّا غضِب يومئذٍ، فقال: «**يا أيها الناس، إن منكم منفِّرين، فأيُّكم أمَّ الناسَ فليوجزْ، فإن مِن ورائه الكبيرَ والضعيفَ وذا الحاجة**»[٥].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٣٨)، ومسلم في الفضائل (٢٣٠٩).
(٢) متفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٥٦٢)، ومسلم في الفضائل (٢٣٢٠).
(٣) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٠٥)، ومسلم في الزكاة (١٠٦٢).
(٤) سبق تخريجه صـ١٣٥.
(٥) متفق عليه: رواه البخاري في الأحكام (٧١٥٩)، ومسلم في الصلاة (٤٦٦).

QaradawiBooks.com

ولما رأى النخامة في قبلة المسجد تغيَّظ، وحكَّها، وقال: «**إن أحدكم إذا كان في الصلاة، فإن الله حِيال وجهه، فلا يتنخَّمنَّ حِيال وجهه في الصلاة**»(١).

٢ ـ ومن أعمال القلوب المحرمة: الحسد:

ومن أعمال القلوب المحرمة: الحسد، وهو: أن يتمنَّى المرء زوال نعمة الله تعالى عن صاحبها الذي آتاه الله إيَّاها، ولم يستعملْها في الشرِّ وإيذاء الخلق.

سواء كانت هذه النعمة صحَّة يسعد بها صاحبها، ويستخدمها في قضاء حوائجه وحوائج مَن حوله.

أو كانت هذه النعمة مالًا أغدقه الله عليه، كفضة أو ذهب، أو طعام أو شراب، أو خيل مسوَّمة أو أنعام وحرث، ونحو ذلك من زينة الحياة الدنيا.

أو زوجة جميلة سليمة، ودُودة لزوجها، تحبُّه وتخدمه، وتراعيه في حضرته وغَيْبته، وهو يعتبرها من أعظم نعم الله عليه.

أو أولادًا آتاهم اللهُ إياه، بنين وبنات، فهم زينة الحياة الدنيا، يقوى بهم في الدنيا ويسعَد بصلاحهم في الآخرة.

أو أنصارًا وأولياء وأصدقاء له، يشدون أزره، ويحمون ظهره، وينصرونه في ساعة الضراء، ويعينونه عند الشدة، ويزيدون مسرَّته في ساعة المسرَّة.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٠٦)، ومسلم في المساجد (٥٤٧)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

وكلما زادتْ هذه النعم على المرء وتكاثرت، فإن مَن يحسده يزداد بُعدًا منه، ونفورًا عنه، وغيظًا عليه، وهو لا ذنب له فيما أُعطي، إنما أُعطي من الله ﷻ، وهو سبحانه يعطي مَن يشاء، ويمنع مَن يشاء، ويُعِزُّ مَن يشاء، ويُذلُّ مَن يشاء، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.

فالحاسد يتألَّم ويتغيَّظ ويتضايق في نفسه، كلما جاءت نعمة من الله على شخصٍ أو أشخاص من الناس، وهم لم يمنحوا أنفسهم، الله هو الذي منحهم وأعطاهم، فهم يحمدونه على نعمه، ويشكرونه على فضله، كما قال تعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

ولهذا قالوا: الحاسد جاحد؛ لأنه لم يرضَ بقسمة الواحد. وذمَّ الله تعالى اليهود حين قال: ﴿ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾ [النساء: ٥٤].

يمكن للإنسان أن يحزن إذا آتى اللهُ نعمتَه أو نِعَمه لإنسان شِرِّير، لا ينال الناسُ مما يكسبه شيئًا، فلا يأكل جائع من طعامه، ولا يكتسي عريان من كسائه، ولا ينال فقير محتاج من ماله. فكل شيء له ولأولاده وجماعته، لا لأي إنسان آخر، ولو كان في أشد الحاجة، فمثل هذا يجوز حسَدُه، أي: تمنَّي زوال النعمة عنه إلى غيره ممن يستحقُّها. وكذلك إذا كان الشخص يستخدم المال أو النفوذ في السطو على الضعفاء، وأكل حقوق الفقراء، والظلم لعموم الناس، فمثل هذا يمكن أن نحسده ونتمنَّى زوالَ النعمة عنه، ليزول الشرُّ عن الناس.

وكثيرًا ما يؤدي الحسد بالإنسان إلى أن يكفر بالدين الحقِّ، وإن ظهر له صدق هذا الدين وصحته، ولكن داء الحسد في قلبه أبَى الاعتراف به، وهذا ما قاله القرآن: ﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ

QaradawiBooks.com

بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩]، وهذا كان موقف اليهود من النبي ﷺ بعدما رأوه، وشاهدوا العلامات التي عرفوها منه.

ونجد ابن آدم الأول، الشرير من ولدي آدم، حين قرَّبا إلى الله قربانًا، فتُقبل من أحدهما ولم يُتقبل من الآخر: ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢٧ ـ ٣٠]، وكان الحسد دافعًا لأول جريمة اقتُرفت في الأرض، قتل الإنسانُ فيها أخاه الإنسان، أخاه لأبيه وأمه، لا لسبب إلا لحسده إياه.

وقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا ـ ويشير إلى صدره ثلاث مرات ـ بحسب امرئ من الشر أن يَحْقِر أخاه المسلم، كلُّ المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعِرْضه**»(١).

وروى الشيخان في الصحيحين من رواية الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تحسَّسوا، ولا تجسَّسوا، ولا تناجشوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا**»(٢).

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤) وأحمد (٧٧٢٧).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الآداب (٦٠٦٦)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٦٣).

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

فقوله ﷺ: «**لا تحاسدوا**» يعني: لا يحسُد بعضُكم بعضًا، والحسد مركوز في طباع البشر، وهو أن الإنسان يكره أن يفوقه أحدٌ من جنسه في شيء من الفضائل.

ثم ينقسم الناس بعد هذا إلى أقسام، فمنهم مَن يسعى في زوال نعمة المحسود بالبغي عليه بالقول والفعل، ثم منهم مَن يسعى في نقل ذلك إلى نفسه، ومنهم من يسعى في إزالته عن المحسود فقط من غير نقل إلى نفسه، وهو شرُّهما وأخبثهما، وهذا هو الحسد المذموم المنهيُّ عنه، وهو ذنْب إبليس حيث كان قد حسد آدم عليه السلام، لما رآه قد فاق على الملائكة بأنْ خلقه الله بيده، وأسجد له ملائكته، وعلَّمه أسماء كلِّ شيء، وأسكنه في جواره، فما زال يسعى في إخراجه من الجنة حتى أُخرج منها. ويروى عن ابن عمر أن إبليس قال لنُوح: اثنتان بهما أُهلك بني آدم: الحسد، وبالحسد لُعِنْتُ، وجُعِلْتُ شيطانًا رجيمًا. والحرْص، وبالحرص أبيح لآدم الجنة كلُّها، فأَصَبْتُ حاجتي منه بالحرص[1].

وقد وصف الله اليهود بالحسد في مواضع من كتابه القرآن، كقوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩]، وقوله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ٥٤].

ورَوى الإمام أحمد والترمذي من حديث الزُّبَيْر بن العوَّام، عن النبيِّ ﷺ: «**دبَّ إليكم داءُ الأمم قبلكم: الحسدُ والبغضاء، والبغضاء هي الحالقة، حالقة الدين لا حالقة الشعر، والذي نفْسُ محمد بيده**

(١) رواه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان (٤٤).

QaradawiBooks.com

لا تؤمنوا حتى تحابُّوا، أوَلا أُنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[١].

ورَوى الحاكم وغيرُه من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «**سيصيب أُمَّتي داء الأمم**». قالوا: يا نبي الله، وما داء الأمم؟ قال: «**الأشَرُ والبَطَر، والتكاثر والتنافس في الدنيا، والتباغض والتحاسد، حتى يكونَ البغي ثم الهَرْج**»[٢].

وقسم آخر من الناس إذا حسد غيره، لم يعمل بمقتضى حسده، ولم يبغِ على المحسود بقول ولا بفعل. وقد روي عن الحسن[٣] أنه لا يأثم بذلك، ورُوِيَ مرفوعًا من وجوه ضعيفة، وهذا على نوعين:

أحدهما: ألَّا يمكنه إزالة ذلك الحسد من نفسه، فيكون مغلوبًا على ذلك، فلا يأثم به.

والثاني: مَنْ يُحَدِّث نفسَه بذلك اختيارًا، ويُعيده ويُبديه في نفسه مستروحًا إلى تمنِّي زوال نعمة أخيه، فهذا شبيه بالعزم المصمِّم على المعصية، وفي العقاب على ذلك اختلاف بين العلماء، لكن هذا يبعد أن يسلم من البغي على المحسود، ولو بالقول، فيأثم بذلك.

وقسم آخر إذا حسد لم يتمنَّ زوال نعمة المحسود، بل يسعى في اكتساب مثل فضائله، ويتمنَّى أن يكون مثله، فإن كانت الفضائل دنيوية،

---

(١) سبق تخريجه صـ٣٨٤.

(٢) رواه الحاكم في البر والصلة (١٦٨/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه ابن الجوزي في صيد الخاطر صـ٤٣٦، تحقيق حسن المساحي سويدان، نشر دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م. ولفظه: «ليس من ولد آدم أحد إلا وقد خُلِق معه الحسد، فمن لم يجاوز ذلك بقول ولا بفعل، لم يتبعه شيء».

غير مراجعة للطباعة
نسخة مراجعة
QaradawiBooks.com

فلا خير في ذلك، كما قال الذين يريدون الحياة الدنيا: ﴿يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ﴾ [القصص: ٧٩].

وإن كانت فضائل دينية، فهو حسن، وقد تمنَّى النبي ﷺ الشهادة في سبيل الله ﷻ. وفي الصحيحين، عنه ﷺ، قال: «**لا حسدَ إلَّا في اثنتين: رجل آتاه الله مالًا، فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار**»[(١)]. وهذا هو الغبطة، وسمَّاه حسدًا من باب الاستعارة.

وقسم آخر إذا وجد في نفسه الحسد سعى في إزالته، وفي الإحسان إلى المحسود بإسداء الإحسان إليه، والدعاء له، ونشر فضائله، وفي إزالة ما وجد له في نفسه من الحسد، حتى يبدله بمحبة أن يكون أخوه المسلم خيرًا منه وأفضل، وهذا من أعلى درجات الإيمان، وصاحبه هو المؤمن الكامل الذي يحب لأخيه ما يحب لنفسه[(٢)] اهـ.

٣ ـ ومن أعمال القلوب المحرمة: العداوة والبغضاء:

ومن أعمال القلوب التي حرَّمها الإسلام، وشنَّت الغارة عليها نصوصُ القرآن والسنة: العداوةُ والبغضاءُ.

فإن من أهم ما جاء به الإسلام، ودعا الناس إليه: الأخوة والمحبَّة بينهم، حتى لا يعيش أحدُهم لنفسه ولهواه وشهواته، ولا يفكِّرَ في غيره، إلا من كان بينه وبينه صلة خاصَّة كالنسب أو المصاهرة، أو مشاركة في الهوى، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٥٢٩)، ومسلم في صلاة المسافرين (٨١٥)، عن ابن عمر.

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم (٢/٢٦٠ ـ ٢٦٣).

QaradawiBooks.com

جاء الإسلام يعلن للناس كافَّة أنهم جميعًا إخوة؛ لأنهم أبناء أب واحد هو آدم، وأم واحدة هي حواء، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات: ١٣]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]. وهذه الآية تُعلِّمنا أن العالم كلَّه أسرة واحدة، تكوَّنتْ من رجل وامرأة، أي: من أبٍ وأمٍّ، وأن الأخوَّة البشرية تجمع الكل، كما أعلن ذلك الرسول الكريم في يوم حجة الوداع: «**ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربيٍّ على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى**»(١).

وهناك أخوَّة وطنيَّة وقوميَّة، كالتي نراها بأعيننا بين الكُفَّار بعضهم وبعض، كما ذكرت سورة الشعراء الأُخوَّة بين الرُّسُل وإخوانهم من مكذِّبيهم: قوم نوح وأخوهم نوح، وعاد وأخوهم هود، وثمود وأخوهم صالح، وقوم لوط وأخوهم لوط، بينما قال عن أصحاب الأيكة: ﴿كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٧٦، ١٧٧]، فلِمَ لم يقل هنا: (إذ قال لهم أخوهم شعيب)؟ لأنه لم يكن منهم، وإنما كان من مَدْين، ولهذا قال: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [هود: ٨٤].

ثم هناك أعظم الأُخُوَّات وأعمقها أثرًا في النفس والحياة، وهي الأخوة الدينية، كما في الأخوة الإسلامية، والأخوة اليهودية، والأخوة المسيحية، وإن كانت الإسلامية أقوى هذه الأُخُوَّات،

(١) سبق تخريجه صـ٣١١.

QaradawiBooks.com

وألصقها بالقلوب، وأعظمها في الحقوق، وأكثرها تأثيرًا في الواقع. والحقيقة أنَّه لا يوجد قوةٌ أكثرُ تأثيرًا من الدين، ولا يوجد دِينٌ أشدُّ وأقوى من الإسلام.

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه**»(١). يعني: لا يتخلَّى عنه لمن يتسلَّط عليه، ويؤذيه أو يسلبه حقه، وفي الصحيحين عن أنس(٢) نحو ما جاء عن ابن عمر، وكلاهما مرفوع.

وهذا المعنى أسَّسه القرآن وبيَّنه وأكَّده، كما ذكرنا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]، ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال تعالى لرسوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

وقال الرسول ﷺ: «**لا يؤمن أحدُكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه**»(٣). وفي حديثٍ آخر: «**لا تدخلونَ الجنَّة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا**(٤) **حتى تحابُّوا**»(٥).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المظالم والغضب (٢٤٤٢)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٦٥)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٥٩).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥) كلاهما في الإيمان، عن أنس.

(٤) هكذا في مسلم بحذف النون، وقال النووي في شرحه (٣٦/٢): هكذا هو في جميع الأصول والروايات «ولا تؤمنوا» بحذف النون من آخره، وهي لغة معروفة صحيحة.

(٥) رواه مسلم في الإيمان (٥٤)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

ومِنْ حِـرْصِ القرآن على هذه المحبَّة القويَّـة بين المؤمنين بعضِهم وبعض، نراه يرتكز في تحريم الخمر، وبيان مآثمها، على ما تُوقِعه بين الناس من عداوة وبغضاء، فبعد أن بيَّن حُرمة الخمر، وقرَنها بالأنصاب والأزلام، واعتبرها رِجْسًا من عمل الشيطان، وأمر باجتنابها طلبًا للفلاح، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١].

وقد أخبرنا القرآن عن العداوة والبغضاء بين أهل الديانات المختلفة، وما يُضمِرُه بعضُهم لبعض، ممَّا يظهر بعضُه لبعضهم، ويخفَى بعضُه على غيرهم، كما قال تعالى عن بعض طوائف أهل الكتاب: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨].

وقال تعالى مُخبرًا عمَّا بين النصارى بعضِهم وبعض: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ١٤]، وقال سبحانه فيما يُسِرُّه اليهود من ذلك: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

تتبّع الأحقاد والضغائن ونتائجها، وفضيلة العفو والرفق:

والناس تتعادى وتتباغض لأسباب ينبغي معرفتها، لتجنُّبها وتجنُّب آثارها. فالأصل في الإنسان أن يألَفَ أخاه الإنسان، ويشعر بحاجته إليه، وقُدرته على معاونته، فالمرْء ضعيفٌ بمُفرده، قويٌّ بإخوانه. والفرد قليل بنفسه، كثير بمعاونيه. ولا بُدَّ لنا أن نقف في وجه كل ما يدخل على قلوب البشر فيغيِّرها من الحُبِّ إلى البُغض، ومن الأخوَّة إلى العداوة، ومن الصفاء إلى الكدر والحقد.

QaradawiBooks.com

وإذا لزِم كظْمُ الغيظ من شـــخص لعجزه عن التشفِّي منه في الحال، رجَعَ الغضبُ إلى الباطن، واحْتقنَ فيه، فصار حِقدًا دفينًا، ومعنى الحقد: أن يلزم قلبه استثقاله، والبغض له، والنفار عنه، وأن يدوم ذلك ويبقى.

وهذا الذي سمَّوْه الحقد: يُثمِر ـ كما قال الغزالي ـ ثمانية أمور:

١ ـ الحســـد: وهو أن يحمله الحقدُ على أن يتمنَّى زوال النعمة عنه، فيغتمَّ بالنعمة إذا دخلتْ عليه، ويُســـرَّ بالمصيبـــة إذا نزلتْ به، وهذا من شأن المنافقين.

٢ ـ أن تزيد عِلَّة إضمار الحســـد في باطنك لهذا الشخص، فتشمتَ فيما أصابه من بلاء.

٣ ـ أن تهْجُره وتصارمه وتنقطع عنه، وإن طلبكَ وأقْبَلَ عليك.

٤ ـ أن تُعرِض عنه استصغارًا له.

٥ ـ أن تتكلَّم فيه بما لا يحلُّ من كذب وغِيبة وإفشاء سرٍّ وهتْك سِتْر وغيره.

٦ ـ أن تُحاكيه وتقلّده استهزاءً به وسخريةً منه.

٧ ـ إيذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه.

٨ ـ أن تمنعه حقَّه: من قضاء دَيْن، أو صِلة رحم، أو ردِّ مظلمة. وكل ذلك حرام.

وأقلّ درجات الحقـــد: أن تحترز مـــن الآفات الثمانيـــة المذكورة، ولا تخرج بسبب الحقد إلى ما تعصي الله به، ولكن تستثقله في الباطن، ولا تنهي قلبَك عن بغضه، حتى تمتنع عمَّا كنتَ تتطوَّع به من البشاشـــة والرفـــق، والعناية به، والقيام بحاجاته، والمجالســـة معـــه على ذكر الله

QaradawiBooks.com

تعالى، والمعاونة على المنفعة له، أو بترك الدعاء له، والثناء عليه، أو التحريض على برِّه ومُواساته[١] اهـ.

وقد حَلَفَ سيدنا أبو بكر ألَّا يُنفق على قريبه مِسْطَحٍ، حين بسَطَ لسانَه بالكلام في حق ابنته عائشة أمِّ المؤمنين في واقعة الإفك، وكان يناله منه خيرٌ وصِلَة، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]، فقال أبو بكر: بلى، نحبُّ أن يغفر الله لنا، وعاد إلى الإنفاق عليه[٢].

والأفضل أن يستمرَّ في العفو والرفق والإحسان وحبِّ الخير، كما قال الله لرسوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وقال تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]. وعلى كلِّ مسلم أن يتَّخِذ من رُسُل الله أُسوة، كما فعل يوسف الصدِّيق الذي قال لإخوته بعد أن نصره الله عليهم: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢]. وهو موقف النبي الكريم من أهل مكة بعد الفتح.

٤ ـ من أعمال القلوب المحرَّمة: حب الدنيا:

ومن أعمال القلوب التي حرَّمها الإسلام، وشدَّد في التحذير منها، والغرور والافتتان بها: حب الدنيا.

والمقصود بالدنيا: هذه الدار أو المرحلة التي كُتب لنا أن نعيش فيها مدة من الزمن، هي العمر المقدَّر لنا أن نعيشه، ومقابلها: الآخرة،

(١) إحياء علوم الدين (١٨١/٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٧٥٠)، ومسلم في التوبة (٢٧٧٠)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

أو الدار الآخرة، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، أي أن الدار الآخرة هي الحياة الحقيقية للإنسان لو تمَّ له العلم وعرف الحقائق، ويقول تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. وقال ﷻ: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

ويطلق القرآن على هذه الحياة أو هذه المرحلة التي نعيشها أو نعيش فيها، أو تعيش فينا: الحياةَ الدنيا، والدنيا هنا مؤنث أدْنَى، والأدنى يراد به أحيانًا: الأقل، ويقابله الأكثر، كما قال تعالى: ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: ٧]، ويُراد بالأدنى أحيانًا أخرى: الأسفل من الآخر، ويقابله: الأعلى، كما قال تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٦١].

والمراد بالدنيا: الدار الأقل والدار الأسفل بالنسبة للآخرة، فهي الدار الأكثر أو الأعلى، ويمكن أن نقول: الدار العليا، أو الحياة العليا، مقابل الحياة الدنيا. قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: ٦، ٧].

والناس في هذه الحياة الدنيا متفاوتون في الاستمتاع بنعيمها، فمنهم المتشبِّع منها والمترف فيها، ومنهم المتوسط، ومنهم القليل

QaradawiBooks.com

الحظ منها، ومنهم من لا يكاد يجد القوت الذي يُحْيِيه، والبيت الذي يؤويه، واللباس الذي يُغطِّيه.

وهذه النعم عند أصحابها مخلوطة بشدائد ونِقَم، تنزل بأصحابها وتكدِّرها عليهم، فهي بالبلاء محفوفة، وبالغدر موصوفة، ثم هي مهدَّدة لا محالة بالزوال، إما أن تزول عنك، وإما أن تزول عنها، وهو ما لا بد منه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٧].

والموت هو نهاية كل حيٍّ في هذه الدار، والمفاجآت متوقَّعة لكل إنسان، وكم من غنيٍّ افتقر، وكم من عزيز ذلَّ، وكم من صحيحٍ سقِم، وكم من شابٍّ شاخ، وكم من حيٍّ مات.

طُبِعتْ على كَدَرٍ وأنت تريدُها ... صفوًا من الأقذاء والأكدارِ
ومكلِّف الأيَّامِ ضدَّ طِباعِها ... متطلِّبٌ في الماءِ جذوةَ نارِ
وإذا رجوتَ المستحيلَ فإنَّما ... تبني الرَّجاءَ على شفيرٍ هارِ[1]

ما يحبِّب الناس في الدنيا:

هناك أشياء تحبِّب الناس في الدنيا، وتجعلهم يتعلَّقون بها، ويستميتون في الدفاع عنها، ذكرها لنا القرآن حينَ قال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: ١٤]، فهذه الآية حشدتْ للنفس الإنسانية مجامع النعم الدنيوية، التي يركض وراءها الناس، ويتهافتون عليها تهافُت الذُّباب

(١) من قصيدة لأبي الحسن علي بن محمد التهامي يرثي فيها ولده، انظر: الكشكول للعاملي (٢/٢٠٥ ـ ٢٠٧)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

QaradawiBooks.com

على الحلوى، وهي مزيَّنة لهم بالفطرة؛ حبُّ الشهوات التي يشتهيها الناس، وتستهويهم ويعشقونها ويتعبَّدون لها، وأول هذه الشهوات:

النساء: أي المرأة، التي فُتن بها الرجل، وهام بها، وتدللتْ عليه، وأغرته، وتزيّنتْ له، وتقاتل عليها الرجال، وغالب بعضُهم بعضًا، كما قال ﷺ: «**ما تركتُ بعدي فتنةً أضرَّ على الرجال، من النساء**»(١).

ومن شهوات الدنيا وزينتها: **البنون**، أي: الأولاد، وخصوصًا الذكور منهم، كل الأولاد من الدنيا، وكلهم فتنة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ [التغابن: ١٥]، ولكن للذكور من الأولاد فتنة أكبر من غيرهم، كما قال تعالى: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا﴾ [الكهف: ٤٦].

والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة: حب الأثمان والنقود السائدة في كل ظرف، هي التي أسَرَت العقول، وسحرت القلوب، وجعلت الناس يتصارعون عليها، ويتفنَّنون في اكتسابها، ومحاولة زيادتها وتكثيرها، ولا يكتفون بالقليل منها، بل لو كان لأحدهم واديان من ذهب لتمنَّى أن يكون لهما ثالث، وهو إذا ملكها كنزها وبخِل بها، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ۝ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥].

والإنسان لا يكتفي بأن يملك ما يقضي به حاجته، ويؤدِّي به أغراضه، بل يريد القناطير المقنطرة من الذهب والفضة.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٠٩٦)، ومسلم في الرقاق (٢٧٤٠)، عن أسامة بن زيد.

QaradawiBooks.com

وقد تعدَّدتْ أقوال الأئمة في مقـدار القنطار، لكنهم جميعًا على أنه الشيء الكثير، والمقدار الكبير.

فقد روى ابن جرير الطبري، عـن معاذ بن جبل، وعبد الله بن عمر، وأبي هريرة، وأبيِّ بن كعب ﷺ: أن القنطار ألفٌ ومائتا أوقيَّة.

وقال مجاهد: القنطار: سبعون ألف دينار[١].

وقال مقاتل بن سليمان: القنطار ألفٌ ومائتا دينار[٢].

وعن قتادة في قوله تعالى: ﴿مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ﴾ قَـالَ: القنطار: مائة رطْل من ذهب، أو ثمانونَ ألفَ دِرهمٍ من وَرِق[٣].

والخيل المُسَـوَّمة: ومن نعم الدنيا التي لها قيمة كبيرة عند عددٍ من النـاس: الخيل المسـوَّمة، التي قال الله فيهـا: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨]، ولكن للخيل خصوصية ليسـت لغيرها، ولا تتمتع بها البِغَال والحمير، وراكـب الجَوَاد له من الخُيَلاء والنِّعْمة ما ليس لغيره، كما قال الشاعر[٤]:

أعزُّ مكانٍ في الدُّنا سـرْجُ سابح وخيرُ جليسٍ في الزمـانِ كتابُ

والأنعام: من نعم الدنيا التي يهواها ويسـتمتع بها كثير من الناس، الذين يسـرحون ويُريحون وحولهم من الإبل والبقـر والغنم ما ينعمون

(١) روى هذه الآثار الطبريُّ في التفسير (٥/٢٥٤ ـ ٢٦٠).

(٢) تفسير مقاتل (١/٣٦٥)، تحقيق عبد الله محمود شحاته، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

(٣) رواه ابن المنذر في التفسير (١/٢٥٨)، تحقيق سعد بن محمد السعد، نشر دار المآثر، المدينة النبوية، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

(٤) من شعر المتنبي. والدُّنا: جمع الدنيا، والسابح: الفرس سريع الجري.

QaradawiBooks.com

برؤيته، والاستمتاع بكل ما فيه من نعم، مع أنواع الإبل، التي تشمل العِرَاب والبَخَاتِيّ، وأنواع البقر التي تشمل الجواميس، وأنواع الغنم التي تشمل الضأن والعَنْز.

فمِنَ الناس مَنْ ينعم بشُرْب لبنها، ومنهم من يستدفئ بشعرها وصوفها، ومنهم من يأكل لحمَها، ومنهم مَنْ يركبها، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ۝ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۝ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٧١ ـ ٧٣].

والحرث: من نعم الدنيا ونعيمها، فقد يكون لدى المرء النقود، وله الخيل والأنعام، ولكن لا زراعة له، أما هذا فله من نعم الله: الأرضُ يحرثها، وتأتي له بالنبات الأخضر، والأشجار المثمرة ذات البهجة، والحَبِّ والتمر، مما يُؤتى أكله، ويتفيَّأ ظله، وتعجبه خُضرته ورَوْنقه، وتهب عليه نسماته.

فهذه كلها مقومات الحياة الدنيا، التي يلهث الناس وراءها، ويتنافسون في التسابق عليها، ويُعادي بعضهم بعضًا من أجلها، حتى يعادي الابن أباه، والأخ أخاه، والقريب قريبه، بل يتقاتلون عليها.

يقول تعالى بعد أن ذكر هذه الطيِّبات أو المُشتهيات: ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: ١٤]، ثم يقول تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٥ ـ ١٧].

QaradawiBooks.com

المراد بحبِّ الدنيا:

والمراد بحبِّ الدنيا المذمـــوم: ليس ترك الدنيـــا بالكلية، أو تركها للكُفَّار والفُسَّـــاق يبنونها ويتنعَّمون بها، ونحن نتفـــرَّج عليهم، ونقول: ﴿ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [آل عمران: ١٩٧]، بل الأصل أن تكون لنا الدنيا قبل أن تكون لهم، وأن نأكل مـــن طيباتها، وأن نعمُرها بالحق والخيـــر، وأن نُزيِّنَها بالجمال، كما قـــال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١]، ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [الملـك: ١٥]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقـرة: ١٧٢]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [المائـدة: ٨٧]، ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الجمعة: ١٠].

وقد كان المســـلمون في قرونهم الأولى ســـادةَ الدنيا، أقاموا فيها دولة العدل والإحســـان، وشـــادوا فيها حضارة العلم والإيمان، ورأى الناس لأول مرَّة فاتحين لا يريدون علوًّا في الأرض ولا فســـادًا، بل يريدون إقامة الحق، وســـيادة العـــدل، والانتصار للضعفـــاء، والغنى للفقراء.

فليس المراد برفض حب الدنيا: أن ندع الدنيـــا فارغة لا نعمل فيها ولا نبني ولا نزرع، ولا نتاجـــر ولا نصنع، بل المـــراد: أن تملك الدنيا ولا تملكك، وأن تعيش فيها ولا تعيش فيك، وألا تتخذها ربًّا، فتتخذك لها عبدًا، وأن تكون فيها عبدًا لله سيدًا للكون.

QaradawiBooks.com

حب الدنيا معناه: أن تؤثرها على الآخرة، بحيث لو كان هناك أمران، أحدهما للآخرة والآخر للدنيا، آثرتَ أمر الآخرة على الدنيا، يقول تعالى: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ۞ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ۞ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۞ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۞ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۞ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۞ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٥ ـ ٤١].

فنحن لا نريد أن نطغى على الناس، وأن نؤثر الحياة الدنيا، ونفضلها على الحياة العليا، فهذا ما يريده أهل الدنيا، الذين ذمَّهم الله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۞ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٦، ١٧]. ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۞ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [القيامة: ٢٠، ٢١].

حب الدنيا معناه: أن تدَعَها تأخذ قلبك وتجعله لها، فلها وحدها تفكِّر، ومن أجلها وحدها تسعى، فهي كل همِّك، ومبلغُ علمك، ولها تحشد كل إرادتك، كما قال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۞ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [النجم: ٢٩، ٣٠].

يريد الإسلام أن تكون لك الحسنتان معًا: حسنة الدنيا، وحسنة الآخرة، كالذين مدحهم الله في كتابه: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]، وكما أثنى الله على بعض عباده من المؤمنين المجاهدين، فقال: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٨].

المُهم هو الإرادة، إرادتك للدنيا أو الآخرة، لقد قسَّم القرآنُ الناس إلى صنفين، فقال: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ۞ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٨، ١٩].

QaradawiBooks.com

• **الرسول يحذِّر من حب الدنيا:**

وقد رأينا رسول الإسلام يحذِّر أمته من الدنيا ومتاعها وزينتها تحذيرًا شديدًا، يزلزل القلوب، ويزرع الخشية في النفوس، ويعلم الناس أن الدنيا دار مَفَرٍّ، لا دار مَقَرٍّ، وأنها قنطـرة إلى الآخرة، وعلى الناس أن يعبروها، ولا يعمروها، بمعنى: ألَّا يعتقدوا بقاءهم فيها، فهم عنها راحلون.

قال ﷺ: «**مَن كانت الآخرةُ همَّه، جعـل الله غناه في قلبه، وجمع له شمْله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومَن كانت الدنيا همَّه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرَّق عليه شمْله، ولم يأتِهِ من الدنيا إلا ما قُدِّر له**»(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**مَن جعل الهمـومَ همًّا واحدًا، كفاه الله هـمَّ دنياه. ومَن تشعَّبتْ به الهمومُ لم يبالِ الله في أيِّ أوْدِية الدنيا هلَكَ**»(٢).

وقال ﷺ: «**إن الدنيا حُلْوة خَضِرَة، وإنَّ الله مُسـتخلِفُكم فيها، فناظرٌ كيف تعملون، ألا فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء**»(٣).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**يقول العبد: مالي، مالي! إنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنـى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فاقتنى، وما سـوى ذلـك فهو ذاهبٌ وتاركه للناس**»(٤).

وإن حب الدنيا لهو من أخطر أمراض الأنفُس والقلوب، التي تصيب الناس، فتضعف مقاومتهم للاستعمار وأعداء المسلمين.

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٦٥)، وسـكت عنه، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٤٧٨٩): رواه الترمذي عن يزيد الرقاشي عنه، وقد وُثِّق، ولا بأس به في المتابعات. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٥١٠)، عن أنس.

(٢) رواه ابن ماجه في الزهد (٤١٠٦)، وحسَّنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٣١٤)، عن ابن مسعود.

(٣) رواه مسلم في الرقاق (٢٧٤٢)، وأحمد (١١١٦٩)، عن أبي سعيد الخدري.

(٤) رواه مسلم في الزهد والرقائق (٢٩٥٩)، وأحمد (٨٨١٣)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وقد قال ﷺ: «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أُفُق، كما تداعى الأكلة على قصعتها**». قال: قلنا: يا رسول الله، أمن قلَّة بنا يومئذ؟ قال: «**أنتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غثاءً كغثاء السَّيْل، تُنْتَزع المهابة من قلوب عَدُوِّكم، ويجعل في قلوبكم الوهن**». قال: قلنا: وما الوهن؟ قال: «**حب الحياة، وكراهية الموت**»(١).

وفي الصحيحين: «**والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على مَن كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم**»(٢).

وفيهما: «**إني مما أخاف عليكم من بعدي، ما يُفتح عليكم من زَهْرة الدنيا وزينتها**»(٣).

وقال ﷺ: «**يتبع الميتَ ثلاثةٌ، فيرجع اثنان ويبقى معه واحد: يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله**»(٤).

وروى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: تُوفِّي رسول الله ﷺ، وما في بيتي من شيء يأكله ذو كبد، إلا شطْرُ شعيرٍ في رفٍّ لي، فأكلتُ منه حتى طال عليَّ، فكِلْتُه ففنِي(٥).

---

(١) رواه أحمد (٢٢٣٩٧)، وقال مخرجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الملاحم (٤٢٩٧)، وصححه الألباني في الصحيحة (٩٥٨)، عن ثوبان.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٠١٥)، ومسلم في الزهد والرقائق (٢٩٦١)، عن عمرو بن عوف الأنصاري.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٤٦٥)، ومسلم في الزكاة (١٠٥٢)، عن أبي سعيد الخدري.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٥١٤)، ومسلم في الزهد والرقائق (٢٩٦٠)، عن أنس.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري في فرض الخمس (٣٠٩٧)، ومسلم في الزهد والرقائق (٢٩٧٣).

QaradawiBooks.com

وروى مسلم من حديث أنس بن مالك يقول: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيُصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا ابن آدم، هل رأيت خيرًا قط؟ هل مرَّ بك نعيم قط؟ فيقول: لا، والله يا رب. ويؤتى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا، من أهل الجنة، فيُصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم، هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مرَّ بك شدة قط؟ فيقول: لا، والله يا رب ما مرَّ بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط**»[(١)].

وروى البخاري من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**تعِسَ عبدُ الدينار والدرهم، والقطيفة والخَمِيصة، إن أُعطِيَ رضِيَ، وإن لم يُعطَ لم يرْضَ**»[(٢)].

٥ ـ من أعمال القلوب المحرمة: الشُّحُّ وحب المال:

ومن أعمال القلوب التي نهى عنها الإسلام، وحذر منها أتباعه: الشح وحب المال.

والشـــحُّ هو أصل البخل، وهو بُخْل مع حرص، والبُخْل هو المظهر الخارجي للشُّـــحِّ الداخلي، وهو نوع من الأنانية الشـــديدة، التي تدفع الإنسان إلى حبِّ المال حُبًّا مبالَغًا فيه، والاستئثار به، وحرمان الآخرين، وخصوصًا منع الضعفاء والفقراء وأبناء السبيل من حقوقهم فيه.

قال تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ [النساء: ١٢٨]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشـــر: ٩]، وقال ﷻ: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٠].

---

(١) رواه مسلم في صفة القيامة (٢٨٠٧)، وأحمد (١٣١١٢).

(٢) رواه البخاري في الرقاق (٦٤٣٥).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وفي صحيح مسلم، عن جابر بن عبد الله: أن النبي ﷺ قال: «**اتَّقوا الشُّحَّ، فإن الشُّحَّ أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلُّوا محارمهم**»(١).

وفي حديث آخر: «**إياكم والشُّحَّ، فإنما هلك من كان قبلكم بالشُّحِّ، أمرهم بالبخل فبَخِلوا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا**»(٢).

وحُبُّ المال هو جزء من حُبِّ الدنيا، بل المال هو أعظم فتن الدنيا، وأخطر مِحَنِها، كما قال الشاعر:

رأيتُ الناسَ قد مالوا إلى مَنْ عنده مال!

وقال آخر:

رأيتُ الناسَ قد ذهبوا إلى مَن عنده ذهب!

وقال الثالث:

رأيتُ الناسَ مُنفضَّة إلى مَن عنده فِضّة!

وكلهم يعبِّرون عن حقيقة واحدة، هي إقبال الناس عامَّة على أهم ما في الدنيا، وهو المال، الذي قال فيه أبو الفتح البُستي:

من جاد بِالْمَالِ مَال النَّاس قاطبة إِلَيْهِ وَالمَال للْإِنسَان فتَّانُ

فلا غنى لأحد عن المال، وإذا وُجد فلا سلامة منه. فإنَّ فقْدَ المال يحدث منه الفقر، الذي كاد يكون كُفرًا، وإن وُجد حصل منه الطغيان،

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٧٨)، وأحمد (١٤٤٦١).

(٢) رواه أحمد (٦٤٨٧)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الزكاة (١٦٩٨)، والنسائي في الكبرى، في التفسير (١١٥١٩)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

الذي لا يكون عاقبة أمره إلا خُسرًا، كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۞ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦، ٧].

وبالجملة: فالدنيا لا تخلو من الفوائد والآفات، وفوائدها من المُنجيات، وآفاتها من المُهلكات. وتمييز خيرها من شرها: من الأمور الدقيقة، التي لا يقوى عليها إلا ذوو البصائر في الدين، من العلماء الراسخين، دون المسترسمين المغترِّين.

وما ذُكر في حبِّ الدنيا لم يكن عن المال خاصَّة، بل في الدنيا عامَّة، وهي تتناول كل حظٍّ عاجل، والمالُ بعض نِعَم الدنيا، والجاه بعضها، واتِّباع شهوة البطن والفرج بعضها، وشفاء الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها، والكِبْر وطلب العلوِّ بعضُها، ولها أبعاض كثيرة، ويجمعها: كل ما كان للإنسان فيه حظ عاجل، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ [القيامة: ٢٠]، وقال في سورة الإسراء: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨].

• الإسلام يُحذِّر من حُبِّ المال:

والإسلام لم يجئ برفض المال رفضًا كُلِّيًّا، كما هو مأثور في النصرانية، وأناجيلها التي تقول: «لا يدخل الغنيُّ ملكوت السماوات، حتى يدخل الجمل في سَمِّ الخِيَاط»[(١)].

وحين أراد رجل ذو مال أن يتَّبع المسيح عليه السلام، قال له: «بعْ مالك واتَّبعني»[(٢)].

---

(١) إنجيل متَّى (٢٣/١٩).

(٢) إنجيل مرقس (٢١/١٠).

QaradawiBooks.com

على حين قال النبي ﷺ: «**ما نفعني مالٌ قطُّ، ما نفعني مال أبي بكْرٍ**»[١].
وقال لعمرو بن العاص: «**يا عمرو، نِعْمَ المالُ الصالح للمرء الصالح**»[٢].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ [النساء: ٥]، وشرع الحَجْرَ على السُّفهاء الذين يُبعثرون الأموال، وينفقونها في السَّفَه والسَّرَف والتبذير. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩]، وحرصتْ توجيهات الإسلام وتشريعاته على حفظ المال، وعلى حسن تنميته بالتي هي أحسن، وخصوصًا أموال اليتيم الذي فقد أباه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وأطول آية في كتاب الله القرآن نزلت في كتابة الدَّيْن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ ...﴾ [البقرة: ٢٨٢] إلى آخر الآية الكريمة.

وقال تعالى عن الإنسان: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨]، والخير هنا هو: المال، والإنسان بفطرته ونشأته الغريزية يحبُّ المال، ولكن الإسلام لا يريد أن يستمرَّ الإنسان في حبِّ هذا المال، والاستسلام له؛ لأن هذا يؤثِّر على حبِّه لأشياء أهم من المال، وأرقى من المال، وأبقى من المال، كما قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]، ولذا حذَّر القرآن المؤمنين من الاستثقال من الأموال، وبالأولاد أيضًا، فهم من الدنيا، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ

(١) رواه أحمد (٧٤٤٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. والترمذي في المناقب (٣٦٦١)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه في المقدمة (٩٤)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٧١٨)، عن أبي هريرة.

(٢) سبق تخريجه صـ٤٠٣.

QaradawiBooks.com

أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التغابن: ١٥]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [المنافقون: ٩]. ومن فاضَلَ بين ما عند الله وما في هذه الدنيا من مال وولد، فآثرَ ما فَنِي على ما بَقِيَ، فقد خسِر خُسرانًا مبينًا: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٦]، ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۞ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ [العلق: ٦، ٧]. ليس الغِنَى هو الذي أطغاه، ولكن رؤيته أنه استغنى عن غيره هي التي أطْغته.

وقال تعالى: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۞ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴾ [التكاثر: ١، ٢].

وقال ﷺ: «**ما ذئبانِ جائعانِ أُرسلا في غنم ـ أو في زريبة غنم ـ أفسد لها من حرص المرء على المال، والشرف لدينه**»(١).

وقال ﷺ: «**يا أبا هريرة، هلَكَ المُكثرون، إلَّا من قال هكذا وهكذا وهكذا** ـ ثلاث مرات: حَثَا بكفَّيْه عن يمينه، وعن يساره، وبين يديه ـ **وقليلٌ ما هُم**»(٢).

---

(١) رواه أحمد (١٥٧٨٤)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في الزهد (٢٣٧٦)، وقال: حسن صحيح. وابن حبان في الزكاة (٣٢٢٨)، عن كعب بن مالك.

(٢) رواه أحمد (٨٠٨٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح.
وفي بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار لأبي بكر الكلاباذي الحنفي: عن أبي ذر رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ، وهو في ظل الكعبة جالس، فلما رآني أقبلت قال: «**هلك الأكثرون ورب الكعبة، هلك الأكثرون ورب الكعبة**». قال: فأخذني غمٌّ فجعلتُ أتنفَّس. فقلت: هذا شيء حدث، قلت: من هم فداك أبي وأمي؟ قال: «**الأكثرون، إلا من قال في عباد الله هكذا وهكذا عن يمينه وشماله وخلفه، وقليل ما هم، وما من رجل يموت، فيترك إبلًا أو غنمًا، لم يؤدِّ زكاتها، إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت، حتى تطأه بأظلافها، وتنطحه بقرونها، حتى يُقضى بين الناس**». بحر الفوائد صـ ٣٣٠، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

وفي الحديث: «**يقول ابن آدم: مالي، مالي! قال: وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلتَ فأفنيت، أو لبستَ فأبليت، أو تصدَّقتَ فأمضيت؟**»[(١)].

وفي الحديث «**إذا مات العبد قالت الملائكة: ما قدَّم؟ وقال الناس: ما خلَّف؟**»[(٢)].

ومن هنا يركِّز الإسلام بقرآنه، وسُنَّة نبيِّه: على الآخرة، دار الخلود والبقاء، وعلى حبِّ الباقيات الصالحات، وعلى صيانة القلب الإنساني ـ وخصوصًا قلوب المؤمنين ـ من حبّ المال، الذي استهلك البشر، وضرب بعضَهم ببعض، وأرْداهم في دنيا لا تبقى عليهم ولا لهم، تأخذهم أخذًا، وتأكلهم أكلًا، ولا تُبقي فيهم أحدًا: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ۞ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۞ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ۞ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ١٧ ـ ٢٠].

والأَوْلَى أن يتجرَّد الإنسان لله تعالى وللحياة الآخرة: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۞ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٦، ١٧]، ﴿أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ۞ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ۞ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۞ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۞ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ۞ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟﴾ [النجم: ٥٧ ـ ٦٢].

٦ ـ من أعمال القلوب المحرمة: حُبُّ الجاه والرياء:

ومن أهم أعمال القلوب التي حرَّمها الإسلام، بل شدَّد في تحريمها، والتنفير منها: الرياء، كما وجدنا ذلك في آيات القرآن الكريم.

---

(١) رواه مسلم في الزهد والرقائق (٢٩٥٨)، وأحمد (١٦٣٠٦)، عن عبد الله بن الشِّخِّير.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٩٩٩٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وممَّا قرأناه في قصار مفصَّل القرآن: سورة الماعون، وفيها قول الله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۞ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۞ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۞ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۞ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۞ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۞ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ١ ـ ٧].

فهذه السورة القصيرة تنذر بالويل وعذاب الله تعالى أولئك الذين يلعبون بالدين، ويَلبسونه رداءً يتستَّرون به، وهم ليسوا من حقيقة الدين في شيء، فلا يخشون الله ولا يتقونه، ولا يرعَوْن لضعيفٍ ولا لمخلوقٍ حقًّا، وإن كانوا يؤدُّون بعض الصلوات، ولكنهم لا ينتظمون في إقامتها، بل تغيب عنهم بعض الصلوات ويسهَوْن عنها، وفي أوائل السورة ذَكَرَ القرآن ذلك الذي يتزيَّا بزي الدين، والدين غريب عنه: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۞ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۞ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: ١ ـ ٣]، فمن يدُعُّ اليتيم، وينهره ويقهره ويعنف عليه، ولا يهتم بالمسكين، ولا يحث الناس على العناية به، إنما هو إنسان في الحقيقة مُكذِّب بالدين، لأن المُصدِّق بالدين لا يفعل هذا.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤]. فهذا مثل الكافر الذي إذا أنفق ماله، فلا ينفقه لوجه الله، بل رئاء الناس الذين يبتغي مرضاتهم، فليذهب يأخذ أجره منهم يوم القيامة إن كان لديهم شيء.

ومثل ذلك قوله في سورة النساء: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا

QaradawiBooks.com

فَسَآءَ قَرِينًا ﴾ [النساء: ٣٨]، والله تعالى لا يُثيب على عملٍ لم يؤدِّه صاحبه خالصًا لوجهه، كما قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

• أنواع المُرائين:

والمراؤون أنواع شتَّى، فمنهم من يُرائي بأصل الإيمان، مثل رياء المنافقين الأصليِّين، الذين قالوا: «آمنَّا» بألسنتهم، ولم تؤمن قلوبُهم، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٨]، ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ۞ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴾ [البقرة: ٢٠٤، ٢٠٥].

ومنه رِياءُ المنافقين الذين ذمَّهم الله بقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ۞ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ [النساء: ١٤٢، ١٤٣].

ومنهم من يُرائي بالعبادات التي هي أركان الإسلام، ومبانيه العظام، مثل إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت.

فمنهم من يُرائي بأصل العبادة، حتى سمعنا عمَّن يصلي صلاة الفرائض بلا طهارة، ولا وضوء، مُغفلًا قول النبي ﷺ: «**لا يقبل الله صلاةً بغير طُهُور**»[1].

(١) رواه مسلم في الطهارة (٢٢٤)، وأحمد (٤٧٠٠)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

ومنهم من يصلِّي الصلاة في أوقاتها، أو في المسجد أمام الناس، فإذا خلا بنفسه ترك الصلاة، ومنهم من يُرائي بالإكثار من الصلوات، ليراه الناسُ مصلِّيًا في الليل، ويعدوه من أهل قول الله تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨].

والله تعالى مُطَّلِع على قلوب هؤلاء، لا تخفى منهم خافية، ولن يستطيعوا إخفاء ما بين جوانحهم على الله، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران: ٥]، ويحدث مثلُ هذا في كل الفرائض الأخرى.

ومنهم من يُرائي بعِلمه ومعرفته، وخصوصًا المعرفة الشرعية، والفقه في الدين، فهو يريد أن يَحشُرَ نفسه في زمرة العلماء الربانيِّين، الذين إذا تعلَّموا عمِلوا، وإذا عملوا أخلصوا، وإذا أخلصوا صدقوا، وإذا صدقوا قُبِلوا.

ورُبَّ عالِمٍ كان عذابه من جهة علمه: أنه لم يعلِّمه الإخلاصَ لله، وطلب الدار الآخرة، فكان من الذين: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: ٧].

وهناك الذين يُراؤون بكثرة الأتباع والمريدين والأنصار، الذين يلتفُّون حول الشيخ، ويقبِّلون يديه، ويعظِّمونه غايةَ التعظيم، وشيخُهم لا وزن له عند الله، فالناس لا يوزنون بالكُروش السمينة، ولا بالملابس الثَّمِينة، فقد جاء في الحديث الصحيح: أن رسول الله ﷺ قال: «**إنه ليأتي الرجلُ العظيم السمين يوم القيامة، لا يزنُ عند الله جَناح بعوضة، اقرؤوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾** [الكهف: ١٠٥]»[(١)].

(١) متفق عليه: رواه البخاري في تفسير القرآن (٤٧٢٩)، ومسلم في صفة القيامة (٢٧٨٥)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

ومن المرائين الذيــن ذكرهم الحديث الصحيح في مســلم: القارئ الذي قرأ القرآن وعلَّمه الناس، ليقول الناس عنــه: عالِم. والمُنفِق الذي أنفق المال ليقول الناس عنه: إنه مُنفق كريم. والمجاهد الذي بذل نفسه، ليقول الناس عنه: إنه مجاهد جريء في سبيل الله. فأولئك أول من تُسعَّر بهم النار يوم القيامة[١].

٧ ـ ومن أهم المحرَّمات في أعمال القلوب: الكبر:

وإذا نظرنا فــي أعمال القلوب، التي عُني بها القرآن الكريم والســنة النبوية، حتى إن القرآن ليجعل الفوز في الآخرة مربوطًا بســلامة القلب، كما دعا سيدنا إبراهيم ربه بعدَّة دعوات يراها مهمَّة، فكان فيها: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٧ ـ ٨٩]، والمراد أن يسلم القلب من الشرك بالله، ومن النفاق، ومن البدع المضِلَّة، ومن آفات القلوب التي تفسد إيمانها، وقد تهدمه.

وقد روى البخاري ومســلم الحديث المتفق عليــه، عن النعمان بن بَشِــير قال في ختام حديث له عن الحلال والحرام والشبهات: «**ألا وإن في الجســد مُضغة: إذا صلَحت، صلَح الجســدُ كله، وإذا فسدت، فسد الجســد كلُّه، ألا وهي القلب**»[٢]. إذا نظرنا في هذه الأعمال نجد أن من أولها وأشدها خطرًا: الكبر. والكبر: آفة نفسية تعتري الإنسان، فيتضخَّم في ذاته، ويشــعر بأنه أعظم وأفضل من غيره، فينظر إلى نفســه بتعظيم وافتخار، وينظر إلى غيره بازدراء واحتقــار، وهذا النظر إلى النفس يُعَدُّ من أوليات الخطر على الحياة الاجتماعية.

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٩٠٥)، عن أبي هريرة.

(٢) سبق تخريجه صـ٥٥.

QaradawiBooks.com

فالإسلام قد آخى بين الناس، وسوى بينهم في أصل الحقوق والواجبات، فكلُّهم قد خلقهم الله من أبٍ واحد وأم واحدة، وفي هذا قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات: ١٣].

وأزال الإسلام كل الفوارق العنصرية واللونية والإقليمية والنسبية والطبقية بين الناس بعضهم وبعض، وإنما يتفاضلون عند الله بالتقوى، والتقوى محلُّها القلب، فلا يطلع عليها إلا الله، فالفاصل في ذلك يوم الحساب، وإنما يتفاضلون فيما بينهم في الدنيا بما يقدِّمون من علم وعمل واستباق في الخير، كما قال تعالى: ﴿هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ﴾ [غافر: ٥٨]، ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ﴾ [السجدة: ١٨].

ولهذا يدخل الناس معترك الحياة وهم متساوون، إلا فيما كان لهم من ذكاء وفِكْر وعِلْم، وما أورث ذلك أصحابَه من تفوُّق في العمل وفي خدمة المجتمع.

ومن هنا رفض الإسلام الاستعلاء على الناس بغير حق، والاستكبار عليهم بالكذب والادعاء، والافتخار عليهم بما كان من فضل الله عليه، وهذا كله لا يحبه الله تعالى، ولا يرضى عنه.

فمن قرأ القرآن وتدبَّره، وجده يذمُّ الكبر والتكبر والاستكبار أبلغَ الذمِّ، ويجعله من أبغض الأشياء إلى الله تبارك وتعالى، التي يتَّخذُها العبد لنفسه، فالله وحده هو «المتكبِّر» الذي لا يشاركه غيره في هذه الصفة، فمن أسمائه التي لا يجوز أن يسمى بها غيره: «الجبار المتكبر»،

QaradawiBooks.com

كما قال تعالى: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣]، ومن هنا ذم القرآن المستكبرين من أكثر من وجه.

فهم لا يحبهم الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣]، وهو سبحانه يصرفهم عن آياته، فلا يهتدون بها، ولا يقتبسون من نورها، كما قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٦].

قال بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ﴾: سأصرف عقولهم عن فَهم معاني القرآن الكريم[1]، فالمستكبر لا يحسن أن يفهم عن ربه شيئًا.

وقد مدح الله القسّيسين من النصارى، فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢].

وكثيرًا ما يذُمُّ القرآن أقوامًا وأممًا نزلت بهم لعنة الله ونقمته؛ لأن الكبر أعماهم عن رؤية نعمة الله عليهم، فلم يرَوْها، وكذبوا واستكبروا وعلَوْا في الأرض بغير الحق.

وهذا داء عامٌّ في أمم الكفر كلها. كان إمامهم في هذا إبليس، فهو أول من كفر بالله استكبارًا وجحودًا، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٩٨٢، ٨٩٨٣، ٨٩٨٤).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقال تعالى في قوم نوح: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۝ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: ٥ ـ ٧].

وقال تعالى عن فرعون وقومه: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٩].

وقال عن قوم شعيب: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ [الأعراف: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٧٢].

وقال تعالى يحدثنا عن يوم القيامة: ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٠].

بيان البواعث على التكبُّر وأسبابه المهيجة له:

يجب علينا أن نعود إلى شيوخنا وأئمتنا المتخصِّصين في علاج الأنفس من أمراضها؛ لأنهم عرفوا أسبابها ومُهيجاتها، فعرفوا دواءها وشفاءها.

والإمام أبو حامد الغزالي أحد هؤلاء الذين تهيَّؤُوا لهذا العلم، فلا بد لنا أن نستفيد منه.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم أن الكِبر خُلُق باطن، وأما ما يظهر من الأخلاق والأفعال فهي ثمرة ونتيجة، وينبغي أن تسمَّى: «تكبُّرًا»، ويُخَصَّ اسم

QaradawiBooks.com

«الكبر» بالمعنى الباطن، الذي هو استعظام النفس، ورؤية قدرها فوق قدر الغير، وهذا الباطن له موجِب واحد، وهو العُجْب الذي يتعلَّق بالمتكبر، فإنه إذا أُعْجِبَ بنفسه وبعلمه وبعمله أو بشيء من أسبابه: استعظم وتكبَّر.

وأما الكبر الظاهر، فأسبابه ثلاثة: سبب في المتكبِّر، وسبب في المتكبَّر عليه، وسبب فيما يتعلَّق بغيرهما.

أما السبب الذي في المتكبر، فهو: العُجْب والذي يتعلَّق بالمتكبِّر عليه هو: الحقد والحسد، والذي يتعلق بغيرهما هو: الرياء، فتصير الأسباب بهذا الاعتبار أربعة: العجب، والحقد، والحسد، والرياء.

أما العُجْب: فقد ذكرنا أنه يورث الكبر الباطن، والكبر يُثْمِر التكبُّر الظاهر في الأعمال والأقوال والأحوال.

وأما الحقد: فإنه يحمل على التكبُّر من غير عُجْب، كالذي يتكبَّر على من يرى أنه مثله أو فوقه، ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه، فأورثه الغضب حقدًا، ورسخ في قلبه بُغضه، فهو لذلك لا تطاوعه نفسه أن يتواضع له، وإن كان عنده مستحقًّا للتواضع، فكم من رذل لا تطاوعه نفسه على التواضع لواحدٍ من الأكابر، لحقده عليه، أو بُغضه له، ويحمله ذلك على ردِّ الحق إذا جاء من جهته، وعلى الأنفة من قبول نصحه، وعلى أن يجتهد في التقدُّم عليه، وإن علم أنه لا يستحقُّ ذلك، وعلى أن لا يستحلَّه وإن ظلمه، فلا يعتذر إليه وإن جنى عليه، ولا يسأله عما هو جاهل به.

وأما الحسد: فإنه أيضًا يوجب البغض للمحسود، وإن لم يكن من جهته إيذاء وسبب يقتضي الغضب والحقد، ويدعو الحسد أيضًا إلى جحد الحق، حتى يمنع من قبول النصيحة وتعلُّم العلم، فكم من

QaradawiBooks.com

جاهلٍ يشتاق إلى العلم. وقد بقي في رذيلة الجهل، لاستنكافه أن يستفيد من واحد من أهل بلده أو أقاربه حسدًا وبغيًا عليه، فهو يعرض عنه ويتكبَّر عليه، مع معرفته بأنه يستحقُّ التواضع بفضل علمه، ولكن الحسد يبعثه على أن يعامله بأخلاق المتكبِّرين، وإن كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه.

وأما الرياء: فهو أيضًا يدعو إلى أخلاق المتكبرين، حتى إن الرجل ليُناظِر من يعلم أنه أفضل منه، وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسدة ولا حقد، ولكن يمتنع من قبول الحق منه، ولا يتواضع له في الاستفادة، خيفة من أن يقول الناس: إنه أفضل منه، فيكون باعثه على التكبُّر عليه الرياء المجرد، ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر عليه.

وأما الذي يتكبَّر بالعُجب أو الحسد أو الحقد، فإنه يتكبَّر أيضًا عند الخلوة به، مهما لم يكن معهما ثالث، وكذلك قد ينتمي إلى نسب شريف كاذبًا، وهو يعلم أنه كاذب، ثم يتكبَّر به على من ليس ينتسب إلى ذلك النسب، ويترفَّع عليه في المجالس، ويتقدَّم عليه في الطريق، ولا يرضى بمساواته في الكرامة والتوقير، وهو عالمٌ باطنًا بأنه لا يستحق ذلك، ولا كِبْرَ في باطنه لمعرفته بأنه كاذب في دعوى النسب، ولكن يحمله الرياء على أفعال المتكبِّرين، وكأن اسم المتكبر إنما يطلق في الأكثر على من يفعل هذه الأفعال عن كبر في الباطن صادر عن العُجْب والنظر إلى الغير بعين الاحتقار، وهو إن سُمِّي متكبِّرًا فلأجل التشبُّه بأفعال الكبر.

نسأل الله حسن التوفيق، والله تعالى أعلم»[1] اهـ.

(١) إحياء علوم الدين (٣/٣٥٣، ٣٥٤).

QaradawiBooks.com

٨ ـ ومن الأعمال القلبية التي حرمها الإسلام: العُجْب:

ومن أعمال القلوب التي حرَّمها الإسلام: العُجْب. ونعني به: أن يُعجب المرء بنفسه، وبرأيه وفِكره، وكلُّ ما يتعلَّق بشخصه، كأنَّما ينظر إلى نفسه من «الميكروسكوب»، أو قُلْ من «التلسكوب»، فيرى نفسه شيئًا كبيرًا، أو هائلًا، وكل ما حوله، ومن حوله أقزام. فيدوس عليهم بقدمَيْه، ولا يُبالي بهم، ولا يجعل لهم في حياته قدرًا ولا قيمة، وكلما زاد إعجابًا تضخَّم، ورأى نفسه كلَّ شيء، ورأى كلَّ من حوله وكأنَّهم لا شيء.

وكثيرًا ما يتمثل هذا في النابغين والصالحين، وفيما عندهم من علم وعمل، وفيما لهم من عمل صالح، ينظرون إليه نظرة إجلال وإكبار.

الغزالي يشرح لماذا ذُمَّ العجب؟

لن نجد من يشرح العُجْب، ويبيِّن حقيقته وحكمه: مثل رجال السلوك، وعلماء التصوف، فهم أساتذة التربية الخُلقية المتخصصون فيها، ومن هنا نأخذ كلام الغزالي، لما فيه من الموعظة والعبرة، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلمْ أن العُجْب مذموم في كتاب الله تعالى، وسُنَّة رسوله ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا﴾ [التوبة: ٢٥]، ذكر ذلك في معرض الإنكار، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ﴾ [الحشر: ٢]، فردَّ على الكفار ـ أي: يهود بني النضير ـ في إعجابهم بحصونهم وشوكتهم.

QaradawiBooks.com

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣. ١٠٤]، وهذا أيضًا يرجع إلى العجب بالعمل.

وقد يعجب الإنسان بالعمل، هو مخطئ فيه، كما يعجب بعمل هو مصيب فيه.

وقال ﷺ: «**ثلاث مُهْلِكات: شحٌّ مطاع، وهوى متَّبع، وإعجاب المرء بنفسه**»(١).

وقال لأبي ثَعْلَبة: «**إذا رأيت شُحًّا مطاعًا، وهوى متَّبعًا، وإعجابَ كلِّ ذي رأي برأيه، فعليك نَفْسَك**»(٢).

وقال ابن مسعود: الهلاك في اثنتين: القنوط والعُجْب(٣). وإنما جمع بينهما؛ لأن السعادة لا تنال إلا بالسعي والطلب، والجد والتشمير، والقانط لا يسعى ولا يطلب، والمعجب يعتقد أنه قد سعِد، وقد ظفر بمراده، فلا يسعى. فالموجود لا يُطلب، والمحال لا يُطلب، والسعادة موجودة في اعتقاد المُعجَب حاصلة له، ومستحيلة في اعتقاد القانط، فمِن هاهنا جمع بينهما.

---

(١) رواه البزار (٦٤٩١)، والطبراني في الأوسط (٥٤٥٢)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٦٥٤): هو مروي عن جماعة من الصحابة، وأسانيده وإن كان لا يسلم شيء منها من مقال فهو بمجموعها حسن إن شاء الله تعالى. وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٠٣٩)، عن أنس.

(٢) رواه أبو داود في الملاحم (٤٣٤١)، والترمذي في تفسير القرآن (٣٠٥٨)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه في الفتن (٤٠١٤)، وابن حبان في البر والإحسان (١٠٨/٢)، والحاكم في الرقاق (٣٥٨/٤)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، وضعَّفه الألباني في ضعيف أبي داود (٩٣٤).

(٣) رواه أبو الليث السمرقندي في تنبيه الغافلين صـ ٤٨٥.

غير مرخصة للطباعة
نسخة خاصة
QaradawiBooks.com

وقد قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]، قال ابن جُرَيج: معناه: إذا عملتَ خيرًا فلا تقل: عملتُ[١]. وقال زيد بن أسلم: لا تُبَرِّئُوها، أي: لا تعتقدوا أنها بارَّة، وهو معنى العجب[٢].

وقال مطرِّف: لأَنْ أبيتَ نائمًا، وأصبح نادمًا، أحبُّ إلي من أبيت قائمًا، وأصبح مُعْجَبًا[٣]!

وقال ﷺ: «**لو لم تذنبوا لخشيتُ عليكم ما هو أكبر من ذلك؛ العُجْب العُجْب**»[٤]. فجعل العُجْب أكبر الذنوب.

وكان بِشْر بن منصور من الذين إذا رُؤُوْا ذُكِرَ الله تعالى والدارُ الآخرة، لمواظبته على العبادة، فأطال الصلاة يومًا، ورجل خلْفَه ينظر، ففطن له بِشْر، فلما انصرف عن الصلاة قال له: لا يُعجِبَنَّك ما رأيتَ منِّي، فإن إبليس لعنه الله قد عبد الله تعالى مع الملائكة مدةً طويلة، ثم صار إلى ما صار إليه[٥].

وقيل لعائشة رضي الله عنها: متى يكون الرجلُ مسيئًا؟ قالت: إذا ظن أنه مُحْسِن[٦].

---

(١) انظر: تفسير الماوردي (٤٠٢/٥)، تحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) رواه ابن جرير في التفسير (٥٤٠/٢٢).

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد (٤٤٨).

(٤) رواه البزار (٦٩٣٦)، وجود إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٤٤٣١)، عن أنس.

(٥) انظر: بحر الدموع لابن الجوزي صـ ١٤١، تحقيق جمال محمود مصطفى، نشر دار الفجر للتراث، ط ١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

(٦) المصدر السابق صـ ١٣٩.

QaradawiBooks.com

وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، والمنُّ: نتيجة استعظام الصدقة، واستعظام العمل: هو العجب. فظهر بهذا أن العُجْب مذموم جدًّا»[1].

من آفات العُجْب:

من أهم ما يجب أن يتفقَّه فيه المسلم ـ وخصوصًا في أعمال القلوب ـ ما تشتمل عليه هذه الأعمال من آفات باطنة، ينبغي أن يتنبَّه إليها ويعرفها من أهلها.

ومن ذلك ما قاله الغزالي في بيان آفات العجب: «اعلمْ أن آفات العجب كثيرة، فإن العُجب يدعو إلى الكبر؛ لأنه أحد أسبابه، فيتولَّد من العُجب الكبر، ومن الكبر الآفات الكثيرة، التي لا تخفى، هذا مع العباد، وأمّا مع الله تعالى، فالعجب يدعو إلى نسيان الذنوب وإهمالها، فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدها، لظنه أنه مستغنٍ عن تفقدها فينساها، وما يتذكَّره منها فيستصغره ولا يستعظمه، فلا يجتهد في تداركه وتلافيه، بل يظن أنه يغفر له.

وأما العبادات والأعمال، فإنه يستعظمُها ويتبجَّح بها، ويمنُّ على الله بفعلها، وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها، ثم إذا عجب بها عمي عن آفاتها، ومَن لم يتفقَّد آفات الأعمال: كان أكثر سعيه ضائعًا، فإن الأعمال الظاهرة إذا لم تكن خالصة نقيَّة عن الشوائب، قلَّما تنفع، وإنما يتفقد من يغلب عليه الإشفاق والخوف دون العجب، والمُعجَب يغترُّ بنفسه وبرأيه، ويأمن مكر الله وعذابه، ويظن أنه عند الله بمكان، وأن له عند الله مِنَّة وحقًّا بأعماله التي هي نعمة وعطية من عطاياه، ويخرجه العُجْب إلى أن يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها.

(١) إحياء علوم الدين (٣/٣٦٩ ـ ٣٧٠).

QaradawiBooks.com

وإن أعجب برأيه وعمله وعقله منع ذلك من الاستفادة، ومن الاستشارة والسؤال، فيستبد بنفسه ورأيه، ويستنكف من سؤال من هو أعلم منه، وربَّما يُعجَب بالرأي الخطأ الذي خَطَر له، فيفرح بكونه من خواطره، ولا يفرح بخواطر غيره، فيصرّ عليه، ولا يسمع نصح ناصح، ولا وعظ واعظ، بل ينظر إلى غيره بعين الاستجهال، ويصرُّ على خطئه، فإن كان رأيه في أمر دنيوي، فيخفق فيه، وإن كان في أمر ديني، لا سيما فيما يتعلق بأصول العقائد، فيهلك به، ولو اتَّهم نفسه، ولم يثق برأيه، واستضاء بنور القرآن، واستعان بعلماء الدين، وواظب على مدارسة العلم، وتابع سؤال أهل البصيرة، لكان ذلك يوصله إلى الحق.

فهذا وأمثاله من آفات العُجْب، فلذلك كان من المُهْلِكات، ومن أعظم آفاته أن يفتر في السعي، لظنه أنه قد فاز، وأنه قد استغنى، وهو الهلاك الصريح، الذي لا شبهة فيه. نسأل الله تعالى العظيم حسن التوفيق لطاعته.

بيان حقيقة العجب والإدلال، وحدُّهما:

اعلمْ أن العجب إنما يكون بوصف هو كمال لا محالة، وللعالم بكمال نفسه في علم وعمل ومال وغيره حالتان:

إحداهما: أن يكون خائفًا على زواله، ومُشْفِقًا على تكدُّره أو سلبه من أصله، فهذا ليس بمعجَب.

والأخرى: ألَّا يكونَ خائفًا من زواله، لكن يكون فرحًا به من حيث إنه نعمة من الله تعالى عليه، لا من حيث إضافته إلى نفسه، وهذا أيضًا ليس بمُعجَب.

وله حالة ثالثة: هي العُجْب، وهي أن يكون غير خائف عليه، بل يكون فرِحًا به، مطمئنًّا إليه، ويكون فرحه به من حيث إنه كمال ونعمة

QaradawiBooks.com

وخير ورفعة، لا من حيث إنه عطيَّة من الله تعالى ونعمة منه، فيكون فرحه من حيث إنه صفته ومنسوب إليه بأنه له، لا من حيث إنه منسوبٌ إلى الله تعالى بأنه منه، فمهما غلب على قلبه أنه نعمة من الله مهما شاء سلبها عنه: زال العُجْب بذلك عن نفسه.

فإذن العُجْب هو: استعظام النعمة والركون إليها، مع نسيان إضافتها إلى المنعم، فإن انضاف إلى ذلك أن غلب على نفسه أن له عند الله حقًّا، وأنه منه بمكان، حتى يتوقَّع بعمله كرامة في الدنيا، واستبعد أن يجري عليه مكروه، استبعادًا يزيد على استبعاده ما يجري على الفُسَّاق: سُمِّي هذا إدلالًا بالعمل، فكأنه يرى لنفسه على الله دالَّة، وكذلك قد يعطي غيره شيئًا فيستعظمه ويمنُّ عليه، فيكون معجبًا، فإن استخدمه، أو اقترح عليه الاقتراحات، أو استبعد تخلُّفه عن قضاء حقوقه، كان مُدِلًّا عليه.

وقال قتادة في قوله تعالى ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٦]، أي: لا تُدِلّ بعملك[1]، والإدلال وراء العُجْب، فلا مُدِلَّ إلا وهو مُعْجَب، ورُبَّ مُعْجَب لا يُدِلُّ، إذ العجب يحصل بالاستعظام، ونسيان النعمة، دون توقُّع جزاء عليه، والإدلال لا يتمُّ إلا مع توقُّع جزاء، فإن توقَّع إجابة دعوته، واستنكر ردَّها بباطنه، وتعجب منه: كان مُدِلًّا بعمله؛ لأنه لا يتعجَّبُ من ردِّ دعاء الفاسق، ويتعجَّب من رد دعاء نفسه، لذلك فهذا هو العُجْب والإدلال، وهو من مقدمات الكِبْر وأسبابه. والله تعالى أعلم»[2].

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣٩٣/٥)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

(٢) إحياء علوم الدين (٣٧٠، ٣٧١).

QaradawiBooks.com

٩ ـ من الأعمال القلبية التي حرَّمها الإسلام: الغرور:

من الأعمال القلبية التي شدَّد الإسلام في تحريمها: الغرور، المذموم في كتاب الله، وفي سُنَّة رسول الله، وفي تراث أعلام الأُمَّة من الربانيين، وقد قرَّر فيه الإمام الغزالي أن «مفتاح السعادة التيقظ والفطنة، ومنبع الشقاوة الغرور والغفلة، فلا نعمة لله على عباده أعظم من الإيمان والمعرفة، ولا وسيلة إليه سوى انشراح الصدر بنور البصيرة، ولا نقمة أعظم من الكفر والمعصية، ولا داعي إليهما سوى عمى القلب بظلمة الجهالة.

فالأكياس وأرباب البصائر قلوبهم: ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور: ٣٥]، والمغترُّون قلوبهم: ﴿كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ۚ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]، فالأكياس: هم الذين أراد الله أن يهديهم، فشرح صدورهم للإسلام والهدى، والمغترُّون: هم الذين أراد الله أن يضلهم، فجعل صدرهم ضيِّقًا حَرَجًا، كأنما يصَّعَّد في السماء.

والمغرور هو: الذي لم تنفتح بصيرته ليكون بهداية نفسه كفيلًا، وبقي في العمى، فاتخذ الهوى قائدًا والشيطان دليلًا: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢]، وإذا عرف أن الغرور هو أمُّ الشقاوات، ومنبع المُهْلِكات، فلا بد من شرح مداخله ومجاريه، وتفصيل ما يكثر من وقوع الغرور فيه، ليحذَره المريد بعد معرفته فيتقيه، فالموفَّق من العِبَاد من عرف مداخل الآفات والفساد، فأخذ منها حذره، وبنى على الحزم والبصيرة أمره.

QaradawiBooks.com

ونحن نشرح أجناس مجاري الغرور، وأصناف المغترين من القضاة والعلمـــاء والصالحين، الذين اغتروا بمبادئ الأمـــور الجميلة ظواهرها، القبيحة سرائرها، ونشير إلى وجه اغترارهم بها، وغفلتهم عنها، فإن ذلك وإن كان أكثـــر ممَّا يُحصَى، ولكـــن يمكن التنبيه علـــى أمثلةٍ تغني عن الاستقصاء.

وفِرَقُ المغترِّين كثيرة، ولكن يجمعهم أربعة أصناف:

- الصنف الأول: من العلماء
- الصنف الثاني: من العُبَّاد
- الصنف الثالث: من المتصوِّفة
- الصنف الرابع: من أرباب الأموال

والمغترُّ من كل صنف فرقٌ كثيرة، وجهات غرورهم مختلفة، فمنهم مـــن رأى المنكر معروفًا، كالـــذي يتَّخذ المســـاجد ويزخرفها من المال الحرام، ومنهم من لم يميِّز بين ما يسعى فيه لنفسه، وبين ما يسعى فيه لله تعالـــى، كالواعظ الذي غرضـــه القبول والجاه، ومنهم مـــن يترك الأهم ويشتغل بغيره، ومنهم من يترك الفرض ويشتغل بالنافلة، ومنهم من يترك اللُّباب ويشـــتغل بالقشـــر، كالذي يكون همُّه في الصلاة مقصورًا على تصحيح مخارج الحـــروف.. إلى غيـــر ذلك من مداخـــل لا تتَّضح إلا بتفصيل الفرق، وضرب الأمثلة.

ولنبدأ أولًا بذكر غُرور العلماء، ولكن بعد بيـــان ذمِّ الغُرُور، وبيان حقيقته وحدِّه»[1].

(١) إحياء علوم الدين (٣/٣٧٩).

QaradawiBooks.com

وسنجد الغزالي حين يحدِّثنا عن فئات الناس من المغرورين الهالكين: من العلماء، ومن العُبَّاد، ومن المنفقين، ومن المجاهدين، ومن المتصوفة، وأمثالهم من الذين يتمنى الناس أن يكونوا منهم، ويكونوا مثلهم.

سنجد الغزالي في نقده لهذه الطوائف والنماذج ناقدًا نفسِيًّا، أو ناقدًا اجتماعيًّا، أو ناقدًا تربويًّا من الطراز الأول، وقد فضح بعلمه وتعليمه كثيرًا من المخدوعين.

الغرور الذي يحذر منه القرآن والسنة:

حذر القرآن والسنة من الغرور وآفاته وأخطاره على الإنسان: فردًا وأسرةً ومجتمعًا وأمةً، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـٔٗاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [فاطر: ٥]، وقال ﷻ: ﴿وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [الحديد: ١٤]، وهذه الآيات وحدها كافية في ذم الغرور، وقد جاء في الحديث: «**الكَيِّس مَن دان نفسه، وعمل لما بعدَ الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنَّى على الله**»[(١)].

(١) رواه أحمد (١٧١٢٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٥٩)، وقال: حديث حسن. وابن ماجه في الزهد (٤٢٦٠)، والحاكم في التوبة (٤/٢٨٠)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، عن شداد بن أوس.

QaradawiBooks.com

وكل ما ورد في فضل العلم وذمِّ الجهل، فهو دليلٌ على ذمِّ الغرور؛ لأن الغرور عبارة عن بعض أنواع الجهل؛ إذ الجهل هو أن يعتقد الشيء ويراه على خلاف ما هو به، والغرور هو جهلٌ، إلَّا أنَّ كل جهل ليس بغرور، بل يستدعي الغرورُ مغرورًا فيه مخصوصًا، ومغرورًا به، وهو الذي يَغُرُّه. فمهما كان المجهول المعتقَدُ شيئًا يوافق الهوى، وكان السبب الموجب للجهل شبهةً ومخيلة فاسدةً يُظَن أنها دليلٌ، ولا تكون دليلًا: سُمِّي الجهلُ الحاصلُ به غرورًا.

فالغرور هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى، ويميل إليه الطبع، عن شبهة وخدعة من الشيطان، فمن اعتقد أنه على خير، إما في العاجل أو في الآجل، عن شبهة فاسدة، فهو مغرور، وأكثر الناس يظنون بأنفسهم الخير وهم مخطئون فيه، فأكثر الناس إذن مغرورون، وإن اختلفت أصناف غرورهم، واختلفت درجاتهم، حتى كان غرور بعضهم أظهر وأشد من بعض، وأظْهَرُها وأشدُّها: غرورُ الكفار، وغرور العصاة والفُسَّاق.

بين العجب والغرور:

وكلٌّ من العجب والغرور آفة من آفات القلوب، التي حرَّمها الإسلام، ونفَّر منها، وحذَّر الإنسان المسلم من شرورها. وكلاهما يدخل في محيط الكبر ومتعلقاته، فكلٌّ منهما يتعلَّق بالنظر إلى الذات والتركيز عليها من زوايا مختلفة ووجهات متعددة، وكل ما يريده الإسلام: أن يكون كل توجه المسلم إلى ربه وحده، لا إلى نفسه، ولا أهله، ولا ولده، ولا ماله، ولا غيره من الناس، ولا من الدنيا، فالدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة، فكل ما يناله من الدنيا ماذا سيكون من جناح البعوضة؟!

QaradawiBooks.com

لقد تحدَّث الإمام الغزالي عن العُجْب وتحدَّث عن الغرور، وخاض بعمق في الحديث عن المغترِّين بأنفسهم من البشر الذين يحشرون أنفسهم في زي العلماء العاملين، أو في صورة العاملين المخلصين، أو في هيئة المخلصين المقبولين، وأكثرهم هالكون؛ لأنهم: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩].

من فِرَق المغرورين الهالكين:

ولا بد لنا أن نذكر بعض النماذج من الفرق الهالكة، التي رآها الغزالي في إحيائه، وضاق بها صدره، وتحدث عنها لسانه وقلمه، وهي كثيرة جدًّا، نختار منها قليلًا مما ذكره، فمنهم: «فرقة اغتروا بالصوم، وربما صاموا الدهر، أو صاموا الأيام الشريفة، وهم فيها لا يحفظون ألسنتهم عن الغِيبة، وخواطرهم عن الرياء، وبطونهم عن الحرام عند الإفطار، وألسنتهم عن الهذيان بأنواع الفضول طول النهار، وهو مع ذلك يظن بنفسه الخير، فيُهمل الفرائض ويطلب النفل، ثم لا يقوم بحقِّه، وذلك غاية الغرور.

المغرورون بالحج والعمرة:

وفرقة أخرى: اغترُّوا بالحج، فيخرجون إلى الحج من غير خروج عن المظالم، وقضاء الديون، واسترضاء الوالدين، وطلب الزاد الحلال، وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حجة الإسلام، ويضيِّعون في الطريق الصلاة والفرائض، ويعجزون عن طهارة الثوب والبدن، ويتعرضون لمَكْس الظلمة، حتى يؤخذ منهم، ولا يحذرون في الطريق من الرَّفَث والخصام، وربما جمع بعضهم الحرام وأنفقه على الرفقاء في الطريق، وهو يطلب به السمعة والرياء، فيعصي الله تعالى في كسب الحرام أولًا، وفي إنفاقه بالرياء ثانيًا، فلا هو أخذه من حلِّه، ولا هو وضعه في حقِّه، ثم يحضر

QaradawiBooks.com

البيت بقلبٍ ملـوَّث برذائل الأخلاق وذميم الصفـات، لم يقدم تطهيره على حضوره، وهو مع ذلك يظن أنه على خيرٍ من ربه، فهو مغرور.

غير مرخصة للطباعة

المغرورون بالاحتساب، والأمر والنهي:

وفرقة أخرى: أخذت في طريق الحِسْبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ينكر على الناس، ويأمرهم بالخير، وينسـى نفسه، وإذا أمرهم بالخير عنَّف وطلب الرياسـة والعزَّة، وإذا باشر منكرًا ورُدَّ عليه، غضب وقال: أنا المحتسب، فكيف تنكر عليَّ؟! وقد يجمع الناس إلى مسجده، ومن تأخَّر عنه أغلظ القول عليه، وإنما غرضه الرياء والرياسـة، ولو قام بتعهُّد المسجد غيرُه لحَرَد عليه. بل منهم من يؤذِّن، ويظن أنه يؤذِّن لله، ولو جاء غيره وأذَّن في وقت غَيْبته، قامـت عليه القيامة، وقال: لم آخذ حقِّي وزوحمت على مرتبتي.

وكذلك قد يتقلَّد إمامة مسجد، ويظن أنه على خير، وإنما غرضه أن يقال: إنه إمام مسجد. فلو تقدَّم غيره وإن كان أورع وأعلم منه ثقُل عليه.

المجاورون بالحرمين:

وفرقة أخرى: جاوروا بمكة أو المدينة، واغتـرُّوا بمكة ولم يراقبوا قلوبهم، ولم يطهروا ظاهرهم وباطنهم، فقلوبهم معلَّقة ببلادهم، ملتفتة إلى قول مـن يعرفه أن فلانًا مجـاور بذلك، وتراه يتحـدَّى ويقول: قد جاورت بمكة كذا كذا سنة. وإذا سمع أن ذلك قبيح ترك صريح التحدي، وأحب أن يعرفه النـاس بذلك، ثم إنه قد يجاور ويمُـدُّ عينَ طمَعه إلى أوساخ أموال الناس، وإذا جمع من ذلك شيئًا شحَّ به وأمسكه. لم تسمح نفسـه بلُقْمة يتصدَّق بها على فقير، فيظهر فيه الريـاء والبخل والطمع،

QaradawiBooks.com

وجملةٌ من المهلكات كان عنها بمَعْزِل لو تــرك المجاورة، ولكن حب المَحْمَــدة، وأن يقال: إنه من المجاورين؛ ألزمــه المجاورة مع التضمُّخ بهذه الرذائل، فهو أيضًا مغرور.

وما من عمل من الأعمال وعبادة من العبادات إلا وفيها آفات، فمن لم يعرف مداخل آفاتهــا، واعتمد عليها، فهو مغرور، ولا يعرف شــرح ذلك إلا من جملة كتب «إحياء علوم الدين»، فيعرف مداخل الغرور في الصلاة من كتاب الصلاة، وفي الحج من كتاب الحج، والزكاة، والتلاوة، وسائر القربات من الكتب التي رتبناها فيها، وإنما الغرض الآن الإشارة إلى مجامع ما سبق في الكتب.

الرغبة في الرياسة والجاه:

وفرقة أخرى: زهدت في المال، وقنعت من اللباس والطعام بالدُّون، ومن المسكن بالمساجد، وظنَّت أنها أدركت رتبة الزهاد، وهو مع ذلك راغب في الرياسة والجاه، إما بالعلم، أو بالوعظ، أو بمجرد الزهد، فقد ترك أهون الأمرين، وباء بأعظم المُهْلِكيــن، فإن الجاه أعظم من المال، ولو ترك الجاه وأخذ المال كان إلى السلامة أقرب، فهذا مغرور إذ الظن أنه من الزهاد في الدنيا، وهو لم يفهــم معنى الدنيا، ولم يدر أن منتهى لذَّاتها الرياسة، وأن الراغب فيها لا بد وأن يكون منافقًا وحسودًا ومتكبِّرًا ومرائيًا ومتَّصفًا بجميع خبائث الأخلاق.

نعم قد يترك الرياسة ويؤثر الخلوة والعزلة، وهو مع ذلك مغرور، إذ يتطوَّل بذلك على الأغنياء، ويُخْشِــن معهم الــكلام، وينظر إليهم بعين الاستحقار، ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم، ويعجب بعمله، ويتصف بجملة من خبائث القلوب وهو لا يدري، وربما يُعطَى المال فلا يأخذه؛

QaradawiBooks.com

خيفةً من أن يقال: بطل زهده. ولو قيل له: إنه حـلال فخُذْه في الظاهر ورُدّه في الخفية. لم تسـمح به نفسه خوفًا من ذم الناس، فهو راغب في حمد الناس، وهو من ألذ أبواب الدنيا، ويرى نفسـه أنه زاهد في الدنيا وهو مغرور، ومع ذلك فربما لا يخلو من توقير الأغنياء وتقديمهم على الفقراء، والميل إلى المريدين له والمُثنِينَ عليه، والنُّفْرة عن المائلين إلى غيره من الزهاد، وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان، نعوذ بالله منه.

وفي العُبَّاد من يشدد على نفسه في أعمال الجوارح، حتى ربما يصلي في اليوم والليلة مثـلًا ألف ركعة ويختـم القرآن، وهو فـي جميع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب وتفقُّده وتطهيره من الرياء والكبر والعجب وسائر المُهْلكات، فلا يدري أن ذلك مهلك، وإن علم ذلك فلا يظن بنفسه ذلك، وإن ظن بنفسـه ذلك توهَّم أنه مغفور له لعمله الظاهـر، وأنه غير مؤاخذ بأحـوال القلب، وإن توهم، فيظـن أن العبادات الظاهـرة تترجَّح بها كفة حسـناته، وهيهات! وذرة من ذي تقوى وخُلقٍ واحدٍ من أخلاق الأكياس: أفضل من أمثال الجبال عملًا بالجوارح، ثم لا يخلو هذا المغرور مع سوء خلقه مع الناس وخشـونته، وتلوث باطنه عن الرياء وحب الثناء، فإذا قيل له: أنت من أوتاد الأرض، وأولياء الله وأحبابه؛ فَرِح المغرور بذلك وصدَّق به، وزاده ذلك غرورًا، وظن أن تزكية الناس له دليل على كونه مرضيًّا عند الله، ولا يدري أن ذلك لجهل الناس بخبائث باطنه.

ترك الترتيب بين الخيرات من جملة الغرور:

وفرقة أخرى: حرصت على النوافل، ولم يعظُم اعتدادها بالفرائض، ترى أحدهم يفـرح بصلاة الضحى وبصلاة الليل وأمثـال هذه النوافل، ولا يجد للفريضة لذَّة ولا يشتد حرصه على المبادرة بها في أول الوقت،

QaradawiBooks.com

وينسى قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه: «**ما تقرَّب المتقرِّبون إليَّ بمثل أداء ما افترضت عليهم**»[١]. وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور.

بل قد يتعيَّن في الإنسان فرضان: أحدهما يفوت، والآخر لا يفوت، أو فضلان: أحدهما يضيق وقته، والآخر يتسع وقته، فإن لم يحفظ الترتيب فيه كان مغرورًا.

ونظائر ذلك أكثر من أن تحصى، فإن المعصية ظاهرة، والطاعة ظاهرة، وإنما الغامض تقديم بعض الطاعات على بعض، كتقديم الفرائض كلها على النوافل، وتقديم فروض الأعيان على فروض الكفاية، وتقديم فرض كفاية لا قائم به على ما قام به غيره، وتقديم الأهم من فروض الأعيان على ما دونه، وتقديم ما يفوت على ما لا يفوت، وهذا كما يجب تقديم حاجة الوالدة على حاجة الوالد، إذ سُئل رسول الله ﷺ، فقيل له: مَن أبرُّ يا رسول الله؟ قال: «**أمَّك**». قال: ثم من؟ قال: «**أمك**». قال: ثم من؟ قال: «**أمَّك**». قال ثم من؟ قال: «**أباك**». قال: ثم من؟ قال: «**أدناك فأدناك**»[٢].

فينبغي أن يبدأ في الصلة بالأقرب، فإن استويا فبالأحوج، فإن استويا فبالأتقى والأورع.

وكذلك من لا يفي ماله بنفقة الوالدين والحج، فربما يحج وهو مغرور، بل ينبغي أن يُقدِّم حقَّهما على الحج، وهذا من تقديم فرضٍ أهمَّ من فرضٍ هو دونه.

---

(١) رواه البخاري في الرقائق (٦٠٢١) بلفظ: «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه»، عن أبي هريرة.

(٢) سبق تخريجه صـ٢٨٩.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وكذلك إذا كان على العبد ميعاد ودخل وقت الجمعة، فالجمعة تفوت، والاشتغال بالوفاء بالوعد معصية، وإن كان هو طاعة في نفسه.

وكذلك قد تصيب ثوبه النجاسة، فيُغلظ القول على أبويه وأهله بسبب ذلك، فالنجاسة محذورة، وإيذاؤهما محذور، والحذر من الإيذاء أهمُّ من الحذر من النجاسة.

وأمثلةُ تقابُل المحذورات والطاعات لا تنحصر. ومن ترك الترتيب في جميع ذلك فهو مغرور.

وهذا غرور في غاية الغموض؛ لأن المغرور فيه في طاعة، إلا أنه لا يفطن لصيرورة الطاعةِ معصيةً، حيث ترَكَ بها طاعة واجبة هي أهم منها.

ومن جملته الاشتغال بالمذهب والخلاف من الفقه، في حقِّ مَنْ بقي عليه شغل من الطاعات والمعاصي الظاهرة والباطنة المتعلِّقة بالجوارح والمتعلقة بالقلب؛ لأن مقصود الفقه معرفة ما يحتاج إليه غيرُه في حوائجه، فمعرفة ما يحتاج هو إليه في قلبه أولى به، إلَّا أنَّ حبَّ الرياسة والجاه، ولذة المباهاة، وقهر الأقران، والتقدُّم عليهم، يُعمي عليه حتى يغترَّ به مع نفسه، ويظن أنه مشغول بهمِّ دينه»[1] اهـ.

١٠ ـ من أعمال القلوب المحرمة: اتِّباع الهوى:

ومن أعمال القلوب التي حرَّمها الإسلام، بل شدَّد في التحذير منها: اتّباع الهَوَى. والهوى: ما تهواه النفس البشريَّة وتميل إليه، مما يتَّصل بغرائزها ودوافعها النفسية الدنيا، مما يدخل في باب الشهوات

(١) إحياء علوم الدين (٤٠٢/٣ ـ ٤٠٤).

QaradawiBooks.com

والملذَّات، التي تتعلَّق بحُبِّ الذات، وحب البقاء، وحب الذكر، وهو ما سمَّاه القرآن: الهوى.

وجُعل الفلاح والجنة في الآخرة لمن خالف الهوى، ونهى نفسه عنه، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١]، وقال الراغب في «المفردات»: سُمِّي الهوى؛ لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية، وفي الآخرة إلى الهاوية[١].

وهو ما حذَّر الله منه نبيَّه داود حين قال له: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [صٓ: ٢٦].

وحذَّر نبيه محمدًا من اتِّباع أهواء المشركين، فيضلُّونه عن الشريعة الحقة، وعن حكم الله المنزل، يقول تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٨، ١٩].

قال الراغب: فقوله: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ [البقرة: ١٢٠]، فإنَّما قاله بلفظ الجمع، تنبيهًا على أن لكل واحد هوًى غير هوَى الآخر، ثم هوى كلِّ واحدٍ لا يتناهى، فإذا اتِّباعُ أهوائِهم نهايةُ الضلال والحَيْرة[٢].

هذا في القرآن المكِّي، وكذلك في القرآن المدنيِّ، يقول تعالى في سورة المائدة: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: ٤٩]، فهو يحذِّرهم من الافتتان عن

(١) المفردات في غريب القرآن صـ ٨٤٩، تحقيق صفوان عدنان الداودي، نشر دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤١٢هـ.

(٢) السابق نفسه.

QaradawiBooks.com

بعض ما أنــزل الله تعالى؛ لأن الاســتهانة ببعض ما نــزل ينتهي به إلى إضاعة الكل، فالقرآن كلٌّ لا يتجزَّأ، ولا يجوز التفريط في القليل منه.

ويقول سبحانه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠]، ويقول تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۞ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤]، ويقول تبارك وتعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣]، ولهذا جاء عن ابن عباس: شرُّ إله عُبد في الأرض الهوى[1].

وحذَّر الله رسوله الكريم أن يُطيع مَن اتبع هواه، فالهوى غير مأمون أن يوقعه في مصيبة كبيرة، لا يســهُل الخروج منها، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، أمر الإســلام الإنســان أن يكون مُطيعًا لعقله إذا فكَّر، لا لهواه إذا اشــتهى، قال تعالى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١].

وكثُر في القرآن التحذير مــن اتّباع الهوى، أو اتبــاع الأهواء، هوى النفس، أو هوى الغير، فالهوى لا يتعلَّق بالحق، بل يتَّبع شهوات الأنفس، ومَن سار وراءها ضلَّ السبيل، قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ٥٦]، وقــال تعالــى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨]، ويقول سبحانه: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ

(١) انظر: المدخل لابن الحاج (١١٦/٣)، نشر دار التراث.

QaradawiBooks.com

﴿ٱلْهُدَىٰ ۖ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]، وفي آية أخرى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٧]، وفي آية أخرى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥].

وقد شدَّد القرآن الذمَّ فيمن اتبع هواه وأخلد إلى الأرض، برغم ما آتاه الله من الآيات، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [الأعراف: ١٧٦].

وذمَّ آخرين فقال سبحانه: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [الروم: ٢٩]، ولذلك كانت نصيحته الدائمة لرسوله الكريم المبلِّغ عنه: أن يتَّبع أمر ربه ولا يتبع هواه، هذا في تعامله مع كل الناس. قال تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [الشورى: ١٥].

وبذلك يستقيم له الأمر: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٤]، ولا يكون كأولئك: ﴿ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٦].

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الخاتمة

كنت في الطبعات السابقة للكتاب قد اقتصرت على ذكر الحلال والحرام في أعمال الجوارح والسلوك الظاهر، ورأيت في هذه الطبعة أن أذكر طرفًا من الحلال والحرام في أعمال القلوب، كالحسد والحقد، والكبر والغرور، والرياء والنفاق، والشح والحرص، وغيرها؛ فهذه الغوائل النفسية من أكبر المحرمات التي ألح الإسلام في محاربتها، وحذَّر النبي ﷺ من شرها، ووصف بعضها بأنها «داء الأمم» من قبلنا، وسماها «الحالقة» لا بمعنى أنها تحلق الشعر ولكن تحلق الدين[1].

وكل مطالع للقرآن الكريم والسنة المحمدية، يراهما قد جعلا سلامة الكيان المعنوي للإنسان «القلب» أساس الفلاح، للفرد والجماعة، في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]. ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

ومن هنا ذكر النبي ﷺ في حديثه المشهور أن: «**الحلال بيِّن والحرام بيِّن، وأن بينهما مشتبهات، من اتَّقاها فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع فيها أوشك أن يواقع الحرام، وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله**

(١) سبق تخريجه صـ٣٨٤.

QaradawiBooks.com

في أرضه محارمه»، ثم عقَّب على ذلك ببيان قيمة القلب وما يصدر عنه، من دوافع وميول وإرادات، هي أساس السلوك البشري كله بقوله: «**ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»[١].

فالقلب هو رئيس أعضاء البدن، وراعي جوارحه كلها، وبصلاح هذا الراعي تصلح الرعية كلها، وبفساده تفسد.

وميزان القَبول عند الله هو القلب والنية، لا الصورة واللسان، والقلب هو موضع نظر الله تعالى وليس الجسم وأعضاؤه، كما قال ﷺ: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم**»[٢]. «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**»[٣].

وحين ذكرنا المحرمات لم يكن غرضنا إلا المحرمات الإيجابية؛ فإن المحرم نوعان: إما فعل محظور ـ وهو الإيجابي ـ وإما ترك الواجب ـ وهو السلبي ـ وهذا الثاني ليس من غرض الكتاب بالذات، وإن جاء في بعض الأحيان بالتَّبَع. ولو قصدنا إلى ذلك لانتقلنا إلى موضوع آخر، وكان لزامًا علينا أن نذكر كل الواجبات التي كلف الله بها المسلم، فإن تَرْكَها أو الاستهانة بها حرام بلا ريب.

فطلب العلم في الإسلام فريضة على كل مسلم ومسلمة، وترك المسلم نفسه في ظلمات الجهل يتخبَّط فيها حرام عليه، وفرائض العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج ـ التي هي الأركان الأولى

(١) سبق تخريجه صـ٥٥.

(٢) سبق تخريجه صـ٣٨٥.

(٣) سبق تخريجه صـ٤٩.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

للإسلام ـ لا يحل لمسلم تركُها بغير عذر، ومن تركها فقد ارتكب إثمًا من كبائر الآثام، ومن استهان بها واستخفَّ بقيمتها، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه.

وإعداد الأمة ما استطاعت من قوة للذَّوْد عن كيانها، وإرهاب عدو الله وعدوها، واجب إسلامي على الأمة بعامَّة، وأولي الأمر فيها بخاصة، فإذا أهملت هذا الواجب فقد اقترفت محرَّمًا عظيمًا وحوبًا كبيرًا.. وهكذا كل الواجبات في الحياة الخاصة والعامَّة.

ولا ندعي أننا استقصينا ـ بعد ذلك ـ كل صغيرة وكبيرة في الحلال والحرام.. يكفينا أننا جلَّيْنا في هذه الصحائف أهم ما يجب أن يعرفه المسلم مما يحل له، وما يحرم عليه في حياته الشخصية، وفي حياته العائلية، وفي حياته الاجتماعية. وبخاصة ما يجهل كثير من الناس حُكْمه أو حكمته، أو يستخفُّون به ويتهاونون فيه.

وأحسب أننا قد أمطنا اللثام عن حكمة الإسلام البالغة في حلاله وحرامه، وتبيَّن لكل ذي عينَيْن، أن الله سبحانه لم يُرِدْ أن يدلِّل الناس بما أحل، ولا أن يُضيِّق عليهم بما حرم. وإنما شرع لهم ما يصلحهم، ويحفظ عليهم دينهم ودنياهم، ويصون أنفسهم وعقولهم، وأخلاقهم وأعراضهم وأموالهم، وكيانهم الإنساني كله، أفرادًا وجماعات.

إن عيب التشريع البشري الأرضي أنه تشريع قاصر ناقص، فإن واضعيه ـ سواء كانوا أفرادًا أم حكومات أم برلمانات ـ يحصرون أنفسهم في المصلحة المادية وحدها، غافلين عن مقتضيات الدين والأخلاق، وهم دائمًا محبوسون في قُمْقم الوطنية والقومية الضيقة، غير عابئين بالعالم الكبير، والإنسانية الرحْبة.

QaradawiBooks.com

وهم يشـــرعون ليومهم وحاضرهـــم المحدود، ذاهليـــن عن غدهم، جاهلين ما تأتي به الأيام.

وهم فوق ذلك بشر، فيهم ضعف الإنسان وقصوره وشهواته ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

فلا عجبَ أن تأتي التشريعات البشرية ضيِّقة النظرة، سطحية الفكرة، مادية المنزع، وقتية العلاج، موضعية الاتجاه.

ولا عجب أن ترى المشـــرِّع البشـــري كثيرًا ما يُحل ويُحـــرِّم، تبعًا للهوى، وإرضاء لمشـــاعر الرأي العام، مع ما يعلم في ذلك من الخطر الكبير، والشر المستطير.

وحسْبنا ـ مثلًا ـ على ذلك ما صنعته الولايات المتحدة الأمريكية من إباحة للخمور، وإلغاء لتشـــريعات حظرِها الأولى، رغم اقتناعها بشرها وويلاتها، وضررها على الأفراد والأسر والأوطان.

أما تشريع الإسلام فقد برئ من هذا النقص كله.

إنه تشـــريع خالق عليم، خبير بخلقه، وما يصلح لهم، وما يصلحون له، وكيف لا وهو تعالـــى: ﴿يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِـــدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠]. علم الصانع بما صنع: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

إنه تشريع إلهٍ حكيم، لا يحرِّم شيئًا عبثًا، ولا يُحِلُّ شيئًا جِزَافًا، فكل شيء خلقه بقدر، وكل شيء شرعه بميزان.

إنه تشريع رب رحيم، يريد بعباده اليسر، ولا يريد بهم العسر، كيف وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها؟

إنه تشـــريعُ ملك قادر، غنيٌّ عن عباده، لا يتحيَّز لطائفة أو جنس أو جيل، فيحل لهم ما حرم على آخرين، كيف وهو رب العالمين جميعًا؟

QaradawiBooks.com

هذا ما يعتقده المسلم فيما شـــرعه له ربه في الحلال والحرام وفي غيرهما. ولهـــذا يتقبله بعقل مِلْؤه الاقتناع، وقلـــب ملؤه الرِّضا واليقين، وإرادة كلها تصميم على التنفيذ.

إنه يؤمن أن ســـعادته في الدنيا، وفلاحه في الآخـــرة موقوفان على رعايته لحدود الله فيما أمر ونهى، وما أحل وحرم.

فلا بد أن يأخذ نفسه بالوقوف عند هذه الحدود، ليفوز بالسعادتين، ويفلح في الدَّارَين.

ولنضرب لذلك مَثَلَيْن من حياة المســـلمين في العصر الأول، كيف كانوا يرعَوْن حدود الله في الحلال والحرام، ويُسارعون في تنفيذ ما أمر.

أولهما: ما أشرنا إليه عند حديثنا عن تحريم الخمر، وقد كان للعرب وَلَعٌ بشُرْبها وأقداحها ومجالسها. وقد عرف الله ذلك منهم، فأخذهم بسُنَّة التدريج في تحريمها، حتى نزلت الآية الفاصلـــة، تحرمها تحريمًا باتًّا، وتعلن أنهـــا ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المائـــدة: ٩٠]. وبهذا حـــرَّم النبي ﷺ شُرْبها وبيعها وإهداءها لغير المســـلمين، فما كان من المسلمين حينذاك إلا أن جاؤوا بما عندهم من مخزون الخمر وأوعيتها، فأراقوها في طرق المدينة إعلانًا عن براءتهم منها.

ومن عجيب أمر الانقياد لشـــرع الله أن فريقًا منهـــم حين بلغته هذه الآية، كان منهم مَن في يده الكأس، قد شـــرب بعضها وبقي بعضُها في يده، فرمى بها من فيه، وقال إجابة لقول الله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]: قد انتهينا يا رب!

ولو وازنَّا هـــذا النصر المبين في محاربة الخمـــر والقضاء عليها في البيئة الإســـلامية، بالإخفاق الذريع الذي مُنِيَت بـــه الولايات المتحدة،

QaradawiBooks.com

حين أرادت يومًا أن تحارب الخمر بالقوانين والأساطيل والسلاح والقوة، لعرفنا أن البشر لا يُصلحهم إلا تشريع السماء، الذي يعتمد على الضمير والإيمان، قبل الاعتماد على القوة والسلطان[١].

وثانيهما: موقف النساء المسلمات الأُوَل مما حرَّم الله عليهن من تبرج الجاهلية، وما أوجب عليهن من الاحتشام والتستُّر، فقد كانت المرأة في الجاهلية تمرُّ كاشفة نحرها، لا يواريه شيء، وكثيرًا ما أظهرت عنقها وذوائب شعرها وأقراط آذانها، فحرَّم الله على المؤمنات تبرج الجاهلية الأولى، وأمرهن أن يتميزن عن نساء الجاهلية، ويخالفن شعارهن، ويلزمن الستر والأدب في هيئاتهن وأحوالهن، بأن يضربن بخمرهن على جيوبهن، أي يشددْن أغطية رؤوسهن، بحيث تغطي فتحة الثوب من الصدر، فتواري النحر والعنق والأذن.

وهنا تروي لنا السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، كيف استقبل نساء المهاجرين والأنصار في المجتمع الإسلامي الأول هذا التشريع الإلهي، الذي يتعلق بتغيير شيء هامٍّ في حياة النساء، وهو الهيئة والزينة والثياب.

قالت عائشة: يرحم الله نساء المهاجرات الأُوَل.. لما أنزل الله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]. شققن مروطهن (أكسية من صوف أو خَزٍّ) فاختمرن بها[٢]. وعند أبي داود عن أم سلمة: لما نزلت: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ﴾ خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغِرْبان من الأكسية[٣].

---

(١) اقرأ هذه الموازنة بتفصيل في كتابنا: الإيمان والحياة صـ ٢٠١ ـ ٢٠٥، موضوع: الإيمان والأخلاق، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١٦، ٢٠٠٧م.

(٢) رواه البخاري في التفسير (٤٧٥٨).

(٣) رواه أبو داود في اللباس (٤١٠١)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٤٨٣).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وجلس إليها بعض النساء يومًا، فذكرن نساء قريش وفضلهن، فقالت: إن لنساء قريش فضلًا، وإني والله ما رأيتُ أفضل من نساء الأنصار، ولا أشد تصديقًا لكتاب الله، ولا إيمانًا بالتنزيل، لقد أنزلت سورة النور: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ فانقلب رجالهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهن فيها، ويتلو الرجل على امراته وابنته وأخته، وعلى كل ذات قرابته، فما منهن امرأة إلا قامت إلى مِرْطها المرَحَّل (المزخرف الذي فيه تصاوير) فاعتجرت به (شدَّتْه على رأسها) تصديقًا وإيمانًا بما أنزل الله من كتابه، فأصبحن وراء رسول الله ﷺ مُعتجرات، كأن على رؤوسهن الغربان[1].

هذا هو موقف النساء المؤمنات مما شرع الله لهن؛ موقف المسارعة إلى تنفيذ ما أمر، واجتناب ما نهى، بلا تردُّد، ولا توقُّف، ولا انتظار، أجل لم ينتظرْنَ يومًا أو يومَيْن أو أكثر، حتى يشترين أو يخطْن أكسية جديدة تلائم غطاء الرؤوس، وتتسع لتضرب على الجيوب، بل أي كساء وُجِدَ، وأي لون تيسَّر، فهو الملائم والموافق، فإن لم يوجد، شققْنَ من ثيابهن ومروطهن، وشددْنَها على رؤوسهن، غير مباليات بمظهرهن الذي يبدون به، كأن على رؤوسهن الغِرْبان، كما وصفت أم المؤمنين.

إننا نؤكِّد هنا أن المعرفة الذهنية بالحلال والحرام وحدها لا تكفي، فأمهاتُ الحلال والحرام بيِّنة لا تخفى على مسلم، ومع هذا يتورَّط كثير من المسلمين في المحرمات، ويقتحمون النار على بصيرة.

فلا بد ـ إذن ـ من تقوى الله التي هي مِلَاك الأمر كله، وبعبارة حديثة: لا بد من الضمير الحي، الذي يُوقِف المسلمَ عند حدود الحلال، ويردعه

(١) رواه ابن أبي حاتم في التفسير (١٤٤٠٥)، وضعفه الألباني في غاية المرام (٤٨٣).

QaradawiBooks.com

عن اقتراف الحرام. ذلك الضمير الذي لا ينمو غرسه إلا في تربة الإيمان بالله والدار الآخرة.

فإذا توافر للمسلم بالقراءة والدراسة المعرفة الواعية بحدود دينه وشريعته، والضمير اليقظ الذي يحرس هذه الحدود أن يتعداها أو يقربها، فقد توافر الخير كله، وقد ثبت: «**إذا أراد الله بامرئ خيرًا جعل له واعظًا من نفسه**»[1].

ولنختم كتابَنا بهذا الدعاء المأثور عن سلفنا: اللهم اكْفِنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمَّن سواك.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

(١) رواه أحمد في الزهد (١٧٦٨)، وأبو نعيم في الحلية (٢٦٤/٢)، موقوفًا على ابن سيرين، وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٤/٣): رواه الديلمي في مسند الفردوس عن أم سلمة وإسناده جيد. وضعفه الألباني في غاية المرام مرفوعًا (٤٨٤).

QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

غير مرخصة للطباعة

ملحق

الحلال والحرام
والرد على المعترضين

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتِمُّ الصالحات، وبفضله تتنزَّل الخيرات، وبتوفيقه تتحقَّق الغايات، الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على البشير النذير، والسراج المنير، سيدنا وإمامنا، وأسوتنا وحبيبنا ومعلِّمنا محمد، وعلى آله وصحبه ومَن اتَّبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

(أما بعد)

فما من عمل بشريٍّ إلا له ثمرات وخيرات، وعليه مؤاخذات واعتراضات، وقد أبَى الله تعالى التمامَ إلا لكتابه، والعصمةَ إلا لأنبيائه.

وما من بشر إلا يُصيب ويُخطئ، وما من عالمٍ إلا له كَبْوة، وما زال أهل العلم يوصي بعضُهم بعضًا، ويستدرك بعضهم على بعض، في نطاق التناصح للخَلْق، وفي دائرة التواصي بالحق، الذي أمرنا الله تعالى به.

والحق أني لا أزعم أنني معصوم لا أخطئ، أو أن عملي غير قابل للنقد والمراجعة، فكم استدرك متأخِّر على متقدِّم! وكم صوَّب لاحقٌ لسابق! وهذه سُنَّة الله تعالى في خلقه: أن يفيد بعضهم من بعض، وأن يستدرك بعضهم ما فات البعض؛ بل إن العالم كثيرًا ما يستدرك على

QaradawiBooks.com

نفسه، ويَبِينُ له خطؤه أو ضعف موقفه، فيرجع عنه إلى غيره. وهذا ما أفعله، ويفعله غيري من أهل العلم.

وتراثنا الإسلامي مليء بهذا، فهؤلاء شرَّاح الحديث، وأولئك فقهاء الأمة، انتقد بعضهم بعضًا، واستشكل بعضهم صنيعَ البعض، وما كان يدفعهم إلى ذلك إلا الرغبة في إصابة الحق، ودفع الباطل.

وقد كثُرت الحواشي على المصنفات توضيحًا لغامضٍ، وتفصيلًا لمُجمل، وكشفًا لمُشْكِل، وانتقادًا لخطأ.

ولكن أساليب الانتقاد يجب أن ترقى لمستوى ذلك العلم الذي نحن بصدده، فتتَّسم بالموضوعية لا الذاتية، والتوضيح لا التجريح، والبيان لا البهتان.

لقد بلغني من المؤاخذات على كتابي هذا «الحلال والحرام» عدة ردود، يمكن تقسيمها إلى قسمين:

قسم اتَّسم بالرُّوح العلمية، وتزيَّن بأدب العلماء، واعتنى بمناقشة المسألة، لا بتجريح القائل بها، وهو ما نلحظه من ردود الشيخين الفاضلين: ابن باز والألباني رحمهما الله تعالى.

وقسم أسرف على نفسه، وعلى المؤلف، وعلى القرَّاء، محاولًا أن يكثر من المسائل، وأن يركب كلَّ صعْب وذَلول للنَّيْل من المؤلِّف، فلا بِسَمْتِ العلماء اتَّسموا، ولا بمنهجيَّة البحث التزموا.

غير أني لن أعاملهم بطريقتهم، أو أكافئهم على صنيعهم، ولكني أقيم الحجة، وأظهر البيِّنة، وأبين ما أغفلوه أو غفلوا عنه، وما لم يظهروه أو أخفوا دليله، ليكون القارئ على بيِّنة من أمر دينه، وعلى علمٍ بجوانب المسألة كلها.

QaradawiBooks.com

وهنا لا بد من وقفات مهمة:

• لا يعني تبنِّي رأي ما: أن ننكر وجود الخلاف في المسألة.

• العالم الربَّاني ينبغي ألا يُخفي بعض الآراء بحجَّة أو بأخرى، وإنما عليه أن يذكر الآراء ثم يقوم بالترجيح.

• الذي يخشى قواعد الترجيح هو من يريد أن يحجر على آراء الآخرين.

• لا بد من الرجوع إلى الحقِّ عند ثبوت الخطأ، وهذا لا يعني قدحًا فيمَن رجع إلى الحق إذا تبيَّن له؛ بل ذلك من فضائله ومآثره.

فقد استفدتُ مثلًا من بعض تعليقات الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وإن كان ذلك لم يؤثِّر في الحكم على المسألة، فعدلتُ عن بعض روايات السنن إلى روايات الصحيحين، ومن بعض الروايات المعلولة إلى روايات صحيحة، تفيد نفس المعنى، وذلك في بعض المواضع.

وأسأل الله تعالى أن يجعل عملنا خالصًا لوجهه، وأن يتقبَّل عملنا هذا في صحائف أعمالنا، وأن يعفو عنا، وعمَّن ظلمنا، إنه عفوٌّ كريم.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

رسالة العلامة الشيخ ابن باز حول كتابي «الحلال والحرام»

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة فضيلة الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي سلَّمه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(أما بعد)

فقد أُحيل إلى الرئاسة العامَّة لإدارات البحوث والإفتاء والدعوة والإرشاد من قِبَل وزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية مؤلَّفكم «الحلال والحرام في الإسلام» الطبعة التاسعة عام ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م. وبعد دراسة: اتَّضح للجهة المختصَّة أنكم بذلتم فيه مشكورين جهدًا كبيرًا، ووقتًا طويلًا، لمعالجة كثير من المواضيع الحسَّاسة الهامَّة في هذا العصر.

لذا فإن رئاسة إدارات البحوث العلمية ترغب أن تشتري منه كمية لتَعُمَّ الفائدة، ومساهمةً منا معكم في تذليل بعض الصعوبات التي تحُول دونكم لتكثيف طباعته، ذلك بعد إعادة النظر في المسائل الموضَّحة أدناه:

١ ـ تجويز موادَّة بعض الكفار.

٢ ـ عدم تحريم الدخان إلا بعد تقرير دكتور مسلم، بأنه مضرٌّ على شخص معيَّن.

QaradawiBooks.com

٣ ـ الاختيار بأنَّ حلق اللحية مكروه، وما نُسب إلى السلف أنهم تركوها عادة.

٤ ـ إباحة اللحوم المستوردة، ممَّا أُزهقت رُوحه بالصعق الكهربائي.

٥ ـ كشف المرأة وجهها بحضرة الرجال الأجانب.

٦ ـ جواز السفور.

٧ ـ إباحة الغناء والموسيقى.

٨ ـ جواز لعبة الشِّطْرنج.

مع العلم أنني أعتقد تحريم جميع الأمور الثمانية، فأرجو العناية بهذا الأمر، وبذل ما يُستطاع من النظر في الأدلة، وإليكم نسخة ممَّا كتبه في الموضوع فضيلة الشيخ: صالح الفوزان، للاطلاع عليه، والاستعانة به في تصحيح بعض الأخطاء، على ضوء الأدلة الشرعية.

ولما كانت مؤلفاتكم لها ثقلها وفائدتها العظيمة، لما فيها من علم وتوجيه، ولما أعرفه عنكم من الغَيْرة، والاعتدال في الدعوة إلى الله على بصيرة وبيِّنة.. فإننا نأمل منكم موافاتنا في أقرب وقت ممكن إن شاء الله، بنسخة من الطبعة العاشرة مصحَّحة، على ضوء ما أشرنا إليه، مضافًا لها ما يظهر لكم عند المراجعة؛ لنتمكن بعد ذلك من المساهمة في شراء كمية كبيرة، لتعم الفائدة إن شاء الله.

نفع الله بعلومكم، وأمدنا جميعًا بعونه وتوفيقه لما فيه عز الإسلام وصالح المسلمين. كما أسأل الله لنا ولكم التوفيق والسداد، والإعانة على إصابة الحق، إنه خير مسؤول.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

QaradawiBooks.com

رسالة جوابية موجزة إلى العلامة ابن باز

صاحب السماحة العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز حفظه الله

الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(أما بعد)

أكتب إلى سماحتكم هذا الكتاب على عَجَل، وأنا أتجهَّز للسفر إلى الولايات المتحدة وكندا، بعد أيام، لزيارة الطلاب المسلمين هناك، لمدَّة تستغرق شهرًا إن شاء الله.

ولقد وصلتني رسالتكم الكريمة، المؤرخة في ١٣٩٦/٤/٢٨هـ. والخاصة بكتابي «الحلال والحرام».

وإني لأشكر لسماحتكم عنايتكم بالكتاب، وثناءكم على ما بذلتُ فيه من جهد، وحرصكم على توسيع نشره، وتعميم النفع به على نطاق أوسع. نفع الله بكم، وجزاكم عن الإسلام والمسلمين والعلم وأهله خير الجزاء.

أما المسائل الثماني التي ذكرتموها فضيلتكم في الرسالة، والتي تذهبون فيها إلى رأيٍ يخالف ما انتهى إليه اجتهادي في الكتاب. فأحبُّ أن أؤكد لفضيلتكم أنكم أوَّلُ وأَوْلَى مَن أحبُّ، وأحرص على موافقته

QaradawiBooks.com

من علماء الإسلام، وذلك لما عرفتُه ولمستُه في سماحتكم من غزارة علم، واستقامة منهج، وغَيْرة على الحق، وحرص على الإنصاف، وسَعَة صدر، وتقدير لوجهات نظر الآخرين. هذا إلى فضائل ومزايا أخرى دينية وأخلاقية. أحسبكم كذلك، والله حسيبكم، ولا أُزكِّيكم على الله تعالى. ولكن قضتْ سُنَّة الله تعالى أن تختلف الأنظار، وتتعدد الاجتهادات، وبخاصة في المسائل الجزئية.

ولعل الذي حدا بي إلى ترجيح ما رجَّحتُ في هذه المسائل: أن الكتاب أُلِّف في الأصل ليُترجم إلى اللغات الأجنبية للجاليات الإسلامية وللداخلين الجُدُد في الإسلام، ولهذا توخَّيت فيه التيسير ما استطعت؛ ترغيبًا في الإسلام.

ثم إني بلوتُ من فِتَن هذا العصر ومغرياته ومعوِّقاته، التي جعلت جمهور الناس ـ وخصوصًا مَن يسمُّونهم المثقَّفين ـ يُعرِضون عن الدين: ما جعلني أتخذ منهجًا يقوم على التشديد في الأصول، والتيسير في الفروع، ولا سيما فيما عمَّتْ به البلوى.

وهذا كله بشرط ألا أخرج عن نصٍّ محكم، أو إجماع متيقَّن.

أعني أنني أختار فيما كان للاختيار فيه مجال، فإذا كان هناك رأيان في المسألة: أحدهما أحوط، والآخر أيسر: أختار الأيسر؛ لأنه الأليق برُوح الشريعة السمحة، وبطبيعة الكتاب المؤلَّف لعموم المسلمين، وبطبيعة العصر الذي أصبح الإسلام فيه غريبًا في أكثر البلدان. وقد صحَّ أنَّ النبي ﷺ ما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثمًا[1].

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٥٦٠)، ومسلم في الفضائل (٢٣٢٧)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

على أنه مما يهوِّن الخلاف في هذه المسائل جملة أمور:

١ ـ أنها قُلٌّ من كُثر.

٢ ـ وأنَّ لي فيها سلفًا من قدماء العلماء ومن مُحدثيهم، وعلى رأسهم العلامة: السيد رشيد رضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣ ـ وأنني لا أغفل الرأي المخالف؛ بل أذكره، ليعرف القارئ أن المسألة ليستْ إجماعية؛ بل ربما ذكرتُ أنه رأي الكثرة أو الجمهور، أو نحو ذلك.

٤ ـ وأنني لم أحكم في هذه المسائل بالإباحة المطلقة، بل أضع عادة قيودًا وشروطًا، تضيِّق دائرة الإباحة.

٥ ـ وأنَّ دافعي إلى ذلك ـ والله أعلم بالنيات ـ تقريب جماهير الناس من الإسلام، وتحبيبه إليهم، عملًا بالوصية النبوية: «**يسِّروا ولا تُعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا**»[1].

ولا يفوتني أن أذكر أن ما نُسب إليَّ في المسألة الثانية، وهي «عدم تحريم الدخان» إلا بعد تقرير طبيب مسلم بأنه مضرٌّ على شخص معيَّن غير صحيح.

وهذا ليس رأيي الذي أثبتُّه. فقد قررتُ مبدأً وقاعدة مضمونها: أنَّ كل ما يضر تناوله بالجسم فهو حرام، وبنيتُ عليه حُكْم التدخين، قائلًا بالنص: «ووفقًا لهذا المبدأ نقول: إنَّ تناول التبغ (الدخان) ما دام قد ثبت أنه يضر بمتناوِله فهو حرام، وبخاصة إذا قرَّر ذلك طبيب مختصٌّ لشخص معيَّن.

(١) سبق تخريجه صـ٣٩.

QaradawiBooks.com

ولو لم يثبت ضرره الصحي، لكان إضاعةً للمال فيما لا ينفع في الدين أو الدنيا. وقد نهى النبي ﷺ عن إضاعة المال. ويتأكَّد النهيُ إذا كان محتاجًا إلى ما ينفقه من مال لنفسه أو عياله».

فقد ذكرتُ مناط التحريم، وهو الإضرار بالصحة، وإضاعة المال، وهذا للناس عامة، فإذا ثبت ضرره على الخصوص لشخص معين: تأكَّد المنع، وكذلك إذا كان محتاجًا إلى المال.

والحقيقة أني ممَّن يرى التَّشديد في موضوع التدخين، ولي في تحريمه فتوى مطولة، في ضوء النصوص والقواعد الشرعية، أعتقد أنها ستسرُّك، عندما تقرؤها إن شاء الله، وهي لم تنشر بعد[1].

ومع كل هذا أعِدُ سماحتكم بأنني سأعاود النظر في المسائل المذكورة؛ مقارنًا الأدلة، باذلًا العناية؛ لتهذيب ما يمكن تهذيبه من الآراء، أو تعديل بعض العبارات، أو نحو ذلك، على قدر استطاعتي، وما يصل إليه ترجيحي، مستعينًا بالله تعالى، ومبتهلًا إليه أن يلهمني الصواب، ولا يحرمني أجر الخطأ في الاجتهاد.

كل ما أرجوه من سماحتكم: ألا تكون ملاحظاتكم على الكتاب سببًا في منع دخوله المملكة. فلا يوجد في الدنيا كتاب من تأليف بشر إلا وعليه مآخذ، وكل واحد يؤخذ من كلامه ويترك، والمهم سلامة الاتجاه في الجملة، وباب النقد مفتوح لمن شاء.

والمسائل التي انتُقِدتْ على الكتاب موجودة في مثل: «المحلى» لابن حزم، وفي فتاوى السيد رشيد رضا، وبعضها في كتب الشيخ الألباني. وما أظنُّ شيئًا من هذه الكتب مُنع من تداوله في المملكة.

(١) قد نُشرتْ في كتابي فتاوى معاصرة (١/٦٥٤ ـ ٦٦٩)، نشر دار القلم، الكويت، ط ٩، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

QaradawiBooks.com

ولا يليق بمثلي ـ وعلاقته بالمملكة الشقيقة على ما تعلم سماحتكم ـ أن تُمنع كتبه من أكبر هيئة علمية دينية فيها، لخلافٍ جزئيٍّ في بعض المسائل الاجتهادية.

وختامًا: أسأل الله تعالى أن يجعلني عند حُسن ظنِّكم، كما أسأله أن يمد في عمركم، ويبارك في جهودكم، ويؤيدكم بروح من لدنه، ويوفِّقنا جميعًا لما فيه خير الإسلام والمسلمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

دكتور يوسف القرضاوي

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الرد على تعقُّبات الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في كتابه: «غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام»

أولًا: أحمد الله تعالى أن وفَّقني منذ أوائل حياتي الفكرية والدعوية لتبنِّي المنهج الوسطي الذي يقوم على النظرة المعتدلة والشاملة، ويبتعد عن الإفراط والتفريط، وقد بيَّنت منهجي هذا في مقدمة الكتاب نفسه «الحلال والحرام» في أول طبعة له حين قلتُ:

وربما بدا موضوع «الحلال والحرام» سهلًا لأول وهلة، ولكنه في الواقع صعبُ المرتقَى، فلم يسبق لمؤلف في القديم أو الحديث أن جمع شَتَات هذا الموضوع في كتاب خاص، ولكن الدارس يجد أجزاءه موزَّعة في أبواب الفقه الإسلامي كلها، وبين ثنايا كتب التفسير والحديث النبوي.

ثانيًا: أحمد الله تعالى حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه، وجزيل نعمه التي لا أحصيها، والتي لم أقم بأقل القليل من شكرها.

ومن هذه النعم أن منح الله الكريم الوهَّاب كتبي القَبولَ عند المسلمين حيثما كانوا، وهذا من فضل ربي عليَّ، وإحسانه إليَّ، تباركت آلاؤه، وتقدستْ أسماؤه، حتى إن كتابي «الحلال والحرام» قد بلغت طبعاته بالعربية حوالي السبعين، ذلك أنه يُطبع في عدة أماكن، ويصدر من عدة جهات: القاهرة، ولبنان، والجزائر، والمغرب، والكويت، وغيرها.

نسخة مجانية

هذا بالإضافة إلى ترجمته إلى عدد من اللغات مثل: التركية، والأوردية، والماليزية، والإندونيسية، والفارسية، والبنغالية أو الماليبارية، والسواحلية، والإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والإيطالية، والإسبانية، والصينية، واليابانية، وغيرها.

ثالثًا: تخريج أحاديث الكتاب تكريم له:

لا شكَّ أن تخريج العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأحاديث كتابي: «الحلال والحرام» هو نوع من التكريم للكتاب وصاحبه، فعلماء الحديث من قديم لا يخرِّجون أحاديث الكتب التافهة أو المغمورة، إنما يخرِّجون الكُتب التي لها قيمة ووزن علمي، وشهرة عند أهل العلم وجماهير الناس.

ولهذا نجد مثلَ الحافظ الزيلعي يخرِّج أحاديث كتاب «الهداية» في الفقه الحنفي في كتاب: «نصب الراية»، لمنزلة الكتاب وشهرته عند علماء الحنفية، وكذلك فعل الحافظ ابن حجر في تخريج الهداية، ثم في تخريج «فتح العزيز»، أو الشرح الكبير للرافعي على «الوجيز» للغزالي في فقه الشافعيَّة، وذلك في كتابه المعروف بـ «التلخيص الحبير»، وكذلك خرَّج أحاديث «الكشاف» للزمخشري.

ومثل ذلك ما صنعه الحافظ العراقي في تخريج أحاديث «إحياء علوم الدين» للغزالي.

وكتب أخرى كثيرة معروفة عند أهل الاختصاص.

ولهذا سرَّني أن يُعنَى المحدِّث الكبير المعروف: الشيخ الألباني من زمن بعيد بتخريج أحاديث كتابيَّ: «الحلال والحرام في الإسلام»، و«مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام».

QaradawiBooks.com

كما خرَّج كذلك أحاديث كتاب: «فقه السيرة» للداعية الإسلامي الكبير الشيخ محمد الغزالي.

وقد رأيت كتاب الشيخ الألباني: «غاية المرام»، ورأيت ما حكم عليه بالضعف من الأحاديث.

وأودُّ أن أسجل هنا بعض الملاحظات المهمَّة:

الأولى: بعض الأحاديث تُذكر للاستئناس، لا للاحتجاج.

إنني قد أذكر بعض الأحاديث الضعيفة للاستئناس، لا للاحتجاج بها والاعتماد عليها وحدها في الاستدلال.

فكثيرًا ما يكون الحكم ثابتًا بأدلة أخرى من النصوص الثابتة، أو القواعد المقرَّرة، ثم أذكر الحديث هنا وإن كان ضعيفًا للاستئناس كما قلتُ، وهذا ما لم يتحرَّز منه أحد من السابقين فيما أعلم.

ومن قرأ كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه المحقق ابن القيم يجد فيها الكثير والكثير من ذلك.

بل الإمام البخاري نفسه مع ما عُرف عنه من التشدُّد في رفض الضعيف يذكر في جامعه الصحيح بعض الأحاديث المعلَّقة الضعيفة وهي ما يرويه بغير صيغة الجزم، مثل قوله: قيل، وروي، ويذكر، ونحو ذلك. كما يذكر بعض ما فيه ضعف في كتابه: «الأدب المفرد».

وهذا ما صنعتُه في بعض الأحيان، فإذا ذكرتُ حديثًا مثل: «تنظَّفوا فإن الإسلام نظيف» فهذا وإن كان ضعيفًا لا يثبتُ به حكم، فأمر النظافة ثابت بمُحكمات القرآن والسنة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الثانية: مرحلة التقليد للمتقدمين.

هناك أحاديث اعتمدتُ فيها على تصحيح أو تحسين المتقدِّمين من أئمة الحديث، وفقهاء السنة، وأعترف أني لم أناقشهم فيما صنعوا، بل كنتُ مُقلِّدًا لهم، ناقلًا عنهم، ولا غرابة أن يأخذ رجل الفقه عن رجل الحديث، فلم يوجد عالم أحاط خُبرًا بكل علم.

وهنا قد يظهر في الحديث علَّة يلحظُها المتأخِّر، غابت عن المتقدِّم، وكم ترك الأول للآخر!

مثال ذلك: أني اعتمدتُ على تحسين الحافظ ابن حجر لحديث: «**من حبس العنب أيام القطاف حتى يبيعه من يهودي أو نصراني، أو ممن يتخذه خمرًا، فقد تقحَّم النار على بصيرة**».

فقد ذكره في كتابه «بلوغ المرام من أدلة الأحكام»، وقال: رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن[1].

وابن حجر هو أمير المؤمنين في الحديث، ونادرة الدنيا في الحفظ والاستيعاب، فإذا قلَّدته أو قلَّده غيري، فليس بمَلُوم، وإذا استدرك عليه من بعدَه، فليس هو بمعصوم.

وقد رأيتُ العلَّامة الصنعاني قد شرح الحديث في «سبل السلام»، وسكت على تحسين الحافظ، كما ذكره العلَّامة صديق حسن خان في «الروضة النديَّة» وقال: «وإسناده حسن كما قال الحافظ، وأخرجه أيضًا البيهقي وزاد: «أو ممَّن يعلم أنه يتخذه خمرًا»، ويؤيِّده حديث أبي أمامة

(١) انظر: بلوغ المرام حديث رقم (٨٢٠)، تحقيق سمير بن أمين الزهري، نشر دار الفلق، الرياض، ط ٧، ١٤٢٤هـ.

QaradawiBooks.com

عند الترمذي أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تبيعوا القَيْنات ولا تشتروهن، ولا تعلِّموهنَّ، ولا خير في تجارة فيهن، وثمنهنَّ حرام**»[١]، وفي الباب أحاديث.

وأخرج مالك عن ابن عمر: أن رجالًا من أهل العراق قالوا: يا أبا عبد الرحمن، إنا نبتاع من ثمر النخل والعنب، فنعصره خمرًا، فنبيعها! فقال عبد الله بن عمر: إني أشهد الله عليكم وملائكته، ومَن سمع من الجن والإنس أني لا آمركم أن تبيعوها، ولا تبتاعوها، ولا تعصروها، ولا تسقوها، فإنها رِجْس من عمل الشيطان»[٢]، قال صديق حسن خان: وعليه أهل العلم[٣].

هذا ما غرَّني بالحديث المذكور، وجعلني أقبله تقليدًا، كما قلت، إذ كنت في مرحلة التقليد المُطْلق في الحديث، ولم أبدأ البحث في أمر الحديث، والخروج جزئيًّا من إسار التقليد فيه، إلا عندما بدأتُ أكتب في «فقه الزكاة».

ثم جاء العلَّامة الألباني، وبيَّن أن الحديث ضعيف جدًّا بسبب أحد رواته، وهو «الحسن بن مسلم المروزي التاجر». وقد ذكر الهيثمي الحديث في «مجمع الزوائد»، ونسبه إلى الطبراني في الأوسط، وقال: فيه عبد الكريم بن عبد الكريم، قال أبو حاتم: حديثه يدلُّ على الكذب[٤].

---

(١) رواه الترمذي في البيوع (١٢٨٢)، وقال: غريب. وضعَّفه الإشبيلي في الأحكام الوسطى (٢٤٩/٣)، ورواه أيضًا أحمد (٢٢٢٨٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف جدًّا.

(٢) رواه مالك (٣١٣٥)، تحقيق الأعظمي، والبيهقي (٢٨٦/٨)، كلاهما في الأشربة.

(٣) الروضة الندية (٩٩/٢)، نشر دار المعرفة.

(٤) مجمع الزوائد (٩٠/٤).

QaradawiBooks.com

حصر الحافظ الهيثمي آفة الحديث في عبد الكريم هذا.

والحافظ ابن حجر ترجم لعبد الكريم هذا في «لسان الميزان»، وذكر فيه قول أبي حاتم، ثم قال: وبقية كلامه لا أعرفه، وفي ثقات ابن حبان: عبد الكريم بن عبد الكريم البجلي، عن: عبد الله بن عمر، وعنه: جُبَارة بن المُغَلِّس: مستقيم الحديث. فالظاهر أنه هو، ولعل ما أنكره أبو حاتم من جهة صاحبه جُبَارة، ويؤيده أن أبا حاتم قال قبل ذلك: لا أعرفه[١].

قال الذهبي في «الميزان»: أتى بخبر موضوع في الخمر. قال أبو حاتم: حديثه يدلُّ على الكذب. وقال ابن حبان: أخبرنا محمد بن عبد الله بن الجنيد، ثنا عبد الكريم بن عبد الكريم (الأصل: عبد الله) السكري، ثنا الحسن بن مسلم التاجر... قلت: فذكر الحديث[٢].

وعلَّق الشيخُ الألباني على تحسينِ ابنِ حجر بقوله: وَهْم لا أدري من أين منشؤه، فإنه وَهْم فاحش من مثله[٣]!

والعجيب أني رأيت الحافظ ابن حجر ذكر الحسن بن مسلم المروزي ـ وهو آفة هذا الحديث ـ فذكر ما ذكره الذهبي في «الميزان» وكلام ابن أبي حاتم وابن حبان بالحرف! وسبحان من تفرَّد بالكمال.

---

(١) لسان الميزان (٢٥٦/٢). (٥٠/٤)، تحقيق دائرة المعارف النظامية، الهند، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، ط ٢، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧١م.

(٢) ميزان الاعتدال (٥٢٣/١)، تحقيق علي محمد البجاوي، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م.

(٣) انظر: غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام صـ ٥٥، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

QaradawiBooks.com

الثالثة: تضعيف الشيخ قابل للمناقشة.

الشـــيخ الألباني ـ في رأيي ـ هو أشـــهر علماء الحديث في عصرنا، وخصوصًا في فنِّ التخريج والتوثيق والتضعيف، ومع هذا ليست كلمته هي النهائية في كل حديـــث يُصَحِّحه أو يضعفه، فقـــد يخالفه غيره من علماء العصر، كالشيخ العلامة حبيب الرحمن الأعظمي، والشيخ شعيب الأرناؤوط، والشيخ عبد الفتاح أبو غدة وغيرهم.

ولا غرابة أن يخالفوه كما خالف هو من قبلـــه من الكبار في بعض الأحاديث، وقد يتَّخذ بعضهم نهجًا في التصحيـــح غير نهجه، كما كان العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فحكم الشـــيخ بتضعيف حديث: ليس هو الحُجَّة القاطعة، والكلمة الفاصلة.

بل أقول: إن الشـــيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد يضعِّـــف الحديث في كتاب، ويصحِّحه في كتاب آخر.

وهذا ما رأيتُه بالنســـبة لحديث: «**ما من مســـلمٍ يقتـــل عصفورًا فما فوقها، بغير حقِّها، إلا سأله الله** عَزَّ وَجَلَّ **عنها**». قيل: يا رسول الله، وما حقها؟ قـــال: «**يذبحها، فيأكلها، ولا يقطع رأسَـــها ويرمي بها**». رواه النســـائي والحاكم وقال: صحيح الإسناد من حديث عبد الله بن عمرو. فقد ضعَّفه في «تخريج الحلال والحرام» حديث رقم «٤٧».

ومثله حديث: «**من قتل عصفـــورًا عبثًا، عجَّ إلـــى الله يوم القيامة، يقول: يا رب إن فلانًا قتلني عبثًا، ولم يقتلني منفعة**» رواه النسائي وابن حبان فـــي صحيحه من حديث الشـــريد. وقد ضعفه الشـــيخ أيضًا في الحديث «٤٦».

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقد خالفته في تعليقي على الحديثين في كتابي «المنتقَى من الترغيب والترهيب» للإمام المنذري، فقلت عن حديث عبد الله بن عمرو: رواه النسائي. وقد قال الحافظ ابن حجر في «التلخيص» في تخريج حديث «مَنْ وَلِيَ القضاء، فقد ذُبح بغير سكين» الذي أعلَّه ابن الجوزي: كفاه قوة تخريج النسائي له، وقد رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي «٢٣٣/٤»، والحديث رواه أحمد أيضًا في المسند برقم «٦٥٥١» وبأخصر منه برقم «٦٥٥٠» وقال الشيخ شاكر: إسناده صحيح. وخالف هؤلاء جميعًا العلامة الألباني فضعَّف الحديث في تخريجه للحلال والحرام، بسبب رواية صهيب مولى ابن عامر الحذَّاء، بدعوى أنه مجهول، وقد ذكره ابن حبان في الثقات، وترجمه البخاري في الكبير، فلم يذكر فيه جرحًا، وفرَّق أبو حاتم بينه وبين أبي موسى الحذَّاء فترجم الأول، ولم يذكر فيه جرحًا، وقال عن الثاني: لا يعرف ولا يسمَّى. وهما عند غيره شخص واحد معروفٌ مُسمَّى، وفيه أن الثوري روى عن حبيب بن أبي ثابت عنه، وترجمه الذهبي في «الميزان»، فذكر أن بعضهم قوَّاه، وقد روى حديثه شعبة، على تشدُّده في الرجال.

والحديث رواه الطيالسي أيضًا في مسنده برقم «٢٢٧٩»، عن شعبة وابن عيينة، ورواه من طريقه البيهقي في السنن الكبرى «٢٧٩/٩»، والدارمي في سننه «٨٤/٢»، والحميدي في مسنده الحديث رقم «٥٨٧» بتحقيق حبيب الرحمن الأعظمي.

وقلت عن حديث الشَّريد: هو في النسائي «٢٣٩/٧» طبعة المطبعة المصرية بالأزهر، وفي موارد الظمآن «١٠٧١»، باب النهي عن الذبح لغير منفعة، ورواه أيضًا أحمد «٣٨٩/٤» وهذا الحديث يشهد للحديث قبله، وقد صحَّحه ابن حبان، وأقره المنذري، ولكن الألباني ضعفه أيضًا؛ لأنه

QaradawiBooks.com

من طريق عامر الأحول عن صالح بن دينار، بدعوى أن صالحًا مجهول، وعامرًا ضعيفٌ لسوء حفظه.

والأول ذكره ابن حبان في الثقات، وقد نقل الآجرِّي عن أبي داود ما يدل على أن معمرًا روى عنه أيضًا وكناه بـ «أبي شعيب». ولم يذكره الذهبي في الضعفاء.

والثاني ـ وهو عامر الأحول ـ ليَّنه أحمد، وقال النسائي: ليس بالقوي. وقال ابن معين: ليس به بأس. وقال أبو حاتم: ثقة لا بأس به. وقال ابن عدي: لا أرى برواياته بأسًا، وذكره ابن حبان في ثقات التابعين، وقال الساجي: يُحتمل لصدقه وهو صدوق «تهذيب التهذيب». ولخص هذا الحافظ في تقريبه، فقال: صدوق يخطئ. ولم يصفه بأنه كثير الخطأ أو فاحشه، ومثل هذا لا يرد حديثه بإطلاق، ولكن يُنتقَى منه، وهذا ما صنعه النسائي، فقد قال فيه: ليس بالقوي، وروى عنه في «مجتباه» الذي قالوا: إن شرطه فيه أقوى من شرط أبي داود والترمذي، وذكره الذهبي في الضعفاء فقال: ليَّنه أحمد وغيره، ووثَّقه أبو حاتم ومسلم، هذا وقد أخرج له مسلم في صحيحه فضلًا عن أصحاب السنن.

والعجيب أني رأيتُه بعد ذلك في الجزء الأول من كتابه: «صحيح الترغيب والترهيب» ذكر حديث عبد الله بن عمرو محكومًا عليه بالحسن! انظر الحديث رقم «١٠٨٤».

وهكذا سرعان ما يتغيَّر اجتهاد الشيخ في التصحيح والتضعيف، حتى أن هناك اختلافًا بين الطبعة الأولى من صحيح الجامع الصغير وزيادته، وضعيف الجامع الصغير وزيادته، وبين الطبعة الثانية منهما، فقد حدث نقل بعض الأحاديث من هذا الكتاب إلى ذاك، وبالعكس.

QaradawiBooks.com

وهذا لا يُنكر على الشيخ، بل يُذكر له ويُشكر؛ لأنه يرجع إلى الحق إذا تبيَّن له، بالعثور على طريق أخرى للحديث، أو الاطمئنان إلى راوٍ لم يكن مطمئنًّا إليه من قبل، أو ظهور علَّة قادحة في سند الحديث أو متنه، أو غير ذلك، والمقصود أن هذا المجال قابل للاجتهاد واختلاف الآراء، وقد يتنبَّه المفضولُ إلى ما يفوت الفاضلَ.

الرابعة: تضعيف حديثٍ ما لا يسقط القضية كلها:

كثيرًا ما أذكر الحديث ـ في مسألة من المسائل ـ من باب تضافر الأدلة، فلا يكون هو العمدة، بل يكون العمدة آية أو حديثًا آخر صحيحًا أو حسنًا، أو قاعدة من القواعد الكلية، والحديث تقويةٌ وتعضيدٌ، فهو مؤكِّد، لا مؤسِّس.

فإذا نظرنا إلى الحديث الذي رواه الدارقطني: «**إن الله فرض فرائض فلا تضيِّعوها، وحد حدودًا فلا تعتدوها، وحَرَّم أشياءً فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها**»[(١)].

وقد حكم الشيخ بضعفه، برغم تحسين النووي له، ونظمه في سلك «الأربعين» النووية الشهيرة، فهذا لا يضرُّ بالقضية التي سِيق من أجلها، وهي: أن الأصل في الأشياء الإباحة.

فليس هذا الحديث هو العمدة في إرساء هذا الأصل، بل العمدة فيه آيات محكمة، وأحاديث لا مرية في صحتها، مثل حديث: «**ما أحل الله فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو**»[(٢)].

(١) سبق تخريجه صـ٢٨.

(٢) سبق تخريجه صـ٢٨.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فضعْفُ الحديث المذكور لا يعني سقوط القضية كلها، كما قد يتوهَّم المتعجِّلون.

وفي موضوع مثل موضوع الاحتكار، ذكرت عدة أحاديث في ذم الاحتكار وأهله، العمدة فيها هو الحديث الذي رواه مسلم: «**لا يحتكر إلا خاطئ**»[١] فلا يضره بعد ذلك ذكر أحاديث أخرى فيها ضعف أو لين، مثل: «**من احتكر طعامًا أربعين يومًا، فقد برئ من الله، وبرئ الله منه**»[٢].

على أن هذا الحديث الذي ضعَّفه الشيخ، قد حسَّنه الحافظ ابن حجر في «الفتح»، وفي «القول المسدد في الذبِّ عن مسند أحمد»، ونقله السيوطي في «اللآلئ المصنوعة».

الخامسة: تضعيف حديث بسندٍ ما، أو لفظٍ ما، لا يعني تضعيف المتن:

الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ قد يُضعِّف الحديث بلفظه المذكور، ولكن معناه صحيح أو حسن بلفظ آخر، أو عند مخرِّج آخر، أو عن صحابي آخر.

وقد يشير الشيخ إلى ذلك أحيانًا، وبذلك يُفيد القارئ، وأحيانًا لا يشير.

مثال ذلك: حديث رقم «٣٤٧» كان النبي ﷺ يستعيذ بالله من الدَّين ويقول: «**اللهم إني أعوذ بك من غَلَبة الدَّين وقهر الرجال**».

حكم الشيخ بضعفه من حديث أبي سعيد الخدري عند أبي داود، ومن وقف عند كلمة «ضعيف» في تخريج الشيخ، يظن أنها حُكم نهائي

(١) سبق تخريجه صـ٣١٨.

(٢) سبق تخريجه صـ٣١٨.

QaradawiBooks.com

على الحديث، على حين أنه نبَّه في النهايــة على أن الحديث صحيح، رواه البخاري عــن أنس، مع خلاف طفيــف في الألفــاظ، قال: كنت أسمعه ﷺ يكثر أن يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الهم والحَزَن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضِلَع الدَّيْن، وغلبة الرجال**»[١].

هذا مع أنه حين خرَّج حديث «٣٧٤»: كان يقــول: «**اللهم إني أعوذ بك من الهم والحَزَن**»[٢]. قال فــي تخريجه: صحيح، ثم بيَّن أنه صحيح عند البخاري، لا عند أبي داود، وهو جزء من الحديث السابق!!

السادسة: عمل المحدِّث وعمل الفقيه:

الشيخ الألباني ليس مجرَّد محدّث محايد، يكتفي بتخريج الحديث، والحكم عليه، تصحيحًا أو تضعيفًا، وينتهي دوره، ولكنه رجل له آراؤه وفقهه الخاص، وهذا ينضح على تخريجه شــاء أم أبى، كما أنه يتدخل أحيانًــا، مُعلِّقًــا علــى رأي المؤلف وترجيحاتــه، بما يتَّفــق ورأيه هو وترجيحه، كما فعل في موضوع الغناء بآلة وبغير آلة. وهذا التدخُّل منه أَوْصَلُ بعمل الفقيه منه بعمل المحدِّث، وقد اقتضى ذلك أن أؤلِّف كتابًا كاملًا في الموضوع، مناقشًا أدلة المبيحين والمحرِّمين، ومرجِّحًا ما أراه أقوى دليلًا، وأقوم قيلًا[٣].

السابعة: أنني اجتهدت في هذه الطبعة أن أختار من النصوص النبوية ما لا خلاف فيه بين المحدِّثين، فأقدم رواية الشــيخين أو أحدهما على غيرهمــا، وكذلك إن صحَّ الحديــث من طريق غير الــذي أتيتُ به في

(١) رواه البخاري في الدعوات (٢٨٩٣).
(٢) رواه أبو داود في الصلاة (١٥٥٥).
(٣) بعنوان: فقه الغناء والموسيقى في ضوء القرآن والسنة.

QaradawiBooks.com

الطبعات السابقة: آثرت الرواية الصحيحة، خروجًا من الخلاف، وإيثارًا للفاضل على المفضول. كما بيَّنت في هذه الطبعة ـ قدر الجهد ـ ما وافقتُ فيه بعض المحدِّثين من المتقدِّمين والمعاصرين، خلافًا لاجتهاد الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

هذه بعض الملاحظات المهمة واللازمة على تخريج المحدِّث الشيخ ناصر الدين الألباني، على ما له من فضل لا يُنكر، أضعها أمام الذين رأوا كتابه وتساءلوا عمَّا ضعَّفه من أحاديث.

والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الردُّ على كتاب الشيخ الفوزان

لقد طالعت ما كتبه الشيخ صالح بن فوزان الفوزان في طبعته الأولى لكتاب «الإعلام بنقد كتاب الحلال والحرام»، وكان إذ ذاك من شباب علماء المملكة[١]، فأثار ضجَّة بما كتبه في الصحف، وأصدره في كتابه. وعندي منه طبعة قديمة، لم يسجَّل عليها تاريخ الطبع[٢].

وهو يمثل وجهة النظر السلفية في المسائل الخلافية المعروفة من قديم، مثل تغطية وجه المرأة: هل هو واجب أو لا؟ وحكم خروج المرأة للتعلُّم والعمل، وحكم الغناء بآلةٍ وبغير آلة، وحكم التصوير الزَّيْتي والفوتوغرافي، وحكم الشِّطْرنج، وحكم حلق اللحية، وحكم دخول السينما والمسرح، وحكم التدخين، وموادَّة غير المسلمين.. إلى غير ذلك، مما تتفاوت فيه فتاوى المفتين، بين مُيسِّر ومُعسر، وبين من يميل إلى الظاهر، ومن يرجِّح الالتفات إلى المقاصد.

وقد عَنْوَنَ للكتاب أولًا بـ «الإعلام ببيان أخطاء الشيخ القرضاوي في كتاب الحلال والحرام».

---

(١) وهو الآن عضو اللجنة الدائمة للإفتاء، وعضو هيئة كبار العلماء في السعودية.

(٢) طبع تقريبًا سنة ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وفي المقدمة قال: فقد اطلعت على كتاب ألفه فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي... فاقتضى واجب النصيحة وحب التعاون على البر والتقوى أن ننبه على تلك الأخطاء، لعل المؤلف يعيد النظر... حتى تتمَّ الفائدة بكتابه، ويحصل على الأجر والثواب.

وفي خاتمة كتابه: ونسأل الله لنا وللمؤلف ولجميع المسلمين التوفيق للعلم النافع، والعمل الصالح.

وقد شرع يبيِّن ما يرى أنه أخطاء وَفْق منهجه، وطريقته في الاستدلال على بعض الآراء، وكأنه امتلك ناصية الحكم والترجيح، وأنَّ أيَّ قول خالف اجتهاده، وإن شئت فقل: تقليده؛ فهو نوع من الضلال، وضرب من الخروج على الشريعة!!

والحق أنني قد أعرضتُ عن الرد عليه وعلى غَيْره فترةً من الزمن؛ حيث إنني أرى أن الوقت أثمن من ذلك، والعمر أغلى من أن يضيع في مناقشات، لا طائل من ورائها إلا الخصومة؛ إذ إن أصحاب هذا الفكر جامدون على آرائهم، غير مستعدِّين إلى التزحزح عنها قِيدَ أنملة، مع أنَّ الحق قديم، والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل.

وقلتُ في نفسي: لعل حماسة الشباب سرعان ما تهدأ، وجذوة الحميَّة سرعان ما تنطفئ إذا التقتْ برشد المعرفة، وسعة الاطلاع، وتقدير حاجات الناس.

وكنت أظنُّ أن السنين ـ إن لم تكن الأيام ـ كفيلة بمراجعة الشيخ نفسه، والرجوع عن الكثير مما قال به، ولكني وجدتُ غير ذلك.

ففي طبعة حديثة من الكتاب ١٤٢٤هـ. حذف اسم «الشيخ القرضاوي» من عنوان الكتاب. ثم جاءت مقدِّمته بهجوم لاذع بقوله: لكن للأسف

QaradawiBooks.com

نجد بعض مثقفينا وحَمَلة الأقلام منا... راحوا يروِّجون لكثير من الأباطيل الوافدة، ويلتمسون لها المسوِّغات ولو على حساب الدين، فصاروا يبحثون عن الأقوال الشاذة وأغلاط المجتهدين؛ ليقيموا منها مستندًا لهم فيما يفعلون.

ومن هذا الصنف صاحب كتاب «الحلال والحرام»... وقد نبَّهت على سقطاته في هذه الرسالة.

وفي صُلب الرسالة عبارات مثل: ما هذا التناقض من المؤلف والتردد؟

فوجدت أن الزمن لا يزيد الشيخ الفوزان إلا حِدَّة، وأنَّ الاطلاع لا يضيف إليه إلا تمسُّكًا برأيه، وإيغالًا في التهجُّم، ورغبة في التقوقع.

فعزمت على إخراج هذه الطبعة من «الحلال والحرام»، وحرصت على أن تكون مذيَّلة بالملاحق التي أردُّ فيها على المخالفين، لا بلسان التَّصيُّد والتجنِّي، وإنما بلسان البرهان والدليل.

وما دفعني إلى ذلك مع كثرة الانشغال، وضيق الوقت، وتعدد الاهتمامات، إلا الخشية من أن تنطلي تلك الادِّعاءات على كثير من شباب الصحوة المباركة، الذين اتَّخذوا الاعتدال طريقًا، والوسطية منهجًا، والدليل قائدًا. والذين هجروا كهوف التقليد، وتحرَّروا من سلطان الحكم بلا دليل.

لقد أطال الشيخ الفوزان في ملاحظاته، وتكلَّف الكثير، ليُظهر أن الكتاب به أخطاء كثيرة، مع أن الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قد اطَّلع على الكتاب، وعلى رسالته هذه، فلم يقرَّه فيها إلا على بضع مسائل يسيرة، وهي أمام البحث لا تخرج عن كونها رأيًا من آراء العلماء، واجتهادًا دعا إليه بعض الفقهاء.

QaradawiBooks.com

من هذه المسائل:

١ ـ موادَّة غير المسلمين:

من المسائل الثمانية التي طلب مني سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن أتراجع عنها: مسألة «موادَّة غير المسلمين»، وقد أطال في الردِّ على هذه المسألة الشيخ الفوزان[١] من علماء المملكة السعودية، معارضًا ذلك بآية قد ذكرتها، وهي قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وهو يرى عدم جواز استخدام لفظ «موادَّة»، وأن الأولى استبداله بلفظ «البر» أو «الصلة» كما قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

وظلَّ يردد أن الآيات التي تتحدَّث عن البر بالمشركين والإحسان إليهم: قد نسختها آية السيف!

وقد رددتُ على القائلين بآية السيف في كتابي «فقه الجهاد»، فأغنى عن التكرار هنا[٢].

والحق أنَّ هذا القول أو ذلك الخلط إنما نشأ عن الفهم السطحي المتعجِّل لنصوص بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

ومن الأمثلة البارزة لهذه النصوص: الآيات التي جاءت تنهى عن موالاة غير المؤمنين، وهي كثيرة في القرآن الكريم، وذلك كقوله تعالى

(١) الإعلام لصالح بن فوزان صـ ٨ ـ ١٠، بدون بيانات.

(٢) انظر: فقه الجهاد (٢٨٥/١ ـ ٣٣٤)، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٣، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م.

غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

في سورة آل عمران: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وقال تعالى في سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٤٤].

وقبل ذلك بآيات: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۙ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٨، ١٣٩].

وفي سورة المائدة يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۙ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ [المائدة: ٥١، ٥٢].

وفي سورة التوبة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [التوبة: ٢٣].

وفي سورة المجادلة: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وفي سورة الممتحنة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: ١].

غير مرخصة للطباعة
نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

وفي السورة نفسها يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٩].

فهم بعض الناس من هذه الآيات وأمثالها أنها تدعو إلى الجفوة والقطيعة والكراهية لغير المسلمين، وإن كانوا من أهل دار الإسلام، والموالين للمسلمين، والمخلصين لجماعتهم.

والحق أن الذي يتأمَّل الآيات المذكورة تأمُّلًا فاحصًا، ويدرس تواريخ نزولها وأسبابه وملابساته، يتبيَّن له ما يأتي:

أولًا: أنَّ النهي إنما هو عن اتِّخاذ المخالفين أولياءً بوصفهم جماعة متميِّزة بديانتها وعقائدها وأفكارها وشعائرها، أي بوصفهم يهودًا أو نصارى أو مجوسًا أو نحو ذلك، لا بوصفهم جيرانًا أو زملاء أو مواطنين. والمفروض أن يكون ولاءُ المسلم للأُمَّة المسلمة وحدها، ومن هنا جاء التحذير في عدد من الآيات من اتخاذهم أولياء: ﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾. أي أنه يتودد إليهم ويتقرَّب لهم على حساب جماعته.

ولا يرضى نظام دينيٌّ ولا وضعيٌّ لأحدٍ من أتباعه أن يدعَ جماعته التي ينتسب إليها، ويعيش معها، ليجعل ولاءه لجماعة أخرى من دونها. وهذا ما يُعبَّر عنه بلغة الوطنية بالخيانة.

ثانيًا: أنَّ الموادَّة التي نهتْ عنها الآيات ليست هي مُوَادَّة أيِّ مخالفٍ في الدين، ولو كان سِلمًا للمسلمين وذمةً لهم، إنما هي موادَّة من آذى المسلمين وحادَّ الله ورسوله.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وممَّا يدلُّ على ذلك:

(أ) قوله تعالى في سورة المجادلة: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]. ومُحادَّة الله ورسوله ليست مجرد الكفر بهما، بل محاربة دعوتهما، والوقوف في وجهها، وإيذاء أهلها.

(ب) قوله تعالى في مُستهَلِّ سورة الممتحنة: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ [الممتحنة: ١]. فالآية تعلِّل تحريم الموالاة، أو الإلقاء بالمودَّة إلى المشركين بأمرين مجتمعين: كفرهم بالإسلام، وإخراجهم للرسول والمؤمنين من ديارهم بغير حق.

(ج) قوله تعالى في نفس السورة: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

فقسَّم المخالفين في الدين إلى فريقين:

فريق كان سلمًا للمسلمين لم يقاتلوهم في الدين، ولم يخرجوهم من ديارهم، فهؤلاء لهم حق البر والإقساط إليهم.

وفريق اتَّخذوا موقف العداوة والمُحَادَّة للمسلمين ـ بالقتال أو الإخراج من الديار، أو المظاهرة والمعاونة على ذلك ـ فهؤلاء يحرم موالاتهم. مثل مشركي مكة الذين ذاق المسلمون على أيديهم الوَيْلات. ومفهوم هذا النص أنَّ الفريق الآخر لا تحرم موالاته.

ثالثًا: أنَّ الإسلام أباح للمسلم التزوُّج من أهل الكتاب، والحياة الزوجيَّة يجب أن تقوم على السكون النفسي والمودة والرحمة، كما دلَّ على ذلك القرآن في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ

QaradawiBooks.com

﴿أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]. وهذا يدل على أن مودَّة المسلم لغير المسلم لا حرج فيها، وكيف لا يوادُّ الرجل زوجته إذا كانت كتابية؟! وكيف لا يوادُّ الولد جده وجدته وخاله وخالته إذا كانت أمه ذِمِّيَّة؟! بل كيف لا يودُّ الولد أمَّه إذا كانت ذمية؟!

رابعًا: أنَّ الحقيقة التي لا شك فيها أنَّ الإسلام يؤكِّد إعلاء الرابطة الدينية على كل رابطة سواها، سواء أكانت رابطة نَسَبية أم إقليمية أم عنصرية أم طبقية، فالمسلم أخو المسلم، والمؤمنون إخوة، والمسلمون أُمَّة واحدة، يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يدٌ على من سواهم. والمسلم أقرب إلى المسلم من أي كافر، ولو كان أباه أو ابنه أو أخاه.

وهذا ليس في الإسلام وحده؛ بل هي طبيعة كل دين، وكل عقيدة، ومن قرأ الإنجيل وجده يؤكِّد هذا المعنى في أكثر من موقف.

٢ ـ التدخين:

من المسائل الثمانية التي طلب مني سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن أتراجع عنها: مسألة «التدخين»، وهي من مؤاخذات الشيخ الفوزان أيضًا[1].

وهذه المسألة من المسائل التي لم يُفهم موقفي فيها جيدًا، فأنا من المشدِّدين فيه، وقد رجَّحت تحريمه في الكتاب بوضوح، إنما وَهِمَ من وَهِمَ في ذلك؛ لأني قلت في حكم زراعته: حكم الزراعة مبني على حكم التدخين، فمن حرَّم تناوله حرَّم زراعته، ومن كرِه تناوله كرِه زراعته.

وهذا ليس تراجعًا عن التحريم.

---

(١) الإعلام صـ ١٠ ـ ٢٣.

QaradawiBooks.com

وأنا لم أقل بجواز التدخين ولا بكراهته، بل لم يفهم مني القول بذلك، فأنا من المشدِّدين في أمر التدخين، ولي في ذلك فتوى مطوَّلة في تحريمه[١]. وأرى أنَّ اختلاف اجتهاد الفقهاء في هذه المسألة يرجع إلى حداثته، وعدم وجود حكم سابق فيه للفقهاء المجتهدين، ولا مَنْ بعدهم من أهل التخريج والترجيح في المذاهب، وإلى عدم تصورهم لحقيقته ونتائجه تصوُّرًا كاملًا مبنيًّا على دراسة علمية صحيحة.

فاختلافهم في إصدار حكم شرعيٍّ في استعماله، ليس منشؤه في الغالب اختلاف الأدلة؛ بل الاختلاف في تحقيق المناط.

أعني أنهم متَّفِقون على أن ما يثبت ضرره على البدن، أو العقل، أو النفس: يحرم تعاطيه، ولكنهم مختلفون في تطبيق هذا الحكم على الدخان.

وقد ذكرت أدلة القائلين بالتحريم والكراهة والإباحة والمتوقفين. ولعلَّ أعدل ما ذُكر فيه ما قاله شيخنا الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر رَحِمَهُ اللَّهُ مع أنه ممَّن ابتُلُوا به، حيث اعتاده في عهد الشباب، ولم يستطع التحرُّر من سلطانه؛ ولكنه لإنصافه رجَّح القول بالتحريم، إعمالًا لعلل الأحكام وقواعد التشريع العامَّة[٢].

٣ ـ حكم إعفاء اللحية:

انتقد الفوزان[٣] القول بكراهة حلق اللحية، وتمسَّك بأن معنى إعفائها: ألَّا يأخذ منها شيئًا، ثم نقل قول النووي بأن ظاهر ألفاظ الروايات في اللحية تعني تركها على حالها.

---

(١) انظر كتابنا: فتاوى معاصرة (٦٥٤/١ ـ ٦٦٩)، نشر دار القلم، الكويت، ط ٩، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

(٢) الفتاوى للشيخ محمود شلتوت صـ ٣٨٣ وما بعدها.

(٣) الإعلام صـ ٢٥ ـ ٣١.

QaradawiBooks.com

ثم ذكر تضعيف حديث الترمذي في الأخذ من طول اللحية وعرضها، وقال: هذا حديث لا تقوم به حجة؛ لأنه ضعيف جدًّا، ونقل ذلك عن البخاري والنووي وابن حجر.

ولم يرَ في أثر ابن عمر أنه كان إذا حجَّ أو اعتمر قبض على لحيته، فما فضل أخذه دلالةً على الأخذ من اللحية مطلقًا، وإنما يفعله ابن عمر إذا أدى نُسُكًا: حجًّا أو عمرة!!

وطالب الفوزان بدليل على ما نقل عن السلف المعتبَرين من أخذ شيء من لِحَاهِم.

ثم نقل عن ابن حزم في «مراتب الإجماع» أن حلق جميع اللحية مُثْلَة لا تجوز.

ونقل عن ابن تيمية: تحريمَ حلق اللحية للأحاديث الصحيحة، ولأنه لم يُبِحْه أحد.

كما انتقد قياس الأمر بإطلاق اللحية على الأمر بصبغ الشيب، في أنَّ كلًّا منهما يفيد الاستحباب؛ جاعلًا العلة في إعفاء اللحية كونها من خصال الفطرة، كما في الحديث الصحيح، مع مخالفة الكفار.

كما أنَّ الصحابة والتابعين ومن بعدهم لم يختلفوا في مدلول الأمر بإعفاء اللحية، وقد اختلفوا في مدلول الأمر بصبغ الشيب.

ونقل قصة قيس بن سعد ـ وكان أمرد لا لحية له ـ حين قالتْ الأنصار: فوالله لو كانت اللحية تُشْترى بالدراهم لاشترينا له.

وكذلك نقل ما قرَّره العلماء فيمن جُنِي على لحيته فتساقط شعرها ولم ينبت: أن على الجاني دِيةً كاملة، فكيف يقال بعد هذا: إن حلقها ليس بحرام.

QaradawiBooks.com

وفي ردِّ الآثار عن بعض السلف أنهم كانوا يأخذون من لِحَاهِم، قال: الحجة فيما ثبت عن النبي ﷺ لا فيما خالفه.

الرد على ذلك:

لا شك أن الشيخ الفوزان يريد أن يختزل الإسلام في بعض القضايا التي اختلف فيها السلف والخلف، فيؤْثر أن يُقيم معركة في غير ما ضرورة، وأن يُقاتل في غير ميدان، مع أن أولويات العمل الإسلامي تقتضي بذل الجهد، وإفراغ الطاقات، فيما هو أولى من هذا.

ولكن المناقشة العلمية الهادئة التي تبيِّن أنَّ الأمر ليس بهذا التشنُّج، وأن التحريم ليس بهذه السهولة، مما يقتضي أن نبيِّن وجه المسألة:

أولًا: الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين في الأخذ من اللحية:

كان ابن عمر إذا حجَّ أو اعتمر قبض على لحيته، فما فضل أخذه[١].

قال ابن حجر: الذي يظهر أنَّ ابن عمر كان لا يخصُّ هذا التخصيص بالنُّسُك، بل كان يحمل الأمر بالإعفاء على غير الحالة التي تتشوَّه فيها الصورة بإفراط طول شعر اللحية أو عَرْضه[٢].

قال ابن عبد البر: جائزٌ أن يأخذ الرجل من لحيته، وذلك إن شاء الله كما قال مالك: يؤخذ ما تطاير منها وطال وقبُح[٣].

قال الباجي: «يريد أنه كان يقُصُّ منها مع حلق رأسه، وقد استحبَّ

(١) رواه البخاري (٥٨٩٢) في اللباس.
(٢) فتح الباري (٣٥٠/١٠).
(٣) الاستذكار (٣١٨/٤).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ذلك مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ ؛ لأن الأخْذ منها على وجه لا يُغيِّر الخِلْقة من الجمال، والاستئصال لها مُثْلة»[١].

وعن جابر: كنا نُعفي السِّبَال إلا في حَجٍّ أو عمرة[٢].

وكان أبو هريرة يقبض على لحيته، ثم يأخذ ما فضل عن القبضة[٣].

في تفسير التفث في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ ﴾ [الحج: ٢٩]. قال ابن عباس: التفث: الرمي والذبح والحلق والتقصير، والأخذ من الشارب والأظفار واللحية[٤].

وكان القاسم إذا حلق رأسه أخذ من لحيته وشاربه[٥].

وعن إبراهيم النخعي: كانوا يأخذون من جوانبها وينظِّفُونها. يعني اللحية[٦].

ثانيًا: حكم مخالفة غير المسلمين:

مبدأ المخالفة لغير المسلمين في الهيئة والصورة مأمور به في الشرع لتحقيق استقلاليةِ شخصيةِ المسلم، والأصل فيه: أن تحقيق تلك المخالفة حاصل بمفارقة دينهم، ونبذ عقائدهم وأخلاقهم الخارجة عن منهج العدل.

---

(١) شرح الموطأ (٣٢/٣)، نشر مطبعة السعادة، مصر، ط١، ١٣٣٢هـ.
(٢) رواه أبو داود في الترجل (٤٢٠١)، وحسن إسناده ابن حجر في فتح الباري (٣٥٠/١٠).
(٣) رواه ابن أبي شيبة في الأدب (٢٥٩٩٢).
(٤) رواه ابن أبي شيبة في الحج (١٥٩١٧).
(٥) رواه ابن أبي شيبة في الأدب (٢٥٩٩٦).
(٦) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٦٠١٨).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

على أنَّ مشابهة الكفار في الهيئة والصورة على درجتين:

الأولى: مشـــابهة مقترنة بالقَصْد، وهي محرَّمة لقوله ﷺ: «**من تشبَّه بقومٍ فهو منهم**»[(١)]. والتشـــبه تَفَعُّل، وهو دال بنفســـه علـــى إرادة الفعل والقصد إليه.

والثانية: مشـــابهة مجرَّدة عن القصْد، فهذه لا تُسَـــمَّى تشبهًا؛ لانتفاء إرادة ذلك. قال ابن تيمية: «فأما من فعل الشـــيء واتفـــق أن الغير فعله أيضًا، ولم يأخذه أحدهما عن صاحبه، ففي كون هذا تشبُّهًا نظرٌ؛ لكن قد يُنهى عن هذا، لئلا يكون ذريعة إلى التشبُّه»[(٢)].

ثالثًا: الأمر لا يُراد به الوجوب دائمًا:

من المعلوم عند علماء الأصول والعربية أنَّ الأمر يأتي لمعانٍ شتَّى، ومن بينها الوجوب، ولكنه ليس قاصرًا على ذلك، وللتدليل على ذلك يمكن مطالعـــة أحد كتب الأصـــول، مثل كتاب «البحر» للزركشـــي في مبحث دلالة الأمر.

ومن النماذج التي أتى فيها الأمر بمخالفة أهل الكتاب، وحمل على الاستحباب:

١ ـ صبغ الشِّيب: «**إنَّ اليهود والنصارى لا يصبغون، فخالفوهم**»[(٣)].

والشـــيب صورة وهيئة، ليس للإنسان فعلٌ في كسْـــبِها؛ لذا لا يقع التشبُّه بأهل الكتاب بمجرد وجوده.

---

(١) سبق تخريجه صـ١٢٨.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (٢٧١/١).

(٣) سبق تخريجه صـ١٢٦.

QaradawiBooks.com

وقد جاء النقل عن أصحاب النبي ﷺ أنهم كانوا يصبغون، ويتركون.

٢ ـ الصلاة في النعال: «**خالفوا اليهود، فإنهم لا يصلون في نعالهم، ولا خفافهم**»[١]. وهذا حكم على سبيل الاستحباب، لا على سبيل الوجوب.

كما أن مخالفة المشركين لا تعني دائمًا الإلزام بذلك، ومن ذلك أَكْلَة السَّحَر، فقد قال ﷺ: «**فَصْلُ ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب: أَكْلة السَّحر**»[٢].

فهذه الصورة من العمل مطلوبة مستحبَّة، وليست بواجبة، ومن لم يأكل أَكْلَة السَّحَر، فصيامه صحيح، ولا إثم عليه؛ لأنه لم يخالف أهل الكتاب في هذا.

وهذه الأوامر جميعها خرجت مخرجًا واحدًا لِعلَّة واحدة هي مخالفة أهل الكتاب والمشركين، فلا يصح أن تكون كلها مندوبة إلا اللحية فواجبة.

رابعًا: آراء المذاهب الفقهية في المسألة:

لا ندَّعي كما ادَّعى الشيخ الفوزان: أنَّ المسألة عليها إجماع الفقهاء، وأنَّ من شذَّ عن رأيه ـ أو قُلْ رأي مَن يتبعه ـ يصير خارجًا عن تعاليم الإسلام، واقعًا في الإثم، ولكننا نريد أن نوضِّح أن من علماء المذاهب المختلفة من لم يرَ أن الحُكْم في المسألة هو التحريم، بل الكراهة كما أوضحت في كتابي.

---

(١) رواه أبو داود في الصلاة (٦٥٢)، والبزار (٣٤٨٠)، وابن حبان في الصلاة (٢١٨٦)، وقال الأرناؤوط: صحيح. والحاكم في الصلاة (٢٦٠/١) وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، عن شداد بن أوس.

(٢) رواه مسلم في الصوم (١٠٩٦)، وأحمد (١٧٧٦٢)، عن عمرو بن العاص.

QaradawiBooks.com

١ ـ من الحنفيَّة:

قال ابن الهُمَام: يحمل الإعفاء على إعفائها مـــن أن يأخذ غالبها أو كلها، كما هو فعل مجوس الأعاجم من حلق لحاهم[١].

وقال ابن عابدين: وفي «المجتبى» و«الينابيع»: لا بأس بأخذ أطراف اللحية إذا طالت[٢].

٢ ـ ومن المالكية:

قال عياض: وكُره قصُّها وحلقها وتحريقهـــا، وقد جاء الحديث بذم ذلـــك... وأما الأخذ مـــن طولها وعرضها فحَسَـــنٌ، وتكره الشُّـــهْرة في تعظيمها وتخليتها، كما تُكره في قصها وجزِّها[٣].

وقال القرطبي: فأما أخذ ما تطاير منها، وما يشوِّه ويدعو إلى الشهرة طولًا وعرضًا فحسن عند مالك وغيره من السلف[٤].

قال الشيخ علي محفوظ: مذهب السادة المالكية حُرمة حلق اللحية، وكذا قصُّها إذا كان يحصـــل به مُثْلة، أما إذا طالـــت قليلًا، وكان القصُّ لا يحصل به مُثْلة، فهو خلاف الأولى أو مكروه[٥].

---

(١) فتح القدير للكمال ابن الهمام (٣٤٨/٢)، نشر دار الفكر، والبحر الرائق لابن نجيم (٣٠٢/٢)، نشر دار الكتاب الإسلامي، ط٢.

(٢) حاشية ابن عابدين (٤١٨/٢)، نشر دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٦٣/٢)، تحقيق د. يحيى إسماعيل، نشر دار الوفاء، مصر، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٥١٢/١، ٥١٣)، تحقيق محيي الدين ديب مستو وآخرين، نشر دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

(٥) الإبداع في مضار الابتداع صـ ٣٨٤، نشر مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

QaradawiBooks.com

وقال العلامة الزرقاني في شرح الموطَّأ: في شرحه لحديث ابن عمر: إن رسول الله أمر بإحفاء الشوارب وإعفاء اللحى، قال: «أمر» ندبًا. وقيل: وجوبًا[١]. مما يشير إلى اختياره الندب، والإشارة إلى الخلاف في المسألة.

٣ ـ الشافعية:

قال الخطَّابي: وأما إعفاء اللحية، فهو إرسالها وتوفيرها، كُرِهَ لنا أن نقصَّها، كفعل بعض الأعاجم... فنَدَبَ النبيُّ ﷺ أمَّته إلى مخالفتهم في الزي والهيئة[٢]. هكذا بلفظ «ندب».

وعدَّ الغزالي والنووي من الخصال المكروهة في اللحية «نتفها في أول طلوعها وتخفيفها بالموسى إيثارًا للمرودة واستصحابًا للصبا»[٣].

٤ ـ الحنابلة:

قال ابن مفلح: ذكر ابن حزم الإجماع أن قصَّ الشارب وإعفاء اللحية فرض، وأطلق أصحابنا وغيرهم الاستحباب[٤].

وقال في موضع آخر: ويسنُّ أن يُعفي لحيته[٥].

---

(١) شرح الزرقاني على موطأ مالك (٥٢٩/٤)، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

(٢) معالم السنن (٣١/١)، نشر المطبعة العلمية، حلب، ط١، ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢م.

(٣) إحياء علوم الدين (١٤٣/١)، والمجموع شرح المهذب (٢٩١/١)، نشر دار الفكر، وشرح مسلم للنووي (١٤٩/٣، ١٥٠).

(٤) الفروع لابن مفلح (١٥١/١)، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

(٥) الآداب الشرعية (٣٢٩/٣).

QaradawiBooks.com

٥ ـ الظاهرية:

قال ابن حزم في مراتب الإجماع: واتفقوا أن حلق جميع اللحية مُثْلة لا تجوز[١].

خامسًا: مناقشة حديث خصال الفطرة:

أراد الفوزان أن يؤكِّد على أمر الوجوب في إطلاق اللحية وعدم المَساس بها، فلما شعر أن علة مخالفة المجوس غير كافية، شفع ذلك بكونها من خصال الفطرة، التي يجب على المسلم التقيُّد بها، واعتمد في ذلك على حديث عائشة عند مسلم: «**عشر من الفطرة...**» وفيه: «**وإعفاء اللحية**».

والحديث رواه مسلم في صحيحه، وأحمد، وأصحاب السنن، وحسنه الترمذي[٢].

وهذا الحديث قد أعلَّه طائفة من النُّقاد بعلَّتَيْن:

١ ـ ضعف مصعب بن شيبة (أحد رواة الحديث)

قال أحمد: مصعب بن شيبة: أحاديثه مناكير، منها هذا الحديث[٣]، وحديث عشر من الفطرة[٤].

وقال النسائي: مُصعَب منكر الحديث.

---

(١) مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات صـ ١٥٧، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) رواه مسلم في الطهارة (٢٦١)، وأحمد (٢٥٠٦٠)، وأبو داود في الطهارة (٥٣)، والترمذي في الأدب (٢٧٥٧)، والنسائي في الزينة (٥٠٤٠)، وابن ماجه في الطهارة (٢٩٣).

(٣) يعني حديث الوضوء من الحجامة، رواه أحمد (٣٤٨)، وقال مخرجوه: إسناده ضعيف، لضعف مصعب بن شيبة.

(٤) الضعفاء الكبير للعقيلي (٤/١٩٦، ١٩٧)، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

QaradawiBooks.com

وقال أبو حاتم الرازي: لا يحمدونه، وليس بقوي.

وقال ابن سعد: كان قليل الحديث[١].

وقال الدارقطني: ليس بالقوي، ولا بالحافظ[٢].

٢ ـ مخالفته للثقات:

من مباحث العلل التي تنبَّه لها نقَّاد الحديث عدم الاغترار بكون الراوي ثقة حتى يجمع إلى ذلك عدم الشذوذ، أو المخالفة.

فقد ذكره النسائي من طريق مصعب بن شيبة مرفوعًا.

ثم رواه من طريق سليمان التيمي، وجعفر بن إياس، عن طلق بن حبيب قوله.

ثم قال: وحديث سليمان التيمي وجعفر بن إياس أوْلى بالصواب من حديث مصعب بن شيبة، ومصعب بن شيبة منكر الحديث[٣].

وتعقب الدارقطني مسلمًا في تصحيح هذا الحديث، فقال: خالفه رجلان حافظان: سليمان وأبو بشر، فروياه عن طلْق بن حبيب من قوله[٤].

وقال في العلل: وهما أثبت من مصعب بن شيبة، وأصحُّ حديثًا[٥].

---

(١) ذكر هذه الأقوال الثلاثة الحافظ المزي في تهذيب الكمال (٣٣/٢٨)، تحقيق د. بشار عواد معروف، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

(٢) سنن الدارقطني (٣٩٩).

(٣) سنن النسائي الكبرى (٩٢٤٣).

(٤) الإلزامات والتتبع للدارقطني صـ ٣٤٢.

(٥) العلل للدارقطني (٨٩/١٤) ترجمة (٣٤٤٣)، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله السلفي، نشر دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

QaradawiBooks.com

وإن حاول الحافظ ابن حجر في «الفتح» تقوية الحديث[١].

مع أنه قال عن هذا الراوي في التقريب: ليِّنُ الحديث[٢].

ولو سلَّمنا أن إعفاء اللحية من خصال الفطرة، فليس في ذلك غير إثبات الحُسْن لمن فعله، وأقصى ما يفيد الاستحباب.

وليس كون الشيء من الإسلام كافيًا ليأخذ حُكْم الإلزام به، فالواجب والمندوب والمباح، جميعها من الإسلام.

ثم إنَّ الحُكْم بتحريم حلق اللحية يقتضي تفسيق حالقها، وربما كان كثيرٌ من حالقي اللِّحَى يحب دينه وينتصر له، ويجتهد في العبادة أكثر من بعض من اكتفى من أمر دينه بإطلاق لحيته.

وحيث حُكِمَ بفسْقِ حالق اللحية لا تصحُّ إمامته، ولا يُقبل قوله، وتردُّ شهادته.

وقد رأينا بعضهم أحفظ لكتاب الله ﷻ من كثير من الملتحين.

والنبيُّ ﷺ يقول: «**يؤمُّ القوم أقرؤهم لكتاب الله**»[٣]، فهل لا تصح إمامتهم؟!

لم يُنقل عن أحدٍ في صفة الإمام اعتبار منظرٍ أو هيئة، وإنما الأصل أنَّ من صحَّت صلاته لنفسه، صحَّت صلاته بغيره.

---

(١) فتح الباري (٣٣٧/١٠).

(٢) تقريب التهذيب صـ ٥٣٣ ترجمة (٦٦٩١)، تحقيق محمد عوامة، نشر دار الرشيد، سوريا، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

(٣) رواه مسلم في المساجد (٦٧٣)، وأحمد (١٧٠٦٣)، عن أبي مسعود الأنصاري.

QaradawiBooks.com

٤ ـ التصوير:

من الموضوعات التي اعترض عليها الشيخ الفوزان موضوع «التصوير»[١]، وظلَّ يردِّد القول بتحريم التصوير بكل صوره: المجسم والمنقوش أو المرسوم والفوتوغرافي.

وقال بأن تقسيم هذه الأنواع من الصور لا دليل عليه؛ بل يجمعها جميعًا حكم التحريم، وأن من فصَّل فعليه الدليل. وأخذ يحشد ما استطاع من النصوص على رأيه.

وادَّعى أن الصور الفوتوغرافية تتحقق فيها المضاهاة أكثر من تحقُّقها في غيرها، ونسب من قال بغير ذلك إلى القول الباطل، والمغالطة الواضحة.

ثم ادَّعى عَلَيَّ ما لم أقل، وزعم أنني أقول بأن التشديد في أول الأمر في شأن الصور كان لقرب عهدهم بالشرك، فلما استقرَّت عقيدة التوحيد رُخِّص في الصور التي لا جسم لها، ثم ذكر قولَ ابنِ دقيق العيد في معارضة هذا. مع أنني عندما عرضتُ لذلك القول عرضته على أنه قول منسوب للطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ، وناقشته في كتابي: «فقه اللهو والترويح»، ورددتُ عليه مستدِلًّا بقول ابن دقيق العيد نفسه، لو كان الشيخ الفاضل يسمح لنفسه بقراءة كتب الآخرين!!

وسوَّد في هذا الصفحاتِ الطوال، مع أنَّ الأمر أيسر من هذا، لو أرخى لفكره العِنان، وتخلَّص من سلطان التقليد.

والحق أنَّ عجبي لا ينقضي من هذه المناقشة الصارخة، وهذا الحوار الهادر، وتلك الألفاظ التي تُفَرِّق ولا تجمِّع، وتُعَسِّر ولا تيسِّر، وتشيع روح التهجُّم لا التآلف.

---

(١) الإعلام صـ ٣٨ ـ ٥٠.

QaradawiBooks.com

مع أن مناقشة علمية هادئةً كفيلةٌ بأن تضع الأمر في نصابه، وأن يتبيَّن وجه الحق في المسألة، ولكننا تعلمنا في آداب المناظرة أنَّ الصراخ سلاح من لا حُجَّة له، وأن مهاجمة الأشخاص دليلٌ على العجز عن مقارعة الأفكار والحجج.

ولنعرض لمسألة التصوير عرضًا علميًّا ضاقت عنه صفحات كتابنا «الحلال والحرام»، إذ الكتاب لم يكن موضوعًا لمناقشة المخالفين أو الرد على الناقدين، وإنما وُضع ـ كما ذكرت في مقدمته ـ للمسلمين على اختلاف مشاربهم وثقافاتهم، ومنهم المسلمون في أوربا وأمريكا وغيرها من الدول التي يسكن فيها بعض الأقليات الإسلامية، وهو بعوامِّ المسلمين ألصق.

التصوير في القرآن:

عرض القرآن الكريم للتصوير على أنه عمل من أعمال الله تبارك وتعالى، الذي يبدع الصور الجميلة، وخصوصًا صور الكائنات الحيَّة، وفي مقدمتها الإنسان: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [التغابن: ٣].

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٧، ٨].

ومن أسماء الله الحسنى: اسم «المصور»: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحشر: ٢٤].

كما عرض القرآن للتماثيل في موضعين:

أحدهما: في موضع الذمِّ والإنكار، وذلك على لسان الخليل إبراهيم عليه السلام، حيث اتَّخذها قومه أصنامًا: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٢، ٥٣].

QaradawiBooks.com

والثاني: ذكره القرآن في معرض الامتنان والإنعام على سليمان عليه السلام، إذ سخر له الجن يعملون بين يديه بإذن ربه: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣]، فذكر المحاريب والتماثيل، وهي صور.

التصوير في السنة:

أما السنة.. فقد حفلت بأحاديث كثيرة صحيحة، معظمها يذمُّ التصوير والمصوِّرين، وبعضها يشدِّد غاية التشدد في منع التصوير وتحريمه والوعيد عليه. كما ينكر اقتناء الصور، أو تعليقها في البيت.

والمتأمل في معاني الأحاديث الواردة في التصوير يتبيَّن له: أنَّ النَّهي والتحريم والوعيد في تلك الأحاديث لم يكن اعتباطًا ولا تحكُّمًا، بل كان وراءه علل ومقاصد يهدف الشرع إلى رعايتها وتحقيقها.

(أ) تحريم ما يُعظَّم ويُقدَّس:

فمن عِلل التحريم: تصوير ما يعظم ويقدَّس، فبعض التصوير كان يقصد به تعظيم المصوَّر وتقديسه، وتاريخ الوثنيات يدل على أنها بدأت بالتصوير للتذكرة، وانتهت بالتقديس والعبادة، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح: ٢٣]، هذه الأصنام المذكورة، كانت أسماء رجال صالحين، فلما ماتوا أوحى الشيطان إلى قومهم بتصويرهم، وانتهت بعبادتهم.

وعن عائشة قالت: لما اشتكى النبي ﷺ، ذكر بعض نسائه كنيسة يقال لها «مارية»، وكانت أم سلمة، وأم حبيبة، أتتا أرض الحبشة، فذكرتا من حُسْنها وتصاوير فيها، فرفع رأسه فقال: «**أولئك إذا مات**

QaradawiBooks.com

فيهم الرجل الصالح بنَوْا على قبره مسجدًا، ثم صوَّروا فيه تلك الصور، أولئك شِرار خلق الله»[١].

ولعل بعض ما ورد من الوعيد الشديد على التصوير يُقصد به الذين ينحتون الآلهة المزعومة، والمعبودات المتنوعة عند الأمم المختلفة: وذلك مثل حديث ابن مسعود مرفوعًا: «**إن أشدَّ الناس عذابًا يوم القيامة: المصوِّرون**»[٢].

قال النووي: «قيل: هي محمولة على من فعل الصورة لتُعبد، وهو صانع الأصنام ونحوها، فهذا كافر، وهو أشدُّ عذابًا. وقيل: هي فيمن قصد المعنى الذي في الحديث من مضاهاة خلق الله تعالى، واعتقد ذلك، فهذا كافر، له من أشد العذاب ما للكافر، ويزيد عذابه بزيادة قبح كفره»[٣]. إذ لا يُتصوَّر بحسب مقاصد الشرع أن يكون المصوِّر أشد عذابًا من القاتل والزاني، وشارب الخمر والمرابي، وشاهد الزور وغيرهم من مرتكبي الكبائر والموبقات.

(ب) مضاهاة خلق الله:

مضاهاة خلق الله ﷻ، بدعوى أنه يبدع ويخلق كما يخلق الله سبحانه، وهذا أمر يتعلق بقصد المصوِّر ونيته، وإن كان هناك من يرى أن كل مصوِّر مُضاهٍ لخلق الله.

وفي هذا جاء حديث عائشة عن النبي ﷺ: «**أشد الناس عذابًا يوم القيامة: الذين يضاهون بخلق الله**»[٤].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٣٤)، ومسلم في المساجد (٥٢٨).

(٢) سبق تخريجه صـ١٤٣.

(٣) شرح النووي على مسلم (٩١/١٤).

(٤) سبق تخريجه صـ١٣٦.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فهذا الوعيد الغليظ يوحي بأنهم يقصدون إلى مضاهاة خلق الله، وهو ما نقله الإمام النووي في شرح مسلم، إذ لا يقصد ذلك إلا كافر[١].

ويدل عليه حديث أبي هريرة الصحيح، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالى: ومن أظلم ممَّن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرَّة، وليخلقوا حبَّة، أو ليخلقوا شعيرة**»[٢].

فقوله: «ذهب يخلق كخلقي» يدل على القصد والتعمُّد.

ولعل هذا هو سرُّ التحدِّي الإلهي لهم يوم القيامة، حيث يقال لهم: «أحيوا ما خلقتم» وهو أمرُ تعجيزٍ، كما يقول الأصوليون.

(ج) أن تكون جزءًا من أدوات الترف ومظاهره:

وهذا ما يظهر من كراهية النبي ﷺ لبعض الصور في بيته، فقد روت عائشة: أنه عليه الصلاة والسلام خرج في غَزاة، قالت: فأخذتُ نمطًا (نوع من البُسط اللطيفة أو الستائر) فسترته على الباب، فلما قدم، فرأى النَّمَط، فجذبه حتى هتكه، ثم قال: «**إن الله لم يأمرنا أن نكسو الحجارة والطِّين**». قالت: فقطعنا منه وِسَادتين، وحشوتهما ليفًا، فلم يعب ذلك عليَّ[٣].

والنص بهذه الصيغة «إن الله لم يأمرنا» يقتضي أنه ليس بواجب ولا مندوب، فهو لا يدل على أكثر من الكراهة التنزيهية. كما قال الإمام النووي[٤].

---

(١) شرح النووي على مسلم (٩١/١٤).
(٢) سبق تخريجه صـ١٣٧.
(٣) رواه مسلم في اللباس (٢١٠٧).
(٤) شرح النووي على مسلم (٨٧/١٤).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

يؤكد هذا حديثُ عائشة الآخر، قالت: كان لنا ستر فيه تمثال طائر، وكان الداخل إذا دخل استقبله، فقال لي رسول الله ﷺ: «**حَوِّلي هذا، فإني كلما دخلت فرأيته، ذكرتُ الدنيا**»[١].

ومثله: ما رواه القاسم بن محمد عنها رضي الله عنها: أنه كان لها ثوب فيه تصاوير، ممدود إلى سَهْوة، فكان النبي ﷺ يصلِّي إليه، فقال: «**أخِّريه عني**». قالت: فأخَّرته فجعلته وسائد[٢].

وفي رواية البخاري: «**أميطي عني، فإنه لا تزال تصاويره تعرض لي في صلاتي**»[٣].

فهذا كله من زيادة الترفُّه والتنعُّم، وهو من وادي الكراهية، لا من وادي التحريم.

الردُّ على من قال بالنَّسْخ:

ولكن النووي رحمه الله يرى الأحاديث التي ظاهرها التحريم ناسخة لهذا الحديث وما في معناه، فقال: «هذا محمول على أنه كان قبل تحريم اتِّخاذ ما فيه صورة، فلهذا كان يدخل ويراه ولا ينكره»[٤]. ولكن النسخ لا يثبت بمجرد الاحتمال. فإثبات مثل هذا النسخ يستلزم أمرين:

أولهما: التحقُّق من تعارض النَّصَّين: بحيث لا يمكن الجمع بينهما، مع أن الجمع ممكن بحمل أحاديث التحريم على قصد مضاهاة خلق الله، أو بقصرها على المجسَّم (أي ما له ظل).

---

(١) سبق تخريجه صـ١٤٧.

(٢) رواه مسلم في اللباس (٢١٠٧) (٩٣).

(٣) سبق تخريجه صـ١٤٨.

(٤) شرح النووي لمسلم (٨٧/١٤).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وثانيهما: معرفة المتأخِّر من النصَّيـــن. ولا دليل على أن التحريم هـــو المتأخِّر، بـــل الـــذي رآه الإمام الطحـــاوي هو العكـــس، فقال الطحاوي: «إنما نهى الشـــارع أولًا عن الصُّوَر كلها، وإن كانت رَقْمًا؛ لأنهم كانوا حديثي عهد بعبادة الصُّوَر، فنهى عن ذلك جملة، ثم لما تقرَّر نهيُه عن ذلك، أباح مـــا كان رَقْمًا في ثوب، للضرورة إلى اتِّخاذ الثياب، وأبـــاح ما يُمتهن؛ لأنه يأمن على الجاهـــل تعظيم ما يُمتهن، وبقي النهي فيما لا يُمتهن»[(١)].

نظرات في فقه الأحاديث:

في الأحاديث النبوية نرى أنها شـــدَّدت في صنعة التصوير أكثر من تشـــديدها في اقتناء الصورة، فبعض ما يَحْرُم تصويره يجوز اقتناؤه فيما يُمتهن، مثل البسط والوســـائد ونحوها مما يبتذل بالاستعمال، كما رأينا في حديث عائشة.

ومِن أشدِّ ما رُوِيَ في منع التصوير: ما جاء في الصحيحين عن ابن عباس مرفوعًا: «**كل مصور في النار، يَجْعل له بكل صورة صورها نفسًا، فتعذبه في جهنم**»[(٢)].

وفي رواية للبخاري: «**مَن صوَّر صورةً، فإن الله معذِّبُه حتى ينفخ فيها الرُّوح، وليس بنافخ فيها أبدًا**»[(٣)].

عدد الأحاديث التي وردت في شـــأن التصوير والصور ليس قليلًا، كما زعم بعض من كتب في ذلـــك، فقد رواها جمع من الصحابة منهم:

---

(١) عمدة القاري (٧٤/٢٢).

(٢) رواه مسلم في اللباس والزينة (٢١١٠)، عن ابن عباس.

(٣) رواه البخاري في البيوع (٢٢٢٥).

QaradawiBooks.com

ابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس، وعائشة، وعلي، وأبو هريرة، وأبو طلحة. وكلها في الصحاح.

اختلفت آراء الفقهاء في قضية التصوير في ضوء هذه الأحاديث، **وكان من أشدِّهم في ذلك الإمام النووي** الذي حرَّم تصوير كل ما فيه روح: من إنسان أو حيوان، مجسَّمًا (له ظل) أو غير مجسَّم، مُمْتَهنًا أو غير مُمْتَهَنٍ، ولكنه أجاز استعمال ما يُمتهَن، وإن كان تصويره حرامًا، كالمصوَّر في البُسط والوسائد ونحوها.

ولكن بعض فقهاء السلف قصر التحريم على المُجسَّم (الذي له ظل)، وهو ما نطلق عليه عُرفًا «التماثيل»، فهي أوْغَل في مشابهة الوثنية، وهي التي يظهر فيها مضاهاة خلق الله؛ لأن خلق الله وتصويره مجسَّم: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [آل عمران: ٦].

وفي الحديث القدسي: «**ومن أظلم ممَّن ذهب يخلق كخلقي**»[(١)]. وخلق الله تعالى مجسَّم، وهو الذي يمكن قبول نفخ الرُّوح فيه، إذ المسطَّح ليس قابلًا لذلك، ولأنها أدخل في الترف والسرف، ولا سيما ما كان من المعادن الثمينة.

وقد قال النووي: إنَّ هذا مذهب باطل، **فتعقَّبه الحافظ ابن حجر** بأنه **مذهب القاسم بن محمد**، ولعله أخذ بعموم قوله ﷺ: «**إلا رقمًا في ثوب**» وسنذكر نصَّ هذا الحديث. والقاسم بن محمد بن أبي بكر أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، ومن أفضل أهل زمانه، وابن أخي عائشة، وراوي حديث النُّمْرُقَةِ عنها[(٢)].

---

(١) سبق تخريجه صـ١٣٧.

(٢) فتح الباري (٣٨٨/١٠).

QaradawiBooks.com

ويحتجُّ له بما في الصحيح عن بُسْـر بن سـعيد، عن زيد بن خالد الجهني، عن أبي طلحة صاحب رسـول الله قال: إنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه صورة**». قال بُسْـر: ثم اشتكى زيد بعدُ، فعُدْناه، فإذا على بابه سِـتْر فيه صورة، قال: فقلـتُ لعُبَيْد الله الخَوْلاني ربيب ميمونة زوج النبـي ﷺ: ألم يخبرنا زيد عن الصـور يومَ الأوَّل؟ فقال: ألم تسمعه حين قال: إلا رقمًا في ثوب[1].

وأكد ذلك ما رواه الترمذي أنَّ سهل بن حُنَيْف وافق أبا طلحة على هذا الاستثناء: «إلا رقمًا في ثوب»[2].

الردُّ على من قال بالتأويل:

وتأويل هذا الحديث بأنَّ المراد به: مـا كان لغير ذي رُوح، يعارضه حديث السِّـتْر الذي فيه تمثال الطائر الذي كان في بيت عائشـة، وقول النبي لها: «حوِّلي هذا، فإني كلَّما رأيتُه ذكرتُ الدنيا»، أو: «فإنَّ تصاويره تعرض لي في صلاتي». فأمرها بتحويله، وإبعاده عن مكان صلاته، ولم يأمرها بإتلافه.

الترجيح:

فالأرجح قَصْر التحريم على المجسَّم، وأما صور اللوحات المسطَّحة على الورق أو الجدران أو الخشـب ونحوها، فأقصـى ما فيها الكراهة التنزيهية، كما ذكر الإمام الخطَّابي، إلا ما كان فيه غلوٌّ وإسراف، كالصور التي تباع بالملايين ونحوها.

---

(١) سبق تخريجه صـ١٤٦.

(٢) سبق تخريجه صـ١٤٦.

QaradawiBooks.com

ويستثنى من المجسَّم المحرَّم: لعب الأطفال. من الدُّمَى والعرائس، والقطط والكلاب، والقرود ونحوها، ممَّا يَتلهَّى به الأطفال؛ لأنَّ مثله لا يظهر فيه قصد التعظيم، والأطفال يعبثون بها.

ودليل ذلك حديث عائشة أنها كانت تلعب بالبنات (العرائس)، وإنَّ صواحب لها كُنَّ يجِئْنَ إليها فيلعبْن معها. وكان الرسول الكريم يُسَرِّبُهُنَّ إليها.

ومثل ذلك: التماثيل والعرائس التي تُصنع من الحلوى، وتباع في بعض المناسبات الدينية، ثم لا تلبث أن تؤكل، كما يفعل المصريون بالحلوى التي يصنعونها ويبيعونها في الأسواق بمناسبة ذكرى المولد النبوي، الذي اعتادوا أن يحتفلوا به في شهر ربيع الأول من كل عام هجري.

كما يُستثنى من الحظْر: التماثيل التي تشوَّه بقطع رأسها، أو نحو ذلك منها، كما جاء في الحديث أن جبريل قال للرسول ﷺ: «**مُرْ برأس التمثال فليُقْطعْ حتى يصير كهيئة الشجرة**»[1].

وأما التماثيل النِّصفية التي تنصب في الميادين ونحوها للملوك والزعماء، فلا يخرجها من دائرة الحظر؛ لأنها لا تزال تُعظَّم، وإنْ أجازها بعض الفقهاء.

الصور الفوتوغرافية:

ومما لا خفاء فيه أن كل ما ورد في التصوير والصور، إنما يعني الصور التي تُنحت أو ترسم على حَسَب ما ذكرنا.

أما الصور الشمسيَّة التي تؤخذ بآلة الفوتوغرافيا، فهي شيء مستحدَث لم يكن في عصر الرسول ولا سلفِ المسلمين، فهل ينطبق عليه ما ورد في التصوير والمصوِّرين؟

(١) سبق تخريجه صـ١٤٢.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أما الذين يقصرون التحريم على التماثيل «المجسَّمة» فلا يرون شيئًا في هذه الصور، وخصوصًا إذا لم تكن كاملة.

وأما على رأي الآخرين، فهل تُقاس هذه الصور الشمسية على تلك التي تبدعها ريشة الرسَّام؟ أم أن العلة التي نصَّت عليها بعض الأحاديث في عذاب المصوِّرين، وهي أنهم يضاهون خلق الله لا تتحقَّق هنا في الصورة الفوتوغرافية؟ وحيث عُدِمت العلَّة عُدِمَ المعلول كما يقول الأصوليُّون؟

إنَّ الواضح هنا ما أفتى به العلامة الشيخ محمد بخيت مفتي مصر رَحِمَهُ اللَّهُ، في رسالة «الجواب الشافي في إباحة التصوير الفوتوغرافي»: «إنَّ أخذ الصورة بالفوتوغرافيا ـ الذي هو عبارة عن حَبْس الظل بالوسائط المعلومة لأرباب هذه الصناعة ـ ليس من التصوير المنهيِّ عنه في شيء؛ لأنَّ التصوير المنهي عنه: هو إيجاد صورة وصنع صورة لم تكن موجودة ولا مصنوعة من قبل، يُضاهِي بها حيوانًا خلقه الله تعالى، وليس هذا المعنى موجودًا في أخذ الصورة بتلك الآلة»[1]. يؤكد هذا تسمية أهل الخليج الصورة «عكسًا» والمصور «عكَّاسًا»، حتى إن بعضهم يذهب إلى محل العكَّاس أو المصوِّر، ويقول له: أريد أن تعكسني.

الرد على بعض التأويلات:

ومن المعلوم أن هناك بعض العلماء حاولوا أن يؤوِّلوا الأحاديث الصحاح الواردة في تحريم التصوير، واقتناء الصور، ليقولوا بإباحة الصور كلها حتى المجسَّمة منها.

(١) الجواب الشافي في إباحة التصوير الفوتوغرافي صـ ٢٢.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مثل ما حكاه أبو علي الفارسي في تفسيره عمَّن حمل كلمة «المصوِّرين» في الحديث على من جعل الله صورة ـ يعني: المجسِّمة ـ والمشبِّهة الذين شبَّهوا الله تعالى بخلقه. والله تعالى: ﴿فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: ١١].

ذكر هذا أبو علي الفارسي في كتابه «الحجة» ـ مخطوط مصور بدار الكتب المصرية برقم «٤٦٣» ـ وهو تكلُّف واعتساف لا تساعده الألفاظ الثابتة في الأحاديث.

ومثل من استند إلى ما أبيح لسليمان عليه السلام، وذكره القرآن في سورة سبأ: ﴿يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ [سبأ: ١٣]، ولم يقولوا بنسخه في شريعتنا.

وهذا الرأي ذكره أبو جعفر النحَّاس، وحكاه بعده مكي في تفسيره «الهداية إلى بلوغ النهاية»[(١)].

ومثل من حمل المنع على مجرد الكراهة، وأن هذا التشديد كان في ذلك الزمان لقرب عهد الناس بعبادة الأوثان، وقد تغيَّر الحال في العصور التالية.

هذا مع أن الوثنية ما زال يدين بها آلاف الملايين.

وهذا ما قاله بعضهم من قبل، وردَّ عليهم الإمام ابن دقيق العيد، بأن «هذا القول باطل قطعًا؛ لأن هذا مُنافٍ للعلة التي ذكرها الشارع، وهي أنهم يُضاهون أو يشبِّهون بخلق الله. قال: وهذه علة عامَّة مستقيمة مناسبة،

(١) انظر: مقال العالم الرسام، للدكتور عبد المجيد وافي، مجلة رسالة الإسلام، عدد (٥١)، رجب ١٣٣٨هـ، وقد جعله د. فتحي عثمان ضمن ملاحق كتابه: الفكر الإسلامي والتطور، ملحق رقم (١٠).

QaradawiBooks.com

لا تخصُّ زمانًا دون زمان. وليس لنا أن نتصرَّف في النصوص المتظاهرة المتضافرة بمعنى خيالي»[١].

٥ ـ اللعب بالشِّطْرنج:

يعلق الفَوْزان على مسألة إباحة الشطرنج[٢] ـ كعادته، فيما اختُلف فيه ـ بالرغبة الجامحة في التشديد، ومحاولة تبنِّي أشد الآراء في المسألة، وكأن الله تعالى تعبَّدنا بالمشقَّة، وأن طريق مرضاته سبحانه لا بد أن تمرَّ على الكثير من المتاعب والعقبات.

وكأنه يريد بالناس العُسْر ولا يريد بهم اليسر، ويريد أن يوقِع المسلمين في الحرج، لا أن يرفعه عنهم، ويريد أن يشدِّد عليهم، لا أن يخفف عنهم. ولا يُخَيَّر الفوزان بين أمرين إلا اختار أشدهما، لا أيسرهما؛ خلافًا لآيات القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، وخلافًا لمنهج الله تعالى.

ففي مناقشته لحكم لُعْب الشِّطْرَنج، وتعقيبًا على الضوابط التي قُلْتُ بها للاعب الشطرنج، أخذ يعترض بأمرين:

الأول: أن الشروط التي ذكرتُها من النادر توافرها في لاعب الشِّطْرنج.

الثاني: أن إباحة اللعب بالشِّطْرنج وسيلة إلى الدخول في المحظور، وضياع هذه الشروط، فيلزم التحريم مطلقًا.

---

(١) إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد (١/١٧١، ١٧٢)، نشر مطبعة السنة، وانظر تعليق العلامة الشيخ أحمد شاكر على الحديث (٧١٦٦) من مسند أحمد، وانظر كذلك التعليق على الحديثين (١٨٦٤، ١٨٦٥) من كتابنا: المنتقى من الترغيب والترهيب.

(٢) الإعلام صـ ٧٢ ـ ٧٨.

QaradawiBooks.com

ولا أدري هل كلمة التحريم بهذه السهولة؟! هل الدخول بين الله تعالى وبين خلقه ببيان حكم الله تعالى في المسألة بهذه البساطة؟!

ألا يخشى من يتبع هذه الطرائق والأساليب في التحريم أن يلقى الله تعالى يوم القيامة فيسأله: لم قلت: إن هذا حرام؟! هل عندك بيِّنة من كتاب ناطق، أو سُنَّة ماضية، أو إجماع قاطع للمسلمين، حتى تحرِّم على عبادي ما لم أحرِّم عليهم؟!

ولا يخفى أن اعتراضات الفوزان لا وزن لها في باب الحلال والحرام، وإنما يمكن الحديث حولها في بعض أبواب الزهد والورع، ومجاهدات الصالحين، وليس في مجال استنباط الأحكام من أدلتها الشرعية، التي هي ألصق بالفقه، ومعرفة الحلال الذي أباحه الله، والحرام الذي نهى الله عنه.

ورغبة في بيان حكم المسألة بشيء من التفصيل، أقول:

متى ظهر الشِّطْرنج في الحياة الإسلامية؟

الشّطرنج ـ بكسر الشين وقد تفتح ـ لعبة تُلعب على رُقْعة ذات أربعة وستين مربَّعًا، وتمثل دولتين متحاربتَيْن باثنتين وثلاثين قطعة، تمثل الملكين والوزيرين، والخيالة والقلاع، والفيلة والجنود. هذا ما عرفها به «المعجم الوسيط»[1].

وقد اتَّفق العلماء من فقهاء ومفسرين ومحدِّثين وشُرَّاح على أنها لم تعرف عند العرب في زمن النبي ﷺ، وإنما عُرفت بعد فتح العراق وفارس، فقد نقلوها عن الفرس، الذين كانوا قد نقلوها عن الهنود.

(١) المعجم الوسيط، مادة (شطرنج).

QaradawiBooks.com

قيمة الأحاديث الواردة فيه:

ونظرًا لأنه لم يكن في عصر النبوة لم يثبت عن النبي ﷺ حديث في شأنه.

قال الحافظ ابن كثير: والأحاديث المروية فيه لا يصح منها شيء، ويؤيد هذا ما تقدَّم من أن ظهوره كان في أيام الصحابة[١].

وقال الإمام أحمد رغم تشديده فيه: أصحُّ ما في الشِّطْرنج قول علي رضي الله عنه [٢].

يعني أنه لم يثبت فيه شيء مرفوع إلى النبي ﷺ.

ومن هنا لم يستدلَّ أحد من الأئمة الذين ذهبوا إلى تحريمه بشيء من هذه الأحاديث، ولو كان لها قيمة علمية عندهم لاستندوا إليها، إنما استدل بها بعض المتأخرين.

سبب الاختلاف في حكمه:

ولعدم وجود نص شرعي في شأن لعبة الشطرنج يبيِّن الحكم، ويحسم الأمر، اختلف الفقهاء في حكمه، ما بين مبيح له، وكاره، ومحرِّم، كمعظم المسائل التي لا توجد فيها نصوص بيِّنة ملزمة، وهذا من فضل الله على الناس، ولطفه بهم، وتيسيره عليهم، أن سكت عن أشياء رحمة بهم غير نسيان ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

قال العلامة ابن حجر الهيتمي في شرحه لمنهاج النووي، في شأن الأحاديث المحكية في ذم الشطرنج: «قال الحُفَّاظ: لم يثبت منها شيء

(١) نقله الشوكاني في نيل الأوطار (١٠٨/٨).
(٢) المغني (١٥١/١٠).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

من طريق صحيح ولا حسن. وقد لعبه جماعة من أكابر الصحابة، ومن لا يُحصى من التابعين ومَنْ بعدهم. قال: وممَّن كان يلعبه غِبًّا: سعيد بن جبير»[١]. ومعنى غِبًّا: أي قليلاً.

وقد نقل الحافظ البيهقي في «سُنَنه»، عن الإمام الشافعي، بعد أن ذكر قبول شهادة أهل الأهواء على ما في أقوالهم من بُعد عن الصواب في نظره، قال: قال الشافعي: وإذا كانوا هكذا ـ يعني أهل الأهواء ـ فاللاعب بالشطرنج وإن كرهنا له، وبالحَمَام وإن كرهنا له: أخف حالًا من هؤلاء بما لا يحصى ولا يقدر[٢].

وإنما قال ذلك لما فيه أيضًا من اختلاف العلماء.

ونقل البيهقي عن الشافعي قوله: لعب سعيد بن جُبَيْر بالشِّطْرَنج من وراء ظهره، فيقول: بأَيْش دفع كذا؟ قال: بكذا. قال: ادفع بكذا.

وكذلك قال الشافعي: كان محمد بن سيرين وهشام بن عُرْوة يلعبان بالشطرنج استدبارًا.

ونقل بسنده عن معمر قال: بلغني أن الشعبي كان يلعب الشطرنج.

وروى بسنده عن معقل بن مالك الباهلي قال: خرجتُ من المسجد الجامع، فإذا رجل قد قُرِّبت إليه دابَّة، فسأل رجل: ما كان الحسن يقول في الشطرنج؟ فقال: كان لا يرى بها بأسًا، وكان يكره النَّرْدَشِير. فقلت: من هذا؟ فقالوا: ابن عَوْن.

---

(١) تحفة المحتاج في شرح المنهاج (٢١٧/١٠)، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٧هـ ـ ١٩٨٣م.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي (٢١١/١٠)، والأم (٥٦/٧).

QaradawiBooks.com

ونقل بسنده عن أحمد بن بَشِير قال: أتيتُ البصرة في طلب الحديث، فأتيت بَهْزَ بن حَكِيم، فوجدتُه مع قوم يلعب بالشطرنج.

وروى عن الرَّمَادي قال: سمعتُ سفيان يقول: رأيت إبراهيم الهَجَرِيَّ، وكان يلعب بالشطرنج.

قال البيهقي: فجعل الشافعي اللعب بالشطرنج من المسائل المختلف فيها في أنه لا يوجب ردَّ الشهادة. فأما كراهية اللعب بها، فقد صرَّح بها فيما قدمنا ذكره، وهو الأشبه والأولى بمذهبه، فالذين كرهوا أكثر، ومعهم من يُحتجُّ بقوله، وبالله التوفيق[1].

الآثار عن الصحابة:

وروى البيهقي بسنده عن علي ﷺ أنه كان يقول: الشطرنج هو ميْسِر الأعاجم. قال البيهقي: هذا مرسل ولكن له شواهد.

وروى عنه أيضًا أنه مرَّ بمجلس من مجالس تَيْم الله، وهم يلعبون بالشطرنج، فوقف عليهم، فقال: أما والله لغير هذا خلقتم، أما والله لولا أن تكون سُنَّة لضربت بها وجوهكم.

قلت «**القرضاوي**»: ولو كان حرامًا لضرب بها وجوههم ولم يُبالِ.

وروى عن مالك قال: الشطرنج من النَّرْد، بلغنا عن ابن عباس أنه ولي مال يتيم فأحرقها. وهذا بلاغ غير موصول السند عن ابن عباس.

وروى عن ابن عمر أنه سئل عن الشطرنج فقال: هو شرٌّ من النرد.

(١) روى البيهقي هذه الآثار في الشهادات (٢١١/١٠، ٢١٢).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وروى البيهقي بسنده أن أبا موسى الأشعري قال: لا يلعب بالشطرنج إلا خاطئ.

وعن عُبَيد الله بن جعفر قال: كانت عائشة زوجُ النبي ﷺ تكره الكبل وإن لم يقامر عليها، وأبو سعيد الخدري يكره أن يلعب بالشطرنج[١].

أقول «القرضاوي»: وهذه الأسانيد عن الصحابة لا تخلو من كلام في صحتها.

مذهب الحنفية في اللعب بالشطرنج:

يقول الإمام أبو يوسف أكبر أصحاب أبي حنيفة بإباحته، ورأينا القول المعتمد في المذهب هو الكراهية، ما لم يخرجه عنها إلى التحريم سببٌ، كما سيأتي. وهذا واضح في المتون المعتمدة في المذهب، مثل: «الهداية»، و«الكنز»، و«المختار»، و«تنوير الأبصار»، وغيرها، وكذلك في شروحها المعروفة.

وقد أجمعت هذه المتون على أن الذي يقامر بالشطرنج هو الذي تسقط عدالته، وتُرَدُّ شهادته؛ لأنه ارتكب حرامًا، بل كبيرة، لدخول الميسر ـ وهو القمار ـ في اللعب، والميسر قرين الخمر، في كتاب الله تعالى.

وبعضهم أضاف إلى المقامرة أمورًا أخرى، كل واحد منها كافٍ لإسقاط عدالته، كأن تفوته بسبب الاشتغال به الصلاة، أو يُكثر من الأيمان الكاذبة عليه، أو يلعب به في الطريق لمخالفته للمروءة، أو يذكر عليه فسقًا، أو يدمنه ويداوم عليه[٢].

---

(١) روى هذه الآثار البيهقي في الشهادات (٢١٢/١٠).

(٢) انظر: الدر المختار وحاشية ابن عابدين عليه (٤٨٣/٥).

QaradawiBooks.com

قال في «الهداية»: «فأما مجرَّد اللعب بالشطرنج، فليس بفسق مانع من الشهادة؛ لأن للاجتهاد فيه مساغًا»[١].

قال ابن نُجيم في «البحر»: «لأن للاجتهاد فيه مَساغًا؛ لقول مالك والشافعي بإباحته، وهو مرويٌّ عن أبي يوسف، كما في «المُجْتبى» من الحظر والإباحة، واختارها ابن الشِّحْنة إذا كان لإحضار الذهن، واختار أبو زيد الحكيم حِلَّه، ذكره شمس الأئمة السرخسي»[٢].

مذهب الشافعية في الشطرنج:

ومذهب الشافعية أكثر تيسيرًا في حكمه، كما هو مشهور عنهم، وكما ذكره البيهقي وغيره.

قال الإمام النووي في «الروضة»: «اللَّعِب بالشطرنج: مكروه، وقيل: مباح لا كراهة فيه. ومال الحَلِيمي إلى تحريمه، واختاره الرُّوياني. والصحيح الأول»[٣]. يعني الكراهة، والظاهر أنها الكراهة التنزيهية، فهذا هو المتبادر عند الشافعية.

وهذا ما نصَّ عليه في «المنهاج» أيضًا حيث قال: «ويحرم اللعب بالنرد على الصحيح، ويكره بشطرنج»[٤].

---

(١) الهداية في شرح بداية المبتدي (١٢٣/٣)، تحقيق طلال يوسف، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) البحر الرائق شرح كنز الدقائق (٩١/٧).

(٣) روضة الطالبين وعمدة المفتين (٢٢٥/١١)، تحقيق زهير الشاويش، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

(٤) منهاج الطالبين للنووي صـ ٣٤٥، تحقيق عوض قاسم أحمد عوض، نشر دار الفكر، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م.

QaradawiBooks.com

وقال النووي في «الروضة» بعد أن صحَّح القول بالكراهة: «فإن اقترن به قِمار، أو فحش، أو إخراج صلاة عن وقتها عمدًا، رُدَّتْ شهادته بذلك المُقارِن»[١] أي: لا باللعب نفسه.

والأولى أن نذكر هنا كلمة الشافعي بنصِّها من «الأم»، قال رضي الله عنه: «يُكره من وجه الخبر اللعب بالنرد أكثر مما يكره اللعب بشيء من الملاهي، ولا نحب اللعب بالشطرنج، وهو أخف من النرد، ويكره اللعب بالحُزَّة والقِرْق[٢] وكلِّ ما لعب الناس به؛ لأن اللعب ليس من صنعة أهل الدين ولا المروءة، ومن لعب بشيء من هذا على الاستحلال له لم تُرَدَّ شهادته، والْحُزّة تكون قطعة خشب فيها حُفَر يلعبون بها، إن غفل به عن الصلوات فأكثر حتى تفوته، ثم يعود له حتى تفوته، رددنا شهادته على الاستخفاف بمواقيت الصلاة، كما نردها لو كان جالسًا فلم يواظب على الصلاة من غير نسيان ولا غلبة على عقل»[٣].

مذهب مالك في اللعب بالشطرنج:

وفي مذهب مالك نجد الإمام ابن رشد «الجد» ينقل عن «العتبية» في «البيان والتحصيل»: «سُئل مالك عن اللعب بالشطرنج، فقال: لا خير فيه، وليس بشيء وهو من الباطل، واللعب كله من الباطل، لَيَنْبَغِي لذي العقل أن تنهاه اللحية والشيب والسِّنُّ عن الباطل، وقد قال عمر بن

(١) الروضة (٢٢٥/١١).

(٢) ضرب من اللعب. انظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر (٣٣٥/٢)، نشر دار الفكر، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

(٣) الأم (٢٢٤/٦).

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

الخطاب لأسلم في شيء: أما آن أن تنهاك لحيتُك هذه؟ قال أسلم: فمكثت زمانًا طويلًا وأنا أظن أن ستنهاني»[١].

ونقل عنه أيضًا أنه سئل عن الرجل يلعب مع امرأته في البيت بالأربعة عشر (لعبة تشبه الشطرنج)، قال: ما يعجبني ذلك، وليس من شأن المؤمن اللعب، لقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢].

قال ابن رشد: ولا فرق في ذلك كله بين لعب الرجل به مع أجنبي في بيته أو في غير بيته، وبين لعبه به مع أهله في بيته. إن كان على الخِطار (المخاطرة) والقمار، فذلك حرام بإجماع، وإن كان على غير القمار فهو من المكروه الذي تسقط شهادة من أدمن اللعب به، وهو الذي قال مالك فيه في هذه الرواية: ما يعجبني ذلك، وليس من شأن المؤمن اللعب، لقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢]. فهذا من الباطل»[٢].

وكلمة «الباطل» لا تعني أنه حرام، بل تعني أنه من اللهو واللعب، وليس كل لهو ولعب حرامًا، وإن قال بذلك بعض المالكية، أخذًا من كلام مالك[٣]، وهو لا يفيد ذلك.

كيف وهو يقول عن الشطرنج: لا خير فيه، وليس بشيء، ولا يعجبني، وأنه لا يليق بذي اللحية والشيب والسن، وهذا كله لا يدل على أكثر من الكراهية التنزيهية.

---

(١) البيان والتحصيل (٤٣٦/١٨)، تحقيق د. محمد حجي وآخرين، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

(٢) البيان والتحصيل (٥٧٧/١٧، ٥٧٨).

(٣) انظر: الشرح الصغير للدرير وحاشية الصاوي عليه (٥٢٤/٢)، تحقيق لجنة برئاسة الشيخ أحمد سعد علي، نشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٢م.

QaradawiBooks.com

مذهب الحنابلة:

وأما مذهب الحنابلة، فيُعبِّر عنه الإمام ابن قدامة في «المغني» فيقول: «كل لعب فيه قمار فهو محرم، أي لعب كان، وهو من الميسر الذي أمر الله تعالى باجتنابه، ومن تكرر منه ذلك رُدَّتْ شهادته، وما خلا من القمار ـ وهو اللعب الذي لا عوض فيه من الجانبين، ولا من أحدهما ـ فمنه ما هو محرم، ومنه ما هو مباح، فأما المحرم فاللعب بالنرد... فأما الشطرنج، فهو كالنرد في التحريم، إلا أن النرد آكد منه في التحريم، لورود النص في تحريمه، لكن هذا في معناه، فيثبت فيه حكمه، قياسًا عليه.

وقال أبو بكر: إن فعله من يعتقد تحريمه، فهو كالنرد في حقه، وإن فعله من يعتقد إباحته، لم تُرَدَّ شهادته، إلا أن يشغله عن الصلاة في أوقاتها، أو يُخرجه إلى الحلف الكاذب، ونحوه من المحرَّمات، أو يلعب بها على الطريق، أو يفعل في لعبه ما يُستخَفُّ به من أجله، ونحو هذا مما يُخرجه عن المروءة، وهذا مذهب الشافعي، وذلك لأنه مختلَف فيه، فأشبه سائر المختلف فيه»[1].

مناقشة أدلة القائلين بتحريم الشطرنج:

تلك هي مذاهب الأئمة وأقوال الفقهاء في حكم الشطرنج، وهي تختلف ما بين الإباحة بشروط والكراهة والتحريم.

وإذا نظرنا إلى ما استند إليه الذين شدَّدوا ومالوا إلى التحريم، نجد أن شيئًا منها لا يثبت للنقد، ولا يمكن أن يُعتمد عليه في التحريم الذي ينبغي الاحتياط فيه، حتى لا نُحَرِّم ما أحل الله.

---

(١) المغني (١٠/١٥٠ ـ ١٥٢).

QaradawiBooks.com

١ ـ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. وقول عليٍّ: الشطرنج من الميسر. فلا نزاع في أن الميسر محرَّم كالخمر، وفيه إثم كبير بنص القرآن، فهو من الكبائر، وليس مجرد حرام. ولكن أين الدليل على أن الشطرنج من الميسر؟

سيقولون: قول عليٍّ: إنه من الميسر. وسيأتي أن هذا القول عن عليٍّ لم يثبت، على أنه لو سلَّمنا بثبوته لَحُمِل على أنه من الميسر إذا لعب على قِمَار، لا لمجرد اللهو والتسلية.

وسيأتي الجواب أيضًا عمن يدَّعي أن الشطرنج يصدُّ عن ذكر الله وعن الصلاة.

٢ ـ ما ورد من أحاديث في ذم الشطرنج والوعيد عليه، ولعْن أهله، مثل ما ذكره ابن قدامة في «المغني»، وما ذكرناه من قبل مما رواه ابن أبي الدنيا والديلمي وغيرهما، فقد بيَّن الأئمة من نقاد الحديث: أن شيئًا منها لم يثبت، ولم يقل إمام من أئمة الحديث بصحة حديث واحد منها، ولا بحُسْنه، وقد نقلنا قول الإمام أحمد، وقول ابن كثير وغيرهما.

وشيخ الإسلام ابن تيمية رغم تشدُّده جدًّا في أمر الشطرنج، لم يستدل بحديث واحد منها، إنما اعتمد على أنه يُلهي عن ذكر الله وعن الصلاة.

٣ ـ ما ورد في النهي عن «النرد» أو «النَرْدَشير»، فأما الأحاديث التي استنبط منها بعضهم تحريم النرد، فنحن نسلِّم بها في الجملة، وإن كان في حديث أبي موسى: «**من لعب بالنَّرْد فقد عصى الله ورسوله**»[1] انقطاع.

(١) سبق تخريجه صـ٣٦٧.

QaradawiBooks.com

وعلى كل حال فتحريم النرد هو الراجح عند الجمهور، وأنا لا أنازع الآن فيه، ولكن الذي أنازع فيه أن يقال: الشطرنج هو النرد، أو هو منه.

فالنرد لعبة معروفة من لعب الفرس، وقد نُقلت إلى العرب قبل الإسلام، وعرفوها، ولهذا جاءت فيها أحاديث وآثار صِحاح وحِسان.

وهو الذي يسمَّى: «الزهر» ويُطلق عليه في مصر «الطاولة» قال في «المعجم الوسيط»: النرد لعبة ذات صندوق وحجارة وفصين، تعتمد على الحظ، وتنتقل فيها الحجارة على حسَب ما يأتي به الفَصّ: الزهر. وتعرف عند العامة بـ «الطاولة».

أما الشطرنج، فهو لعبة أخرى أصلها من الهند، ونُقلت إلى فارس، ولم يعرفها العرب إلا بعد فتح العراق وفارس.

٤ ـ حديث: «كل ما يلهو به الرجل المسلم باطل إلا رميه بقوسه، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، فإنهن من الحق»[(١)]. وقولهم: الشطرنج خارج عن هذه الثلاثة، فهو باطل.

فالباطل هنا ليس معناه الحرام كما قد يُتوهَّم، وإنما الباطل ما ليس فيه فائدة دينية في ذاته، فهو أشبه بكلمة «اللغو».

ولا ريب أن اشتغال المسلم بالحق وبالأمور النافعة أولى وأجدى، لما وصف به الله المؤمنين بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣].

---

(١) رواه الترمذي (١٦٣٧) عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين، وهو مرسل، وفيه عنعنة ابن إسحاق، لكنه روى عن عتبة بن عامر مثله، وإن لم يذكر لفظه، وقال: حديث حسن، وفي بعض النسخ: حسن صحيح. ورواه عن عقبة بن عامر أحمد (١٧٣٢١)، وقال مخرجوه: حسن بمجموع طرقه وشواهده. وأبو داود في الجهاد (٢٥١٣) والنسائي في الخيل (٣٥٧٨)، وابن ماجه في الجهاد (٢٨١١)، ووصفه العراقي في تخريج الإحياء (صـ ٧٥٨) بأنه مضطرب، وذكره الألباني في ضعيف الترمذي (٢٧٧٩).

QaradawiBooks.com

ولكن لا يعني هذا أن اللهــو أو اللعب بغير الأمور الثلاثة المذكورة حرام، فقد لعب الحبشة ورقصوا في مســجده ﷺ يوم العيد، وهو ينظر إليهم ويشجِّعهم، وعائشة معه تنظر إليهم.

وقد حث عليه الصلاة والسلام أن يكون مع العُرْس لهو، إشاعةً للبهجة والفرح، حتى لا يكون عُرْسًــا صامتًا[١]. وشــرع المصارعة والمســابقة على الأقدام، كمسابقته لعائشة[٢]، كما سبَّق بين الخيل، وأعطى السابق[٣]. وكلها خارج عن الثلاثة المذكورة.

وقد جاء عن أبي الدرداء رضي الله عنه، وهو من زهاد الصحابة ونُسَّــاكهم: إني لأستجم نفسي بالشيء من الباطل، ليكون أقوى لها على الحق[٤].

وواضح أن مراده بالباطل هنا هو: اللهو واللعب، فهو يســتعين به على تنشيط نفسه للحق، بعد أن تأخذ شــيئًا من الاستجمام والراحة، كما قال الشاعر:

والنفس تســأم إن تطــاول جدُّها فاكشــف ســآمة جدِّها بمزاح[٥]

٥ ـ ما جاء عن الصحابة أنهم أنكروه:

ومنه ما رُوِيَ أن عليًّا رضي الله عنه مرَّ على قوم يلعبون الشطرنج فقال: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون!

---

(١) إشارة إلى حديث: «**يا عائشة، ما كان معكم لهو...**» وقد سبق تخريجه صـ٣٧٠.

(٢) سبق تخريجه صـ٣٦٠.

(٣) إشارة إلى حديث ابن عمر، أن رسول الله ﷺ سبق بالخيل وراهن. رواه أحمد (٥٣٤٨)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح؛ رجاله ثقات رجال الشيخين غير عتاب. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٣٥٥): هو في الصحيح خلا قوله: وراهن. رواه أحمد بإسنادين ورجال أحدهما ثقات، عن ابن عمر.

(٤) تأويل مختلف الحديث صـ٤٢١، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

(٥) ديوان علي الجارم صـ١٩٦، ط١، نشر دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٦م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة عليه
QaradawiBooks.com

وأما ما جاء عن الصحابة، فليس فيها أثر متصل صحيح.

وقد ذكر الحافظ السخاوي في كتابه: «عمدة المحتج في حكم الشطرنج»: أن الإمام أحمد قال: أصح ما في الشطرنج قول علي رضي الله عنه.

و«قول عليٍّ» يحتمل قوله حين مر على لاعبي الشطرنج: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟!

ويحتمل ما رواه عنه جعفر بن محمد عن أبيه: الشطرنج من الميسر.

والأول ليس له إسناد صحيح أو حسن متَّصل، كما بيَّن ذلك العلامة الألباني في «إرواء الغليل» بأن هذا الأثر لا يثبت عن علي، وأن خير أسانيده منقطع[١].

وقال ابن حجر في «الدراية»: أخرجه العقيلي وابن حبان في ترجمة مطهر بن الهيثم وهو متروك، وفي رجاله متروكان مجهولان أيضًا[٢].

على أن هذا الأثر لو صحَّ لا يفيد التحريم جزمًا، إنما يفيد مجرد الإنكار على الاشتغال بهذا اللهو، وإلا لو كان حرامًا ومنكرًا، لغيره بيده، فهو الإمام المسؤول، وبيده السلطة.

وأما الأثر الثاني، فقد نقل الشوكاني عن ابن كثير قوله: هو منقطع جيد[٣]. ولا حجة في منقطع لو كان مرفوعًا، فكيف وهو موقوف؟!

وقول الإمام أحمد: أصحُّ ما في الشطرنج قول علي، لا يدل على أنه صحيح عنده، بل يعني أنه أحسن من غيره، وإن كان ضعيفًا في

---

(١) إرواء الغليل (٢٨٨/٨، ٢٨٩) حديث (٢٦٧٢).

(٢) انظر: الدراية لابن حجر (٢٤٠/٢)، تحقيق السيد عبد الله هاشم اليماني المدني، نشر دار المعرفة، بيروت.

(٣) نيل الأوطار (١٠٨/٨).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

نفسه، كما بيَّن ذلك المحقِّقون في قولهم: أصح ما في الباب كذا، أي أقل ضعفًا.

وما روي عن الصحابة في ذلك يعارض بعضه بعضًا، فقد روي عن ابن عباس، وابن عمر، وأبي موسى الأشعري، وأبي سعيد، وعائشة: أنهم كرهوه.

ورُوِيَت إباحته عن ابن عباس وأبي هريرة، وأضيف إليهم من التابعين ابن سيرين وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير، ومن بعدهم هشام بن عُروة بن الزبير[1].

ولا حجة في قول أحد دون رسول الله ﷺ، ما لم يجمعوا على أمر، فإنهم لا يجتمعون على ضلالة. وقد رأيناهم اختلفوا، وفي اختلافهم رحمة.

٦ ـ القياس على النرد:

فكلاهما لهو ولعب، ويصد عن ذكر الله وعن الصلاة، بل ذهب بعضهم إلى أن الشطرنج شر من النرد في هذا؛ لأنه يشغل فكر صاحبه وقلبه أكثر مما يشغله النرد.

فهذا غير مُسَلَّم؛ لأنه قياس مع الفارق؛ فقد فارق النرد ـ كما قالوا ـ بأن الشطرنج معتَمَده: الحساب الدقيق، والفكر الصحيح، ففيه تشحيذ الفكر، ونوع من التدبير. ومعتمَد النرد: الحظ والتخمين المؤدِّي إلى غاية من السفاهة والحمق. وقد قاسوا عليهما كل ما في معناهما من أنواع اللهو، فكل ما معتمده الحساب والفكر لا يحرم، وكل ما معتمده

(١) نيل الأوطار (١٠٨/٨).

QaradawiBooks.com

التخمين يحرم[1]. فالمُعَوَّل في النرد على ما يخرجه الفَصَّان، فأشبه الأزلام. والمعوَّل في الشطرنج على حِذْقه وتدبيره، فأشبه المسابقة بالسهام.

والقول بأنه يصد عن ذكر الله وعن الصلاة: غير مُسلَّم أيضًا، ما دام من يقول بإباحته يُقيِّده بشرط ألا يشغله عن الصلاة، أو أي واجب آخر ديني أو دنيوي.

وكثير من المباحات إذا استرسل الإنسان فيها ـ وخصوصًا المحبَّبة منها إلى النفس ـ تشغل وتلهي عن ذكر الله، وعن الصلاة، وعن الواجبات، إذا لم يكن المسلم نيِّر البصيرة، قوي الإرادة، ولكن هذا لا يجعلها محظورة بإطلاق، بل تباح بقَيْد عدم الإسراف فيها والاشتغال بها عما أوجب الله عليه.

فلو أن مسلمًا كان في إجازة ولديه فراغ وقت، فخصص للعب به وقتًا معيَّنًا، ليس فيه صلاة مفروضة كوقت الضحى ـ من التاسعة إلى الحادية عشرة مثلًا ـ لم يكن في ذلك منع ولا تحريم، لا سيما أن بعض الناس يشتغل بها عن الغِيبة والقيل والقال، مما يأكل الحسنات، كما تأكل النار الحطب.

وكم تأتي على الإنسان ظروف لا يجد فيها ما يشغل فراغه، إلا مثل هذا النوع من اللهو. وقد جرَّبنا هذا في بعض الأوقات العصيبة، التي مرَّت بنا في المعتقلات سنة ١٩٥٤ ـ ١٩٥٦م؛ فقد أُخذت منا الكتب والأوراق والأقلام، ثم أخذت المصاحف، ولم يبقَ معنا شيء نشغل وقتنا به، وهو يمضي بطيئًا ثقيلًا، فكل يوم كأنه شهر أو دهر، وبخاصة

(١) انظر: تحفة المحتاج شرح المنهاج لابن حجر وحواشي الشرواني وابن قاسم عليه (٢١٦/١٠).

QaradawiBooks.com

من كان له زوجة أو أولاد تركهم ولا يدري عنهم شيئًا، كما لا يدرون عنه شيئًا، فبأيِّ شيء يشتغل هؤلاء المحبوسون المظلومون؟

لا يمكن أن تُكلِّف الناس أن يظلوا صباحهم ومساءهم: مسبِّحين مهلِّلين مكبِّرين؛ فالنفس البشرية لها طاقة، و﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

ولهذا لجأ إخواننا داخل زنازين السجن الحربي إلى عمل أحجار الشطرنج من قطع الصابون الرديء الذي يُصرف لنا، واتخذوا منه وسيلة لتمضية الوقت عندما سمحت الأوضاع بذلك، فقد كان مثل هذا أيضًا من الممنوعات؛ لأن كل ما يريح أنفس المعتقلين أو يسليهم فالأصل فيه هو المنع والحظر، والمطلوب هو التكدير والتنغيص الدائم.

وأعتقد أن مثل هذه الظروف هي التي جعلت بعض التابعين مثل سعيد بن جبير والشعبي وأمثالهما يلعبون بها، في فترة تواريهم عن الحجاج، بعد معركة «دَيْر الجماجم» سنة ٨٢هـ التي اشترك فيها الفقهاء مع القائد عبد الرحمن بن الأشعث ضد ظلم الحجَّاج وجبروته، وإن انهزم الفقهاء.

ففي هذه الفترة حيث لا يستطيع العالم الفقيه أن يتصدَّى للتعليم والفتيا والإرشاد لتواريه عن الأعين، وليس معه كتبه ومراجعه، لا بأس أن يلهو بمثل الشطرنج، حتى يكشف الله الغُمَّة.

ويسرُّني أن أختم هنا بكلمة مشرقة للعلامة محمد رشيد رضا قرأتها أخيرًا في «تفسير المنار». قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن اللعب بالشطرنج إذا كان على مال دخل في عموم الميسر، وكان محرَّمًا بالنص كما تقدَّم، وإذا لم يكن كذلك فلا وجه للقول بتحريمه قياسًا على الخمر

QaradawiBooks.com

والميسر، إلا إذا تحقَّق فيه كونُه رجسًا من عمل الشيطان، مُوقِعًا في العداوة والبغضاء، صادًّا عن ذكر الله وعن الصلاة، بأن كان هذا شأن من يلعب به دائمًا أو في الغالب. ولا سبيل إلى إثبات هذا، وإننا نعرف من لاعبي الشطرنج من يحافظون على صلواتهم، وينزهون أنفسهم عن اللَّجاج والحَلِف الباطل.

وأما الغفلة عن الله تعالى فليست من لوازم الشطرنج وحده، بل كل لعب وكل عمل فهو يشغل صاحبه في أثنائه عن الذكر والفكر فيما عداه إلا قليلًا، ومن ذلك ما هو مباح، وما هو مستحب أو واجب. كلعب الخيل والسلاح والأعمال الصناعية التي تعدُّ من فروض الكفايات، ومما ورد النص فيه من اللعب: لعب الحبشة في مسجد النبي ﷺ بحضرته، وإنما عِيبَ الشطرنج أنه من أشَدِّ الألعاب إغراء بإضاعة الوقت الطويل، ولعل الشافعي كرهه لأجل هذا، ونحمد الله الذي عافانا من اللعب به وبغيره، كما نحمده حمدًا كثيرًا أن عافانا من الجُرْأة على التحريم والتحليل بغير حجة ولا دليل»[1].

٧ ـ حكم الإسلام في الغناء والموسيقى:

من المسائل التي اعترض عليَّ فيها من انتقد كتابي «الحلال والحرام»: ما ذكرته من إباحة سماع الغناء والموسيقى، بقيود وشروط.

والغناء بآلة ـ أي مع الموسيقى ـ وبغير آلة: مسألة ثار فيها الجدل والكلام بين علماء الإسلام منذ العصور الأولى، فاتفقوا في مواضع، واختلفوا في أخرى.

(١) تفسير المنار (٥٣/٧).

QaradawiBooks.com

اتفقوا على تحريم كل غناء يشتمل على فحش، أو فسق، أو تحريض على معصية؛ إذ الغناء ليس إلا كلامًا، فحسنُه حسن، وقبيحُه قبيح، وكل قول يشتمل على حرام، فهو حرام، فما بالك إذا اجتمع له الوزن، والنغم، والتأثير؟

واتفقوا على إباحة ما خلا من ذلك من الغنـــاء الفِطري الخالي من الآلات والإثارة، وذلك في مواطن السرور المشروعة، كالعرس، وقدوم الغائـــب، وأيام الأعياد... ونحوها، بشـــرط ألَّا يكـــون المغنِّي امرأة في حضرة أجانب منها.

وقد وردت في ذلك نصوص صريحـــة ذكرتُها في كتابي: «فقه الغناء والموسيقى».

واختلفوا فيما عدا ذلك اختلافًا بيِّنا: فمنهـــم من أجاز كل غناء بآلة وبغير آلة، بل اعتبره مســـتحبًّا، ومنهم من منعه بآلـــة، وأجازه بغير آلة، ومنهم من منعه منعًا باتًّا بآلة وبغير آلة، وعدَّه حرامًا، بل ربما ارتقى به إلى درجة «الكبيرة»!!

- **لِمَ شدَّد المتأخِّرون في أمر الغناء؟:**

يُلاحـــظ أن المتأخِّرين من أهل الفقه أكثر تشـــديدًا فـــي منع الغناء ـ وخصوصًا مع الآلات ـ من الفقهاء المتقدِّمين. وذلك لأسباب فصَّلتُها في كتاب «فقه الغناء والموســـيقى» ومنها: **الأخذ بالأحوط، لا بالأيسر، والاغترار بالأحاديـــث الضعيفـــة والموضوعة، وضغط الواقـــع الغنائيّ المنحرف**، ومن المؤسف أن البيئة الفنية ـ كما يسمونها اليوم ـ ما زالت مُشربة بهذه الرُّوح، ملوَّثة بهذا الوباء.

QaradawiBooks.com

• أدلة المحرِّمين ومدى اعتبارها:

وقد استدل المحرمون للغناء ـ وخصوصًا إذا كان مع آلة من الآلات ـ بجملة من الأدلة. فاستدلوا أولًا بآيات من القرآن الكريم، واستدلوا ثانيًا بعدد جَمّ من الأحاديث المرفوعة والموقوفة، واستدلوا ثالثًا بالإجماع وبخاصة ما كان مع الآلات.

وقد ناقشت استدلالاتهم في كتابي «فقه الغناء والموسيقى» بالآيات القرآنية، وبيَّنت أنها كلها لا تدل على ما ذهبوا إليه من التحريم. كما ناقشت ـ بنفس المنطق العلمي ـ الأحاديث النبويَّة التي استندوا إليها في تحريم الغناء وآلاته الموسيقية، من حيث سندها وثبوتها، ومن حيث متنها ودلالتها على المنع الذي يتبنَّونه.

• لا صحة لأحاديث تحريم الغناء:

والخلاصة التي انتهيتُ إليها: أن الأحاديث التي استدلَّ بها القائلون بالتحريم إما صحيح غير صريح، أو صريح غير صحيح. ولم يسلم منها حديث واحد مرفوع إلى رسول الله يصلح دليلًا للتحريم، وكل أحاديثهم ضعَّفها جماعة من الظاهرية والمالكية والحنابلة والشافعية.

كما رددتُ دعوى الاستدلال بالإجماع، بأنه لا إجماع في المسألة بيقين، وكيف يكون الإجماع والقائلون بالجواز في كل عصر موجودون؟!

كما رددنا على الذين زعموا الأخذ بقاعدة سد الذرائع، وأخذهم بالاحتياط، واتقاء الشبهات، التي تعارضها قاعدة التيسير في الدين، وخصوصًا فيما يتعلَّق بعموم الناس، لا سيما في عصرنا.

QaradawiBooks.com

ثم أوردتُ أدلَّة المبيحين للغناء، وقــررتُ قاعدة أن «الأصل في الأشــياء الإباحة» فلا تحريم إلا بنصٍّ صحيــح صريح من كتاب الله تعالى، أو سُنَّة رســوله ﷺ، أو إجماع ثابت متيقَّن، فإذا لم يرِدْ نصٌّ ولا إجماع، أو ورد نصٌّ صريح غير صحيح، أو صحيح غير صريح، بتحريم شــيء من الأشــياء، لم يؤثِّر ذلك في حِلِّه، وبقي في دائرة العفو الواسعة.

ولم نجد في تحريم الغناء نصًّا صحيحًــا صريحًا، أو إجماعًا يقينيًّا، فقد بقي على أصل الإباحة، ولم نحتج إلى دليل يدل عليها. وإذا كنا قد أبطلنا كل ما استدلَّ به المانعون للغناء وآلاته من نصوص القرآن والسنة، ومن كلام الصحابة، فلم يعد مطلوبًا منا أن نقيم دليلًا على الإباحة، فإذا ذكرنا دليلًا أو أكثر في هذا المجال، فإنما هو من باب التبرع منَّا، وإن لم يكن يلزمنا.

- **أدلة المبيحين للغناء:**

ومع هذا فعند المجوِّزين أو المبيحين ـ وأنا منهم ـ أدلة شتَّى، تشدُّ أَزْرهم، وتقوِّي ظهرهم فيما يذهبون إليه.

فعندهم أدلة من آيات القرآن العظيم.

وعندهم أدلة من صحاح أحاديث الرسول الكريم.

وعندهم أدلة من هدي الصحابة الكرام.

وعندهم أدلة من مقاصد الشريعة ورُوح الإسلام.

وأفضتُ في الحديث عن هذه المحاور الأربعة في كتابي «فقه الغناء والموسيقى».

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

• **تعقيبات وملاحظات:**

وعقَّبتُ على هذه المعركة المحتدمة بين الفريقين بأنه **ليس في تحريم الغناء نصٌّ صحيح صريح، وأن الله لا يحرم طيِّبًا، وأكدتُ على أهمية مراعاة أنواع الناس واتجاهاتهم، والفوارق بينهم، وأهمية مراعاة تحسين صورة الإسلام في أعين الآخرين.**

تحرير محلِّ النزاع:

• **ثم ذكرتُ** أن هناك جملة عناصر ومؤثرات دخلت حلبة النزاع، فزادت من حِدَّة الصراع، يجب أن نخرجها من دائرة النزاع.

من هذه العناصر المؤثِّرة:

أ ـ النزاع بين الصوفية وغيرهم حول اتخاذ الغناء أو السماع قُربة، وجعله في المساجد، وهو ما أثار خصومهم عليهم، وأوقد جذوةَ الحماسة في نقْدِهم لهم، أو قُلْ: في هجومهم عليهم.

وأرى أن نُخرج هذا العنصر من معترك النزاع، لنحصره في الغناء، الذي هو لهو، فبحثُنا الآن ليس عن الغناء الذي يُتعبَّد به، بل عن الغناء الذي يُتلهَّى به، الغناء لترويح القلب، لا للتقرب إلى الرب.

ب ـ كما يجب أن نُخرج من معترك النزاع: الغناء الذي اشتمل على معصية من المعاصي، أو اقترن بمنكَرٍ من المنكرات، كالغناء الذي يخالف مضمونُه عقيدةَ الإسلام، أو شريعته، أو قِيَمه وأخلاقياته، أو اقترن بخلاعة أو مُجون، أو تبرُّج أو شربِ مُسكر، أو نحو ذلك، مما لا يخالف فقيه في تحريمه، لما فيه من إثم، أو تحريض عليه، ولما يترتَّب عليه من فساد الدين والدنيا.

QaradawiBooks.com

ومثل ذلك الموسيقى المثيرة المهيِّجة التي نراها الآن تصاحب غناء الفنانين الغربيِّين، وتُحوِّل المشاهدين والمستمعين منهم إلى قطيع هائج.

وكذلك الرقص الذي تقــوم به بنات عابثات متبرِّجــات، يتراقصْن حول المغني. بما أصبح ملازمًا للغناء التليفزيوني المعاصر، فهذا لا شك في تحريمه.

مراعاة المخفِّفات في الموضوع:

كما أن على أهل الفتوى عمومًا، وفي عصرنــا خصوصًا: أن يراعوا المخفِّفات عن الناس، والميسِّرات على الخلق، ومن المعروف فقهًا أن «عموم البلوى» من أسباب التخفيف في الأحكام، وكثيرًا ما نجد الفقهاء يقولون: هذا أمر عمَّتْ به البلوى. فيُفتون في هذه الحالة بما هو أيســر وأخــفُّ، لا بما هو أحوط وأشــد، ولهم عبارة مأثــورة في ذلك، وهي قولهم: هذا أرفق بالناس.

ومن المخفِّفات هنا أيضًا: أن الذي يريد أن يسمع الغناء في العصور الماضيــة، كان يتحتَّم عليه أن يذهب إلى «مجلــس الغناء»، أو «مجلس الطرب»، ويشهد ما فيه، وقلَّما كانت تخلو هذه المجالس من محرمات ومنكرات: من خمر وخلاعة، ومجون وتهتُّــك. ولا نزاع في أن حضور هذا النوع من المجالس مُحرَّم شرعًا.

وفي عصرنا لم يعُدْ مُستمِع الغناءِ في حاجة إلى شيء من ذلك، فهو يستطيع أن يستمع إلى الغناء من شريط كاسيت، أو من المذياع (الراديو)، أو من التلفاز، وإن كان التلفاز كثيرًا ما يقترن بصور غير مقبولة شرعًا.

فلا بد من وضع هذا الفارق في الاعتبار عند الإفتاء في حكم الغناء.

QaradawiBooks.com

• قيود وضوابط لا بد من مراعاتها

ولا ننسى أن نُضيف إلى هذا الحكم: قيودًا وضوابط لا بد من مراعاتها في سماع الغناء حتى يكون الغناء مباحًا، ذكرتُ بعضًا منها باختصار في كتابي: «الحلال والحرام»، وفصَّلتها في كتابي: «فقه الغناء والموسيقى»، وأوجزها فيما يلي:

١ ـ سلامة مضمون الغناء من المخالفة الشرعية:

فليس كل غناء مباحًا، ولا بد أن يكون موضوعه مُتَّفقًا مع الإسلام وتعاليمه، غيرَ مخالف لعقيدته، ولا تشريعاته، ولا أخلاقياته.

٢ ـ سلامة طريقة الأداء من التكسُّر والإغراء:

ثم إن طريقة الأداء لها أهميتها، فقد يكون الموضوع لا بأس به، ولا غبار عليه، ولكن طريقة المغني أو المغنيَّة في أدائه بالتكسُّر في القول، وتعمُّد الإثارة، والقصد إلى إيقاظ الغرائز الهاجعة، وإغراء القلوب المريضة؛ ينقل الأغنية من دائرة الإباحة إلى دائرة الحرمة أو الشُّبْهة أو الكراهة.

٣ ـ عدم اقتران الغناء بأمر محرَّم:

ومن ناحية ثالثة يجب ألَّا يقترن الغناء بشيء محرَّم، كشُرْب الخمر أو الخلاعة، أو التبرُّج أو الاختلاط الماجن بين الرجال والنساء، بلا قيود ولا حدود، وهذا هو المألوف في مجالس الغناء والطرب من قديم. وهي الصورة الماثلة في الأذهان عندما يُذكر الغناء: الخمر والجواري والنساء.

٤ ـ تجنُّب الإسراف في السماع:

الغناء ككل المباحات يجب أن يقَيَّد بعدم الإسراف فيه، وإذا كان

QaradawiBooks.com

عدم الإسراف مطلوبًا في كل المباحات، فهو أشد ما يكون طلبًا في «مجال اللهو»، وفي مقدِّمَته «الغناء» بآلة وبغير آلة. وبخاصَّة الغناء العاطفي، الذي يتحدَّث عن الحب والشوق.

٥ ـ ما يتعلَّق بالمستمِع:

وبعد هذا الإيضاح، تبقى هناك أشياء خاصة، تتعلق بالمستمع نفسه، لا تحيط بها فتاوى المفتين، ولا يُستطاع ضبطها بدقة، بل تُوكل إلى ضمير المسلم وتقواه، ويكون كل مستمع فيها فقيه نفسه ومفتيها، فهو أعرف بها من غيره، وأدرى باتجاهاتها وخلجاتها من كل فقيه. فإذا كان الغناء أو نوع خاص منه يستثير غريزته، ويغريه بالفتنة، ويسبح به في شطحات الخيال، ويُطغي فيه الجانب الحيواني على الجانب الروحاني، فعليه أن يتجنَّبه حينئذ، ويَسُدَّ الباب الذي تهب منه رياح الفتنة على قلبه ودينه وخُلقه، فيستريح. وفي مثل هذا جاء الحديث النبوي: «**استفتِ قلبك، وإن أفتاك الناس وأفتَوْك**»[(١)].

وفي هذا الردِّ الموجز ردٌّ على ما كتبه الأستاذ عبد الحميد طهماز في «نظراته»[(٢)]، وعلى الشيخ الفوزان في «إعلامه»[(٣)]، وعلى المعقِّب على طبعة «دار الاعتصام» لكتابي «الحلال والحرام». ومن أحبَّ الاستقصاء فليرجع إلى كتابي الكبير الذي أفردته في هذا الموضوع: «فقه الغناء والموسيقى».

---

(١) رواه أحمد (١٨٠٠٦)، وقال مخرجوه: إسناده ضعيف. والدارمي في البيوع (٢٥٣٣)، وحسَّن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٢٦٨٣)، وحسَّنه النووي في الأربعين، الحديث السابع والعشرون، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٧٣٤): حسن لغيره. عن وابصة بن معبد.

(٢) نظرات في كتاب الحلال والحرام في الإسلام صـ ٤٩ ـ ٥٤، نشر دار الدعوة، حماة، ط١، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.

(٣) صـ ٧٩ ـ ١١٠.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٦ ـ حكم دخول السينما

اعترض الشيخ صالح الفوزان على ما ذكرته من جواز دخول السينما[1] إذا تحقَّقت الضوابط والشروط التي حددتها، حيث رأيتُ أن السينما والمسرح لهما حكم الوسائل، لا المقاصد، وانصبَّ اعتراضه على وجهين:

الأول: استحالة تحقُّق الضوابط والشروط التي ذكرتها، أو خلوُّ السينما والمسرح من المحاذير الواقع فيها، ولأنها لو خَلَت من هذه الأشياء لم يحصل الإقبال عليها، ولم يكثر مرتادوها.

الثاني: عدم خُلوِّ دُور السينما من التصوير، الذي يراه الفوزان محرَّمًا.

والحق أن السينما والمسرح وما شابههما: أداة مهمة من أدوات التوجيه والترفيه، وشأنها شأن كل أداة، فهي إما أن تستعمل في الخير، أو تستعمل في الشر، فهي بذاتها لا بأس بها، ولا شيء فيها. والحكم في شأنها يكون بحسَب ما تؤدِّيه وتقوم به.

وحديثي عن السينما كان منصبًّا على أصلها لا عما يُعرض فيها الآن، وعندما ذكرت أن الحكم فيها يكون بحسَب ما تعرضه، فقد ذكرتُ شروطًا لا بد من توافرها حتى يتَّجه القول بالإباحة.

وإذا لم تتوافر هذه الشروط فإن القول بأنني أُبيحها دون هذه القيود نوع من التقوُّل عليَّ بما لم أقل، وهو ضرْب من الشَّغَب الأرعن، والمزايدة بلا مستند.

---

(١) الإعلام صـ ١١٠ ـ ١١٥.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أما كون الواقع الآن يجعلني أحكم على هذه الأداة حُكْمًا مطلقًا بالتحريم لأوافق الفوزان أو غيره، فليس منهجي، ولو كنتُ سلكتُ هذا السبيل لنجوتُ من كثير من الخصومات والتشنيعات.

ثم إن هذه الطريقة في التفكير ليستْ من المنهجية في شيء؛ إذ إنني أتحدَّث عن السينما والمسرح، لا فيما يُعرَض فيهما من فسق أو مجون.

وإذا كان المنتقد يرى السينما والمسرح الآن خارج هذه الضوابط، فإنه يستطيع من خلال كتابي الذي اعترَضَ عليه أن يرى الحكم في ذلك بعدم الجواز في هذه الحال.

أما إذا قام بعض المصلحين بتجنب هذه المفسدات، وعمِل بهذه الشروط والضوابط، فلا داعي للتحريم والتشديد.

وهناك فارق كبير بين ما حُرِّم لأصله، وما حُرم لعلة طارئة عليه. فإذا زالت العلة رجع الحكم إلى الأصل.

أما الفوزان، فإنه يحرِّم السينما كلها، وإن قدَّمَتْ أفضل الأشياء؛ لأنها تقوم على التصوير، والتصوير عنده كله حرام!

٧ ـ حول فتوى القاضي أبي بكر ابن العربي بجواز أكل ذبيحة أهل الكتاب فيما خالف في طريقة ذبحه في شريعتنا:

اعتُرض عليَّ في كلامي عن ذبائح أهل الكتاب «اليهود والنصارى» فيما ذكَّوْه بطريقة تُخالف التذكية الواردة في شريعتنا، ونقلتُ كلام القاضي ابن العربي في تفسير آية المائدة من كتابه «أحكام القرآن»، وادَّعَوْا أنه قول شاذٌّ مردود، وأنه ليس معروفًا عند المالكية.

QaradawiBooks.com

وقد أيَّد القاضيَ ابنَ العربي في ذلك العلامةُ الفقيه الكبير الونشريسي، وأزال اللبس عنها، فقال في كتابه «المعيار» (٩/٢، ١٠) جوابًا عمَّا ذكره ابن العربي عند قوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾. إذ سئل: عن النصراني يسلُّ عنق الدجاجة ثم يطبخها: هل تؤكل معه أو تؤخذ منه طعامًا؟ فقال أي ابن العربي: تؤكل؛ لأنها طعامه. بيِّنوا لنا ذلك؟ وهل ذلك قول في المذهب تجوز الفُتْيَا به أم لا؟ وهل يجوز للإنسان في خاصَّة نفسه أن يقلِّدَه ويعمل به أم لا؟ وقال بعد ذلك: كل ما يرونه حلالًا في دينهم فإنه حلال لنا إلا ما كذَّبهم الله فيه. وما الذي كذبهم الله فيه؟

فأجاب: «وقفت على السؤال عنها فوق هذا الجواب من مسألة فك النصراني رقبة الدجاجة: هل يأكلها المسلم معه أو يأخذها منه؟ فأفتى القاضي ابن العربي بجواز ذلك، فلم يزل الطلبة والشيوخ يستشكلونها، ولا إشكال فيها عند التأمل؛ لأن الله تعالى أباح لنا أكل طعامهم الذي يستحلُّونه في دينهم على الوجه الذي أُبيح لهم من ذكاة فيما شرعت لهم فيه الذكاة على الوجه الذي شُرِعت، ولا يشترط أن تكون ذكاتهم موافقة لذكاتنا في ذلك الحيوان المذكَّى، ولا يُستثنى من ذلك إلا ما حرَّمه سبحانه علينا على الخصوص كالخنزير، وإن كان من طعامهم ويستحلونه بالذكاة التي يستحلُّون بها بهيمة الأنعام، وكالميتة.

وأما ما لم يحرم علينا على الخصوص، فهو مباح لنا كسائر أطعمتهم وكلِّ ما يفتقر إلى الذكاة من الحيوانات، فإذا ذكَّوا على مقتضى دينهم حلَّ لنا أكله، ولا يشترط في ذلك موافقة ذكاتهم لذكاتنا، وذلك رخصة من الله وتيسير علينا.

QaradawiBooks.com

وإذا كانت الذكاة تختلف في شريعتنا فتكون ذبحًا في بعض الحيوانات، ونحرًا في بعض، وعقرًا في بعض، وقطع عضو كرأس وشبهه كما هي ذكاة الجَرَاد، أو وضع في ماء حارٍّ كذلك كالحلزون، فإذا كان هذا الاختلاف موجودًا بالنسبة إلى الحيوانات، فكذلك قد يكون شُرع في غير ملتنا سلُّ عنق الحيوان على وجه الذكاة، فإذا اجتزأ الكتابي بذلك أكلنا طعامه كما أذن لنا ربُّنا سبحانه، ولا يلزمنا أن نبحث عن شريعتهم في ذلك، بل إذا رأينا ذوي دينهم يستحلُّون ذلك، أكلنا كما قال القاضي؛ لأنها طعام أحبارهم ورهبانهم.

وإنما وقع الإشكال في هذه المسألة لمَّا كان سلُّ عنق الحيوان عندنا لا يُستباح به أكل الحيوان، بل يصير ميتة، فصارت الطباع نافرة عن الحيوان المفعول به ذلك، فحين أباح القاضي ذلك من طعام أهل الكتاب وقع استشكاله، ولا إشكال فيه على ما قرَّرْتُه. وعلى المحمل الذي ذكرته حمله بعض أئمتنا المتأخِّرين.

وأما الذي كذَّبهم الله فيه، فمن أمثلته: الربا، فإن اليهودي يعمل بالربا ويستحلُّه ويأكله، فهو من طعامه، فلا نستحلُّه ولا نأكله؛ لأن الله تعالى قد كذَّبهم في ادعائهم حِلِّيَّته في قوله تعالى: ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ﴾ [النساء: ١٦١]، فهذا جواب كلام القاضي في المسألتين.

وأما قولكم: هل ذلك قول في المذهب؟ وهل تجوز به الفُتْيا أم لا؟ فهذا الكلام منكَر مشكِل؛ لأن ظاهره أنه يفتى به مَنْ تعاطى من المسلمين ذلك، ولا خلاف أن المسلم إن سلَّ عنق الدجاجة أو غيرها من الحيوان أنها ميتة. وإنما كلام القاضي في المسلم إذا كان مع كتابي، ففعل الكتابي ذلك: هل يأكل المسلم من ذلك الطعام أم لا؟

QaradawiBooks.com

فقال القاضي: يجوز للمسلم أكلُه لا أن المسلم يفعل ذلك بحيوان. فقولكم: هل ذلك قول في المذهب وهل تجوز الفتيا به؟ كلام غير صحيح، بل أهل المذهب كلهم يقولون ويفتون: أن أكل طعام أهل الكتاب حلال لنا إلا ما خصِّص من ذلك كما تقدم، فهذه المسألة مما لا يُختلف فيها، ولا يُتوقَّف عن الفتيا بها، إنما وقع استشكال كلام القاضي، ولا إشكال فيها إذا تؤمِّل على الوجه الذي قُرِّر» انتهى.

وقد توسَّع العلامة المُفسِّر المحدِّث الفقيه الشيخ محمد رشيد رضا في الدفاع عن هذا القول في تفسيره «المنار»، وأيَّد فتوى شيخه الإمام محمد عبده مفتي مصر، في فتواه الترنسفاليَّة، وقال: «وقد أفتى المهدي الوزَّاني من علماء فاس بمثل ما أفتى به مفتي مصر، ولما علم بمشاغبة أهل الأهواء في فتوى مفتي الديار المصرية، كتب رسالة في تأييد الفتوى بنصوص كُتُب المالكية المعتبرة، نشرناها في آخر جزءٍ من مجلد المنار السادس».

كما نقل العلامة رشيد رضا في «المنار»، عن العلامة الفقيه الحنفي محمد بيرم الخامس التونسي في كتابه «صفوة الاعتبار» مبحثًا طويلًا في ذبائح أهل أوربة، وجاء بتفصيلٍ في أنواع المأكول في أوربة، ثم قال ما نصه:

«وأما مسألة الخَنْق، فإن كان لمجرد شكٍّ فلا تأثير له، وإن كان لتحقُّقٍ، فلم أرَ حُكْم المسألة مصرَّحًا به عندنا ـ أي الحنفية ـ وقياسها على تحقيق تسمية غير الله أنها محرمةٌ عند الحنفية، وأما عند من يرى الحل في مسألة التسمية، كما هو مذهب جمعٍ عظيمٍ من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين: فالقياس عليها يُفيد الحِلِّيَّة، حيث خصَّصوا بآية: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ﴾ [المائدة: ٥]، وآية: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾ [الأنعام: ١٢١] وآية: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائدة: ٣].

QaradawiBooks.com

وكذلك تكون مخصِّصة لآية المنخنقة، ويكون حكم الآيتين خاصًّا بفعل المسلمين والإباحة عامة في طعام أهل الكتاب، كذلك الثاني، وقد كنتُ رأيتُ رسالة لأحد أفاضل المالكية نص فيها على الحل، وجلب النصوص من مذهبه بما ينثلج به الصدر، سيما إذا كان عمل الخنق عندهم من قَبِيل الذكاة، كما أخبر كثيرٌ من علمائهم، وأن المقصود: التوصُّل إلى قتل الحيوان بأسهل قِتْلةٍ: للتوصل إلى أكله، بدون فرقٍ بين طاهرٍ ونجسٍ، مستندين في ذلك لقول الإنجيل ـ على زعمهم ـ فلا مِرْيَة في الحِلِّيَّة على هاته المذاهب.

فإن قيل: قد ذكرت أن الخنزير محرمٌ، وهو من طعامهم، فلماذا لا يُجعل مخصَّصًا بالحِلِّيَّة بهذه الفتوى، أي آية طعامهم، وإذا جعلت آية تحريمه محكمة غير منسوخة، فكذلك تكون المنخنقة، ولماذا تقيسها على مسألة التسمية، ولا تقيسها على مسألة الخنزير، وأي مرجِّحٍ لذلك؟

فالجواب: أن المأكولات منها ما حرم لعينه، ومنها ما حرم لغيره: فالخنزير وما شاكله من الحيوانات مُحرَّمةٌ لعينها، ولهذا تبقى على تحريمها في جميع أطوارها وحالاتها، وأما متروك التسمية، أو ما أُهِلَّ به لغير الله والمنخنقة، فإن التحريم أتى فيه لعارضٍ، وهو ذلك الفعل، ثم أتى نصٌّ آخرُ عامٌّ في طعام أهل الكتاب، وأنه حلالٌ، فأُخْرِج منه مُحرَّم العين ضرورة وبالإجماع أيضًا، وبقي المحرَّم لغيره: وهو مسألتان، إحداهما: مسألة التسمية. والثانية: مسألة المنخنقة. فبقيتا في محلِّ الشك، لتجاذب كلٍّ من نَصَّي التحريم والإباحة لهما، فوجدنا إحداهما ـ وهي مسألة التسمية ـ وقع الخلاف فيها بين المجتهدين من الصحابة وغيرهم، وذهب جمعٌ عظيمٌ منهم إلى الإباحة، وبقيت مسألةُ المنخنقة التي يتَّخِذُها أهل الكتاب طعامًا لهم مسكوتًا عنها، فكان قياسها على مسألة التسمية هو

QaradawiBooks.com

المتعيِّن، لاتحاد العلة، وأما قياسها على مسألة الخنزير، فهو قياسٌ مع الفارق، فلا يصح، إذ شرط القياس: المساواة، وإنما أطلنا الكلام في هذا المجال؛ لأنه مهمٌّ في هذا الزمان، وكلام الناس فيه كثيرٌ، والله يُؤيِّد الحق وهو يهدي السبيل. انتهى»[1]. ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى «المنار» فقد شفى وكفى في نقوله الكثيرة عن المالكية والمذاهب الفقهية الأخرى.

وكنتُ ذكرتُ في الطبعات السابقة عنوانا لهذا الحكم: **ما ذكَّوه بطريق الصعق الكهربائي ونحوه**. وقد عدَّلْته في هذه الطبعة إلى: ما ذكَّوْه بطريقةٍ تخالف شريعتنا. لأن الصعق الكهربائي ليس مميتًا للبقرة ونحوها، بل هو في حقيقته نوع من التخدير يفعلونه رحمة بالذبيحة كما يظنُّون، ثم تُذَكَّى بمحدَّد.

على أني أُقَيِّد هذا الحُكْم الذي قررتُه بالجواز للمقيمين في البلاد الأوروبية وغيرها من بلاد أهل الكتاب التي لا توجد فيها جالية إسلامية، توفِّر الذبائح على طريقتنا الشرعية؛ لأنني لا أستطيع أن أحرِّج على جميع المقيمين في تلك البلاد الغربية، وأحرِّم عليهم الأكل من ذبائحهم، وإن خالفت شريعتنا، فإذا لم يتوفَّر البديل، فالأخذ بفتوى ابن العربي ومذهب بعض المالكية فيه متَّسع. أما إذا توفَّر البديل كما هو الشأن عند أكثر الجاليات الإسلامية هناك، فعلى المسلم المتَّقي أن يحرص على الحلال الخالص الذي لا تشوبه شائبة.

كما أن هذا الحكم في أكل ما لا يوافق شريعتنا من ذبائح أهل الكتاب لا أجيزه في البلاد المسلمة التي يجب أن تستقلَّ بشخصيتها، وتكتفي بمواردها التي أفاءها الله عليها، ولدى المسلمين ما يكفيهم ويُغنيهم.

(١) تفسير المنار لرشيد رضا (١٦٦/٦) وما بعدها.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ومن المسائل المُتكلَّفة التي تعقَّب فيها الفوزان كتابي «الحلال والحرام»:

١ ـ تجويز خلوِّ التكاليف الشرعية من الحكمة والعلل المعقولة:

قلتُ: «من حق الله تعالى كخالق للناس ومُنْعِم عليهم بنِعَمٍ لا تُحصى أن يُحِلَّ لهم، وأن يُحَرِّم عليهم ما يشاء، كما له أن يَتَعَبَّدهم من التكاليف والشعائر بما يشاء، وليس لهم أن يعترضوا أو يعصوا. فهذا حق ربوبيته لهم، ومقتضى عبوديَّتهم له. لكنه تعالى رحمةً منه بعباده جعل التحليل والتحريم لعِلَلٍ معقولة» اهـ.

هل يُفهم من كلامي هذا، أنني أجوِّز العبث على الله تعالى، أو أنني أرى أن الله ﷻ يُكلِّف العباد لا لحكمة في ذلك التشـــريع، وإنما لمجرد قهره وقدرته؟!

هذا ما أراد المعلِّق أن يُفهِمَه[1]، أو إن شئت فقل: أن ينسُبه لي.

ثم أخذ يتحدَّث عن مذهب أهل السنة والجماعة، وكأني لستُ منهم، وهكذا أراد الفوزان أن يقيم معركة بغير ميدان!!

٢ ـ التفصيل في تحريم الحرير على الرجال:

قلت: «الذهب والحرير الخالص حرام على الرجال» اهـ.

كل ما في الأمر أنني أجملتُ الأمر دون تفصيل، لمراعاة الاختصار، فلم أقل بجواز لُبْس الحرير المختلط بغيره مطلقًا.

وفي مثل هذا الحـــال يمكن لمـــن أراد التعقيـــب أن يذكر تفصيل المسألة، لا أن يخطئ الناس، ويقول: «هذا منه خطأ واضح»[2]!

(١) قال الفوزان: «إن المؤلف جوَّز أن يشرع الله لعباده، وأن يكلفهم، لا لحكمة في ذلك...».

(٢) الإعلام صـ ٢٣.

QaradawiBooks.com

ثم شرع يذكر أقوال أهل العلم في تفصيل المسألة، فنقل عن الحافظ في «الفتح»، والشوكاني في «نيل الأوطار»، وهي من المراجع الشائعة!

وأحبُّ أن أرشده إلى أن في المسألة خلافًا، غير أني لا أتبنَّاه، وهو تحريم ما أكثره حرير: هل هو أكثر وزنًا، أم أكثر ظهورًا؟ فليراجع المسألة!

قال السفَّاريني: «إنما يحرم استعمال الحرير الخالص الذي لم يخالطه غيره، أو خالطه غيره، وكان الحرير غالبًا في الظهور. وأما إذا استويا ظهورًا ووزنًا، أو كان الحرير أكثر وزنًا والظهور لغيره، فلا حرمة حينئذ».

وفي الفروع: «يحرم على غير أُنثى لُبْس حرير... وما غالبه حرير، قيل: ظهورًا. وقيل: وزنًا. وإن استويا، فوجهان».

قال القاضي علاء الدين المِرْداوي رَحِمَهُ اللَّهُ في تصحيح الفروع: «قوله: ويحرم ما غالبه الحرير. قيل: وزنًا. وقيل: ظهورًا.

أطلق الخلاف، وأطلقه ابن تميم وصاحب الفائق، والمصنِّف ـ يعني: ابن مفلح ـ في حواشي المقنع، والحاويين وغيرهم: أحدهما الاعتبار بما غالبه الظهور، وهو الصحيح، وهو ظاهر كلام الإمام أحمد، وجزم به في الوجيز وغيره، وقدَّمه في التلخيص وغيره، وهو الصواب.

قلت: وجزم به في الإقناع، والمنتهى، والغاية وغيرهم.

والوجه الثاني: الاعتبار بالوزن»[1].

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

---

(١) غذاء الألباب شرح منظومة الآداب للسفاريني (١٨٩/٢)، نشر مؤسسة قرطبة، مصر، ط٢، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الرد على المُعَلِّق على طبعة دار الاعتصام

تمهيد:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

(أما بعد)

فقبل أن أردَّ على ملاحظات صاحب التعليق المتحدِّث باسم دار الاعتصام، أود توضيح النقاط التالية:

أولًا: كان من واجب الناشر أن يستأذنني فيما أراد إلحاقه من تعقيبات بين دفَّتَي كتابي نفسه، وأن يعرضها عليَّ، لأرى فيها رأيي قبل أن تُنشر. ولكنه لم يفعل ـ للأسف ـ فاضطررت أن أنتزع نفسي من مشاغلها؛ لأكتب هذا الرد على عَجَل وسرعة، سائلًا الله تعالى التوفيق والسداد.

وكان من واجب «المعلِّق» أن يتأنَّى ويتريَّث، ويراجع نفسه وغيره قبل أن يكتب ما كتب، عن كتاب أقرَّته إدارة الثقافة بالأزهر، وطُبع ثماني مرَّات، وتُرجم إلى أكثر من لُغة، وتلقَّاه قادة الفكر في العالم الإسلامي بالقبول، وحُسن الثناء، ولله وحده الحمد والمِنَّة، ولكن هكذا فعل، ولكلٍّ وجهته، ولكلِّ امرئ ما نوى.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ثانيًا: اعترف المعلِّق أن ما انتقده عليّ من آراء يوافقني فيها بعض أهل العلم، وأنها لم تخالف نصًّا محكمًا من كتاب أو سنة، أو إجماعًا، وإنما تخالف ما تواضع عليه الجمهور.

وهنا نقول للمعلِّق: نحن نعلم أن الأدلة الشرعية: كتاب، أو سنة، أو إجماع، أو قياس ـ على خلاف في الأخيرين ـ ولم يقل أحد في الأولين ولا في الآخرين: أن رأي الجمهور أحد الأدلة الشرعية، التي لا يجوز الخروج عليها.

ولا يوجد إمام مجتهد من الأئمة الأربعة وممن سبقهم من فقهاء الصحابة والتابعين، إلا وله آراء انفرد بها عن الجمهور.

ولو أحببنا أن نضرب لذلك الأمثلة لطال القول، وحسبنا أن مفردات الإمام أحمد قد أُلِّف فيها كتابٌ خاصٌّ، مع أنه رَحِمَهُ اللَّهُ أتْبعُ الناس للسنن والآثار.

ومعنى هذا: أن الفقهاء منذ عهد الصحابة، ومن بعدهم متَّفقون على تسويغ خلاف الجمهور. حتى قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تفسير معنى «الجماعة» التي جاء الأمر باتباعها في بعض الأحاديث، قال: الجماعة ما وافق الحق، وإن كنتَ وحدك[1]!

ثالثًا: زعم المعلِّق أنني استندت في كثير من آرائي إلى أقوال الإمام ابن حزم الظاهري، وهو زعْم غير صحيح، فلم آخُذ برأيٍ انفرد به ابن حزم قط، ولكن قد آخُذ برأي رجَّحه ابن حزم، إذا كان قد قال

(١) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٢٢/١) رقم (١٦٠)، تحقيق أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، نشر دار طيبة، السعودية، ط ٨، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

QaradawiBooks.com

به أحد الأئمة المجتهدين في القرون الأولى، وهذا على كل حالٍ ليس كثيرًا؛ بل هو أمر نادر جدًّا، كما سيتبيَّن بعدُ في ردِّنا على ملاحظات المعلِّق.

رابعًا: إن ابن حزم إمام مجتهد، له آراء واستنباطات من النصوص في غاية الجودة والروعة، وإنما يُعاب عليه أمران:

١ ـ جموده على ظواهر النصوص جمودًا جعله يرفض كلَّ مستندٍ آخَرَ من قياسٍ أو استحسانٍ أو استصلاح، وهذا ما عابه عليه ابن كثير فيما نقله المعلِّق.

٢ ـ طول لسانه على الأئمة وأصحابهم، حتى قيل: كان لسان ابن حزم كسَيْف الحجَّاج. وهذا ما وسَّع الفجوة بينه وبين أتباع المذاهب.

وكلا الأمرين لا نوافق عليه، ولا نأخذ به، كما لا يجعلنا نرفض فقهه كله، فالحكمة ضالَّة المؤمن، أنى وجدها، فهو أحق بها، كما رُوي في الحديث[١].

إن ابن حزم عَلَمٌ من أعلام الفكر الإسلامي بغير جدال، وكُتُبه في الفقه والأصول، ومقارنة الأديان والمذاهب: «المحلَّى»، و«الإحكام في أصول الأحكام»، و«الفِصَل في الملل والنِّحل»، مهما يكن فيها من آراء شَذَّ بها ابن حزم عن المألوف، فإنها تمثِّل قِمَّة من قمم الأصالة الفكرية، والاستقلال العلمي.

---

(١) رواه الترمذي في العلم (٢٦٨٧)، وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وابن ماجه في الزهد (٤١٦٩)، وقال الألباني في ضعيف الترمذي (٥٠٦): ضعيف جدًّا. عن أبي هريرة. ولكن معناه صحيح بالإجماع.

QaradawiBooks.com

أما آراء ابن حزم المتعلِّقة بالاقتصاد الإسلامي، ونظام الإسلام السياسي والاجتماعي، فقد أضحت اليوم أعرف الآراء وأكثرها قبولًا لدى جمهرة المفكرين والكُتَّاب الإسلاميِّين.

ولا يستغني مؤلف أو كاتب يتحدَّث عن عدالة الإسلام عن الاستشهاد بفقه ابن حزم، وبخاصَّة أنه يستند إلى ظواهر النصوص، ويعتمد ـ قبل كل شيء ـ على الكتاب والسنة.

يقول الداعية الإسلامي الكبير الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تقديمه لكتاب «المحلَّى» طبعة مطبعة الإمام: ابن حزم يمثل في فقهه السياسي والاقتصادي الثُّوَّار الأحرار، الذين يأبَون الضَّيْم والأثَرة، ويسوقون بين أيديهم مئات النصوص، التي توطِّد أركان الحرية السياسية والاقتصادية، وتجعل الحاكم عاملًا فحَسْبُ لمصلحة الأمة الدينية والمدنية، فإن نجح في وظيفته بقي، وإلا عُزل ولا كرامة.

أما رأيه في النظام الاقتصادي للأمة، فهو رأي يسبق أرقى ما وصلت إليه البرامج الاشتراكية في العالم كله، وحديثه يتَّسم بالدِّقَّة التي تقدم للجماهير ـ باسم الدين ـ أشمل معاني العدل الاجتماعي.

وما يقوله في كتاب «المحلى» مفصَّل في آخر باب الزكاة، وهو أحسن رد على الشيوعيين الذين يقولون: إن الدين أفيون الشعوب. فإنك لن تجد في كتابات أهل الدين أو أهل الدنيا من يُنافحون عن حقوق الجماهير بمثل هذه الحرارة والقدرة.

خامسًا: ومن عجيب أمر المعلِّق أنه قرَّر أولًا أنني اتخذتُ في بعض النواحي موقفًا يخالف ما تواضع عليه الجمهور، ثم ذكر أن لزامًا عليه أن يبيِّن وجهة نظر الإسلام في هذه النواحي! وكان

QaradawiBooks.com

الصواب الذي يقتضيه أول كلامه نفسه أن يقول: وجهة نظر الجمهور، أو وجهة النظر المخالفة، أو وجهة نظـره هو، وهو الصحيح. أما أن يكون رأيه هو الإسلام، فهذا هو المسـتغرب، إلا أن يكون حضرته «بابا» المسلمين!

سادسًـا: ومن عجيب أمره كذلك أنه يتحمَّس أحيانًا، فينسُـب قول الجمهور إلـى الإجماع، فيما ثبت فيه الخلاف ـ بـل الخلاف الظاهر ـ بيقين، مع تحذير كبار الأئمة كالشافعي وأحمد من دعوى الإجماع، حتى فيما لم يُعلم فيه مخالف، فلعلَّ الناس قد اختلفوا وهو لا يدري.

وإذا ثبت الخلاف في مسألة، فهي ـ إذن ـ اجتهادية، لا يجوز لعالم أن ينكر فيها على عالمٍ آخـر، ويدَّعي أن رأيه هو الإسـلام، دون رأي غيره، فقد قرَّر علماؤنا أن: لا إنكار في المسائل الاجتهادية[1].

سابعًا: أن المعلِّق يَغْفُل في ملاحظاته عن طبيعة العصر الذي نعيش فيه، وطبيعة الكتاب الذي يعقِّب عليه، أما العصر، فقد عمَّت فيه البلوى بأمور لم يعد لكثيـر من الناس فِكَاك منها، وعموم البلوى من أسـباب التخفيف والتيسير عند الفقهاء، وذلك لأن عموم البلوى بشيء يدلُّ على أن بالناس حاجة إلى هذا الشيء، كما يدلُّ على أن في قهرِهم على تركه بالكلية ضربًا من الحرج، وهو مرفوع عن الأمة.

وأما الكِتاب، فقد أُلِّف لجماهير المسـلمين، في الشـرق والغرب، وفيهم الألوف والملايين الذين يتعلَّمون أو يعملـون في أوربا وأمريكا وغيرهما، ويواجهون ظروفًا صعبة، وعالمًا سريع التغير، وهذا غير كتاب يؤلِّفه صاحبه لطائفة متديِّنة متمسِّكة بالآداب الشرعية، بعيدة عن تيارات

(١) الفروع لابن مفلح (٤٥٣/٢)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٢١٢/٣٥)، وفتح الباري (٤٥/٤).

QaradawiBooks.com

العصر وعُقَده ومشكلاته؛ بل أُلِّف في الأصل بتكليف من مشيخة الأزهر، ليُترْجَم إلى اللغة الإنجليزية وغيرها، بطلب من الأقليات الإسلامية في بلاد الغرب المختلفة.

هذا وقد رسخ في أذهان الكثيرين اليوم، أن الإنسان لا يستطيع أن يكون عصريًّا ومتديِّنًا في الوقت نفسه، فإما أن يكون عصريًّا متحلِّلًا، أو متديِّنًا متخلِّفًا!

وهذه فكرة شديدة الخطر على التديُّن، فمعناها أن الكثيرين سيعيشون عصرهم، مستغنين عن الدين، فلا بد من إثبات أن الدين لا يعوق الإنسان عن الانطلاق العاقل الشريف، للاستمتاع بطيِّبات الحياة، والمشاركة فيها، في غير إثم ولا عدوان.

وهذا يقتضينا الاتجاه إلى التيسير والتسهيل، والبعد عن التزمُّت والتشديد، وبخاصة أننا في مجال الفروع العملية، لا في مجال العقائد الأصلية، ولا ريب أن التبشير والتيسير هما روح الإسلام، وفي القرآن الكريم: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]. وفي الحديث: «**يسِّروا ولا تُعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا**»[(١)]. «**إنما بعثتم ميسِّرين، ولم تبعثوا معسِّرين**»[(٢)]، «**بعثتُ بحنيفية سَمْحة**»[(٣)].

ومن ثَمَّ إذا وُجِد قولان متعادلان أحدهما أحوط، والآخر أيسر، فالمعلِّق ومَن نَهَجَ نَهْجَه يأخذون بالأحوط، ولكنني آخذ بالأيسر، فهو

(١) سبق تخريجه صـ٣٩.

(٢) سبق تخريجه صـ٣٩.

(٣) رواه أحمد (٢٤٨٥٥)، وقال مخرِّجوه: حديث قوي. وحسَّن إسناده الحافظ ابن حجر في تغليق التعليق (٤٣/٢)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٨٢٩)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

الأليق بطبيعة العصر، وبطبيعة الدين، وبسُنَّة رسول الله ﷺ، فمن أوصافه أنه: ما خيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثمًا[1].

وبعد هـذا التمهيد نعـود إلى ملاحظـات المعلِّق لنـردَّ عليها بالتفصيل:

١ ـ حول مقاتلة مانع الفضل من الطعام:

كتب المُعَلِّق تحت هذا العنوان كلامًا مضطربًا، يَعْجب الإنسـان أن يصدر من عالم مسـلم يعيش في هذا العصر، ويرى ويسمع ما تموج به الحياة من تيارات فكرية، وقد أنكر على ابن حزم أروع ما جاء عن فقيهٍ في تقرير العدالة والتكافل الاجتماعي.

إن ابن حزم يـرى أن المضطر لا يجـوز له أن يـأكل الميتة ولحم الخنزير إذا كان عند غيره من المسـلمين أو الذميِّيـن طعامٌ فاضل عن حاجتهم، وعليه أن يطلب منهم ما يقيمه ويسد جوعته، ويقيه من الموت، فإن أعطَوْه، فبها، وإلا قاتلهم، وإن أدى ذلك إلى القتل.

ولكن المعلِّق لا يروقه هذا، ويرفضه! لماذا؟

أ ـ أن إعطاء هذا الحق للأفراد، يُصَيِّر الأمر فوضى.

ب ـ أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يليق بكل أحد، إنما يقوم به السلطان! «نقلًا عن القرطبي».

ج ـ أن أكل الميتة أو لحم الخنزير اضطـرارًا أخف من مقاتلة مانع فضل الطعام عن أخيه المضطر!

---

(١) سبق تخريجه صـ٥٤٣.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

د ـ أن قياس هذا على مقاتلة الصدِّيق مانعي الزكاة، قياس فاسد ـ وإن قال به ابن حزم ـ لأن الصديق كان خليفة المسلمين، لا فردًا من عوامِّهم، ولأن الزكاة رُكْن من أركان الإسلام، وإعطاء فضل الطعام للمضطر ليس كذلك.

وهذه الاستدلالات كلها مردودة:

أما الأول: فإن الذي يجعل الأمر فوضى حقيقةً هو وجود أناس جشعين يحتكرون الأطعمة والأقوات، ويخزنونها في بيوتهم أو مستودعاتهم، وفي الأمة مجاعة، انتهت ببعض الناس إلى حدِّ الاضطرار!

صحيح أن وليَّ الأمر عليه أن ينتزع ذلك منهم بالحق، ويوزعه على المضطرين، ولكن هبْ أنه كان متواطِئًا معهم، أو كان هو أحد المحتكرين، أو كان مستعمرًا أو غاصبًا، أو كان المضطر ببادية بعيدة، أو غير ذلك، فهل نُفتي الناس بأن يأكلوا جيف الحمير، أو يأكلوا موتاهم! ولا يمسُّوا أولئك السادة الأشِحَّاء بسوء؟!

أَمَا إنَّ الشيوعيين والملاحدة لا يجدون في مهاجمة الإسلام سلاحًا أمضى مما يقوله المعلِّق وأمثاله.

وأمَّا الثاني: فالأدلة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أكثر من أن تُذكر، وأشهر من أن تُنكر، وقد ذكرها القرطبي نفسُه في مواضع شتَّى، وردَّ الإمام الغزالي في كتاب «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» من «الإحياء» على من اشترط إذن السلطان في القيام بالأمر والنهي[1]، فليراجعْ هناك.

(١) راجع كتاب إحياء علوم الدين للغزالي (٣٠٦/٢).

QaradawiBooks.com

على أن القضية هنا ليست قضية أمر أو نهي، بل قضية دفاع عن الحياة، وإنقاذ للنفس من التهلكة، وسننقل عن القرطبي بعد قليل ما يناقض مراد المعلِّق من أساسه.

وأما الثالث: فقائلُ هذا غريبٌ عن السنة وعن الفقه معًا، فقد جاء في الحديث مشروعية قتال من هو أخفُّ من هذا، وهو قتال من منع حقَّ الضيف من القِرَى!

فعن المقدام بن معديكرب، عن النبي ﷺ، قال: «**أيُّما رجل أضاف قومًا، فأصبح الضيف محرومًا، فإنَّ نصره حقٌّ على كل مسلم، حتى يأخذ بقدر قِرى ليلته من زرعه وماله**»[(١)].

وهذا في البوادي وما في معناها، حين لا يكون للضيف الغريب مأوى ولا مطعم، وهو بعدُ لم يصل إلى حد الضرورة، فكيف بالمضطر؟!

وأما الرابع: فقد أجاز الشارع للفرد مقاتلة المعتدي، دفاعًا عن النفس، بل عن المال، وهو دون النفس، وجاء في ذلك الحديث الصحيح: أن رجلًا سأل النبي ﷺ: ماذا يفعل لو أراد أحدهم أخذ ماله؟! فقال له: «**لا تُعْطِه مالك!**» قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: «**قاتِلْه**». قال: أرأيتَ إن قتلته؟ قال: «**هو في النار**». قال: أرأيتَ إن قتلني؟! قال: «**فأنت شهيد**»[(٢)].

---

(١) رواه أحمد (١٧١٧٨)، وقال مخرجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود (٣٧٥١)، والحاكم (١٣٢/٤)، وصححه، ووافقه الذهبي، كلاهما في الأطعمة، وقال ابن الملقن في البدر المنير (٤٠٨/٩ ـ ٤٠٩): إسناده صحيح. وكذا ابن حجر في التلخيص الحبير (٢٩٣/٤). وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٢٣٧)، عن المقدام بن معديكرب.

(٢) سبق تخريجه صـ٤٣٩.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فإذا جاز هذا في دفاع الإنسان عن حرمة ماله، وقد يمكنه أن يفدي نفسه ببذل بعضه، فكيف بالمضطر الذي يدافع عن حياته وبقاء روحه؟!

ثم إن اعتبار قتال المضطر مانع الفضل عنه، قياسًا على قتال مانع الزكاة، لم يقل به ابن حزم؛ لأنه يرفض القياس من أساسه، ولو تأمَّل المعلِّق عبارته، لعلم أن الأمر ليس من باب القياس، بل هو بنى الأمرين على أساس واحد، هو قتال الباغي على أخيه، حتى يفيء إلى أمر الله.

وقول المعلِّق: إن إعطاء المضطر ليس كالزكاة؛ لأنها ركن. قول مرفوض، لأن إعانة المضطر فرض لازم بإجماع الفقهاء، حتى الذين يقولون منهم: ليس في المال حق سوى الزكاة، يوجبون ذلك.

وأخيرًا نقول: إن ابن حزم لم ينفرد بالقول بمقاتلة مانع المضطر فضل طعامه.

ونكتفي بما ذكره الإمام القرطبي في تفسير قول الله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ﴾ [البقرة: ١٧٣].

قال: «وأما المخْمَصة فلا يخلو أن تكون دائمة أو لا، فإن كانت دائمة، فلا خلاف في جواز الشِّبَع من الميتة، إلا أنه لا يحلُّ له أكلها وهو يجد مال مسلم لا يخاف فيه قَطْعًا، كالتَّمْر المعلَّق وحريسة[1] الجبل، ونحو ذلك مما لا قطع فيه ولا أذى. وهذا مما لا اختلاف فيه، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ في سفر، إذ رأينا إبلًا مصرورة[2] بعِضاهِ

(١) الحريسة: الشاة تُسرق ليلًا. وفي الحديث: «لا قطع في حريسة الجبل». أي: ليس فيما يحرس بالجبل قطع؛ لأنه ليس بحرز. رواه النسائي في قطع السارق (٤٩٥٧)، عن عبد الله بن عمرو، وحسَّنه الألباني.

(٢) مصرورة: مربوطة الضروع.

QaradawiBooks.com

الشجر، فثُبْنا إليها. فنادانا رسول الله ﷺ، فرجعنا إليه، فقال: «**إن هذه الإبل لأهل بيت من المسلمين، هو قُوتهم ويمنهم بعد الله. أيسُرُّكم لو رجعتم إلى مزاودكم فوجدتم ما فيها قد ذُهب به؟ أترون ذلك عدلًا؟**» قالوا: لا. فقال: «**إن هذه كذلك**». قلنا: أفرأيتَ إن احتجنا إلى الطعام والشراب؟ فقال: «**كلْ ولا تحمل، واشربْ ولا تحمل**»[(١)].

والحديث أخرجه ابن ماجه رَحِمَهُ اللَّهُ، وقال: هذا الأصل عندي. وذكره ابن المنذر: قال: قلنا يا رسول الله، ما يحل لأحدنا من مال أخيه إذا اضطر إليه؟ قال: «**يأكل ولا يحمل، ويشرب ولا يحمل**». قال ابن المنذر: وكل مُخْتَلَف فيه بعد ذلك، فمردود إلى تحريم الله الأموال[(٢)].

قال أبو عمر بن عبد البر: وجملة القول في ذلك: أن المسلم إذا تعيَّن عليه ردُّ رَمَق مهجة المسلم، وتوجَّه الفرض في ذلك بألَّا يكون هناك غيره، قضي عليه بترميق تلك المُهْجة الآدمية. كان للممنوع منه ما له من ذلك محاربةُ مَن مَنَعه ومقاتلته، وإن أتى ذلك على نفسه، وذلك عند أهل العلم إذا لم يكن هناك إلا واحد لا غير، فحينئذ يتعيَّن عليه الفرض. فإن كانوا كثيرًا أو جماعة وعددًا كان ذلك عليهم فرضًا على الكفاية.

والماء في ذلك وغيره مما يردُّ نفس المسلم ويمسكها سواء، إلا أنهم اختلفوا في وجوب قيمة ذلك الشيء على الذي ردَّت به مهجته، ورمق

---

(١) رواه ابن ماجه في التجارات (٢٣٠٣)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٨١٣): في إسناده سليط بن عبد الله، قال فيه البخاري: إسناده ليس بالقائم. وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه (٥٠٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٢٥/٢)، وانظر: كلام ابن المنذر في الإشراف (١٧٦/٨)، مسألة (٥٣٤٩)، تحقيق صغير أحمد الأنصاري، نشر مكتبة مكة الثقافية، رأس الخيمة، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

به نفسه، فأوجبها موجبون، وأباها آخرون، وفي مذهبنا القولان جميعًا. ولا خلاف بين أهل العلم ـ متأخريهم ومتقدميهم ـ في وجوب رد مهجة المسلم، عند خوف الذهاب والتلف بالشيء اليسير، الذي لا مضرَّة فيه على صاحبه، وفيه البُلْغة»[١].

٢ ـ حول ذبيحة المجوس:

أنكر المعلِّق ما ذكرتُه من وجود خلافٍ ما في ذبيحة المجوس، مع أني ذكرت أن أكثريَّة الفقهاء حرَّموها؛ لأنهم مشركون، وادعى ـ كعادته ـ انعقاد الإجماع على ذلك، فيما عدا شذوذ ابن حزم، مع أن الخلاف موجود. وقبل ابن حزم قال به أبو ثور، وبعد ابن حزم نصَّ على ذلك بعض علماء المذاهب. حتى النقل الذي نقله المعقِّب عن القرطبي، قال فيه: إنهم ليسوا أهل كتاب «على المشهور عند العلماء». وهذه هي أمانة العلماء ودقتهم.

وذكر العلامة ابن ناجي في شرح الرسالة لابن أبي زيد، عند قوله: «ولا يؤكل مما ذكَّاه المجوسي» قال: وخالف جماعة من أهل العلم وقالوا: يؤكل ما ذكَّاه. واحتجوا بوجهين:

أحدهما: أنهم كانوا من أهل الكتاب ورُفع (أي كتابهم).

الثاني: أن قوله ﷺ: «**سنوا بهم سنة أهل الكتاب**»[٢] يدل على ذلك.

وأجابوا عن الأول: بأنه إذا ارتفع الكتاب لم يبقَوا من أهله.

---

(١) التمهيد (٢١٠/١٤)، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، نشر وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.

(٢) سبق تخريجه صـ٩١.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وعن الثاني: بأن المراد بالحديث أخـذ الجزية منهم؛ لأن الصحابة لمَّا اختلفوا في أخذها منهم، روى لهم عبد الرحمن بن عوف الحديث.

وهذان الجوابـان ذكرهما ابن هارون من رواية علـيٍّ. إلا أن الثاني لا يسلم من اعتراض، وهو: أن الجزية يحتمل أن يكون فهمها الصحابة من عموم الحديث، لا أن الحديث إنما يدل على ذلك. والله أعلم.

قال ابن ناجي: «وقد قال ابن عبد السـلام: الاتفاق لا شـك فيه في الوثنـي، ومن في معناه ممن يقـال فيه ذلك مجازًا، وأمـا من كان هذا الاسم خاصًّا به في الزمان الأول كالفرس، فالصحيح عندي أنهم يلحقون بأهل الكتاب في جميـع أحكامهم، ولم يمنع من ذلـك إجماع، وهذا مذهب ابن المسيب وأبي ثور في أكل ذبائحهم»[1].

فإذا كان مثل هذا القول معزوًّا إلى مثل سعيد بن المسيب، وأبي ثور وابن حزم، وجماعة من علماء المالكية، مثل ابن عبد السلام وغيره، كما ذكر ابن ناجي، فهل يجوز للمعقِّب المحترم أن يُرغي ويُزبد، ويُطيل في غير طائل؟!

٣ ـ حول ترتيب آيات الخمر:

أما ترتيب آيات الخمر، فإن الذي انقدح في خاطري، أن آية سـورة البقرة: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [البقـرة: ٢١٩]، أدل على المنع من آية النسـاء: ﴿لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣]، وذلك لأن الإثم محرَّم بنص القـرآن، فحقها أن تكون بعد آية النسـاء، ولهذا قال

(١) شـرح الرسـالة للعلامة ابن ناجي (٣٨٢/١)، تحقيق أحمد فريد المزيدي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

QaradawiBooks.com

الرازي في تفسيره للآية: «اعلم أن عندنا أن هذه الآية دالَّة على تحريم الخمر...». ثم قال: «وبيانه من وجوه:

الأول: أن الآية دالَّة على أن الخمر مشتملة على الإثم، والإثم حرام؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٣٣]. فكان مجموع هاتين الآيتين دليلًا على تحريم الخمر.

الثاني: أن الإثم قد يراد به العقاب، وقد يُراد به ما يُستحق به العقاب من الذنوب، وأيهما كان فلا يصح أن يوصف به إلا المحرَّم.

الثالث: أنه تعالى قال: ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩]. صرَّح برجحان الإثم والعقاب، وذلك يوجب التحريم».

وذكر الرازي عن الربيع بن أنس: أن هذه الآية نزلت بعد تحريم الخمر[١].

فهذا ما دعاني إلى جعل آية سورة البقرة بعد آية سورة النساء، وإن كانت البقرة قبل النساء في ترتيب النزول، ولكن نزول سورة قبل أخرى، لا يعني أن كل آياتها نزلت قبل جميع آيات السورة اللاحقة، بدليل أن في سورة البقرة آيات تعتبر آخر ما نزل من القرآن.

على أن ما ذكر المعلق من ترتيب الآي هو المشهور، وقد جاء به أثر عن عمر، ذكره ابن كثير وغيره من المفسِّرين، ولا أرى مانعًا من الأخذ به، والأمر يسير على كل حال، ولا يترتَّب عليه حكم أو عمل.

(١) انظر: التفسير الكبير للفخر الرازي (٣٩٦/٦ ـ ٣٩٩).

QaradawiBooks.com

٤ ـ حول عورة المرأة بالنسبة للأجنبي[١]:

أما موضوع عورة المرأة والخلاف حـول الوجه والكفين، أهما من عورة أم لا؟ فهي مسـألة اختلفت فيها الآراء قديمًـا، وطال الجدل فيها حديثًا، فمن متشدِّد ومن مُيَسِّر، وهذه من المسائل التي لا يجوز الإنكار فيها على أحد الطرفين؛ لأنها قضية اجتهادية، ولكلٍّ فيها وجهته ودليله، وقد أطال المعلِّق الكلام فيها بما لا طائل تحته.

ومنهجي الذي اخترته في بيـان حقيقة الدين والدعـوة إليه بالقلم واللسـان، هو التشـدُّد في الأصول والكليات، والتيسـير فـي الفروع والجزئيات. فما يتعلَّق بعقائد الإسـلام وقيَمه الخلقية الأساسية وأركانه العملية ومحرماته القطعية، وما شابه ذلك، لا تساهُل فيه ولا ترخُّص. أما ما يتعلق بالجزئيات الفرعية العملية، فما وجدنا إلى التيسير سبيلًا أخذنا به، حتى نحبِّب دين الله إلى عباد الله، لا نساعدهم على الهرب منه جملة وتفصيلًا، تحت تأثير مغريات العصر ومعوِّقاته.

وما معنى أن نقول: إن الوجه والكفين عورة يجب تغطيتهما في كل حالٍ وكل حيـن، على حين نرى النسـاء في أكثر بلاد الإسـلام يكدن يخرجن من ثيابهن.

إن المعركة لم تعد معركة كشف الوجه والكفين، بل كشف الشعور والنحور والظهور والسـواعد، بل الأعْضُد؛ بل المناكب والسُّـوق، بل الرُّكَب، بل ما فوق الركب! والموجة تسـري كالبرق، والعدوى تنتشـر

(١) في ردي على ما أنكره المعلِّق على طبعة دار الاعتصام لكتابي (الحلال والحرام) رد أيضًا على ما تعقبه الشـيخ طهماز في رسـالته: نظرات في كتاب الحلال والحرام صـ ٣٤ ـ ٣٦، والفوزان في الإعلام صـ ٥٠ ـ ٧١.

QaradawiBooks.com

كالنار في الهشـــيم، حتى أصبحت المرأة التي تستر جسمها كله ما عدا وجهها وكفيها مثالًا للكمال، يُنشد فلا يكاد يوجد في كثير من الأقطار. وما أصدق قول المتنبي[1]:

إنا لفـــي زمـــن تـــرْك القبيح به من أكثر الناس إحسانٌ وإجمال!

فليت دعاة الإســـلام ينتصرون فـــي المعركة ضد العُـــرْي، والتهتُّك والخلاعة، ويبقون على المسلمة الحيية العفيفة التي لا تظهر من جسدها غير الوجه والكفين! أمَّا أنْ تكون هذه غرضًا لســـهام المتشـــدِّدين، فهو ما لا يجوز، ويوشك أن يفقدوها هي الأخرى.

ولا يُفهم من قولي هذا أننا ينبغي أن نتهاون في أمور ديننا من أجل فساد الناس، كلا، فإنما نقول هذا في الأمور المتشابهات والمحتملات، التي تتسع لأكثر من وجه، وتحتمل أكثر من تفسير.

تفسير ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾:

فكيف إذا كان هذا الذي اخترته في تفســـير ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ قد قال به من الصحابة: ابن عباس، وعائشة، وأنس بن مالك. ومن التابعين: عطاء، وســـعيد بن جبير. وقد قال به مَن قال مِن الأئمـــة الأربعة، واختاره من اختار من كبار المفسرين.

وأقتصر هنا على نقليـــن من كتب المذاهـــب، أحدهما من كتاب درســـناه في المرحلة الثانوية بالأزهر الشـــريف، وهو كتاب «الاختيار شرح المختار» من أشـــهر الكتب في فقه الحنفية، وأعتقد أنه لا يزال مقررًا إلى اليوم.

(١) ديوان المتنبي صـ ٤٩٠، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

يقول المؤلف: «ولا ينظر إلى الحُرَّة الأجنبية إلا إلى الوجه والكفين، إن لم يخف الشهوة، وعن أبي حنيفة أنه زاد القدم. لأن في ذلك ضرورة للأخذ والإعطاء، ومعرفة وجهها عند المعاملة مع الأجانب، لإقامة معاشها ومعادها، لعدم من يقوم بأسباب معاشها.

والأصل فيه قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣١]. قال عامة الصحابة: الكحل والخاتم. والمراد: موضعهما لما بيَّنا، وموضعهما: الوجه واليد.

وأما القدم، فروي أنه ليس بعورة مطلقًا، لأنها تحتاج إلى المشي فتبدو؛ ولأن الشهوة في الوجه واليد أكثر، فلأن يحل النظر إلى القدم كان أولى. وفي رواية: القدم عورة في حق النظر دون الصلاة»[1].

والثاني من كتاب «المهذب» للشيرازي في فقه الشافعية، وشرحه «المجموع» للنووي.

قال في المهذب: «فأما الحرة، فجميع بدنها عورة إلا الوجه والكفين، لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣١]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: وجهها وكفيها. ولأن النبي ﷺ نهى المرأة في الإحرام عن لُبْس القُفَّازين والنقاب، ولو كان الوجه والكف عورة لما حرم سترهما في الإحرام، ولأن الحاجة تدعو إلى إبراز الوجه للبيع والشراء، وإلى إبراز الكف للأخذ والإعطاء، فلم يجعل ذلك عورة».

قال الإمام النووي في شرح المهذب: «وممَّن قال: عورة الحرة جميع بدنها إلا وجهها وكفيها: الأوزاعي وأبو ثور. وقال أبو حنيفة والثوري

(١) الاختيار لتعليل المختار لابن مودود الحنفي (١٥٦/٤)، نشر مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٧م.

QaradawiBooks.com

والمزني: قدماها أيضًا ليسا بعورة. وقال أحمد: جميع بدنها إلا وجهها فقط. وحكى الماوردي والمتولِّي عن أبي بكر بن عبد الرحمن التابعي: إن جميع بدنها عورة»[١].

ومذهب الإمام مالك كمذهب الإمام الشافعي هنا[٢].

أكثر العلماء على أن الوجه والكفين ليسا بعورة:

وبهذا يتضح لنا أن أكثر العلماء ـ كما قال ابن رشد في «بداية المجتهد»[٣] ـ على أن الوجه والكفين ليسا من العورة، بل أضاف إليهما جماعةٌ القدمين أيضًا.

فلا داعي ـ إذن ـ لهذه الضجَّة، وفي الأمر سَعَة، وخصوصًا بعد أن أصبحت المرأة تخرج لكثير من الحاجات والأعمال، للتعلُّم في المدارس والجامعات، وللتعليم والعمل في المدارس والمستشفيات وغيرها، مع تعقد الحياة الحديثة، وكثرة مطالبها، فهذا يقتضي ترجيح القول الميسِّر لها، والذي يزيل الحرج عنها، وما جعل الله في هذا الدين من حرج.

حول حديث أسماء: «إذا بلغت المرأة المحيض...»:

وأما كلام المعلق حول حديث عائشة عند أبي داود: أنه ﷺ قال لأسماء: «**إن المرأة إذا بلغت المحيض... إلخ الحديث**» وتضعيفه بأن عائشة راويته لم تعمل به[٤]، وبإرساله... إلخ، فلا مسوِّغ له، بعد أن صرَّحتُ بأن في

(١) المجموع شرح المهذب (١٦٧/٣ ـ ١٦٩).

(٢) انظر على سبيل المثال: الشرح الصغير للدردير وحاشيته للصاوي (١٠٥/١).

(٣) بداية المجتهد لابن رشد (١٢٣/١).

(٤) هذا مردود بوجوه: أولًا: أن المباح لا يجب على المكلَّف العمل به؛ لأنه مخيَّر في فعله وتركه. وثانيًا: أن الكثيرين من الفقهاء يأخذون برواية الراوي لا برأيه، وهذا له أمثلة كثيرة. =

QaradawiBooks.com

الحديث ضعفًا، ولم أجعله عمدتي في الاستدلال، وإنما استأنستُ به، ولي في ذلك سلف هم خير مني ومن صاحب التعليق، أحدهم: الإمام القرطبي[١] الذي يكثر «سيادته» من النقل عنه فيما يوافق مشربه.

والثاني: هو الحافظ الكبير الإمام البيهقي، الذي أخرج الحديث، وبيَّن إرساله، ثم قال: مع هذا المرسل قول من مضى من الصحابة في بيان ما أباح الله من الزينة الظاهرة، فصار القول بذلك قويًّا، فهذا وجه في تقوية الحديث، كما ذكرنا في حاشية قريبة.

وهناك وجه آخر اعتمده محدِّث الشام الشيخ ناصر الدين الألباني في كتابه «جلباب المرأة المسلمة»، وهو: أن الحديث جاء من طرق يقوِّي بعضُها بعضًا، منها ما أخرجه البيهقي من طريق ابن لهيعة، وقال فيه: إسناده ضعيف.

قال الألباني: «وعلته ابن لهيعة هذا... وهو ثقة فاضل، لكنه كان يحدِّث من كتبه فاحترقت، فحدَّث من حفظه فخلط. وبعض المتأخرين يحسِّن حديثه، وبعضهم يصححه. وقد أورد حديثه هذا الهيثمي في «مجمع الزوائد» «١٣٧/٥» من رواية الطبراني في الكبير والأوسط، ثم قال: وفيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح».

قال الألباني: «والذي لا شك فيه أن حديثه في المتابعات والشواهد لا ينزل عن رتبة الحسن، وهذا منها»[٢].

= وثالثًا، وهو الأهم: أن عائشة وسائر نساء النبي لسن كأحد من النساء، فقد فُرض عليهن الحجاب خاصة، تأكيدًا لحرمتهن. قال القاضي عياض: فرْض الحجاب مما اختص به أمهات المؤمنين، فهو عليهن فرض بلا خلاف، في الوجه والكفين. نقله الحافظ في الفتح (٥٣٠/٨).

(١) راجع ما نقلناه عنه تحت عنوان: ما يجوز إبداؤه من زينة المرأة. تفسير القرطبي (٢٢٩/١٢).

(٢) انظر: جلباب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة صـ ٥٩، نشر دار السلام للنشر والتوزيع، ط ٣، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

QaradawiBooks.com

أقول: وقد اعتمد العلامة الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ توثيقه في تخريج المسند، وجرى على تصحيح حديثه إذا رواه عنه ثقة حافظ من المعروفين[١]. ولكني أرجِّح رأي الشيخ الألباني في تقوية أحاديثه في المتابعات والشواهد فقط.

الأحاديث الصحيحة في جواز كشف الوجه واليدين:

ووجه ثالث أشرت إليه في الكتاب، وهو ما صح من أحاديث في جواز كشف الوجه والكفين، ولم أذكر هذه الأحاديث طلبًا للاختصار.

وقد ذكر المحدِّث الألباني عددًا منها، تدل على أن العمل على ذلك قد جرى من النساء في عهد النبي ﷺ، وهو لا ينكر ذلك عليهن. منها:

أ ـ حديث جابر عند أحمد ومسلم والنسائي وغيرهم، في وعظ النبي ﷺ النساء في العيد، وفيه: أن امرأة سفعاء الخدَّين قامت، فقالت كذا وكذا..[٢] إلخ. فلولا أن وجه المرأة مكشوف ما استطاع الراوي أن يصف خديها.

ب ـ حديث ابن عباس عند مالك والشيخين وأبي داود والنسائي وابن ماجه والبيهقي: أن امرأة من خثعم استفتت رسول الله ﷺ في حجة الوداع يوم النحر، والفضل بن عباس رديف رسول الله ﷺ... وفيه: فأخذ الفضل يلتفت إليها ـ وكانت امرأة حسناء ـ وأخذ رسول الله ﷺ الفضل، فحوَّل وجهه من الشِّقِّ الآخر[٣].

---

(١) انظر: مسند أحمد (٢٠٢/١) رقم (٨٧)، تحقيق أحمد محمد شاكر، نشر دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

(٢) رواه مسلم في صلاة العيدين (٨٨٥)، وأحمد (١٤٤٢٠)، عن جابر.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١٥١٣)، ومسلم (١٣٣٤)، كلاهما في الحج، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

وروى هـذه القصـة علي بن أبي طالـب، وزاد: فقال لـه العباس: يا رسـول الله، لِمَ لويتَ عُنُق ابن عمِّك؟ قال: «**رأيت شابًّا وشابة، فلم آمن الشيطان عليهما**»[١].

والحديث يدل أيضًا على أن المرأة كانت مكشوفة الوجه، ولولا ذلك ما عرف ابن عباس أنها حسناء، ولا كرَّر الفضل الالتفات إليها، ولا خشِي النبي ﷺ عليهما الفتنة، «ولو كان الوجه عورة يلزم سـتره، لَمَا أقرَّها على كشفه بحضرة الناس، ولأمرها أن تُسبل عليه من فوق» كما قال ابن حزم[٢].

لا يحرُم النظر إلى الوجه والكفَّيْن عند أمن الفتنة:

وقول النبي ﷺ: «**رأيت شابًّا وشابةً، فلم آمن الشيطان عليهما**». يدل بمفهومه أنه عند وجود الأمن لا يحرم النظر، فقد كانا هنا شابَّين والمرأة وضيئة حسـناء، وجعل كل منهما يلتفت إلى الآخر، فخاف الرسول ﷺ الفتنة، فلوى عُنق ابن عمـه، وصَرَفَ وجهه عنها، ومـع هذا لم يأمرها بتغطية وجهها. وقد يرى بعضهم أن المرأة كانت مُحْرِمة، فلهذا كشـفت وجهها، ولكن يرد ذلك: الرواياتُ التي بيَّنت أن ذلك اليوم هو يوم النحر، وبعد الرمي والذبح، كما في مسند أحمد، وكما في الصحيح أيضًا[٣].

ومن المعلوم أن هذا الوقـت ـ أي: بعد الرمـي والنحر ـ ليس وقت إحرام، بل وقت تحلُّل منه، فلو كانت تغطية الوجه واجبة في الحل، لأمرها النبي ﷺ بذلك، ولكنه لم يفعل، فدل على جواز كشفه، وهو المطلوب.

---

(١) رواه أحمد (٥٦٢)، وقال مخرجوه: إسناده حسن. والترمذي في الصوم (٨٨٥)، وقال: حسن صحيح. وحسَّنه الألباني في جلباب المرأة المسلمة (٢٨)، عن علي.

(٢) المحلى لابن حزم (٢٤٨/٢).

(٣) رواه مسلم في الحج (١٢٨٢)، وأحمد (١٧٩١)، عن الفضل بن عباس.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ج ـ حديث سهل بن سعد عند الشيخين والنسائي[١]: أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، جئت لأهَبَ لك نفسي، فنظر إليها رسول الله ﷺ، فصعَّد النظر إليها وصوَّبه، ثم طأطأ رأسه.. الحديث.

والمفهوم من الحديث أنها لم تكن مُغطاة الوجه، وإلا لم تكن للمبالغة في تأمُّل محاسنها المستفادة من تصعيد النظر وتصويبه فائدة. وقد كان ذلك بحضرة بعض الصحابة، ولهذا قال أحدهم: زوِّجْنيها، يا رسول الله.

د ـ حديث عائشة في الصحيحين[٢] وغيرهما، قالت: كُنَّ نساء المؤمنات يشهدْنَ مع النبي ﷺ الفجر متلفعات بمروطهنَّ، لا يُعرفن من الغَلَس.

ومفهومه: أنه لولا الغَلَس (الظلام) لعُرفن، وإنما يعرفن عادة من وجوههن إذا كانت مكشوفة، فثبت المطلوب.

هـ ـ حديث عائشة عند أبي داود «وعنه البيهقي»: أن امرأة أتت النبي ﷺ تبايعه، ولم تكن مُخْتضبة، فلم يبايعها حتى اختضبت[٣].

قال الألباني: وهو حديث حسن أو صحيح، وله شواهد كثيرة[٤].

و ـ حديث قيس بن أبي حازم عند الطبراني[٥]، قال: دخلنا على أبي بكر رضي الله عنه في مرضه، فرأيت عنده امرأة بيضاء موشومة اليَدَيْن، تذبُّ

(١) متفق عليه: رواه البخاري في فضائل القرآن (٥٠٣٠)، ومسلم في النكاح (١٤٢٥)، كما رواه النسائي في النكاح (٣٣٣٩).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في مواقيت الصلاة (٥٧٨)، ومسلم في المساجد (٦٤٥).

(٣) رواه أبو داود في الترجل (٤١٦٥)، والبيهقي في النكاح (٨٦/٧).

(٤) جلباب المرأة المسلمة صـ ٧٠.

(٥) رواه الطبراني (١٣١/٢٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٨٧١): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

QaradawiBooks.com

عنه، وهي أسماء بنت عميس. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٧٠/٥): ورجاله رجال الصحيح.

فهذه أسماء وهي صحابية جليلة، يرى الراوي بياضها والوشم في يديها، وتُبدي ذلك بحضرة زوجها الخليفة الأول، أمام الأجانب، فلا ينكر ذلك أحد عليها، فدل على أن ذلك كان معروفًا لديهم[١].

وثمَّت أحاديث أخرى.

وأعتقد أن في الأحاديث المذكورة هنا كفاية. أي: كفاية لمن يريد أن يقتنع. ومن لم يُرِدْ ففي التكلُّف واعتساف التأويل متَّسع.

كشْف المرأة وجهَها في عبادتي الصلاة والحج:

يؤيِّد ذلك كلَّه ما أجازه الإسلام للمرأة المسلمة من كشف وجهها في عبادتي الصلاة والحج، مع أن الصلاة قد تكون في المسجد بحضور الرجال، واحتمال الرؤية عند انتظار الصلاة، وعند الخروج من المسجد قائم. ومع أن المرأة قد تحرم من أول أشهر الحج، وتبقى على ذلك أكثر من شهرين، مكشوفة الوجه واليدين، أينما كانت، وحيثما حلَّت، وهي مع الرجال في جميع الأعمال.

فتوى العلامة السيد رشيد رضا:

ويقول العلامة السيد رشيد رضا في فتوى له:

«إن كشف المرأة لوجهها هو الأصل الذي كان عليه الناس، وأقرَّه الإسلام، بل أوجبه في الإحرام، وادِّعاء حُرمته في أصل الدين جناية على

(١) انظر: جلباب المرأة المسلمة صـ ٩ ـ ١٣.

QaradawiBooks.com

الدين، وتحكُّم فيه بالــرأي والهوى، وإثبات للحرج والعُسْــر فيه، وقد نفاهما الله عنه؛ لأن أكثر المسلمات يشــقُّ عليهن ذلك، مع الحاجة إلى العمل والسفر، وإن تحمَّله من نســاء الأمصار من تعوَّدْنَه أو من كفتهن الثروة مزاولة الأعمال.

ودعوى خوف الفتنة من كشــفهن لوجوههن لا تسلم على إطلاقها، فإننا نعرف من نساء الفلاحين والبدو السافرات من نقطع بأنهن أبعد عن الرِّيبة من نســاء المدن المنتقبات، ولكن المرأة التي تعلم أن في كشف وجهها مَفْسدة يحرم عليها كشفه بلا شك»[1].

الدليل على جواز نظر المرأة إلى ما ليس بعورة من الرجل:

وقد ذكر المعلق أني استشهدت على استثناء الوجه والكفين بسماح النبي ﷺ لعائشة برؤية الحبشة يلعبون بحرابهم في المسجد.

ولكني لم أستشهد بالحديث على ما قال، ولا أدري من أين أخذ هذا؟! بل استشهدت به على جواز نظر المرأة إلى ما ليس بعورة من الرجل.

ولست أول من اســتدل بالحديث المذكور، فقد اســتدل به الإمام البخاري في الصحيــح، فقد ترجم عليه: «باب نظــر المرأة إلى الحبش ونحوهم من غير رِيبة»، وقال القاضي عياض: فيه جواز نظر النساء إلى فعل الأجانــب، لأنه إنما يكره لهن النظر إلى المحاســن، والاســتلذاذ بذلك[2]. وتأمل عبارة «يُكره».

(١) فتاوى الإمام محمد رشيد رضا (٦٨٣/٢)، تحقيق د. صلاح الدين المنجِّد، نشر دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٣٠٩/٣).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

أما الإمام النووي ـ الذي التزم المعلِّق رأيه هنا ـ فقد تشدَّد في ذلك غاية التشدد، حتى قال: الأصح أن النظر بغير شهوة مُحرَّم. وتكلَّف في تأويل الحديث، بما ذكره المعلِّق، وهو مردود[١].

فالقول بأنها كانت تنظر إلى لعبهم وحرابهم، ولم تكن تنظر إلى وجوههم وأبدانهم، مجرد دعوى، وخروج عن الظاهر والمعتاد في مثل هذه الأحوال، وبخاصة أنها أطالت النظر حتى سئمت.

وكذلك القول بأن ذلك كان قبل نزول الآية في تحريم النظر، وأنها كانت صغيرة! أي: أن الحكم الثابت بهذا الحديث منسوخ. ولكن النسخ لا يثبت بالاحتمال.

وفي ألفاظ الحديث في بعض الروايات ما ينفي هذا الاحتمال.

فمنها: أن ذلك وقع لما قدم وفد الحبشة، وكان قدومهم سنة سبع، فيكون عمرها حينئذ خمس عشرة أو ست عشرة سنة.

ومنها قولها: «كان يسترني بردائه»[٢] دليل على أن ذلك كان بعد نزول آية الحجاب.

ومنها قولها: أحببتُ أن يبلغ نساءَه مقامُه لي[٣]. مُشعر بأن ذلك وقع بعد أن صارت لها ضرائر، أرادت الفخر عليهن. كل هذا قاله الحافظ ابن حجر في «الفتح»[٤].

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم (١٨٤/٦).

(٢) سبق تخريجه صـ١٩٩.

(٣) رواه النسائي في الكبرى في عِشرة النساء (٨٩٠٢).

(٤) انظر: فتح الباري (٤٤٥/٢).

QaradawiBooks.com

أضف إلى هذا حديث فاطمة بنت قيس التي أمرها النبي ﷺ أن تعتدَّ في بيت ابن أم مكتوم. حيث تضع ثيابها عنده ولا يراها.

قال ابن التركماني في «الجوهر النقي»: قال صاحب «التمهيد»: قوله عليه السلام لفاطمة بنت قيس: «**انتقلي إلى بيت ابن أم مكتوم، فإنه أعمى، إن وضعت ثيابك لم ير شيئًا**»[١]. دليل على جواز نظر المرأة إلى الأعمى، وكونها معه في بيت، وإن لم تكن ذات محرم منه. وفيه ما يرد حديث نبهان: إنه عليه السلام قال لأم سلمة وميمونة: «**احتجبا منه**»[٢].

ومن قال بحديث فاطمة احتجَّ بصحته، وأنه لا مَطْعَنَ لأحدٍ فيه، وأن نبهان ليس ممن يحتج بحديثه، وزعم أنه لم يرو إلا حديثين منكرين أحدهما هذا...»[٣].

٥ ـ حول خدمة المرأة ضيوف زوجها:

لا يستحقُّ كلام المعلِّق هنا أن نردَّ عليه، فبعد أن ذكرت النص الشرعي من صحيح البخاري ومسلم، وذكرت ما يُستفاد منه أخذًا من كلام الحافظ ابن حجر، وهو من أشد المحافظين، وقيَّدت الجواز بثلاثة أمور:

أ ـ أن يكون ذلك في حضرة زوجها.

ب ـ أن تكون متأدِّبة بأدب الإسلام، في ملبسها وزينتها، وكلامها ومشيتها. وإن كان المعلِّق «الأمين» للأسف حذف هذه الفقرة من تعليقه!

(١) سبق تخريجه صـ٢١٥.

(٢) سبق تخريجه صـ٢١٥.

(٣) الاستذكار لابن عبد البر (١٦٩/٦)، والجوهر النقي على سنن البيهقي (٩٢/٧)، نشر دار الفكر.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ج ـ أن تكون الفتنة مأمونة من جانبها وجانبهم.

وقلتُ في نهاية الفقرة: فإن لم تُراعِ المرأة ما يجب عليها من الستر.. كأكثر نساء هذا الزمن، فإن ظهورها للرجال يصير حرامًا.

فماذا يريد حضرة المعلِّق أكثر من هذه القيود؟! أم يريد أن نُحَكِّم في سلوكنا التقاليد الشرقية، بدل النصوص الشرعية؟!

وإذا كان لي أن أزيد شيئًا هنا، فهو العنوان الذي وضعه الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ ترجمة للحديث المذكور، هو «**باب قيام المرأة على الرجال في العرس، وخدمتهم بالنفس**»[1].

ومن في الناس لا يطبق هذا الحكم الشرعي في بيته، إذا زاره أقاربه، أو أقارب زوجته الأقربون، ممن ليسوا محارم لها، وتحتاج الزوجة إلى خدمتهم، وتقديم الطعام والشراب لهم؟!

هذا، ولستُ أذهب إلى الاستدلال بالحديث المذكور إلى شيء أبعد مما قرَّرتُ، ولا أقبل منطق الذين حاولوا استغلاله لإباحة المجالس والسهرات المختلطة بين الرجال والنساء، بغير حدود ولا قيود، كما اتجه إليه بعض الكاتبين، فالحديث لا يدل أبدًا على ما ذهب إليه.

ولعل هذا الغلو في التوسع بعض ما دفع المعلق إلى التضييق والتشديد، ولكن العدل في الاعتدال، والخير في التوسُّط، ولا يمنعنا قول بعض الناس بالباطل، أن نقول نحن بالحق.

---

(١) انظر: فتح الباري (٢٥١/٩).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٦ ـ حول حكم الاستمناء:

في كلام المعلِّق هنا مآخذ عديدة:

أ ـ زعم أني اتجهت في حديثي عن «العادة السرية» إلى تبريرها.. وهذا غير صحيح؛ لأني ضيَّقت في الجواز إلى أبعد حد. حيث قيَّدْته بحالة معينة هي: حالة ثوران الغريزة، مع خشية الوقوع في الحرام، ولم أكتفِ بذلك، بل ذكرت قيْدين آخرين، هما: عدم استطاعة الزواج، نقلًا عن فقهاء الحنابلة، وألا يسرف في هذا ويتخذه دَيْدنًا، أعني ألَّا تصبح عادة.

وضربت مثلًا لذلك الشاب الذي يتعلم أو يعمل غريبًا عن وطنه «في مثل أوربا وأمريكا»، وأسباب الإغراء أمامه كثيرة.. ومن أمانة المعلِّق أنه حذف العبارة الأخيرة!

ومقتضى ما قررته: أني لم أمِلْ إلى الحِل المطلق الذي ذهب إليه ابن حزم، بل بنيتُ رأيي على القاعدة الشرعية المعروفة: «ارتكاب أخف الضررين». ولا سيما مع عدم وجود نص محكم في التحريم.

وهذا ما يؤيِّدُه جواب ابن عباس ـ الذي ذكره المعلِّق ـ لمن سأله عن الاستمناء: هل فيه من معصية؟ فقال: أفٍّ! نكاح الأَمَة خير منه، وهو خير من الزِّنى[1].

ففي هذا الجواب استقذار لهذا العمل، ولكنه لم يقل: إنه معصية.

ونكاح الأَمَة الذي ذكره حلال بنص القرآن، لمن خشي العنت، والصبر عن ذلك أفضل، لما وراء ذلك من رقِّ الولد.

وقوله: وهو خير من الزنى. يقصد: ما قلناه من ارتكاب أهون الشرين.

---

(١) رواه عبد الرزاق في الطلاق (١٣٥٨٨)، والمحلى (٤٠٧/١٢).

QaradawiBooks.com

على أن من العلماء من قال: هو خيرٌ من نكاح الأمة، كما أشار إليه القرطبي في تفسيره، وكما جاء في مفردات مذهب أحمد: الاستمناء أحب إليَّ من نكاح الأمة[١].

بل جاء عن بعض التابعين ما هو أكثر من ذلك. قال مجاهد: كانوا يأمرون فتيانهم أن يستعفُّوا به. وقال العلاء بن زياد: كانوا يفعلونه في مغازيهم[٢].

ب ـ قال المعلق: كان من الأوْلى وقد ذكر المؤلف رأي الإمام أحمد.. أن يذكر في موازنته رأي عامَّة العلماء، حتى يجد الشباب أمامه من الأحاديث والنصوص ما يقوِّي عزيمته.

وأقول: يا عجبًا! إن أول ما ذكرته هو رأي الجمهور، مع ما استندوا إليه من القرآن الكريم، أما الأحاديث والنصوص التي أشار إليها «سيادته»، وأرادني أن أذكرها، فقد فهمت ما يريد، ومعاذ الله أن أعتمد في أمر كهذا على أحاديث واهية، كحديث «ناكح يده» وما شابهه. مما ضعَّفه جهابذة الحديث وأئمة النقد[٣].

ولهذا لم يعتمد القرطبي ولا ابن كثير ـ اللذَيْن نقل عنهما المعلِّق ـ على شيء من نقل الأحاديث التي يشير إليها حضرته. وكان عليه أن ينقل كلام القرطبي كله في المسألة. حتى يتبيَّن القارئ ما فيها من خلاف[٤].

---

(١) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (٤٦٦/٢٦)، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، نشر دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

(٢) المجموع للنووي (٣٢/٢٠).

(٣) قال ابن الجوزي في العلل (٦٣٣/٢): هذا حديث لا يصح عن رسول الله. وقال ابن الملقن في البدر المنير (٦٦٢/٧): إسناده لا يثبت بمثله حجة. وقال ابن كثير في التفسير (٦٦٢/٧): هذا حديث غريب.

(٤) انظر: تفسير القرطبي (١٠٥/١٢، ١٠٦).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولكنه حذف جملًا منه عمدًا. ومع هذا لـو تأمَّل ما نقله عنه، لوجد فيه مجرد استقذار لهذا العمل الدنيء، وفرق بين أن يكون العمل دنيئًا يُعرِض عنه ذو المروءة وأن يكون حرامًا.

ج ـ وأخيرًا: تطوع الأستاذ المعلِّق بذكر حديث: «**يا معشر الشباب...**» إلخ». ونسي أني توَّجت كلامي بذكره، وأخذت منه أن كثرة الصوم هي الوسيلة المُثلى للتغلب على الشهوة، ولكن هناك فرق بين ما هو أمثل وأكمل، مما يوصف لأُولي العزائم، وبين ما قد يُباح للعوام وضعفاء الناس، ولا سيما في حالات الضرورة أو الحاجة، وفي أزمنة الفتنة ورِقَّة الدين.

٧ ـ حول النظر إلى المخطوبة:

أ ـ جزم المعلِّق هنا ـ على عادته ـ بأمور لا يجرؤ عالم على الجزم بها، فادَّعى أن النبي ﷺ قد حدَّد المقدار المرخص برؤيته من المخطوبة بسُنَّته الفعلية، وهي أقوى دليلًا، وأصدق برهانًا، وتبعه على ذلك أصحابه... إلخ.

والحق أن هذا استدلال بغير دليل، لأن مجرد فعل الرسول ﷺ لشيء، يدل على مشروعيته، ولكن لا يدل على نفي ما عداه. وهذا لا خلاف فيه.

ولو كان كما قال المعلق ما اختلف الفقهاء في مقدار ما ينظر الخاطب.

قال في «الفتح»: قال الجمهور: لا بأس أن ينظر الخاطب إلى المخطوبة، قالوا: ولا ينظر إلى غير وجهها وكفيها.

QaradawiBooks.com

وقال الأوزاعي: يجتهد وينظر إلى ما يريد منها إلا العورة.

وقال ابن حزم: ينظر إلى ما أقبل منها وما أدبر منها.

وعن أحمد بن حنبل ثلاث روايات: الأولى كالجمهور، والثانية: ينظر إلى ما يظهر غالبًا، والثالثة: ينظر إليها متجرِّدة[١].

وقال الصنعاني في «سبل السلام»: دلَّت الأحاديث على أنه يُندَب تقديم النظر إلى من يريد نكاحها، وهو قول جماهير العلماء، والنظر إلى الوجه والكفين. وقال الأوزاعي: ينظر إلى مواضع اللحم. وقال داود: ينظر إلى جميع بدنها.

قال: والحديث مطلق، فينظر إلى ما يحصل له المقصود بالنظر إليه. ويدل على فهم الصحابة لذلك، ما رواه عبد الرزاق وسعيد بن منصور: أن عمر كشف عن ساق أم كلثوم بنت علي، لما بعث بها عليٌّ إليه لينظرها[٢].

ولا يُشترط رضا المرأة بذلك النظر، بل له أن يفعل ذلك على غفلتها، كما فعله جابر[٣]. وذلك أن جابرًا روى حديث: «**إذا خطب أحدكم المرأة، فإن استطاع أن ينظر منها إلى ما يدعو إلى نكاحها فليفعل**». قال جابر: فخطبتُ جاريةً، فكنت أتخبَّأ لها، حتى رأيت منها ما دعاني إلى نكاحها، فتزوجتُها[٤].

---

(١) فتح الباري (١٨١/٩، ١٨٢).

(٢) رواه عبد الرزاق في النكاح (١٠٣٥٢)، وسعيد بن منصور في سننه (٥٢١)، انظر: التلخيص الحبير (١٤٨٤).

(٣) انظر: سبل السلام للصنعاني (١١٣/٣)، نشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط ٤، ١٣٧٩هـ ـ ١٩٦٠م.

(٤) سبق تخريجه صـ ٢٢٤.

QaradawiBooks.com

وإذا لم يمكنه النظر إليها استحب له أن يبعث امرأة يثق بها، تنظر إليها وتخبره بصفتها، فقد روى أنس أنه ﷺ بعث أم سُلَيْم إلى امرأة فقال: «**انظري إلى عرقوبها، وشَمِّي معاطفَها**». أخرجه أحمد والطبراني والحاكم والبيهقي وفيه كلام[(١)].

ولا يفهم أحد من كلام جابر: أنه تخبأ للفتاة لمجرد أن ينظر إلى وجهها وكفَّيْها، فهذا لا يقتضي التخبؤ والاستخفاء. وقوله أيضًا: حتى رأيت منها ما دعاني إلى نكاحها. يُشعر بشيء أبعد من الوجه والكفين.

وإذن ما نسبه المعلِّق إلى الرسول ﷺ وصحابته جزمًا، غير صحيح.

ب ـ استدل المعلِّق على أن الإسلام يحث على إخفاء الخِطبة، بحديث: «أظهروا النكاح وأخفوا الخِطْبة». وقال في الهامش: عزاه السيوطي في «الجامع الصغير» إلى الديلمي في «مسند الفردوس»، ورمز له بالصحة. ومعروف عند المحققين من علماء الحديث: أن رموز السيوطي أصابها كثير من التحريف، فلم تعد يُوثَق بها، كما بين ذلك المُنَاوي في «الفيض»[(٢)]. فكان على المعلِّق أن يراجع ما قاله شارح الجامع الصغير عن هذا الحديث. قال المناوي في «التيسير»[(٣)]: إسناده

---

(١) رواه أحمد (١٣٤٢٤)، وقال مخرِّجوه: حسن. والطبراني في الكبير كما في البدر المنير (٥٠٧/٧)، والحاكم في تواريخ المتقدمين (١٦٦/٢)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي. وقد استنكره أحمد، وحسَّنه ابن القطان الفاسي، كما في البدر المنير (٥٠٩/٧).

(٢) انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير (٣٩/١)، والتنوير شرح جامع الصغير للأمير عز الدين الصنعاني (١٢٩/١، ١٣١)، تحقيق محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، نشر مكتبة دار السلام، الرياض، ط١، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

(٣) التيسير شرح الجامع الصغير (١٦٦/١)، نشر مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

QaradawiBooks.com

ضعيف. وقال في «الفيض»: فيه من لا يُعـرف[١]. وكذا قال العزيزي في «السراج المنير»: إسناده ضعيف[٢].

ولم يقل المناوي ولا العزيزي: إن المؤلـف رمز له بعلامة الصحة. مما يدل علـى أن المذكور في المطبوع غير صحيح، وإلا لناقشـاه فيه، على عادتهما في مثله.

وهذا هو الأصل في كل ما ينسب إلى الديلمي في «مسند الفردوس»: أنه ضعيف، إلا فيما نص عليه المؤلف.

وإذا كان الحديث ضعيفًا، فمن المجمع عليه أنه لا يُعمل به في غير فضائل الأعمال، على خلافٍ فيه. أمـا فيما يبنى عليه حكم، وما يترتَّب عليه عمل، فلا. فأخذ حكم ـ مثل إخفاء الخطبة ـ من مثل هذا الحديث لا يقول به عالم.

أما الجزء الأول من الحديث: «أظهروا النكاح» فله شواهد يصير بها حسنًا لغيره أو صحيحًا كما ذكره العجلوني في «كشف الخفاء»[٣].

٨ ـ حول زواج المتعة:

لا ينقضي عجبي مما كتبه المعلِّق عن كلامي حول زواج المتعة، فقد ذهبتُ إلى تحريمه بصراحة وجلاء، وبيَّنـتُ الحكمة في هذا التحريم، كما بيَّنْتُ الحكمة في إباحتها في أول الأمر، قبل استقرار التشريع على تحريمها.

(١) فيض القدير (٤٥٩/١).

(٢) شرح الجامع الصغير (٢٣١/١)، ١٨٦٢م.

(٣) كشف الخفاء (١٤٥/١)، نشر مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥١هـ.

QaradawiBooks.com

وأشرت إلى رأي ابن عباس، وهو مشـــهور، لم يسعني أن أتجاهله، فيستغله مستغل لإباحة المتعة، فسددتُ الباب عليه من جهات ثلاث:

أولًا: التصريح بأنه خالف عامـــة الصحابة، مع أن بعضهم قد يدَّعي غير ذلك.

ثانيًا: تصوير رأيه بأنه يبيحهـــا للضرورة، كما أفادت بعض الروايات عنه، وهذا لا يفيد أنهـــا مباحة بإطلاق، كما زعـــم المعلِّق، فكل دارس يعلم أن المباح للضرورة هو المحرَّم. فالفرق بينه وبين غيره من الصحابة أنهم يرونها مثل نكاح الأمهات والبنات والأخوات، لا تباح بحال، وهو يراها مثل الميتة والدم ولحم الخنزير، تباح عند الضرورات.

ثالثًا: أنني رجَّحت رواية رجوعه عنها، عندما بلغه توسُّع الناس فيها، وعدم اقتصارهم على قدر الضرورة.

إي والله هذا ما قلته، ولكنه لم يُعجب السيد المعلِّق! لماذا؟!

أ ـ أنه يقرر ـ في جرأة ـ أن ابن عباس رجع عن قوله في المتعة، لمَّا علم بتحريم النبي ﷺ لها، واستشهد على ذلك بأمرين:

أولهما: أثر ذكره الترمذي بغير إسناد[1]، ومثل هذا لا يعوَّل عليه عند أهل العلم.

ثانيهما: حديث عليٍّ: أن النبي ﷺ نهى عنها يوم خيبر[2]، وليس في الحديث أن ابن عباس ســـلَّم لعلي بما قال، ونزل عن رأيه، ويبدو أنَّ له تأويلًا لحديث عليٍّ، لم ينقله الرواة.

---

(١) ذكره الترمذي في النكاح عقب حديث (١١٢١).

(٢) سبق تخريجه صـ٨١.

QaradawiBooks.com

والذي ثبت في صحيح مسلم أن ابن عباس رخَّص فيها، في عهد ابن الزبير بمكة، وأن ابن الزبير عرَّض بابن عباس وهدَّده، وهذا بعد موت عليٍّ بعشرات السنين!

وهذا الحديث قبل الحديث الذي نقله المعلِّق بصفحة واحدة[١].

ومما يؤيد بقاء ابن عباس على قوله بعد عليٍّ أن أصحابه في مكة واليمن كانوا على رأيه، مثل طاوس وابن جبير وعطاء وغيرهم[٢].

ب ـ أنه يريد جعل زواج المتعة من المحرَّمات تحريمًا قاطعًا في الدين، دون أي شك أو تشكيك في ذلك، شأنه شأن الزِّنى.

وهذا ليس إليَّ، ولا إليه، ولا إلى غيره، ولو كان الدين بالهوى والعواطف لجاز ذلك، ولو كان الأمر من القطعيات المعلومة بالضرورة، لكان الشيعة كُفَّارًا بالإجماع؛ لاستحلالهم الحرام القطعي، ولكُفِّر ابنُ عباس ومن روى عنهم الترخيص فيها من السلف. واعتبارُها مثلَ الزِّنى لا يستسيغه مسلم؛ لأنها لو كانت كذلك لم يُبحْها الإسلام أبدًا.

قال الحافظ في «الفتح»: وقد اختلف السلف في نكاح المتعة.

قال ابن المنذر: جاء عن الأوائل الرخصة فيها، ولا أعلم اليوم أحدًا يُجيزها، إلا بعض الرافضة، ولا معنى لقول يخالف كتاب الله وسنة رسوله.

---

(١) رواه مسلم في الحج (١٤٠٦).

(٢) ذكره ابن عبد البر، ورواه عنهم عبد الرزاق بأسانيد صحيحة، كما في الفتح (٧٨/١١). وانظر مصنف عبد الرزاق، كتاب الطلاق (١٤٠٢٠، ١٤٠٢١، ١٤٠٢٢، ١٤٠٢٤، ١٤٠٢٥، ١٤٠٢٦، ١٤٠٢٧، ١٤٠٣١).

QaradawiBooks.com

وقال عياض: ثم وقع الإجماع من جميع العلماء على تحريمها إلا الروافض، وأما ابن عباس فروي عنه أنه أباحها، ورُوي عنه الرجوع بأسانيد ضعيفة، وإجازة المتعة عنه أصح. وهو مذهب الشيعة.

قال: وأجمعوا على أنه متى وقع الآن أُبْطِل، سواء كان قبل الدخول أم بعده، إلا قول زُفر، فإنه جعلها كالشروط الفاسدة. ويرده قوله ﷺ: «**فمن كانت عنده منهن شيء، فليُخْلِ سبيلها**»[1].

وقال الإمام النووي في شرح مسلم: «واختلف أصحاب مالك: هل يحد الواطئ فيه، ومذهبنا (يعني الشافعية) أنه لا يُحدُّ، لشبهة العقد، وشبهة الخلاف.

ومأخذ الخلاف: اختلاف الأصوليين في أن الإجماع بعد الخلاف: هل يُصيِّر المسألة مجمعًا عليها؟ والأصح عند أصحابنا: أنه لا يرفعه، بل يدوم الخلاف، ولا تصير المسألة بعد ذلك مجمعًا عليها أبدًا. وبه قال القاضي أبو بكر الباقلاني»[2].

هذا هو كلام العلماء، وليس بعد قول هؤلاء العلماء قول. ومن هُنا يتأكد لنا أن مراتب الأعمال يجب أن تبقى كما هي، القطعي يبقى قطعيًّا، والظني يبقى ظنيًّا، فإن لكلٍّ حُكمه وأثره، سواء في الاعتقاد، أم في السلوك.

ولا ينال هذا من رأيي الذي أثبتُّه في صُلب الكتاب، وأيَّدْتُه بالنقل والعقل، وهو استقرار التشريع على حُرمة زواج المتعة. وإن قال به من قال.

---

(١) انظر: فتح الباري (٧٧/١١).

(٢) شرح مسلم للنووي (١٨١/٩، ١٨٢).

QaradawiBooks.com

٩ ـ ١٠ ـ حول تنظيم النسل ومسوغاته:

وغريبة أخرى من غرائب المعلِّق، وهي ما ذكره حول تنظيم النسل.

أ ـ فقد أنكر وقوع العزل من الصحابة، وإقرار الرسول ﷺ لهم على ذلك. وزعم أن الواقع يهدم ذلك من أساسه!

وهذا عجيب، فقد قرر علماؤنا في «أدب البحث والمناظرة» قاعدة تقول: إن كنت ناقلًا فالصحة، وإن كنت مُدَّعيًا فالدليل.

فلا يُطلَب من الناقل أكثر من صحة النقل، وما ذكرتُه عن العزل منقول عن البخاري ومسلم من حديث جابر. فهل يكذِّب سيادته البخاري أو مسلمًا أو جابرًا؟

أما ما ذكره من أعداد أولاد الصحابة وكثرتهم، فلا ينفي أنهم كانوا في بعض الأحيان يعزلون، فقد كان الواحد منهم يتزوَّج عقب بلوغه، فتاة صغيرة السن، ومعنى هذا: أن مدة صلاحية الزوجين للإنجاب تستمر حوالي أربعين سنة، وعند الرجل أكثر، ثم إنهم كانوا يتزوجون عدة زوجات، وهذا غير الإماء، فلا مانع أن يفكر أحدهم ـ في وقت ما لاعتبار ما ـ في العزل. وهذا لا يؤثر على كثرة النسل.

ب ـ ادَّعى المعلِّق أن إجابات النبي ﷺ لمن استأذنوه في العزل كانت كلها أبعد ما تكون عن الموافقة، وأقرب ما تكون إلى الإنكار.

وهذا التعميم غير صحيح، ففي بعض الإجابات: «**اعزل عنها إن شئت، فإنه سيأتيها ما قُدر لها**»[1]. قاله لجابر. كما في «صحيح مسلم».

(١) رواه مسلم في النكاح (١٤٣٩)، عن جابر.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وسائر إجابات النبي ﷺ لا تدلُّ على أكثرَ من الكراهة، أو ترك الأولى، كما قال كثير من العلماء.

ولا شك أن قضية العزل قد اختلف فيها العلماء من قديم، وقد تبنَّى المعلِّق أشد الآراء فيها، فوافق ابن حزم الذي لا يحب موافقته، وخالف الجمهور مع إنكاره على من خالفهم.

كلمات مضيئة للإمام الغزالي في العزل:

وتوضيحًا للأمر، أنقل هنا كلمات مضيئة في الموضوع للإمام الغزالي في «الإحياء»، وهو كتاب يرسم طريق الورع والتقوى للسالكين، ومؤلفه غير متَّهم بالترخيص أو الشذوذ.

يقول الغزالي في كتاب «النكاح» من إحيائه عن العزل:

«اختلف العلماء في إباحته وكراهته على أربعة مذاهب، فمن مبيح مطلقًا بكل حال، ومن مُحرِّم بكل حال، ومن قائل يحلُّ برضاها ولا يحل دون رضاها. وكأن هذا القائل يُحرِّم الإيذاء دون العزل، ومن قائل يباح في المملوكة دون الحرة.

والصحيح عندنا أن ذلك مباح. وأما الكراهية، فإنها تطلق لنهي التحريم، ولنهي التنزيه، ولترك الفضيلة، فهو مكروه بالمعنى الثالث. أي: فيه ترك فضيلة، كما يقال: يُكره للقاعد في المسجد أن يقعد فارغًا لا يشتغل بذكر أو صلاة، ويكره للحاضر في مكة مقيمًا بها ألَّا يحج كل سنة[1]، والمراد بهذه الكراهية: ترك الأَوْلى والفضيلة فقط.

(١) أعتقد أن الوضع الآن بعد اتساع مكة، وازدياد سكانها، وكثرة الحجيج من العالم، قد تغيَّرت فيه الفتوى القديمة.

QaradawiBooks.com

وإنما قلنا: لا كراهة بمعنى التحريم والتنزيه؛ لأن إثبات النهي إنما يمكن بنصٍّ أو قياسٍ على منصوص، ولا نصّ ولا أصل يُقاس عليه؛ بل هاهنا أصل يقاس عليه، وهو ترك النكاح أصلًا، أو ترك الجماع بعد النكاح، أو ترك الإنزال بعد الإيلاج، فكل ذلك ترك للأفضل، وليس بارتكاب نهي، ولا فرق، إذ الولد يتكوَّن بوقوع النطفة في الرحم، ولها أربعة أسباب: النكاح، ثم الوقاع، ثم الصبر إلى الإنزال بعد الجماع، ثم الوقوف لينصبَّ المنيُّ في الرحم. وبعض هذه الأسباب أقرب من بعض.

فالامتناع عن الرابع، كالامتناع عن الثالث، وكذا الثالث كالثاني، والثاني كالأول.

وليس هذا كالإجهاض والوأد؛ لأن ذلك جناية على موجودٍ حاصل. وله أيضًا مراتب: وأول مراتب الوجود: أن تقع النطفة في الرحم، وتختلط بماء المرأة، وتستعد لقبول الحياة، وإفساد ذلك جناية. فإن صارت مضغة وعلقة كانت الجناية أفحش. وإن نُفخ فيه الروح واستوت الخِلقة ازدادت الجناية تفاحشًا. ومنتهى التفاحش في الجناية بعد الانفصال حيًّا.

وإنما قلنا مبدأ سبب الوجود، من حيث وقوع المنيِّ في الرحم، لا من حيث الخروج من الإحليل؛ لأن الولد لا يخلق من منيّ الرجل وحده، بل من الزوجين جميعًا: إما من مائه ومائها، أو من مائه ودم الحيض، قال بعض أهل التشريح: إن المضغة تخلق بتقدير الله، من دم الحيض وإن الدم منها، كاللبن من الرائب، وإن النطفة من الرجل شرط في خثور دم الحيض، وانعقاده كالأنفحة للَّبن إذ بها ينعقد الرائب، وكيفما كان، فماء المرأة ركن في الانعقاد، فيجري الماءان مجرى الإيجاب والقبول، في الوجود الحُكْمي في العقود، فمن أوجب ثم رجع

QaradawiBooks.com

قبل القبول لا يكون جانيًا على العقد بالنقض والفسخ، ومهما اجتمع الإيجاب والقبول كان الرجوع بعده رفعًا وفسخًا وقطعًا، وكما أن النطفة في الفقار لا يتخلق منها الولد، فكذا بعد الخروج من الإحليل، ما لم يمتزج بماء المرأة ودمها، فهذا هو القياس الجليُّ.

فإن قلت: فإن لم يكن العزل مكروهًا، من حيث إنه دفع لوجود الولد، فلا يبعد أن يُكره لأجل النية الباعثة عليه، إذ لا يبعث عليه إلا نية فاسدة، فيها شيء من شوائب الشرك الخفي.

فأقول: **النيات الباعثة على العزل خمس:**

الأولى: في السَّراريّ، وهو حفظ المِلْك عن الهلاك، باستحقاق العتاق. وقصد استبقاء الملك بترك الإعتاق، ودفع أسبابه، ليس بمنهيٍّ عنه.

الثانية: استبقاء جمال المرأة وسمنها، لدوام التمتُّع، واستبقاء حياتها، خوفًا من خطر الطَّلْق، وهذا أيضًا ليس منهيًّا عنه.

الثالثة: الخوف من كثرة الحرج، بسبب كثرة الأولاد، والاحتراز من الحاجة إلى التعب، في الكسب ودخول مداخل السوء، وهذا أيضًا غير منهيٍّ عنه. فإن قلة الحرج معين على الدين. نعم الكمال والفضل في التوكل والثقة بضمان الله، حيث قال: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]. ولا جرم فيه سقوط عن ذروة الكمال، وترك الأفضل. ولكن النظر إلى العواقب، وحفظ المال وادخاره، مع كونه مناقضًا للتوكل، لا نقول: إنه منهيٌّ عنه.

الرابعة: الخوف من الأولاد الإناث، لما يعتقد في تزويجهنَّ من المَعَرَّة، كما كانت من عادة العرب في قتلهم الإناث، فهذه نيَّةٌ فاسدة، لو

QaradawiBooks.com

ترك بسببها أصل النكاح أو أصل الوقاع، أَثِمَ بها، لا بترك النكاح والوطء، فكذا في العزل.

الخامسة: أن تمتنع المرأة لتعزُّزها، ومبالغتها في النظافة، والتحرُّز من الطلق والنفاس والرضاع، وكان ذلك عادة نساء الخوارج، لمبالغتهن في استعمال المياه، حتى كن يقضين صلوات أيام الحيض، ولا يدخلن الخلاء إلا عُراة، فهذه بدعة تخالف السنة، فهي نية فاسدة.

فإن قلت: فقد قال ﷺ في العزل: «**ذاك الوأد الخفي**» وقرأ: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾ [التكوير: ٨][1]، وهذا في الصحيح.

قلنا: وفي الصحيح أيضًا أخبار صحيحة في الإباحة، وقوله: «**الوأد الخفي**» كقوله: «**الشرك الخفي**» وذلك يوجب كراهة لا تحريمًا.

فإن قلت: فقد قال ابن عباس: العزل هو الوأد الأصغر، فإن الممنوع وجوده به، هو الموءودة الصغرى.

قلنا: هذا قياس منه، لدفع الوجود على قطعه، وهو قياس ضعيف. ولذلك أنكره عليه عليّ رضي الله عنه لمَّا سمعه، قال: ولا تكون موءودة إلا بعد سبع. أي بعد الأخرى سبعة أطوار. وتلا الآية الواردة في أطوار الخلقة، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۞ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٢ ـ ١٤]، ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾: أي نفخنا فيه الروح. ثم تلا قوله تعالى في الآية: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾ [التكوير: ٨]»[2] انتهى من «الإحياء».

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٥٢، وفيه: «**لقد هممت أن أنهى عن الغيلة**».

(٢) انظر: إحياء علوم الدين (٥١/٢ ـ ٥٣).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقد أخرج الحافظ البيهقي في «سننه الكبرى»، الأحاديث والآثار القاضية بإباحة العزل، وهي كثيرة، ثم خصص بابًا لمن كره العزل، ومن اختلفت الرواية عنه فيه، وما روي في كراهيته، وذكر فيه حديث جُدَامة بنت وهب، الذي أخرجه مسلم. ثم قال البيهقي: «وقد روينا عن النبي ﷺ في العزل خلاف هذا، ورواة الإباحة أكثر وأحفظ، وأباحه مَنْ سمَّينا من الصحابة (يعني سعد بن أبي وقاص، وزيد بن ثابت، وجابر بن عبد الله، وابن عباس، وأبا أيوب الأنصاري، وغيرهم) فهي أولى، وتحتمل كراهية من كرهه منهم، التنزيه دون التحريم. والله أعلم»[1].

وأودُّ أن أقرِّر هنا أنَّ ما ذكرته من إباحة العزل استدلالًا على جواز تنظيم النسل للأفراد عند الحاجة، لا يعني أبدًا: أني أؤيِّد الدعوة العامَّة إلى تحديد النسل بين المسلمين، واتخاذ ذلك فلسفة عامَّة للمجتمع، فإن هذا ينافي ما ذكرتُه في أول الفصل: أن الإسلام حبَّب في كثرة النسل، وبارك الأولاد ذكورًا وإناثًا، ولكنه رخَّص للمسلم في تنظيم النسل إذا دعت إلى ذلك دواعٍ معقولة، وضرورات معتبرة.

كما أؤكد ما قلته هناك: من أن ذلك يجب أن يتم بإذن الزوجة ورضاها؛ لأن لها حقًّا في الولد، وحقًّا في الاستمتاع.

وهو مذهب ابن عباس وعطاء وإبراهيم وسعيد بن جبير، وغيرهم. وقد جاء ذلك في حديث مرفوع[2].

---

(١) السنن الكبرى (٣٢٨/٧ ـ ٣٣٢)، نشر مجلس دائرة المعارف، حيدرآباد، ط١، ١٣٤٤هـ.

(٢) رواه أحمد (٢١٢)، وقال مخرجوه: إسناده ضعيف. وابن ماجه في النكاح (١٩٢٨)، وضعَّف إسناده البوصيري في زوائد ابن ماجه (٦٩٢).

QaradawiBooks.com

١١ ـ حول طلاق الحائض:

قد ذكرتُ حرمة طلاق المرأة في حالــة الحيض؛ لأنه طلاق بدعي مخالف للسنة، ولما أمر به القرآن والرسول ﷺ. ثم أشرت إلى الخلاف في وقوعه بين الرأي المشهور الذي عليه الجمهور، وهو القول بالوقوع، وبين قول طائفة من الفقهاء: أنه لا يقع.

ونظرًا لمخالفة هذا الرأي لما توارثه أتباع المذاهب الأربعة، أشرت إلى شيء من أدلته، مما قد يفهم منه أنني أُرجِّحه أو أميل إليه، ولا بأس بذلك، وإن لم أُصرِّح به.

ولكن المعلِّق أنكر ذكر القول المخالف للجمهور، مستندًا إلى أربعة أمور: أنه خــلاف الإجماع، وخــلاف حديث ابن عمر عنــد البخاري، وخلاف حديثين صريحين عنــد الدارقطني، ثم طعن فضيلته في حديث أبي داود الذي ذكرتُه في الكتاب، وأنا مضطرٌّ إلى مناقشــة هذه الأمور كلها، مستعينًا بالله تعالى.

دعوى الإجماع على أن طلاق الحائض يقع:

أ ـ زعم المعلِّق أن الذي عليه إجماع الفقهاء هو: أن طلاق الحائض يقع، ولا عبرة بالآراء الشاذَّة لأمثال ابن حزم، فإنها لا تنال من الإجماع شيئًا!

ومثل هذا الكلام لا يجزم به إنســان يحترم العلم، ويعرف مصادره، فالخلاف في المسألة أشهر من أن يُجحَد. فلا غرو أن قال علماؤنا: من لم يعرف اختلاف الفقهاء فليس بفقيه.

فابن عمر نفســه، قد روي عنه بإســناد صحيح: أنه قال في الرجل يطلق امرأته، وهي حائض: لا يُعْتَدُّ بذلك.

QaradawiBooks.com

«صحح إسناده ابن حزم، وعبد الحق، وابن تيمية، وابن القيم، والحافظ ابن حجر، وغيرهم»[(١)].

وهذه الرواية تعارض الروايات الأخرى.

قال ابن القيم في رسالته «إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان»: «وهذا مذهب أفقه التابعين على الإطلاق، سعيد بن المسيب، حكاه عنه الثعالبي في تفسير سورة الطلاق.

وهو مذهب خِلَاس بن عمرو، رواه عنه قتادة: أنه قال في الرجل يطلق امرأته وهي حائض، قال: لا يعتدُّ بها.

وهذا قول أبي قلابة، ذكره ابن أبي شيبة بإسناد صحيح[(٢)].

وهذا اختيار ابن عَقِيل من كبار الحنابلة في كتابه «الواضح» في أصول الفقه، صرح به في مسألة: النهي يقتضي الفساد.

وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية.

وهو أحد الوجهين في مذهب أحمد.

وقال أبو جعفر الباقر: لا طلاق إلا على بيِّنة، ولا طلاق إلا على طُهر من غير جماع»[(٣)].

فليت شعري أين الإجماع المدَّعى مع مخالفة هؤلاء الأجِلَّة، وليس فيهم ابن حزم المتَّهم عند المعلِّق بالشذوذ؟!

---

(١) انظر: زاد المعاد (٨٤/٤، ٩٥)، وتهذيب سنن أبي داود لابن القيم مع عون المعبود (١٧١/٦)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ، وفتح الباري لابن حجر (٢٦٩/١١).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في الطلاق (١٨٠٤٨).

(٣) إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان صـ ٥٤، تحقيق عبد الرحمن بن حسن بن قائد، نشر دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٥هـ. وانظر: زاد المعاد (٢٠٢/٥، ٢٠٣).

QaradawiBooks.com

وفي «سبل السلام»: أن صاحب «البحر» نسب هذا القول إلى الباقر والصادق والناصر من فقهاء آل البيت[١].

ونقل في «الفتح»: أنه مذهب الخوارج والروافض وبعض الظاهرية، ومذهب إبراهيم بن عُلَيَّة من فقهاء المعتزلة[٢].

ب ـ أما بقية حديث البخاري التي ذكرهـا المعلِّق، وفيها أن راوي الحديث أنس بن سـيرين سـأل ابن عمر عن الطَّلْقة: أتُحْتَسـب؟ قال: فَمَه؟![٣] فكلمة (فَمَه؟) هنا فسرتها رواية صحيحة أخرى عند مسلم، عن ابن عمر، قال: ما يمنعه؟ أرأيت إن عجز واستحمق[٤]؟

وهذا رأي ابن عمر رضي الله عنهما، ليـس مرفوعًا إلى النبي ﷺ، ولا حجة في قول أحد دونه.

وقد ذكر الصنعاني في «سـبل السلام» أن الرواة لحديث ابن عمر اتفقوا على أن المسـند المرفوع في هذا الحديـث غير مذكور فيه أن النبي ﷺ حسب تلك التطليقة على ابن عمر، ولا قال له: قد وقعت، ولا رواه ابن عمر مرفوعًا، بل في صحيح مسلم ما دل على أن وقوعها إنما هو رأي لابن عمر، وأنه سـئل عن ذلك، فقـال: وما لي لا أعتدُّ بها، وإن كنت قد عجزت واستحمقت[٥]؟! وهذا يدل على أنه لا يعلم في ذلك نصًّا نبويًّا؛ لأنه لو كان عنده لم يتـرك روايته، ويتعلَّق بهذه

(١) سبل السلام (١٧٠/٣).
(٢) فتح الباري (٣٥١/٩، ٣٥٢).
(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٥٢٥٢)، ومسلم (١٤٧١)، كلاهما في الطلاق.
(٤) رواه مسلم في الطلاق (١٤٧١)، وانظر: سبل السلام (١٧١/٣).
(٥) رواه مسلم في الطلاق (١٤٧١) (١١).

QaradawiBooks.com

العلة العليلة، فإن العجز والحمق لا مدخل لهما في صحة الطلاق، ولو كان عنده نصٌّ نبوي لقال: وما لي لا أعتد بها، وقد أمرني رسول الله ﷺ أن أعتد بها؟

وقد صرح الإمام الكبير محمد بن إبراهيم الوزير بأنه قد اتفق الرواة على عدم رفع الوقوع في الرواية إليه ﷺ[١].

والمراد باتفاق الرواة المذكور: اتفاقهم فيما روي بطريق صحيح. أما الروايات التي لا تسلم طرقها من مقال فلا حجة فيها.

ج ـ وأما حديث شعبة عند الدارقطني، عن أنس بن سيرين: أن عمر قال: يا رسول الله، أفتحتسب بتلك الطَّلْقة؟ قال: «نعم»[٢]. فلو صح ذلك لحُسِمَ النزاع بلا جدال. ولكن من أين له الصحة، وفي إسناده إلى شعبة: أبو قلابة الرَّقَاشي. وهو لا شك من أهل الصدق والديانة، ولكن قد قال فيه الدارقطني نفسه: صدوق كثير الخطأ في الأسانيد والمتون، كان يُحدِّث مِنْ حفظه، فكثرت الأوهام في روايته، ونقل عنه الذهبي قوله فيه: كثير الوهم، لا يُحْتَجُّ به[٣].

ونقل الحاكم عن الدارقطني: لا يحتج بما ينفرد به. بلغني عن شيخنا أبي القاسم ابن بنت منيع، أنه قال: عندي عن أبي قِلَابة عشرة أجزاء، ما منها حديث مُسَلَّم، إما في الإسناد، وإما في المتن، كان يحدث من حفظه، فكثرت الأوهام فيه[٤].

---

(١) سبل السلام (١٧١/٣).

(٢) رواه الدارقطني في الطلاق (٣٨٩٣).

(٣) ميزان الاعتدال (٦٦٣/٢، ٦٦٤).

(٤) انظر: تهذيب التهذيب (٢٤٠/٦، ٢٤١).

QaradawiBooks.com

وبهذا نتبيَّن أن رواية من هذا شأنه لا يحتج بها إذا انفرد، وخصوصًا في مواضع النزاع، ومعتركات الآراء. والروايات الصحيحة عن أنس بن سيرين عن ابن عمر عند البخاري ومسلم، ليس فيها شيء مرفوع إلى النبي ﷺ، كما ذكره في «سبل السلام».

د ـ وأما حديث الدارقطني الآخر، الذي ذكره المعلِّق عن عبد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر، وفيه: أن الرسول ﷺ أمر ابن عمر أن يراجع امرأته من طلاق بقي له.. إلخ.

فهذا الحديث مرويٌّ عن طريق سعيد بن عبد الرحمن الجُمَحي، كما قال الحافظ في «الفتح»، وسعيد هذا قد اختُلف فيه، فوثَّقه جماعة، وضعَّفه آخرون، كما في «تهذيب التهذيب» وغيره. قال يعقوب بن سفيان: لين الحديث.

وقال السَّاجي: يروي أحاديث لا يُتابع عليها.

وقال ابن عدي: له غرائب حِسَان، وأرجو أنها مستقيمة، وإنما يهم في الشيء بعد الشيء، فيرفع موقوفًا، ويصل مرسلًا، لا عن تعمُّد.

وقال ابن حبان: يروي عن عبد الله بن عمر[1]، وغيره من الثقات أشياء موضوعة، يتخايل إلى من سمعه أنه كان المتعمد لها.

ونقل ابن الجوزي عن أبي حاتم: لا يُحتجُّ به[2].

وبهذا سقط الحديث المذكور، عن درجة الاحتجاج.

---

(١) كذا في تهذيب التهذيب، ويبدو أنه خطأ مطبعي، إن لم يكن هو قلم الناسخ، والصواب: أنه عبيد الله بن عمر المصغَّر، فهو الثقة، وهو الذي يروي عنه.

(٢) انظر: تهذيب التهذيب (٥٥/٤، ٥٦). والميزان (١٤٨/٢).

QaradawiBooks.com

هـ ـ وأما حديث ابن عمر عند أبي داود الذي ذكرته في الكتاب، وفيه: أن رسول الله ﷺ، ردها عليه، ولم يرها شيئًا[١]. فلا شك في صحَّة إسناده عند الجمهور ومخالفيهم، فهو حديث صحيح صريح، وإنما حاولوا إعلاله بما ذكره المعلِّق، حول أبي الزبير، وهي محاولة غير مُجْدِية.

قال المحقِّق ابن القيم بعد أن ذكر الحديث بإسناده: وهذا إسناد في غاية الصحة، فإن أبا الزبير غير مدفوع عن الحفظ والثقة، وإنما يخشى من تدليسه، فإذا قال: «سمعت» أو «حدثت» زال محذور التدليس، وزالت العلة المتوهَّمة. وأكثر أهل الحديث يحتجُّون به إذا قال: «عن» ولم يصرح بالسماع، ومسلم يصحِّح ذلك من حديثه، فأما إذا صرح بالسماع، فقد زال الإشكال وصح الحديث، وقامت الحجة. ولا نعلم في خبر أبي الزبير هذا ما يوجب ردَّه، وإنما ردَّه من ردَّه استبعادًا، واعتقادًا أنه خلاف الأحاديث الصحيحة.

وحكى ابن القيم كلام مَن ردَّه وبيَّن أنه ليس فيه ما يوجب الرد، فليُرجع إليه في «زاد المعاد»[٢]، وفي «تهذيب السنن» أيضًا[٣].

وقال العلامة الشوكاني في «نيل الأوطار»: ليس في الأحاديث الصحيحة ما يخالف حديث أبي الزبير، حتى يصار إلى الترجيح، ويقال: قد خالفه الأكثر. بل غاية ما هنالك الأمر بالمراجعة على فرض استلزامه لوقوع الطلاق، وقد عرفت اندفاع ذلك، على أنه لو سلم ذلك الاستلزام لم يصلح لمعارضة النص الصريح، أعني: «ولم يرها شيئًا».

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٧٠.

(٢) زاد المعاد (٥/٢٠٦، ٢٠٧).

(٣) معالم السنن (٣/٢٣٥)، وحاشية ابن القيم على عون المعبود (٦/١٦٢) وما بعدها.

QaradawiBooks.com

قال الشـــوكاني: على أنه يؤيِّد رواية أبي الزبير: ما أخرجه سعيد بن منصور من طريق عبد الله بن مالك عن ابن عمـــر: أنه طلق امرأته وهي حائض، فقال رسول الله ﷺ: «**ليس ذلك بشيء**».

وقد روى ابن حزم في «المحلى» بسنده المتصل إلى ابن عمر: أنه قال في الرجل يطلق امرأته وهي حائض: لا يعتدُّ بذلك[١]. وهذا إسناده صحيح.

وروى ابن عبد البر عن الشـــعبي، أنه قال: إذا طلـــق الرجل امرأته، وهي حائض لم يعتد بها في قول ابن عمر[٢].

وقد روى زيادة أبي الزبير: الحميديُّ، في «الجمع بين الصحيحين»، وقد التزم ألا يذكر فيه إلا ما كان صحيحًا على شرطهما.

وقال ابن عبد البر في «التمهيد»: إنه تابع أبا الزبير على ذلك أربعة: عبد الله بن عمر، ومحمد بن عبد العزيز بن أبي روَّاد، ويحيى بن سُلَيْم، وإبراهيم بن أبي حسنة.

ولا شـــك أن رواية عـــدم الاعتداد بتلـــك الطلقة أرجـــح من رواية الاعتداد المتقدِّمة، فإذا صرنا إلى الترجيح بناء على تعذُّر الجمع، فرواية عدم الاعتداد أرجح لما سلف[٣].

مرجِّحات عدم وقوع طلاق الحائض:

قـــال الشـــوكاني: وقد رجَّـــح ما ذهب إليه مـــن قال بعـــدم الوقوع بمرجِّحات:

---

(١) المحلى (٣٨١/٩).

(٢) التمهيد (٦٦/١٥).

(٣) نيل الأوطار (٢٦٨/٦).

QaradawiBooks.com

• منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١]، والمطلق في حال الحيض، أو الطُّهر الذي وطئ فيه، لم يطلق لتلك العدة، التي أمر الله بتطليق النساء لها، كما صرح بذلك الحديث، وقد تقرَّر في الأصول: أن الأمر بالشيء نهيٌ عن ضده، والمنهي عنه نهيًا لذاته أو لجزئه أو لوصفه اللازم يقتضي الفساد، والفاسد لا يثبت حكمه.

• ومنها: قول الله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، ولم يرد إلا المأذون فيه، فدل على أن ما عداه ليس بطلاق، لما في هذا التركيب، من الصيغة الصالحة للحصر.

• ومنها قوله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، ولا أقبح من التسريح الذي حرمه الله.

• ومنها قوله ﷺ: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رَدٌّ**»(١). وهو حديث صحيح شامل، لكل مسألة مخالفة لما عليه أمر رسول الله ﷺ، ومسألة النزاع من هذا القبيل، فإن الله لم يشرع هذا الطلاق، ولا أذن فيه، فليس من شرعه وأمره(٢).

يؤيِّد هذا ما ذكره الشيخ أحمد شاكر: أن الأصل في عقد النكاح البقاء والاستمرار، وهو عقد بين اثنين هما الزوجان، والأصل في العقود أن فسخها كابتدائها، يجب فيه رضا العاقدين، وأباح الشارع الطلاق من أحد طرفي العقد وحده، وهو الزوج على غير القياس في فسخ العقود، أو إلغائها، فيجب الاقتصار على ما ورد عنه، والوقوف عند الحد الذي

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الصلح (٢٦٩٧)، ومسلم في الحدود (١٧١٨)، عن عائشة.
(٢) نيل الأوطار (٦/٢٦٨).

QaradawiBooks.com

أباحه، فكل صفة للطلاق غير الصفة التي أذن بها الشارع، لا أثر لها في العقد، ولا يجوز قياس الممنوع على الجائز[١].

وبعد هذا كله يتَّضح للمُنْصِف: أيُّ القولين أقرب إلى رُوح الإسلام وقواعده ومقاصده، وقد قال به من المتقدِّمين من ذكرنا من قبل. ونَصَرَه من المتأخرين الإمام ابن تيمية وتلميذه المحقِّق ابن القيم، الذي أطال فيه النفس في «الهدي النبوي» و«تهذيب السنن»، وكذلك الحافظ العلَّامة محمد بن إبراهيم الوزير اليمني صاحب «إيثار الحق» و«الروض الباسم» وغيرهما. وألَّف فيها مصنَّفًا حافلًا، وكذلك انتهى إلى ترجيحه الصنعاني صاحب «سبل السلام»، وألَّف في ذلك رسالة سمَّاها «الدليل الشرعي على عدم وقوع الطلاق البدعي»، ورجَّحه أيضًا العلامة الشوكاني في «الدرر البهية» وشارحها السيد صدِّيق حسن خان، وألَّف الشوكاني في ذلك رسالة أيضًا.

توسُّع كثير من الفقهاء في إيقاع الطلاق:

ولا ريب أن في الفقهاء من توسع في القول بإيقاع الطلاق، حتى وجدنا من يقول بوقوع طلاق المخطئ والناسي والمكره، والهازل والسكران، والغضبان الشديد الغضب. ولم يفرق بين قاصد للطلاق وغير قاصد، فكله طلاق واقع.

وبهذا أصبحت الأسرة المسلمة كبيت العنكبوت، يمكن تهديمها إلى غير رجعة بكلمة عابرة، لم يتقيَّد قائلها بحدود الله. وهذا ما جعل الشاعر معروف الرصافي يقول في قصيدة له:

وَهَى حبلُ الزواج ورقَّ حتى ... يكادُ إذا نفخت له يذوب!

(١) الروضة الندية هامش الصفحة (٤٨/٢). وانظر: تفصيل رأيه في ذلك في كتابه: نظام الطلاق في الإسلام لأحمد محمد شاكر صـ ١٤ ـ ٣٠، ط ٢، ١٣٨٩هـ.

QaradawiBooks.com

وفي مقابل هذا اتجاه آخر، تبنَّاه وذاد عنه شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم عليهما رحمة الله، وهو التضييق في وقوع الطلاق؛ لأن الأصل فيه أنه مما يبغضه الله، وهو أبغض الحلال إلى الله، وإنما أباح منه ما يحتاج إليه الناس، كما تباح المحرمات للحاجة[1].

وقد خالف الشيخان المُجدِّدان، في كثير من مسائل الطلاق المعمول به في المذاهب الأربعة، وجرَّ ذلك عليهما أذى كثيرًا، ومحنًا لا يصبر عليها إلا أولو العزم. ومنها السجن الذي مات ابن تيمية بداخله.

وقد أصبح هذا الاتجاه اليوم، هو المنصور والمُتبنَّى من كافة المصلحين، وقادة الفكر الإسلامي، فهو الذي يمثل رُوح الإسلام وأهدافه التشريعية، وهو الملاذ الفذُّ لإنقاذ الأسرة المسلمة، وإصلاح أوضاعها، وهو الذي نملك به الرد على خصوم الإسلام والمشنعين عليه بسبب أقوال المتشدِّدين والمتزمِّتين.. وهذا ما جعلني أميل إلى هذا الرأي، وأتجه هذا الاتجاه. وإنما لكل امرئ ما نوى.

١٢ ـ حول إبطال التبنِّي:

فُهم من كلام المعلِّق هنا، أني نسبتُ إلى النبي ﷺ الضعف في القيام بأمر الله تعالى، وراح يستشهد على صلابته ﷺ، بما لا حاجة إليه، ومعاذ الله أن أريد ذلك أو أقوله، كل ما قُلته مقتبس من سياق الآية، وما ورد في تفسيرها عن بعض السلف. ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢١/٣٣).

QaradawiBooks.com

فلا شك أنها تحوي عتابًا شـديدًا للنبي ﷺ، ولا غَرْو أن كانت من أشـد الآيات عليه، ولهذا ضُرب بها المثل، فقيل: لو كان كاتمًا شيئًا من القرآن لكتم هذه الآية. والعجب أن يخفى هذا على المعلِّق، أو يتجاهله، وهو أمر واضح تنطق به ألفاظ الآية بجلاء.

فلم أقل أبدًا: إن هناك أمـرًا من الله تعالى ضَعُفَ النبيُّ عن تبليغه أو القيام به، فقد عصمه الله من ذلك.

إنما قلت: «إنه علم بطريق الإلهام أن زيدًا مطلقٌ زوجَه، وأنه متزوجها من بعده، ولكن الضعف البشري غلب عليه في بعض اللحظات، فخشي مواجهة الناس».

والمؤسف أن المعلِّق حذف في تعقيبه عبارة: «في بعض اللحظات»، مع أهمية هذا القيد، فطروء الضعف البشري في بعض اللحظات، لا ينال من قدر نبيِّنا محمد ﷺ، وخصوصًا في قضية لمَّا يأمرْه الله فيها بشيء.

وأكتفي هنا بما اختاره الحافظ ابن كثير في تفسـير الآية مرويًّا عن علي بن الحسين رضي الله عنهما: إن الله تعالى أعلم نبيَّه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها، فلما أتاه زيد رضي الله عنه يشكوها إليه، قال: اتق الله، وأمسك عليك زوجك. فقـال: قد أخبرتك أنـي مزوِّجَكَها، وتخفي في نفسـك ما الله مبديه! وهكذا رُوي عن السدي أنه قال نحو ذلك[1].

هذا ما رضيه ابن كثير في تفسـير الآية ضاربًا صفحًا عن الآثار التي لم تثبت صحتها، ولكن المعلِّق يقول: إن موقف النبي ﷺ، كان موقف المترقِّب لأمر ربه، وما كان له أن يبدي شيئًا مما في نفسه، دون إذن من الله تعالى! فلِمَ ـ إذن ـ هذا العتاب في الآية؟ ولماذا جاءت الآيات بعدها

(١) تفسير ابن كثير (٦/٤٢٥).

QaradawiBooks.com

تقوّي النبي ﷺ، وتشدُّ أَزْرَه في مواجهة المجتمع ونظامه التقليدي، مثل قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ۞ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ۞ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٣٨ ـ ٤٠].

والمعلِّق مدفوع بعاطفة كريمة نحو النبي ﷺ، ولكن الحقائق شيء، والعواطف شيء آخر. وتحت تأثير هذه العاطفة غفل عن مضمون الآية الكبير، وعن مغزاها الواضح، هربًا من نسبة النبي ﷺ إلى أي ضعف بشري. وبهذا دافع عن الرسول ﷺ بإبطال معنى الآية!

والحقيقة أن هذا الذي يهرب منه المعلِّق هو من أول الدلائل على عظمة هذا الرسول، وصدق نبوته، وأمانته فيما يبلغ عن ربِّه ﷻ.

١٣ ـ لا عصبيَّة في الإسلام:

المقصود واضح من سياق الكلام، وإن جاء التعبير غير دقيق تمامًا، فالممنوع هو تعصُّب المرء لقومه، على أي وضع كانوا، وإنما ينبغي ألَّا يتعصب إلا للحق مع أي قوم كان.

١٤ ـ حول مَلَلِ القلوب:

أما ما نقلته عن أبي الدرداء رضي الله عنه: إني لأستجمُّ نفسي بالشيء من الباطل، ليكون أقوى لها على الحق[1].

فالمراد بالباطل هنا: اللهو واللعب وأنواع الترويح، وهذا ما فهمه الإمام الغزالي من حديث: «**كل شيء يلهو به الرجل فهو باطل، إلا**

(١) سبق تخريجه صـ٤٢١.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

تأديبه فرسه، ورميه بقوسه، وملاعبته زوجته»[١]. الذي احتجَّ به من حرَّم السماع بإطلاق، وذلك لأنه غير مستثنًى في الحديث، فهو من اللهو الباطل، إذن فهو حرام!

ورد الغزالي عليهم بقوله: قلنا: فقوله: «باطل» لا يدل على التحريم، بل يدل على عدم الفائدة[٢].

وذكر ابن القيم في أثناء بحث له في «تهذيب السنن» أن الباطل قد يقال لما لا منفعة فيه، أو لما منفعته قليلة جدًّا، وقد يقال لما ينتفع به ثم يبطل نفعه[٣].

وقد ذكر قول أبي الدرداء هذا إمام العربية أبو العباس المبرد في كتابه «الكامل» في باب قال في فاتحته: نذكر في هذا الباب من كل شيء شيئًا، لتكون فيه استراحة للقارئ، وانتقال ينفي الملل، لحسن موقع الاستطراف، ونخلط ما فيه من الجد بشيء يسير من الهزل، ليستريح القلب، وتسكن إليه النفس، قال أبو الدرداء، إني لأستجمُّ... إلخ[٤].

ولم يجد إمام اللغة والنحو في كلمة «الباطل» المذكورة إشكالًا يستدعي الاعتراض والجواب، مما يدلُّ على أنه فهمها بمعنى «اللهو»، وكذلك هي في رواية غيره، كما ذكر العلامة المرصفي في «شرح الكامل».

والمراد: اللهو غير المحرم قطعًا.

---

(١) سبق تخريجه صـ٦٠٢.

(٢) الإحياء (٢/٢٨٥).

(٣) حاشية ابن القيم مع عون المعبود (٦/١٦٩).

(٤) الكامل في اللغة والأدب (٢/٢١١)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٣، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الرد على تعليقات الشيخ عبد الحميد طهماز

بعد صدور الحلال والحرام في الإسلام، ظهرت رسالة لأحد إخواننا السوريين هو الأستاذ عبد الحميد طهماز، تتضمن نقدًا لكتابي، سماها: «نظرات في كتاب الحلال والحرام».

وقد سألت عن الكاتب، فعرفتُ أنه من صالحي أهل حماة، ومن تلاميذ الشيخ محمد الحامد عليه رحمة الله، لكنه غلبت عليه نشأته، فتسرَّع في كتابة ما كتب عفا الله عنا وعنه، وليته لم يفعل، لكان خيرًا له وأستر.

وقد كنت عازفًا عن الرد على هذه النظرات لأمرين:

الأول: أني أكره لنفسي دخول المعترك الفكري الذي تدور رحاه في سورية بين جماعة المذهبيين أو المقلِّدين، وجماعة «اللامذهبيين» أو السلفيين، ولا أحبُّ أن ألقي لتلك النار بفحمة تزيدها اشتعالًا.

فقد نشأتُ في مدرسة فكرية، جعلت هدفها أن تبني ولا تهدم، وتجمع ولا تفرق. وقد ارتضت هذه المدرسة ومؤسسها رَحِمَهُ اللَّهُ قاعدة «المنار» الذهبية شعارًا لها: نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه.

ولهذا جعلت أكبر همّي في الحياة الدعوة إلى أصول الإسلام وكلياته، وجمع الكلمة عليها، مسامحًا في الجزئيات والفرعيات، ميسرًا

QaradawiBooks.com

فيها ما اســتطعتُ، خشية على الأجيال الناشــئة أن تَشْرُد عن ساحة هذا الدين، فتتلقفها الأيدي النجســة من الصليبيين والشيوعيين واللادينيين، فلا تدعها إلا هشيمًا تذروه الرياح.. هذا أمر.

الثانــي: أن لديَّ من المشــاغل الفكريــة، والمشــروعات العلمية، والهموم النفسية لما آلت إليه حال الإســلام والمسلمين ما يشغلني عن الرد على مثل هذا الكتيب.

والأعمار أقصر من أن تضيع في المناقشة والردِّ على كل من سوَّلت له نفسه أن يمسك بالقلم ليكتب وينقد.

ولو طاوع الإنسان نفسه، وأطلق لها العِنان في هذه الردود ـ وما أكثر موجِباتها ـ ما استطاع أن ينجز عملًا!

فلا بد من تقديم الأهم على المهم، والمهم على غير المهم.

ولقد كان بوســع أخينا الكاتب عفا الله عنــه أن يُعفينا من مثل هذا الرد، لو أنه تريَّث وتأنَّى، قبل أن يسمح لنفسه بالتهجُّم على كتاب أقرَّته مشــيخة الأزهر، وتلقَّاه علماء العالم الإســلامي بالقبول وحُسن الثناء، فمنهم من قرَّره على طلاب الجامعات، ومنهم من خرَّج أحاديثه، ومنهم من وجَّه طلابه لعمل بحوث ودراســات حوله، ليحصلوا بها على درجة الماجســتير، ومنهم من ترجمه إلى لغته القومية، «كالتركية، والأوردية، والإندونيسية، والماليزية، والماليبارية».

أجل.. كان يستطيع الأخ لو تواضع قليلًا أن يبعث إليَّ مستفسرًا عن النقاط التي استعصت على فهمه، وضاق بها أفقه العلمي الذي نشأ عليه، وحُبِسَ في قُمْقمه.

QaradawiBooks.com

ولكنه أبى إلا أن يعرض علينا جزءًا من عقله وعلمه، وأدبه الرفيع الذي تطاول فيه على عباد الله، فأوسعهم رميًا بكلمات «الخلط والخبط»، بل «الخلط الواضح الفاضح»، بل «الكذب وعدم الأمانة العلمية» إلى آخر قاموس الألفاظ المهذبة التي استعملها الكاتب الورع!

ثم زعم أنه حرص كل الحرص أن تكون نظراته علمية وموضوعية!!

أجل.. كنتُ عازفًا عن الرد على كُتيب الأخ الشيخ طهماز، ولكن بعض الإخوة الأحبة ألحُّوا عليَّ أن أقتطع من وقتي جزءًا للرد والتصحيح؛ قطعًا لمادة التشويش، وتعميمًا للنفع، خشية أن ينخدع بنقد الكاتب بعض قصار الباع في الثقافة الإسلامية.

إنني أنظر إلى العالم الإسلامي على سعة أطرافه.. أنظر إلى المسلمين في كل مكان.. في أدغال أفريقيا.. في السودان.. في جزر آسيا البعيدة.. وفي مدن الحضارة، وقرى الريف.

أنظر إلى الحياة المعاصرة وما فعلت بالعقول والقلوب، وما صنعت بالرجل والمرأة، والشاب والشيخ.

إن الخلاف بيني وبين الأستاذ هو خلاف في الوجهة والهدف والمنهج، قبل أن يكون خلافًا في عدة مسائل جزئية.

ومحور هذا الخلاف أن وجهتي هي التيسير، ووجهته هي التشديد.

إنه ينظر إلى مجموعة من المتدينين المحافظين حوله في حيٍّ من أحياء مدينة حماة الطيِّبة، وأنظر إلى الألوف، بل الملايين من الشباب في الجامعات والمصانع، والذين يتعلَّمون أو يعملون في أوربا وأمريكا وسائر بلاد الشرق والغرب، والذين يتعرَّضون لفتن عارمة تكاد تقتلعهم من أصل الدين اقتلاعًا.

QaradawiBooks.com

إني أنظر إلى هــؤلاء، وأنظر إلى محاولة القوى المعادية للإســلام لصرف هذه الأُمَّة عن عقيدتها، وأنظر إلى رُوح هذا الدين، وهو اليســر ورفع الحرج؛ فأجدني مدفوعًا إلى التيسير دفعًا؛ متمثلًا قول الرسول ﷺ: «**إنما بعثتم ميسِّرين، ولم تبعثوا معسرين**»[1].

فإذا كان هناك قولان متعادلان: أحدهما أحوط، والآخر أيسر: أختار ما هو أيسر، رفقًا بالناس، ومراعاة لضعف الهمم ورقة الدين.

أما الأستاذ ومن هو على شاكلته، فيختارون دائمًا ما هو أحوط، وإن كان أشد وأعنف.

ولا بأس أن يختار الأستاذ لنفسه أو مريديه الخصوصيِّين ما هو أحوط.

أما من يكتب كتابًا لينتشر في الشــرق والغرب، ويترجم إلى لغات عدة، فلا ينبغي له إلا التيسير.

إن منهجي الذي أومن به وأتبعه هو التشديد في الأصول والكليات، والتيسير في الفروع والجزئيات.

وأرى أن هذا لازم لكل من يدعو الناس دعوة عامَّة.

وليت شعري ما فائدة التزمُّت والتشديد في الفروع، والناس يديرون ظهورهم للأصول؟!

ما فائدة الأخذ بأشد الأقوال وأضيقها في تفسير ﴿**إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا**﴾ [النور: ٣١]. مــن باب المثال، بحيــث يحرم على المرأة المســلمة إظهار وجهها وكفيها، في الوقت الذي تكاد معظم النســاء تخرج من ثيابهن، مجاراة لبدع الأزياء؟!

---

(١) سبق تخريجه صـ٣٩.

QaradawiBooks.com

أليس الأخذ بالقول الوسط المعقول أولى من القول المتطرف الذي لا يكاد ينفذه أحد إلا قلة نادرة؟!

وكما أن الأخ الكاتب يخالفني في رُوح التيسير، يخالفني في الهدف الذي يحرص عليه، ويذود عنه، ويقاوم من مسَّــه بأذى، أو خُيِّل إليه أنه مسَّه بأذى.

إن هذا الحرم الذي يغار عليه، ويسعى لحمايته هو أقوال المذاهب الأربعة، وفقه أصحابها وأتباعها: أن يخرج خارج عليها، أو يختار رأيًا من غيرهــا، فحينئــذ: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم: ٩٠].

أما أنــا ـ وأعوذ بالله من غــرور أنا ـ فهمِّي هو الإســلام بكتابه المبين، وسُــنة نبيه المعصوم، هو في تحبيب هذا الدين السمح إلى النــاس، وترغيبهم في الاستمســاك بعُــراه، والاهتداء بهــداه، وإن خرجت في ذلك على قول إمام أو أكثر من إمام، فالأئمة أنفسهم لم يدَّعوا العصمة.

وأن أقتدي فــي هذا بعمل النبيِّ ﷺ الذي أقرَّ الغنــاء في بيته، ناهيًا أبا بكر عن التشدُّد والتعنت: «**دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد**»[(١)].

قائلًا في تعليل ذلك: «**لتعلم يهود أن في ديننا فُسْــحة، وأني بعثتُ بحنيفيَّة سمحة**»[(٢)].

---

(١) سبق تخريجه صـ٣٧١.

(٢) سبق تخريجه صـ٦٣٠.

QaradawiBooks.com

وأخالف الأخ الكاتب أيضًا في منهج البحث في الفقه. إنه يرى كغيره من المقلدين المذهبيِّين وجوبَ التزام مذهب واحد من الأربعة، وإن كان ولا بد من التوسُّع، فلنَبْقَ في حدود الأربعة!

أما أنا الفقير إليه تعالى فأرى وجوب الانتفاع بتراثنا الفقهي كله، ومن ذلك أقوال الصحابة والتابعين، وغيرهم من أئمة الهدى، الذين كانوا مثل الأئمة الأربعة ـ أو خيرًا منهم ـ ولكن لم يكن لهم أتباع ينصرون مذاهبهم.

ومن هذه المسائل التي اعترض بها عليَّ:

١ ـ لحوم الحمر الأهلية:

مذهب ابن عباس في لحم الحُمُر الأهليَّة:

عقَّب الكاتب على قولي: «ومذهب ابن عباس رضي الله عنه أنه لا حرام إلا الأربعة المذكورة في القرآن، وكأنه يرى أن أحاديث النهي عن السباع وغيرها تفيد الكراهة لا التحريم، أو لعلها لم تبلغه...» بقوله:

«لكن القرطبي في تفسيره نسب هذا القول إلى ابن عباس بصيغة التضعيف، ثم ذكر أنه مرويّ عنه خلافه...». وبعد كلامٍ قال في جرأة: «أليس عجيبًا أن يعمد المؤلف إلى الروايات الشاذة عن ابن عباس فيُحسِّنها ويصحِّحها»[1] اهـ.

وهذا من أعجب ما رأيتُ في رد الأقوال الثابتة، فإن مجرَّد ذكر القرطبي لقول ابن عباس بصيغة التضعيف لا تجعله ضعيفًا، والمعروف

(١) نظرات في كتاب الحلال والحرام صـ ١٦، ١٧.

QaradawiBooks.com

أن القرطبي المفسِّر[١] ليس من أهل التدقيق في المرويات، كما أنه لا يلتزم القول بأن ما ذكره بصيغة التضعيف (رُوِيَ مثلًا) يكون ضعيفًا، فقد رأينا من فحول الفقهاء والمفسرين من يقولون: رُوِيَ عن رسول الله ﷺ كذا، ويكون الحديث في الصحيحين أو أحدهما، وهو ما أنكره الإمام النووي على الإمام أبي إسحاق الشيرازي في شرحه للمهذب.

فإن أراد الأستاذ أن يعرف قيمة ما رُوي عن ابن عباس من حيث ثبوته، فليقرأ ما يلي:

روى البخاري في صحيحه بسنده عن عمرو بن دينار قال: قلت لجابر بن زيد: يزعمون أن رسول الله ﷺ نهى عن الحُمُر الأهلية، فقال: قد كان يقول ذاك الحَكَم بن عمرو الغِفَاري بالبصرة، ولكن أبى ذلك ابن عباس وقرأ: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ [الأنعام: ١٤٥][٢].

فهل يُسمِّي أخونا العزيز ما رواه البخاري في صحيحه بسنده المتصل «رواية شاذة»؟! اللهم غُفرانك.

على أني لم أُحَسِّن مذهب ابن عباس ولم أصحِّحه، بل ذكرت معه مذهب مالك في عدم تحريم أَكْل السباع، بعد أن قدَّمت رأي الجمهور وما يدل له من الحديث، وقلت: «لعل ابن عباس أوَّل الأحاديث، أو لعلها لم تبلغه».

---

(١) هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، صاحب تفسير الجامع لأحكام القرآن، وإنما ذكرنا المفسِّر تفريقًا بينه وبين أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، صاحب المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم.

(٢) سبق تخريجه صـ٨٢.

QaradawiBooks.com

وإنما ذكرت مذهب ابن عباس ومالك في كتابي؛ لأنه كتاب عامٌّ للمسلمين جميعًا في كافة الأقطار كما قلت، فلعل فيهم من يأكل لحم البغال، أو بعض السباع ونحوها، فمثل هؤلاء يجدون لهم داخل دائرة الإسلام الرحبة مكانًا، وسلفهم في ذلك حبر الصحابة، وأحد الأئمة الأربعة.

والغريب أني علقت في الحاشية على النهي عن لحم الحمر يوم خيبر بقولي: «وقد قيل: إن تحريم الحمر كان لعلَّةٍ مؤقتة، وذلك لحاجتهم إلى ركوبها حينذاك...» إلخ.

فعقب الكاتب على ذلك بقوله: «ليت المؤلف لم يذكر هذا، وإن ذكر بصيغة الضعف؛ لأن كثيرًا من الناس في هذا العصر يتمسَّكون بأضعف الأقوال إذا كانت تتلاءم مع ميولهم وشهواتهم»[٣].

فهل عرف الأستاذ أن أكل الحمير من الشهوات التي يحرص الناس على إشباعها؟!

وقد أباح الجمهور لحوم الخيل، ولا يكاد يوجد من يأكلها!

الحقيقة أني إنما ذكرت ذلك لما صحَّت به الروايات عن ابن عباس قال: لا أدري: أنهى رسول الله ﷺ ـ أي عن لحم الحُمُر ـ من أجل أنه كان حمولة الناس، فكره أن تذهب حمولتهم، أو حرَّمه في يوم خيبر، لحم الحمر الأهلية[٤].

ومعنى هذه الرواية: أن ابن عباس لم يكن يعرف أكان النهي عن لحم الحُمُر يوم خيبر من النبي ﷺ من باب تصرُّفه بصفة الإمامة، أم من

(٣) نظرات في كتاب الحلال والحرام لطهماز صـ ١٥.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٢٢٧)، ومسلم في الصيد والذبائح (١٩٣٩).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

باب تصرفه بصفة الفتــوى والتبليغ عن الله، وكأنه رجَّح الأول لمعارضة آية الأنعام: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

وعن ابن أبي أوفى قال: أصابتنا مجاعة ليالــي خيبر، فلما كان يوم خيبر، وقعنا في الحُمُر الأهلية، فانتحرناها. فلما غلت بها القدور، نادى منادي رسول الله ﷺ: «**أكفِئوا القدور، ولا تأكلوا من لحوم الحُمُر شيئًا**». فقال الناس: إنما حرَّمها رســول الله ﷺ لأنها لم تُخمَّس. وقال آخرون: حرمها ألبتة[١].

ويبدو من هذه الرواية أن هناك من الصحابة غير ابن عباس من يرى أن التحريم غير باتٍّ، بل لعلَّةٍ مؤقتة.

وقد نُسبت إباحتها إلى عائشة أيضًا، كما في «بداية المجتهد» و«المغني» وغيرهما[٢]، كما ورد أن عكرمة وأبا وائل لم يريا بأكل الحُمُر بأسًا.

قال ابن رشد: والسبب في اختلافهم في الحُمُر الإنسيَّة معارضة الآية المذكورة: ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا ﴾ للأحاديث الثابتة في ذلك، من حديث جابر وغيره، قال: نهى رســول الله ﷺ يــوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية، وأذن في لحوم الخيل[٣].

«فمَن جمع بين الآيــة وهذا الحديث حملها علــى الكراهة، ومن رأى النسخ (كذا) قال بتحريم الحُمُر، أو قال بالزيادة دون أن يوجب عنده نسخًا.

وقد احتجَّ من لم يرَ تحريمها بما روي عن أبي إسحاق الشيباني، عن ابن أبي أوفى قال: أصبنا هذا مع رسول الله ﷺ بخيبر وطبخناها،

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٢٢١)، ومسلم في الصيد والذبائح (١٩٣٨).
(٢) بداية المجتهد (٢١/٣)، والمغني (٤٠٧/٩).
(٣) متفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٢١٩)، ومسلم في الصيد والذبائح (١٩٤١).

QaradawiBooks.com

فنادى منادي رسول الله ﷺ أن «أكفئوا القدور بما فيها». قال أبو إسحاق: فذكرت ذلك لسعيد بن جبير، فقال: إنما نهى عنها؛ لأنها كانت تأكل الجِلَّة»[١].

لعل صاحبنا صاحب «النظرات» ينظر من أُفُق أرحب، فيعلم أن مجال الخلاف في الفقهيات أوسع مما يتصوَّر، فلماذا يُحَجِّر واسعًا؟!

ليت صاحبنا ـ وهو حنفيٌّ ـ قرأ ما كتبه صاحب «البدائع» الملقب بملك العلماء عند الحنفية: «نحن لا نطلق اسم المحرَّم على لحوم الحُمُر الأهلية، إذ المحرَّم المطلق ما ثبت حرمته بدليل مقطوع به، فأما ما كانت حرمته محل اجتهاد، فلا يسمَّى: حرامًا (أي على الإطلاق) فنسميه مكروهًا، فنقول بوجوب الامتناع عن أكلها عملًا، مع التوقُّف في اعتقاد الحل والحرمة»[٢] اهـ. وهذا هو أدب العلماء.

٢ ـ أكل لحوم سباع البهائم والطير:

مذهب مالك في أكل لحوم سباع البهائم والطير:

قلت: «وإلى مذهب ابن عباس ينزع الإمام مالك حيث لم يقل بحرمة السباع ونحوها، واكتفى بكراهتها».

فجاء الكاتب الأمين ولم يذكر عبارة: «واكتفى بكراهتها»[٣] ليوهم أني أنسب إلى الإمام مالك القول بالحِلِّ المطلق، ثم خُيِّل إليه أنه اكتشف أمرًا خطيرًا حين ساق من «الموطأ» تحريم أكل كل ذي ناب من

(١) بداية المجتهد (٢٢/٣).

(٢) بدائع الصنائع للكاساني (٣٧/٥).

(٣) نظرات في كتاب الحلال والحرام لطهماز صـ ١٦.

QaradawiBooks.com

السباع ونقل عن القرطبي قوله: «وتحريم كل ذي ناب من السباع هو صريح المذهب، وبه ترجم مالك في الموطأ»[١] اهـ.

ولا بأس أن أسوق للأستاذ الفائدة العلمية التالية، عسى أن تنفعه في المستقبل، والحكمة ضالة المؤمن.

فقد ذكر الحافظ أبو عبد الله محمد بن حمزة بن علي الحسيني في مقدمة كتابه: «التذكرة برجال العشرة» أن الموطأ لمالك هو مذهبه الذي يدين الله به أتباعُه ومقلِّدوه.

فناقشه الحافظ ابن حجر في مقدمة «تعجيل المنفعة» قائلًا: ليس الأمر عند المالكية كما ذكر؛ بل اعتمادهم في الأحكام والفتوى على ما رواه ابن القاسم عن مالك، سواء وافق ما في الموطأ أم لا. وقد جمع بعض المغاربة كتابًا فيما خالف فيه المالكية نصوص الموطأ كـ «الرفع عند الركوع والاعتدال»[٢].

ومن ثَمَّ كنت أحب للأستاذ قبل أن يسارع بالاعتراض أن يفتح كتابًا من كتب الفقه المالكي المتداولة في الأيدي ليعرف ماذا يقول.

ولنأخذ مثلًا «الشرح الصغير» للدردير المسمَّى: «بُلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك» لنقرأ فيه:

«والمكروه: الوطواط وهو الخفاش، والحيوان المفترس، كسبع وذئب وضبع وثعلب وفهد ونمر ونمس وقرد ودب وهر وإن كان وحشيًّا، (والمفترس: ما افترس الآدمي أو غيره، وأما العادي فمخصوص

(١) تفسير القرطبي (١١٨/٧).

(٢) تعجيل المنفعة لابن حجر (٢٣٨/١)، تحقيق د. إكرام الله إمداد الحق، نشر دار البشائر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

QaradawiBooks.com

بالآدمي) وكلب إنسي. وقيل بالحرمة في الجميع، ورُدَّ بقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ ولم يرد في السنة ما يقتضي التحريم» اهـ.

وعلق الصاوي في حاشيته على قوله في الشرح: «وقيل بالحرمة في الجميع» بقوله: «روى المدنيون عن مالك تحريم كل ما يعدو من هذه الأشياء، كالأسد والنمر والثعلب، وما لا يعدو يُكره أكله، ولكن المشهور الأول الذي مشى عليه شارحنا»[1].

وقد تناقل مذهب مالك هذا عامة من كتب في الفقه المقارن أو في الخلافيات على حد تعبيرهم، فهذا ابن رشد في «بداية المجتهد» يقول: «فأما المسألة الأولى وهي السباع ذوات الأربع، فروى ابن القاسم عن مالك أنها مكروهة، وعلى هذا القول عوَّل جمهور أصحابه، وهو المنصور عندهم. وذكر مالك في «الموطأ» ما دليله أنها عنده محرمة»[2].

وهذا الإمام النووي في «المجموع» يذكر مذاهب الفقهاء في أكل السباع التي تتقوَّى بالناب، كالأسد والنمر والذئب، وأشباهها فيقول: «قد ذكرنا أن مذهبنا «الشافعي» أنها حرام، وبه قال أبو حنيفة وأحمد وداود والجمهور، وقال مالك: تكره ولا تحرم. واحتج بقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

قال: واحتجَّ أصحابنا بالأحاديث الصحيحة من رواية ابن عباس وغيره في النهي عن كل ذي ناب من السباع، وفي رواية مسلم التي

(١) حاشية الصاوي على الشرح الصغير (٣٢٤/١).
(٢) بداية المجتهد (٢٠/٣).

QaradawiBooks.com

قدَّمناهـا: «كل ذي ناب من السـباع فأكله حـرام»[١]. وأجابوا عن الآية الكريمة بأنه أُمر أن يخبر بأنه لا يجد محرمًا في ذلك الوقت إلا هذا، ثم ورد وحي آخر بتحريم السباع فأخبر به، والآية مكية والأحاديث مدنية، ولأن الحديث مخصِّص للآية، والله ﷻ أعلم»[٢].

والحقيقة أن الآية وإن كانت مكية فقد جاءت آيتان أخريان مدنيتان حرمت الأربعة أيضًا بصيغة الحصر، إحداها في سورة البقرة: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣].

والأخرى في سـورة المائدة: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [المائـدة: ٣]، وقد جاءت بعد قولـه في الآية الأولى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ١].

فهي بيان للمحصور في هذه الآية.

ولذلك ذكـر النووي مذهب مالك في حشـرات الأرض، كالحيَّات والعقارب والجعـلان والفـأر ونحوها: أنهـا «حلال» مسـتدلًّا بالآية المذكورة، وبحديث أحد الصحابة عند أبي داود: صحبتُ النبي ﷺ، فلم أسمع لحشرة الأرض تحريمًا[٣]. وقد اشتهر هذا وذاك عن مذهب مالك، حتى نظم بعض المشنِّعين على المذهب فقال:

وليـس عنـد مالـك يعـاب أن تـؤكل الحيـات والـكلاب!

(١) رواه مسلم في الصيد والذبائح (١٩٣٣) (١٥)، عن أبي هريرة.

(٢) المجموع (١٧/٩).

(٣) رواه أبو داود في الأطعمة (٣٧٩٨)، عن التَّلِب بن ثعلبة.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية مدافعًا عن صحَّة أصول أهل المدينة:

«وأما الأطعمة، فأهل الكوفة أشد فيها من أهل المدينة، فإنهم مع تحريم كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير، وتحريم الحُمُر، حتى يحرمون الضبَّ، والخيل تحرم عندهم في أحد القولين، ومالك يحرم تحريمًا جازمًا ما جاء في القرآن، فذوات الأنياب إما أن يحرمها تحريمًا دون ذلك، وإما أن يكرهها في المشهور. وروي عنه كراهة ذوات المخالب، والطير لا يحرم منها شيء ولا يُكْره، وإن كان التحريم على مراتب، والخيل يكرهها، ورويت الإباحة والتحريم أيضًا. ومن تدبَّر الأحاديث الصحيحة في هذا الباب علم أن أهل المدينة أتبع للسُّنَّة، فإن باب الأشربة قد ثبت فيه عن النبي ﷺ من الأحاديث ما يعلم من علمها أنها من أبلغ المتواترات. بل قد صح عنه في النهي عن الخَلِيطين والأوعية ما لا يخفى على عالم السنة. وأما الأطعمة، فإنه وإن قيل: إن مالكًا خالف أحاديث صحيحة في التحريم، ففي ذلك خلاف.

والأحاديث الصحيحة التي خالفها من حرَّم الضبَّ وغيره تقاوم ذلك وتربو عليه، ثم إن هذه الأحاديث قليلة جدًّا بالنسبة إلى أحاديث الأشربة.

وأيضًا فمالك معه في ذلك آثار من السلف، كابن عباس، وعائشة، وعبد الله بن عمر وغيرهم مع ما تأوَّله من ظاهر القرآن.

ومبيح الأشربة ليس معه لا نص ولا قياس، بل قوله مخالف للنص والقياس»[1].

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٣٥/٢٠، ٣٣٦).

QaradawiBooks.com

٣ ـ حول ذبيحة المجوس

أنكر المعلِّق ما ذكرتُه من وجود خلافٍ ما في ذبيحة المجوس[١]، مع أنني ذكرت أن أكثر الفقهاء حرَّموها؛ لأنهم مشركون، وادَّعى ـ كعادته ـ انعقاد الإجماع على ذلك، فيما عدا شذوذ ابن حزم.

مع أن الخلاف موجود، وقبل ابن حزم قال به أبو ثور. وبعد ابن حزم نقل ذلك عن بعض علماء المذاهب.

حتى النقل الذي نقله المعقِّب عن القرطبي، قال فيه: «إنهم ليسوا أهل كتاب، على المشهور عند العلماء» وهذه هي أمانة العلماء.

فقد تقدَّم النقل عن العلامة ابن ناجي المالكي في «شرح الرسالة» لابن أبي زيد القيرواني، عند قوله: «ولا يؤكل مما ذكاه المجوسي».

قال: «وخالف جماعة من أهل العلم وقالوا: يؤكل ما ذكاه. واحتجوا بوجهين:

أحدهما: أنهم كانوا من أهل الكتاب ورفع (أي كتابهم).

الثاني: أن قوله ﷺ: «**سنُّوا بهم سُنة أهل الكتاب**» يدل على ذلك.

وأجابوا عن الأول بأنه إذا ارتفع الكتاب لم يبقوا من أهله.

وعن الثاني بأن المراد بالحديث أخذ الجزية منهم؛ لأن الصحابة لما اختلفوا في أخذها منهم روى لهم عبد الرحمن بن عوف الحديث.

وهذان الجوابان ذكرهما ابن هارون من رواية علي، إلا أن الثاني لا يسلم من اعتراض، وهو أن الجزية يحتمل أن يكون فهمها الصحابة من عموم الحديث، لا أن الحديث إنما دل على ذلك، والله أعلم».

---

(١) نظرات في كتاب الحلال والحرام صـ ٢٧ ـ ٣١.

QaradawiBooks.com

قال ابن ناجي: «وقد قال ابن عبد السلام: الاتفاق لا شك فيه في الوثني، ومن في معناه ممن يقال فيه ذلك مجازًا.

وأما من كان هذا الاسم خاصًّا به في الزمان الأول كالفرس، فالصحيح عندي أنهم يلحقون بأهل الكتاب في جميع أحكامهم، ولم يمنع من ذلك إجماع، وهذا مذهب ابن المسيِّب وأبي ثور في أكل ذبائحهم»[1] اهـ.

فإذا كان هذا القول معزوًّا إلى مثل سعيد بن المسيب وأبي ثور وابن حزم وجماعة من المالكية مثل ابن عبد السلام وغيره، كما ذكر ابن ناجي في «شرح الرسالة»، فهل يجوز للمعقِّب المحترم أن يُرغي ويُزبد، ويطيل في غير طائل؟!

والمهم هنا أن كل ما يزعج أخانا ويقلقه، ويقضُّ مضجعه من الباحثين المعاصرين أنهم لم يلتزموا آراء أئمة الاجتهاد، الذين وضعوا لأنفسهم أصولًا التزموها في كل أقوالهم وآرائهم، فجاءت أقوالهم محقَّقة مدقَّقة موزونة، غير متناقضة ولا متعارضة.

أما آراء اللامذهبيين المعاصرين، فليس لها أصل تستند إليه، ولا ضابط يُرجع إليه.

وهذه في الحقيقة هي العقدة النفسيَّة التي تكمن وراء رسالة أخينا كلها: الخروج على أقوال الأئمة، لا الخروج على الكتاب أو السنة، وكأنما الأئمة رضي الله عنهم معصومون، كما يوهمه كلامه عنهم، من اعتبار أقوالهم وآرائهم كلها محقَّقة مدقَّقة موزونة.

(١) شرح الرسالة للعلامة ابن ناجي (٣٨٢/١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

على أن معظم ما في كتب الفقه ليس هو أقوال الأئمة المجتهدين؛ بل أقوال المتأخرين من علماء المذهب، وهم بشر مثلنا يصيبون ويخطئون.

وما لي وللمذهبيِّين واللامذهبيِّين؟! إني لست من هؤلاء ولا هؤلاء.

أجل، لست من مُقلِّدة المذاهب المتعصبين لمذاهبهم وإن ظهر ضعف دليلها، أو كانت مما تجاوزه الزمن من اجتهادات الفقهاء.

ولست من اللامذهبيِّين الذين ينكرون على الأئمة، ويتطاولون على الفقه الموروث، ويعيبون تقليد المذاهب حتى للعوام، ويجعلون من اجتهاداتهم مذهبًا خامسًا، يجب على الناس كافَّة أن يقلِّدوه!

إني أحترم المذاهب وفقهها، وأنتفع بما خلفت من ثروة اجتهادية، لا يجحد قدرها إلا جاهل أو مكابر. ولكني آخذ بالدليل حيث لاح لي، وأتبع ما أراه أرجح وأقوى، وإن لم يكن رأي المذاهب ولا رأي الجمهور.

ومن المرجِّحات عندي أن يكون الرأي أيسر على الناس، وأرفق بالعباد.

٤ ـ دباغ الخنزير:

قلت: «وفي صحيح مسلم وغيره عنه ﷺ: «**إذا دُبغ الإهاب فقد طهر**»[(١)]. وهو عامٌّ يشمل كل جلد، ولو كان جلد كلب أو خنزير. وبذلك قال أهل الظاهر[(٢)]، وحُكِيَ عن أبي يوسف صاحب أبي حنيفة، ورجَّحه الشوكاني»[(٣)] اهـ.

(١) سبق تخريجه صـ٧٦.

(٢) المحلى (١٣٢/١).

(٣) نيل الأوطار، وقد سبق تخرجه.

QaradawiBooks.com

قال المعلِّق[١]: المقرَّر عند العلماء أن نجاسة الخنزير نجاسة عينية، كسائر النجاسات، ولهذا لا يمكن تطهيره، ولا أي جزء من أجزائه، وكذلك جلده لا يطهر بالدباغ، وقد أخرجت الآية الكريمة: ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥] جلد الخنزير من عموم الحديث: «**أيما إهاب دُبغ فقد طهر**»[٢].

ثم أخذ الكاتب محاولة إزالة آثار الخلاف، فقال: «وما حكي عن أبي يوسف غير ثابت عنه... ولو ثبتت فلا نستطيع الأخذ بها؛ لأن الدليل لا يؤيِّدها.

وأما مذهب أهل الظاهر، فغير معتمد عند العلماء» اهـ.

قلت «القرضاوي»: هكذا أراد الشيخ طهماز أن يختزل المسألة بقوله: «المقرر عند العلماء»، وأن ما نُسب لأبي يوسف غير ثابت، كما أن خلاف الظاهرية غير معتبر.

والحق أن نسبة هذا القول للعلماء دون إثبات الخلاف فيه ما فيه، وبقليل من التأمل لأقوال أهل العلم يتبيَّن أن المسألة من مسائل الخلاف.

فقد ساق ابن عبد البر، بسنده عن مالك: أنه سُئل عن جلد الخنزير إذا دبغ، فكرهه.

قال ابن وضاح: وسمعت سحنون يقول: لا بأس به.

قال أبو عمر: قول سحنون هذا هو قول محمد بن عبد الحكم، وقول داود بن علي وأصحابه. وحجتهم قول رسول الله ﷺ: «**أيُّما مَسْك دُبغ فقد طهُر**».

---

(١) نظرات في كتاب الحلال والحرام صـ ١٣، ١٤.

(٢) رواه أحمد (١٨٩٥)، عن ابن عباس.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قال أبو عمر: يَحتمل أن يكون أراد بهذا القول عموم الجلود المعهود الانتفاع بها[١].

فابن عبد البر يروي عن مالك الكراهة، وينقل عن محمد بن الحكم وسحنون وداود بن عليٍّ الجواز. هكذا دون تشنُّج، ثم ينقل دليلهم، وبعد ذلك يعرض فهمه للحديث بأنه مُخصَّص بالجلود المعهود الانتفاع بها. وهكذا كان العلماء!

قال النووي: «فرع في مذاهب العلماء في جلود الميتة:

هي سبعة مذاهب...

والرابع: يطهر به الجميع إلا جلد الخنزير وهو مذهب أبي حنيفة.

والخامس: يطهر الجميع والكلب والخنزير، إلا أنه يطهر ظاهره دون باطنه، فيستعمل في اليابس دون الرطب، ويُصلى عليه لا فيه، وهو مذهب مالك فيما حكاه أصحابنا عنه.

والسادس: يطهر بالدباغ جميع جلود الميتة والكلب والخنزير ظاهرًا وباطنًا. قاله داود وأهل الظاهر، وحكاه الماوردي عن أبي يوسف[٢].

وهذا من فقه العلماء وأمانتهم العلمية، مع كون النووي شافعيًّا، والشافعية لا يرون طهارة جلد الخنزير؛ إلا أنه ذكر الخلاف في المسألة.

قال ابن قدامة: وحكي عن أبي يوسف أنه يطهر كل جلد. وهو رواية عن مالك، ومذهب من حكم بطهارة الحيوانات كلها؛ لأن النبي ﷺ قال: «**إذا دُبغَ الإهاب فقد طهر**»[٣].

---

(١) التمهيد (١٧٨/٤).

(٢) المجموع للنووي (٢١٧/١)، وشرح مسلم للنووي (٥٠٤/٤).

(٣) المغني (٤٩/١). والحديث سبق تخريجه صـ٧٦.

QaradawiBooks.com

قال ابن بطال: وحُكي عن أبى يوسف وأهل الظاهر أن جلد الخنزير يطهره الدباغ، وهو قول سحنون ومحمد بن عبد الحكم، واحتجُّوا بعموم قوله ﷺ: «**أيما إهاب دُبغَ فقد طهر**»[١].

قال الشوكاني: وهو مذهب داود وأهل الظاهر وحُكي عن أبي يوسف، وهو الراجح كما تقدَّم؛ لأن الأحاديث الواردة في هذا الباب لم يُفرَّق فيها بين الكلب والخنزير وما عداهما.

واحتجاج الشافعي بالآية على إخراج الخنزير وقياس الكلب عليه لا يتم إلا بعد تسليم أن الضمير يعود إلى المضاف إليه دون المضاف، وأنه محل نزاع، ولا أقل من الاحتمال، إن لم يكن رجوعه إلى المضاف راجحًا، والمحتمل لا يكون حُجَّة على الخَصْم.

وأيضًا لا يمتنع أن يقال: رجسية الخنزير على تسليم شمولها لجميعه: لحمًا وشعرًا وجلدًا وعظمًا، مخصصَّة بأحاديث الدباغ[٢].

٥ ـ حول التختُّم بالحديد:

قلتُ: إنه لم يرد نص صحيح صريح بتحريم التختُّم بالحديد وغيره من المعادن، ما عدا الذهب، بل ورد في صحيح البخاري: «**التمس ولو خاتمًا من حديد**»[٣].

ومن أدب الأستاذ أنه لم يبخل علينا بفضل علمه، فوجَّهنا[٤] إلى أنه كان علينا قبل أن ننفي ورود نص صحيح صريح يحرم التختم بغير

(١) شرح ابن بطال (٤٤٤/٥).
(٢) نيل الأوطار (٨٥/١).
(٣) سبق تخريجه صـ١١٥.
(٤) نظرات في كتاب الحلال والحرام صـ ٣٢ ـ ٣٣.

QaradawiBooks.com

الفضة «كذا!» للرجال أن نرجع إلى سنن الترمذي وأبي داود والنسائي لنرى الحديث التالي:

قال الترمذي: حدثنا محمد بن حُميد، حدثنا زيد بن حُبَاب وأبو تُميلة، عن عبد الله بن مسلم، عن ابن بريدة، عن أبيه قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ وعليه خاتم من حديد، فقال: «**ما لي أرى عليك حلية أهل النار؟!**». وساق الحديث[1].

والعجيب أن يرد عليَّ الأستاذ بمثل هذا الحديث! يسوقه هذا السياق، ولو رجع الأستاذ إلى علم مصطلح الحديث ـ ولا بد أنه درس شيئًا منه في كلية الشريعة بدمشق ـ لعلم أن أصحاب السنن الأربعة لم يلتزموا الصحة فيما أخرجوه من أحاديث، ففيها الضعيف، والضعيف جدًّا، والمنكر، بل في بعضها ـ كابن ماجه ـ الموضوع، كما بيَّن ذلك أئمة هذا الشأن. وهذا أمر لا يخفى على تلاميذ المعاهد الدينية.

ولهذا لا يكفي أبدًا في منطق العلم الرد على نفي وجود حديث صحيح يُحَرِّم التختم بالحديد بسرد حديث في سنن الترمذي، مع السكوت عن بيان درجته.

وكنت أود من الأستاذ المهذَّب الذي تحدث عن «الأمانة العلمية» في أكثر من موضع أن يذكر تعقيب الإمام الترمذي على الحديث الذي ذكره، وهو ذو الرقم «١٧٨٥» من سنن الترمذي، فإنه لم يصحِّحه، ولم يحسِّنه كعادته في الحديث الذي يرتضيه، وإنما قال: «هذا حديث غريب»

(١) رواه الترمذي في اللباس (١٧٨٥)، وقال: حديث غريب. وضعفه الألباني في مشكاة المصابيح (٤٣٩٦).

QaradawiBooks.com

وهي تعني تضعيفه للحديث. فإن كان يجهل الأستاذ ذلك، كان عليه أن يسأل أهل الذكر، وليس في العلم كبير، وفوق كل ذي علم عليم.

ولو أحبَّ الأستاذ أن يعرف سبب ضعف الحديث لكان عليه أن ينظر في السند الذي ساقه الترمذي، وسيجد فيه عبد الله بن مسلم المروزي الذي يُكنى «أبا طيبة»، قال فيه أبو حاتم الرازي: يُكتب حديثه، ولا يحتج به. وقال ابن حبان في الثقات: يخطئ ويخالف. كما ذكر ذلك ابن حجر في «فتح الباري».

ولهذا عنون الإمام البخاري في صحيحه لأحد أبواب كتاب اللباس بقوله: «باب خاتم الحديد»، وذكر فيه حديث الواهبة نفسها، وفيه: «**التمس ولو خاتمًا من حديد**»[١]. وفيه إشارة إلى أن ما ورد في ذمِّه لم يثبت عنده منه شيء، على شرطه. قال الحافظ: «وفيه دلالة على جواز لُبْس ما كان على صفته»[٢].

وقال النووي في «شرح مسلم»: وفي هذا الحديث جواز اتخاذ خاتم الحديد، وفيه خلاف السلف. والأصح من مذهب الشافعي: لا يُكره لأن الحديث في النهي عنه ضعيف[٣].

وقد أخرج أبو داود والنسائي من طريق إياس بن الحارث بن المعيقيب، عن جده: كان خاتم النبي ﷺ من حديد ملويًّا عليه فضة، فربما كان في يدي. قال: وكان معيقيب على خاتم النبي ﷺ[٤] (يعني كان أمينًا عليه). وذكر له الحافظ في الفتح عدة شواهد.

---

(١) سبق تخريجه صـ١١٥.

(٢) فتح الباري (٤٢/١٢).

(٣) شرح النووي على مسلم (٢١٢/٩).

(٤) رواه أبو داود في الخاتم (٤٢٢٤)، والنسائي في الزينة (٥٢٠٥).

QaradawiBooks.com

وصحَّ عن أنس: أنه ﷺ كان خاتمه من فضة[١]. فقال الحافظ: يحمل على التعدُّد، أي أنه ﷺ كان له أكثر من خاتم[٢].

٦ ـ اللعب بالنرد:

ذكرت أن جمهور العلماء قالوا بتحريم النرد، وذكرتُ الأحاديث التي استدلوا بها، ومع ذلك وللإنصاف ذكرت نقل الشوكاني عن ابن مغفَّل وابن المسيَّب، أنهما رخَّصا فيه على غير قمار.

غير أن الشيخ طهماز يرى أن في نقل مثل هذا الكلام يسوِّغ للناس الإقبال على النرد أكثر ما هم مقبلون، مع ما يستهلكه من أوقات اللاعبين، ويصرفهم عن الكثير من الواجبات الدينية والدنيوية، كما أنه كثيرًا ما يؤدي إلى القِمَار.

ويرى أن ما نقله الشوكاني عن ابن المسيب وابن مغفَّل ضعيف الثبوت.

ويتمنى أن قد وقفت عند الآراء القائلة بالتحريم، المعتمدة على الأحاديث النبوية الصحيحة[٣].

قلت: قال ابن عبد البر: رُوِّيتُ الكراهة في اللعب بالنرد عن عثمان بن عفان، وابن مسعود، وابن عمر، وعائشة، وأبي موسى، وسعيد بن المسيَّب، والقاسم بن محمد، وجماعة، كلهم يكره اللعب بها من جهة القمار.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٥)، ومسلم في اللباس والزينة (٢٠٩٢).

(٢) فتح الباري (٣٢٢/١٠).

(٣) نظرات في كتاب الحلال والحرام صـ ٥٦.

QaradawiBooks.com

وروى شعبة عن عبد ربه قال: سمعت سعيد بن المسيب وسُئل عن النرد، فقال: إذا لم يكن قمارًا فلا بأس به.

وروي عن عبد الله بن المغفل وعن الشعبي وعكرمة: أنهم كانوا يلعبون بالنرد.

وهذا لا يجوز أن يُضاف إليهم إلا على غير سبيل القمار.

قال: وجماعة الفقهاء يكرهون اللعب بالنرد، ويحرمون القمار بها وبغيرها[١].

وقال إسحاق بن راهويه إذا لعب بالنرد أو بالشطرنج على غير معنى القمار يريد به التعليم والمكايدة فهو مكروه، لا يبلغ ذلك إسقاط شهادته[٢].

قال الشافعي أكره اللعب بالنرد للخبر[٣].

قال الماوردي: اختلف أهل العلم في النرد، فحرَّمها مالك، وفسَّق اللاعب بها، وأحلَّها الحسن البصري، ولم يفسق اللاعب بها إذا حافظ على عبادته ومروءته. ولا يختلف مذهب الشافعي أن النرد أغلظ في المنع من الشطرنج، وصرَّح فيها بالكراهة، واختلف أصحابه، هل هي كراهة تحريم أم كراهة تنزيه[٤].

---

(١) الاستذكار (٤٦٢/٨).

(٢) المرجع السابق (٤٦٢/٨).

(٣) مختصر المزني (٤١٩/٨)، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

(٤) الحاوي الكبير (١٨٧/١٧)، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

قال النووي: وقال أبو إسحاق المروزي من أصحابنا: يكره ولا يحرم[١].

وبهذه النقول يتبيَّن لنا: أن الإجماع لم ينعقد على تحريمها، فهناك من كرهها، وهناك من رخص في اللعب بها على غير قمار، وفي هذا رخصة لكثير من المسلمين الذين ابتُلوا بها، على ألَّا يسرفوا فيها، حتى لا تشغلهم عن واجب ديني أو دنيوي.

أما كون اللعب بها يصرف اللاعبين بها عن الكثير من الواجبات، أو أن اللعب بها على غير القمار قد يدفعهم إلى القمار، فإن تحقَّق هذا تأكَّدت الحرمة، لا لأصلها، وإنما لما أفضتْ إليه.

أما قول الشيخ: ليته وقف عند الآراء القائلة بالتحريم، فأنا ـ كما قلت ـ أرى الاستفادة من جميع تراثنا الفقهي، دون التقيُّد بمدرسة واحدة.

مسائل متكلَّفة:

الحق أن أخانا المعلِّق قد أهدر الكثير من وقته ووقت القارئ، ثم وقتنا في الرد على بعض مسائله التي تكلَّف فيها الاعتراض على كتابنا «الحلال والحرام»، وحارب فيها في غير ميدان.

ومن ذلك:

١ ـ تعريف الحلال والمكروه:

قلتُ: الحلال: هو الذي انحلَّت عنه عُقدة الحظر، وأذن الشارع في فعله.

والحرام: هو الأمر الذي نهى الشارع عنه نهيًا جازمًا.

(١) شرح النووي على مسلم (١٥/١٥).

QaradawiBooks.com

والمكروه: الذي نهى عنه، لكنه لم يشدِّد في النهي عنه.

فأراد المعلِّق أن يدفعني دفعًا إلى أن أتبنَّى تعريف الجرجاني في الحلال، فقال: كان الأولى أن يُعَرِّف المؤلف الحلال بتعريف الجرجاني: «كل شيء لا يُعاقب عليه باستعماله»[١].

ثم جعل المعلِّق المكروه: ما ثبت بدليل ظني، خلافًا للحرام الذي ثبت بدليل قطعي.

ثم قال: وعلى هذا فالمكروه مُعاقَب عليه!!

ونقل عن الشيخ الخُضَري في كتابه «أصول الفقه»: «وقسَّم الحنفية الطلب المقتضي للكفِّ إلى قسمين، باعتبار طريق الثبوت:

الأول: ما ثبت قطعًا، وهو نصوص الكتاب والسنة المتواترة والإجماع، وهذا مقتضاه التحريم، فهو مقابل الفرض.

الثاني: ما ثبت ظنًّا، وهو أخبار الآحاد والقياس، وهذا مقتضاه كراهة التحريم، فهو يقابل الواجب»[٢].

ولا ينقضي عجبي من هذه الطريقة في المحاججة والمناقشة، فعندما اخترت هذا التعريف للحلال، فقد راعيت فيه أصل اشتقاق الكلمة، كما بيَّن ذلك القرطبي، حينما قال: «وسُمِّي الحلال حلالًا؛ لانحلال عقدة الحظر عنه»[٣].

---

(١) التعريفات للجرجاني صـ ٩٢، نشر دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

(٢) أصول الفقه لمحمد الخضري صـ ٤٧، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط٦، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م.

(٣) تفسير القرطبي (٢٠٨/٢).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وهـذا ما ذكره الرازي فـي تعريفه للحـلال[١]. وذكـره الثعالبي[٢]، والخازن[٣]، والنيسابوري[٤].

فهل يجب عليَّ أن أرجع إلى المصدر الذي يريد الشيخ طهماز حتى يرضى؟!

كما أن هذا التعريف الذي ذكره الجرجاني لا يخلو من اعتراض؛ إذ يشـمل هذا التعريف بالإضافة إلى الحلال المكروه عند غير الأحناف، والمكروه كراهة تنزيهية عندهم.

أما تعريف المكروه الذي أقام الكاتب الدنيا وأقعدها من أجله، فهو تعريف خاص بالسادة الحنفية؛ بل قُل: هو أحد نوْعَيِ المكروه عندهم.

فذكر المعلِّق هذا التعريف، وكأنه هو المعنى الوحيد للكراهة. ونسي أننا في هذا الكتاب لا نخاطب الحنفية وحدهم، وإنما نخاطب المسلمين في كل بقاع العالم، على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم.

فالمكروه كما قال إمام الحرمين: ما يُثاب على تركه، ولا يُعاقب على فعله[٥].

---

(١) تفسير الفخر الرازي (١٨٥/٥).

(٢) تفسـير الثعالبي (٣٥٤/١)، تحقيق محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

(٣) تفسـير الخازن (١٠١/١)، تحقيق محمد علي شاهين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

(٤) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤٦٤/١)، تحقيق زكريا عميرات، نشـر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

(٥) الورقات في أصول الفقه صـ ٨، وانظر: شرح الورقات لجلال الدين المحلي صـ ٧٦، تحقيق د. حسام الدين بن موسى عفانة، نشر جامعة القدس، فلسطين، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

وهو ما يُمدح تاركه ولا يُذم فاعله[١].

وهو ما طلب الشارع ترْكه طلبًا غير جازم[٢].

ومثل ذلك تجده في «المستصفى»[٣]، و«الإحكام» للآمدي[٤]، وغيرها من كتب الأصول.

وبعد أن أوهم الشيخ القارئ بخطأ تعريفي للمكروه، وادَّعى أن المكروه يعاقب فاعله عاد، فذكر معنى الكراهة، فقال: نعم المكروه الذي لا يعاقب عليه، هو المكروه تنزيهًا، وهو كما قال الخضري: «هو ما طلب الكفّ عنه من غير إشعار بالعقوبة»[٥]!

٢ ـ أكل المال بالمسابقة:

عند حديثي تحت عنوان: «في الحلال ما يغني عن الحرام»، ذكرت قول ابن القيم: وحرَّم عليهم القِمار، وأعاضهم منه أكل المال بالمسابقة النافعة في الدين، بالخيل والإبل والسهام[٦].

---

(١) الإبهاج للسبكي (٥٩/١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م، ونهاية السول صـ ٢٤، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م، وإرشاد الفحول للشوكاني (٢٦/١)، تحقيق الشيخ أحمد عزو عناية، نشر دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

(٢) الإبهاج (٥٢/١)، وتقريب الوصول إلي علم الأصول لابن جزي الكلبي صـ ١٦٩، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م، وشرح الكوكب المنير هامش الصفحة (٤١٣/١)، تحقيق محمد الزحيلي ونزيه حماد، نشر مكتبة العبيكان، ط٢، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

(٣) المستصفى صـ ٢٣، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

(٤) الإحكام في أصول الأحكام (١٢٢/١)، تحقيق عبد الرزاق عفيفي، نشر المكتب الإسلامي، بيروت.

(٥) نظرات في كتاب الحلال والحرام صـ ١١.

(٦) روضة المحبين صـ ٨.

QaradawiBooks.com

ولكن المعلِّق لم يمهل نفسه حتى يقف على آخر النقل، وينظر في الحاشية، ليعلم أن هذا الكلام مقتبس من قول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فسارع إلى الاعتراض، وهو يظن أن النصَّ من قولي، ولا أظنه كان سيعترض أو يحاول أن يستدرك لو علم قائل النص!!

فقال: وإطلاق العبارة بهذا الشكل قد يفهم منه حِلُّ كل كسب للمال عن هذا الطريق، مع أن أكثر هذه الأكساب تأخذ شكل القمار... فكان الواجب تقييد العبارة، بما إذا شرط فيه الجُعْل من أحد الجانبين أو من ثالث... وقد بين المؤلف هذا في بحث خاص!

ومن يقرأ السياق كاملًا، يجد أن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتحدَّث عن فكرة كلِّية، ولا يخص هذه المسألة بالذات حتى يقيد عبارة هنا أو كلمة هناك.

يقول ابن القيم: «ومن محاسن الإسلام، ومما جاء به من تيسير على الناس: أنه ما حرم شيئًا عليهم إلا عوضهم خيرًا منه، مما يسدُّ مسدَّه، ويُغني عنه». كما بيَّن ذلك ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حرَّم عليهم الاستقسام بالأزلام وعوَّضهم عنه دعاء الاستخارة.

وحرَّم عليهم الربا وعوضهم التجارة الرابحة.

وحرَّم عليهم القِمار، وأعاضهم عنه أكل المال بالمسابقة النافعة في الدين، بالخيل والإبل والسهام.

وحرَّم عليهم الحرير، وأعاضهم عنه أنواع الملابس الفاخرة من الصوف والكتان والقطن.

وحرَّم عليهم الزِّنى واللواط، وأعاضهم عنهما بالزواج الحلال.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

وحرَّم عليهم شرب المسكرات، وأعاضهم عنه بالأشربة اللذيذة النافعة للروح والبدن.

وحرَّم عليهم الخبائث من المطعومات، وأعاضهم عنها بالمطاعم الطيبات»[١] اهـ.

٣ ـ ذبائح أهل الكتاب مما لم يذكروا اسم الله عليه:

ذكرت أنه إذا لم يسمع من الكتابي أنه سمَّى غير الله عند الذبح كالمسيح والعُزَير، فإن ذبيحته حلال.

وسُئل الإمام مالك فيما ذبحه أهل الكتاب لأعيادهم وكنائسهم، فقال: أكرهه، ولا أحرِّمه[٢].

قال الشيخ طهماز: الكراهة عند العلماء تعني ما هو إلى التحريم أقرب[٣]!

وذكرت قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ۖ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾ [المائدة: ٥].

فقال طهماز: أباح الله لنا ذبائحهم؛ لأن الأصل في أهل الكتاب أنهم لا يذبحون إلا لله، فإذا ذبحوا لغير الله، وخالفوا الأصل، فلا يحل لنا ذبائحهم.

وكأن القرآن الكريم قد نزل وأهل الكتاب على شريعة موسى يسيرون! وكأنهم على سيرة عيسى ونهجه يقتدون، بلا تحريف أو تبديل!

---

(١) روضة المحبين صـ٨.

(٢) المدونة (١/٥٤٤، ٥٤٥).

(٣) نظرات في كتاب الحلال والحرام صـ ٢٣.

QaradawiBooks.com

وكأنهم ليسوا الذين قال الله فيهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

وكأنهم قوم لم يُقِرُّوا أسلافهم على قولهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤].

وأنهم قوم غير الذين قال الله فيهم: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣].

والذين قال عنهم: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧].

فالشيخ يحاول أن يدفع حل طعام أهل الكتاب وذبائحهم، بما يصطدم مع الآيات وأقوال العلماء.

٤ ـ تفسير طعام أهل الكتاب في الآية: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾:

قلت: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [المائدة: ٥]: كلمة عامة، تشمل كل طعام: ذبائحهم، وحبوبهم، وغيرها.

قال الأستاذ طهماز: لكن الصحيح أن كلمة «طعام» في الآية المراد منها: ذبائحهم بصورة خاصة[١]. ونقل ذلك عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وعطاء والحسن وغيرهم[٢].

وإن كانت الآية فيها إشارة إلى ذبائحهم خاصَّة، فهي تشمل من باب

(١) نظرات في كتاب الحلال والحرام صـ ٢١.
(٢) تفسير ابن كثير (٣/٤٠).

QaradawiBooks.com

أولى كل طعام، فإذا أبيحت الذبائح، فالحبوب والفواكه وما شابه ذلك يباح من باب أولى.

ولا أرى خلافًا يستدعي التوقف للتعليق أو التعقيب، خاصة وقد ذكر هذا القول قبلي من العلماء العز بن عبد السلام، فقال في تفسيره: ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾: ذبائحهم وطعامهم[١].

وقال ابن جزي: وأما الطعام، فهو على ثلاثة أقسام:

أحدها: الذبائح، قد اتفق العلماء على أنها مرادة في الآية، فأجازوا أكل ذبائح اليهود والنصارى...

الثاني: ما لا محاولة لهم فيه، كالقمح والفاكهة، فهو جائز لنا اتفاقًا.

والثالث: ما فيه محاولة كالخبز وتعصير الزيت وعقد الجُبن... وأجازه الجمهور؛ لأنهم رأوه داخلًا في طعامهم[٢].

٥ ـ التوسُّع في تعريف الزانيات:

ذكرت في كتابي من جملة المحرمات من النساء: الزانيات. وقلتُ في تعريفهن: والمراد بالزانيات هنا: البغايا اللاتي يجاهرن بالزنى ويتكسبن به اهـ.

فقال المعلق: والملاحظ أن المؤلف أخرج بهذا التعريف الزانيات المترفات اللاتي يدفعهن الترف إلى المجون والفجور[٣].

---

(١) تفسير العز بن عبد السلام (٣٧٣/١)، تحقيق د. عبد الله بن إبراهيم الوهبي، نشر دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

(٢) البحر المديد لابن عجيبة (١٠/٢)، تحقيق أحمد عبد الله القرشي رسلان، نشر د. حسن عباس زكي، القاهرة، ١٤١٩هـ.

(٣) نظرات في كتاب الحلال والحرام صـ ٣٨.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ثم عاد فقال: فعلى هذا لــو أن رجلًا زنى بامرأة، ثــم أراد أن يتزوَّجها لا يجوز له ذلك، وكذلك لو أن امرأة متزوجة زنت ينفسخ عقد زواجها، ولو تابت المرأة الزانية عن الزنى وتركته، لا يجوز لها التزوُّج بحســب الأصل الذي ذكره المؤلف، مع أن المقرر شرعًا عند الفقهاء خلاف ذلك اهـ.

أقول «القرضاوي»: هناك مسألتان:

الأولى: أنه أراد أن أوسِّــع تعريف الزانيات، اللاتي يحرم على المسلم التزوج بهن، ليشمل إضافة إلى العاهرات المعلِنات بالزنى، المقيمات عليه، المعروفات به؛ من يمارسن ذلك العمل للتشهِّي دون حاجة إلى الكسب.

وأنــا أرى أن الله تعالى إنما أراد من المســلم ألا يقــع اختياره عند الزواج على امرأة خبيثة، وأن يتخيَّر لنطفته رحمًا طاهرًا لم يتلوَّث بكل رائح أو غاد.

فامرأة هذا شأنها كيف تؤتمن على عرضه وشرفه؟! وعلى أي خُلق سوف تربي أبناءه وبناته؟! ولذلك نهى الإسلام عن الاقتران بهذا الصنف من النساء.

أما المرأة التــي تقوم بهذا الفعل بغير دافع المال، فهي إما مســتترة بهذا العمل، فلا سبيل إلى معرفتها بهذه الصفة إلا بالشائعات التي كثيرًا ما تجانب الصواب، وما كان الإســلام ليقيم أحكامه بناء على شائعات لا تثبت، وما كان ليحرم امــرأة من الزواج لأن بعــض الأقاويل تحوم حولها، دون تثبت.

وإما أن تكون هذه المــرأة معروفة بذلك العمــل الفاضح، مجاهرة به، معلنة أنها تقوم بذلك الفعل الدنيء، لا تبالي بقيم مجتمعها، ولا تعبأ بتلوث سيرتها وسمعتها، فهذه تلحق بالتعريف الذي ذكرته: «يجاهرن بالزِّنى».

QaradawiBooks.com

المسألة الثانية: أن الكاتب قال على لساني ما لم أقل، فزعم أنني أقول بفسخ نكاح المرأة المتزوجة إذا زنت، وأحرِّم الزواج من المرأة التي تابت من هذا المستنقع الآسن، وأنني لا أجيز زواج الرجل بالمرأة التي زنى بها!

فأقول: سبحانك هذا بهتان عظيم. من أين يُفهم هذا الكلام من كتابي، مع أنه ـ أي الكاتب ـ هو الذي يريد أن يتوسَّع في تعريف الزانيات اللاتي يحرم على المسلم التزوج بهن، وهو الذي اعترض عليَّ آنفًا من أجل أنني اقتصرت على البغايا في تحريم الزواج، فإذا به الآن، وبعد عدة أسطر يدَّعي أنني أتوسع في التحريم!!

ومع كوني لم أقل بذلك القول فإن القول به يؤدي إلى مفاسد دينية واجتماعية ونفسية كبيرة.

فالمرأة التي تابت من الزِّنى، وصدقت توبتها، وأرادت أن تعيش حياة طاهرة نظيفة، في كَنَفِ رجل صالح، يحافظ عليها ويحمي عرضها، إذا حرمها المجتمع من ذلك، وجعل ذلك محرمًا عليها على التأبيد، فأي طريق ستسلك؟! وفي أي سبيل ستمضي؟! أليس طريق الرذيلة والغواية؟! فيزداد المجتمع فسادًا، وتزداد المرأة فجورًا.

وهذه التي وقعت في جريمة الزنى، حال زواجها ـ مع أننا لا نقرها على ذلك ـ إلا أن انفساخ العقد من تلقاء نفسه، يعني أنها تعيش مع زوجها فيما يستقبل من عمرهما في دائرة مشبوهة، وأن العلاقة التي تربطهما أصبحت علاقة محرَّمة.

أما هذه التي وقعت في حبائل الشيطان، واستجابت لرغبات أحد الرجال، ففقدت عذريتها منه، ثم استيقظ ضمير ذلك الرجل، وأراد أن

QaradawiBooks.com

يتزوَّجها في الحلال، ليدفع عنها ذلــك العار الذي ألحقه هو بها، أليس ذلك خيرًا من أن نترك الرجل يلهو ويلعب، ويمرح ويطرب، وتظل هذه لا يجوز أن تتزوج نتيجة ذلك الخطأ؟!

ماذا يُنتظر من فتاة كهذه؟! إنها بلا شــك ستكون قنبلة موقوتة، في خاصرة المجتمع!

إن المجتمع الذي أبى أن يغفر لها ذلك الخطأ، سيذوق الويلات من امرأة لم يجعل لها ذلك المجتمع مخرجًا!!

٦ ـ البيع بأجل:

قلت تحت عنوان «البيــع لأجلٍ مع زيادة الثمــن»: وأجازه جمهور العلماء؛ لأن الأصل الإباحة، ولم يرد نص بتحريم، وليس مشابهًا للربا من جميع الوجــوه، وللبائع أن يزيد في الثمن لاعتبــارات يراها، ما لم تصل إلى حد الاستغلال الفاحش والظلم البين، وإلا صارت حرامًا اهـ.

قال المعلق: على أنه ـ وإن كان جائزًا ـ لا يخلو من كراهة، كما قال سيدي الشيخ محمد الحامد رَحِمَهُ اللَّهُ، لما فيه من القسوة والشح. والمسلم مأمور بأن يكون سمحًا في بيعه وشرائه[1].

وأنا أعجب من الشــيخ الذي جعل اتباع المذاهب الفقهية المشهورة شــعاره ودثاره، وشــنَّع على كل من حاول الاجتهاد خــارج نطاق هذه المذاهب، إذا به يفاجئنا بأنه خرج علــى رأي الجمهور، وجعل الحكم المباح يتحوَّل إلى الكراهة؛ لأن الشــيخ محمد الحامد رَحِمَهُ اللَّهُ قال ذلك!! وأنا أترحم على الشيخ الحامد، وأدعو له من كل قلبي، وإن كنتُ أخالفه.

(١) نظرات في كتاب الحلال والحرام صـ ٤٤، ٤٥.

QaradawiBooks.com

الجانب الاقتصادي في البيع لأجلٍ مع زيادة الثمن:

والمسألة كما أن لها وجهًا شـرعيًّا، فإن لها جانبًا اقتصاديًّا ينبغي ألا نغفله، فالتاجـر الذي وضع رأس ماله في تلك السـلعة، يريد أن يبيعها ليأتي بأخرى فيبيعها، وهكذا تدور حركة رأس المال نماء وزيادة.

عندما يقبل هـذا التاجر أن يبيع سـلعته بأجل، وهـو يعلم أنه لن يستطيع أن يسترد رأس ماله إلا في زمن طويل، فهو بحاجة إلى شيء من التعويض عن هذا المال المعطَّل، والذي استغرقته هذه الصفقة، فإذا زاد زيادة غير فاحشة، فلعلها معادلة اقتصادية عادلة، حصل فيها من لا يملك الثمن على السلعة التي يريدها، وحصل البائع على زيادة في ربحه، نظير قبوله بتأخر السداد.

أما أن يكون التاجـر رحيمًا بالفقراء والمحتاجيـن الذين اضطرتهم الحاجة إلى هذا النوع من الشـراء، فهو راجع لتقديره الشخصي، فليس من يشتري الضروريات كمن يشـتري الكماليات، وليس من يبحث عن الحاجيات، كمن يلهث وراء التحسينات.

وكثير من التجار يجعلون جزءًا من صدقاتهم وزكواتهم في التخفيف عن هؤلاء.

كلمة أخيرة:

كتبت هذه التعليقات من قديم (سـنة ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م)، حين أخرج أخونا العزيز الشـيخ عبد الحميـد طهماز نظراته علـى كتابي «الحلال والحرام» في سورية، وكان فيها شـديدًا قاسيًا عليَّ، فرددتُ كذلك عليه بنوع من الشدة. وهذا شأن الإنسان، وخصوصًا في عهد الشباب.

QaradawiBooks.com

وقد علمتُ من إخواننا السوريين والحمويِّين في الدوحة أن الرجل من أهل العلم، وقد قرأتُ له بعض الكتب النافعة، وأنه رجل صالح، وقد ذكر في «نظراته» ـ رغم اعتراضاته على بعض المسائل والأقوال ـ أن كتابي فيه «اللغة العالية السهلة، والعرض الحسن، والتآلف الممتاز بين موضوعاته، والاستقصاء الجيد للأدلة، حتى بلغ عدد شواهده من الأحاديث الشريفة ما يقرب من خمسمائة، مما يدل على سعة اطلاع المؤلف، وغزارة مادته العلمية، وتمكنه منها»[1]. وقال بعد ذلك: إن كتاب الحلال والحرام منتشر قد نفع الله به الكثير من الناس، وقد طُبع عشرات المرات بالعربية، وترجم إلى لغات العالم. وكلنا بشر، يخطئ ويصيب. والتوفيق من الله ﷻ.

والآن وقد علمتُ أن الشيخ رحل عن هذه الدنيا، ولقي ربه، لا أملك إلا أن أدعو له بالمغفرة والرحمة، ولنفسي معه، فما أحوجني إلى ذلك! وأسأله تعالى أن يتقبلنا جميعًا في عباده الصالحين.

وأنا أدعو لأخينا الشيخ عبد الحميد طهماز أن يتقبل الله منه طاعاته، ويغفر له ويرحمه، وأنا مسامحه فيما صدر منه عني، وأدعو الله تعالى بدعاء أولي الألباب من عباده: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ۞ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٣، ١٩٤].

(١) نظرات في كتاب الحلال والحرام صـ ٦.

QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفِ القَرَضَاوِي

الفهارس العامة

- فهـرس الآيات القرآنيـة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـريفة.
- فهرس الموضوعات.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

غير مرخصة للطباعة

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة		
﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾	٣	٣٣١
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾	٨	٤٩٩
﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾	٩	٥١٧
﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾	٢٩	٢٧
﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ﴾	٣٤	٤١٥، ٥٠٣
﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾	٦١	٤٨٣
﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾	٩٩	٤١٤
﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾	١٠٢	٣٠٠
﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾	١٠٩	٤٧٣، ٤٧٥
﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾	١٢٠	٥٢٣، ٥٢٤
﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾	١٣٦	٤٤١
﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾	١٣٨	١٥
﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾	١٤٣	٤١٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ ﴾	١٤٥	٥٢٥
﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾	١٥٢	٤٧٣
﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾	١٥٦	٣١١
﴿ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾	١٦٤	١٧٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾	١٦٨	٦٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾	١٧٢	٥٢، ٤٨٨، ٦٨
﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ ﴾	١٧٣	٥٩، ٦٨، ٧٧، ٦٣٤، ٦٩٢
﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾	١٧٩	٤٠٠
﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾	١٨٥	٣٩، ٦٠، ٢٥١، ٦٣٠
﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾	١٨٧	٢٥٦
﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ ﴾	١٨٨	٤٠٤
﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾	١٩٥	١١٠، ٢٥١
﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾	١٩٨	١٧٧
﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾	٢٠١	٤٨٩
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾	٢٠٤، ٢٠٥	٤٩٩
﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾	٢١٣	٤١٣
﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾	٢١٩	٤١، ٤٠٩، ٤١٠، ٦٣٧، ٦٣٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ﴾	٢٢٠	٤٣، ٤١٩، ٥٣٠
﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ﴾	٢٢١	٢٣٢، ٢٣٥
﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى﴾	٢٢٢	٢٤٦
﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ﴾	٢٢٣	٢٤٧، ٢٤٨
﴿لِّلَّذِينَ يُؤۡلُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ﴾	٢٢٦	٢٧٦
﴿تَرَبُّصُ أَرۡبَعَةِ أَشۡهُرٖۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾	٢٢٦، ٢٢٧	٢٧٦
﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ﴾	٢٢٨	٢٣١
﴿وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ﴾	٢٢٨	٢٥٦
﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾	٢٢٩	٢٧١، ٦٧٤
﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦ﴾	٢٢٩	٢٧٤
﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ﴾	٢٣١	٢٧٣
﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ﴾	٢٣٢	٢٧٤
﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾	٢٣٤	٢٣١
﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾	٢٣٥	٢٢٥
﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡ﴾	٢٣٧	٤٨٢
﴿وَلِلۡمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ﴾	٢٤١	٢٧١
﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾	٢٥٤	٤١٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾	٢٦٤	٤٩٨، ٥١٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾	٢٦٥	٤٩٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾	٢٧٨، ٢٧٩	٣٢٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾	٢٨٢	٤٩٥
﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ﴾	٢٨٥	٤٢، ٤٤٢
﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾	٢٨٦	٦٠٧
سورة آل عمران		
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾	٥	٥٠٠
﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾	٦	١٤٩، ٥٨٦
﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ﴾	٨	٩
﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ﴾	١٤	٤٨٤، ٤٨٧
﴿قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ﴾	١٥ ـ ١٧	٤٨٧
﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾	٢٨	٥٦٣
﴿وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم﴾	٥٠	١٦
﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ﴾	٧٢	٤٠١
﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ﴾	٧٥	٥٧، ٤٨٦
﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾	١٠٣	٤٧٩
﴿خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾	١١٠	٢٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ﴾	١١٨	٤٢٤، ٤٤٧، ٤٨٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	١٣٤	٤٦٧
﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ﴾	١٤٤	١٤٠
﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	١٤٨	٤٨٩
﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ﴾	١٨٥	٤٨٣
﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ﴾	١٩٣، ١٩٤	٧١٦
﴿مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾	١٩٧	٤٨٨
سورة النساء		
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾	١	٣٨٢، ٤٧٨
﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً﴾	٣	٢٤١
﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾	٥	٤٠٣، ٤٠٨، ٤٩٥
﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ﴾	١١	٢٨٩
﴿غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾	١٢ ـ ١٤	٢٨٩
﴿نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾	١٤	**٢٩١**
﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾	١٩	٢٥٨، ٢٧٥
﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾	٢٠، ٢١	٢٧٥
﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾	٢٢ ـ ٢٤	٢٣١
﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ﴾	٢٣	٦١، ٢٨٢
﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَـٰفِحِينَ﴾	٢٤	٢٣٧

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾	٢٦ ـ ٢٨	٤٥
﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾	٢٨	٣٩، ٦١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾	٢٩، ٣٠	١٨٧، ٣٢٧، ٤٠٤
﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾	٢٩	١١٠، ١٨٧، ١٨٨، ٢٥١، ٤٠٢
﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾	٣٤	٢٤٨
﴿ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ ﴾	٣٤، ٣٥	٢٦٠
﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾	٣٨	٤٩٨
﴿ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴾	٤٣	٦٣٧
﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾	٥٤	٤٧٣، ٤٧٥
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾	٥٨	٤١١
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾	٦٠ ـ ٦١	٤١٦
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾	٦٥	٤١٧
﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾	٨٧	٢٨٣
﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا ﴾	٩٣	٣٩٧
﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ ﴾	١٠٥ ـ ١٠٩	٥٧
﴿ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾	١١٩	١٢٠، ٤٥٣
﴿ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾	١٢٨	٢٧٤، ٤٩٢
﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ ﴾	١٢٩	٢٤٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ﴾	١٣٠	٢٦١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾	١٣٥	٣٠٨
﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾	١٣٦	٤٤٢
﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۙ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ ﴾	١٣٨، ١٣٩	٤٤٩، ٥٦٤، ٥٦٥
﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا ﴾	١٤٠	١٠٥، ٣٩٤
﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾	١٤٢، ١٤٣	٤٩٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ ﴾	١٤٤	٤٢٥، ٥٦٤
﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾	١٤٨	٣٩٢
﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾	١٦٠، ١٦١	٤٠
﴿ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ ﴾	١٦١	٦١٩
﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾	١٧٦	٢٨٩
سورة المائدة		
﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾	١	٩٤، ٦٩٢
﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾	٢	٣٣٦، ٤٠٥
﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾	٣	١٦، ٦٨، ٧٢، ٧٧، ٨٤، ٣٠٠، ٦٢٠، ٦٩٢
﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ ﴾	٤	٤١، ٩٥، ٩٧، ٩٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾	٥	٤١، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩١، ٦١٨، ٢٣٣، ٤٤٢، ٦٢٠، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١
﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾	٦	٦٠، ٢٥١
﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ﴾	٨	٣٠٨
﴿ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ﴾	١٤	٤٨٠
﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾	١٧	٧١٠
﴿ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾	٢٧ ـ ٣٠	٤٧٤
﴿ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	٣٢	٣٩٧
﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا ﴾	٣٨	٤٠٤
﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾	٤٤	٤١٤
﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾	٤٥	٤١٤
﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾	٤٧	٤١٤
﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾	٤٨	٤١٥
﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ ﴾	٤٩ ـ ٥٠	٤١٥
﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾	٥٠	٢٤٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ ﴾	٥١، ٥٢	٤٤٧، ٥٦٤
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	٥١	٤٢٨
﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ ﴾	٥٢	٤٤٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	٥٤	٣٨١
﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾	٦٤	٤٨٠، ٧١٠
﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾	٧٣	٧١٠
﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾	٨٢، ٨٣	٤٤٢، ٤٤٧، ٥٠٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾	٨٧	٣٨، ٢٢١، ٤٨٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ﴾	٩٠	١٠٠، ٣٧٧، ٥٣١، ٦٠١
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِي ٱلْخَمْرِ﴾	٩١	١٠١، ٤٨٠، ٥٣١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ﴾	٩٤، ٩٥	٩٤، ٩٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾	٩٥	٣٦٦
﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾	٩٦	٧٤، ٨٠، ٩٣، ٩٤، ٣٦٦
﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾	١٠٣، ١٠٤	٣٧
سورة الأنعام		
﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾	٢١	٤٢٨
﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾	٣٨	١٥٩
﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾	٥٠	٢٩٩
﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾	٥٦	٥٢٤
﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾	٦١	٤٥٨
﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾	٩٩	١٦٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ﴾	١١٤	٤١٦
﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴾	١١٨	٨٤
﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾	١١٩	٢٩، ٣٤، ٥٤، ٧٦
﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ﴾	١٢١	٨٤، ٦٢٠
﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾	١٣٧	٢٤
﴿ وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ ﴾	١٣٨	٢٤
﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾	١٤٠	٢٤
﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾	١٤١	٣٣١
﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ ﴾	١٤٣، ١٤٤	٣٨
﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ ﴾	١٤٥	٤٢، ٦٨، ٨٢، ١٠٧، ٦٨٦، ٦٨٨، ٦٩١، ٦٩٧
﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ ﴾	١٤٦	٤٠، ٦٦
﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ ﴾	١٥١	٤٦، ٤٠٠
﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ ﴾	١٥٢	٣٢٥، ٤٩٥
سورة الأعراف		
﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ﴾	٢٦	١١١
﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ ﴾	٢٧	١١١
﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ﴾	٢٩	٤١٢
﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾	٣١	١١١، ٤٠٩، ٤٨٨
﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾	٣٢	٤، ٣٨، ١١٤، ١٣٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ ﴾	٣٣	١٨، ٣٨، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢١٢، ٦٣٨، ٦٤٠
﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾	٤٣	٥٣٤
﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ ﴾	٨٨	٥٠٤
﴿ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ﴾	١٣١	٣٠٥
﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾	١٤٦	٥٠٣
﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ ﴾	١٥٤	٤٦٧
﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾	١٥٦، ١٥٧	١٧
﴿ يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾	١٥٧	٤١، ٧١، ٨١
﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ ﴾	١٧٦	٥٢٥
﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ ﴾	١٨٨	٢٩٨
﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾	١٩٩	٤٨٢
سورة الأنفال		
﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ ﴾	٢٥	٤٣١
﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾	٦٠	٣٦١، ٣٦٤
﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ ﴾	٦٢، ٦٣	٤٧٩
﴿ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾	٧٥	٢٨٢
سورة التوبة		
﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾	١٤، ١٥	٤٧٠
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾	٢٣	٣٠٩، ٥٦٤

QaradawiBooks.com



الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا﴾	٢٥	٥٠٧
﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾	٣٠	٧٠٩
﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾	٣١	٣٢
﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾	٣٤، ٣٥	٤٨٥
سورة يونس		
﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ﴾	٣٢	٣٧٣، ٥٩٩
﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ﴾	٣٥	١٣
﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا﴾	٥٩	٣٠، ٣٣
سورة هود		
﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾	٦	٦٦٤
﴿جَحَدُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾	٥٩	٤٣٤
﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾	٧٧ ـ ٨١	٢١٧
﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾	٨٤	٤٧٨
﴿فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾	٩٧، ٩٨	٤٣٤
﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ ۚ﴾	١٠٢	٤٢٩
﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾	١١٣	٤٣٤
سورة يوسف		
﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۝ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ﴾	٥٤، ٥٥	١٨٥، ٤٢٦
﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾	٩٢	٤٨٢

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الرعد		
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾	١١	٥٢٧
﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ﴾	٣٧	٥٢٥
سورة إبراهيم		
﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ﴾	٣٧	١٧٦
﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾	٤٢	٤٢٨
﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ﴾	٤٩	٥٢٣
سورة الحجر		
﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾	١٩ ـ ٢٢	١٦٦
سورة النحل		
﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	٨	٣٦٥، ٤٨٦
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾	١٤	٨٠، ١٧٥
﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾	٢٣	٥٠٣
﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾	٣٦	١٠١
﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾	٦٤	٤١٣
﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾	٧٢	٢٣٨
﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾	٨٠	١٣١
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾	٩٠	٤١١
﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟﴾	٩٦	٤٩٦
﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ﴾	١١٦	٣٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الإسراء		
﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٩	٤١٣
﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ ﴾	١٦	١١٦
﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾	١٨	٤٨٩، ٤٩٤
﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾	٢٣، ٢٤	٢٩٠
﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾	٢٦، ٢٧	٣٣١، ٤٠٩
﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾	٢٩	٤٠٩، ٤٩٥
﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾	٣١	٢٨٦
﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾	٣٢	٤٦، ١٧٤، ١٩٢
﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ﴾	٣٣	٤٠١
﴿ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾	٣٥	٣٢٥
﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم ﴾	٧٠	٤٥٩
﴿ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾	٧٢	٥١٣
﴿ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾	٧٧	٢٩٧
﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ﴾	١٠٠	٤٩٢
سورة الكهف		
﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾	٢٨	٥٢٤
﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ ﴾	٤٦	٤٨٥، ٤٩٥
﴿ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾	٥٠	٤١٥

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾	٩٥ ـ ٩٧	١٧٠
﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۞ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ﴾	١٠٣. ١٠٤	٥٠٨
﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾	١٠٥	٥٠٠
﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾	١١٠	١٤٠
سورة مريم		
﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾	٦٤	٢٨، ٨٠، ٥٩٣
﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴾	٩٠	٦٨٤
سورة طه		
﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ۞ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ ﴾	٩٢ ـ ٩٤	٤٣٦
سورة الأنبياء		
﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾	٢٨	٤٥٨
﴿ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ۞ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴾	٥٢، ٥٣	٥٨٠
﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ ﴾	٨٠	١٧٠
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾	١٠٧	١٧
سورة الحج		
﴿ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾	٢٧، ٢٨	١٧٧
﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ ﴾	٢٩	٥٧١
﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ الزُّورِ ﴾	٣٠	١٠١
﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾	٧٨	٣٩، ٦٣٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المؤمنون		
﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴾	٣	٦٠٢
﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۞ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ ﴾	٥ ـ ٧	٢١٨
﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ۞ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ ﴾	١٢ ـ ١٤	٦٦٥
﴿ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا ﴾	٢٧	١٧١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾	٥١	٥٢
﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾	٧١	١٣، ٢٩٧، ٥٢٤
﴿ أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴾	١١٥، ١١٦	٤٥٩
سورة النور		
﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖ ﴾	٢	٢٣٧
﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةٗ وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ ﴾	٣	٢٣٦
﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ ﴾	٦ ـ ٩	٢٧٩
﴿ ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَ ﴾	١٤	٦٦٥
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾	١٩	٣٩٧
﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ ﴾	٢٢	٤٨٢
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا ﴾	٢٣ ـ ٢٥	٣٩٦
﴿ ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ ﴾	٢٦	٢٣٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ ﴾	٢٧، ٢٨	٣٨٩
﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ ﴾	٣٠	١٩٥، ١٩٦، ٢٠٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ ﴾	٣١	١١٧، ٢٠٠، ٢٠٣، ٢١١، ٢١٣، ٥٣٢، ٥٣٣، ٦٤١، ٦٨٣
﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ ﴾	٣٢	٢٢٢
﴿ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾	٣٣	١٧٣
﴿ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ﴾	٣٥	٥١٣
﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾	٣٧	١٧٧
﴿ كَظُلُمَـٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ ﴾	٤٠	٥١٣
﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم ﴾	٤٧ ـ ٥٢	٤١٤
﴿ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾	٥٥	٤١٤
﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّـٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا ﴾	٦٠	٢٠٧، ٢٠٩
سورة الفرقان		
﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾	٤٣، ٤٤	٥٢٤
﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ ﴾	٦٧	٤٠٩
﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ﴾	٦٨ ـ ٧٠	٤٦، ٣٩٨
سورة الشعراء		
﴿ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾	٨٧ ـ ٨٩	٥٠١، ٥٢٧
﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ ﴾	١٦٥، ١٦٦	٢١٧
﴿ كَذَّبَ أَصْحَـٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾	١٧٦، ١٧٧	٤٧٨
﴿ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ۝ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴾	١٨١ ـ ١٨٣	٣٢٦

QaradawiBooks.com



الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة النمل		
﴿ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ﴾	٤٧	٣٠٥
﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْ ﴾	٥٢	٤٢٨
﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾	٦٥	٢٩٨
سورة القصص		
﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ﴾	٨	٣١٨، ٤٣٣
﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴾	٢٦	١٧٢، ٤٢٥
﴿ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾	٣٩	٥٠٤
﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ ۖ ﴾	٤٠	٤٣٣
﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ ﴾	٤١، ٤٢	٤٣٣
﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ ﴾	٥٠	٤١٥، ٤١٦، ٥٢٤
﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾	٥٧	١٧٦
﴿ يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ ﴾	٧٩	٤٧٧
سورة العنكبوت		
﴿ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴾	٣٩	٥٠٤
﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾	٤٦	٤٤٢
﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾	٥٧	٤٨٤
﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ ﴾	٦٤	٤٨٣

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الروم		
﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾	٦، ٧	٤٨٣، ٥٠٠
﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا ﴾	٢١	٢٢٨، ٢٣٣، ٢٤٥، ٤٤٧، ٥٦٦
﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾	٢٩	٥٢٥
﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ ﴾	٤٦	١٧٦
سورة لقمان		
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾	٦	٣٧٣
﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾	١٣	٤١٤
﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ۞ وَإِن جَٰهَدَاكَ ﴾	١٤، ١٥	٢٩٢
﴿ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ﴾	١٩	١٩٦
﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	٢٠	٢٧، ٤٥٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ ﴾	٣٣	٥١٥
سورة السجدة		
﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾	١٨	٥٠٢
سورة الأحزاب		
﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ ﴾	٤، ٥	٢٣٠، ٢٨١، ٢٨١
﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾	٣٢	٢٠٦، ٢١٣
﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾	٣٣	٢١٠
﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا ﴾	٣٦	٤١٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ ﴾	٣٧	٢٨٣، ٦٧٦
﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ﴾	٣٨ ـ ٤٠	٢٨٣، ٦٧٨
﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾	٥٣	١٩٣
﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ ﴾	٥٨	٣٩٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ ﴾	٥٩	٢٠٦، ٥٣٢
﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾	٧٢	٥٣٠
سورة سبأ		
﴿ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۞ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ﴾	١٠، ١١	١٧٠
﴿ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ ﴾	١٢، ١٣	١٧٠
﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ ﴾	١٣	٥٨١، ٥٩٠
﴿ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾	١٤	٢٩٨
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ ﴾	٣٤	١١٦
سورة فاطر		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾	٥	٥١٥
﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾	٤٣	٢٩٧
سورة يس		
﴿ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ﴾	١٨	٣٠٥
﴿ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ﴾	١٩	٣٠٥
﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا ﴾	٣٣ ـ ٣٥	١٦٦
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴾	٧١ ـ ٧٣	٤٨٧

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة ص		
﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ﴾	٢٦	٥٢٣
سورة الزمر		
﴿ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	٩	٥٠٢
﴿ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾	٧٢	٥٠٤
سورة غافر		
﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾	٥٨	٥٠٢
سورة الشورى		
﴿ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾	١١	٥٩٠
﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾	١٣	٤٤١
﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾	١٥	٥٢٥
﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾	٢١	٣٠
﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴾	٣٢	١٧١، ١٧٨
﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ ﴾	٣٧	١٠١
﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾	٣٧	٤٦٧
﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾	٤٠	٤٢٨
سورة الزخرف		
﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴾	٥٤	٤٣٤
﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾	٨٠	٤٥٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الجاثية		
﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُ ﴾	١٣	٢٧
﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ﴾	١٨، ١٩	٤١٦، ٥٢٣، ٥٢٤
﴿ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ ﴾	٢٣	٥٢٤
سورة الأحقاف		
﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ ﴾	١٥	٢٨٩
﴿ فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ ﴾	٢٠	٥٠٤
سورة محمد		
﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴾	١٤	٥٢٥
﴿ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴾	١٦	٥٢٥
سورة الفتح		
﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾	٧	٤٥٨
سورة الحجرات		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾	٦	٣٩٥
﴿ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴾	٩	٧٩
﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ ﴾	١٠ ـ ١٢	٣٥٩، ٣٨٠، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٩٠، ٣٩١، ٤٧٧، ٤٧٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ ﴾	١٣	٣١١، ٤٧٨، ٥٠٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الذاريات		
﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۞ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾	١٧، ١٨	٥٠٠
﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾	٥٦	٤٥٨، ٤٦٠
سورة النجم		
﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾	٣، ٤	١٦٢
﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾	٢٩، ٣٠	٤٨٩
﴿ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾	٣٢	٥٠٩
﴿ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ۞ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾	٥٧ ـ ٦٢	٤٩٧
سورة الرحمن		
﴿ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۞ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴾	١٠ ـ ١٣	١٦٦
سورة الواقعة		
﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۞ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴾	٣٥، ٣٦	٣٥٨
سورة الحديد		
﴿ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ ﴾	١٤	٥١٥
﴿ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾	١٥	٤١٤
﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ ﴾	٢٠	٤٨٣
﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾	٢٣	١١٩
﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾	٢٥	١٧١، ٤١٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المجادلة		
﴿وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْ﴾	٧	٤٨٣
﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ﴾	٢٢	٣٠٩، ٤٤٨، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٦
سورة الحشر		
﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾	٢	٥٠٧
﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾	٩	٤٩٢
﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾	١٩	٤٦٣
﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُ﴾	٢٣	٥٠٣
﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾	٢٤	٥٨٠
سورة الممتحنة		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾	١	٤٢٥، ٤٤٨، ٥٦٤، ٥٦٦
﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ﴾	٧	٤٤٨
﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ﴾	٨	٤٤٠، ٥٦٣، ٥٦٦
﴿إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ﴾	٩	٥٦٥
﴿فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ﴾	١٠	٢٣٥
﴿أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ﴾	١٢	٢٨٦
سورة الجمعة		
﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾	١٠	٤٨٨
﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ﴾	١١	١٧٨

غير مرخصة للطباعة
نسخة طباعية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المنافقون		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ ﴾	٩	٤٩٦
سورة التغابن		
﴿ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ ﴾	٣	٥٨٠
﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾	١٥	٤٨٥، ٤٩٦
سورة الطلاق		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾	١	٢٦٩، ٢٧١، ٤٢٢، ٦٧٤
﴿ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ ﴾	٢	٢٧١
﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ﴾	٤	٢٣١
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ ﴾	١٢	٤٦٠
سورة التحريم		
﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾	٦	٤٥٧
سورة الملك		
﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾	١٤	٥٣٠
﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ ﴾	١٥	١٦٣، ٤٨٨
سورة القلم		
﴿ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ﴾	١٠، ١١	٣٩٤، ٣٩٥
سورة الحاقة		
﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ۝ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ۝ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴾	٣٨ ـ ٤٠	٤٥٧

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة نوح		
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾	٥ ـ ٧	٥٠٤
﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۝ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾	١٩، ٢٠	١٦٦
﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ﴾	٢٣	٥٨١
سورة الجن		
﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾	١ ـ ٢	٤٥٨
﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ۝ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾	١٤، ١٥	٤٥٨
سورة المزمل		
﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾	٢٠	١٧٥، ٣٢٧
سورة المدثر		
﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾	٦	٥١٢
﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾	٣١	٤٥٨
سورة القيامة		
﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۝ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾	٢٠، ٢١	٤٨٩، ٤٩٤
سورة النازعات		
﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ۝ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾	٣٥ ـ ٤١	٤٨٩، ٥٢٣
سورة عبس		
﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ۝ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۝ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾	٢٤ ـ ٢٨	١٦٦
سورة التكوير		
﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾	٨، ٩	٢٨٦، ٦٦٥

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الانفطار		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾	٦	٥١٥
﴿ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾	٧، ٨	٥٨٠
﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ﴾	١٠ ـ ١٢	٤٥٨
سورة المطففين		
﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ﴾	١ ـ ٦	١٨٣، ٣٢٥
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ﴾	٢٩ ـ ٣٤	٣٨٦
سورة الأعلى		
﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۝ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾	١٦، ١٧	٤٨٩، ٤٩٧
سورة الفجر		
﴿كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ۝ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾	١٧ ـ ٢٠	٤٩٧
سورة العلق		
﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾	٦، ٧	٤٩٤، ٤٩٦
سورة العاديات		
﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ﴾	٨	٤٩٥
سورة التكاثر		
﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾	١ ـ ٢	٤٩٦
سورة قريش		
﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ﴾	١ ـ ٤	١٧٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الماعون		
﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۞ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾	١ ـ ٧	٣٧٩، ٤٩٨
سورة الفلق		
﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾	٤	٣٠١

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	رقم الصفحة
أ	
أبغض الحلال إلى الله الطلاق	٢٦١
أتاني جبريل فقال لي: أتيتُك البارحةَ	١٤٢، ١٥٨، ٥٨٨
اتَّخذ رسول الله ﷺ خاتمًا من وَرِق	١١٥
أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذِكْرُك أخاك بما يكره	٣٩٠
أتدرون ما هذه الريح؟ هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين	٣٩١
أتردين عليه حديقته؟ قالت: نعم. فقال النبي ﷺ لثابت: اقبل الحديقة،	٢٧٥
أتريد أن تُميتَها مَوْتاتٍ؟ هلَّا أحددتَ شَفْرتك قبل أن تُضجعها!	٨٥
أتشتهين أن تنظري؟	٣٧٢
أتضحكون من دِقَّة ساقيه، والذي نفسي بيده، لهما أثقل في الميزان	٣٨٥
اتقوا الله واعدلوا في أولادكم	٢٨٨
اتقوا بيتًا يقال له الحمَّام. فقالوا: يا رسول الله، إنه يُذْهب الدَّرن	٢٠٨
اتَّقوا الشُّحَّ، فإن الشُّحَّ أهلك من كان قبلكم	٤٩٣
اتَّقوا اللَّعَّانَيْن. قَالوا: وما اللعَّانان، يا رسول الله؟	٤٢
اجتنبوا السبعَ الموبقات قالوا: يا رسول الله، وما هي؟	٣٠٠

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
أحببتُ أن يبلغ نساءَه مقامُه لي	٦٤٩
احتجبا فقالتا: إنه أعمى. قال: أفعمياوان أنتما؟ ألستما تُبصرانه؟!	٢١٥، ٦٥٠
احتجبا منه	٦٥٠
احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك	١١٢، ٢٠٣
أحيٌّ والداك؟ قال: نعم. قال: ففيهما فجاهد	٢٩١
اخترْ منهن أربعًا وفارِقْ سائرهن	٢٤١
أخِّريه عني	٥٨٤
ادخل. فقال: كيف أدخل وفي بيتك سِتْر فيه تصاوير؟	١٥٢
ادرؤوا الحدود ما استطعتم، ومن وجدتم له مخرجًا فخَلُّوا سبيله	٤٢٠
إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوِّجوه	٢٢٦
إذا أراد الله بامرئ خيرًا جعل له واعظًا من نفسه	٥٣٤
إذا أراد الله بالأمير خيرًا، جعل له وزيرَ صِدْق، إن نسي ذكَّره	٤٢٤
إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه	٢٤٢
إذا أرسلتَ كلابك المعلَّمة، وذكرتَ اسم الله عليها فكُل مما أمسكن عليك	٩٥، ٩٧
إذا استأذنت امرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها	٢١٤
إذا استنصح أحدكم أخاه فلينصح له	٣٢١
إذا باتت المرأة مُهَاجِرَةً فراشَ زوجها، لعنتها الملائكةُ حتى ترْجعَ	٢٥٧
إذا تبايعتم بالعِينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع	١٦٩
إذا التقى المسلمان بسيفَيْهما فالقاتل والمقتول في النَّار	٣٩٩
إذا خطب أحدكم المرأة، فإن استطاع أن ينظر منها	٢٢٤، ٦٥٥
إذا دُبغ الإهاب فقد طهر	٧٦، ٦٩٦، ٦٩٨

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إذا ذبح أحدكم فليُجْهِز	٨٥
إذا رأيت شُحًّا مطاعًا، وهوى متَّبعًا، وإعجابَ كلِّ ذي رأي برأيه	٥٠٨
إذا رميت بالمِعراض فَخَزَق ـ أي نفذ في الجسد ـ فكل	٩٦
إذا رميتَ سهمك، فاذكر اسم الله، فإن وجدته قد قَتَل فَكُل	٩٩
إذا رميتَ سهمك فغاب ـ أي الصيد ـ ثلاثة أيام، وأدركته	٩٩
إذا صلَّت المرأة خمسَها، وصامت شهرَها، وحفِظتْ فرجها	٢٥٧
إذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة. قال: وكيف إضاعتها؟	٤٢٧
إذا ظهر الربا والزِّنى في قرية فقد أحلُّوا بأنفسهم عذاب الله	٣٢٧
إذا علمتَ أن سهمك قتله، ولم ترَ فيه أثر سَبع فكُل	٩٩
إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلسْ	٤٦٧
إذا فُتِحت مصر، فاستوصوا بالقبط خيرًا، فإن لهم دمًا ورحمًا	٤٤٦
إذا كان عند أحدكم شيء، فليبدأ بنفسه، ثم بمن يعول، وهكذا وهكذا	٤١٠
إذا كان لإحداكن مكاتب، فلتحتجب منه	٢١٥
إذا مات العبد قالت الملائكة: ما قدَّم؟ وقال الناس: ما خلَّف؟	٤٩٧
إذا وَلَغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبع مرات، إحداهن بالتُّراب	١٥٨
أذهب الباس رب الناس، اشفِ أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر سقمًا	٣٠٥
أرأيت إذا منع الله الثمرة بِمَ يستحل أحدكم مال أخيه؟!	٣١٦، ٣٥١
أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع	١٣١
ارجعْ إليهما فأضحكْهما كما أبكيتهما	٢٩٢
ارموا واركبوا	٣٦٥

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ارموا وأنا معكم	٣٦١
استفتِ قلبك، وإن أفتاك الناس وأفتَوْك	٦١٥
اشترى النبي ﷺ طعامًا من يهودي ورهنه درعًا من حديد	٣٣٢
أشد الناس عذابًا يوم القيامة: الذين يضاهون بخلق الله	١٣٦، ١٤٤، ٥٨٢
اصرف بصرك	٢٠٠
اصنعوا كلَّ شيء إلا النكاح	٢٤٦
اظفر بذات الدين تَرِبَت يداك	٢٣٤
أعاذك الله من إمارة السفهاء. قال: وما إمارة السفهاء؟	٤٣٤
اعتدي عند ابن أم مكتوم، فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك عنده	٢١٥
اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم	٢٨٧
اعزل عنها إن شئت، فإنه سيأتيها ما قُدر لها	٦٦١
أعوذ بالله من الكفر والدَّيْن.	٣٣١
أقِمْ حتى تأتينا الصدقة، فنأمر لك بها	١٦٤
الأكثرون، إلا من قال في عباد الله هكذا وهكذا عن يمينه وشماله وخلفه	٤٩٦
أكفِئوا القدور، ولا تأكلوا من لحوم الحُمُر شيئًا	٦٨٨
أكنتم تراهنون على عهد رسول الله ﷺ؟	٣٦٥
ألَّا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله: ألَّا تدع تمثالًا إلا طمسته	١٥٥
ألا أدلُّكم على أفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة؟	٣٨٤
ألا إن القوةَ الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي	٣٦١
ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثًا. قالوا: بلى يا رسول الله	٢٩٠
ألا جلست في بيت أبيك وبيت أمك	٤٠٧

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إلا ما كان رقمًا في ثوب	١٤٦، ٥٨٧
ألا هلك المتنطِّعون، ألا هلك المتنطِّعون	٣٦
التمس ولو خاتمًا من حديد	١١٥، ٦٩٩، ٧٠١
الذي يَسأل من غير حاجة، كمثل الذي يلتقط الجَمْر	١٦٣
أَلَكَ مالٌ؟ قال: نعم. قال: من أي المال؟	١١٣
الله الله في قِبْط مصر، فإنكم ستظهرون عليهم	٤٤٤
اللهم اغفر لي ذنبي، ووسِّع لي في داري، وبارك لي في رزقي	١٣١
اللهم إني أعوذ بك من غَلَبة الدَّين وقهر الرجال	٣٣١، ٥٥٧
اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم (الدَّين)	٣٣١
اللهم إني أعوذ بك من الهم والحَزَن، والعجز والكسل	٣٥٨، ٥٥٨
اللهمَّ لا تجعل قبري وثنًا يُعبد	١٣٨
اللهمَّ مَنْ وَلِيَ من أمر أمَّتي شيئًا فشقَّ عليهم، فاشقُق عليه	٤٣٠
اللهم هذا قَسْمي فيما أملك، فلا تؤاخذْني فيما تملكُ ولا أملك	٢٤٢
أله إخوة؟ قال: نعم. قال: فكلَّهم أعطيتَ مثلَ ما أعطيتَه؟	٢٨٧
أليس هذا خيرًا من أن يأتي أحدكم ثائرَ الرأس، كأنه شيطان	١١٣
أليست نَفْسًا	٤٥١
أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم	٣٣
أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر	٢٢١
أما وجد هذا ما يُسَكِّن به شعره؟	١١٣
أَمِرَّ الدم ـ أي أَرِقْه ـ بما شئتَ، واذكر اسم الله عليه	٨٣
أمَّك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمَّك	٢٨٩، ٥٢١
أميطيه عنِّي، فإنه لا تزال تصاويره تعرض لي في صلاتي	١٤٨، ٥٨٤

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
أن أباها زوَّجها من ابن أخيه وهي له كارهة فجعل النبي ﷺ الأمر إليها	٢٢٦
إن ابنتي تُوفي عنها زوجها، وقد اشتكت عينُها، أفنَكْحَلُها؟ فقال رسول الله ﷺ: لا	٣١٢
إن أحدكم إذا كان في الصلاة، فإن الله حِيال وجهه	٤٧٢
إن أحدكم ليخرج بصدقته من عندي متأبِّطُها (يحملها تحت إبطه)	٤٠٨
إن أحسن ما غيَّرتم به الشَّيْب الحِنَّاء والكَتَم	١٢٧
إن أشدَّ الناس عذابًا يوم القيامة: المصوِّرون	١٤٣، ١٤٥، ٥٨٢
إن الذي حرَّم شربها حرَّم بيعها	١٠٤
إن الذي حَرَّمها حرَّم أن يُكارَم بها اليهود	١٠٤
إن الذي يأكل ويشرب في آنية الذهب والفضَّة	١٣٣
إن الذين يصنعون الصور يُعذَّبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم	١٣٧
إن الله إذا حرَّم شيئًا، حرَّم ثمنَه	٣١٥
إن الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواء، فتداووا، ولا تتداووا بحرام	١٠٦
إن الله حرَّم الخمر، فمن أدركته هذه الآية وعنده منها شيء، فلا يشرب	١٠٤
إنَّ الله حرَّم عليكم دماءكم وأموالكم، كحُرمة يومكم هذا	٤٣٠
إن الله سائلٌ كُلَّ راعٍ عمَّا استرعاه، حفظ أم ضيَّع	٢٨٧
إن الله طيِّب لا يقبل إلا طيِّبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين	٥٢، ٣٧٨
إن الله فرض فرائض فلا تضيِّعوها، وحد حدودًا فلا تعتدوها	٢٨، ٥٥٦
إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة	٨٥
إن الله لا يحبُّ الذوَّاقين ولا الذوَّاقات	٢٦٨
إن الله لا ينظر إلى صُوَركم ولا أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم	٣٨٥، ٥٢٨
إن الله لم يأمُرنا أن نكسو الحجارة والطِّين	١٤٧، ١٥٠، ١٥١، ٥٨٣

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إنَّ الله لَيُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفْلِتْه	٤٢٩
إن الله هو المُسَعِّر، القابض الباسط الرازق	٣١٦
إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام	٣١٥
إنَّ الله يُعَذِّب الذين يُعَذِّبون الناس في الدنيا	٤٣١
أن امرأة أتت النبي ﷺ تبايعه، ولم تكن مُخْتضبة	٦٤٦
أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، جئت لأهَبَ لك نفسي	٦٤٦
أن امرأة سفعاء الخدَّين قامت	٦٤٤
أن امرأة من خثعم استفتت رسول الله ﷺ في حجة الوداع	٦٤٤
إن أموالكم وأعراضكم ودماءكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا	٣٩٦، ٤٠٣
إن الأمير إذا ابتغى الرِّيبة في الناس أفسدهم	٣٩٠
إن أنسابكم هذه ليست بِمَسَبَّة على أحد، كلكم بنو آدم	٣١٠
إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد	٥٠١
أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك!	٢٨٦
أن تُطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت	٢٥٦
أن تعينَ قومُك على الظُّلْم	٣٠٨
أن جارية لعبد الله بن أبيٍّ ابنِ سَلُولَ يقال لها: مُسَيْكَة، وأخرى يقال لها: أُمَيْمة	١٧٣
إن الحلال بيِّن، وإن الحرام بيِّن، وبينهما مشتبهاتٌ	٥
إن الدنيا حُلْوة خَضِرَة، وإنَّ الله مُستخلِفُكم فيها، فناظرٌ كيف تعملون	٤٩٠
أن رسول الله ﷺ استعان بناس من اليهود في حربه فأسهم لهم	٤٤٩
أن رسول الله ﷺ ردها عليه ولم يرها شيئا	٢٧٠، ٦٧٢
أن رسول الله ﷺ عامل أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من زرع أو ثمر	٣٤٤، ٣٥٣

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
أن الرسول ﷺ في عام الفتح، لما رأى الصور التي في البيت الحرام، لم يدخل	١٥٥
إن الرُّقَى والتمائم والتِّوَلة شِرْك	٣٠٤
أن ركانة صارع النبي ﷺ فصرعه النبي ﷺ	٣٦٠
إنَّ الغضبَ من الشيطان، وإنّ الشيطانَ خُلِق من النار	٤٦٨
إن في عضده تميمة! فقطع الرجل التميمة، فبايعه رسول الله ﷺ	٣٠٣
إن كان رسول الله ﷺ أمرك أن تنظر فانظر	٢٢٣
إن كان في شيء من أدويتكم خير ففي هذه الثلاثة: شربة عسل	٣٠٢
إن كان هذا شأنكم، فلا تُكروا المزارع	٣٤٦
إن كدتم آنفًا لتفعلون فعل فارسَ والرُّوم يقومون على ملوكهم	١٣٨
إن لنساء قريش فضلًا، وإني والله ما رأيتُ أفضل من نساء الأنصار	٥٣٣
إن لهذه البهائم أوَابِدَ كأوابدِ الوحْش، فما فعل منها هذا، فافعلوا به هكذا	٨٤
إن المرأة إذا بلغت المحيض...	٦٤٢
إن المضطجع فيها خيرٌ من القاعد، والقاعد فيها خير من القائم	٤٦٨
إن الملائكة لا تدخل بيتا فيه تماثيل أو تصاوير	١٣٥
إن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه صورة	١٤٦، ٥٨٧
إن من أربى الربا الاستطالة في عِرْض المسلم بغير حقٍّ	٣٩٦
إن من أشدِّ الناس عذابًا يوم القيامة الذين يصوِّرون هذه الصُّوَر	١٣٥، ٤٧١
إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه	٢٩١
إن من شرِّ الناس منزلة عند الله يوم القيامة	٢٤٨
إنَّ ناسًا من أمتي سيفقهون في الدين، ويقرؤون القرآن	٤٣٥
أن النبي ﷺ أهدى إليه الملوك فقبل منهم	٤٥٠

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
أن النبي ﷺ سابق بين الخيل وأعطى السابق	٣٦٥، ٦٠٣
إن النبي ﷺ لعن من اتخذ شيئًا فيه الرُّوح غَرَضًا	٣٦٢، ٤٥٢
أن النبي ﷺ لم يكن يترك في بيته شيئًا فيه تصاليب إلا نقضه	١٥٥
أن النبي ﷺ نهى عن إخْصَاء الخيل والبهائم	٤٥٣
أن النبي ﷺ نهى عن التحريش بين البهائم	٣٦٢
إن هذه الإبل لأهل بيت من المسلمين، هو قُوتهم ويمنهم بعد الله	٦٣٥
إن هذه من ثياب الكفار، فلا تَلْبَسها	١١٩
إن هذين حرام على ذكور أمتي	١١٤
إن اليهود والنصارى لا يصبغون، فخالفوهم	١٢٦، ٥٧٢
أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم	٣٣٢
أنا أولى بكل مسلم من نفسه، من ترك مالًا فلورثته	٣٤١
أنا ثالث الشريكين ما لم يخُنْ أحدهما صاحبه	٣٣٧
أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا	٢٨٤
انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا	٣٠٨
انظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما	٢٢٣
انظر، فإنك لستَ بخير من أحمرَ ولا أسودَ، إلا أن تفضُله بتقوى الله	٣٠٩
انظري إلى عرقوبها، وشَمِّي معاطفَها	٦٥٦
إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم، أو كدتَ تفسدهم	٣٨٩
إنكم إن فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم	٢٣٠
إنكم ستفتحون أرضًا يذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرًا	٤٤٥
إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى	٤٩، ٥١، ٣٧٣، ٥٢٨

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إنما أنا رحمة مُهداة	١٧
إنما بُعثتم مُيَسِّرين، ولم تُبعثوا مُعَسِّرين	٣٩، ٦٣٠، ٦٨٣
إنما كان الناس يؤاجِرون على عهد رسول الله ﷺ بما على المَاذِيَانات	٣٤٦
إنما المسائل كُدُوح، يَكْدَح الرجل بها وجهه	١٦٤
إنما هذه لِباس من لا خلَاق له	١١٤
إنما هَلَكَ الذين من قبلكم: أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه	٥٦، ٤٢٢
إنما هلك من كان قبلكم بالتشديد، شدَّدوا على أنفسهم	٢٢١
إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتَّخذ هذه نساؤهم	١٢٤
أنه ﷺ كان خاتمه من فضة	٧٠٢
إنه صعلوك لا مال له. وقال عن الآخر: إنه لا يضع عصاه عن عاتقه	٣٩٢
إنه ليأتي الرجلُ العظيم السمين يوم القيامة، لا يزنُ عند الله جَناح بعوضة	٥٠٠
إنه ليس بدواء، ولكنه داء	١٠٦
إنها لا تصيد صيدًا، ولا تنكأ عدوًّا، لكنها تكسر السِّنَّ، وتفقأ العين	٩٦
إني خلقتُ عبادي حنفاءَ كلهم	٥، ٣٦
إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد	٤٦٧
إني مما أخاف عليكم من بعدي، ما يُفتح عليكم من زَهْرة الدنيا وزينتها	٤٩١
أهديتم الفتاة؟ قالوا: نعم. قال: أرسلتم معها من يغني؟	٣٧١
أوثق عرى الإيمان الحبُّ في الله، والبُغْض في الله	٣٨٢
أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنَوْا على قبره مسجدًا	٥٨١
إياكم والشُّحَّ، فإنما هلك من كان قبلكم بالشُّحِّ	٤٩٣
إياكم والظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة	٤٢٨

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إياكم والظنَّ، فإن الظنَّ أكذبُ الحديث، ولا تحسَّسوا ولا تجسَّسوا	٣٨٧
أيُلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم؟!	٢٧٢
أيُّما امرأة استعطرت، فمرَّت على قوم ليجدوا ريحها، فهي زانية	١١٧
أيُّما امرأة سألت زوجَها الطلاق من غير ما بأس، فحرام عليها رائحة الجنة	٢٧٥
أيُّما امرأةٍ نزعت ثيابَها في غير بيت زوجها، خرق الله عنها سِتْره	٢٠٩
أيما إهاب دُبِغَ فقد طهر	٦٩٧، ٦٩٩
أيُّما رجل أضاف قومًا، فأصبح الضيف محرومًا	٦٣٣
أيُّما رجل كشف سِتْرًا، فأدخل بصره قبل أن يُؤذن له	٣٨٩
ب	
باع آخرته بدنياه	١٨٣
بِعْ هذا على حِدَة، وهذا على حِدَة، من غَشَّنا فليس مِنَّا	٣٢٤
بعثتُ بالحنيفية السَّمْحة	٣٦
بلى، إنهم حرَّموا عليهم الحلال، وأحلُّوا لهم الحرام فاتَّبعوهم!!	٣٣
بئس العبد المحتكر، إن سمع برخص ساءه، وإن سمع بغلاء فرح	٣١٩
البيِّعان بالخيار ما لم يتفرَّقا، فإن صدقا وبيَّنا بورك لهما في بيعهما	٣٢٤
بينما نحن نصلي مع النبي ﷺ إذ أقبلت عير تحمل طعاما	١٧٨
ت	
التاجر الصدوق الأمين مع النبيِّين والصِّدِّيقين والشهداء	١٧٧
تخلَّل. فقال: مِمَّ أتخلل؟ ما أكلتُ لحمًا! قال: إنك أكلتَ لحم أخيك	٣٩١
تداووا، فإن الذي خلق الداء خلق الدواء	٣٠٢
تشتهين أن تنظري	٣٧١

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
تعِسَ عبدُ الدينار والدرهم، والقطيفة والخَمِيصة، إن أُعطِيَ رضِيَ	٤٩٢
تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين والخميس، فيغفر الله ﷻ لكل عبد	٣٨٣
تلك امرأة يغشاها أصحابي، اعتدي عند ابن أم مكتوم	٢١٥، ٦٥٠
تُوفِّي رسول الله ﷺ وما في بيتي من شيء يأكله ذو كبد	٤٩١
ث	
ثلاث لا تؤخرْها: الصلاة إذا أتت، والجِنازة إذا حضرت	٢٢٦
ثلاث لازمات لأمتي: الطيرة...	٣٠٦
ثلاث مُهْلِكات: شحٌّ مطاع، وهوى متَّبع، وإعجاب المرء بنفسه	٥٠٨
ثلاثة حق على الله عونهم: الناكح الذي يريد العفاف	٢٢٢
ثلاثة لا ترتفع صلاتهم فوقَ رؤوسِهم شبرًا	٢٥٨
ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاقُّ لوالديه، والدَّيُّوث، والرَّجُلة من النساء	٢٩٠
ثلاثة لا يسلم منهن أحد: الظن والطِّيرة والحسد	٣٠٦، ٣٨٧
ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ... شيخٌ زان	٤٢٣
ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ... وذكر منهم: والمُنَفِّق سلعتَه بالحَلِف الكاذب	١٨٣
الثيب أحقُّ بنفسها من وليِّها، والبكر تُستأذن في نفسها، وإذنها صُماتها	٢٢٦
ج	
الجالب مرزوق، والمحتكر ملعون	٣١٩
ح	
حديث الثلاثة الذين خلفوا	٣٨٢
حرمة مال المسلم كحرمة دمه	٣٢٨

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
الحكمة ضالة المؤمن	٦٢٧
الحلال بيِّن والحرام بيِّن، وأن بينهما مشتبهات	٥٤، ٥٠١، ٥٢٧
الحلال ما أحلَّ الله في كتابه، والحرام ما حرَّم الله في كتابه	٢٨
الحلف مَنْفَقة للسلعة، مَمْحَقة للبركة	٣٢٥
حوِّلي هذا، فإني كلما دخلت فرأيتُه، ذكرتُ الدُّنيا	١٤٧، ١٥٠، ٥٨٤
خ	
خالفوا المشركين، وفِّروا اللِّحَى، وأحفوا الشوارب	١٢٧
خالفوا اليهود، فإنهم لا يصلون في نعالهم، ولا خفافهم	٥٧٣
خرج صفوان بن أمية مع النبي ﷺ في غزوة حنين	٤٥٠
خير الصدقةِ ما أبقت غنًى	٤١٠
الخيل ثلاثة: فرس للرحمن، وفرس للإنسان، وفرس للشيطان	٣٦٦
الخيل معقودٌ بنواصيها الخير	٣٦٤
د	
دبَّ إليكم داءُ الأمم قبلكم: الحسدُ والبغضاء، والبغضاء هي الحالقة	٣٨٤، ٤٧٥، ٥٢٧
دِباغُ الأديم ذكاتُه	٧٦
دباغه يَذهب بخبثه	٧٦
دخلت امرأة النار في هِرَّة حبستها: فلا هي أطعمتها، ولا هي تركتها	٤٥٢
درهمُ ربًا يأكله الرجل وهو يعلم أشدُّ من ستة وثلاثين زَنْيَة	١٨٣
دع ما يَريبك إلى ما لا يَريبك	١٨٦
دعْهم يا عمر	٣٦٣

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
دعهما يا أبا بكر، فإنها أيام عيد	٣٧١، ٦٨٤
دعوة المظلوم مستجابة، وإن كان فاجرًا، ففجوره على نفسه	٤٢٩
دعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء	٤٢٩
دونَكم يا بني أَرْفِدَة	٣٦٣، ٣٧١، ٣٧٢
الدين النصيحة	٣٢١
ر	
رأيت رسول الله ﷺ يُقِصُّ من نفسه	٤٣٢
رأيت شابًّا وشابةً، فلم آمن الشيطان عليهما	٦٤٥
رأيت النبي ﷺ يسترني بردائه	١٩٩، ٣٦٤، ٦٤٩
الرحم معلَّقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله	٣٨٢
رَخَّص في لُبْس الحرير لعبد الرحمن بن عوف والزُّبَيْر بن العوَّام	٧٨، ١١٥
رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتُّل	٢٢٢
س	
سباب المسلم فُسوق، وقتاله كُفْر	٣٩٨
سمُّوا الله عليه أنتم وكُلُوا	٨٤، ٩٢
سُنُّوا بهم سُنَّة أهل الكتاب	٩١، ٦٣٦، ٦٩٤
سيصيب أُمَّتي داء الأمم. قالوا: يا نبي الله، وما داء الأمم؟	٤٧٦
ش	
شرار عباد الله: المشَّاؤون بالنَّمِيمة، المفرِّقون بين الأحبَّة	٣٩٤
ص	
صِنْفان من أهل النار لم أرَهما: قومٌ معهم سياط كأذناب البقر	١١٧، ٢١٢

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ط	
طهِّروا أفنيتكم، فإن اليهود لا تطهِّر أفنيتها	١٣٢
الطِّيَرة شرك، الطيرة شرك، الطيرة شرك	٣٠٧
ظ	
الظهر يُركب بنفقته إذا كان مرهونًا، ولبن الدَّر يُشرب بنفقته إذا كان مرهونًا	٣٥٤
ع	
عشر من الفطرة	٥٧٦
عَلَامَ يضربُ أحدكم امرأته ضرب العَبْد، ولعله يُجامعها في آخر اليوم؟!	٢٥٩
عليكم بالرمي، فإنه من خير لهوكم	٣٦٢
عمُّ الرجل صِنْوُ أبيه	٢٠٥
العِيافة والطِّيَرة والطَّرْق من الجِبت	٣٠٦
العينان تزنيان، وزناهما النظر	١٩٧
غ	
غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات، نأكل معه الجراد	٧٥
غيِّروا هذا (أي الشَّيْب) وجنِّبوه السواد	١٢٦
ف	
فاستوصوا بهم خيرًا، فإنهم قوة لكم وبلاغ إلى عدوِّكم بإذن الله	٤٤٥
فإن مرَّت به ثلاث، فليلقَه فليُسلِّم عليه	٣٨١
الفخذ عورة	١٩٨
فشكر الله له، فغفر له. فقالوا له: إن لنا في البهائم لأجرًا يا رسول الله؟	١٥٩، ٤٥١

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
فَصْلُ ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب: أَكْلة السَّحر	٥٧٣
فقدر أن ينظر منها إلى بعض ما يدعوه إلى زواجها	٢٢٤
فلا تأكل، فإنما سمَّيتَ على كلبك ولم تسمِّ على غيره	٩٨
فلا تعطِهِ مالَك. قال: أرأيتَ إن قاتلني؟ قال: قاتلْه	٤٣٩، ٦٣٣
فلا يدخلها الرجال إلا بمئزر، وامنعوها النساء إلا مريضة أو نُفَسَاء	٢٠٨
فما قال لي: أفٍّ قط، ولا قال لشيء فعلتُه: لمَ فعلتَ كذا؟	٤٧١
فمن كانت عنده منهن شيء، فليُخْلِ سبيلها	٦٦٠
فهل من والديك أحد حي؟ قال: نعم، بل كلاهما حي	٢٩١
ق	
قَبِل الجزية من مَجُوس هَجَر	٩١
قد أذن الله لكُنَّ أن تخرجن لحوائجكن	٢١٤
القضاة ثلاثة، واحد في الجنَّة، واثنان في النار	١٨٤
ك	
كان ذو المجاز، وعكاظ متجر الناس في الجاهلية، فلما جاء الإسلام كأنهم	١٧٧
كان فيمن قبلكم رجل به جُرْح، فجزع، فأخذ سكِّينًا، فحزَّ بها يده	٤٠٢
كان النبي ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها	٤٧١
كان يحبس لأهله قوتَ سنة	٤١٠
كانوا يكرون الأرض على عهد النبي ﷺ بما ينبت على الأربعاء	٣٣٥
كذبت اليهود، لو أراد الله أن يخلقه ما استطعت أن تصرفه	٢٥١
كفى بالمرء إثمًا أن يُضيِّع من يقوت	٢٥٧، ٢٨٦
كلُّ ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت مشركًا	٣٩٧

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
كلُّ الذنوب يُؤخِّر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة، إلا عقوق الوالدين	٢٩٠
كل شيء ليس من ذكر الله، فهو لهو أو سهو، إلا أربع خصال	٣٦٥، ٦٠٢، ٦٧٨
كلُّ مُسكِر خمر وكل خمر حرام	١٠٢
كل مصور في النار، يَجْعل له بكل صورة صورها نفسًا، فتعذبه في جهنم	٥٨٥
كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤول عن رعيَّته	٢٨٦
كلوا، رِزقًا أخرجه الله لكم، وأطعمونا إن كان معكم	٧٥
كُنَّ نساء المؤمنات يشهدْنَ مع النبي ﷺ الفجر متلفعات بمروطهنَّ	٦٤٦
كنا أكثر أهل المدينة مُزْدَرعًا، كنا نُكْري الأرض بالناحية منها	٣٤٦
كنا نعزل على عهد رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ، فلم يَنْهَنَا	٢٥٠
كنا نعزل في عهد رسول الله ﷺ والقرآن ينزل	٢٥٠
كنا نغزو مع رسول الله ﷺ، ليس معنا نساء، قلنا: أَلَا نستخصي؟ فنهانا	٢٣٩
الكَيِّس مَن دان نفسه، وعمل لما بعدَ الموت	٥١٥
ل	
لا تأتوا النساء في أدبارهنَّ	٢٤٧
لا تأكل من البندقة إلا ما ذكَّيت	٩٦
لا تبيعوا القَيْنات ولا تشتروهن، ولا تعلِّموهنَّ	٥٥١
لا تجدون أولئك خياركم	٢٥٩
لا تجعلوا قبري عيدًا	١٣٨
لا تحسَّسوا، ولا تجسَّسوا، ولا تناجشوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا	٣٨١، ٤٧٤
لا تحل الصدقة لغني، ولا لذي مِرَّة (أي قوة) سَوِيّ	١٦٣
لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا تماثيل	١٤٧

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
لا تدخلونَ الجنَّة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا	٤٧٩
لا ترتكبوا ما ارتكب اليهود، وتستحلُّوا محارمَ الله بأدنى الحِيَل	٤٨
لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض	٣٩٨
لا تزال المسألة بأحدكم، حتى يلقى الله وليست في وجهه مُزعة لحم	١٦٤
لا تُشهدني على جَوْر، إن لبنيك عليك من الحق أن تعدل بينهم	٢٨٧
لا تُطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم، ولكن قولوا: عبد الله ورسوله	١٣٨
لا تغضبْ فردَّد مرارًا، قال: لا تغضب	٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦
لا تقتلوا أولادكم سِرًّا، فإن الغَيْل يدرك الفارس فيُدَعْثِرُه	٢٥٢
لا تلبسوا الحرير، فإن مَن لَبِسه في الدنيا لم يلبَسه في الآخِرة	١١٤
لا تلقوا الجلب، فمن تلقاه فاشترى منه، فإذا أتى سيده السوق، فهو بالخيار	٣٢٣
لا تمنعوا إماء الله مساجد الله	٢١٤
لا تنكحْها	٢٣٦
لا حسدَ إلَّا في اثنتين: رجل آتاه الله مالًا، فهو ينفقه آناء الليل	٤٧٧
لا ضرر ولا ضرار	١١٠، ٢٦٨
لا قطع في حريسة الجبل	٦٣٤
لا، ولكن الكِبْر بَطَرُ الحقِّ وغمْط الناس	١٣٢
لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به، حذرًا مما به بأس	١٨٦
لا يبيعُ حاضر لبادٍ، دعوا الناس يرزق الله بعضَهم من بعض	٣٢١
لا يجمع بين المرأة وعمَّتها ولا بين المرأة وخالتها	٢٣٠، ٢٣٢
لا يحتكر إلا خاطئ	٣١٨، ٥٥٧
لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس	٤٠١

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
لا يحل لأحد يبيع بيعًا إلا بيَّن ما فيه، ولا يحل لمن يعلم ذلك إلا بيَّنه	٣٢٤
لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تُحِدَّ على ميت فوق ثلاث	٣١٢
لا يَحِلُّ لرجل أن يروِّع مسلمًا	٣٩٩، ٤٣٢
لا يحل لمسلم أن يأخذ عصا أخيه بغير طِيب نفْسٍ منه	٤٠٤
لا يحلُّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث	٣٨١
لا يخطب الرجل على خطبة الرجل، حتى يترك الخاطبُ قَبْلَه أو يأذنَ له	٢٢٥
لا يخلُوَنَّ رجل بامرأة إلا مع ذي مَحْرَم	١٩٣
لا يدخل الجنَّة مُدمِن خمْر، ولا مُؤمن بسِحْر، ولا قاطع رَحَم	٣٠١
لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذَرَّة من كِبْر	١٣٢
لا يزال المؤمن في فُسْحة من دينه، ما لم يصب دمًا حرامًا	٣٩٧
لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن	٤٠٤
لا يُشِر أحدُكم إلى أخيه بالسلاح	٣٩٩
لا يَفْرَك (أي لا يُبغض) مؤمن مؤمنة، إن كره منها خُلُقًا رضي منها آخر	٢٥٨
لا يقبل الله صلاةً بغير طُهُور	٤٩٩
لا يقفن أحدكم موقفًا يُقتل فيه رجل ظلمًا	٣٩٩
لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة	١٩٧
لا يُنفَّر صيدها، ولا يُقطع شجرها، ولا يُختلَى خلاها	٣٦٧
لا يؤمن أحدُكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه	٤٧٩
لأن يأخذ أحدكم حَبْلَه، فيأتي بحُزْمة حَطَبٍ على ظهره	١٦٥
لأن يُطْعَن في رأس أحدكم بمِخْيَط من حديد	٢١١، ٣٧٩
لأن يمنح أحدكم أخاه	٣٤٤، ٣٤٧

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
لأن يمنح أحدكم أخاه خيرٌ من أن يأخذ عليها خَرْجًا معلومًا	٣٤٤
لتعلم يهود أن في ديننا فُسْحة، وأني بعثتُ بحنيفيَّة سمحة	٦٣٠، ٦٨٤
لَزَوالُ الدنيا أهونُ على الله من قتل رجل مسلم	٣٩٧
لعن الله آكل الربا ومؤكله وشاهديه وكاتبه	٣٣٠
لعن الله الذي وسمه	٤٥٢
لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن	١٢١، ١٢٥
لعن الله الواصلة والمستوصِلة	١٢٣، ١٢٤
لعن الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل	١١٨
لعن رسول الله ﷺ الراشيَ والمرتشي	٤٠٥
لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال	١١
لعن رسول الله ﷺ النامصة والمتنمِّصة	١٢٢
لعن الرسول ﷺ الواشمة والمستوشمة، والواشرة والمستوشِرة	١٢٠
لعن النبي ﷺ في الخمر عشرة	١٠٣
لعنة الله على الراشي والمرتشي في الحُكْم	٤٠٥
لقد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر	٤٧١
لقد قلتِ كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجَتْه	٣٩٠
لقد هممتُ أن أنهى عن الغِيلَة، ثم رأيت فارس والروم يفعلونه	٢٥٢، ٦٦٥
لكل داء دواء	٣٠٢
لِم تفعل ذلك؟ فقال الرجل: أُشفق على ولدها ـ	٢٥١
لما أعرس أبو أُسَيْد السَّاعِدِيُّ دعا النبي ﷺ وأصحابه	٢١٦
لما نزلت: ﴿يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾، خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن	٥٣٢

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
لن ينال الدرجاتِ العُلَى مَنْ تكهَّن أو استقسم (أي بالأزلام)	٣٠٠
لو لم تذنبوا لخشيتُ عليكم ما هو أكبر من ذلك؛ العُجْب العُجْب	٥٠٩
لولا أن الكلاب أُمَّة من الأمم لأمرتُ بقتلها	١٥٩
لولا القصاص يوم القيامة، لأوجعتُكِ بهذا السواك	٢٥٩
ليس ذلك بشيء	٦٧٣
ليس الشديد بالصُّرعة، وإنّما الشديد الذي يَمْلك نفسه عند الغضب	٤٦٨
ليس الكذَّاب الذي يُصلِحُ بين النَّاس، فيَنْمِي خيرًا، أو يقول خيرًا	٣٩٥
ليس منا من تطيَّر أو تُطُيِّر له، أو تَكَهَّن أو تُكُهِّن له، أو سَحَر أو سُحِر له	٣٠١، ٣٠٦
ليس منا من لطم الخدود، وشقَّ الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية	٣١١
ليس الواصل بالمكافئ، ولكنَّ الواصل الذي إذا قُطعت رحمُه وصلها	٣٨٢
ليسْتحِلَّنَّ طائفة من أمَّتي الخمر يسمُّونها بغير اسمها	٤٩، ٣٧٥
لينتهينَّ أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا.. إنما هم فحم جهنم	٣٠٩، ٣١٠
م	
ما أحل الله شيئًا أبغض إليه من الطلاق	٢٦١
ما أحل الله فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو	٢٨، ٥٥٦
ما أسكر الفَرَق منه، فمِلء الكفِّ منه حرام	١٠٣
ما أسكر كثيره فقليله حرام	١٠٣
ما أكل أحد طعامًا قط، خيرًا من أن يأكل من عمل يده	١٧٢
ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء	٣٠٢
ما أنهر الدمَ وذُكِرَ اسمُ الله عليه فكُلُوا	٨٤
ما بال هذه النُّمْرُقة؟ فقالت: اشتريتُها لك، تقعد عليها وتتوسَّدُها	١٤٩

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ما بعث الله من نبيٍّ ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان	٤٢٤
ما بعث الله نبيًّا إلا رعى الغنم	١٧١
ما تجرَّع عبدٌ جُرعة أفضل عند الله من جُرعة غَيْظ يَكْظِمها	٤٦٩
ما تركتُ بعدي فتنةً أضرَّ على الرجال، من النساء	٤٨٥
ما تصنعون بمَحَاقلكم (مزارعكم)؟ قالوا: نُؤجرها على الرُّبع	٣٤٦
ما تعدُّون الصُّرعة فيكم؟ قلنا: الذي لا تَصْرَعُه الرجال	٤٦٩
ما تقرَّب المتقرِّبون إليَّ بمثل أداء ما افترضت عليهم	٥٢١
ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما	٥٤٣، ٦٣١
ما ذئبانِ جائعانِ أُرسلا في غنم ـ أو في زريبة غنم	٤٩٦
ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده ولا امرأة ولا خادمًا	٢٦٠، ٤٧٠
ما على أحدكم إن وجد سَعَة أن يتخذ ثوبَيْن ليوم الجمعة، غير ثوبي مهنته	١١٤
ما قُطِعَ من البهيمة وهي حيَّة فهو ميتة	٨٦
ما كُنَّا لنجمع عليك أن نصرعك ونُغْرِمك، خذْ غنمك	٣٦١
ما لي أرى عليك حلية أهل النار؟!	٧٠٠
ما لي أستعمل الرجل منكم فيقول: هذا لكم، وهذا لي هدية؟!	٤٠٧
ما من امرأة تضع ثيابَها في غير بيت زوجها	٢٠٩
ما من أمير عشرةٍ، إلا يُؤْتى به مغلولًا يوم القيامة، حتى يفكَّه العدلُ	٤٣٠
ما من إنسان يقتل عصفورًا فما فوقها بغير حقِّها إلا سأله الله عنها يوم القيامة	٩٤، ٥٥٣
ما مِنْ عبدٍ يسترعيه الله ﷻ رعيةً، يموت يوم يموت	٤٢٣
ما من مسلم يغرس غرسًا، إلا كان ما أكل منه له صدقة	١٦٧
ما نفعني مالٌ قطُّ، ما نفعني مال أبي بكْرٍ	٤٩٥

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ما هذا؟ قالت: بناتي. قال: وما هذا الذي في وسطهن؟	١٤١، ٣٦٤
ما هذا يا صاحبُ الطعام؟. قال: أصابته السماء. أي المطر	٣٢٤
ماتت لنا شاة، فدبغنا مَسْكها ثم ما زلنا ننتبذ فيه	٧٦
مثل القائم على حدود الله والواقع فيها	٤٢٠
مجالسَكم، هل منكم الرجل إذا أتى أهله أغلق بابه وأرخى ستره	٢٤٨
المرأة إذا استعطرت فمرَّت بالمجلس فهي كذا وكذا	٢١٤
مُرْهُ فليراجعْها، ثم إن شاء طلَّقها وهي طاهر قبل أن يمسَّ	٢٦٩
المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه	٤٧٩
المسلمون عند شروطهم	٣٢٢
المغيرات خلق الله للحسن	١٢١
من ابتغى القضاء وسأل فيه شفعاء، وُكِل إلى نفسه	١٨٥
من اتخذ كلبًا، إلا كلب صيد أو زرع أو ماشية، انتقص من أجره	١٥٨
مَن أتى عرافًا، فسأله عن شيء، فصدَّقه بما قال: لم تُقبل له صلاةٌ	٢٩٩
من أتى كاهنًا فصدَّقه بما قال، فقد كفر بما أنزل على محمد	٢٩٩
من احتكر طعامًا أربعين يومًا، فقد برئ من الله، وبرئ الله منه	٣١٨، ٥٥٧
مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رَدٌّ	٢٩
من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه	٣٣٢
من ادَّعَى إلى غير أبيه، أو انتمى إلى غير مواليه، فعليه لعنةُ الله والملائكة	٢٨٥
من ادَّعَى إلى غير أبيه، وهو يعلم أنه غير أبيه، فالجنة عليه حرام	٢٨٥
من استعمل رجلًا من عصابة، وفيهم من هو أرضى لله منه،	٤٢٦
من استعملناه على عمل، فرزقناه رزقًا (منحناه راتبًا)	٤٠٦

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون؛ صُبَّ في أُذُنَيْه الآنُك يوم القيامة	٣٨٩
مَن أسلف فليُسلف في كيل معلوم، ووزن معلوم، إلى أجل معلوم	٣٣٣
من أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهي	٣٩٩
من اشترى سرقة (أي مسروقًا) وهو يعلم أنها سرقة	٣٢٦
من اطَّلع في بيت قوم بغير إذنهم، فقد حَلَّ لهم أن يفقؤوا عينه	٣٨٩
من اعتذر إلى أخيه بمعذرة فلم يقبلها، كان عليه مثل خطيئة صاحب مكْس	٣٨٣
من تردَّى من جبل فقتل نفسه، فهو في نار جهنم يتردَّى فيها خالدًا	٤٠٣
من تشبَّه بقومٍ فهو منهم	١٢٨، ٢١٣، ٥٧٢
من جرَّ ثوبه خيلاءَ لم ينظر الله إليه يوم القيامة	١١٩
من جرَّد ظهر مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان	٤٣٠
مَن جعل الهمومَ همًّا واحدًا، كفاه الله همَّ دنياه	٤٩٠
من جمع مالًا من حرام، ثم تصدق به، لم يكن له فيه أجر	٥٢
من حالت شفاعته دون حدٍّ من حدود الله ﷻ، فقد ضادَّ الله ﷻ	٤٢١
من حبس العنب أيام القطاف حتى يبيعه	٥٥٠
من حلف بغير الله فقد أشرك	٢٧٠
من دخل في شيء من أسعار المسلمين ليُغْليه عليهم	٣٢٠
من ذَبَّ عن عرض أخيه الغِيبة، كان حقًّا على الله أن يُعتقه من النار	٣٩٣
من ذكر امْرَأً بشيءٍ ليس فيه، ليعيبه به، حبسه الله في نار جهنم	٣٩٦
من رد عن عِرض أخيه في الدنيا رد الله عن وجهه النار يوم القيامة	٣٩٣
من سأل الناس ليُثري به مالَه كان خُمُوشًا في وجهه يوم القيامة	١٦٤
من ستر عورة مؤمن، فكأنما استحيا موءودة من قبرها	٣٨٨

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
مَن شرب في آنية من ذهب أو فضة فكأنما يُجرجر في بطنه نار جهنم	١٣٥
مَن صوَّر صورةً، فإن الله معذِّبُه حتى ينفخ فيها الرُّوح	١٧٤، ٥٨٥
مَن صَوَّر صورة كُلِّف يوم القيامة أن ينفخ فيها الرُّوح	١٣٦
من ضرب سوطًا ظلمًا اقْتُصَّ منه يوم القيامة	٤٣١
من ظلم معاهدًا أو انتقصه حقًّا، أو كلَّفه فوقَ طاقته	٤٤٣
من عَلَّق تميمة، فلا أتمَّ الله له، ومن علَّق وَدَعَة فلا وَدَع الله له	٣٠٣
من علَّق شيئًا وُكِل إليه	٣٠٤
من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رَدٌّ	٦٧٤
مَنْ غشَّنا فليس منا	١٢٥
من قال لصاحبه: تعالَ أقامركَ، فليتصدَّق	٣٦٧، ٣٧٥
مَنْ قُتل تحت راية عِمِّيَّة يدعو عصبيةً، أو ينصر عصبية، فَقِتْلة جاهلية	٣٠٧
مَنْ قُتِلَ دُونَ ماله فهو شهيد	٤٣٩
من قتل رجلًا من أهل الذِّمَّة لم يجد رِيحَ الجَنَّة	٤٠٠
من قتل عصفورًا عبثًا عجَّ إلى الله يوم القيامة يقول: يا رب، يا رب	٩٤، ٥٥٣
من قتل معاهدًا لم يَرَح رائحة الجنة	٤٠٠، ٤٤٣
من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمتْ	٢٧٠
من كان له أرض فليزرعها، أو ليُحْرثها أخاه، والا فليدَعْها	٣٤٣
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يخلونَّ بامرأة ليس معها	١٩٣
من كان يؤمن بالله واليوم الآخِر، فلا يدخل الحمَّام إلا بمئزر	٢٠٧
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يقعد على مائدة	١٠٥
مَن كانت الآخرةُ همَّه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمْله	٤٩٠

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
من كانت له أرض فليزرعها، أو ليمنحها أخاه	٣٤٣
من كانت له امرأتان يميل لإحداهما على الأخرى	٢٤١
من كره من أميره شيئًا فليصبر	٤٣٦
مَن كظم غيظًا وهو يستطيع أن يُنْفِذَه، دعاه الله يوم القيامة	٤٦٩
من لبس ثوب شُهرة في الدنيا، ألبسه الله ثوب مَذَلَّة يوم القيامة	١٢٠
من لعب بالنَّرْد فقد عصى الله ورسوله	٣٦٧، ٦٠١
من لعب بالنردشير، فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه	٣٦٧
مَنْ ولاه الله شيئًا من أمور المسلمين	٤٢٧، ٤٢٨
مَنْ وَلِيَ من أمر المسلمين شيئًا، فأمَّر عليهم أحدًا محاباة	٤٢٦
المؤمن أخو المؤمن، فلا يحلُّ للمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه	٢٢٥
ن	
الناس لآدم وحواء... إن الله لا يسألكم عن أحسابكم، ولا أنسابكم	٣١٠
نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم. صمامًا واحدًا	٢٤٨
النظافة تدعو إلى الإيمان، والإيمان مع صاحبه في الجنَّة	١١٢
نعم. قلتُ: هل وراء ذلك الشرِّ خيرٌ؟ قال: نعم	٤٣٧
نعم، كنتُ أرعاها على قراريط لأهل مكة	١٧١
نهاني رسول الله ﷺ عن التختُّم بالذهب وعن لباس القَسِّي	١١٩
نهى رسول الله ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية، وأذن في لحوم الخيل	٦٨٨
نهى عن أكل كلِّ ذي ناب من السباع، وكل ذي مِخْلَب من الطير	٨١، ٦٩٢
نهى عن أكل لحوم الحُمُر الأهلية يوم خيبر	٨١، ٦٥٨
نهى عن بيع السُّنْبل حتى يبيَّض ويأمن العاهة	٣١٦

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
نهى عن بيع الغرر	٣١٥
نهى النبي ﷺ عن إضاعة المال	١١٠، ٣٤٢، ٤٠٩
نهى النبي ﷺ عن بيع الثمار حتى يبدوَ صلاحها	٣١٥
نهى النبي ﷺ عن التحريش بين البهائم	٣٦٢، ٤٥٢
نهى النبي ﷺ عن تلقِّي السِّلع حتى تبلغ الأسواق	٣٢٣
نهى النبي ﷺ عن النَّجَش	٣٢٣
نُهينا أن يبيع حاضر لبادٍ، ولو كان أخاه وأباه	٣٢١
هـ	
هاتها مغضبًا، فأخذها منه، ثم حذفه بها، بحيث لو أصابته لأوجعته	٤١٠
هجر النبي ﷺ نساءه شهرا	٣٨٣
هذا سوقكم، فلا يضيق، ولا يؤخذ فيه خراج	١٧٩
هذه بتلك	٣٦٠، ٦٠٣
هل لك أحد باليمن؟ قال: أبواي. قال: أَأَذِنا لك؟ قال: لا	٢٩٢
هلَّا أخذتم إهابها (جلدها) فدبغتموه فانتفعتم به!. فقالوا: إنها ميتة	٧٥
هلك الأكثرون ورب الكعبة، هلك الأكثرون ورب الكعبة.	٤٩٦
هو الطهور ماؤه، الحِلُّ ميتتُه	٧٤
هو لهم في الدنيا، ولنا في الآخرة	١٣٣
هو اللُّوطيَّة الصغرى	٢٤٧
و	
واتقِّ دعوة المظلوم، فليس بينها وبين الله حجاب	٤٢٩
والذي نفسي بيده، إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر	٣٥٧

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
والله لا أسمه إلا في أقصى شيء من الوجه	٤٥٢
والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا	٤٩١
وإن الله حرَّم ذلك إلى يوم القيامة	٢٣٩
وسأله عمر فقال: يا رسول الله، هلكتُ! قال: وما أهلكك؟	٢٤٨
وفي بُضْع أحدكم صدقة	٥١
وكان معيقيب على خاتم النبي ﷺ	٧٠١
ولا تجدون أولئك خياركم	٢٥٩
الولد للفراش	٢٧٨
ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه	٢٥٧
وما ذاك؟!	٣٥٧
ومَن أظلم ممَّن ذهب يخلق كخَلْقي، فليخلقوا ذَرَّة، فليخلقوا شَعِيرة	١٣٧، ١٤٤، ١٤٩، ٥٨٣، ٥٨٦
ويحك، ما هذه؟ فقال: من الواهنة، قال: أما إنها لا تزيدك إلا وهنًا	٣٠٣
ويل للأمراء، ويل للعُرَفاء (الرؤساء) ويل للأمناء	١٨٤
ويل للذي يُحدِّث بالحديث، ليضحك منه القوم، فيكذب، ويل له	٣٥٩
ي	
يا أبا ذر، أعيَّرتَه بأمه، إنك امرؤ فيك جاهلية!	٣٠٩
يا أبا ذر، إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خِزْي وندامة	١٨٤
يا أبا هريرة، هلَكَ المُكثرون، إلَّا من قال هكذا وهكذا وهكذا	٤٩٦
يا أسامة، أتشفع في حدٍّ من حدود الله؟!	٤٢١
يا أسماءُ، إن المرأة إذا بلغت المحيض	١٩٩، ٢٠٢

QaradawiBooks.com

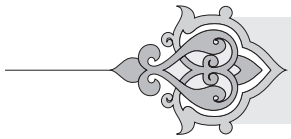
الحديث	رقم الصفحة
يا أم فلان، إن الجنة لا يدخلها عجوز	٣٥٨
يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي	٣١١، ٤٧٨
يا أيها الناس، إن منكم منفِّرين، فأيُّكم أمَّ الناسَ فليوجِزْ	٤٧١
يا أيها الناس، قولوا بقولكم، ولا يستهوينَّكم الشيطان	١٣٨
يا عائشة، ما كان معكم من لهو؟ فإن الأنصار يُعجِبُهم اللهو	٣٧٠، ٦٠٣
يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا	٤٢٨
يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة، فإنك إن أُعطيتَها من غير مسألة أُعنت عليها	١٨٥
يا عليُّ، لا تُتْبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى، وليست لك الآخرة	١٩٦
يا عمرو، نِعْمَ المالُ الصالح للمرء الصالح	٤٠٣، ٤٩٥
يا معشر التجار، إياكم والكذب	١٨٢
يا معشر الشباب، مَن استطاع منكم الباءَة فليتزوَّج	٢١٩، ٢٢٢، ٦٥٤
يا معشر من قد أسلم بلسانه، ولم يفضِ الإيمان إلى قلبه!	٣٨٨، ٣٩٥
يأتي على الناس زمانٌ يستحلُّون الربا باسم البَيْع	٤٩
يأكل ولا يحمل، ويشرب ولا يحمل	٦٣٥
يتبع الميتَ ثلاثةٌ، فيرجع اثنان ويبقى معه واحد	٤٩١
يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب	٢٢٩
يرحم الله نساء المهاجرات الأُوَل لما أنزل الله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾	٥٣٢
يسِّروا ولا تُعسِّروا، وبشِّروا ولا تُنفِّروا	٣٩، ٦٠، ٥٤٤، ٦٣٠
يعمد أحدكم إلى جمرة من نار، فيجعلها في يده	١١٥
يُغفر للشهيد كل ذَنْبٍ إلا الدَّيْن	٣٣٢

QaradawiBooks.com

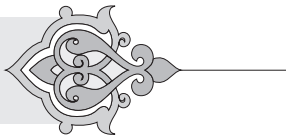
الحديث	رقم الصفحة
يقول العبد: مالي، مالي! إنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى	٤٩٠، ٤٩٧
يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة	٤٩٢
يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أُفُق	٤٩١
يؤمُّ القوم أقرؤهم لكتاب الله	٥٧٨
يومٌ من إمام عادل أفضلُ من عبادة ستين سنة	٤١٨

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com



فهرس الموضوعات



❖ من الدستور الإلهي للبشرية ٤

❖ من مشكاة النبوة الخاتمة ٥

• **مقدمة** ٧

• **مقدمة الطبعة الأولى** ١١

• **تعريفات** ١٩

• **الباب الأول: مبادئ الإسلام في شأن الحلال والحرام** ٢١

❖ ١ ـ الأصل في الأشياء الإباحة ٢٧

❖ ٢ ـ التحليل والتحريم حقُّ الله وحدَه ٣٢

❖ ٣ ـ تحريم الحلال وتحليل الحرام قرين الشرك بالله ٣٦

❖ ٤ ـ التحريم يتبع الخبث والضرر ٤٠

❖ ٥ ـ في الحلال ما يغني عن الحرام ٤٤

❖ ٦ ـ ما أدَّى إلى الحرام فهو حرام ٤٦

❖ ٧ ـ التحايل على الحرام حرام ٤٨

❖ ٨ ـ النيَّة الحسنة لا تبرِّر الحرام ٥١

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

❖ **٩ ـ اتقاء الشُّبُهات خشية الوقوع في الحرام** **٥٤**

❖ **١٠ ـ الحرام حرامٌ على الجميع** **٥٦**

❖ **١١ ـ الضرورات تبيح المحظورات** **٥٩**

• **الباب الثاني: الحلال والحرام في الحياة الشخصية للمسلم** **٦٣**

❖ **١ ـ في الأطعمة والأشربة** **٦٥**

• ذبْح الحيوان وأكله عند البراهمة ٦٥

• الحيوانات المحرَّمة عند اليهود والنصارى ٦٦

• عند عرب الجاهلية ٦٧

• الإسلام يبيح الطيبات ٦٧

• تحريم الميتة وحِكْمته ٦٩

• تحريم الدم المسفوح ٧٠

• لحم الخنزير ٧١

• ما أُهِلَّ لغير الله به ٧١

• أنواع من الميتة ٧٢

• حكمة تحريم هذه الأنواع ٧٣

• ما ذُبح على النُّصُب ٧٤

• السمك والجراد مُستثنًى من الميتة ٧٤

• الانتفاع بجلود المَيْتة وعظمها وشَعرها ٧٥

• حالة الضرورة مُستثناة ٧٦

• ضرورة الدواء ٧٧

• الفرد ليس بمضطر إذا كان في المجتمع ما يدفع ضرورته ٧٨

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

▫ **الذكاة الشرعية** **٨٠**
• الحيوانات البحرية كلُّها حلال ٨٠
• المحرَّم من الحيوانات البرية ٨٠
• اشتراط الذكاة لإباحة الحيوانات المستأنسة ٨٢
• شروط الذكاة الشرعية ٨٢
• سرُّ هذه الذَّكَاة وحكمتها ٨٥
• حكمة التسمية عند الذبح ٨٦
• ذبائح أهل الكتاب (اليهود والنصارى) ٨٧
• ما يذبح للكنائس والأعياد ٨٨
• ما ذكَّوْه بطريق يخالف طريقتنا ٨٩
• ذبيحة المجوسيِّ ومن ماثله ٩٠
• قاعدة: ما غاب عنَّا لا نسأل عنه ٩١
▫ **الصيد** **٩٣**
١ ـ ما يتعلق بالصائد ٩٣
٢ ـ ما يتعلق بالمَصِيد ٩٥
٣ ـ ما يكون به الصيد ٩٥
• الصيد بالسلاح الجارح ٩٥
• الصيد بالكلاب ونحوها ٩٧
• إذا وجد الصيد ميتًا بعد الرَّمْية ٩٨
▫ **الخمـر** **١٠٠**
• كل مسكر خمر ١٠٢
• ما أسكر كثيره فقليله حرام ١٠٣

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

- الاتِّجار بالخمر ١٠٣
- المسلم لا يُهدي خمرًا ١٠٤
- مقاطعة مجالس الخمر ١٠٥
- الخمر داء وليست دواء ١٠٥

▫ **المخدِّرات** **١٠٨**
- كلُّ ما يضر فأكلُه أو شُرْبه حرام ١٠٩

❖ **٢ ـ في الملبس والزينة** **١١١**
- دين النظافة والتجمُّل ١١٢
- الذهب والحرير الخالص حرام على الرجال ١١٤
- حكمة تحريمهما على الرجال ١١٦
- حكمة الإباحة للنساء ١١٦
- لباس المرأة المسلمة ١١٧
- تشبُّه المرأة بالرجل والرجل بالمرأة ١١٨
- ثياب الشُّهرة والاختيال ١١٩
- الغلوُّ في الزينة بتغيير خلق الله ١٢٠
- تحريم الوشم وتحديد الأسنان وجراحات التجميل ١٢٠
- ترقيق الحواجب ١٢٢
- وصل الشعر ١٢٣
- صبغ الشّيب ١٢٥
- إعفاء اللِّحَى ١٢٧

❖ **٣ ـ في البيت** **١٣١**
- مظاهر الترف والوثنية ١٣٢

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

• آنية الذهب والفِضَّة ١٣٣
• الإسلام يحرِّم التماثيل ١٣٥
• الحكمة في تحريم التماثيل ١٣٦
• نهج الإسلام في تخليد العظماء ١٣٨
• الرُّخْصة في لُعَب الأطفال ١٤١
• التماثيل الناقصة والمشوهة ١٤٢
• صور اللوحات والنقوش (أي الصور غير المجسَّمة) ١٤٣
• امتهان الصورة يجعلها حلالًا ١٥٢
• الصور الفوتوغرافية ١٥٣
• موضوع الصورة ١٥٤
• خلاصة لأحكام الصور والمصوِّرين ١٥٦
• اقتناء الكلاب لغير حاجة ١٥٧
• كلاب الصيد والحراسة مباحة ١٥٨
• رأي العلم الحديث في اقتناء الكلاب ١٥٩

❖ **٤ ـ في الكسب والاحتراف ١٦٣**
• قعود القادر عن العمل اكتفاء بالسؤال: حرام ١٦٣
• متى تباح المسألة؟ ١٦٤
• الكرامة في العمل ١٦٥
• الاكتساب عن طريق الزراعة ١٦٦
• الزراعة المحرمة ١٦٨
• الصناعات والحِرَف ١٦٨
• صناعات وحِرَف يحاربها الإسلام ١٧٢

نسخة إلكترونية
QaradawiBooks.com

- البغاء ١٧٢
- الرقص والفنون الجنسية ١٧٣
- صناعة التماثيل والصلبان ونحوها ١٧٤
- صناعة المُسكرات والمخدِّرات ١٧٥
- الاكتساب عن طريق التجارة ١٧٥
- موقف الكنيسة من التجارة ١٨٠
- التجارة المحرَّمة ١٨١
- الاشتغال بالوظائف ١٨٤
- الوظائف المحرَّمة ١٨٥
- قاعدة عامَّة في مسائل الكسب ١٨٧

- **الباب الثالث: الحلال والحرام في الزواج وحياة الأسرة ١٨٩**

❖ **١ ـ في مجال الغريزة ١٩١**
- موقف الإنسان أمام الغريزة الجنسية ١٩١
- ولا تقربوا الزنى ١٩٢
- الخُلوة بالأجنبية حرام ١٩٣
- النظر إلى الجنس الآخر بشهوة ١٩٥
- تحريم النظر إلى العوْرات ١٩٧
- حدود إباحة النظر إلى الرجل والمرأة ١٩٨
- ما يجوز إبداؤه من زينة المرأة وما لا يجوز ٢٠٠
- عورة النساء ٢٠٥
- دخول المرأة الحمَّامات العامَّة ٢٠٧

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

- التبرُّج حرام ٢٠٩
- ما يُخرج المرأة عن حدِّ التبرج ٢١١
- خدمة المرأة ضيوف زوجها ٢١٥
- الشذوذ الجنسي من كبائر المحرَّمات ٢١٦
- حكم الاستمناء ٢١٨

❖ ٢ ـ في الزواج ٢٢٠

- لا رهبانية في الإسلام ٢٢٠
- النظر إلى المخطوبة ٢٢٢
- الخِطبة المحرَّمة ٢٢٥
- البكر تُستأذن ولا تُجبر ٢٢٦
- المحرَّمات من النساء ٢٢٧
- والحكمة في تحريم زواج هؤلاء القريبات ظاهرة ٢٢٨
- المحرَّمات بالرَّضَاعة ٢٢٩
- المحرَّمات بالمصاهرة ٢٢٩
- الجمع بين الأختين ٢٣٠
- المتزوِّجات ٢٣١
- المشركات ٢٣٢
- زواج الكتابيَّات ٢٣٣
- تنبيهات أو قيود لا بد أن نراعيها ٢٣٣
- زواج المسلمة من غير المسلم ٢٣٥
- الزانيات ٢٣٦
- زواج المُتعة ٢٣٨

QaradawiBooks.com

- الزواج بأكثر من واحدة ٢٤٠
- العَدْلُ شرط في إباحة التعدد ٢٤١
- الحكمة في إباحة التعدُّد ٢٤٢

❖ **٣ ـ في العلاقة بين الزوجين ٢٤٥**

- في العلاقة الحِسِّيَّة بين الزوجين ٢٤٥
- اتقاء الدبر ٢٤٧
- حفظ أسرار الزوجية ٢٤٨

❖ **٤ ـ في تحديد النسل ٢٥٠**

- مسوِّغات تنظيم النسل ٢٥١
- إسقاط الحمل ٢٥٤

❖ **٥ ـ في حقوق المعاشرة بين الزوجين ٢٥٦**

- على كلٍّ من الزوجين أن يصبر على صاحبه ٢٥٨
- عند النُّشُوز والشِّقَاق ٢٥٨

هنا فقط يباح الطلاق ٢٦٠

- الطلاق قبل الإسلام ٢٦١
- الطلاق في الديانة اليهودية ٢٦٢
- الطلاق في الديانة المسيحية ٢٦٢
- اختلاف المذاهب المسيحية في شأن الطلاق ٢٦٣
- نتيجة تزمت المسيحية في الطلاق ٢٦٥
- كُفْرُ فَرِيدٌ في بابه ٢٦٥
- المسيحية كانت علاجًا مؤقَّتًا لا شريعة عامَّة ٢٦٦

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية
QaradawiBooks.com

• قيود الإسلام للحدِّ من الطَّلَاق ٢٦٨
• طلاق المرأة وهي حائض حرامٌ ٢٦٨
• الحَلِف بالطلاق حرام ٢٧٠
• المطلقة تبقى في بيت الزوجية مدَّة العِدَّة ٢٧١
• الطلاق مرَّةً بعد مرَّة ٢٧٢
• إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ٢٧٣
• لا يجوز منع المطلقة عن الزواج بمن ترضى ٢٧٤
• حق الزوجة الكارهة ٢٧٤
• مضارَّة الزوجة حرام ٢٧٥
• الحَلِف على هجر الزوجة حرام ٢٧٦

❖ ٦ ـ بين الوالدين والأولاد ٢٧٨

• الإسلام يحفظ الأنساب ٢٧٨
• لا يجوز للأب أن يُنكِر نسب ابنه ٢٧٨
• التبنِّي حرامٌ في الإسلام ٢٨٠
• ماذا كان رأي الإسلام في هذا النظام الجاهلي؟ ٢٨٠
• إبطال التبنِّي بالتشريع العملي بعد التشريع القولي ٢٨٢
• التبنِّي بمعنى التربية والرعاية ٢٨٣
• التلقيح الصناعي ٢٨٤
• انتسابُ الولد إلى غير أبيه يوجب اللَّعْنة ٢٨٥
• لا تقتلوا أولادكم ٢٨٥
التسوية بين الأبناء في العطاء ٢٨٧
• الوقوف في الميراث عند حدود الله ٢٨٨

غير مرخصة للطباعة
نسخة ميزان
QaradawiBooks.com

- عقوق الوالدين من الكبائر ٢٨٩
- التسبُّب في سبِّ الوالدين من الكبائر ٢٩١
- التطوُّع للجهاد بغير إذن الوالدين لا يجوز ٢٩١
- الوالدان المشركان ٢٩٢

- **الباب الرابع: الحلال والحرام في الحياة العامة للمسلم ٢٩٥**

❖ **١ ـ في المعتقدات والتقاليد ٢٩٧**
- احترام سنن الله في الكون ٢٩٧
- حرب على الأوهام والخرافات ٢٩٨
- تصديق الكُهَّان كفر ٢٩٨
- الاستقسام بالأزلام ٢٩٩
- السِّحْر ٣٠٠
- تعليق التمائم (الحُجُب) ٣٠٢
- التطيُّر (التشاؤم) ٣٠٥
- حربٌ على تقاليد الجاهلية ٣٠٧
- لا عصبية في الإسلام ٣٠٧
- لا اعتداد بالأنساب والألوان ٣٠٩
- النياحة على الموتى ٣١١

❖ **٢ ـ في المعاملات ٣١٤**

(أ) بيع الأشياء المُحَرَّمة حرام ٣١٤

(ب) بيع الغرر محظور ٣١٥

(ج) منع التلاعب بالأسعار ٣١٦

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

• المحتكر ملعون ٣١٨
• التدخل المُفْتَعَل في حرية السوق ٣٢٠
• السمسرة حلال ٣٢٢
• الاستغلال والخداع التجاري حرام ٣٢٣
من غشَّنا فليس منا ٣٢٣
• كثرة الحَلِف ٣٢٥
• تطفيف الكيل والميزان ٣٢٥
• شراء المنهوب والمسروق مشاركة للنَّاهب والسَّارق ٣٢٦
• تحريم الربا ٣٢٧
• حِكَم تحريم الربا ٣٢٨
• مُؤْكل الرِّبا وكاتبه ٣٣٠
• الرسول يستعيذ بالله من الدَّيْن ٣٣١
• البيع لأجلٍ مع زيادة الثمن ٣٣٢
• السَّلَم ٣٣٣
• تعاون العمل ورأس المال ٣٣٤
• اشتراك أصحاب رؤوس الأموال ٣٣٦
• شركات التأمين ٣٣٧
• هل هي مؤسسات تعاونية؟ ٣٣٨
• تعديلات ٣٤٠
• نظام التأمين الإسلامي ٣٤١
• استغلال الأرض الزراعية ٣٤٢
• طرائق استغلالها ٣٤٢

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

- الطريقة الأولى «زراعة المالك لأرضه» ٣٤٢
- الطريقة الثانية «إعارة الأرض بلا عوض» ٣٤٣
- الطريقة الثالثة «المزارعة على الأرض» ٣٤٤
- المزارعة الفاسدة ٣٤٥
- الطريقة الرابعة «إجارة الأرض بالنقود» ٣٤٧
- القياس يقتضي منع الإجارة بالنقد ٣٤٩
- الشركة في تربية الحيوان ٣٥٣

❖ **٣ ـ في اللهو والترفيه ٣٥٦**

- ساعة وساعة ٣٥٦
- الرسول الإنسان ٣٥٨
- القلوب تَمَلُّ ٣٥٨
- ألوان من اللهو الحلال ٣٦٠
- مسابقة العَدْو (الجري على الأقدام) ٣٦٠
- المصارعة ٣٦٠
- اللعب بالسهام (التصويب) ٣٦١
- اللعب بالحراب (الشيش) ٣٦٣
- ألعاب الفروسية ٣٦٤
- الصيد ٣٦٦
- اللعب بالنَّرد (الطاولة) ٣٦٧
- اللعب بالشِّطْرنج ٣٦٨

شروط الإباحة للشِّطْرنج ٣٦٩

- الغناء والموسيقى ٣٦٩

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

- قيود لا بد من مراعاتها ٣٧٤
- القمار قرين الخمر ٣٧٥
- اليانصيب ضرب من القمار ٣٧٧
- دخول السينما ٣٧٨

❖ ٤٠ ـ في العلاقات الاجتماعية ٣٨٠

- لا يحلُّ لمسلمٍ أن يهجر مسلمًا ٣٨١
- إصلاح ذات البين ٣٨٤

١ ـ لا يسخر قوم من قوم ٣٨٥
٢ ـ لا تلمزوا أنفسكم ٣٨٦
٣ ـ لا تنابزوا بالألقاب ٣٨٦
٤ ـ سوء الظن ٣٨٧
٥ ـ التجسُّس ٣٨٧
٦ ـ الغِيبة ٣٩٠
حدود الرخصة في الغِيبَة ٣٩٢
الضابط العام هنا ٣٩٣
١ ـ الحاجة ٣٩٣
٢ ـ النية ٣٩٣
٧ ـ النميمة ٣٩٤
٨ ـ حرمة الأعراض ٣٩٥
٩ ـ حرمة الدماء ٣٩٧

- القاتل والمقتول في النار ٣٩٨
- حرمة دمِّ المُعاهد والذميِّ ٣٩٩

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

- متى تسقط حرمة الدم؟ ٤٠٠
- قتل الإنسان نفسه ٤٠١

١٠ ـ حرمة الأموال ٤٠٣

- الرشوة حرام ٤٠٤
- هدايا الرعية إلى الحُكَّام ٤٠٦
- الرشوة لرفع الظلم ٤٠٧
- إسراف الفرد في ماله حرام ٤٠٨

❖ ٥ ـ في علاقة الحاكم بالمحكومين ٤١١

- الحكم بغير ما أنزل الله ٤١١

لا يحل لعالم مسلم أن يهمل إقامة العدل ٤١١

- تعطيل حدود الله ٤١٧
- لا شفاعة في حدود الله ولا محاباة ٤٢١
- لا عقوبةَ إلا بذنبٍ علني ٤٢٢
- الكذب على الرعية من الكبائر ٤٢٣
- اتخاذ البطانة الفَسَقة ٤٢٣
- بطانة الكُفَّار ٤٢٤
- تولية غير الأكْفاء الأمناء ٤٢٥
- الاحتجاب عن حوائج الرَّعِيَّة ٤٢٧
- الظلم ظُلمات يوم القيامة ٤٢٨
- حرمة المال العامِّ ٤٣٣
- الرسول ﷺ يبرأ من أعوان الظلمة ٤٣٣
- حديث: «وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فاسمع وأطع» منقطع ٤٣٧

غير مصرح للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

❖ ٦ ـ علاقة المسلم بغير المسلم ٤٤٠
• نظرة خاصة لأهل الكتاب ٤٤١
• أهل الذمة وما لهم من حقوق وحُرُمات ٤٤٣
• وصايا نبوية بأقباط مصر خاصة ٤٤٤
• موالاة غير المسلمين ومعناها ٤٤٦
• استعانة المسلم بغير المسلم ٤٤٩
قبول الهدية من غير المسلم والإهداء له ٤٥٠
احترام الإسلام للإنسان من حيث هو إنسان ٤٥١
• الإسلام رحمة عامَّة حتى على الحيوان ٤٥١

• الباب الخامس: الحلال والحرام في أعمال القلوب ٤٥٥
❖ الحلال والحرام في أعمال القلوب ٤٥٧
من أين؟ وإلى أين؟ ولِمَ؟ ٤٥٨
• فمن أين؟ ٤٥٩
• وإلى أين؟ ٤٥٩
• ولِمَ؟ ٤٦٠
الحلال والحرام في الطبعات السابقة من الكتاب ٤٦٠
مقدمة الإمام الغزالي عن عجائب القلب ٤٦١
١ ـ من أعمال القلوب التي حرَّمها الإسلام: الغضب ٤٦٤
شرح معنى «لا تغضب» ٤٦٦
تعليمات نبوية لمن غضب ٤٦٧
• البطولة في قهر الغضب ٤٦٨

QaradawiBooks.com

الواجب على المؤمن عند فوران الشهوة والغضب ٤٧٠
٢ ـ ومن أعمال القلوب المحرمة: الحسد ٤٧٢
٣ ـ ومن أعمال القلوب المحرمة: العداوة والبغضاء ٤٧٧
تتبّع الأحقاد والضغائن ونتائجها، وفضيلة العفو والرفق ٤٨٠
٤ ـ من أعمال القلوب المحرَّمة: حب الدنيا ٤٨٢
ما يحبِّب الناس في الدنيا ٤٨٤
المراد بحبِّ الدنيا ٤٨٨
• الرسول يحذِّر من حب الدنيا ٤٩٠
٥ ـ من أعمال القلوب المحرمة: الشُّحُّ وحب المال ٤٩٢
• الإسلام يُحذِّر من حُبِّ المال ٤٩٤
٦ ـ من أعمال القلوب المحرمة: حُبُّ الجاه والرياء ٤٩٧
• أنواع المُرائين ٤٩٩
٧ ـ ومن أهم المحرَّمات في أعمال القلوب: الكبر ٥٠١
بيان البواعث على التكبُّر وأسبابه المهيجة له ٥٠٤
٨ ـ ومن الأعمال القلبية التي حرمها الإسلام: العُجْب ٥٠٧
الغزالي يشرح لماذا ذُمَّ العجب؟ ٥٠٧
من آفات العُجْب ٥١٠
بيان حقيقة العجب والإدلال، وحدُّهما ٥١١
٩ ـ من الأعمال القلبية التي حرَّمها الإسلام: الغرور ٥١٣
الغرور الذي يحذر منه القرآن والسنة ٥١٥
بين العجب والغرور ٥١٦
من فِرَق المغرورين الهالكين ٥١٧

QaradawiBooks.com

المغرورون بالحج والعمرة ٥١٧
المغرورون بالاحتساب، والأمر والنهي ٥١٨
المجاورون بالحرمين ٥١٨
الرغبة في الرياسة والجاه ٥١٩
ترك الترتيب بين الخيرات من جملة الغرور ٥٢٠
١٠ ـ من أعمال القلوب المحرمة: اتِّباع الهوى ٥٢٢

• **الخاتمة** **٥٢٧**

• **ملحق: الحلال والحرام والرد على المعترضين** **٥٣٥**

• **مقدمة** **٥٣٧**

❖ **رسالة العلامة الشيخ ابن باز حول كتابي «الحلال والحرام»** **٥٤٠**

❖ **رسالة جوابية موجزة إلى العلامة ابن باز** **٥٤٢**

❖ **الرد على تعقُّبات الشيخ الألباني** رحمه الله تعالى

في كتابه: «غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام» **٥٤٧**
الأولى: بعض الأحاديث تُذكر للاستئناس، لا للاحتجاج. ٥٤٩
الثانية: مرحلة التقليد للمتقدمين. ٥٥٠
الثالثة: تضعيف الشيخ قابل للمناقشة. ٥٥٣
الرابعة: تضعيف حديثٍ ما لا يسقط القضية كلها ٥٥٦
الخامسة: تضعيف حديث بسندٍ ما، أو لفظٍ ما، لا يعني تضعيف المتن ٥٥٧
السادسة: عمل المحدِّث وعمل الفقيه ٥٥٨

QaradawiBooks.com

❖ **الردُّ على كتاب الشيخ الفوزان** **٥٦٠**
١ ـ موادَّة غير المسلمين ٥٦٣
٢ ـ التدخين ٥٦٧
٣ ـ حكم إعفاء اللحية ٥٦٨
أولًا: الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين في الأخذ من اللحية ٥٧٠
ثانيًا: حكم مخالفة غير المسلمين ٥٧١
ثالثًا: الأمر لا يُراد به الوجوب دائمًا ٥٧٢
رابعًا: آراء المذاهب الفقهية في المسألة ٥٧٣
١ ـ من الحنفيَّة ٥٧٤
٢ ـ ومن المالكية ٥٧٤
٣ ـ الشافعية ٥٧٥
٤ ـ الحنابلة ٥٧٥
٥ ـ الظاهرية ٥٧٦
خامسًا: مناقشة حديث خصال الفطرة ٥٧٦
١ ـ ضعف مصعب بن شيبة (أحد رواة الحديث) ٥٧٦
٢ ـ مخالفته للثقات ٥٧٧
٤ ـ التصوير ٥٧٩
التصوير في القرآن ٥٨٠
التصوير في السنة ٥٨١
(أ) تحريم ما يُعظَّم ويُقدَّس ٥٨١
(ب) مضاهاة خلق الله ٥٨٢
(ج) أن تكون جزءًا من أدوات الترف ومظاهره ٥٨٣

غير مرخص للطباعة
نسخة خاصة
QaradawiBooks.com

الردُّ على من قال بالنَّسْخ ٥٨٤
نظرات في فقه الأحاديث ٥٨٥
الردُّ على من قال بالتأويل ٥٨٧
الصور الفوتوغرافية ٥٨٨
الرد على بعض التأويلات ٥٨٩
٥ ـ اللعب بالشِّطْرنج ٥٩١
متى ظهر الشِّطْرنج في الحياة الإسلامية؟ ٥٩٢
قيمة الأحاديث الواردة فيه ٥٩٣
سبب الاختلاف في حكمه ٥٩٣
الآثار عن الصحابة ٥٩٥
مذهب الحنفية في اللعب بالشطرنج ٥٩٦
مذهب الشافعية في الشطرنج ٥٩٧
مذهب مالك في اللعب بالشطرنج ٥٩٨
مذهب الحنابلة ٦٠٠
مناقشة أدلة القائلين بتحريم الشطرنج ٦٠٠
٦ ـ القياس على النرد ٦٠٥
٧ ـ حكم الإسلام في الغناء والموسيقى ٦٠٨
• لِمَ شدَّد المتأخِّرون في أمر الغناء؟ ٦٠٩
• أدلة المحرِّمين ومدى اعتبارها ٦١٠
• لا صحة لأحاديث تحريم الغناء ٦١٠
• أدلة المبيحين للغناء ٦١١
• تعقيبات وملاحظات ٦١٢

QaradawiBooks.com

تحرير محلِّ النزاع ٦١٢
من هذه العناصر المؤثِّرة ٦١٢
مراعاة المخفِّفات في الموضوع ٦١٣
• قيود وضوابط لا بد من مراعاتها ٦١٤
١ ـ سلامة مضمون الغناء من المخالفة الشرعية ٦١٤
٢ ـ سلامة طريقة الأداء من التكسُّر والإغراء ٦١٤
٣ ـ عدم اقتران الغناء بأمر محرَّم ٦١٤
٤ ـ تجنُّب الإسراف في السماع ٦١٤
٥ ـ ما يتعلَّق بالمستمِع ٦١٥
٦ ـ حكم دخول السينما ٦١٦
٧ ـ حول فتوى القاضي أبي بكر ابن العربي بجواز أكل ذبيحة أهل الكتاب فيما خالف في طريقة ذبحه في شريعتنا ٦١٧
١ ـ تجويز خلوِّ التكاليف الشرعية من الحكمة والعلل المعقولة ٦٢٣
٢ ـ التفصيل في تحريم الحرير على الرجال ٦٢٣
❖ الرد على المُعَلِّق على طبعة دار الاعتصام ٦٢٥
تمهيد ٦٢٥
١ ـ حول مقاتلة مانع الفضل من الطعام ٦٣١
٢ ـ حول ذبيحة المجوس ٦٣٦
٣ ـ حول ترتيب آيات الخمر ٦٣٧
٤ ـ حول عورة المرأة بالنسبة للأجنبي ٦٣٩
تفسير ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ ٦٤٠
أكثر العلماء على أن الوجه والكفين ليسا بعورة ٦٤٢

QaradawiBooks.com

حول حديث أسماء: «إذا بلغت المرأة المحيض...» ٦٤٢
الأحاديث الصحيحة في جواز كشف الوجه واليدين ٦٤٤
لا يحرُم النظر إلى الوجه والكفَّيْن عند أمن الفتنة ٦٤٥
كشْف المرأة وجهَها في عبادتي الصلاة والحج ٦٤٧
فتوى العلامة السيد رشيد رضا ٦٤٧
الدليل على جواز نظر المرأة إلى ما ليس بعورة من الرجل ٦٤٨
٥ ـ حول خدمة المرأة ضيوف زوجها ٦٥٠
٦ ـ حول حكم الاستمناء ٦٥٢
٧ ـ حول النظر إلى المخطوبة ٦٥٤
٨ ـ حول زواج المتعة ٦٥٧
٩ ـ ١٠ ـ حول تنظيم النسل ومسوغاته ٦٦١
كلمات مضيئة للإمام الغزالي في العزل ٦٦٢
١١ ـ حول طلاق الحائض ٦٦٧
دعوى الإجماع على أن طلاق الحائض يقع ٦٦٧
مرجِّحات عدم وقوع طلاق الحائض ٦٧٣
توسُّع كثير من الفقهاء في إيقاع الطلاق ٦٧٥
١٢ ـ حول إبطال التبنِّي ٦٧٦
١٣ ـ لا عصبيَّة في الإسلام ٦٧٨
١٤ ـ حول مَلَلِ القلوب ٦٧٨

❖ الرد على تعليقات الشيخ عبد الحميد طهماز ٦٨٠
١ ـ لحوم الحمر الأهلية ٦٨٥
مذهب ابن عباس في لحم الحُمُر الأهليَّة ٦٨٥

QaradawiBooks.com

٢ ـ أكل لحوم سباع البهائم والطير ٦٨٩
مذهب مالك في أكل لحوم سباع البهائم والطير ٦٨٩
٣ ـ حول ذبيحة المجوس ٦٩٤
٤ ـ دباغ الخنزير ٦٩٦
٥ ـ حول التختُّم بالحديد ٦٩٩
٦ ـ اللعب بالنرد ٧٠٢
مسائل متكلَّفة ٧٠٤
١ ـ تعريف الحلال والمكروه ٧٠٤
٢ ـ أكل المال بالمسابقة ٧٠٧
٣ ـ ذبائح أهل الكتاب مما لم يذكروا اسم الله عليه ٧٠٩
٤ ـ تفسير طعام أهل الكتاب في الآية: ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ﴾ ٧١٠
٥ ـ التوسُّع في تعريف الزانيات ٧١١
٦ ـ البيع بأجل ٧١٤
الجانب الاقتصادي في البيع لأجلٍ مع زيادة الثمن ٧١٥
كلمة أخيرة ٧١٥

- **فهرس الآيات القرآنية الكريمة** **٧١٩**
- **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة** **٧٤٧**
- **فهرس الموضوعات** **٧٧٧**

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com